

الذخيرة في محاسن أهل البصرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسّام الشنتريني (٥٤٢)

تحقيق

الدكتور إسماعيل عباس

لقسم الثالث

المجلد الأول

دار الثقافة

بيروت - لبنان

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

مقدمة المحقق

جرى تحقيق هذا القسم من الذخيرة على فئتين من المخطوطات ،
الفئة الأولى تضم مخطوطتين وهما :

(١) مخطوطة الزاوية الحمزية بالخزانة العامة بالرباط (ورمزها : م)
وتقع في ٥٦٨ صفحة ، ولكن نصّ الذخيرة ينتهي فيها إلى الصفحة ٥٠٦
(الورقة ٢٠٣/أ) فقد جاء في هذه الصفحة : « هاهنا انتهى ما أثبتته ابن بسام
رحمه الله في القسم الثالث من كتاب الذخيرة » وعلى الحاشية إزاء هذه
الخاتمة كتب : « الحمد لله : هذه الأوراق - من أبي بكر بن الدوس إلى
ترجمة أبي بكر ابن رحيم من كتاب مطمح الأنفس في ذكر علماء الأندلس
للوزير الكاتب أبي النصر الفتح بن خاقان مؤلف قلائد العقيان » . وعند
مقارنة هذه الصفحات (٥٠٦ - ٥٦٨) بالمطمح المطبوع تتضح فروق
واسعة بينهما ، فلعل هذه الورقات هي إحدى صور المطمح في نسخته
الكبرى أو الوسطى .

ويحتوي الجزء الخاص بالذخيرة من هذه النسخة كل القسم الثالث
دون نقص ؛ والنسخة بخط مغربي جيد ، وفي كل صفحة ٢٣ سطراً
ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحدة ١٢ كلمة ، والضبط على وجه
العموم حسن ، والأوهام قليلة ، ولهذا ولكمال النسخة أشرت إلى صفحاتها
في هذا التحقيق .

(٢) نسخة (رمزها : ب) كانت في ملك الأستاذ ليثي بروفنسال
وهي في ٢٣٤ ورقة ، وفيها نقص في أولها وآخرها ، وقد لحقت بها آثار

أرضة وبياض وطمس . وتشتمل كل صفحة من صفحاتها على ٣٣ سطراً ومعدل الكلمات في السطر الواحد ٢٠ كلمة ، وخطها مغربي دقيق ، إلا أن غلبة العيوب التي أشرت إليها تجعل إقامة نص سليم منها أمراً صعباً . غير أنها تشبه النسخة (م) من جميع النواحي ، وكلتاها ترجع - فيما أقدر - إلى أصل واحد .

وتضمّ الفئة الثانية من مخطوطات هذا الجزء ثلاث نسخ وهي :

(٣) نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم : ١٣٢٤ (ورمزها : ط) وتقع في ١٩١ ورقة ويبدأ النص فيها ناقصاً على الصفحة الثانية من الورقة الثانية ، وقد تملكها شخص بمدينة فاس لقاء تسع عشرة أوقية سنة ١٢٠٤ ، وهي بخط مغربي جميل واضح ، فرغ ناسخها أحمد بن الحاج علي بن الحاج أبي القاسم بن محمد بن سودة الأندلسي من نسخها سنة ١٠٠٣ ، وفي كل صفحة من صفحاتها ٢٥ سطراً ، ومعدل الكلمات في السطر الواحد ١٢ كلمة ؛ وتعدّ على وجه الإجمال جيدة الضبط .

(٤) نسخة المجمع التاريخي بمدرّيد - جيانجوس (ورمزها : س) وهي في ١٥٧ ورقة تمثل القسم الثالث من الذخيرة كاملاً ، وفي كل صفحة ٢٨ سطراً ، ومعدل الكلمات في السطر الواحد ١١ كلمة ، مكتوبة بخط مغربي دقيق ، قريب الشبه بخط النسخة (ط) .

(٥) النسخة البغدادية (ورمزها : د) وهي في ٢٩١ صفحة ، في الصفحة الواحدة ٢٩ سطراً ، ومعدل الكلمات في السطر ١٠ كلمات ، وخطها مشرقى نسخي حديث ، وقد تمّ نسخها مساءً نهار الاثنين ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣٢٥ هـ . على يد عبد اللطيف آل ثنيان عن نسخة قديمة « مغلطة » فيها بياض كثير بخط مغربي « شكس » - كما يقول الناسخ . ولعلّما نسخت عن إحدى النسختين السابقتين ، أو عن نسخة تلتقي وإياهما

في الانتماء إلى أصل مشترك . فهذه النسخ الثلاث لا يقوم بينها من الفروق إلاّ ما ينشأ عن وهم أحد النساخ دون الآخر ، أو عن محاولة ناسخ (د) أن يصحح بعض ما وجده من خطأ بمراجعة النصّ على الأصول . على أن النسخة الأخيرة أكثر الثلاث أخطاء - رغم وحدة المتنى - لصعوبة الخط المغربي لدى ناسخها المشرقي .

وبين هاتين الفئتين من المخطوطات فروق هامة أصيلة منها :
(١) أن سياق النصّ في الفئة الأولى يختلف أحياناً اختلافاً جذرياً عن سياقه في الفئة الثانية ، حتى يشبه أن يكون في الثانية تلخيصاً واختصاراً لما جاء في الأولى .

(٢) كل فئة تتضمن زيادات لا تتوفر في الفئة الأخرى ، ولكن الزيادات في الفئة الأولى أكثر وأغزر ، ولهذا السبب اعتبرت نصّ الفئة الأولى أساساً فلم أشر إلى الزيادات إلاّ في الصفحات الأولى من الكتاب على سبيل التمثيل ، أما الزيادات المستمدة من نسخ الفئة الثانية فقد وضعتها دائماً بين معقفين .

(٣) في بعض زيادات الفئة الأولى أمرٌ غريب يستوقف النظر ، وذلك هو دخول نصّ قلائد العقيان ضمن نصّ الذخيرة ، وقد نهبت إلى ذلك بأن جعلتُ ما ينتمي إلى القلائد - على نحو حاسم - مطبوعاً بحرف أصغر في المتن ، وليس في نسخ الفئة الثانية مثل هذه الزيادات .

هذا ويطيب لي في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل لصديقي وأخي الدكتور محمود مكّي علامة الدراسات الأندلسية فهو الذي أمدّني بالنسختين (م) و (س) مكبرتين ، وشجّعني على هذا العمل ، وآثرني على نفسه إذ كان بحاجة إلى نسخة الذخيرة في دراساته وبحوثه ، فجزاه الله عني خير الجزاء . وإذا ذكرت أهل الفضل فلن أنسى الصديقين : الدكتور عفيف

عبد الرحمن المدرس بمعهد المعلمين بالكويت ، والأستاذ محمد رشاد عبد
المطلب بمعهد المخطوطات التابع للجامعة العربية فكلاهما لم يضمن على هذا
العمل بما يكفل إنجازه ، أما الأول فقد صور لي المخطوطات المحفوظة
بالمكتبة العامة بالرباط من نسخ الذخيرة ، وأما الثاني فقد تكرّم فأرسل
إلي صور « ميكرو فيلم » عن كل ما يحتفظ به المعهد من مخطوطات
الذخيرة ، فلهذين الصديقين أيضاً شكري الجزيل .
وإني لأرجو أن يتاح لي تقديم الأقسام الأخرى من الذخيرة محققة ،
فقد طال العهد والذخيرة تستدعي التحقيق ليفيد منها الدارسون ، معتمداً
في ذلك كله على عون الله وتوفيقه .

إحسان عباس

بيروت في حزيران (يونيه) ١٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على مولانا محمد وآله وسلم

ذكر الجانب الشرقي من جزيرة الأندلس
وتسمية من نجم في أفقه من كواكب العصر
وبرز في ميادينه من فرسان النظم والنثر من
أول المدة المؤرخة صدر هذا الكتاب إلى وقتنا
الذي هو ستة اثنتين وخمسمائة حسبا شرطنا ،
واجتلاب غرر رسائلهم وأشعارهم ، وما
اتصل بذلك من نوادرهم وأخبارهم .

قال أبو الحسن ابن بسام : ولما أدارت تلك الفتنة رحاها ، على حَضْرَةِ
قرطبة وما والاها — إذ كانت على ما قدمنا ذكره منتهى الغاية ، ومركز
الراية — فقلَّصَتْ أذيالها ، وانتسفت^١ جبالها ، واشتفت^٢ الماء من عودها ،
وألوت^٣ بمعظم طارفها وتليدها ، شدَّ قوم^٤ من أهلها على حال^٥ لو رآها ابن
جبير^٦ لقال بالتقية ، وبين يدي قتال^٧ لو أحاط ببني ذييان ليئسوا من البقية ،
بأذماء أنفُسٍ قد نازعهم الموت^٨ أرماقها ، وبقايا أحوال^٩ قد هتكت^{١٠}
النائب^{١١} أستارها وأرواقها^{١٢} ، فأصبحوا طرائد^{١٣} سيوف ، وجلاء^{١٤} حتوف ،

١ م : وتشعبت .

٢ يعني سعيد بن جبير ، وهو من أتقياء التابعين ، خرج على الحجاج مع ابن الأشعث ، ولم يكن
يقول بالتقية .

٣ س : وأوراقها .

قد خلعهم لَيْتُ العِشْرِ على خَشِينِهِ ، وأسلمتهم غفلاتُ الزمانِ إلى محنه ،
يلوذون بآفاقِ هذه الجزيرة المنكوبة ، لواذَ الماءِ بأقطارِ الزّجاجةِ المصبوبة ،
فكانوا كما وصف الملك الضليل حيث يقول ^١ :

فريقان منهم جازعٌ بطنَ نخلةٍ وآخرُ منهم قاطِعٌ ^٢ نجدَ كَبْكَبِ

لا بل كما قال ^٣ صاحبهم القسطلي أبو عمر يضجرُ من حاله ، ويحارُ
من إدباره بين تلك الفتنة وإقباله ، ويصفُ ^٤ ما حلَّ به وانجلى عن أهله
وأطفاله ، في قصيدةٍ فريدةٍ [١ ب] مدح بها خيران الصقليّ فقال ^٥ :

تقسّمهنّ السيفُ والحيفُ والبلى ^٦ وشطّئتُ بنا عنها عصورٌ وأزمانُ
كما اقتسمتُ أخذانهنّ يدُ النّوى فهم للردى والبرِّ والبحرِ إخوان
إذا شرقَ الحادي بهم غربتُ بنا نوى يومها يومان والحينُ أحيان

وكان القسطلي -- حسبما قدّمنا صدّرَ هذا الديوان -- من فتنة ذلك
الزمان بمنشأ ليلها ، وعلى مدرّج سِيلها ، فأوثقتَه في حبالها ، وعركته عرْكَ
الرحى بثفالها ^٧ ، ولم يزل يتقلّبُ بين أطباقها ، ويترشّف أسارَ ثمادِها وأرناقِها ،
فكم له من وفادةٍ أخزى من وفادة البرجمي ^٨ ، ووسيلةٍ أضيعَ من المصحف

١ أي امرؤ القيس ، انظر ديوانه : ٤٣ .

١ س : جازع .

٣ م : ذكر .

٤ م : ويذكر .

٥ م : يقول فيه ، وانظر ديوان ابن دراج : ٨٨ - ٨٩ .

٦ م : والجلا .

٧ من قول زهير بن أبي سلمى في معلقته :

فتمركم عرك الرّحى بثفالها فتلقح كشافاً ثم تنتج فتشم

٨ من المثل « إن الشقي وافد البراجم » (الميداني ١ : ٧) وله قصة .

في بيت الزنديق الأمي ، بقصائد لو مدحَ بها الزمانُ لما جار ، أو رواها
الزبرقان^١ لآمين السرار ، ورسائل أعذبَ من ماء الثغور ، وأعجبَ من
الدرِّ بين الترائب والنحور ، يتخللها بشكوى أحرَّ من الجمر ، وعذير في
البكاء أوضح من الفجر ، لو وجدتُ شفرة عتابه مَحَزًّا ، أو صادفتُ ريحَ
عتابه عِطْفًا مهتزًّا ، لا بل كما قال عمرو بن معديكرب^٢ :

لقد ناديتَ لو أسمعتَ حيًّا ولكنَّ لا حياة لمن تنادي
أو كما^٣ قال أبو عباد^٤ :

أهزُّ بالشعر أقواماً ذوي وِسَنِ لو أنهم ضُربوا بالسَّوطِ ما شعروا
كقوله في مبارك ومظفر ، غلامين فدمين ، كانا يومئذ ببلنسية أميرين ، من
قصيدة يقول فيها^٥ :

فكم جزت من بحرٍ اليَّ ومهمه	يكادُ ينسِّي المستهامَ ادِّكارَكِ
أذو الحظ من علم الكتاب هداك لي	أم القلْكُ الدَّوَّارُ نحوي أدارك
وكيف رضيت الليلَ ملبَّسَ طارقٍ	وما ذرَّ قَرْنُ الشمسِ الا استنارك
وكم دون رحلي ^٦ من بروجٍ مشيدةٍ	تحرمُّ من قربِ ^٧ المزار ، مزارك

١ الزبرقان : القمر .

٢ ورد هذا البيت في شعر كثير (ديوانه : ٢٢٢) ونسب لعبد الرحمن بن الحكم (الأغاني
١٥ : ١١٧ ط . دار الكتب) .

٣ هنا تبدأ المخطوطة (ط) .

٤ م : البحري ، والبيت في ديوانه : ٩٥٥ .

٥ ديوان ابن دراج : ١٠٣ - ١٠٤ .

٦ م : ودي .

٧ م : رب .

وأرضي سيول^١ من خيول مظفر^٢ ويلي نجوم^٣ من رماح^٤ مبارك
وممن كان أيضاً مدح^٥ صاحب^٦ دانية^٧ يومئذ ، الفتح^٨ بن أفلح ، بقصيدة
وصف فيها مشقة رحلته ، وتقلقه لمحتته على عادته ، فمنها قوله^٩ : [٢ أ]

غرائب مما أغرب الدهر أطلعت عليك هلال العلم من أفق الغرب
طوت فلوات الأرض نحوك وانطوت كبدر إلى محق ، وشهر إلى عقب
كؤوساً^١ تساقتها الليالي تنادماً^٢ فجاءتك كالأفداح ردت على الشرب
تعاورهن^٣ البر^٤ والبحر^٥ مثلما تُرد^٦ بأيدي الرُّسل أجوبة^٧ الكتب
يكتبن^٨ صفحات^٩ السعود نواظراً وينفضن^{١٠} من أقلامهن^{١١} على القلب
ويقضمن^{١٢} أطراف^{١٣} الهشيم تبلغاً إلى الروضة الغناء في المشرب العذب^{١٤}
ويفحصن^{١٥} في رصف^{١٦} الحصى بمناسم^{١٧} تهيم^{١٨} إلى حصبا من اللؤلؤ الرطب
فتلقي جميعاً في الصخور كلاكلاً^{١٩} تنوء^{٢٠} لأرض المسك زهواً على الترب
ولاح لها البرق^{٢١} الذي أغدق الثرى فهن^{٢٢} إليه موفضات^{٢٣} إلى نصب
فأي^{٢٤} رجاء قاد رحلي اليكم^{٢٥} وقد أضعفتني^{٢٦} مثل^{٢٧} راغية^{٢٨} السقب
بعيد^{٢٩} من الأوطان^{٣٠} مستشعر^{٣١} العدا^{٣٢} غريب^{٣٣} على الأمواه^{٣٤} متهم^{٣٥} الصبح
أقل^{٣٦} من الرئبال^{٣٧} في الأرض^{٣٨} آلفاً وان كان لحمي للحسود^{٣٩} وللخب^{٤٠}

١ م : ساء .

٢ ديوان ابن دراج : ٩٥ .

٣ ط : كؤوس .

٤ م : نتائج .

٥ هذا البيت وبعده أربعة أبيات لم ترد جميعاً في ط ر ، وفي موضعها : ومنها ، وقد

سقطت الأبيات ٤ - ٨ من س .

٦ الديوان : رضم .

٧ الديوان : اليكما . . . أصعقتني .

٨ م : الهدى .

٩ م س : يحمي للأسود ، وأثبت ما في الديوان .

وأعظمُ تأنيساً لدهري من المنى وأوحشُ فيهم من فتى الحب في الحب^١
 فله من عزم اليك استقادي فأفرط في بُعد وفراط في قرب
 حياء من الحال التي أنا^٢ عالمٌ بها كيف عانت في سناها يد الخطب
 وتسويف يوم بعد يوم تخوفاً لعلّي لا ألقاك منشراح القلب
 وشحاً بباقي ماء وجه بدلتُهُ لعلّي أقضي قبل إنفاده نحبي
 وتأخير رجل بعد تقديم أختها حذاراً لدهر لا يغمض عن حربي

فكان في إهدائه الكلام ، إلى أولئك العبيد اللثام ، كمن يُهدي الهنم
 إلى الصنم^٣ ، ويجعلُ الحمار على وجه الحمار .

ولبارك ومظفر اللذين ذكرا ونظرائهما من أولئك العبيد أخبارٌ
 سارت بها الركائب ، وأحاديثٌ تحدث بها المشارق والمغارب ، وقد أثبت
 في هذا المكان ، بعض ما وجدت منها لأبي مروان بن حيان ، حسبما شرطت ،
 وعلى حكم^٥ ما بسطت [٢ ب] .

جملة أخبار ونوادير ، ممن ثار بهذا القطر يومئذ من فتيان^٦ ابن أبي
 عامر ، ممن وصف القسطل بعض أمره ، وتعلق شرط الكتاب بطرف
 من ذكره .

قال أبو الحسن بن بسام^٧ : وأبدأ أنا فأقول : كانوا عبدان محنة ،

١ س : للجب . ٢ الديوان : أنت .

٣ م س : للصنم ؛ والهنم : التمر كله أو نوع منه .

٤ م : رأس .

٥ م : محكم .

٦ م : غلمان .

٧ انظر البيان المغرب ٣ : ١٦٢ .

وجنّانَ فتنة ، قلّ الناس فأمرُوا^١ ، وخلا لهم الجوّ فباضوا وصفروا ،
 وغازلوا الجماعة بقرطبة مدة أيامهم ، ودرسوا أحسابَ الأحرار بأقدامهم ،
 مستمتعين^٢ بدنياهم ، غافلين عن عادةِ الله في مَنْ جرى مَجْرَاهُمْ^٣ ،
 فربما سقطت الفتنةُ عليهم بزعماء الأنام ، وزفتْ إليهم عقائلَ الكلام ،
 فيعكفون منهم على رسوم ديار ، وأصداء قفار ، سواء عندهم سجعُ البلبل
 ورغاءُ الإبل ، وسيمرّ في عرض القصص جملةٌ من غرائب ضياع الأدب ،
 في مدة أولئك^٤ المجاييب الصقلب ، مما فيه عظة لمن اعتبر ، وكان له نظر
 فنظر ، وبصيرة فتدبر^٥ .

رجع الحديث إلى سياقة نص ابن حيان :

قال أبو مروان^٥ : فمن غرائب هذه [الليالي و] الأيام ، اللعبة بالأنام ،
 أن مباركاً ومظفراً المذكورين كانا ولياً أولاً وكالة الساقية ببلد بلنسية^٦ ،
 ثم اتفق^٧ أن صرفا عنها فدخل على الوزير عبد الرحمن بن يسار أيام
 خدمته بها سنة إحدى وأربعمئة ، وقد دعيا للحساب ، فكلماه^٨ ومسحا
 أعطافه^٩ ، ولثما أطرافه^{١٠} ، فكتب لهما بما نفعهما ، وكان سبباً لردّهما

١ أمروا : كثروا .

٢ د ط س : مستمتكين .

٣ ورد بعدها في م وحدها لفظة « الحبل » .

٤ م : فاذا كر .

٥ انظر البيان المغرب ٣ : ١٥٨ وما بعدها ، وفيه بعض اختلاف وإيجاز ؛ والمغرب ٢ :

٢٩٩ .

٦ د ط س : بلنسية .

٧ د ط س : فاتفق .

٨ م : وكلماه .

إلى عملهما ، وعند خروجهما بالكتاب يومئذ تعلقَ خادمٌ لابن يسار بهما ، كان مدلاً عليه ، يسألهما بره وجزاءه على ما تهيأ لهما عند مولاه ، فخلعَ لحامَ مبارك عن رأس فرسه وقد كان ركبه ، فخللاًه فضيحةً لا يقدرُ على حركة ، ثم بعد لأيٍ ما ردهُ ؛ فلم تمض إلا مُدَيِّدة وضرب الدهر ضربانه ، فقضى لمبارك بالامارة هنالك ، ونالت ابن يسار الوزير المذكور محنةً قرطبةً بعد ذلك ^١ ، فجال النواحي ، وأمَّ مباركاً هذا لا يشك في معرفته بمنزلته ، وحرصه على مبرّته ، فحلّ ببلنسية ، فوالله ما أنصفه في اللقاء فضلاً عن القرى .

ثم بلغ من سياسة هذين العبدین القدمین ، مبارك ومظفر ، في مدّة إمارتهما إلى أن تقارضا من صحّة الأُلُفّة فيها طول حياتهما بما فاتا في معانها أشقاء الاخوة وعشاقَ [٣ أ] الأُحبة : فنزلا يومئذ معاً في سلطانهما قصر ^٢ الامارة مختلطين ، يجمعهما في أكثر أوقاتهما مائدة واحدة ، ولا يتميز أحدهما عن الآخر في عظيم ما يستعملانه من كسوة وحلية وفراش ومركوب وآلة ، ولا ينفردان إلا في الحرم خاصة . على أن جماعة ^٣ حرمهما كنَّ مختلطاتٍ في منازل القصر ، ومستويات في سائر الأمر ، مع أن لمبارك كان التقدّم في المخاطبة هنالك في حقيقة رسوم الإمارة ، لفضل صرامة ونكراء كانتا فيه ، يقصّر فيهما مظفر لدمائة خلقه وانحطاطه لصاحبه في سائر أمره ، ورضاه بكل فعله ، على زيادة مظفر - زعموا - عليه ببعض كتابة ساذجة وفروسية . وبلغت جبايتهما لأول أيامهما إلى مائة وعشرين ألف دينار في الشهر : سبعون ببلنسية وخمسون بشاطبة ، فيستخرجانها بأشدّ العنف من

١ م : اثر ذلك محنة قرطبة .

٢ د ط س : بقصر .

٣ م : جماعات .

كلّ صنف ، حتى تساقطت الرعية وجلت^١ أولاً فأولاً ، وخربت أقاليمهم
 آخراً ، فأقبلت الدنيا يومئذٍ عليهما وعلى نظرائهما بكثرة الخراج ، وتبوءوا
 البجوحة بحيث لا يغاورون عدوّاً ، ولا تطرقهم نائبة تضمّمهم لها^٢ نفقة حادثة ،
 فانتعشوا وكثروا ، ولحق بهم ، لأوّل أمرهم ، من موالي المسلمين ومن
 أجناس الصقلب والافرنجة والبشكنس عشيرتهم ، ودربوا على الركوب ،
 حتى تلاحق^٣ بلنسية [ونواحيها] جماعة من هؤلاء الأصناف ، - فوارس^٤
 برزوا في البسالة والثّفاف ، وانفتح على المسلمين [ببلد الأندلس]^٥ باب
 شديد^٦ في إباقة العبيد ، إذ نزع إليهم كلّ شريد طريد ، وكل عاق مشاق^٧ ،
 وزهدوا في الأحرار وأبنائهم ممن طرأ منهم عليهم ، فلم يواسوهم ؛
 وانتمت جماعة هذه الأخلاط^٨ الممتحنة الأصاغر معهم إلى ولاء بني عامر ،
 وانفتت عن نسبها ابتغاء عرض الدنيا ، فكثروا وازدادوا ؛ وطلبت هذه العبدى
 المجاييب^٩ لما اتسعت لهم الدنيا فاخرّ الأسلحة والآلات ، والخيّل المقرّبات ،
 ونفائس الخي^{١٠} والحلل ، فصارت دولتهم لأول وقتها أسرى الدول ، ولحق
 بهم كلّ عريف ، ورئيس كلّ صناعة معروف ، فنفق سوق المتاع
 لديهم ، وجلبت كلّ ذخيرة إليهم .

وشرع هذان الرئيسان مظفر ومبارك ، لأول سلطانهما هنالك ، في
 بناء بلنسية وتحصينها وسدّ عورتها بسور أحاط بالمدينة^{١١} ، تحت أبواب

١ م : وجلوا .

٢ البيان : تضمّمهم إل .

٣ د ط س : لحق .

٤ د ط س : بباب الاندلس .

٥ م : الأصناف .

٦ د ط س والبيان : وكانا بشيا بلنسية وسدا عورتها بسور أحاط بمرفئها .

حصينة ، فارتفع الطمع عنها وأقبل الناس إليها من كل قطرٍ بالأموالِ ،
وطمحت بسكانها الآمالُ [٣ ب] واستوطنها جملةٌ من جاليةِ قرطبة
القلقة الاستقرار ، فألقوا بها عصا التسيار ، وأجمل عشرتهم ، فبنوا^١ بها
المنازلَ والقصور ، واتخذوا البساتينَ الزاهرة ، والرياضاتِ الناضرة ،
وأجروا خلالها المياهَ المتدفقة . وسلك مبارك ومظفر سبيلَ الملوك الجبارين
في إشادة البناء والقصور ، والتناهي في عليّاتِ الأمور ، إلى أبعد الغايات ،
ومنتهى النهايات ، بما أبقيا شأنهما حديثاً لمن بعدهما . واشتمل هذا الرأي
أيضاً على جميع أصحابهما ، ومن تعلّقَ بهما من وزرائهما وكتائبهما ،
فاحتدوا فعلهما في تفخيم البناء ، فهاموا منه في ترّهاتٍ مُضِلّةٍ ، وتسكعوا^٢
في أشغال متصلة ، لاهين عما كان يومئذ فيه الأمة ، كأنهم من الله على
عهد لا يُخلفُهُ ، واتسع الخلدسُ في عظم^٣ ذلك الإنفاق ، فمنهم من
قُدّرت نفقته على منزله مائة ألف دينار وأقلّ منها وفوقها ، حسب تناهيهم
في سروها : من نضار الخشب ورفيع^٤ العمد ونفيس المرمر ، مجلوباً من
مطائنه ، وجلب اليهم سني الفرش من سائر الحلي والحلل^٥ ، فنفق سوق المتاع
بعقوتهم^٦ ، وبُعْثِرَ عن ذخائر الأملاك لقصرهم ، وضربَ تجارتها أوجهَ
الركاب نحوهم ، حتى بلغوا من ذلك البغية وفوق ملء فؤاد الأمانة^٧ ، فما
شئت من طِرْفٍ رائع ، ومركب ثقيل ، وملبس رفيع جليل ، وخادم

١ س : فقبوموا .

٢ د ط س : واتسموا ؛ البيان : وتكسفوا .

٣ م والبيان : عظيم .

٤ م : واجتلب رفيع .

٥ وجلب . . . والحلل : سقط من ط د س .

٦ د س ط : بعقرهم .

٧ وفوق . . . الأمانة : سقط من ط د س .

نبيل ، وآلات متشاكلة ، وأمور متقابلة ، تروق الناظرين ، وتغيظ الحاسدين ،
حرّسها لهم المقدارُ إلى مدّة .

بلغني أنه دُخل دار رجلٍ من أصحابهما يُعرَفُ بمؤمل القشتالي^١ ووقع
البصرُ بها من سرّوها واكتمالِ النعمةِ فيها على ما لم يُشاهدْ مثلهُ قطُّ في
قصر الامارة بالحضرة العظمى قرطبة ، وأخبر المحدثُ أنه رأى في فرش
مجلسه مطارحَ من صُلب الفنك الرفيع مطرّزةً كما تدور بسقلاطوني
بغاذي ، وأنه كان يقابل ذلك المجلسَ شكلُ ناعورة^٢ مصوغةٍ من خالص
اللجين من أغرب^٣ صنعة ، يحركها ماءٌ جدولٍ يخترقُ الدارَ أبدعَ حركةً ،
إلى أشياء تطابق هذا السرّو : من جودّة الآلة والآنية والمائدة وجمالِ
الخدم ورقة الأسمعة^٤ وفخامة الهيئة ما لا شيء فوقها .

وكان لمبارك ومظفر جملة^٥ ذلك النعيم ، وفازا بقبض^٦ الخراج ،
ولم يعرضهما عارضٌ لإنفاقِ بتلك الآفاق ، فانغمسا في النعيم إلى قمم رءوسهما
[٤ أ] وأخلدا إلى الدعة وسارعا في قضاء اللذة ، حتّى أربيا على من
تقدم وتأخر ؛ حدثني من رأى ركوبَ هذين العبدین الزنميتين^٧ في بعض أيام
الجمع للمسجد الجامع ببلنسية بما أنسى مركبَ المظفر عبد الملك ابن [أبي]
عامر مولاها المتبنك^٨ - كان - للنعماء ، الوارث لحجابه الخلافة ، في فخرٍ

١ ط د س : بمول القشتيلي .

٢ م : ناعورة ؛ س : عوذة .

٣ م : بأغرب (وقبلها بياض) .

٤ الأسمعة : مجالس الغناء .

٥ د ط س والبيان : جنة .

٦ د ط س والبيان : بعنصر .

٧ س : الزنميتين ؛ وكلاهما صواب ، أي باللام والنون .

٨ المتبنك : المتكّن من النعمة .

لباسهما ووفورِ عددِ أصحابهما وحُسنِ خدمتهم لهما ، وأن كلاً منهما كان يظاهرُ الوشيَّ على الخز ، ويستشعرُ الديقيَّ ، ويتقلَّسُ^١ الوشي ، ويعتطفُ القسيَّ .

قال ابن حيان ، قال لي المحدث : وكنت أعرفهما عبْدَي غِيَّةٍ^٢ لمولاهما مفرّجِ العامريِّ ، فكانا حظيَّ من الاعتبار بالدنيا ، إذ كانا على استخدامهما لما من الجهل والآفن واللكنة من حجج الله تعالى في القِسَمِ البالغة الدالة على هوانها عنده ، إذ أنالهما منها بجوحةٍ أضحت أبصار^٣ [أولي] النُهي نحوها شاخصةً ، وقلوبهم مسلمةٌ لمن له الحولُ والقوة ، وهما عن الاعتبار عنها بمنجاةٍ من مندوحة الجهالة ، يحسبان أنهما نالا ذلك بالاستحقاق ، وإن لهما على الأيام دركاً ، يثخان على ذلك سوق الرعية المضطهدة^٤ بسلطانها ، ولا يعبان بما آدها من كُلفهما ، ولا يرفقان لمجهودٍ ما بلغ من عنفهما ، يقلدانهم شرار العمّالِ ، ويستزيدان عليهم في الوظائفِ الثقّالِ ، مع الأيام والليال ، حتى لغدا كثيرٌ منهم يلبسون الجلودَ والحصر ، ويأكلون البقلَ والحشيش ، وربما أبرَّه ذلك على القوم بعد القوم منهم فلا يقاومونه إلاّ بالجلء عن مثواهم ، والتخلي عن قراهم ، فلا يأسفُ هذان العلجانِ ومَن تلاهما ، ولا يخافان من مواجهة مثله لمن أقام بعدهم ، بل يتخذان ما جلا أهله من تلك القرى ضياعاً مستخلصةً ، فاذا^٥ وقع عليها اسم كبير منهم

١ يتقلّس : يتخذ قلنسوة ؛ م : ويتقلّس (وكلتاها صواب) .

٢ م والبيان : مهنة .

٣ م : أنفس .

٤ م : المضطرة .

٥ م : أثر .

٦ هنا تبدأ النسخة (ب) .

راجعها أهلها راضين منه بالاعتماد له بالسهمان^١ ، راجين في دفاعه من الحداث ، على هذه السبيل سلك^٢ أكثر الثوار المنتزين على أكنافها ، الثائرين بأطرافها ، بعد افتراق سلطان الجماعة بقرطبة آخر دولة بني عامر .

وكان موت مبارك هذا هنالك أنه ركب يوماً من قصر بلنسية يبغي الخروج للنزهة خارج البلد على فرس^٣ ورَد مطهَّم قلق الركاب ، وأهل بلنسية قد ضجروا لمال^٤ افترضه عليهم ، فقال لهم يومئذ هذا العليج مبارك : اللهم ان كنت لا أريد إنفاقه فيما يعم المسلمون نفعه فلا تؤخر عقوبتي يومي هذا ؛ وركب إثر ذلك [٤ ب] فلما أتى القنطرة ، وكانت يومئذ من خشب^٥ ، خرجت رجل فرسه من حدها فرمى به أسفلها ، واعترضته خشبة^٦ نابية من القنطرة شدَّخت وجهه ، وسقط فيه ويديه ، وسقط الفرس عليه ، وكسر أعضائه وفتق^٧ بطنه ، ففاضت نفسه لوقته ، وأمين أهل البلد من مقتله ، وكفاهم الله أمره ، فثاروا يومهم ذلك وانتهبوا قصره . ثم اتفقوا على تأمير لبيب الصقلي ، فأحدث أيضاً فيهم أحداثاً مقتوه بها ، فلاذ بالطاغية ريمنده أمير الفرنجة ببرشلونة يومئذ ، واستبلغ في الطافه حتى صيّر نفسه كبعض عماله ، فغاض المسلمين وعرضهم للملك النصرانية ، فوثب أهل طرطوشة على لبيب وقضوا عليه^٨ ، واستصرخوا ابن هود

١ ط د س والبيان : بالسهم .

٢ ط د س : سلف .

٣ ط د س والبيان : يستغيثون في أن يرفقهم (يرفق لهم) .

٤ هذا العليج مبارك : سقط من ط د س .

٥ ب : حطب .

٦ ط س : ثانية ؛ البيان : فائدة .

٧ م ب : ورتق .

٨ م : على هذا الظالم ، وفي الحاشية : عليه .

فلحق بهم ؛ وأظلم الأفق بينه^١ وبين مجاهد لما فاتته من أمر طرطوشة ، وجرت بينهما حروبٌ خاف الناسُ وبال عاقبتها على ثغور مشغورة^٢ خلالَ كلمةٍ مختلفة ، وقوىً متكئة ، ثم آلتُ حالُ تلك الناحية إلى تأثير عبد العزيز ابن أبي عامر ، حسبما نذكره في موضعه ان شاء الله .

انتهى ما لحصته من كلام ابن حيان ، في أخبار أولئك الفتیان^٣ .
قال أبو الحسن^٤ : على ان أكثر من لَفَظَتَهُ يومئذٍ تلك الفتنةُ القرطبية ، من الطبقة الأدبية ، فأفلتَ من شركها ، ونجا من دركها ، قومٌ لم تكن لهم بيوتٌ مشهورة ، ولا حظوظ من الأدب موفورة ، ولكنهم وجدوا ملوكاً أغماراً ، لا يعرفون إلا سُرَى الليل ، ومتونَ الخيل ، أسودَ شعاب ، وأسودَ لصاب^٥ ، قد ضروا على الدماء ، وترأسوا^٦ على الدهماء ، خالعين لسليمان ، المتقدم ذكره^٧ صدرَ هذا الديوان ، معارضةً للطاعة ، واستعراضاً للجماعة ، متمسكين^٨ من طاعة هشام الخليفة ، كان قبله حسبما وصفنا ، بجبلٍ قد انتكث طرفاه ، بغاء لتتميم أمالهم ، وحطباً في جبالهم :
لأمرٍ عليهم أن تتمَّ صدوره^٩ وليس عليهم أن تتمَّ عواقبه^{١٠}

واحتاجوا في جباية أموالهم ، وتبدير رجالهم ، إلى ذلك القلّ من

١ ب م : بينهم .

٢ ب : ثغور شقوره ؛ د ط س : ثغوره .

٣ ط د س : انتهى كلام ابن حيان .

٤ ط د س : قال ابن بسام ؛ وكذلك هي الحال حيثما ورد .

٥ اللصاب : الشقوق ؛ والأساود : الحيات .

٦ ط د س : وتراموا .

٧ س : متمسكين .

٨ البيت لأبي تمام ، ديوانه ١ : ٢٢٩ .

الكتاب القرطبيين الذين أصبحوا يومئذ أيدي سبا وتفاريق العصا ، فشاركوهم في نعمتهم ، وألقوا إليهم بأزمته ، متمهدين بتدبيرهم لأكتافهم ، مؤتمنين بهم في شقاقهم وخلافهم .

وقد كان الملك^١ سليمان أسيف على جماعة هؤلاء الفتيان لشرودهم^٢ عنه ، وانتبأذهم^٣ منه ، وراسلهم بجملة رسائل [٥ أ] من إنشاء ابن بُردٍ وغيره من كتاب دولته^٤ ، رجاء في كرامة الدولة بهم ، مقتنعاً منهم بالطاعة ، حسبما فعله مجاوروهم من أهل الثغور ، ليكون من وراء التدبير ، ويأمن من الهزيمة ، في إنفاذ الصريمة ، فصموا عن رُقاه وطرّدوا^٥ رسله ، وخرسوا عن إجابته على كتبه ، وتجردوا لحربه — حسبما قد وصفته^٦ في أخبار سليمان وكاتبه ابن بردٍ أول هذا الديوان — .

ومنهم مجاهد المنتزي يومئذ على دانية والحزائر الشرقية نذكر أيضاً طرفاً من خبره النادر ، لأنه من غلمان ابن^٧ أبي عامر ، وإن كان لم يذكره القسطلي أبو عمر ، فأخباره تتعلق بأخبار من ذكر ، لأنه على قوالهم صَبَّ ، ومن ثناياهم انصبَّ ، وفي سبيلهم من الخلاف أَوْضَعَ وَخَبَّ . على أن إليه كانت هجرة أولي البقية^٨ ، وذوي الحرية ، من هذه الطبقة الأدبية القرطبية ، للين جنتابه ، وذكاء شهابه .

١ د ط س : الخليفة .

٢ ط د س : لشذوذهم .

٣ س : من كتابه .

٤ ط د س : كثرة .

٥ ب م : وطرّحوا .

٦ د ط س : وصفت .

٧ م : بني .

٨ م : البقية .

نسخت من كتاب أبي مروان^١ ابن حيان ، قال : كان مجاهد^٢ فقي أئبراء
دهره ، وأديب ملوك عصره ، لمشاركته في علم اللسان ، ونفوذِه في علم
القرآن ، غني بذلك من صباه وابتداء حاله ، إلى حين اكتهاله ، ولم
يشغله عن التزيد عظيم ما مارسه من الحروب برأ وبحراً ، حتى صار
في المعرفة نسيج وحده ، وجمع من دفاتر العلوم خزائن جمّة ، وكانت
دولته أكثر الدول خاصّة ، وأسراها^٣ صحابة ، لانتحاله العلم والفهم^٤ ،
فأمّة جملة العلماء ، وأنسوا بمكانه ، وخيّموا في ظل سلطانه ، واجتمع
عنده من طبقات علماء قرطبة وغيرها جملة وافرة ، وحلبة ظاهرة .
على أنه كان — فيما بلغني — مع أدبه من أزهد الناس في الشعر وأحرهم
لأهله ، وأنكرهم على منشه ، لا يزال يتعقبه عليه كلمة كلمة ، كاشفاً
لما زاغ فيه من لفظة وسرقة^٥ ، فلا تسلّم على نقده قافية ، ثم لا يفوز المتخلص
من مضماره ، على الجهد لديه ، بطائل ، ولا يحظى منه بنائل ، فأقصر
الشعراء لذلك عن مدحه ، وخلا الشعر من ذكره ، وكان مع ذلك بهمة^٦ ،
وأكثر الناس علماً بالثقافة^٧ ، فلا يضم من الفرسان إلا الأبطال الشجعان ،
ولم يكن في الجود والكرم ينهمك فيعزى إليه ، ولا قصر عنه فيوصف
بضدّه ، أعطى وحرم^٨ ، وجاد وبخل ، فكأنه نجا من عهدة الذم . ثم
أكثر التخليط مجاهد في أمره ، فطوراً كان ناسكاً مخبئاً معتكفاً متبرئاً

١ أبي مروان : سقطت من ط د س ؛ وانظر هذا النص في البيان المغرب ٣ : ١٥٦ .

٢ ب م : وأسرى .

٣ ط د س : الفهم والعلم .

٤ س : راع فيه من لفظه وشرفه .

٥ ط س : يحلو ؛ والصواب : يحل (بطائل) .

٦ ب : بالتفانة .

٧ د ط : ومنع .

من الباطل كله ، يعكفُ على دفاتر يقرؤها ، وتارة يعودُ خليعاً فاتكاً لا يسائرُ بلهو ولا لذة ، ولا يستفيقُ من شربٍ وبطالة ، ولا يأنسُ بشيء من الجدل والحقيقة ، له ولغيره من سائر ملوك الطوائف في هذا الباب [ه ب] أخهار مأثورة مشهورة ؛ انتهى كلام ابن حيان^١ .

قال ابن بسام : وقد أثبت^٢ أيضاً في هذا القسم من الشعراء والكتاب ، ورؤساء^٣ أهل الآداب ، ممن كان في ذلك الأوان إلى وقتنا هذا ، من عُرِفَ مكانه ، واشتهر إحسانه ، وقدِّمْتُ من تقدِّم في حلبة البيان ، دون من سبَقَ في الزمان ، على ما شرطت في صدر هذا الديوان ، والله العاصمُ من الزلل ، والموفقُ لأحسن القول والعمل ، بعزته .

فصل في ذكر ذي الوزارتين الأجل الكاتب الماهر [صاحب المظالم]
أبي عبد الرحمن بن طاهر^٤ ، وسياقة قطعة من رسائله ، وإيراد بعض شأنه ، والتنبية على مكانته من الفضل ومكانه ، وشرح خلعه عن السلطان ، وعلى يدي من جرى ذلك^٥ وكان :

قال أبو الحسن : كان أبو عبد الرحمن بن طاهر أحدَ مَنْ جمع الحديثَ إلى القديم ، وارتقى من رياسة الأقلام إلى سياسة الأقاليم ، واتفق لبني

١ ط س : انتهى كلامه . ٢ س : أنا .

٣ ب م : ورساء .

٤ هو محمد بن أحمد بن اسحاق بن طاهر ، راجع بغية الملتبس رقم : ٢٣ وقلائد العقيان : ٥٨ والمغرب ٢ : ٢٤٧ والذيل والتكملة ٥ : ٥٩٠ والحلة ٢ : ١١٦ والخريدة ٢ : ٣١٣ والمهجب : ١٨٠ وأعمال الاعلام : ٢٠٢ ؛ وكانت وفاته سنة ٥٠٧ أو ٥٠٨ ببليسية ، وقد نيف على التسعين ، وكان أبوه أبو بكر من أعلام تدمير ، بلغت وفاته قرطبة سنة ٤٥٥ ؛ وآل طاهر كانوا ذوي بيت عامر وعدد وافر يفخرون بالعروبية وينتمون في قيس هيلان .
٥ ذلك : سقطت من د ط .

طاهر بالفتنة المطغية ، رياسة كورة مرسية ، - في خبر أضربت عنه لطوله
ولأني قد أوردته في كتابي المترجم : « سلك الجواهر من ترسيل ابن طاهر » -
فكان أبو عبد الرحمن يكتب عن نفسه بهذا الأفق ، كالصاحب ابن عباد
بالمشرق ، وله رسائل تشهد بفضله ، وتدلُّ على نبله ، لاسيما إذا هزل
فانه يتقدم على الجماعة ، ويستولي على ميدان الصناعة . ولما خطب أبو بكر
ابن عمار سَمَرَاتِ ملوك الأندلس بعصاه ، وتردَّدَ ينتجعهم بمكايده
ورقاه ، وانما كان يطلب سلطاناً ينثر في يديه^٢ سِلْكُهُ ، وملكاً يخلعُ على
عِطْفِهِ ملكه ، جعل أبا عبد الرحمن بن طاهر موقع همه^٢ ووجهَ أُمِّهِ ؛
ولما ألقى المعتمدُ إلى ابن عمار بيده ، وقلَّده - على ما شرحناه في أخباره -
تدبير دولته وبلده ، بعثه على حرب ابن طاهر بغاءً لنفسه ، وبناءً على
أُسِّهِ ، فأقبله وجوه الجياد ، وأخذ عليه الثغور^٢ والأسداد ، حتى فتَّ
في عَصْدِهِ ، وانتزع سلطانهُ من يده . ولما قال عَزْمُهُ وفَعَلْ ، وقام
وَزَنُ أمره واعتدل ، مدَّ يده وبسطها ، وكفر نعمة ابن عبادٍ وغمطها ،
وانتزى له من حينه على مُرْسِيَةِ وقعد بها مقعد الرؤساء ، وخاطب سلطانه
مخاطبة الأكفاء ، مستظهراً على ذلك بجر الأذيال ، وإفسادِ قلوب الرجال ،
معتقداً أنَّ الرياسة كاسٌ يشربها ، وملاءة مجون^٢ يسحبها ، فقيضَ له
يومئذ من عبد الرحمن بن رشيقي ، عدوٌّ في ثياب صديق : من رجلٍ مِدْرَه
خَتَرٍ ، وجذَّيل خديعةٍ ومكر ، فلم يزل يطلع عليه من الثنايا والشعاب ،
حتى أخرجه [ه ب] من مرسية كالشهاب ، وأبو عبد الرحمن بن طاهر

١ ب : يده .

٢ ب م : موقع همته .

٣ ب م : بالثغور .

٤ مجون : سقطت من د ط س .

في أثناء تلك الحال ، مترددٌ بين النكبة والاعتقال ، فبعد لأيٍ ما سعى له الوزير أبو بكر بن عبد العزيز ، زعيمٌ بلنسية - كان - في ذلك الأوان^١ ، فخلص^٢ بعدُ أبو عبد الرحمن ، خلوصَ الثريا من يد الدبران ، والتقى هو وابن عمار بلنسية بعد ذلك ، وقد استوى الغالب والمغلوب ، وضعفَ الطالبُ والمطلوب ، وكان ابن عمار أخفشَ ، فقال له ابن طاهر ، وكان كثير النواذر^٣ : كذا يا أبا العيّنَا ، لا أنت ولا أنا . فصار ابنُ عمار مع ابن رشيق تحت المثل : « أنفقتُ مالي وحجَّ الجمل »^٤ .

ولابن طاهر عدةٌ نواذرٍ أحرَّ من الجمر ، وأدْمَغُ من الصخر : أرسل إليه ابنُ عمار وقتَ القبض عليه ، وهو معتقل بين يديه ، يعرض له خلعةٌ يتسربلها ، ويشيرُ إليه بكرامة : هل يقبلها ؟ فقال لرسوله : لا أختارُ من خِلْعِهِ - أعزّه الله - إلا فروةً طويلةً ، وغفارةً صقيلةً^٥ . فعرفها ابن عمار واعترف بها على رءوس أشهاده ، وبحضرةٍ من وجوه قواده^٦ وأجناده ، وقال : نعم إنما يعرّضُ بزيّتي يومَ قصدته ، وهيّتي حين أنشدته ، فسبحان مَنْ يعطي ويمنع ، ويرفعُ من يشاء ويضع .

وحدثني غير واحد من أهل مرسية قال : لما قام البلدُ على ابن طاهر خرج هو وابن أخيه مخفّيينِ لأنبائهما^٧ ، هاربين بذمّائهما ، وكلُّ شيءٍ لهما رصد ، وفي كلّ فجٍّ عليهما عينٌ ويد ، فلقيا رجلاً من أهل مرسية

١ ط د س : زعيم بلنسية بعد ذلك وقد استوى في ذلك الأوان

٢ ب : فتخلص .

٣ انظر الحلة ٢ : ١١٩ .

٤ من أمثال المولدين ، انظر الميداني ٢ : ٢١١ .

٥ ط س : ضيّلة .

٦ ط د س : كتابه .

٧ م ب : مخفّفين لأنبائهما .

يدعى القبيلة^١ ، كان عندهم مشهور المنزع ، مضروباً به المثل في برّده المقطع ، وقد حمل قناةً فاعتقلها ، ولبس فروةً فحوّلها^٢ ، وفي رأسه قلّمونٌ طويل ، أبردُ من طلعةِ العذول ، فقال ابن طاهر لابن أخيه : يا بنيّ أين المهرب ؟ قد قامت علينا كلُّ قبيلةٍ حتى العرب ، ما أرى هذا^٣ إلا عمرو بن معد يكرب أو يزيد بن الصقعب .

وحكوا أن ابن أخت لابن رشيق ذا لحية طويلة ، وطلعة ثقيلة ، وقف عليه يوماً وهو معتقلٌ عندهم ، فجعل يتوجّع له ويتفجّع ، ويتملّق معه^٤ ويتصنّع ، فقال له ابن طاهر : خلاصي بيدك إن شئت ، لو أخرجتني في لحيتك لتخلصتُ وخفّيتُ . إلى نوادر كثيرة ، وأوابد عنه مأثورة ، إيرادها خارجٌ عن غرض هذا التصنيف ، وليست من شرط هذا التأليف . ولابن طاهر أيضاً في الجود نوادر تشهد أن كرمه لم يكن تكرّماً ، وأن مجده لم يكن تكسباً^٥ ولا تقحماً : مرّ به ولدُ ابن عمار بعد مقتل أبيه ، في فتنه القليلة ، وساقته المنكوبة المفلولة ، وقد لفظتهم البلادُ ، وأنكرهم الطريفُ والتلاد ، وتغير لهم الأشكالُ والأضداد ، ورحمهم الأعداءُ والحساد ، فأقبل عليهم ابنُ طاهر ببقيةِ حالٍ هم جنّواً عليه إدبارها ، وحكّمهم في فضلِ ثيابٍ هم^٦ [٦ أ] سلبوهُ خيارها ، وخلي بينهم وبين ماءٍ طالما حلاّوه عن برّده ، ودفعوا في صدره دون ورّده ، تعالى من لا يتدلّ سلطانه ، ولا يُجحدُ إحسانه .

١ ب : القبيلة ؛ ط د س : النفيلة .

٢ ب م : فرق لها .

٣ ط د س : ما هو إلا .

٤ ط د س : يتوقع . ه ط د س : له .

٥ ب م : نسباً . ٧ س : قد .

ما أخرجته من نوادر رسائل ابن طاهر في أوصاف شتى

فصول من رسائله السلطانيات التي أجزاها مجرى الاخوانيات

كتب اليه أبو بكر ابن عمار المذكور^١ ، في أثناء ما وقع بينهما ،
رُقعةً عتابٍ وختمها بهذه الأبيات :

عندي حديثٌ إن سمعتَ قليلاً ولديّ نُصْحٌ إن أردتَ قبُولاً
يا راكباً ظهرَ التجنّي راکضاً في حلبتيه أما اعتقدتَ نزولاً
لله دركٌ لو طلبتَ حقيقتي لوجدتني بدلَ العدوّ خليلاً
خذْ من عنانِ هوالِكَ يوماً للنهي وانهجْ لرأيتكَ في اللجّاجِ^٢ سبيلاً
وَأَفِقْ من الأتفِ الذي تعتدّه عزّاً فقد يدعُ العزيرَ ذليلاً

ومن بعضِ مخاطباتِ ابن طاهرٍ له ، رُقعةٌ حَدَّثْتُ أَنه كتبها إليه من
موضعٍ معتقله^٣ : بقطعةٍ فحمٍ على ظهرِ آجرَةٍ ، فيما زعم : قد كنتُ
— أعزّكَ الله — أتيقنُ من حُسْنِ طويّتِكَ ، وكَرَمِ سجيّتِكَ ، أنك لي
أسرعُ^٤ في الملمة من اليمين إلى الشمال ، فارتقتُ ورودك ارتقابَ الصائمِ
لللهلال ، فلما وافيتَ حَدَّثْتُ بملاقاتك ، واطلعتُ إلى مراعاتك^٥ ، فأبطأ

١ المذكور : سقطت من ط د س .

٢ ط د س : النجّاج .

٣ ط د س : اعتقاله .

٤ ط د س : أسرع لي .

٥ ب م : ملاقاتك .

ذلك من منائِكَ ، ولزمني ^١ أن استعلم السبب الموجبَ له من تلقائِكَ ،
وبالله أقسمُ لو مكنتُ من رقعةٍ ومدادٍ حاضر ، لحاطبتك بالمحجرِ وسوادِ
الناظر ، لكن مُنِعتُ من كلِّ سَبَبٍ لغير ^٢ سبب ، وألحتُ عليَّ النوائِبُ
بطلبٍ على طلب . وأما الحضرةُ المكرَّمةُ فكانتُ أعمرُ اليها مسافةَ الطريق ،
وأجد للقول فيها بليل ^٣ الريق ، وستسمعُ بالمشافهة كيف كان المنعُ لا التمتعُ ،
فلستُ أجهلُ ما آتِي وما أدعُ . وأما أمورُ الفتنة فمهدورة ، وعند العاقل
مغفورة ، وهي كبساطِ النبيذ ، يُطَوَّى على ما فيه ^٤ من المزِّ واللذيد ،
ولولا صدعٌ بالفؤاد ، وقلبٌ مليٌّ من الخطوبِ الحداد ، لبذتُ اليك ما
في النفس نبذَ النواة ، فأنت موضعُ السرِّ والمناجاة ، لا زلتَ من الحوادثِ
بمعزل ، ومن المكارم بمنزَل .

قال ابن بسام : وقد حَدَّثْتُ أَنَّهُ بعد خروج ابن طاهر من البلد ،
رأى أن يلقي بيده إلى المعتمد ، إذ بدا له من ظاهر ^٥ ابنِ عمار ما سَكَنَ
بعضَ استيحاشه [٧ أ] فأنس ، فأصبحه كتباً أدرج له بينها صحيفة
الملتَمَس ، ووقف ابن طاهر على مستودعها ، بفكٍّ طابعها ^٦ ، فكتب إلى
ابن عمارٍ رقعةً قال فيها : بالخبر تنجلي الشكوكُ ، ومع الفَرَى تُمازُ
المُسُوك ، وربُّ مُعَمِّلٍ سلامة ، ومُرْسَلٍ استنامة ، قد يُكشَفُ [له]

١ ب م : فلزم .

٢ ب م : بغير .

٣ ب م : بليل .

٤ ط د س : يطوى بما عليه .

٥ ظاهر : سقطت من ط د س .

٦ د ط س : طوابعها .

المستور من خيلٍ عن صيلٍ ، بل عن لحم مُصِلٍ^١ ، وهو الإناء ينضحُ
بما فيه ، ومرسومُ الوعظ ليس بمجديه ، ولما بتُ على^٢ مرحلةٍ من جنابك
العاطر ، مستسقياً من سحابك الماطر ، لما أصحبتني من تلك الرقاع ، التي
خلتها يد الاستدفاع^٣ ، مثلاً بين عيني في النوم [شخصٌ] مائل ، يتغنى
بقول القائل :

لئن بُعِثْتُ إلى الحجاج يقتلني إنني لأحمقُ من تَخْذِي به العيرُ
مستصحباً صُحُفاً تدمي طوابعها وفي الصحائفِ حَيَّاتٌ مناكيرُ
فوثبتُ كالمذعور ، وأُتيتُ إلى تلك الطوامير ، ففضضتُ ختامها ،
واستعربتُ إعجامها ، فصرَّحتُ لي بأقوالٍ بلْ أقتالٍ ؛ فأبن لي - عافاك
الله - بأي شيء استحللت دمي ، وبعثتني لإراقته^٤ على قدمي ، لا تبَلْ^٥ :
إن الأيادي قروضٌ كما تدينُ تَدانُ
من استلذَّ زماناً أَرَداهُ ذاك الزمانُ
وطالبُ الثارِ لا ينام ، والله وليُّ الانتقام .

ومن رقعةٍ عتابٍ له^٦ يقولُ فيها : [أستوهبُ اللهَ عقلاً يعقلُ عن
تكلفٍ ما لا أعلمه ، والتسور على ما لا أحسنُهُ ولا أفهمه ، وأستعينه على

١ صل اللحم وأصل : أنتن .

٢ ب م : عن .

٣ د ط س : الاستشفاع .

٤ د ط س : هي .

٥ د ط س : لارقة دمي .

٦ د ط : لا تبالي ؛ س : لا تبال .

٧ د ط : وله من رقعة عتاب .

عملٍ يرضيه مني ، ويرضى به غني ، وأسأله لك السند الذي يعزى الجود إلى بنائه ، ومنطقُ الفضل إلى لسانه ، محزناً أهلَ المعاهد ، وحرزاً ثابتَ القواعد ، و [قد تصرفت في سهوب الاسهاب ، وتعلقت بأطناب الإطناب ، وسلكت من البلاغة مسالك لا تجد حَيَاتُ الأذهان فيها مديناً ، ولا أرواحُ الأفكار في جوها مهيباً ، فان قرعتُ بابها معك ، وقد باشرت بدعك ، زادني انغلاقاً ، وكنت ككودنٍ مع عتيقٍ لا يرجو له لحاقاً ، فالأحجى بذئ الحجى سلوكُ سبيل الاختصار والإيجاز ، إذ لا بدَّ من الوقوع تحت الاختصار والاعجاز ، والله يبقيك لإحياء رسم الأدب ، وإقامة أودٍ لسانِ العرب .

وفي فصل منها : وأكرمُ بخطابك الأثير ، المضمن من الدرّ النثير ، ما لم يستخرج مثله غائصٌ من بحر ، ولا تقلدت الغواني شكله على نحر ، فله أدبك ما أبرعه ، [وحسنُ لفظك ما أبدعه] ، أوضحت به مناهج العلماء ، وصدقت نتائج الحكماء ، ولم أزل ألمحه ، وأجبل طرفي فيه وأنصفحه ، متعجباً من غرائب كلمك ، وبدائع حكّمك ، إلى أن انكشفت لي أغراضه المبتدعة ، وجملته المختصرة ، عن ظنّ حكمته في اليقين ، وشك غلبته على الصبح المين^٢ : أنا أنزه ميزك الثاقب ، ونظرك الصائب ، ورأيك الواضح الدلائل ، وما أوتيت من علم جوامع [٧ ب] الفضائل ، عن انتسابٍ مثل ذلك إليك ، واشتباه ما فيه عليك ، وكنتُ عهدتك تقضي بالخير على طباع الناس ، ولا يوضعُ على بصيرتك فيه غطاءُ التباس ، حتى فجأني^٣ منه ما لو أخبرتُ به عنك لأنكرته ، ولا أدري له سبباً ، ولا أعرف

١ ط د س : على .

٢ س : الحق المستبين .

٣ د ط : فاجأ ؛ س : فجأ .

له موجباً ، إلاّ الاصغاء إلى من يضربُ ويسعى بالفساد ، ويدبُّ بعقارب
الأحقاد ، وَيَشْغَبُ لكي يذكي نارَ الحرَد ، وَيُطِيرُ شرارَ الضَمَد^١ ،
وأنت أجل من أن تلتفتَ إلى غاشٍ ، أو تعرّجَ على ساعٍ بالنميمة واشٍ .
ومنها : وأما ذمُّ الزمان وبنيه ، فقد أكثرَ الناسُ فيه ، وكنتُ أجلبُ
شيئاً [منه] للحاجةِ إليه والتورُّكِ^٢ عليه ، غيرَ أني اقتصرتُ مخافةَ التطويل ،
وتجنبْتُ آفةَ الثقل ، فقد قالوا : الاطالةُ تفضي إلى الملالة . وأما من صرَّحتُ
في مُدْرِجَتِكَ باسمه ، وشكواه اليك ما جرى عليه بزعمه ، فهو سَعَرٌ
ناراً غدا حريقها ، وفجّرَ أنهاراً ظلَّ غريقها ، وأمره أحقرُ من أن أجبرَ^٣
فيه كلما ، وأعمل في ذكره قلما . ومن قولك - أعزك الله - ان العهد بك
بعيد ، والشوقَ اليك شديد ، وتعريضكَ بقربِ النزولِ عليّ ، والخروجِ
عما تريدهُ من الشكوى إليّ^٤ ، خَرَجَ لي أن الذي اتفق لي في زيارتك
من الإغباب ، سَطَّرَ أسطرَ هذا العتاب ، فمهلاً مهلاً ، وحلاً حلاً ، وربَّ
سامع بأمرٍ لم يسمع عذري ، والله ما اعتمدتُ^٥ ذلك جهلاً بحقِّكَ ،
ولا قصدته إهمالاً لواجبِ تقدُّمِكَ^٦ وسَبَقِكَ ، بل دفَعْتُ إليه ضروراتُ
مكابدةِ أحوالِ هذا الزمان ، القاطعة عما يريده الإنسان ، ولئن نافس الدهرُ
في الورود عليك ، والوصولِ اليك [وأحوج إلى تركِ النهوض اليك]
فليس ذلك مما يخلُ بالودِّ ، ولا يخلُ وثيقَ العهد ، بل أنت كالشمسِ

١ الضمد : الحقد .

٢ م : والتورد .

٣ م : أجري .

٤ د ط س : لدي .

٥ س : هذا والله ما اعتمدته .

٦ د ط س : تقديمك .

إن عدمننا مدارها^١ ، فما حُرِمنا أنوارها ، وقد علمنا أن مكانها عليّ ،
وَحُسْنُهَا جوهريّ ، وكان من الحكم أن أراجعَ على النظم ، لكنّ لا
آتي معك إحساناً ، ولو كنتُ حَسَنًا ، فابسط العذرَ ، وسهّلِ الأمرَ ،
[والله يهنيك صحةً تَكْفُلُكَ ، وسلامةً تَشْمَلُكَ ، برحمته ، والسلامُ
على من أراني عتابه^٢ ، ليعلمَ كيف ودّي عند ردّي جوابه^٣ ، ورحمة
الله] .

وله رسائل مطبوعة ، ومنازع إلى الأدب بديعة^٤ .

وكتب أبو عبد الرحمن إلى ابن عبد العزيز من طريقه يومئذ رقعة^٥ يقول
في فصل منها^٦ : كتابي وقد طَفَلَ العشي^٧ ، وسال^٨ بنا إليك المطي^٩ ،
ولها من ذكرك حاد^{١٠} ، ومن لقياك هاد^{١١} ، وسنوافيك المساء^{١٢} ، فنغتفر^{١٣} للزمان
ما قد أساء^{١٤} [٨ أ] ونرد^{١٥} ساحة الأمن^{١٦} ، ونشكر^{١٧} عظيم ذلك المن^{١٨} ،
فهذه النفس^{١٩} أنت مَقِيلها^{٢٠} ، وفي بَرْدِ ظلك يكون مَقِيلها^{٢١} ، فله مجدك^{٢٢}
وما تأتيه^{٢٣} ، لا زلتَ للوفاء تحييه وتحويه :

١ ب : من نارها .

٢ هذه العبارة سقطت من د ط س ، ويبدو أنها مقحمة .

٣ وردت في قلائد العقيان : ٦٠ ، وذلك بعد أن تخلص من معتقله بمنت قوط بتأثير أبي بكر
ابن عبد العزيز ودفاعه عن ابن طاهر ، وقد صدرت هذه الرسالة عنه وهو بجزيرة شقر ؛
وانظر الذيل والتكملة ٥ : ٥٩١ والخريدة ٢ : ٣١٩ .

٤ د : وسار ؛ القلائد : ومال .

٥ ب : فنغتفر ؛ ط د س والقلائد والخريدة : فنغتفر .

٦ ط د س : النفوس .

٧ ب : درك .

٨ ط د : وما توليه .

• فدانك لك الدنيا ودامت بك العليا •

إن شاء الله تعالى ، بمنه .

وعند انجلاء تلك الظلماء [عنه] خاطب جماعةً من الرؤساء ، وذلك في جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين ، فمن ذلك رقعة خاطب بها صاحب المرية قال فيها : ولما تخلصت مني - أيدك الله - يدُ الزمان ونوائبه ، وتجلت عني غمراته وغياهبه ، ابتدرت مطالعتك ابتدارَ القرض ، وهصرت من مجاذبتك بالغصن الغض ، فاتقأ لكمامة الفضل ، وعامراً لشريعة الوصل ، وحمدتُ الله تعالى مقدّم في السر والجهر ، على ما درأ من الحوادث النكر :

وإذا جزى الله امرأً حسناً فجزى أنخاً لي ماجداً سمحا
ناديته في كربتتي فكأنما ناديت عن ليل به صباحا

ذلك الوزير [الأجل] أبو بكر مُثَبِّتُ رسمِ الوفاء ، وباني مجده على قمة الجوزاء ، نبّه لي كرم مسعاه ، دائباً ووالاه ، لم يكتحل سوى الأرق ، حتى استنفذني من لجة الفرق ، ووافي بي على المنى ، وأحلني من برّه المحل^١ الأسنى ، فأنام الله عنه عيون^٢ الأيام ، ولا أنساني له شكر ذلك المقام .

وله من أخرى^٣ خاطب بها ابن هود : إن الأيام - أيدك الله - تكلون ألوانها ، وللمساءة إحسانها ، ما تذر شعباً إلا تصدعه ، ولا وصلاً إلا

١ س : بالمحل .

٢ ب : عين .

٣ ط د س : ومن أخرى .

تقطعه ، إن أمرت عهداً نقضته ، أو بنتُ بنياناً قوضته ، على أنها قد تعودُ ،
ويكون لها الأثرُ الم محمود ، ورميتُ - أيدك الله - بسهامها ، وجرعتني
غُصَصَ حمامها^١ ، فكان لله سترٌ وقى ، وصنعٌ أبقي ، مكَّن النفسَ من
رجائه ، ووطَّنَ الصبرَ على قضائه^٢ ، طمعاً في الحظِّ من ثوابه ، وتبلَّجَ
الفرَجَ من أبوابه^٣ ، إلى أن تبدَّى فجرُه ، وتأتى أمره ، والحمد لله بحقه ،
منقذي من الخطب وربقه ، هو المبلوَّ بعواطفه ، المدعوَّ بعوارفه ، وفي كلِّ
حالٍ - أيدك الله - أخطرني ببالك ، ومددتَ عليَّ من ظلالك ، ووصلت
من سببي ، ونفستَ من كُرْبِي ، وأوجدتني من ذراك مفزعاً^٤ ، و[أوردتني]
من نعمك مشرعاً ، لا زال ببرِّك شاملاً ، ولا انفكَّ سعدك كاملاً ،
فانك محيي الهمة ومقيمها ، وموليَّ النعمة ومديمها ، وكم أحييتَ من
همم ، وأوليتَ من نعم ؛ فكافأ الله الوليَّ^٥ السنيَّ واحدي الوزير الأجلَّ
أبا بكر مكافأةً ماجدٍ جدِّ في سعيه ، وجردَّ [٨ ب] من رأيه ، لدرءِ
مهمتي وكشفه^٦ ، حتى انتضاني في كفته ، فخلطني بالعليةِ نفسه ، ومهد
لي في جنبه وأنسه ، أيده الله على شكره ، وفسح في عمره .

وله من أخرى كتب بها إلى الحاجب عماد الدولة^٨ : كتبتُ - أيدك

١ د ط س : وعلى قرب من مرامها .

٢ ب م : انقضائه .

٣ ب م : أثوابه .

٤ ومددت . . . مفزعا : سقط من ط د س .

٥ ب م : ومؤتي .

٦ ط د : الوفي ؛ س : السني الوافي .

٧ د ط س : وكشفه حقي .

٨ زاد في د ط س : ابن المقتدر بن هود ؛ وهو عبد الملك بن أحمد المستعين ، وليس ابن =

الله — عند وصولي بلنسية^١ ، متخلصاً من يد المحنة ، مُتلبساً لله فيها أعظم المنحة ، أن تدارك في غمراتها ، وجلّى المسودّ من هفواتها ، فله الحمد كثيراً ، والشكرُ نصيراً ؛ وإني بلوتُ من إجمالك في حالي شدّتي ونجاتي ما عَقَلَ اللسانَ ، وقبض البنانَ ، وأخجلَ الحوادثَ حتى كَفَّتْ من اعتدائها ، وألوتُ تعرُّ في استحيائها ، فإن أثبتُ فمقصّرٌ عنك الثناء ، وإن دعوتُ فإلى الله يُرفَعُ الدعاء . وتلقاني بطريقي كتابك الرفيعُ فتملكني برُّه ، وحياتي بشرُّه ، وَعَظُمَ عندي قدره ، فله ما تبديه من فضلٍ وما تسرّه ، والله درُّ الوزير الأجلُّ أبي بكر ، جوزي بوفائه ، وفسح الله له في ظلّه وبقائه ، فانه ما اكتحل في كربتي بنوم ، ولا تمتع بمسرّةٍ في يوم ، ولقد كانت قذى عينيه^٢ ، حتى حلّني من وثاقها بيديه .

ومن أخرى خاطب بها المظفر^٣ صاحب لاردة قال فيها : ان الله تعالى يصرفُ الأمورَ كيف يشاء ، له النعماءُ^٤ والبأساءُ ، فان عافى واصلَ المننَ ، وان امتحن أحسنَ ، لأنه يمنح الأجرَ الذي هو أسنى ، ويعودُ بعوائده الحسنى ، وما المرءُ إلا كالنصل ، يُشحذُ بالصَّقل ، تنفذُ عليه الأقدارُ ، ليقعَ

= المقتدر ، تولى بعد أبيه سنة ٥٠١ بسرقسطة ، ثم انتزعها منه المملوكون سنة ٥٠٣ (انظر اعمال الأعلام : ١٧٥ والمغرب ٢ : ٤٣٨) .

١ ط د س : من بلنسية .

٢ مأخوذ من قول الشاعر ؛ وهو ابراهيم الصولي :

سأشكر عمراً ان تراخت ميثقي أيادي لم تمنن وان هي جلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

٣ زاد في ط د س بعد كلمة المظفر « أخاه » ؛ والمظفر يوسف بن سليمان (حسام الدولة صاحب لاردة) هو اخو أحمد المقتدر وإيس بأخي عماد الدولة ولهذا اقتضى حذف الزيادة تخلصاً من الاضطراب .

٤ ط د س : النعمة .

الاختبارُ والاعتبارُ ، ويبدو له الزمانُ وأهله ، وحيثُ منبتُ الفضلِ وأصلُهُ ؛ وكان لك — أيدك الله — من التهممِ بجاني ، والارتماضِ لنوائي ، ما أطابَ ذكركَ ، وأبانَ قدركَ ^١ ، وأخبرَ أنَّ الحميلَ من سجايك ، وأنَّ محاسنَ الدهرِ بعضُ حُلاك . ولما تخلصْتُ من تلكَ الأشرارِ ، وأذنَ اللهَ منها — وله الحمد — بالانفكاكِ ، أسرعتُ إلى قضاءِ حقِّك وإنه لأعزُّ الحقوقِ ، وتوفيةِ الشكرِ لك بباهرِ مجدك السابقِ غيرِ المسبوقِ ، والثناءِ على أنعمِ الله تعالى قبلَ كلِّ شيءٍ وبعده التي جلَّتْ عن الإحصاءِ ، وجَلَّتْ من الغمَّاءِ . وقد أوليتَ ما أثبتَ لك في الرقابِ رِقاً ، وما تحبُّ به الركائبُ غرباً وشرقاً ، وإنَّ المستقلَّ بي والحادِ بـ بضبعي لمحيي ميتٍ ^٢ الوفاءِ ، ومحورِ جزلِ الثناءِ ، قسيمي في المهمِّ ، وظهيري [٩ أ] على الملمِّ ، الوزيرُ الأجلُّ أبو بكر ، فاني تبوأْتُ في ذراه محلاً وداراً ، ورأيتُ الخطوبَ تعتذرُ اعتذاراً .

وله من أخرى إلى ^٣ القادر بالله ابنِ ذي النون ^٤ : حُكِّمُ الزمانِ — أيدك الله — تعثرُ ^٥ الإنسانِ ، ولولا دفاعُ ^٦ الله لهوتَ قدمه ، واستوى عَدَمُهُ ، لا يبالي ^٧ حيثُ انتحتُ نوائبه ، ولا من ازورَّ جانبه ، يُلْفى الدهرَ عابساً ، ولثوبِ العذرِ لابسا . وكتابي من بلنسيةَ وقد وافيتها موافاةً

١ ب : ذكرك ؛ م : وأبان الله قدرك .

٢ س : نبت .

٣ د ط س : ومن أخرى خاطب بها .

٤ هو يحيى بن اسماعيل بن المأمون بن ذي النون ، تولى سنة ٦٧ هـ بعد جده المأمون .

٥ ط د : تعثر .

٦ ط : دفع .

٧ ب م : يقال .

الآمن بقراره ، خارجاً من ليلِ الحوادثِ واعتكابه^١ ، مستبشراً^٢ بنهاره ، مستشفياً^٣ من آثاره ، فالحمد لله بما أولاه ، حمداً يبلغُ رضاه . وما أنا - أيدك الله - في أمري ، وما يسره^٤ الله من انجلاء ضُرِّي ، بأجلٍ مني لتوقّف الأيامِ عن مكانك ، وقد أوضعتَ في بنيانك ، تظنُّ أنَّ ما تُتلفُهُ ، لا تُصْرِفُهُ ، وكم لله من لطف خفيٍّ ، وكرمٍ خفيٍّ ، وهو المسؤولُ بأحبَّ أسمائه ، أن يعيدَ عزَّكَ إلى بهائه^٥ . وإن من تلقى رايةً^٦ المجدِ ابتداراً ، وأخذني من أيدي الخطوب اقتساراً ، لعَلِمُ الوفاء الذي إليه يشار ، وشخصُ السيادة الذي به يستنار ، واحدي الوزيرِ الأجلُّ أبو بكر - أدام الله عزَّه وأحسنَ جزاءه ، ووصلَ اعتلاءه - .

وكتب^٦ أيضاً في ذلك إلى بعض إخوانه : علمي - أعزَّكَ الله - بصدقِ وفائِكَ ، ومحضِ صفائِكَ ، وأنتَ ضاربٌ في حالي بأوفى السهام ، أوجبَّ أن أسبقَ اليك بالمشاركة والإعلام ، وكتبتُ عند الخلاصِ من العقْلَةِ ، والتخلُّصِ من العُطْلَةِ ، بفضلِ الله الذي له المشيئةُ الغالبةُ واليدُ العاليةُ ، هو المردَّدُ حمْدُهُ بما أولى وسنِّي ، المرجوُّ لطفُهُ بعوائدِ الحسنَى . ورعى الله الوزيرَ الأجلَّ أبا بكر ، وقارضه وفيَّ الشكر ، فلقد بزَّ الأنامَ طرّاً ، ووافتِ فعالتهُ الكريمةُ غرّاً ، لم يقصِّرَ عن أمدِّ السعي ، مُدَّةَ

١ م : باعتكابه .

٢ م : مستبشراً .

٣ م : مستشفياً .

٤ كان ابن ذي النون قد واجه ثورة بطليطة ففر منها حوالي سنة ٤٧٢ هـ فاستعان بأذفونش ملك قشتالة فأعاده إلى ملكه على شروط قاسية ، ثم انتزع منه طليطة .

٥ م ب : وبدر .

٦ تنفرد ب م بهذه القطعة .

ذلك البغي ، حتى أخذني من أيدي الخطوبِ عَنَوَةً ، وأحلّني من جزائه وبرّه صَقَوَةً ، فله وفاءه ' وَسَرَوُهُ ' ، وغايته في العلاء وشأوه .

قال ابن بسام : وخاطبت جماعةً من رؤساء الجزيرة يومئذ الوزيرَ أبا بكر [بن] عبد العزيز [المذكور] شاكرين له على ما كان في ذلك من سعيه الحميد [المذكور] ، منها رقعةٌ للمؤمن بن هود يقول فيها : وقد تتابع عنك - أعزك الله - أحسنُ الحديثِ المذيعِ لخفايا سَرُوكِ وسرائره ، المعربِ عن سجايا سنائك ومآثره ، منذ انتدبتَ بشرفٍ منحاك [٩ ب] لما يسره اللهُ من حميد مسعاك ، فانتضيتَ من عزمك باتراً يفلُ نصالَ النوائب ، وأيقظتَ من حزمك ساهراً ينمُ عيونَ الحوادثِ ، وسهّلَ اللهَ الوعدَ بصدقِ بصيرتك ، وذللَّ الصعبَ بيُمنِ نقيبتك ، حتى شردتِ المحنةُ وعمتِ المنحة ، بتخلّصِ ذي الوزارتين الكاتبِ الأجلُّ صاحبِ المظالم أبي عبد الرحمن سندي^١ ، والخطيرِ من عددي - [أبقاء الله] - من تلك الغمرة ، وانتضائه بالاستقلال من العثرة ، واستقرتِ الحالُ - أيديك الله - بدءاً وعوداً ، عما قصّرَ عليك أو فَرَ الحمد ، ونشرَ عنك^٢ أنضَرَ العهد ، فجازاك^٣ الله أفضلَ ما جازى علماً من أعلامِ الوفاء ، ووفّاك^٤ اكرمَ ما وفّى متقدماً في أحوال الصفاء ، متوحداً^٥ بجميلِ المقامِ وجليلِ الغناء ، وخاطبتك معلماً بحقيقة اعتزازي^٦ بما يسر الله على يديك من هذه العائدة^٧ ، وسنّاهُ

١ م ب : سيدي .

٢ د ط س : عليك .

٣ ط د س : فجازاك .

٤ ط د س : أكل .

٥ ط د س : متودداً .

٧ م : العارفة .

٦ ب م : اعتذاري .

بلطفٍ توصلِكَ إلى هذه الفائدة^١ ، فلو خصصتَ بذلك مَنْ يشاركني بالنسبة وهو قسيمي في اللحمة^٢ ، لم يعدلْ عندي بما أوليتَ في جانبِ مَنْ أعزّه اللهُ باتمامِ النعمة ، فقد كان تألُّمي^٣ من إساءةِ الدهر في هضمه ، وتناولِ خطوبه النُّكرِ إلى ظُلْمِهِ ، بازاء ما يقتضيه الاعتدادُ بفضله ، والابتهاجُ بشرفِ محله ؛ إذ كانت النفسُ تُشْفِقُ من حادثةٍ تصيبُ نبيهاً من الإخوان ، فضلاً عن نائبةٍ تحلُّ بساحةٍ جليل من الأعيان ، والله تعالى يصرفُ الثُّوبَ عن فِئائِكَ ، ويكفّ المحاذرَ دون أَرْجائِكَ^٤ ، بمنه .

قال أبو الحسن : ونأخذ هنا بطرف من أخبار الوزير الأجل أبي بكر ابن عبد العزيز^٥ المذكور ، بهذا الموضع ، حسبما اقتضاه سرد الكلام ، وأدى إليه شرط النظام .

كان أبو بكر أحدَ مَنْ سبق وادعاً ، وتجاوز ذروة الشرف متواضعاً ، كتب أبوه عن الوزير الكاتب أبي عامر بن التاكرني^٦ أيام وزارته لعبد العزيز ابن أبي عامر ، وأبو عامر أطلع جدّه ، وأرهف حدّه ، وبلغ به الذرى ، حتى قيل : « كلُّ الصيدِ في جَوْفِ الفِرا »^٧ .

١ وخاطبتك . . . الفائدة : سقط من ط د س .

٢ ط د س : باللحمة .

٣ ط د س : نالني .

٤ د ط : نيهام .

٥ والله . . . أرجائك : سقط من ط د س .

٦ كان أحد رجال الكمال بالأندلس ، وعين بلسنية التي بها تبصر ، توفي ببلسنية سنة ٤٥٦ هـ ؛

انظر أعمال الاعلام : ٢٠٢ وقلائد المعقّات : ١٦٧ .

٧ ط د س : التاكروني .

٨ انظر فصل المقال : ١٠ والميداني ٢ : ٥٤ .

وقد ذكره أبو مروان ابن حيان فقال : وفي العشر الأواخر من [شهر] جمادى الآخرة سنة ست وخمسين نُعيَ إلينا وزيرُ بلنسية ، ابن عبد العزيز ، وكان - على خمول أصله في الجماعة - من أراجيح كبار الكتاب ، الطالعين في دمس هذه الفتنة المدهمة ، وذوي [١٠ أ] السداد من وزراء ملوكها^١ ، ذا حُنكةٍ ومعرفةٍ ، وارتياضٍ وتجربةٍ ، وهُدًى وقوام سيرة ، إلى ثراء وصيانة ؛ انتهى كلام ابن حيان .

قال أبو الحسن : ووزر أبو بكر بعد أبيه لعبد الملك بن عبد العزيز المتلقب - كان - من الألقاب السلطانية بالمظفر ، فقطع ووصل ، واضطلع بما حَمَلَ ، ودارت عليه الرياسة مداراً لم تدُرهُ رَحَى على قطب ، واشتملت عليه السياسة^٢ اشتمالاً لم تشمله جناجنُ على قلب^٣ : من رجلٍ ركب أعناقَ خطوبها ، صَعَبها وَرَكوبها ، وامترى أخلافَ شأبيها ، منهلها وسكوبها ، فلما قصَّ يحيى بنُ ذي النون الملقبُ بالمأمونِ آثارَ آل^٤ ابن أبي عامر ، واجتثَّ أصلهم من بلنسية آخر الدهر [الداهر] - حسبما سنأى عليه ، إذا انتهينا إن شاء الله إليه^٥ - كان ابنُ عبد العزيز ، زعموا ، أحكمَ من أقامَ ميْلَها ، وأوضحَ لابن ذي النون سُبُلها ، حتى خلصتْ له واطّصَ لها فكافأه ابن ذي النون لأوّل تملكه إياها بأن ولاّه^٦ أمورها ، وحلّاه شئورها ، ولاث^٦ بحِقْوَيه سياستها وتديرها ، فسامى الفراقده ،

١ : ملوكنا .

٢ : الرئاسة .

٣ ط د س : لم تشتمل عليه . ب م : جناحان على قلب ؛ والجناحان : عظام الصدر .

٤ آل : سقطت من د ط و .

٥ ط د س : حسبما نذكره إن شاء الله .

٦ : ولاذ .

وتألّف الشارد^١ ، وفدّح^٢ الحاسد ، وقهر^٣ العدو المكاييد ، وهو من ابن
 ذي النون قريب^٤ على البعد ، وحاله^٥ عنده جديدة على قدم العهد . فلما مات
 يحيى بن ذي النون صفّت^٦ مشاربه^٧ ، وخلا له جانبه ، وضعّف عنه طالبه^٨ ،
 وكان خليقاً بسموه^٩ ، مهيباً في صدر عدوه^{١٠} ، طاول^{١١} الجبال^{١٢} بالآكام ،
 وقلّ^{١٣} السيوف بالأقلام ، متشبّها في مخالصة الإمارة ، من خصاصة الوزارة ،
 بأبي الحزم بن جهور ، فتمّ له من ذلك ما نيّف^{١٤} على المراد ، وأطال غم^{١٥}
 الأعداء والحساد ، واجتمع عنده من سعة^{١٦} المال ، وفخامة الحال ، ونضرة^{١٧}
 الإقبال ، وآلات^{١٨} الجلال^{١٩} ، ما سار في البلاد ، وقصّر عنه كثير^{٢٠} من
 الأشكال والأضداد^{٢١}

ومن أعجب ما هيأ له الزمان^{٢٢} ، وأغرب ما سارت^{٢٣} عنه به الركب^{٢٤} ،
 أن ابن هود لما سما إلى دانية^{٢٥} فورد^{٢٦} صفوتتها^{٢٧} ، واقتعد^{٢٨} ذروتها^{٢٩} ، فيلّ^{٣٠}
 أهل بلده رأيه ، وعجزوا سعيه^{٣١} ، في قصوره^{٣٢} عن بلنسية ، إذ كانت
 أدنى لمن يريدّها ، وأجنى^{٣٣} على من يستفيدّها ، لوفور غلاتها^{٣٤} ، وتما^{٣٥}
 أدواتها ، واعجاز خواصّها وذواتها ، ولخلوها عندهم من ملك^{٣٦} يفي

١ د ط س : وقدح .

٢ د ط س : وقهر .

٣ د ط س : الآكام .

٤ د : جماعة .

٥ ب م : الجبال .

٦ م : والانداد .

٧ د : طارت ؛ س : صارت .

٨ ب م : وأقعد .

٩ د : فند ؛ ب : قفل .

١٠ د : وأجرى ؛ س ط : وأجدى .

بمقدارها ، ويذبُّ عن عُقْرِ دارها^١ ، فجاهروه بتعجيزهم [١٠ ب]
وشاعتُ على الألسنةِ أعجوبة من ترجيزهم ، كلماتٌ في أعجميةٍ مزدوجة^٢ ،
معناها : ما أحمقَ هذا وأهوجِه ، عَجَزَ عن الأيِّمِ ونكحَ المزوَّجةَ ؛
وحين تلقفها من الألسنةِ ، انتبه لها لا^٣ من سِنَةٍ ، وداخلَ الطاغيةِ
أذفونش مفرعَ آمالهم ، وظهيرَ بَطالَتهم وباطلهم ، على عادتهم ، معشَرَ
الحلفاء ، من استنابته في زحوفهم ، وإجابته إلى مُرٍّ حنوفهم ، سعيّاً
عمَّهم بتنكيل ، ومكرّاً أحاقه الله بهم عمّا قليل ؛ فاشترى منه بلنسيةَ يومئذٍ
[زعموا] بمائةِ ألفِ دينار ، تقرَّبَ إليه بحاضرها ، وأعطاه رهنًا كفافاً
بسائريها ، فغزا بلنسيةَ وقتَه في جيشٍ تضاءلتْ ذُرَى أطوادِها^٤ عن
أعلامه ، وتناكرتْ وجوهُ نجومها تحتَ قَتامه ، فلم يركزْ لواءه ، ولا رفعَ
بناءه ، حتى خرج اليه ابن عبد العزيز منسلخاً مِنْ عديده ، في ثيابِ
جُمُعته^٥ وعيده ، فكلَّمه بما^٦ أرقَّ قلبه ، وكفَّ غرْبَه ، وكان مما
قال له : هي بلادُكَ فقدَّمْ مَنْ شئتَ وأخَّرْ ، ونحن طاعتُكَ وقوَّادُكَ
فأقلِّلْ منَّا أو أكثرْ ، في شبيه ذلك من لَيِّن القولِ الذي يسُلُّ الأحقاد ،
ويتألَّفُ الأضداد ، فانصرف عنه وقد ألحفهُ جناحَ حمايته ، ووطأ له
كنَفاً من عنايته ، ورجع ابنُ هود وقد نفَضَ يديه ، وأصبحتْ نفقتهُ
حَسرةً عليه ، وكان الطاغيةُ بعد ذلك ، كلما جرى ذكرُ ابنِ عبد العزيز

١ وتما دارها : سقط من ط د س .

٢ كلمات مزدوجة : سقط من د ؛ م س : كلمة أعجمية .

٣ لا : سقطت من ط د س .

٤ ط د س : جو .

٥ ط د س : أطواده .

٦ ب م : جمعه .

٧ ب : بأن .

شايعة وتولاه ، واسترجحه وزكاه ، حتى كان يقول - لعنه الله - :
رجالُ الأندلسِ ثلاثة : أبو بكر ابن عبد العزيز و [أبو بكر] ابن عمار
وششند^١ ، وسأجري في أخبار ابنِ ذي النون طَرَفًا من ذكره ، وأشير
إلى جهةٍ من مآلِ أمرِهِ .

بقية ما استخرجته من رسائل ابن طاهر السلطانيات

فصل^٢ له من رقعةٍ خاطبَ بها ابنَ عبادٍ يقولُ فيها : مَنْ وَجَدَ
سَلَفَهُ على مذهبٍ من الخيرِ بيّن^٣ ، وسَنَّ من الفضلِ متبيّن^٤ ، سرَّهُ
أنْ يتحلّى بتلك الخُلُق ، ويتجلّى من تلك الأفق^٥ ، وان الزمانَ اللدنَ
الذي انقضى ، وامّحت صورتهُ الحسنَى ، نظمَ بينَ ذي الوزارتينِ القاضي
جدك^٦ وبينَ أبي مولاي ، كان رحمه الله ، عقدَ الصلّة ، وأبرمَ بينهما
حبَلَ الخُلّة ، وشقَّ بينهما المصافاةَ شقَّ الأُبُلُمّة ، وأطلعهما نجمينِ في
أكابر تلك اللّمّة ، يفترقان^٧ عند الاستعمال ، ويحملان يومئذٍ مُضْلِعَ الأثقالِ ،
إلى أن امتزجت بهما الحالُ امتزاجاً ، وكان كلٌّ واحدٍ منهما لنفسِ صاحبه
غذاءً ومزاجاً ، ولم يَقْنَعْ من ذلك الالتفاف^٨ ، بواقعةِ الكفاف ، حتى أتمَّ

١ ط س : ششاند ، وكان ششند أو ششاند (سشندو دافيدس) من النصارى المستعربين ، وزر
للمعتضد بن عباد أولاً ثم فر إلى ملك قشتالة ، وكانت له أدوار متعددة في أحداث ذلك العصر ،
وقد ولاه أذفونش على مدينة طليطلة عندما انتزعها من ابنِ ذي النون .

٢ ب م : مذهب .

٣ س : مبين متين .

٤ ط د س : الطرق .

٥ م ب : يفترقان .

٦ م س : الالتفات .

[١١ أ] صنائعه^١ ، ورقم^٢ وشائعه^٣ ، خلال ما ابتداه ، ونهجه وهياه^٤ ،
 فضمنا^٥ والرئيس^٦ الأجل^٧ أباك^٨ معتمد^٩دي . — كان — رضي الله عنه في زُمْرَةِ
 الطلبة ، والأسْرة^{١٠} منهم المنتجة^{١١} ، ورَتَعْنَا في رياض^{١٢} الاصطحاب^{١٣} ، واستذرينا^{١٤}
 من أدواحها^{١٥} بأمثال^{١٦} السحاب^{١٧} ، نُصِيبُ من بَرْدِهَا ودرَّهَا ، إلى أن
 أطلعت^{١٨} الأيام^{١٩} شجرَ مُرَّهَا ، برائع^{٢٠} الفراق^{٢١} ، ولم نشفِ^{٢٢} الأشواق^{٢٣} ، وأقبلتِ
 الفنُّ^{٢٤} والمحنُّ^{٢٥} تنساق^{٢٦} ؛ فلما اطمأنت^{٢٧} بك قدمُ^{٢٨} الرياسة^{٢٩} ، واستقرت^{٣٠} منك
 في شخص^{٣١} السيادة^{٣٢} والنفاسة^{٣٣} ، جعلتِ^{٣٤} الهمة^{٣٥} تتطلَّع^{٣٦} ، والارادة^{٣٧}
 مني تنقادُ^{٣٨} وتتبع^{٣٩} ، في الإلام^{٤٠} بمدخلتك^{٤١} ، والتسبب^{٤٢} لمطالعتك^{٤٣} ، ليلتئم^{٤٤}
 باعتلاقلك^{٤٥} ذلك الشعب^{٤٦} ، ويستريح^{٤٧} من بُرَحَائِهِ القلب^{٤٨} ، والأيام^{٤٩} على شيمها^{٥٠}
 وشُومِهَا ، في عوارِضها^{٥١} ولُومِهَا ؛ إلا أني مع ذلك لم أُخلِ^{٥٢} مشاهدتي^{٥٣}
 من الذكر^{٥٤} لك ، والفخر^{٥٥} بك ، حتى وافى^{٥٦} رسولك^{٥٧} الناحية^{٥٨} ، فمددت
 يدَ^{٥٩} المخاطبة^{٦٠} لك ، وأحببتُ^{٦١} فتحها^{٦٢} معك ، لأُعلقَ^{٦٣} منك^{٦٤} كفتي^{٦٥} ، بماجد^{٦٦}
 يكونُ^{٦٧} ركني^{٦٨} وكهفي^{٦٩} ، واثقاً^{٧٠} بحسنِ^{٧١} المقابلة^{٧٢} والقبول^{٧٣} ، عارضاً^{٧٤} ودِّي^{٧٥} بمهَبِّ^{٧٦}
 الصِّبَا^{٧٧} والقبول^{٧٨} ، فان مننتَ^{٧٩} بالمراجعة^{٨٠} فذلك البغية^{٨١} والمراد^{٨٢} ، وإلا فما أخطأ^{٨٣}
 الاجتهاد^{٨٤} ، والله يُيسِّرُ^{٨٥} المرتجى^{٨٦} منك ، ويدفعُ^{٨٧} محذورَ^{٨٨} النَّائِبَاتِ^{٨٩} عنك ،
 [بقدرته الباهرة^{٩٠} ومشيتِهِ^{٩١} العالية^{٩٢}] ° .

وله من أخرى [إليه] : الآن سَقَرْتُ من الأيام^{٩٣} الخدودُ^{٩٤} ، واهتزَّ^{٩٥} منها

١ بنيت الأفعال في هذه العبارة (في د ط س) على التشبيه ، ولم يقتضا . . . أما . . . رقما . . . الخ ،
 ولكن الضمير يعود إلى « الزمان اللدن » .

٢ م ب : أقل .

٣ ط د س : عارضاً في .

٤ ب : أو القبول .

٥ موضع هذه العبارة في ب م : بعزته .

غَصْنُهَا الْأُمْلُودُ ، وَوَثَقَتْ نَفُوسٌ بِالنَّجَاحِ ، وَدَنَا غَمَامُهَا الْمَطْلُوبَ حَتَّى
كَادَ يُدْرِكُ بِالرَّاحِ ، لَمَّا أَتَتْ الْبَشْرَى عَنْ^١ مَوْلَايَ بِاقْتِرَابِهِ ، وَتَعَلَّقَتْ الدُّنْيَا
بِاثْوَابِهِ ، وَلَاذِبَهُ الْإِسْلَامُ ، وَعَزَّ جَانِبُهُ الْمُسْتَضَامُ ، وَمَا زِلْتُ أُتْرَقَّبُ الزَّمَانَ
أَنْ يَخْطُرَنِي بِبَالِهِ ، وَيَعْرِضَنِي عَلَى اهْتِبَالِهِ ، فَإِذَا بِهِ عَلَى أَزْوَارِهِ ، لَا يَبَالِي
مَنْ صَلَّى بِنَارِهِ ، فَكَيْفَ أَذِمُّ الزَّمَانَ وَمَوْلَايَ فِيهِ ، وَهُوَ تَابِعٌ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ ،
لَا زَالَ جَدُّهُ مَقْبَلًا ، وَسَعْدُهُ مُتَّصِلًا ، مَا صَدَعَ الْفَجْرُ ، وَطَلَعَ الْبَدْرُ .

وله من جواب على كتاب : ورد كتابه^٢ العزيز الذي شفع به المنزَّح
الروائح والغواضي ، فوريتُ بِمُضْمَنَةِ زَنَادِي ، وَأَخْصَبَ مِنْ^٣ مُسْتَوْدَعِهِ
مُرَادِي ، وَتَأْتِي بِمَا التَّمَحُّتُ مُرَادِي ، وَتَصَفِّحُ الطُّولَ وَافِي الذُّوَابِ ،
مُتَّصِلَ السَّحَابِ ، وَلَبِسْتُ^٤ ثُوبَ الْإِجْمَالِ ، سَابِغَ الْأَذْيَالِ ، وَاسِعَ الْأُظْلَالِ^٥ ،
وَاللَّهُ يُبْقِيهِ لِلْوَاءِ الْفَضْلَ يَرْفَعُهُ ، وَشَتِيتِ الْمَكَارِمَ يَجْمَعُهُ .

وفي فصل منها^٦ : وَأَمَّا كِتَابُكَ فَكَانَ جَوَابًا مَا أَحْسَبَ ! وَبَيَانًا مَا أَعَذَبَ !
أَنْتَسَ مِنْ وَحْشَةٍ ، وَأَلْبَسَ مِنْةً بَعْدَ مِنْةٍ ، وَوَقَفْتُ مِنْهُ عَلَى مَا مَلَأَ
جَوَانِحِي مَسْرَةً ، وَبَسِطَ مِنْ وَجْهِهِ أَسِيرَةً ، وَحَمَدْتُ اللَّهَ تَعَالَى [١١ ب]
بِالنِّعْمَةِ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ ، وَبِمَا هَيَّأَهُ اللَّهُ عَلَى يَدِكَ هُنَالِكَ ، وَمَا زِلْتُ مَعَشَرَ هَذِهِ

١ ط د س : على .

٢ ط د س : كتابك .

٣ ط د : في .

٤ س : التمسته .

٥ ب م : وألبست .

٦ ط د س : الظلال .

٧ م ب : منه .

السَّلَمة^١ الكريمة ، الزكية^٢ الأرومة ، تشيدون البناء^٣ ، وتخلدون الثناء ،
وتحفظون الأرجاء ، وتمدون الرفاء^٤ ، وأنتي بمثل سياستكم فيما فتحه
الله على المظفر ؟ لقد أخضعت الرقاب ، وأطرت الألباب .

وفي فصل من أخرى : [ورد لك كتاب كريم وثغور] مجدك مبتسمة^٥
منه ، وألسنة سرك ناطقة^٦ عنه ، فطرد العبوس^٧ ، وأحيا بخيره النفوس^٨ ،
فهئنت هذا الشرف التليد^٩ ، والمذهب الحميد ، وزادك الله جمالا^{١٠} ،
كما اختار لك جلالا^{١١} ؛ وتناولت المدرجة الكريمة التي خطتها اليد العزيزة^{١٢} ،
وجعلتها بيني وبين الحوادث شعارا^{١٣} ودارا^{١٤} ، إذ تبينت فيها مخايل وآثارا^{١٥} ،
بعد أن وضعتها تكرمة^{١٦} على رأسي ، وأحييت بها أمني ونفسي^{١٧} ، وتوليت^{١٨}
من الدعاء المخلص ما الله تعالى سامعه^{١٩} لك ، ومحققه^{٢٠} فيك . فأما الشكر^{٢١}
فلو أني فيه موصول^{٢٢} اللسان ، بلسان الزمان ، لما وقيت^{٢٣} بحقك منه ، ولما
قضيت^{٢٤} وطرا^{٢٥} به^{٢٦} ، إلا أني على قصوري عنه سأبرزه^{٢٧} في غلائله ، كالربيع
في أوائله .

وخاطبه^{٢٨} ذو الرياستين [حسام الدولة أبو مروان] ابن رزين برقعة
يخطب^{٢٩} فيها وداده^{٣٠} ، ويستميل^{٣١} فؤاده^{٣٢} ، فراجع ابن طاهر برقعة يقول^{٣٣}

١ ط د س : الشيمة .

٢ م ب : الزكي .

٣ م ب : بالبناء .

٤ وتمدون الرفاء : سقطت من ط د س .

٥ م : وأنني .

٦ س : ولا اقتضيت به .

٧ هذه الرسالة وردت في القلائد : ٦٦ مع اختلاف يسير في الرواية ، وانظر الحريدة ٢ : ٣٢٦ .

٨ ط د س : خطب . . . واستمال . . . وقال .

فيها : كلُّ المعالي - أدام^١ الله تأييدَ الحَاجِبِ ذي الرِياسَتين - إليه ابتسامُها ،
وفي يديه انتظامُها ، وعليه إصفاقُها ، ولديه إشراقُها ، وإنَّ كتابَه الرفيعَ
وافاني فكان كالزهرِ الجَنِيِّ ، والبشرى أتتْ بعدَ النَّعْيِ ، سرى إلى نفسي
فأحيّاها ، وسلّى عني خطوبَ الكروب^٢ وجلّاها ، فلتأتينَنَّهُ مني بالشَّاءِ
الركائبُ ، تحمله أعجازُها والغوارِبُ ؛ وأما ما وصَفَ به - أيده الله -
الأيامَ من ذميمٍ أو صافها ، [وتقلبها]^٣ واعتسافها ، فما جهلته ، [ولقد
بلوتها] خُبْرًا ، ولقد رددتها على أعقابها نَكْرًا ، فلم أخضعْ لجفوتها ، ولم
أتضععْ لِنَبوتها ، وعلمتُ أنها الدنيا قليلٌ بقاؤها ، وشيكٌ فناؤها ،
وفي ذلك أنشدوا^٤ :

تفاني الرجالُ على حبِّها وما يحصلونَ على طائلٍ

ومع ذلك ما عدمتُ من الله سِتْرًا كثيفًا ، ولا صُنْعًا لطيفًا ، له الحمدُ
ما ذرَّ شارِق ، وأومضَ بارق .

ورأيت ما انتدب اليه - أيده الله بسنائه - من الشفاعة عند القائدِ الأعلى^٥
- أعزّه الله - ، والصدقُ مَواعِدُهُ ، وقد كان بدائي بالإجمالِ لو عاد
عائده ، ويبيدُ الله تعالى [١٢ أ] الأمورُ يَقْضِيها ، عليه التوكلُ فيها ،

١ ط د س : أيد .

٢ س : كرب الخطوب .

٣ زيادة . من القلائد .

٤ البيت للمتنبي ، ديوانه : ٢٦٤ .

٥ ط د س : عند فلان ؛ والقائد الأعلى المشار إليه هو أبو عبد الله محمد بن عائشة ، وكان ابن
رزين قد سأله أن يرد على ابن طاهر ما أخذه المرابطون من أملاكه ، فأعلمه ابن عائشة « أن
أمير المسلمين حد له ألا يخوله شيئاً ، ولا يتزوله منها نفساً ولا رياً » (القلائد : ٦٦) .

٦ د ط س : بالاحسان .

وفهمتُ ما أومى إليه من التنقلِ إلى ذَرَاهِ ، والورودِ على نَدَاهِ ، وأنثى لي بذلك وقد قيدتني الهمومُ^١ فما أستطيعُ نهضاً ولا أتقدمُ ، ولو أطقْتُ ذلك لأعدتُ العمرَ غضاً جديداً ، ولقيتُ الكمالَ شخصاً وحيداً ، عند مَنْ تُقِرُّ بسوابقه العَجَمُ والعربُ ، وتؤكَلُ خلائفه [بالضمير]^٢ وتُشْرَبُ .

قال أبو الحسن : وكان ذو الرياستين^٣ قد رأى لو انتقل ابنُ طاهرٍ إلى ذَرَاهِ ، أن يستمدَّ برأيه ونُهاه ، وهيهات ! أبو عبد الرحمن كان أصونَ لفضله ، وأفطنَ بالزمانِ وأهليه ، من أن ينخدعَ بمقتلِ ظله ، ويحكمه فيما أبقتِ الخطوبُ من جلالته ونبله : من رجلٍ شديدِ الإعجابِ [كان] بأمره ، بعيدِ الذهابِ بقدره ، زارياً على زعماءِ أهلِ عصره ، إن ذُكِرَتْ الخيلُ فزِيدُها ، أو الدهاءُ فسعيدُها وسعدُها ، أو الشعراءُ فجزَّوْلُها ولييدها ، أو الأمراءُ فزيادُها ويزيدُها ، أو الكتابةُ فبديعُ هَمَدانٍ ، أو الخطابةُ ففي حِرِّ امِّ سحبانٍ ، أو النقدُ فقدامةُ ، أو العلمُ فلستَ من رجاله ولا كرامته ، وليس له من ذلك كله إلا البراءةُ من الإحسانِ ، والاستطالةُ بمكانِهِ من السلطانِ ، أبى الله إلا انهماكه في الشرابِ والشطرنجِ^٤ ، وكان على ذلك ضيقُ الفناءِ ، جهَمَ اللقاءِ ، أحذقَ الناسِ بحرمانِ مَنْ قصده ، وأشدَّهمُ احتمالاً لمن لامه في البخلِ وفنَّده ، وانتحاه بأصنافِ الذمِّ واعتمده ، على ما كان يداخلُهِ من كِبَرٍ ، ويعتقده لنفسه من جلالَةٍ

١ س : قيدي اليوم ، ط : قيني الهرم ؛ وهو الصواب .

٢ بالضمير : لم ترد في م ب س .

٣ ط د س : ذو الوزارتين . ؛ وسياقي هذا اللقب نفسه بعد قليل في ب م ، فهو على هذا ذو الرياستين و ذو الوزارتين .

٤ هذا التهكم موجه إلى ابن رزين .

٥ وليس له والشطرنج : سقط من د ط س .

قَدَّرُ^١ ، وكان الشاعرُ إذا وفدَ عليه ، أو مَتَلَّ بين يديه ، أخذ يناقشهُ الحسابَ ، ويغلقُ دونه الأبوابَ ، وينتحيه بضروبِ نقده ، ويصبُّ عليه من شآبيبِ بَرْدِهِ ، حتى يخرجَ بين الحائطِ والباب ، ويرضى من الغنيمة بالاياب ، على ذلك حججٌ أصحُّها جهله ، وأوضحها بخله^٢ .

حدثني^٣ من شهد ذا الوزارتين ابنَ عمار - المتقدم الذكر - وهو يقول : إيه عنك يا ذا الوزارتين ! بأيِّ شيء عارضت قصيدي :

أدرِ الزجاجةَ فالنسيمُ قد انبرى

أبقولك في أوّل قصيدة :

أشمتُ نَشْرِكِ أم شمتُ العنبرا
ومصصتُ ريقكِ أم مصصتُ السكرَا

ومن ذكر هذا وأشباهه من القول ، حتى عدل به عن سبيلِ الطرب ، وكاد ينشق عليه جلدُهُ من الغضب .

وأخبرني من سمع ابن رزين في ذلك المجلس أو نظيره^٤ يقول [١٢ ب] لمسلم المغنِّي ، وكان بحضرته يومئذ : أنا والله أغنى منك ، وأشعر من ذلك ، يعني ابنَ عمار ، فقال له ابن عمار ، بِدَرَبِ جَنَانِهِ ، وسلطنة لسانه : وأرقصُ ممن - أعزك الله - ؟ فلم يجر جواباً ، وعاد نشاطُهُ إطرافاً واكتئاباً .

وكان أدخلَ نفسه أيامَ إناخةِ الأميرِ مَزْدَلِي على بلنسية ، فما أمرَّ

١ على ما كان قدر : سقط من د ط س .

٢ على ذلك بخله : سقط من د ط س .

٣ ابتداء من هذا الموضع حتى آخر الفصل لم يرد في ط د س .

٤ م : أو في سائره .

ولا أحلى ، ولا سَبَقَ ولا صَلَّى ، ومات في أثناء ذلك ، وَنُصِبَ ابنه مكانه ،
هنالك ، فضاقت مداه ، وأسلمه في يد أمير المسلمين ما قدّمت يداه ، فنسي .

ومن رسائل ابن طاهر الاخوانيات وما يجانسها^١

نسخة [من] رقعة يقول^٢ فيها : المرء إذا تحقّق تأمّله ، وعرفته
في المودة سبيله ، تناسبت مذاهبه ، وتجانست ضرائبه ، وإنك - أحسن
الله مقامك وظعنك - لما امتطيت ركاب النوى ، وتجرد منك ربع الغرب^٣
وأقوى ، كحلّ السهاد جفني ، وتمكن [الاشفاق مني ، وأخذت نفسي
في الذهوب ، وشمس أنسي في الغروب ، حتى طلع [البشير بالقول ،
فجعلت حينئذ أقول :

لله نذر واجب ولك البشارة يا رسول

وثابت إليّ المسرة ، كأول مرة ، وظلت أمرح في أثوابها ، وأنّي
لي بها ، فالحمد لله على صنّعه الكريم ، ومنه الجسيم ، أشكره شكر من
استعلى بسلامتك قدّحه ، وعاد بآيايك صبحه ، وأسأله الإطالة في
بقائك ، والصيانة لحوبائك .

وله من أخرى : الآن ساغ للكلام الالتماس ، وساعدت في معالجته
الأنفاس ، وتبادرت إلى إثباته الأنامل ، وخفّ فيه القلم العامل ، حين
أعيد إلى الجسم فؤاده ، ورّد في البصر نوره وسواده ، بأوبيتك التي

١ وما يجانسها : سقطت من د ط س .

٢ د ط س : قال .

٣ د ط س : القرب .

بَسَطْتُ مِنِّي مَا انْقَبَضَ ، وَهَدَيْتَنِي إِلَى الْبَيَانِ وَقَدْ أَغْمَضَ ، فَلَمْ أَجِدْ فِي
فَمِ الشُّكُوى رَيْقًا ، وَلَا إِلَى إِيضَاحٍ مَا أَلْقَى طَرِيقًا ، فَلَمَّا وَافَى بِأَخْذِكَ فِي
الصُّدُرِ الْبَشِيرِ ، وَوَقَعَ بِلِحَاقِكَ التَّقْدِيرِ ، فَكَأَنَّمَا انْتَشَطْتُ مِنْ عَقَالِ ،
وَأَمَنْتُ مِنْ نُكُوسٍ بَعْدَ إِبْلَالِ ، فَثَابَ إِلَيَّ مِنْ نَافِرِ الْقَوْلِ ثَابِتُهُ^١ ، وَتَرَجَعَ
لَدَيَّ غَائِبُهُ وَغَارِبُهُ .

وله من أخرى : فَرَطُ الْمَسْرَةِ عَلَى الْإِطَالَةِ بَاعَثَ ، وَبِالْكَلامِ عَابَثَ ،
وَلَا سِيَمًا إِذَا طَلَعْتَ بَعْدَ أَفْوَلِ ، وَأَذْنْتَ مِنْ خَلٍّ بِقَوْلِ ، فَلَا تَنْكُرَنَّ
مِنْ مِقَالِي ، مَا يَمْلِيهِ لِسَانُ الشُّوقِ مِنْ حَالِي . لَمَّا تَحَقَّقْتُ [خَبَرَ] تَغْيِيْبِكَ ،
لَا عَدَمْتُ [١٣ أ] الْأُنْسَ بِسَبَبِكَ ، هَاجَنِي مِنْ ذِكْرِكَ هَاجِجٌ ، وَمَسَّنِي
مِنْهُ حَرَقٌ وَاهِجٌ ، شَرَّدَ لِي مَنَامِي ، وَرَدَّدَ قَعُودِي وَقِيَامِي ، وَأَقْرَحَ الْمَآقِي ،
وَبَلَغَ بِالنَّفْسِ التَّرَاقِي ، تَأْسُفًا^٢ لِبَعْدِكَ ، وَمُحَافَةً^٣ لِلْهَمُومِ مِنْ بَعْدِكَ .

وله من أخرى : قَدْ أَثْقَلْتَنِي عَوَارِفُكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - حَتَّى مَا أَبْقَيْتَ^٤
لِي يَدًا تَنْظُمُ ، وَلَا لِسَانًا يُعَرِّبُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ لَكَ وَيُفْهِمُ ، فَأَنَا لَكَ
رَهِينٌ^٥ أَيَادٍ لَا تَسْتَقِلُّ بِهَا الرِّكَابُ ، وَلَا يَقُومُ بِشُكْرِهَا الْإِطْنَابُ وَالْإِسْهَابُ ،
وَإِذَا كَانَ الْعَجْزُ عَنْ مَجَازَاةِ بَرِّكَ أَمْلَكَ وَأَحْصَرَ ، وَالْعِيَانُ فِي ذَلِكَ عَنْ
شَفُوفِكَ وَتَقَدُّمِكَ^٥ أَنْطَقَ وَأَخْبَرَ ، فَالاعْتِرَافُ لَكَ بِالتَّأَخُّرِ عَنْ مَضْمَارِكَ
أَجْدَرُ مَا سَمَتَ إِلَيْهِ هِمَّةُ الْأَمَلِ ، وَسَايَرَتْ إِلَى مَدَى سَبْقِهِ^٦ يَدُ

١ ب م : ثانية .

٢ ب م : تأسيًا . ٣ د ط س : أبقت .

٤ س : رهن .

٥ ب م : وتقديمك .

٦ ب م : سبقك .

المتطاول ، والربُّ تعالى ينظم لك أشناتَ المحاسنِ والأثر ، كما أحيا بسنائكَ
 كريمَ الآثارِ والسيِّر ؛ وإن كتابكَ - لا عدمته من روضِ ناضر ، وأنسِ
 محاضر - وردني مفتتحاً للفضل والتهنم ، وعارضاً صدقَ مشاركتك في
 حالتي^١ الصحة والسَّقَم ، وإن الذي بلغكَ من الالتيافِ المطيفِ بي ،
 والوهنِ المساور لي ، أثارَ لفكرك - أنعمه الله - شُغلاً ، وحملَ خاطرك^٢
 - أوصحه الله - ثِقلاً ، إلى ما وصل ذلك من سؤالٍ مُلطفٍ ، وإيرادٍ
 من قلبِ السحر مُغترف ، فقامتُ لهذه الصلةِ الكريمةِ على قدمِ التعظيم ،
 ووفيتها قسطَ الشكر محلياً بالتوفيةِ والتتيميم ، وقلتُ : لله فعلٌ كريم ،
 يشقلُ الرقابَ ، ويسترقُ الألبابَ .

وله من أخرى : لما تراختِ المطالعةُ بيننا ، وتصدَّتِ الموانعُ لنا ،
 حركني إليكَ عهدٌ كريم ، وودٌّ بينَ الجوانحِ مُقيم ، وعندي من ذكرى
 لك^٣ ، وشوقي نحوك ، ما لا يأتي عليه البيانُ ، ولا يتسعُ له الزمان ، وأما
 شكري لمشاركتك ، وثنائي على مظاهرتك ، فبحيثُ يقنعُ الربيعَ حياءً ،
 ويفضحُ الغصونَ لدونةً واثناءً ، ويكسبُ الماءَ عذوبةً ، والحجرَ رطوبةً .

وله من أخرى يعاتبُ بعضَ الأقارب :

وإذا الفتى صَحِبَ التباعِدَ واكتسى كِبَرًا عليَّ فلستُ من أصحابهِ
 نعم ، أعاذني الله من مَوْجِدَتِكَ ، ولا حرمني جميلَ رفقك وتؤدِّتك^٥ ،

١ ب م : حال .

٢ د س : ناظرُك ، وسقطت من ط . .

٣ م : من ذكراك .

٤ ط د س : وتشوقي .

٥ س ط د : ومودتك .

فاني قرأتُ الكتابَ الكريمَ الذي أطلتَ من جنّاحه ، وأطنبتَ ما شئتَ في
إفصاحه ، وأكثرَ من أناشيده وأهزاجه ، وغيّرتَ من عَذْبِهِ بِأُجَاجِهِ ،
فجدّدَ لي رسومَ إيناسك ، وهبَ بمعلول^١ أنفاسِك [١٣ ب] وذكرَ
بأيامك المراض ، ونشرَ من ألفاظِك العواض^٢ :

كلامٌ لو أنّ اللحمَ يصلّى بحرّه غريضاً أتى أصحابه وهو منضجٌ
ما البدرُ يُجْتَلَى في أعقابِ أسحاره ، ولا الربيعُ يُخْتَالُ في أثوابِ أنواره
وأزهاره ، بأوضحَ من شَيَاتِيهِ ، وأملحَ من كلماته ، صدّرتَ بقولِ
ابن الحسين^٣ :

ما كان أخلقنا منكم بتكرمةٍ لو أنّ أمرَكُم من أمرنا أممٌ
وأخّرتَ ذكرَ حكمته ومعجزته :

وإذا كانت النفوسُ كباراً تعبتَ في مُرادِها الأجسامُ

وضربتَ المثلَ في صحيفة قريش على بني هاشم الأخيار ، وأغفلتَ ما كان
من تسلّطهم على الجار ، وأردفتَ بقوله عليه السلام [في من وصل أو قطع
الرحم ، وترك كلامه على تفردّه] : « المسلمُ مَنْ سَلِمَ المسلمون مِن
لسانه ويده » ، فوعيتُ الكلَّ عنك وعياً ، واستوفيتُهُ شرباً وأريباً^٤ ،
وتصرّفتُ بين محظورٍ منه ومباح ، واستمعتُ فيه إلى استعطافٍ لي واستصلاح ،
ولعمرك - وقيتَ الردي ، وجُنبتَ الهوى - ما صدّرتَ [صدورَ قالٍ ،

١ س ط د : معلوم .

٢ ب م : العراض .

٣ يعني المتنبّي ، والبيتان في ديوانه : ٣٢٤ ، ٢٤٩ .

٤ س : شرباً وريباً .

ولا فَسَدَ لَقِيلٍ وقال ؛ ما تركتك توسدُ [للجاجك ^١ ، إلا وقد يشتُ
من علاجك ، تمدّ في غُلّوائك ، وتجدّ في استعلائك .

وفي فصل منها : وإيمُ الله يا معشرَ القراية ما وجدتُ أبي [رحمه
الله] يستكثُرُ بكم من قِلّةٍ ، ولا يفرعُ إلى رأيكم في مِلّةٍ ، ولا يمتاركُمُ
عند نَفَقَةٍ ^٢ ، ولا يمتازُ منكم على ما به من علو مرتبة ^٣ ، يكلؤكم هاجعين ،
ويقيمكم مائلين ، فانما أنتم عيالُ مَبَرَّةٍ ، وأمالُ دَرّةٍ ، وأتلاءُ عَقَبِهِ ،
وأشلاءُ لولا غمامةُ سيبِهِ ، وأنا أقفو أثراً هادياً ، وأقتدحُ زنداً واريّاً :

لا أحتذي خُلُقَ القصي ولا أرى متشبّهاً في سؤدَدٍ بغريبٍ
وكذا النجابةُ لا يكونُ تمامها بنجيبٍ قومٍ ليس بآبن نجيبٍ

فمن أقبلَ منكم قبلتُ ودّه ، ومن تولّى تركتُ ردّه ، لا أترفعُ
ولا أتقلّع ، كما لا أتخشعُ ولا أتصنّع .

ومن أخرى : التأميلُ ، إذا ثبتَ فيه الدليل ، وعُضِدَتْهُ [من] المودّةِ
شواهد ، يؤيِّدها الاختيارُ الناقد ، لم يُسْتَرْبُ بجانبه ، ولا يفرغُ ماءُ الملام
على مذانبه ، فيما تحظرُ منه موانعُ الانشغال ^٤ ، وتحجرُ عنه مخافةُ الإضجارِ
والإملال ، من مطالعةٍ يُجتنى بها زهرُ ^٥ الكلام ، وَيَرَوَى بها ظمأُ الأفهام ؛

١ د : اللجاجة ؛ ط س : اللجاجة .

٢ ولا . . . نفقة : سقط من ط د س .

٣ د ط س : رتبة .

٤ البيتان للبحرّي ، ديوانه : ٢٤٧ - ٢٤٨ مع اختلاف متعمد في الرواية .

٥ س ط د : أتوقع .

٦ س ط د : الأشغال .

٧ س ط د : تجتنى بازهار .

وأنا - أدام الله أيتام بهجتك - ، وإن قصّر بي عن متابعة المداخلة جلالتك ،
واقصرت بي على ما تحقّقته من إخلاصي وتعويلي إحاطتك ، فغير مفارق
لدعاء صالح فيك أرفعه ، ولا لإهمال واجب لك أضيّعه ، إذ أشخاص
آمالي بك استشرافها [١٤ أ] عليك انحطاطها والتفافها ، ونحوك تنهى
أجيادها ، وإليك تبارى جياها ، فمهما وقع تفريط ، فالعذر فيه مبسوط ،
والقلب بودك مغمور ، وبالذكر لك معمر . ولما جدّ بي الشوق جدّه ،
وتجاوز بي حدّه ، أعملت في هذه الأحرف أنملي ، وأملى خاطري واللوعة
لا تكاد تملي ، [لتُنعم بمراجعتي شافياً بشرح أحوالك ، لا زالت زهاء
أملك ، ممتناً ، إن شاء الله] .

ومن أخرى: أمّا جنّوحي إليك واعتدادي ، واقتصاري عليك واعتمادني ،
فقد وضح نهاره ، وتفتّح بهاره ، ما المسك إلا دونه ، وكثير له أن
يكونه ؛ وقد علمت أني واليت^٢ أمير المسلمين وناصر الدين [أبا يعقوب
يرسف بن تاشفين] فيما منيت به من الأحوال ، وتصرف الأحوال ،
فأخّر أمره^٣ المقدار ، وليس للمرء الخيار ، وناديتُهُ الآن نداءً مستصرخ
قد انقطعت به الأسباب والعلق ، وزهقَ منه الرّمق ، ومثلك في علو
النصاب ، وشرف الانتساب ، أعار بياني عنده بسطاً ، ونصّ عليه من
اختلالي فرطاً ، ودعاه إلى ما يجده عند الله مُحضراً يوم القيامة^٥ ، وما

١ ب : نجتنى ؛ م : تجتنى ، ولعلها محرفة عن « تحنى » .

٢ يريد أنه وإلى الكتابة إليه .

٣ ب م : أمده .

٤ ب : الرقق .

٥ س ط د : يوم يلقاه .

يبقى إلا الأحاديثُ والذِّكرُ^١ ، ولك بما تأتبه المنُّ والشكر ، [ثم] لا يزالُ له به دعاءُ مرفوع ، وثناءٌ على أعجازِ الركائبِ موضوع ، وأنا أستنهضُ سرَّوكَ بحسنِ المناب ، إذ أعلقتُ سبيي منك بأشرفِ الأسباب ، ثقةً بمجدك ، ومعرفةً بمجدك ، ومِنْ مثلكَ فليكن الصُّنعُ ، والمحتدُ الرفيعُ يثبتُ حوله الفرعُ ، ومراجعتك الكريمةُ مؤنسة ، وعن النفسِ منفسة .

وله من أخرى : كثيراً ما كنت أسمع إنشاد هذا البيت :

إذا أيقظتكَ حروبُ العدا فنبهْ لها عُمرًا ثمَّ نمَّ^٢

فلا أدري مَن عمر ، إلى أن مررت بباي فقلتُ : هو هو ، أخو الحياء والإنصاف ، ومشرَّبُ الأدبِ الصافي ، وانك أبا حفصٍ - على ما فيك من عظيمِ الانقباض ، وعليك من سِرِّبَالِ الحياءِ الفضفاض - لقبسُ بيدِ المسترشد ، وسهمٌ في يدِ الرامي المسدّد ، حباك^٣ الله فضيلةً لإخوانك ، وطُرفتُ دونك^٤ عينُ زمانك .

وله من أخرى : وردني من لدنك كتابٌ وقفْتُ به من مشهَدك الحسن . وغيبكَ المؤمن ، على ما عرفتُ يقينه ، ووجدت قبلي قرينه ، ثناءً عليك يتأرجُ ، وجدةً إخلاصٍ [لك] لا تنهَجُ ، والله يديمُ خلَّتنا نيرةً سُرَّجُها ، ضخماً بسلامتك ثَبَّجُها .

١ فيه إشارة إلى قول حاتم :

أماوي إن المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر

٢ هو من شعر بشار ، ديوانه : ٢١٧ (جميع العلوي) .

٣ ب م : حماك ؛ س ط : حباك .

٤ س ط د : عنك .

٥ ب م : خلَّتْها .

ثم رأيتُ ما نشرتهُ من الرغبة [١٤ ب] في جبرِ فلان ، قبَّحه
الله من إنسان ، وعاءُ فسوقٍ ، له في البغي أكنفُ سوق ، وكلُّ شفاعتكم
عندي مقبول ، فالقلبُ على مودَّتكم مجبول ، لكنها معوِّدةٌ من أن
يُدنَّسَ بذلك الساقط طاهرُها ، وما قَتَلَ أرضاً جابرُها^١ ، فليكنْ عندك
نسمة^٢ حرب ، وقرارة ريب ، ليس كما نخلته^٣ من الخلال ، ولا كما
قلَّتهُ في الأحوال ؛ ووصفته بالحجِّ وإنما حجَّت العير ، وبالفقه وإنما هو
منه الخليُّ الفقير ، وبالقراءة وما يحفظُ التنزيل ، ولا يميزُ المحرَّف من
الحروف ولا المستطيل .

جملة ما وجدت له^٤ من الرسائل ، في الشفاعات والوسائل

فصلٌ له من رقعة في صفة الأستاذ^٥ أبي القاسم عبد الدائم : نحن
لا ننزلُ بالخلَّة ، منازلَ الخلَّة ، فتناولها بأطرافِ البنان ، ونسلك بها شعبَ
أهل الزمان ، بل نصونها في مُضمَرِ القلب ، ونحفظها على النَّأي والقرب ،
[وإنك — ما علمت — شيمتُك الوفاء ، وقرارتك] الصفاء ، وبعدُ :
فما زلتَ مفيدِي ضروبِ الفوائد ، ومقلِّدي عجائبِ القلائد ، حتى كأنَّك

١ ط د س : خبر .

٢ د س ط : جبارها .

٣ ب م : سمة .

٤ ب : تخيلته ؛ م : تخيله .

٥ ط د س : الحرف .

٦ ط د س : ومما له .

٧ ط د س : نسخة رقعة له كتبها مع الأستاذ .

إذا رأيتَ ما بأرضي من الأدب الماحل ، والفهم الناحل ^١ ، أنزلتَ عليها
الماء فاهتزَّت ورَبَّتْ وأنبَتْ من كلِّ زوجٍ بهيج .
وقد طَوَّقَنِي بالأديب أبي القاسم عبد الدائم ^٢ - حرسه الله ^٣ - طوقَ
الحمامة ، وسقيتَنِي به دَرَّ الغمامة ، فتنفستُ أنفاسَ العراق ، واجتليتُ ^٤
محاسنَ كالجمع بعد الفراق ، فأنا الشاكرُ صُنْعَكَ ، القائمُ معك . ولقد
لطفَ فيما أَلَفَ ، وأَوْضَعَ فيما وضع ، فسرَدَ المعاني أجملَ سرْد ، ونثرَ
الفقرَ نثرَ الجمانِ من عِقْد ، وصَرَفَ المتأملَ فيه بين جدٍّ وهزل ، ونقَلَه
على أقتابٍ بين حقائقٍ وبُزُلٍ ، وقد قبلتُ ما أهداه ووضعتُهُ على الرأسِ
إكراماً ، وجعلتُ له الحمدَ لزماً وزماماً ^٥ ، فله أنتَ والله هو ! لقد
شددتما أزرَّ العلم ، وأحييتما عافيَ الرسم ، وهنيئاً لقطركما لقد تدفق بكما
سَيْلُهُ ، وتفرَّي عن صبحكما ليلُهُ ؛ وتصفحتُ ما قرن بتلك الأسفار ^٦ ،
من منتقى الأشعار ^٧ ، يتخللها من الكلم ^٨ السلسال ، والمثل المثال ، ما
يستنزِلُ الطير من وكُنَاتِهِ ، ويفضحُ عمرو ^٩ البيان في نزعاتِهِ ، فشهدتُ
لقد أوتي البسطة والفنون ، إن سَلِمَ من العيون .

١ ب : النابل ، م : النائل .

٢ أرجح أنه عبد الدائم بن مروان بن جبر اللغوي، أبو القاسم، وهو من الطائيين على الأندلس
نزل المرية ، وكان قد روى كثيراً من كتب الآداب واللغات (الصلة : ٣٧٢) .

٣ حرسه الله : سقط من ط د س .

٤ ب م : واجتليت .

٥ وزماماً : سقطت من ط د س .

٦ ط د س : الأشعار .

٧ ط د س : الأخبار .

٨ ط د س : الكلام .

٩ عمرو بن بحر الجاحظ .

وكان وصولُ الكلِّ على يَدَيِّ فلان ، وقد وصفه بصفاته ، وصقله بمراعاته ، وقد حملته^١ ما أتغطى^٢ منه ، إن لم تكنْ بفضلِكَ^٣ المعتذر عنه .

وله أيضاً من أخرى فيه^٤ : [١٥ أ] إذا شئتَ - أعزَّكَ الله^٥ - أن تجلَّوَ البصر ، وتجوَّ الفكر ، فقد وافتكَ الأيامُ بجلائها ، ووفرت لك من حبايها^٦ . ويوافيك بكتابي - وافتك الآمالُ - الأديبُ الحلَّو الحلَّال ، أبو القاسم عبد الدائم ، قاصدُك [وسيدي] أبقاء الله ، وستلقى به الأدبَ الموفى ، والذهبَ المصفى ، ونهزةَ الأصحاب ، ونزْهَةَ الألباب . وقد كانت استقرتْ به الدارُ^٧ عندي ، وأضاء به أفقي وزندي ، حتى أوجدتهُ النفسُ أدواء ، وآثَرَ بمكانك لها^٨ شفاءً ، حيثُ المحلُّ فسيح ، والهواءُ صحيح ، والطبيبُ موات ، غير آبٍ ولا عاتٍ ؛ وقد دعوتُ الله أن يُبرِّثهُ من وصَّبه ، ويرعاه في تقلُّبه ، وأنت بمجدك تؤمِّنُ على الدعاء ، وتبتدِرُ هذا العَلِقَ بالاحتواء ، وتلزمه [من] مَهْرَةَ الاطباءِ كلَّ [محمود] النقيبة^٩ ، مأمونِ الضريبة ، وكم بذلك من ثناءٍ ترتديه ، وعلاءٍ تحتويه ، لا زال

١ ط د س : وحملته .

٢ ط د س : أيقظني ؛ وأتغطى منه أي أستحيي ، يعني من عطاء أعطاه إياه ، وهو قليل .

٣ ط د س : ان تكون بفضلِكَ .

٤ ط د س : في خبره .

٥ أعزَّكَ الله : سقطت من ط د س .

٦ ب : حمائها ؛ د : جنائها ؛ م : حمائلها .

٧ ط د س : الحال .

٨ س ط د : له .

٩ ب : البقية .

مثلُ هذا النجم طالِعاً في سَمائِكَ ، وزاد [الله] في مضائِكَ ^١ وبهائِكَ ،
بقدرته الغالبةِ الباهرة .

ومن أخرى ^٢ : وفلان ممن يأوي إلى خيرٍ وصلاح ، ويستضيئ من
طلب العلم بمصباح ، وبحسب ذلك أحبُّ حياطتهُ ، وأريدُ إرادته ،
ورغبتِي حفية ^٣ لدى مجدك في أن تبضعهُ منك ببال ، وتخففَ ما يطرأ
عليه من أنقال ، وتقلِّدَهُ من محافظتك ما يحصلُ به على مزيةٍ حال ، حتى
يُرى عليه أثر الشافع ، وتلدَّ خبرَهُ أذنُ السامع ، وثقتي بما خططتُ لك
من سطورِي هذه ، أغتني عن الاحتفال ، والإلحافِ في السؤال ، وأنت
أرطبُ عوداً ، وأخصبُ نائلاً وجوداً ، من أن يثنيكَ عن العلائق ، أو
يفتقرَ المشفوعُ لك فيه إلى ضمان ، فان حاشيتهُ من تلك النوائبِ والدقائق ،
سار شكري اليك سيرةً الفياق ، يوافيك بأحشاده ^٤ ، ويضيقُ جوُّك
بأعداده ، بقيتَ للفضل رُبْعاً يُحطُّ إليه ، وثملاً يَعُولُ عليه ، وقدرُك
سام ، وزمانك مناضلٌ عنك رام ، وإنما أنت ركنُ الفضلِ وأُسُّهُ ^٥ ،
وَزَيْنُ الدهرِ وأنسُهُ ، ومركزُ الكرم وقُطْبُهُ ، وعينُ الشرفِ وقلبه .

وله من أخرى ^٦ : لما استحکم ما بيننا استحکام البنيانِ ذي القواعد ،

١ م : مراثك .

٢ ب م : وفي فصل .

٣ م : حقيقة .

٤ ط د س : له فيك .

٥ م : باحتشاده .

٦ ط د س : عنه مناضل .

٧ ب م : ورأسه .

٨ هذه القطعة والقطعتان التاليتان لها لم ترد كلها في د ط س .

وصار ذلك مستقرّاً في علم الصادرِ والوارد ، جُعِلْتُ إليك شفيعاً ،
وارتُجِيَ التَّجْعُ بِي وشيكاً سريعاً . وتصلُ أحرني هذه على يدي فلان من
أهل شلب ، ممن كانت له حال بذلك الغرب ، إلاّ أن عادةَ الأيام في
مثله مَسَلُّوَةٌ ، ومنازلُهم عندها مَجْفُوَةٌ ، وَتَبَدَّلَتْهُ عن الوطن والصميم ، كما
يُنْبَدُّ الكراعُ من [١٥ ب] الأديم ، واعتمد هذا الوقّ ، يرجو فيه
الرفقَ ، وأنت محطُّ أمله ، ويد عمله ، آثرك لثبير له أمراً يتقلّده ، فانك
منجزٌ به متعهّدُهُ ، ورغبتي مؤكدةٌ إلى مجدك فيه ، فله خلالٌ تحظيه ،
وما يقع عنده من حسن صنيعتك فهو واقعٌ من اعتداده وودادي ، موقع
الماء من ذي الغلّةِ الصادي^١ ، وما خططتُ له بيدي ، إلا تكريمةً لأمره ،
ومبالغةً في بره ، لمكانه عندي ، وتفعلُ يا معتمدي ما تحصلُ به على العاطرِ
من شكري وحمدي ، إن شاء الله .

وله من أخرى : أكرم يد - أعزك الله - بطوقها المرء جيداً مجده ،
ويزينُ بها ديوانَ حمده ، ما سدَّ خلةً من حسيب ، أقعدته يدُ الدهرِ
المريب ؛ ومُوصِلُهُ - وصل الله حُرْمَتَكَ بالسلامة من نكدِ الأيام -
ابن المستعين بالله^٢ - رضي الله عنه وأرضاه - توسَّلَ بي إلى مكارمك في
ترقيق حالته ، والرمّ لحوائته ، لما جفَّتْ غضارته < وعوَّضَ نكدَ العيشِ -
من رغد النعمة ، وَحوَّلَ إلى الضيق بعد السعة ، وإلى التجوّل من الدعة ،
ومثلك - ولا مثيلَ لك - رقاً لما به [. . .] شرفه ونصابه ، واغتنم

١ مقتبس من قول القطامي :

فهن ينبدن من قول يصبن به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

٢ المستعين بالله هو أحمد بن هود ، ولعل هذه الرسالة شفاعة في أحد أولاده بعد النيات حال
بني هود في سرقطة وإخراج أهلها لأحمد عماد الدولة وهو ابن المستعين (سنة ٥٠٣)
من سرقطة .

الصنيعة ، وحققَ ضماني عنده وما يرتجيه ، فانك ستجزى بما تسديه ، أجمل الذكر ، وأحفل الشكر ، مع الأجر المغبوط ، والذخر المحوط ، والله لا يُعَدِمُكَ ارتهانَ المننِ وارتباطَ الأحرار ، ويحرسُكَ من حوادثِ الليلِ والنهار .

وله من أخرى : لم تَزَلْ - أعزَّكَ الله - من الظلم مَعَصراً^١ ، وعند عماءُ مُبَصَّراً ، وعلى الخير مُعَاناً ، وللفضل عنواناً ؛ وموصِلُ كتابي له طلبٌ قد دَثِرَ طَلَلُهُ ، بالأفق الذي بك ازديانُهُ وتجمُّلُهُ ، وتوجَّهَ باذنِ المظفر لاستخراجه ، وتشخيصِهِ على منهاجه ، ولا غنىَ به عن كريم مؤازرتك ، ومعلومِ سيادتك ، برأيٍ حسنٍ يظهرُ فيه ، يكونُ معه دنوٌ وطيرُهُ وتأتُّيهِ ، وأنا أسألُ سنالك العنايةَ بأمره ، وإيثَارَ العدل الذي لستَ مع^٢ غيره ، وللرجل إليَّ أذمَّةٌ قديمة ، وقد استوجب على علاك بذلك ، غايةَ محافظتك واهتبالك ، وهو موردٌ عليك شأنُهُ ، ومظهرٌ إليك برهانه ، وفضلك في الاصابة إليه ، والدلالة على ما حُزَّتْ به الصواب من طرفيه ، مرتهاً حمدي ، ومعيداً للبد البيضاء عندي .

وفي فصلٍ من أخرى^٣ : ومؤدِّي كتابي هذا لما تناكرتُ له الأيام ، وأعوذُهُ في استصلاحها المرام ، آثرَ جوارِي [١٦ أ] وقصدَ داري ، وما انتقل من ظلكَ إلا إلى ظلك ، ولا تعوَّضَ من محلِّكَ إلاَّ بمحلِّكَ ، فسكنَ سكونَ المريح من تعبهِ ، البعيدِ عن نوبهِ ، ينتظرُ أن تنظرَ إليه عواطفك ، وتستجدَّ عليه عوارفك ، حتى إذا كان الآن ، ورأى عنانَ

١ المعصر : الملجأ .

٢ م : من .

٣ د ط س : ومن أخرى .

زمانه قد لان ، نبهني ونام ، وذكرني الذمام ، فوكلتُ عزمي برعيه
توكيلاً ، واستقبلتُ وجه كرامتي لديك تقبيلاً ، أسألك فضلك المجهود ،
وشرفك المسود لا المسود ، في أن ترفع عنه إساءة الحادثات ، وتجمع
له شملاً^١ من يد الشتات ، وتوجد له سنن الحاجات إليك سهلاً ، وتقول
لذي العداوة فيه مهلاً ، وهذا — أعزك الله — يُربي^٢ لك ما سلف من
الأيادي ، ويخطُ سطورها لك في سواد^٣ فؤادي ، وأشكرك عنه كما
شكر الروض صباه ، والعمر صباه .

وله من أخرى إلى ابن العطار ، وقد ثبت له الوزارة : في إحاطتك
الوافية ، ودرايتك الوافرة ، أني بك راجع ميزان الذخير ، منهل ماء
الفخر ، ثري أرض الود ، عطر رائحة العهد ، وأن بشراي تتابعت أن
هلالك في الوزارة طلع بدرأ ، وأن ندائك بها صار شفعاً وكان وترأ ، فقلتُ :
ساقها شغفها ، وزانها شرفه لا شرفها ، فليهنها حلولك بفرقدتها ،
وجمعك بين نسريها^٤ ، وأنتك مقلدها^٥ من خللك فذآ وتوأم^٦ ،
وملبسها^٧ من صفاتك طرُزاً وأعلاماً^٨ ، حسن يقين ، ومثابة^٩ دين ،

-
- ١ د ط س : شملاً له .
٢ م ط : يرب ؛ س : يدب .
٣ سواد : سقطت من ط د س .
٤ ط د س : شاقها .
٥ م : وزانه .
٦ ط د س : نيريها .
٧ ط د س : تقلدها .
٨ ط د : وتوأم ؛ س : وتوأم .
٩ ط د س : وتليسها .
١٠ ط د س : وعلمها .
١١ ط د س : ومثابة .

وطيبَ جذم ، ورسوخ ورعٍ وعلم ، وأدباً^١ كالروض نبّه الصبا ،
وكرماً كالغيث غمرَ الربى ، ولقد قعدتُ للتهنئة فأقبلتُ إليَّ هواديا ،
وانثالتُ عليَّ من حواضرها وبواديها^٢ [جميعهم يضحكُ وَيُسِرُّ ، ويقول
لكلِّ أناسٍ في جميلهم خير ، أوله كلامي ، وإليك مقامي] فان تقدّمتُ
فبفرطِ الهبة ، وان تأخّرتُ فلِعِظَمِ الهيبة .

ومن رسائله^٣ في الدعابة والهزل

فصل له من جواب على كتاب [عتاب] لابن عبدوس^٤ لتقديمه
صاحبيه ، في عنوان رقعة عليه :

وردني من لدنك كتابٌ كريم^٥ انهلّت عليَّ منه سحائبُ^٦ فكاهتك
ودَقّاً ، فلم يترك لي من فرطِ الضحك شِدْقاً ، مما عَذَّبَ استماعه ،
وذهب بالإبداع اختراعه ، وان كنتَ قد تعدّيتَ طورك ، وغلبتَ
ظنك وحكمتَ جورك ، ولم تحاسبَ نفسك عند الهجوم ، بما تقلّعُ عنه
من الإفحام والوجوم ، إذا أقيمتُ عليك المحجة ، وسدّتْ دونك مناهجُها ،
وعرّضتَ عليك المحجة ، وضاقَتْ عنك مخارجُها ، وعلمتَ أنك مذنبٌ
فيما فعلتَ ، منتشِبٌ [١٦ ب] فيما دخلتَ ، ووقعتَ بين ندامةٍ واعتذار ،

١ ط د س : وآداباً .

٢ م : حاضرها وبواديها .

٣ م ب : ومن رسالة .

٤ المعروف بهذا الاسم من معاصري ابن طاهر هو أحمد بن عبدوس ، منافس ابن زيدون في
حب ولادة ، وقد توفي سنة ٤٧٢ .

٥ كريم : سقطت من ط د س .

٦ م : سحابة ؛ ط : سحاب .

وتوبة واستغفار ، ولو أنك تمنعُ نظرك ، وتدمن تدبرك ، لما طارت بك
فتحاءُ نشاطك ، ولما توهمت أنك إن جادلت لم أعاطيك ، كلا ، فإنَّ
خصمك لا يتنكلُ ، على أن لسانك الأطول ، فكيف أضعك أبا عامر
— كما زعمت — موضع قدحِ الراكب^١ ، وأنت بمنزلة ما بين العين
والحاجب ، وأصولُ بك على الأبعد والأقارب ، ولم أذهب إلى تأخيرك
في العنوان ، وإن كنت شيخ الأوان ، إلا عناية بك وتحقيقاً لدعاويك ،
فيما تنكره من سنينك ، وبقولك بملء فيك : إنك أصغرُ القوم سنّاً لا جسماً ،
ولقد شهدت لك بما قلت عدواناً وظلماً ، لأنّ ما يبدو من تغضبك يكذبني ،
وحسبي أنَّ العقوبة^٢ منك ما مطّلتني ، وهذا جزاء الافتراء ، وعاقبةُ
المساحة والإغضاء ، فأين عزبتُ عنك بوادِرُ فطنتك ، أم أين غرّبتُ
شمسُ فهمك وتبثيتك ؟ لقد أوليت اليد^٣ كفراناً ، وقابلت بالاساءة
إحساناً ، ولو أتي وفقتُ [لصدرت بك] ، إذ تجري هذه المعاني على
الأسنان ، ولدلت على ما يخفيه المقرض من شيبك ويعانيه من هرم شبابك ،
وقد ولاك قفاه [إعراضاً] وطلّقتك ثلاثاً ، فحينئذ كنت تحمدُ وتقول :
فدتك النفس والولد ، وإنها من الله لعظةٌ لأهل الزور ، وعثرةٌ منك
بينه العثور ، لا أقيلك فيها ، ولا أقول لك : لعا ، منها .

١ الراكب يعلق قدحه في آخر رحله ، وفي الحديث « لا تجعلوني كقدح الراكب » أي لا
تؤخروني في الذكر .

٢ اضطرِب النص هنا سهواً في ط د س : إذ ورد « فأين عزبت عنك بوادِر . . . » وهذا
سيرد بعد قليل .

٣ ط د س : الندى .

٤ منك : سقطت من ط د س .

ومن أخرى : وقد نظمت أنساً ، وبسطت مني نفساً ، كان نأيك^١ قبضها ، وفراقك أوحشها وأمرضها ، ولله هزلك ما أرقه وأعقبه ، وجدك ما أروقه^٢ وأعتقه ، إنك لفارس زمانها ، وغارس بستانها ، وإن كنت أنحيت في عتابك ، وأرييت في غلوائك لسجرائك^٣ في كتابك ، فانه حلوا من الرضى ، محمول بصحيح الهوى ، ولم أشك في الذي تضمنه من نزاعك [نحوي] ، والتياعك لبعدي ، وفي تلاحظ القلوب سلوة ، [وفي تسارب الكتب راحة ونشوة] ، أسأل الله إدالة^٤ الانتراح بقرب يُعجله^٥ ، على ما نؤمله .

وعرضت عليه رقعة رجل^٥ يتزهد^٦ ، وهو بالضد^٧ ، أطال فيها اللفظ بالوعظ وردد ، فأجابه ابن طاهر برقعة يقول في فصل منها : ورد كتابك فوعظ وذكر ، ونصح فبصر ، ونبه من سينة الغفلة ، واغترار المهلة ، [١٧ أ] وحذر من يوم الندامة ، وبعث يوم القيامة ، فيرحمك الله من هاد ، وخائف معاد ، ومبتغي إرشاد ، وداع إلى صلاح وسداد ، لقد حركت أنفساً قاسية ، وهزرت جندلة راسية^٨ ، قد تحكمت فيها ضلالها ،

١ ب م : تانليك .

٢ م ب : أوثقه ؛ ط س : أورقه .

٣ من قول أبي تمام :

قدك اتعب أرييت في الغلواء كم تعذلون وأنتم سجرائي

والسجراء : النظراء ؛ وفي م : بسخريائك .

٤ ط د س : ازالة ؛ م : إدالة .

٥ ط د س : لرجل .

٦ م ب : متزهد .

٧ وهو بالضد : سقطت من د ؛ وفي س ط : وهو بضد .

٨ م ب : قاسية .

وأفرطَ في الجَهالةِ إِيغالها ، فَمَعَوْتُكَ دُونها نَابٍ ، لا يُوْثِرُ فيها بظْفِرٍ
ولا نَابٍ .

وفي فصل منها : ولا يَغُرَّتْكَ ما ترى^١ فيه من سَمَتِ الوقار ،
ولزومِ الدار ، ومداومةِ^٢ التسبيح والاستغفار ، فتحتَ الرغوةَ مَذْقُ^٣ ،
ودون ذلك الشعار من الرياءِ فِسْقُ :

لا تَمْدَحَنَّ امرءاً حتى تَجَرَّبَهُ ولا تَذَمَّنَّهُ من غيرِ تجريبٍ^٤

استخبرُ مَنْ في أَفْئِكَ ، ولا تَطْلُقْ من عِنانِ قَلَمِكَ ، إلا بعد اجتلاء
اليقين ، وتحفَظْ من عَدُوِّ القرين ، فقد تعدي الصَّحاحُ مباركُ الحربِ^٥ ،
وأنا أربأُ بك من قالٍ وقيلٍ^٦ ، ومن ذا يَنْيبُ حينئذٍ لحجتك^٧ ، ويسفرُ
عن وجه القبولِ لمعذرتك ، كلاً ، فان الله لا يَدْتُسُ منك ظاهراً ،
ولا يلبسُ عليك ظاهراً ، بل يكشفُ إليك ما يصرفُ القولُ عنك ويعلمك
ما لم تكن تعلم .

وله من أخرى إلى بعضِ إخوانه وقد حضر محاصرةَ شاطبة : ورأيتَ
مآلَ الأميرِ بوقوعِ الحربِ ، وشروعِ النَّقْبِ ، وأنه وُضِعَتِ الملائيسُ^٨ :

١ ط د س : تعاين .

٢ د ط س : وادامة .

٣ ط : مذقة ؛ د : مذمة .

٤ البيت في فصل المقال : ٧٧ وهو من أبيات في حماسة البحري : ٢٣٣ تنسب لأبي
الأسود الكناني .

٥ هو من قول الشاعر :

جانيك من يجني عليك وقد تعدي ... البيت

٦ م : قيل وقال .

٧ س ط : يثبت ؛ م ب : بحجتك .

٨ الملائيس : المناكير من حديد .

فقلت : الآن حمي الوطيس . فأرجو أن يُصْحِبَ الظفر ، ويُسْعِدَ^١ القَدَر ؛ وحدثت أنه دُعِيَتْ « نَزَالِ » فكنت أولَ نازل ، فقلتُ لمحدثي : أمجدُ أنت أم هازل ؟ ! سيدي أشدُّ بأساً ، وأعزُّ نفساً ، من أن يَرى يومَ جِلاَد ، إلا على ظهرِ جواد ، فان لبس زَغَفاً ، هزم ألفاً ، وان تقلدَ صَمْصامةً ، لم يبقِ هامة ، ولكن أذكُرُه^٢ بهذه الشهامة ، قولُ أبي دلامة^٣ :

ولو أنْ بُرْغوثاً على ظهرِ قملةٍ يكرُّ على صفِّي تميمٍ لولتِ
وقوله :

إذا صَوَّتَ العصفورُ طار فؤادهُ وليثُ حديدُ النابِ عندَ الثرائدِ^٤

ووددتُ أن أنظرَ عند الصيحة إلى الحكيم أبي جعفر ، فتجتلي العينُ منه أحسنَ منظر ، وقد صفَّ مَراهِمَهُ^٥ ، وجمعَ دراهمه ؛ وأما جارئنا أبو الخطار ، ففي القنا الخطار ، وخصَّصَتْهُ بالتقديم للصدقة [والحوار] ، وأما الفقيه أبو مروان فرائح في قميصه المدلوك^٦ ، وعليه نصفُ جُلجلٍ من الوشي المحوِّك ، يحذرُ من الفرقة ، ويقصُّ على الفرقة ، وإنه لأُنْسُ في السِّفَر ، وزَيْنُ في الحضر ؛ وأما سائرُ الإخوان ، فأرفعهم لغير هذا

١ م : ويسعف .

٢ م ب : أدركه .

٣ البيت من شعر الطرماح ، ديوانه : ٦٣ ؛ ورواية الشطر الثاني في م ب : رأته تميم يوم زحف لولت ؛ اختار نسبته إلى أبي دلامة ، تهكماً ، وتشبيهاً لمن يتحدث عنه في الجبن بأبي دلامة .

٤ البيت لعمر بن ذي الأصبع العدواني ، انظر كتاب من اسمه عمرو : ٥٨ وروايته : إذا هتف .

٥ ط د س : مواهمه .

٦ المدلوك : المصقول .

الرهان^١ [١٧ ب] والله يبيحك ذخرًا للزمان ، وعينًا في الأوان .

وله من أخرى : خُذْ هذه النادرة ، من يدي هذه الطالعة الفاترة ، وأنجزْ لها مَجْدَكَ الموعود ، وصلْ عندها فضلكَ المعهود ، فإنها تقومُ مقامَ الجيشِ في الغناء ، وتصل الرواحَ بالغدوِّ في الثناء ، ولولا غُنَّةٌ [فيها] ، تلفُفُ فكِّيها وتلويها ، لكانت أحسنَ الناسِ وصفًا ، ولا سيما إذا مَسَحَتْ أنفًا ، بسبابتها عند الكلام ، وحدثتْ حديثَ مصر والشام ، فهناك يقطفُ الزَّهر ، وتغرفُ^٢ الدَّرَر :

• ولكن حديثًا ما حديثُ الرواحلِ^٣ •

فهي لا تنفعُ بشيءٍ سوى الحاصلِ العاجل ، فأقبلْ على شأنها لا زلتَ قبلةَ القاصِدِ والآمل .

وله من أخرى : [الشيخ أبو الفضل لما] استبدل الجارَ ، أنكرَ الدارَ ، فحصل من وساوسه في بيتٍ وبالٍ وسقوط ، وخشي أن يُظَنَّ أنه من بقيةِ قومٍ لوط ، وأنتى له ويُعطى هذه الدرجةَ ، والسَّقْطُ يحرقُ الحَرَجَةَ^٤ ، ورغب عن تلك الدارِ مُتَحَوِّلًا^٥ ، وقصد مجدك لا يبغي سواه معولًا .

ومن أخرى : هذه — أعزَّكَ الله — عريضة^٥ من رأسِ الصباح ،

١ ط د س : الزمان .

٢ د ط س : يقطف . . . ويعرف .

٣ شطر بيت لامرئ القيس ، وصدره « فدع عنك نهباً صيح في حجراته » .

٤ السقط : الشرر عند القدح ، يقال للأمر الصغير يجرُ أمراً خطيراً .

٥ ط : غريدة ؛ د : غريرة ؛ س : عزيرة .

وَسُورَةٌ^١ شَدِيدَةٌ من الاقتراح ، وقد وَرَدَتْ مستورة^٢ تحت الظلام ، محفوظةً بالختام ، فَأَقْسِمُ لقد قطعنا الليلَ بها ضَحِكًا وتعجبًا ، فما عندنا إلا من ودَّعَه صباه ، وودعته نهاه ، وقد كان في الحل^٣ ما يكفي فهو نعم الإدام ، كما قال عليه السلام ، ولكن أردت أن يكون لك في كل بر^٤ مقام ، وقلت : هذا الحلو الحلال والحرام ، ولولا أن الصبا عني ولّى ، لرشفناه^٥ رشفًا ، واستزدناك منه ضعفًا .

وله من أخرى : هذا الحلبي^٦ [أعزك الله] يوافي ذراك^٧ وماء الحجل يقطرُ من وجنّاته ، ويستغفرُ لذنب^٨ لم يكن - علم الله - من جنّاته ، وهو علق^٩ كما تراه لا علك ، وعند الشميم ند^{١٠} أو مسك^{١١} ، فاشددْ يدك به ولك الربح^{١٢} ، واسمحْ له ومن عوائدك^{١٣} السّمح^{١٤} ، ومن الظلم أن يُحَلَّتِي بغير حلاه ، فيقال كذوب^{١٥} والصدق^{١٦} منجاة^{١٧} ، أو يقال بذي^{١٨} ، والعرض^{١٩} نقي^{٢٠} ، ومثلك رق^{٢١} لِعُزْبَتِهِ ، وكشف من كربته ، فاجتلي الشكر^{٢٢} في غلائله ، واعتبق^{٢٣} المجد^{٢٤} في غدائره ، لا بَرَحَ الحمد^{٢٥} من ذخائره .

١ د ط : سورة .

٢ د ط س : منشورة .

٣ ب م : الأجل .

٤ د ط س : لك من ؛ ب م : له في .

٥ م : يوم .

٦ الحلبي : سقاء دبق بالحلب ، وهو نوع من النباتات ؛ ط د س : الحلي .

٧ د ط : دارك .

٨ ب : للذنب ؛ ط : من ذنب .

٩ ب : عدائك .

١٠ ب : بدي ؛ ط د م س : بري .

وفي فصل من أخرى : مرَّ بنا كاتبُك^١ السريُّ وأمامه وزراؤه^٢ ،
عصابةٌ كأنَّها الخطي^٣ ، وقد حَفَّفَ من حواجبه ، وأحْفَى من شواربه ،
وهو يتفكَّه^٤ ، من قادمتي حمامةِ أَيْكَة^٥ ، كمن تصنَّع وترَفَّع^٦ للقافية
فلا تواتيه^٧ ، فسألته عنك فقال بفتور : هو - أعزّه الله - لي سنانٌ وأنا
له مِجَنٌّ ، فقلتُ : قرَّتْ بكما عينٌ ، لقد تخرُجُ من الحربِ [١٨ أ]
بظهر المحتطب ، إن لم يكنْ لكَ درعٌ تَقِيكَ من القنا السُّلْبِ ، وأستغفرُ
الله مما يَجْنِيه^٨ ، على أنَّ الصدقَ لا إثمَ فيه ، ووجب إعلامُكَ بنادرة
هذا اللبيب^٩ ، فانها من الغريب ، لا برحتَ في كلِّ شَيْءٍ عَيْنَ المصيب ،
ومن كلِّ فضلٍ وافرٍ النصيب .

ومن أخرى : لا بدَّ للنفوسِ أن ترتاحَ ، وللنوادِر أن تُستَباحَ ، وفلان
أصابتهُ طارقة ، وابنةُ الكَرَمِ له معانقة ، فتفتتُ عنه كلَّ رِيشَةٍ ،
[وتركته في أسوأ عيشة] ، وإني لأعجبُ من غفلاته ، والحذرُ في مشتبهاته ،
حتى لقد يكونُ حارسه من اللصوص ، وأمنعَ من البنيانِ المرصوص ،

١ ط : كتابك .

٢ م ب : زواره .

٣ ب م : الحصى .

٤ فيه إشارة إلى قول النابغة :

تجلو بقادمتي حمامة أَيْكَة برداً أسف لثاته بالاثمد

أي انه يبتسم عن شفتين لمياوين .

٥ س : كم يقترح ويديع ؛ ط : كم يقنع ويريع .

٦ د : بالاولية ؛ م : بلا رسه ؛ س ط : وليه (دون إعجام) .

٧ ط : يجنب ؛ د : يحيب ؛ س : يحجب (دون إعجام) .

٨ ط د س : البيت .

ومثلك رقاً له وأولاه^١ ، وعطف عليه لما دهاه ، وكان حسناً ، لو التمس له سكناً^٢ ، تكون من شرطه ، ومن خير^٣ رهطه ، فيقطع بها الليل الطويل ، وينفي معها الهمم الدخيل .

وله من أخرى : أذكرُ سروك بالشيخ ابن القزاز أن تخلطه ببالك ، وتجعله من عمالك^٤ ، فسيحوك لك من الثناء بروداً ، وينظم عليك من لآلي الحمد عقوداً^٥ ، فإنه قد ترشح للخطبة ، وتبجح لحلاوة الضبطة^٦ ، وشمّر عن ساقيه لمركب الغبطة ، وأخاف أن يكون من مراكب السلف ، التي تحدى بأند خلف ، فهي لاصقة بالأرض ، مقيمة على شدة الرخص ، ففَضْلُكَ بالتعجيل ، مستبداً بالشكر الجزيل .

ومن فصلٍ من أخرى : مثلي ومثلك مثل رجلٍ من العرب ، استقرى عقيلة ربّ ربّ ، بل^٧ سليفة فضلٍ وحسب ، فأجزلت قِراه ، وأكرمت مثواه ، فلما اطمأن المجلس ، وانتظم التأنّس ، سعت إلى بعض أوطارها ، فراقه ما تحت إزارها^٨ ، فجعل ينشد^٩ :

١ س ط : وآواه .

٢ السكن : الزوجة ؛ ط : مسكناً ..

٣ س ط : جيد .

٤ د ط س : وتخلطه بأعمالك وتجعله من عمالك .

٥ م : برداً ... عقداً .

٦ م ب : السبطة .

٧ بل : سقطت من ط د س .

٨ د ط س : أزارها .

٩ هو نهشل - أو سهل - بن مالك مر يحي من طيء فأكرمت مثواه أخت حارثة بن لام ،

فلما بهره جماها أنشد هذه الأبيات (انظر فصل المقال : ٧٦ والميداني ١ : ٣٢) .

يا أَخْتَ خَيْرِ الْبُذُرِ وَالْحَضَارَةِ ۖ مَاذَا تَرَيْنَ فِي فِتْنِ فِزَارَةِ ۖ
أَصْبَحَ يَهُوَى حُرَّةً مِعْطَارَهُ ۖ لِإِيَّاكَ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَهُ

وكذلك غَيْرُكَ^١ الْمُخَاطَبُ فِي شَتُونِي وَأَنْتَ الْمُرَادُ ، وَإِلَيْهِ^٢ الْإِيْمَاءُ ،
وَفِيكَ يَبْدَأُ الْقَوْلُ وَيُعَادُ ، وَلِلَّهِ أَنْتَ مَا أَعْطَرَ خِلَالِكَ ، وَأَكْثَرَ اهْتِبَالِكَ ،
لَا زَالَتْ أَبَادِيكَ كَالْأَطْوَاقِ ، وَمَعَالِيكَ مَعْطَرَةُ الْآفَاقِ .

ومن أخرى : الْكَرِيمُ يَلِينُ بِالْهَزَةِ^٣ ، وَلَا سِيْمَا بِجَنَاحِ الْإِوْزَةِ ، وَقَدْ
وَأَفْتَكَ عَارِيَةً مِنَ الرِّيشِ ، خَالِيَةً مِنَ الْحَشِيشِ^٤ ، تَمَتْ لِيْلِكَ بِسَالِفِ
الذَّمَامِ ، وَصَالِحِ الْإِيْتَامِ ، وَقَوَامُ عَيْشِهَا أَنْ تَهْيِءَ^٥ لَهَا غَدِيرًا ، وَحِمَى
كَثِيرًا ، فَفَضْلِكَ فِي أَنْ يُصَحِّبَهَا^٦ رَأْيُكَ الْجَمِيلِ ، بِخِدْمَةِ وَإِنْ قَلَّتْ ،
وَكَلَّا فَلَيْسَ مِنْكَ قَلِيلٌ ، وَتَسْتَجِدُ فِيهَا مَنَافِعَ جَمَّةَ ، مِنْهَا أَنْهَا تَكُونُ مَرْوَحَةً
عِنْدَ السَّمُومِ ، وَمُضْحَكَةً لَكَ عِنْدَ الْوُجُومِ ، فَإِذَا رَأَيْتَهَا وَصَوَّاحِبَهَا فَوْقَ
[ظَهَرَ] الْمَاءِ ، رَأَيْتَ أَبْدَعَ الْأَشْيَاءِ [١٨ ب] تَحْسِبُهَا سَفِينًا فِي الْعِيَانِ ،
وَكَأَنَّهَا بَعْضُ مَرَابِضِ الْغَزْلَانِ ، وَلَوْ جِئْتُ أَنْ أَعْدِدَ أَوْصَافَهَا لَطَالَ الْكِتَابُ ،
وَامْتَدَّ الْإِسْهَابُ ، [فَاغْتَنِمَ سَمَاحَ الزَّمَانِ بِهَا ، وَأَنْزِلْهَا] مِنَ الْبَرِّ فِي أَسْنَى
مَرَاتِبِهَا ، وَإِلَى فَلَانٍ هَذَا الْإِيْمَاءُ وَهُوَ التَّصْرِيحُ ، وَعَنْهُ الْكُنْيَاةُ وَهُوَ
النَّسَبُ^٧ الصَّرِيحُ .

١ ط د س : غَيْر .

٢ ب م : وَالْيَك .

٣ ب م : بِالْهَمْزَةِ ؛ ط س : بِالْمَهْمَزَةِ .

٤ م ب : الْحَشِيشِ .

٥ د ط س : تَهْيِج .

٦ د ط س : يُصَحِّبَهَا .

٧ ط د س : السَّبَب .

وفي فصل من أخرى : وكأني أنظرُ اليك وقد استحرَّ الجلاّدُ ،
وأدركك الإعجاب ، وهانَ عليك الكتاب ، وأنت تقول ، من فرط ما
تصول^١ :

إني انصرفت^٢ وأقلامي قوائِلُ لي المجدُ للسيفِ ليس المجدُ للقلمِ
اكتبُ بنا أبداً قبل^٣ الكتابِ به فاتماً نحنُ للأسيافِ كالخدمِ
لا تعجلُ ، فلها حجاج ، كأنها زجاج ، تُفَرِّى بها أوداج ، ولربَّ
جيشٍ هزمته ، ومُلكٍ هدمته ، والله تعالى نعمةٌ عظيمةٌ فيما كان من الفتح ،
جاءتْ كفلَقِ الصبحِ ، تبشّرُ دولةَ الإسلامِ ، بالنصرِ وارتفاعِ^٤ الأعلامِ .

ومن رسائله^٥ في التعازي وما يجانسها^٦

فصل له من رقعة إلى ابن رزين يعزيه في أبيه^٧ : كتبتُ لهفانَ وقد
أسمعَ الناعي ، فأضرم نار الأسى بين أضلاعي ، للرزيةِ العظمى ، التي
رمى سَهمُها فأصمى ، بوفاة مَنْ جُمِعَتْ فيه المحاسنُ والخلال ، وزال
كما تزولُ الجبال ، وقلَّ له المُشابهُ والنظير ، وماتَ بموته البَشَرُ الكثير ،
الحاجب ذي الرياستين أيبك ، ربَّ الشرفِ الصميم ، والحسبِ العِدِّ

١ البيتان للمتنبي ، ديوانه : ٥١٢ .

٢ رواية الديوان : حتى رجعت .

٣ الديوان : بعد .

٤ ط د س : وإيقاع .

٥ ب : رسالة .

٦ وما يجانسها : سقطت من د ط س .

٧ توفي ذو الرياستين سنة ٤٩٦ هـ ، وهذا قد يعني تاريخ هذه الرسالة .

الكريم ، أوسع الله رحماه ، وجعل الجنة مأواه ، فانا لله وإنا إليه راجعون ؛
على الرزية فيه ، ليتني بالنفس أفيده^١ ؛ فأما القلبُ فمُنحَلٌّ ومُنْسَلَبٌ ،
وأما الدمعُ فمُنْهَلٌّ ومنسكبٌ ، سقى الله جَدَثَهُ سَبَلَ القطرِ ، ونفعه بحسنِ
المذهبِ وجلالةِ القدرِ ، وجزاه جزاءَ المحسنين ، وأنزله دار المقامةِ في
عليين ، وهناك الله ميراثَهُ من الرياسة ، ومكانهُ العليَّ من النفاسة ،
ومنحك العمر الطويلَ ، وأمتك العزَّ الظليلَ ، وساعفك بكلِّ ما تهواه
الزمانُ ، ولا زال بك يَتَجَمَّلُ ويزدانُ .

وله من أخرى : كتبتُ وقد وافاني كتابُكَ بما أطال ليلى وأسهر
عيني ، وحال بين التماسكِ وبيني ، للنازلةِ الفاجئةِ ، والحادثةِ الفاجعةِ ،
في المتوفاة^٢ - نضر الله وجهها وقدَّس روحها^٣ - فلقد رميتني الأيامُ
بشكْلِها فأصابَتْ مني صميماً ، وسلبتني علقاً كريماً ، وأنساً عظيماً ، وأبقت
بقلبي ندوباً ، وتركتني على العزاءِ مغلوباً ، فانا لله وإنا إليه راجعون^٤ ،
تسليماً له فيما قضى ، وقولاً يوجبُ عنده الزُّلْفى والرضى ؛ وهو الحِمَامُ ،
والموتُ الزُّوَامُ ، جعلنا [١٩ أ] الله منه على حذر ، ووفّقنا منه لخيرِ
عملٍ ونظر .

وله من أخرى^٥ : وتوفي فلان - عفا الله عنه - وكان البقيةَ التي

١ أوسع الله . . . أفيده : سقط من د ط س ، وورد في موضعه « وفي فصل منها » .

٢ د ط س : بوفاة فلان .

٣ نضر . . . روحها : سقط من د ط س .

٤ م : رمانى الزمان ؛ ثم الأفعال على التذكير : فأصاب ، وسلبني ، وأبقى وتركتني .

٥ وإنا إليه راجعون : سقطت من ط د س ، وكذلك حيثما وقعت .

٦ د ط س : وفي فصل من أخرى .

يُؤَنَسُ لبقائها^١ ، وَيُعَشَى إلى أضوائها ، فاختلستهُ المنيّةُ ، وفجعتُ به الدنيا الدنيّةُ ، فمن شأنها أن تذهب بالأفاضل ، وتخيّم^٢ على الأمائل ؛ نقله الله إلى رضوانه ، وحفّته بغفرانه ، وأحسن العزاء عنه ، وإن عزّ العوّضُ منه .

وأما عهدنا فقد درّسَ منه^٣ العهدُ ، بخطوبٍ يُتَمَنَّى معها الفقدُ : بلادُ لحقها التغييرُ ، واستولى عليها التدميرُ ، وأكلتِ الجوعَةُ بنيها ، وتعطلّ الشرعُ والدينُ فيها ؛ فلا صلاةَ تُجمعُ ، ولا منبرَ يُرْفَعُ ، والكلُّ ذاهلٌ ، وفي حوضِ الردىِ ناهلٌ ، فلينحُ على الإسلامِ نائحٌ ، وليُسجبهُ صدىٌ من جانبِ القبرِ صائحٌ .

وهذا محلولٌ من شعرٍ لتوبة^٤ بن الحمير ، ويتعلّقُ بذيله خبرٌ رواه أبو عبيدة قال^٥ : إن ليلي الأخيلىّة مرّت مع زوجها في بعض نُجَعِهِمْ بالموضع الذي فيه قبرُ توبةَ ، فقال لها زوجها : لا بدّ أن أعرجَ بك إلى قبره كي تسلّمِي عليه ، وأرى^٦ هل يجيبكِ صداه كما زعم حيث يقول : ولو أنّ ليلي الأخيلىّة سلّمتُ عليّ ودوني جندلٌ وصفائحُ لسلّمتُ تسليمَ البشاشةِ أو زقا إليها صدىٌ من جانبِ القبرِ صائحٌ فقالت له : وما تريد من رمّةٍ وأحجارٍ ؟ قال : لا بدّ من ذلك ، فعدل بها عن الطريق ، فلما دنت راحلتها من القبر ورفعت صوتها بالسلام

١ ط د س : ببقائها .

٢ ب م : وتخم .

٣ م : منا . ٤ م : قول توبة .

٥ أثبت صاحب الأغاني (١١ : ٢٢٩) رواية أخرى وفيها أن ليلي هي التي أصرت على التسليم .

٦ ب م : حتى أرى .

عليه ، إذا بطائرٍ قد استظلَّ بحجارةِ القبر من فيح الهاجرة وطار فنفرَ راحلتها فوقِصَّتْ^١ بها فمات . وهذا اتفاقٌ غريب ، وحديثٌ في هذه الهامة عجيب ، وهي على ما زعم الأعرابُ طائرٌ يخرجُ في القبر من رأس القتيل فلا يزالُ يقولُ^٢ : اسقوني ، اسقوني ، حتى يؤخذَ بثاره ، وفي ذلك يقول الآخر^٣ :

يا عمرو إلا تدعُ شتمي ومنقصتي أضربك حيث تقولُ الهامةُ اسقوني وهذا الخبرُ في شعرهم أشهرُ من أن يذكر .

وله من أخرى : الدنيا - صرفَ الله عنك صروفها - على الفجائع مبنية ، [وقصّارها كدرٌ أو منية] ، وإن الحازمَ من وطنٍ لأحداثها ، وأيقنَ بانتكاشها ، فأوسعها صدرًا رحيباً ، وقلباً صليباً ؛ وكتبتُ والدمعُ محذور ، وقد حممَ قضاءً ونفدَ مقدور ، بوفاةِ الولدِ الطيبِ المبارك أبي عبد الله ابننا ، وقرّةِ أعيننا ، كان - نصر الله وجهه ولقاه رحمته ومغفرته ، ورفع في دار المقام منزلته^٥ - فناهيك بأسفي عليه وتوجّعي ، وما أوقد [١٩ ب] نارَ^٦ الأسى بين أضلعي ، فانه كان مرجوًّا في الأبناء ، معدوداً في النجباء ، للسيادةِ مرشّحاً ، وبالفضائلِ مؤشّحاً ، ينهلُ الخيرُ من أعطافه ، ويعجبُ الدهرُ من أوصافه ، أكرم به من سليل ، كان على أحسن خليقة وأهدى [طريقة وأقوم] سبيل ، ولكن يأبى الله إلا ما

١ وقصت بها : كسرت عنقها ؛ وفي ط د س : فرقصت بها فوقمت .

٢ ط س د : يصيح .

٣ هو ذو الاصبع العدوانى ؛ انظر المفضليات : ٣٢١ .

٤ قد تقرأ في ب : بولد الولي .

٥ المبارك منزلته : سقط من د ط س .

٦ نار : سقطت من د ط س .

يريد ، فأسعد بجواره ونعم السعيد^١ .

ومن أخرى : كتبتُ مُجْمِلاً ومختصراً ، ومنتحياً مستعبراً^٢ ، وأعزّزُ عليَّ بأنَّ أعزّي^٣ مخاطباً ، ولا أكونَ مشاهداً ومواظباً ، وإنَّ المقدمَ لحرمة ، لفائزٌ من الله بآتم نعمته ، فسلوا^٤ - أعزكما الله - عن الحادث^٥ ، سلوا^٦ ، ودعاءً إلى الخالقِ مرجوًّا ، في أن يكشفَ عنكما الغمَّاءَ ، وينيرَ بكما الظلماءَ ، وأبشرا على الصبر الجميل ، بالأجرِ الجزيل ، وما حطَّ ما أصبتما به مِن قَدَرٍ ، وإنما حطَّ من وِزْرِ .

وله من أخرى :

* عيدٌ بأية حالٍ عدتَ يا عيدُ *

عاد والله بفيضِ الدموع ، وفضِّ الضلوع ، ومفارقةِ الأعزَّةِ الجلَّةِ^٥ ، ومحالفةِ الأسى والذلةِ ، فتوهَّم^٦ - أبارك الله من نُوبه - ما بقلبي من تلهبه ، للحال التي أنتم عليها^٦ ، وكيف مُقامي ، وانتحابي واحتدامي ، ولكنتي ضارعٌ إلى الله أن يغفرَ الذنوب ، ويكشفَ الكروب ، وإنا لله وإنا إليه راجعون على هذا المنظرِ ، في هذا اليوم الأكبر ، وقد عهدناه أغرَّ وضاحاً ، يُعيدُ الليلَ فجرًا وصباحاً ، وهو المرجوُّ لتلافينا ، والإقالةِ من عثراتنا ومهاوينا .

١ ولكن السعيد : سقط من د ط س .

٢ د ط س : ومعتبرا .

٣ ط د س : أكون .

٤ م : الحادثات .

٥ د ط س : والأجلة .

٦ د ط س : بها .

وله من أخرى : أيُّ ذهنٍ - أيُّدك الله - ينطاع ، أم أيُّ كلامٍ يُستطاع ،
واللسانُ معقول ، والفؤادُ منقول ، والدمعُ هامرٌ ، والشجورُ دائرٌ ، لما
طرقتُ به الأيام ، وقرعَ به الحمام ، حين صرخ بالمجدِ ناعيه ، ونفضتِ
التربَ يد مواليه ، وقامت للبكاء نوادبه ، طوراً تؤبنه^١ وطوراً تخاطبه :
[وكان حصاداً للمنايا ازْدَرَعْنَهُ^٢ فهلاً تركزَ النبتَ ما كان أخضراً^٣

ذلك بحر السياب ، من المقتبل الشباب] ، مخيلة الرجاء ، وسلالةِ
الرؤساء ، مولاي ، كان - قدس الله روحه وآنس بالعفو ضريحه^٣ -
مَنْ ، والله ، جدعَ لفقده أنفُ المكارم ، وصدعَ من شملها المتلائم ،
وانحسر به عن الدنيا زِينُهَا ، وفقدت بل فُقِثَتْ منها عينها ، فهي عاريةٌ
عوراء ، ثاكلة غبراء^٤ ، نخطب ما سكَّ المسامعَ شكلُهُ ، ولا صكَّ
الحدودَ مثله ، هَدَمَ ، والله ، جَلَدِي ، وَجَدَمَ يدي ، وقصمَ ظهري ،
وعاضني من عُرْفِي بِنُكْرِي ، وَعَصِبَ له باللهاءِ الريقُ ، وحالفني السهرُ
والتأريق ، وكيف لا وقد قَرَحَتِ الجفونُ ، وسال بالدم غرْبُها الهتون ،
[إذ رمى الدهرُ فأصمى ، وغيمَ فأعمى ، والحمد لله الحاكم ببقائه ،
العادل في قضائه ، وما أُصِيبَ - أيُّدك الله - من أثيب ، والصبرُ أحقَّ ،
وهو بك أليق :

وكلَّ فتىٍّ وإن أمسى وأثرى ستخلجه وإيانا المنونُ]

وفي فصل منها : وبالله أجلّ الأقسام ، لولا مقيّداتُ لي من الأسقام ،
لسرتُ إليك سِيرَ العَجُولِ ، وبادرتُ [٢٠ أ] بدارَ الثكول ، لأنتحبَ

١ ط د س : تؤبنه ؛ م : توانيه .

٢ البيت لأبي حزابة التميمي واسمه الوليد بن حنيفة (الأغاني ٢١ : ٥٩ ط . دار الكتب) .

٣ مولاي ... ضريحه : سقط من ط د س . ٤ ط د س : عبرا (عبري) .

شاهداً كما انتحبت^١ غائباً ، وأؤدي من مفترضات أياديك واجباً .

وله من أخرى : موهوب الدنيا - أيدك الله - إلى استلاب ، ومعمورها
إلى خراب ، ومطمعها كالأل والسراب ، تغافص^٢ ذا العزة ، وتقطع
درّة^٣ الدرّة ، وتخون^٤ ذا الثقة المييرة .

وفي فصل منها : فرع^٥ [والله] من الفضل ذوى ، ونجم^٦ في الرياسة
خوى ، أظلمت بعده الآفاق ، وأدرك تمامها المحاق^٧ ، وإلى الله الشكوى ،
فهو أضحك وأبكى ، والحمد لله على نافذ أقضيته ، ومحتوم قدرته ،
وهو المنهل^٨ ، لا يعمل^٩ منه الذي ينهل ، فالتماسك^{١٠} عند هجومه ألزم ،
ووفور^{١١} الأجر عند ذوي النهى أحزم .

وفي فصل من أخرى : أسرع اليك يا معتمد الفِطام^{١٢} ، وأقصدتك
للحوادث سهام ، وحملت ثقلاً لا يُطاق^{١٣} ، وتغيرت له الآفاق ، فقبحاً
لدنيا عفت^{١٤} بيدها جمالها ، وحدث^{١٥} لارتحال^{١٦} بهجتها^{١٧} جمالها .

ومن أخرى : كتابي عند ورود الخبر الصحيح بالتغلب على دانية
وتثقيف قصبتها ، وتملك معز الدولة - [استنقذه الله] - وهجوم المنية
على إقبال الدولة - [رحمه الله] - فاعجب^{١٨} يا سيدي من انتقاص الحال
بغثة^{١٩} على الفور ، وذهاب دولة السؤدد^{٢٠} والسرو^{٢١} ، على بُعد مرامها

٢ س : ذا .

١ ط د س : أنتحبت .

٣ م ب : لانهجت الى بهجتها .

٤ ط د س : بعده .

٥ ط د س : السرور .

٦ م : والسرور .

وشدة أركانها ، وعزة سلطانها ، أعاذنا الله من سوء القضاء ، وجعلنا في حيز الاحتماء . ولما وردَ هذا الخبرُ الذي يورد المنون ، ويسهرُ العيونَ ، طيَّرتُ به إليك على شرطٍ ما بيننا من التساهم في الأمور ، في القليل والكثير ، واللهُ يقي جانبك ويكفيه ، ويذبُّ عن قطرك ويحميه ، بقدرته [.

وفي فصل : يجبُ أن تعذرني - أعزك الله - إذا كتبتُ ، فالذهنُ كليل ، والقلبُ عليل ، والقول قليل ؛ وبلغني ما أصمتُكَ به الأيامُ في الصميم ، والظلُّ الكريم ، بوفاةِ الوالدة الطاهرة ، والجنةِ الساترة ، ألحفها اللهُ رحمته ، وألحقها جنته ، ومثلُكَ في رُجحانه ، لم تؤهِّ المصائب من أركانه ، بل سلَّم الله في حكمه ، واسترجع للخطبِ على عظمه ، فغَنِمَ الثوابَ ، [وعلمَ المآبَ] .

وله من أخرى يعزِّي بموت المقتدر : أيُّ خطب - أيُّدك الله ^٢ - طلعت به النوايب ، واسودَّتْ له المشارقُ والمغارب ، لقد تركَ شملَ الإسلامِ صديعاً ، وصيَّرَ عبْرَةَ الشؤون ^٣ نجيعاً ، بمن كنّا نلوذُ به : قريعِ الزمانِ ، ومُبيرِ العدا ومُولي الإحسان ، مولاي المقتدر بالله - نفع الله صداه ، وكرم مثواه - فلو درى الحمامُ بمن فجَّع ، لارعى أو توجَّع ، ولكن هكذا تزولُ الجبالُ ، وتنصرمُ الآمالُ ، وينهالُ السناءُ [٢٠ ب] وينهدمُ البناءُ . وفي فصل [منها] : وما أعملتُ يداً إلا والدمعُ منسجمٌ ، والشجوةُ

١ ط د س : تهذ .

٢ ط د س : أعزك الله .

٣ م ب : غرة الشرف .

٤ مولاي مثواه : سقط من ط د س .

مُحتدِمٌ ، وقليلٌ أن تطيشَ الأبوابُ ، وقد حلَّ^١ هذا المصائبُ ، وفي
مولاي الرجاء والعزاء ، وإليه الانتماء والاعتزاء ، لا زال يستقبلُ دهرًا
جديدًا ، وعمرًا مديدًا ، حتى يخلدَ ذكرًا مَشِيدًا ، وفخرًا تليدًا .

وله من أخرى : مالي أرى المجدَّ - أعزك الله - قد سُدَّتْ معالمه ،
وانهدتْ دعائمه ، بنفقد من كان يُغرقُ البحرَ فيضُ نواله ، ويكاثُرُ نجومَ
السَّماءِ بعضُ خِلاله ، واحدِ الدنيا ، وجامعِ العَلْيَا ، ومن كان يُطْرِقُ
الحِلْمَ لأناته ، ويحارُ الفهم من آياته^٢ ، ويعزُّ الدينُ بمكانه ، ويذلُّ
الشركُ لسلطانه ، مولاي المقتدر بالله - قدس الله روحه ، ونور ضريحه^٣ - .
وفي فصل : وإني لأعلمُ نَيْلَ الخطبِ منك ، وصَدَرَ الرزءُ^٤ عنك ،
وحيثُ انتهى [بك] البكاء والنعويل ، وغناءُ لعمرى لدى^٥ المصائبِ قليل ،
وما أعزَّيكَ وأترك نفسي ، وقد شردت ما سَكَنِي وأنسي ، ولكن أعرضُ
عليك مكانَ السلوة وقد لاح لي بدرُهُ ، بالرئيسِ الشهم^٦ المعظم قَدْرُهُ ،
الحاجبِ مولاي المؤتمن ، فذَّ^٧ العصر^٨ ، ومقتادِ كلِّ كريمة ، [وورَّادِ
كلِّ كريمة] مَنْ يحمي الحمى ، ويُسدي النُّعمى ، ويزاحمُ الأفلاكَ ،
ويبهرُ الأملاكَ .

١ د ط س : جل .

٢ ب م : آثاته .

٣ مولاي . . . ضريحه : سقط من ط د س .

٤ ط د س : الرزء .

٥ ط د س : الخطب .

٦ ب م : لذي .

٧ ط د س : السي .

٨ الحاجب العصر : سقط من ط د س .

وله من أخرى : أنتى يُستطاعُ الكلامُ - أبتد الله مولاي^١ - وقد
 اغبرت الدنيا وأظلمت الآفاق^٢ ، ونُعِي^٣ الإسلامُ ، وعني به الحِمَامُ ،
 وقامت نواذبُهُ ، وأوحشت مغانيه وجوانبُهُ ، ولكنني أقولُ عن صُعدائها ،
 وللعينِ غصَصٌ بمائها ، وللنفسِ تنَنَفَسٌ من بُرحائها : لقد مات منقطعُ
 القرين ، وكاليءُ هذا الدين ، مَنْ كان - والله - ينيِرُ إذا دَجَّتِ الخطوب ،
 ويثيرُ إذا عنَّ الهبوب^٤ ، ومن يملأُ الأفواهَ طيبُ ثنائه ، ويملكُ القلوبَ
 بشرُ لقائه ، ومن كان يرهَبُ الشركُ صَوْلَتَهُ ، ويخافُ العدوُّ وطأَتَهُ ،
 فبرَدَ الله ثراه ، وسقاه الحيا وروَّاه ، فلو يعلمُ الربُّ ما ضمَّ من كَرَمٍ
 ونائلٍ ، وحِلْمٍ إذا خَفَّتِ الحلومُ غيرُ زائلٍ ، لطاولَ السماءَ ، واعتنقَ
 الجوزاءَ ، ولقد قلتُ لما غالتني فيه الغوائل :

فما كان ما بيني لو آني لقيتُهُ وبين الغنى إلا ليالٍ قلائل^٥

وله من أخرى : الدنيا - أعزَّكَ الله - ليست بدارٍ قرارٍ ، والمرءُ منها
 على شفا جُرْفٍ هارٍ ، وإنما هي جِسْرٌ على الطريق ، وعدوٌّ في ثياب صديق^٦ ،

١ م : ايدك الله ، وسقطت العبارة من ط د س .

٢ س : وقد نعي .

٣ س : ذعر الهبوب ؛ ولعلها « الهبوب » .

٤ د ط س : ضمته . ه د ط س : لطال .

٦ محور بعض تحوير عن قول الخطيئة في رثاء علقمة بن علاثة (ديوانه : ٢٤) :

وما كان بيني لو لقيتك مالمَّا وبين الغنى إلا ليالٍ قلائل

ومثله ينسب للناطقة الذبياني (ديوانه : ١٩) .

فما كان بين الخير لو جاء سالماً أبو حجر إلا ليالٍ قلائل

٧ مقتبس من قول أبي نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشف له عن عدو في ثياب صديق

ولما بلغني وفاة فلان - [رحمه الله و] نضر^١ وجهه وبرّد ثراه - علمتُ
أنك الجبل الذي لا يرتقي الجزعُ ذراه ، وإن كان سهمُ المنايا أصابَ
حميماً ، واستلب كريماً ، فقد أبقي الله^٢ بك الصدّعَ مرؤوباً ، والجزعَ
مغلوباً .

ومن أخرى : كتبتُ والدمعُ وأكفُ ، والحزنُ عاكفُ ، للرزية
الشاملة ، والقاصمةِ النازلة ، في فلان ، فيا عظم ما [٢١ أ] دَهَمَت^٣
به الأيام ، وفُجِعَ فيه الإسلام ، فانا لله وإنا اليه راجعون ، تسليماً لنافذِ
القضاء ، ومقدّرِ الفناء ؛ ولقد نالني من الكرب لهذا الخطب ما لو شهدتهُ
لراعتك المنظر ، ولجعلتُ نفسك الكريمة تتفطرُ ؛ وخاطبتُ الحاجبَ
- أيد الله صبره ، وجبرَ صدّعه - مقيماً للرسم في تعزيتِهِ ، ولو استطعتُ
لنهضتُ بنفسي لقضاء الحق وتوفيته ، فنُبُ بفضلك عني مناباً [كريماً] ،
وأعلمه - أيده الله - تفجّعي وتوجعي ، وتأسّفي وتشيعي ، وفي بقائه
ما يسدُّ الخللَ ، ويمدُّ الرجاءَ والأملَ .

فصول اقتضبتها من كلامه في وصف ثغور البلاد والاستنفار للجهاد

فصل له من رقعة : استوضحتُ جميعَ تلك الأحوال التي وصفتها ،
والأحداث التي قصصتها ، فأكبرتُ وقوعها ، ثم عرفتُ للأيام صروفها

١ م ب : نضر الله . ٢ س : لنا .

٣ ط د : فلدحت . س : قدحت .

٤ ب م : والاستعداد

وصدوعها ، وتألّت لما يجري على المسلمين من نكدٍ فاضح ، وتلفٍ فادح ،
فليت شعري أين البصائر ، وحتّامَ تدورُ هذه الدوائر ، على رمق الجزيرة
وقد أشفى ؟ أما آن للنصر أن يتّبعَ [وللداء] أن يشفى ؟ نظر الله للكلِّ ،
وأراهم مواضع الرشد ، من العقدِ والحلِّ ، بمنه .

وفي فصل^١ : كتابي بعد أن^٢ وقفتُ على كتاب فلان^٣ الذي أودعه
ما ودّع من حيات^٤ ، ولم يدعْ مكاناً لمسلاة^٥ ، فانه للقلوب مؤذٍ ، وللعيون
مقذٍ ، وللظهور^٦ قاصمٌ ، ولِعُرَى الخزمِ فاصمٌ ، فليندبِ الإسلامَ
نادبٌ ، وليبكِ له شاهدٌ وغائبٌ^٧ ، فقد طُفِئَ مصباحُه ، ووُطِئَ
ساحه ، وقُصَّ جناحه ، وهيض عضدُه ، وغيض ثمدهُ ، إلى الله
نفزعُ ، وإليه نضرعُ ، في طارقِ الخطبِ ومتابه ، فلا حولَ ولا قوةَ
إلاّ به ، فهو كاشفُ الكروب ، وناصرُ المحروب .

وفي فصل^٨ : واتّصلَ بنا أنه أباد الديار ، في جميع تلك الأمصار ،
والمسلمون بينهم سوامٌ ترتّعُ ، وأمواهم نهبٌ يوزّعُ ، والقتلُ يأخذُ

١ القلائد : ٥٨ ، والرسالة الى المعتمصم بالله صاحب المرية ايام رياسته .

٢ كتابي بعد ان : سقطت من ط د س .

٣ القلائد : كتاب المنصور ملاذي المعتد بك ايدك الله .

٤ ط د س : ما أودع من حياة .

٥ م : للمسلاة .

٦ م ب : وللظهر .

٧ القلائد : نواديه شاهده وغائبه . .

٨ يذكر في الرسالة - كما اوردها صاحب القلائد - أن فرديناند نزل على قلعة ايوب محاصراً ،
وغرسية بسرقسطة ، ورذمير بوشقة وما والاها .

منهم فوق ما يدع ، فأطلِ الفكرة في هذا الحرم الداخل ، والبلاء الشامل ،
والله المرجو لكشف الغمة ، وتلافي الأمة ^١ .

وفي فصل من أخرى : ورد كتابك بالخطب الأبقع ، والحادث
الأشنع ، الجاري على المسلمين - نصر الله مقانبيهم ، وجمع على الائتلاف
مذاهبهم - في مدينة بربشتر ، وكانت صدرأ في القلاع المنيفة ، وعيناً من
عيون المدائن الموصوفة ، إلى ما سبق قبل في القلعة القلهرية وغيرها من
مهمات القلاع : الدروب ^٢ والمعاقيل ، وخطيرات الحصون والمنازل ،
فأطار الألباب ، وطأطأ ^٣ الرقاب ، [وصرم الآمال والهمم ، وأسلم
من الذلة والقلة إلى ما قصم] وانك رأيت الحال في معرض جلاها للنواظر
[عيانا] ، ووصل [٢١ ب] بينها وبين الخواطر أسباباً وأشطاناً ، فما
شئت من دمع مسفوح مراق ، ونفس مترددة بين لهاة وتراق ، وأسى
قد قرع حصيات القلوب فرضها ، وعدل عن المضاجع بالجنوب فأقضها ،
ومآل تستك من سماعه الأسماع ، وتضييق عن إيراد حقيقته الرقاق ، فالله
[يدرأ] في نحر ما فدح من الخطوب الكبار ويدفع ، وإليه نلجأ فيما أظأ
من عقيم الدواهي ونفزع ^٤ ، فمنه الغوث والانتصار ^٥ ، وعادة الإقالة إذا
جد العثار .

وفي فصل من أخرى : وإن الملاء الكريم - تكفل الله به - ورد وقد
امتطى العزم ظهراً ، واستشعر النصيحة سرّاً وجهرأ ، ووسّع نطاق البيان ،

١ ط د س : غمته . أمته .

٢ ط د س : مهمات الدور . ٣ في النسخ : فطارت . . . وطأطأت .

٤ ط د س : صدر . ٥ س ط د : يلجأ . . . ويفزع .

٦ ب م : والانتصار .

وندب إلى ما فيه ثبات^١ الإيمان ، وأعرب عما رأيته ورآه ، من في طاعتك من جموع المسلمين - وفقهم الله - من الاستنفار لأمر هذا العدو الذي قد سحب في الجزيرة أذياله^٢ ، وفوق للاستيلاء على حدودها^٣ نصاله^٤ ، لما تحقق له أن^٥ العزائم عن مقارعتة ناكلة ، والبلاذ من أعداد تقاومه^٦ عاطلة ، فبانت أصالتك وتفرد^٧ جدك ، وتجدد الحفاظ والانقاذ للملة الإسلام بجهدك ، وقد تعين البدار^٨ على كل رئيس ومرعوس ، ولزم الجهاد كل شريف ومشروف ، وقبيح على المسلم أن يحل إزاراً^٩ ، ويسوغ من الكرى غيراً^{١٠} ، وإخوته المسلمون بين مشدود بالإسار ، أو جزر النيوب والأظفار ، تالله ما في النصفة أن تسكن الظلال ، وأطواق حمله القرآن الأغلال ، [والله تعالى يصير الأيدي في الدفاع يداً ، ويعيد العدو المستأسد مهتضماً مضطهداً] .

ومن أخرى^{١١} : كتبت - أيّد الله أمير المسلمين - وقد وافى الخبر المبهج بأن الجزيرة المهتزمة - حماها الله - حلها إمامها العادل ، وسيفه العامل ، وليثها الخادر ، وقمرها المبادر^{١٢} ، فكان عندي كالماء للظمان ، والنجم للحيوان ، فقلت : خبر^{١٣} والله جلتي الشك من اليقين ، وشفى صدور قوم مؤمنين ، فالحمد لله رب العالمين ، إذ يقيم الله به للحق مناره^{١٤} ، ويحمي من الإسلام دماره ، فأنف^{١٥} الكبر أجدع^{١٦} راغم^{١٧} ، ووجه الظلم أسفّع^{١٨} قاتم^{١٩} .

١ س ط د : ثبوت .

٢ م : حصونها .

٣ ط د س : لما تحققه من أن .

٤ وتفرد البدار : سقطت من ط د س .

٥ سقطت هذه الرسالة من ط د س .

٦ ب م : المعاذر ؛ ولعل الصواب « المغاور » .

وودِدْتُ أَنْ أَسْعِدَ بَلْقَائِهِ ، وَأَسْتَظِلَّ بِلَوَائِهِ ، وَأَلِمَّ بِجَوَانِبِهِ ، وَأَسِيرَ فِي كِتَابِهِ ، فَأُنَالَ حَظًّا جَسِيمًا ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ٧٢) . ولولا أَنَّ العدوَّ - قصمه الله - بهذه الأقطار ، يَجُوسُ خِلَالَ الدِّيارِ ، فَلَا تَمَكُنُ الْمَسَالِكُ ، وَلَا تَتَوَرَّدُ الْمِهَالِكُ ، لَكُنْتُ أَوَّلَ وَارِدٍ مَعَ الْوَرَادِ ، وَلَقَضَيْتُ قَرَضَ الْجِهَادِ ، وَمَلَأْتُ عَيْنِي مِمَّنْ مَلَأَ الْبَسِيطَةَ عَدْلًا ، وَزَادَ الْفَضِيلَةَ فَضْلًا ، وَإِنَّ الْعَيْنَ لَتَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ، لَمَّا جَدَّتْ بِيَ الْأَيَّامُ [٢٢ أ] فِي الْقَطْعِ ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَفْسَحَ الْمَهْلَ ، وَيَرْفَعَ الْوَجَلَ ، وَيَبْرِئَ الْعِلَلَ ، وَيَبْلَغَ الْأَمَلَ .

وفي فصل من أخرى : وفيما ذكرتَ قَرَعُ الظَّنَائِبِ ، وَشَرَعُ الْأَنْبَابِ ، وَهَرَجُ يَشْمَلُ الْبَعِيدَ وَالْقَرِيبَ ، وَمَحْضُ وَدِي ، وَصَحِيحُ عَقْدِي ، وَمَا لَا يَشْكُ^١ فِيهِ عِنْدِي ، يَحْمِلُنِي لَكَ عَلَى الْإِنْتِصَاحِ ، شُحًّا مَنِي وَرَغْبَةً فِي الصَّلَاحِ ، وَحَسَمًا لِأَسْبَابِ الْفِتْنَةِ ، الَّتِي تَعْظُمُ مَعَهَا الْمِحْنَةُ ، فَإِنْ وَافَقَ قَوْلِي قَبُولًا ، وَكَانَ عَلَى أَحْسَنِ التَّأْوِيلِ مُحْمُولًا ، فَذَلِكَ الَّذِي إِلَيْهِ عَرَضْتُ وَلَهُ تَعَرَّضْتُ ، وَإِذَا كَانَ مَا سِوَاهُ ، فَهِيَ أُمُورٌ يَرِيدُهَا اللَّهُ .

وله من رقعة إلى ابن جحّاف أيام ثورة ابن عمّه بيلنسية^٢ : قد أَلْبَسْتَنِي - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مِنْ بِرِّكَ مَا لَا أَخْلَعُهُ ، وَحَمَلْتَنِي مِنْ ثَنَائِكَ^٣ مَا لَا أَضِيَعُهُ ، فَأَنَا أَسْتَرِيحُ إِلَيْكَ اسْتِرَاحَةَ الْمُسْتَنِيمِ ، وَأَصْرِفُ الذَّنْبَ عَلَى

١ ط د س : شك .

٢ انظر قلائد العقيان : ٧٠ و Recherches لدوزي ٢ : IV (من الملحّنات) .

٣ ط د س والقلائد : شكرك .

الزمن المستليم^١ ، وإنَّ ابنَ عمِّكَ - مدَّ الله بسطته - لما ثار ثورتهُ التي ظنَّ أنه قد بلغ بها السَّماكَ ، وبدَّ معها الأملاك^٢ ، نظر إليَّ متخازراً [متشاوراً]^٣ ، وتحيلني محاسداً أو منافساً ، ولعن الله من حسده جماها :

فلم تكُ تصلحُ إلَّا له ولم يكُ يصلحُ إلَّا لها

ثم تورَّم عليَّ أنفُ غرته ، فرماني بضروبٍ محمته ، وفي كلِّ ذا أنجرَّعُهُ على مَضَنِّه ، وأنغافلُ لغرضه ، وأطويه على بُلَلِيهِ ، وما أنتصِرُ بشيءٍ سوى عمله^٤ ، إلى أن رأى اليوم [سوء رأيه]^٥ ، ان يزيدَ في تعسُّفه وبغيه ، فاستقبلتُ من الأمرِ غريباً ما كنتُ أحسبه ، ولا بان إليَّ سببه ؛ ولما جاءه رسولي مستفهماً ، عبَّسَ وبسرَّ ، وتاه^٦ واستكبر ، فأمسكتُ محافظةً للجانب ، وعملاً على الواجب ، لا أنَّ هيبة أبي أحمدَ قبضتني ، ولا أنَّ مبرَّتهُ عندي اعترضتني . وأقسمُ بالله حِلْفَةَ برٍّ : لو الأيام قذفتُ بكم إليَّ وأنا بمكاني ، لأوردتكم العذبَ من مناهلي ، ولجعلتُ جميعَكُمُ على عاتقي وكاهلي ، ولكنَّ اللهَ يعمرُ بكمُ أوطانكم ، ويحمي من التَّوبِ

١ ط د س والقلائد : المليم .

٢ س ط : الأفلاك .

٣ زيادة من القلائد .

٤ ب م : فلم تكن تصلح له ولم يكن يصلح لها ؛ س : ولا كان يصلح . . والبيت لأبي العتاهية ، ديوانه : ٦١٢ .

٥ القلائد : بصروف .

٦ ط د س والقلائد : بشيء من عمله

٧ زيادة من القلائد .

٨ القلائد : وأدبر

٩ د : ولحملت ؛ القلائد : وحملت ، س ط : وتحملت .

مَكَانَكُمْ ، ويحوطُ هذه السيادةَ الطالعةَ فيكم ، النابتةَ بمعاليكم ^١ ، فلا يسركَ مَفْظَعُهُ ، وليسوكَ مَصْرَعُهُ ، فما مثلهُ يُمْطَلُ ، ولا يلبثُ حيناً ولا يُمَهِّلُ .

قال أبو الحسن ^٢ : ومُدَّ لأبي عبد الرحمن بن طاهر هذا في البقاء ، حتى تجاوز [مصارع] جماعةِ الرؤساء ، وشهد محنةَ المسلمين ببلنسية على يدي الطاغيةِ الكنبيطورية ^٣ - قصمه الله - وحصل بذلك الثغر ، في قبضةِ الأسر ^٤ ، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ^٥ ، ومنها كتب رقعةً إلى بعض إخوانه يقول ^٦ فيها : كتبتُ منتصفَ صفر ، وقد حصَلنا في قبضةِ الأسر ، بخطوبٍ لم تجر في سالفِ الدهر ، فلو رأيتَ قُطْرَ بلنسية - نظرَ الله [٢٢ ب] إليه : وعاد بنوره عليه - وما صنع الزمانُ به وبأهليه ، لكنتَ تندبُهُ وتبكيه ، فلقد عبثَ البلى برسومي ^٧ ، وعفَى ^٨ على أقماره ونجومه ، فلا تسألُ عما في نفسي ، وعن نكدي ويأسي ، وضممتُ الآن إلى الافتداء ، بعد مكابدة أهوال ذَهَبَتْ بالذماء ، وما أرجو غيرَ صنْعِ الله الذي عوَدَ ، وفضله الذي عَهِدَ ؛ وساهمتك مساهمةَ الصفي ، لما أعلَمُ من وفائك وتهمُّك الخفي ^٩ ، مستمطراً من تلقائك دعوةَ إخلاص ^{١٠} ، عسى ^{١١} أن تكونَ سريعةً

١ ط س والقلائد : البانية لمعاليكم .

٢ قارن بالحلة السراء ٢ : ١٢٥ ودوزي ٢ : ٧ .

٣ ط س : طاغية كان يدعى الكنبيطار ؛ قلت : وسيأتي التعريف به .

٤ ط س د : وحصل لديه أسيراً . . .

٥ علق ابن الأبار على هذا بقوله : كذا قال ابن بسام وإنما دخل الكنبيطور بلنسية سنة سبع وثمانين .

٦ ط د س : قال . ٧ م : برسومه وبأهله .

٨ ط س : وعدا .

٩ مساهمة . . . الخفي : سقط من د ط س . ١٠ ط س د : الاخلاص .

١١ م : على أنها عسى .

إلى فَرَجٍ وخلص ، بإذنِ الله ، فهو - عزَّ وجهه - يقبلُ الدعاءَ من داعيه ، وما زال مكانكَ منه تُرى البركةُ فيه ^١ .

قال أبو الحسن : وإذ قد انتهى بنا القول إلى ذكر بلنسية فلا بدَّ من الإعلان بمحتتها ، والإتيانِ بنبد من أخبارِ فستها ، التي غرَّب شأوها في الإسلام ، وتجاوز عفوها جهد الكروب العظام ، وذَكَرِ الأسباب التي جَرَّتْ جرائرها ، وأدارت على المسلمين دوائرها ، والإشادةِ باسم من سلك في طريقها ونهج ، ودخل أبواب عقوقها وخرج .

ذكر الخبر عن تغلب العدو عليها وعودة المسلمين إليها ^٢

قال أبو الحسن : ونذكر إن شاء الله في القسم الرابع ، نُكْتاً وجوامعَ ، تؤدي إلى كيفية تغلبِ أذفونش طاغيةِ طاغوتِ الجلالقة - قصمها الله - على مدينة طليطلة ، واسطة السلك ، وأشْمَخَ ذُرَى الملك ، بهذه الجزيرة ، ونشرحُ الأسبابَ التي ملكتهُ قيادها ، ووطأتهُ مهادها ، حتى اقتعد صَهْوَتها ، وتبجحَ ذِرْوَتها ، وأن ^٣ يحیی بن ذي النون ، المتلقب من الألقاب السلطانية بالقادر بالله ، كان الذي هتجَ أولاً نارها ، وأججَ أوارها ،

١ باذن . . . فيه : سقط من د ط س .

٢ نشر دوزي هذا الفصل في Recherches ج ٢ : VI - XVIII وانظر في حادثة بلنسية البيان المغرب ٤ : ٣٤ واعمال الاعلام : ٢٠٣ والجزء الثاني من كتاب ميراندا Hist. Mus. de Valencia .

٣ ونذكر . . . وان : سقط من د ط س ؛ وبدىء الفصل بقوله : وكان يحیی بن ذي النون هو الذي سجر أولاً نارها . . .

٤ ب م : ثارها .

وكان عندما خلّى [بين] أذفونش وطليلة - جدّد الله رسمها ،
وأعاد إلى ديوان المسلمين^١ اسمها - قد عاهده على أن يعيدَ له صعبَ بلنسيةَ
ذلولاً ، وأن يمتّعه بنصرتها وتعلُّك حضرتها ولو قليلاً ، علماً منه أنه أسيرٌ
لديه^٢ ، وعيالٌ عليه . فصار تهرة^٣ المعاقِلُ ، وتبرأ منه المراحلُ [بعدَ
المراحل] ، حتى استقرَّ بقصبةِ قونكة^٤ ، عند أشياءه بني الفرج - حسبما
نشرحه في القسم الرابع إن شاء الله تعالى - وهم كانوا ولايةَ أمره ، وواعية^٥
عرفه ونكره ، بهم أولاً صدع ، وإليهم آخرأ نزع ، وطفقَ يُدْخل ابنَ
عبد العزيز بمعاذيرَ يلفقها ، وأساطيرَ ينفقها^٦ ، وأعجازٍ من الباطل وصدورٍ
يجمعها ويفرقها ، وابنُ عبد العزيز يومئذٍ يضحك قليلاً [٢٣ أ] ويبكي
كثيراً ، ويظهرُ أمراً ويخفي أموراً ، والفلكُ يدور ، وأمرُ الله يُنجدُ
ويغور . ووردَ الخبرُ بموتِ ابن عبد العزيز أثناء ذلك ، واختلافِ ابنه
بعدهُ هنالك^٧ ، فانسلَّ ابنُ ذي النون إلى بلنسية انسلالَ القطا إلى الماء ،
وطلعَ عليها طلوعَ الرقيب على خلواتِ الأحباء ، وانتهجت السبيلُ بين ملوك^٨
أفقنا وبين أميرِ المسلمين [وناصر الدين] رحمه الله - على ما قدمنا ذكره -
سنة تسع وسبعين ، وصدّم أذفونش الطاغية - قصمه الله - تلك الصدمة
- المتقدمة الذكر - يوم الجمعة ، فرجع - لعنه الله - وقد هيض جناحهُ ،
وركدت رباحهُ ، وتنفّسَ خناقُ يحيى بن ذي النون هذا ، فتنسّمَ روحَ

١ د ط س : الإسلام ، س : دين . ٢ ط س د : أسير يديه .

٣ م ودوزي : يهره ؛ د ط س : بهذه .

٤ قونكة (أو كونكة = Cuenca) مدينة تقع على بعد ٥٠ كيلو متراً شرقي وبذة (Hueta) .

٥ ب م : وطاغية ؛ د ودوزي : واعية ؛ ط س : واغية .

٦ س ط د ودوزي : ينمقها .

٧ س : ابنه بذلك .

٨ ملوك : سقطت من س .

البقاء، وتبلغ بما كان بقي له من ذماء، ودخل من معاقلة أمير المسلمين فيما^١
دخل فيه معشر الرؤساء ؛ ولم يزل إدبارهم^٢ — على ما ذكرنا — يستشري
وعقارب بعضهم^٣ إلى بعض تدب وتسري ، حتى أذن الله لأمر المسلمين
[رحمه الله] في إفساد سعيهم ، وحسم أدواء بغيهم ، والانتصار لكواف^٤
المسلمين من فعلهم^٥ الذميم ورأيهم ، فشرع في ذلك — على ما قدمته —
سنة ثلاث وثمانين ، فجعلت البلاد عليه تنثال^٦ ، والمنابر بأسله تزدهي^٧
وتختال ؛ واستمر ينثر نجومهم^٨ ، ويطمس رسومهم^٩ ، باقي سنة ثلاث
وسنة أربع بعدها ، وفي ذلك يقول الأديب أبو تمام ابن رباح^{١٠} :

كأن بلادهم كانت نساء تطالبها الضرائر بالطلاق

وفي ذلك أيضاً يقول أبو الحسين ابن الجدة ، وأراه عرض بصاحب
ميورقة بعد خلع بني عبّاد :

ألا قلّ للذي يرجو مناماً بعيداً بين جنبك والفراش
أبو يعقوب من حدثت عنه فرش سهم^١ العداوة أوفرش
إذا نفّس القضاء جبال رضوى فكيف تراه يصنع^٢ بالفراش

ولما أحس أحمد بن يوسف بن هود، المنتزي إلى وقتنا هذا على ثغر

١ د ط س : ودخل من المحاكمة فيما .

٢ م ودوزي : تزدان ؛ ط د س : تزهي .

٣ ط د س : يقول بعض أهل العصر ؛ وأبو تمام غالب بن رباح المعروف بالحجام سترد
ترجمته في هذا القسم من الذخيرة .

٤ ط س : أبو الحسن، وكذلك في المغرب ١ : ٣٤٠ ؛ وقد ترجم له ابن بسام في القسم الثاني
من الذخيرة .

٥ ط د س : فرش منه .

٦ ط د هـ : يفعل .

سرقسطة ، بعساكر أمير المسلمين تُقْبِلُ^١ من كُلِّ حَدَبٍ ، وتطلعُ على أطرافه من كلِّ مَرْقَبٍ ، أسَدَ كلباً من أكلْبِ الجلالة يسمّى برذريق^٢ ويدعى بالكبييطور^٣ ، وكان عقلاً ، وداءً عُضالاً ، له في الجزيرة وقائع ، وعلى طوائفها بضروب المكروهِ اطلّاعاتٌ ومطالع ، وكان بنو هود قديماً هم الذين أخرجوه من الخمولِ ، مستظهريّن به على بغيهم الطويل ، وسعيهم المذمومِ المخدول^٤ ، وسلّطوه على أقطارِ الجزيرة يضعُ قَدَمَهُ على صَفَحَاتِ أنجادها ، ويركُزُ علمه في أفلاذِ [٢٣ ب] أكبادِها ، حتى غلَطَ أمرُهُ ، وعمَّ أقاصيها وأدانيها شرُّهُ ، ورأى هذا منهم حين خاف وهيَ ملكه ، وأحسَّ بانتشار سلكه ، أن يضعه بينه وبين سرعانِ عساكرِ أمير المسلمين ، فوطأ له أكنافَ بلنسية وجبى إليه^٥ المال ، وأوطأ عَقَبِيَهُ الرجالَ ، فنزلَ بساحتها وقد اضطربَ حبلُها ، وتسربَّ أهلُها ، وذلك أنَّ الفقيه أبا أحمدَ بنِ جحّاف متولّي القضاء بها يومئذٍ لما رأى عساكرَ المرابطين — [أيدها الله] — تَرى ، وأحسَّ بهذا الطاغية — لعنه الله — من جهة أخرى ، امتطى صهوةَ العقوق ، وتمثل : « من فُرِص اللصِّ ضجّةُ السوق » ، وطمعَ في الرياسة بخدعِ الفريقين ، وذَهِلَ^٦ عن قِصَّةِ

١ ط د س : تنسل .

٢ ط د س : بلذريق ، حيثما وقع .

٣ Rodrigo Diaz de Vivar وقد اشتهر باسم El Cid Campeador أي « السيد » ؛ وقد كتبت عنه دراسات متعددة منها بحث لدوزي في Recherches ج ٢ : ١ - ٢٨٣ وكتاب لرامون مئذنت بدال La Espana del Cid (مدريد ١٩٤٧ الطبعة الثانية) ولبروفنسال بحث عنه في Revue Historique (١٩٣٧) والدكتور حسين مؤنس بحث مستفيض عنه في مجلة الجمعية التاريخية المصرية (١٩٥١) ؛ وانظر Hist. Mus. de Valencia (ج ٢) .

٤ وسعيهم ... المخدول : سقطت من ط د س .

٥ ط د س : قاصيها ودانيها .

٦ ط س د : له .

الثعلب بين الوعلين ، فاستجاشَ لأولِ تلك الوهلة لمةً يسيرةً من دُعاةِ
 أميرِ المسلمين^١ فهجمَ بهم على ساحةِ^٢ ابن ذي النون الجاء على حين غفلته^٣ ،
 وانفضاضٍ من جملته ، واستشراءٍ من علقته ، حيث لم يكن له ناصرٌ إلا
 الشكوى ، ولا هادٍ إلا صدر العصا^٤ ، فقتله^٥ - زعموا - بيد رجلٍ من
 بني الحديدي طلباً بِيَدَحِلِّ عما كان هو قد قَتَلَ مِنْ سَلَفِهِ ، وهدمَ
 من بيوتِ شرفِهِ - في خبرٍ سيأتي ذكره ، وَيُشْرَحُ بِمَشِيئةِ الله في موضع^٦
 من هذا الكتاب^٧ أمرُهُ - وفي قتله لابن ذي النون القادر ، يقولُ أبو عبد
 الرحمن بن طاهر :

أبها الأَخيفُ^٨ مهلاً^٩ فلقد جثت عويصا
 اذ قتلَت الملكَ يحیی وتقمصتَ القميصا
 ربَّ يومٍ فيه تُجزى^{١٠} لم تجدُ عنه محيصا

ولما تمَّ لأبي أحمد^{١١} شأنُهُ ، واستقرَّ^{١٢} به - على زعمه - سلطانهُ ،

١ ط د س : لمة يسيرة من الخيل .

٢ د : ناحية .

٣ ط د س : من غفلته .

٤ ط د س : القنا .

٥ ط د س : فقتلوه .

٦ ط د س : في القسم الرابع ؛ دوزي : موضعه . ٧ ط س د : المجموع .

٨ ط د س والحريفة : الاحنف ؛ والحاء غير منقوطة في ب ؛ والأخيف من كانت إحدى عينيه
 زرقاء والاخرى سوداء ، وانظر الحلة ٢ : ١٢٥ .

٩ س : تخزى .

١٠ ط د س : لابن جحاف .

١١ ب م : واستمر .

وقع في هيراش ، وتفرقت الطيباء على خيراش ، ودُفِعَ إلى النظر في أمور سلطانية لم يتقدم قبلُ في غوامض حقائقها ، وإلى ركوب أساليب سياسية لم يكن له عهدٌ باقتحام مضايقتها ، ولا بالدخول في ضنك مآزقها ، ولم يعلم أن تدبير الأقاليم غير تلقين الحصوم ، وإن عقْد ألوية البنود ، غير الترجيح بين العقود ، وانتخال الشهود ، وشُغِلَ بما كان احتجج من بقية ذخائر ابن ذي النون وشيعته عن استجلاب الرجال^١ ، والنظر في شيء من الأعمال ، وانفضت عنه تلك الحملة اليسيرة [من الخيل] المرابطة التي كان تعلق بسببها ، وموّة على الناس بها ، لضيق المذاهب ، وغلظة ذلك العدو المصاقيب ، وقوي طمع رُذْرِيْق في ملك بلنسية فلزمها ملازمة الغريم ، وتلذّذ بها [تلذّذ] العشاق بالرسوم ، ينتسف أقواتها ، ويقتل حماها ، ويسبق إليها كل أمنية^٢ ، ويطلع عليها من كل ثنية ، قرب ذروة [٢٤أ] عزّ قد طالما تلددت الأمانى والنفوس دونها ، ويشت الأقمار والشموس من أن تكونها ، قد ورد ذلك الطاغية يومئذ معينها ، وأذال مصونها ؛ وربّ وجه كانت تدميه الدرّ ، وتحسده الشمس والبدر^٣ ، ويتغاير عليه المرجان والدرّ ، قد أصبح دريّة لزجاجه ، ونعلًا لأقدام أراذل أعلاجه ، وبلغ الجهد بأهلها والامتحان ، أن أحلّوا مُحَرَّم الحيوان ، وأبو أحمد المذكور في أنشودة ما سهّل وسنّى ، شرقاً بعقبى ما جرّ على نفسه وجنى ، يستصرخ أمير المسلمين على بُعد

١ وشغل . . . الرجال : سقط من ط د س .

٢ م ودوزي : ويسوق . . . منية .

٣ وتحسده . . . والبدر : سقط من ط د س .

٤ د س ط ودوزي : وشرك ما .

داره^١ ، وتراخي مزاره ، فتارةً يُسمِعُهُ ويحركه ، وتارةً ينقطعُ دونه ولا يُدركُهُ ، وقد كان من أمير المسلمين بموضعٍ ، ومن رأيه الجميل بمرأى ومسمع ، ولكن أبطأ به عن نصره تنائي الدار ، ونفوذُ المقدار ، وإذا قدَّرَ الله أمراً فتح أبوابه^٢ ، ويسرَّ أسبابه^٣ ، فتمَّ للطاغية^٤ رذريق - [قصمه الله] - مُرادُهُ الذمِيمُ من دخول بلنسية سنة ثمان وثمانين^٥ على وجهٍ من وجوه غدره ، وبعد إذعانٍ من القاضي [ابن جحاف] المذكور أُلجأهُ بسطوة^٦ كفره ، ودخوله طائعاً في أمره^٧ ، على وسائلٍ اتخذها ، وعهودٍ وموائيق - بزعمه - أخذها ، لم يمتدَّ لها أمدٌ ، ولا كثرَ لأَيامِها عدد ، وبقي معه مُدَيِّدَةٌ يضجرُّ من صحبتها ، ويلتمسُ السبيلَ إلى نكبتها ، حتى أمكنته^٨ - زعموا - بسبب ذخيرة نفيسة من ذخائر ابن ذي النون ، كان رذريق لأوَّلِ دخوله^٩ قد سأله عنها ، واستحلفه بمحضِرِ جماعةٍ من أهلِ الملتينِ على البراءةِ منها ، فأقسمَ بالله جهداً أيمانه ، غافلاً عما في الغيبِ من بلائه وامتحانه ، وجعل رذريق بينه وبين القاضي المذكور عهداً أحضرهُ الطائفتين ، وأشهدَ عليه أعلامَ الملتين ، إن هو انتهى [بعد] إليها ، وعثر [عنده] عليها ، ليستحلفن إخفاره ذممه ، وسفك دمهِ ، فلم ينشب رذريق أن ظهرَ على الذخيرة المذكورة لديه ، لما كان قد قدَّرَ الله^{١٠} من إجراء محنته على يديه ، ولعلَّها كانت منه حيلةً أدارها ،

١ د ط س : دياره .

٢ ط د س : للكنبيطور . ٣ انظر ص ٩١ ، الحاشية : ٥ .

٤ ط د س : المذكور لسطوة .

٥ ودخوله . . . امره : سقط من ط د س .

٦ لأول دخوله : سقط من د ط س .

٧ دوزي : قد حم ؛ س ط د : حم .

وداهيةً من دواهيهِ سدّاها وأنارها ، فأُنحى على أموالهِ بالنّهب ، وعليه وعلى أهلِهِ وولده بالعذاب ^١ ، حتى بلغ جُهدَهُ ، ويُسّ مما عنده ، فأُضرم له ناراً أُلْتُفَتْ ذِمّاه ، وحرقتْ أشلاءهُ .

حدثني ^٢ من رآه في ذلك المقام ، وقد حُفِرَ له حُفِيرٌ إلى رُفُغِيهِ ، وأُضْرِمَتِ النارُ حوَالِيهِ ، وهو يَضُمُّ ما بَعْدَ من الحطب بيديه ^٣ ، ليكونَ أسرعَ لذهابهِ ، وأقصرَ لمدّةِ عذابه ، كتبها الله له في صحيفةِ حسناته ، ومحا عنه بها سالفَ سيئاتهِ ، وكفانا بَعْدُ أَلِيمَ نَقَمَاتِيهِ ، ويسّرنا [٢٤ ب] إلى ما يُزْلَفُ إلى مَرْضَاتِهِ ^٤ .

وهم [الطاغية] يومئذٍ — لعنه الله — بتحريقِ زَوْجِهِ وبناتِهِ ، فكلّمه فيهنّ بعضُ طُغَاتِيهِ ، فبعدَ لأيّ ما لفته عن رائه ، وتخلّصهنّ من يدي نكراتِهِ ؛ وأضرمَ هذا المصابُ الجليلُ يومئذٍ أظفارَ الجزيرةِ ناراً ، وجلّلتْ سائرَ طبقاتِها خزيّاً وعاراً ؛ وغلُظَ أمرُ ذلكِ الطاغيةِ حتى فدَحَ ^٥ التّهائم والنجود ، وأخافَ القريبَ والبعيدَ . حدثني من سمعهُ ^٦ يقول ، وقد قوي طمعه ، ولجّ به جشعُهُ : على رذريقِ فُتِحَتْ هذه الجزيرةُ ^٧ ، ورذريقُ يستنقذها — كلمةٌ ملأتِ الصدورَ ، وَخَيَّلَتْ وقوعَ المخوفِ والمحدورِ ^٨ . وكان هذا البائقةُ وقتَهُ في دربِ شهامته ، واجتماعِ حزامته ، وتناهي

١ دوزي : بأنواعِ العذاب .

٢ ط د س : أخبرني .

٣ ب م : حوَالِيهِ .

٤ وكفانا مرضاته : سقط من ط د س .

٥ ط د س : قدح .

٦ ط د س : بلغني انه كان .

٧ ط د س : فتحت الأندلس .

٨ ط د س : وقوع المحدور .

صرامته ، آيةً من آيات ربه^١ ، إلى أن رماه [الله] سريعاً بحتفه ، وأماته ببلنسية حتف أنفه ؛ وكان - لعنه الله - منصور العَلَم ، مظفرّاً على طوائف العجم ، لقي زعماءهم^٢ مراراً كغرسية المنبوز بالفم المعوج ، ورأس الافرنج ، وابن رذمير^٣ ، فقلّ حدّ جنودهم ، وقتل بعدده اليسير كثير عديدهم ، وكان - زعموا - تُدرّس^٤ بين يديه الكتب ، وتقرأ عليه سير العرب ، فإذا انتهى إلى أخبار المهلب استخفّه الطرب ، وطفق يعجب منها ويتعجب .

وفي بلنسية [يومئذ] يقول أبو اسحاق ابن خفاجة^٥ :

عائتُ بساحتكِ العدا^٥ يا دارُ ومحا محاسنكِ البلى والنارُ
فإذا تردّدَ في جنابك ناظرٌ طال اعتبارُ فيك واستعبار
أرضٌ تقاذفتِ الخطوبُ بأهلها وتمخضتْ بخرابها الأقدار
كتبتُ يدُ الحدثانِ في عرّصاتها « لا أنتِ أنتِ ولا الديارُ ديار »

وتجرّد أمير المسلمين - رحمه الله - لما بلغه هذا النبأ الفظيع ، واتصل به هذا الرزء الشنيع ، فكانت قذى أجفانه ، وجماع شأنه ، وشغل يده^٦ ولسانه ، يُسرّبُ إليها الرجال والأموال ، وينصبُ عليها الحبال والحبال ، والحربُ هنالك سجال ، والحالُ بين العدو وبين عساكر أمير

١ ط د س : الله .

٢ مراراً . . . رذمير : سقط من ط د س .

٣ ط د س : وكانت تدرّس .

٤ ديوان ابن خفاجة : ٣٥٤ وقد وردت الابيات في الروض المعطار (بلنسية) ونفع الطيب

٥ : ٤٥٥ .

٥ ب م : البلى .

٦ ط د س : عندما .

المسلمين في ذلك إقبالاً وإقبال ، حتى رَحَضَ عارها ، وغسلَ شئارها ، وكان آخرَ أمراءِ أجناده ، المجهزين إليها في جماهر أعداده ، الأميرُ أبو محمد مَزْدَلِي^١ ، ظُبَةُ حَسَامِهِ ، وَسَلِكُ نَظَامِهِ^٢ ، ففتحها^٣ الله عليه ، وأَذِنَ في تَخْلَصِهَا على يديه ، في شهر رمضان سنة خمس وتسعين ، كتبَ الله^٤ منزِلَهُ في عليين ، وجزاه عن جِدِّهِ [٢٥ أ] وجهادِهِ أَفْضَلَ جزاءَ المحسنين .

وفي ذلك^٥ كتب أبو عبد الرحمن بن طاهر إلى الوزير أبي عبد الملك ابن عبد العزيز [رقعة] يقول فيها : كتبتُ مُتَتَصِّفَ الشهرِ المبارك ، ولقد وافى بدخولِ بلنسية — جبرها الله — الفتحُ ، بعد ما خامرها القُبْحُ ، فأضرمَ أَكْثَرَهَا ناراً ، وتركها آيةً للسائلين واعتباراً ، وتغشّاها سواداً ، كما لبست عليه حداداً ، فهي تنظرُ من طَرْفٍ خفيٍّ ، وتنفسُ عن قلبٍ يَقلْبُ^٦ على جِمرٍ ذكيٍّ ، غير أنه بقي لها جسمُها الأنعم^٧ ، وترُبُّها الأكرمُ ، الذي هو المسكُ الأذفرُ ، والذهبُ الأحمرُ ، وحداثتها الغلبُ ، ونهرها العذب ، وبسعدِ أمير المسلمين [وناصر الدين] وإقباله عليها ينجلي

١ هو مَزْدَلِي بن بو بلنكان (او سولنكان او ملنكان) ابن عم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وقد استولى على بلنسية سنة ٤٩٤ (انظر خبر استيلائه عليها في البيان المغرب ٤ : ٤١) ثم ولي تلمسان سنة ٤٩٧ وفي سنة ٥٠٥ تولى على قرطبة وغرناطة والمرية ، وفي السنة التالية استدعي إلى مراکش فبرأ نفسه مما لحقه من تهم ، وكانت وفاته سنة ٥٠٨ (انظر صفحات متفرقة من ج ٤ من البيان المغرب) .

٢ والحال نظامه : سقط من د ط س .

٣ د ط س : حتى فتحها .

٤ ط د س : كتبها الله له منزلة .

٥ ط د س : وفي ذلك التاريخ .

٦ ط د س : يتقلب .

٧ ط د س : الأعظم .

عنها ظلامها ، ويعودُ عليها حليها ونظامها ، وتروحُ في الحلل ، وتبرزُ^١ كالشمسِ في بيتِ الحمل . فالحمدُ لله مالكِ الملوكِ ، مطهرُها من الشركِ ، وفي عودَتِها إلى الإسلامِ عزٌّ وعزاء ، عما نَفَذَ به قدرٌ وقضاء .

وكتب أيضاً إثر ذلك إلى الوزير الفقيه^٢ ابن جحاف يعزيه بآبن عمه أبي أحمد المحرق المتقدم الذكر : مثلكَ - وقالَ الله المحاذيرَ - في وفور الدين ، وصحة اليقين ، وسلامة الضمير ، وعَدَمِ التَّطْيِيرِ ، وقوة الرَّجْحَانِ ، ومعرفة الزمان ، أعطى الحوادثَ صبراً ، وردَّها على أعقابها صُغْراً ، فلم يَخْضَعْ لِصَوْلَتِها ، ولم يَحْتَفِلْ بِسَوْرَتِها ، ودري أنها الأيامُ والغَيْرُ^٣ ، والحمامُ والقَدَرُ .

ودارت الخطوبُ - عصمك الله من إلامها ، وحماك من اخترامها - بمصرع الفقيه القاضي أبي أحمد ، [ابن] عمك ، عفا الله عنه ، ومهلكه ، وانحطاطه من فلكه ، فانقضَّتْ لعمري نجومُ المجد بانقضاضه ، وبكَّتْ سماءُ الفضلِ على تداعيه وانفضاضه ، فانه كان من جمالِ المذاهبِ ، والغوثِ عندِ النوائبِ ، بحيث يكونُ الغيثُ في قَنَظِ المحلِ ، والحَلَبُ عند انقطاع الرُّسُلِ ، بعيداً عن القسوة ، صفوحاً عن الهفوة ، عطوفاً على الجيران ، عزيزاً على الإخوان ، يستهوي القلوبَ ببشره ، ويتملكُ الأحرارَ ببره ، وإن الدنيا بعده لفي حداد ، لما قصده به من داهية نَادٍ ، قائماً بأعبائها ، مبيراً لأعدائها ، فهي تبكيه بأربعةِ سجامٍ^٤ ، وتندبه في

١ ط د س : وتور .

٢ ط د س : وكتب يومئذ إلى الفقيه . ٣ ط د س : والعبر .

٤ ط د س : لما أصيبت به يد زناد .

٥ ناظر إلى قول المتنبي :

كأن الصبح يطردها فتجري مدامعها بأربعة سجام

كل مقام ، فما أسرع ما سلبته المنون ، وقد قرت به منكم العيون ،
وطوقكم طوق الفخار ، وأناف بقدركم على الأقدار ؛ فانا لله وإنا إليه
راجعون ، على أليم المصاب ، وعند [٢٥ ب] الله نحتسب كريم الأصل
والنصاب ، وطوداً منيعاً ، وقرماً رفيعاً ، وقد تساوينا في الرزية ، فلنعدل^١
إلى التسلية ، فذلك أوفر ذخراً ، وأعظم أجراً .

قال أبو الحسن ؛ وأبو عبد الرحمن أكثر إحساناً ، وأوضح خبراً
وعياناً ، من أن يحاط بأخباره ، أو يعبر عن جلالة مقداره ، وقد استوفيت
معظم كلامه في كتاب مفرد ترجمته ؛ « سلك الجواهر في ترسيل ابن
ظاهر » وهو اليوم ببلنسية سالم ينطق ، وحي يرزق ، وقد نيف على
الثمانين ، وما أحوجت سمعه إلى ترجمان^٢ ، بل هو حتى الآن يهب
الطروس^٣ من ألفاظه ما يتفصح العقود الدريّة ، وتوسعس معه الليالي
البدرية ، وفيما أوردناه كفاية ، ومن الذي يمكنه النهاية ؟ .

ذو الوزارتين أبو عامر ابن الفرج^٤

من بيئة رياسة ، وعيرة نفاسة ، ما منهم إلا من تحدى بالإمارة ،
وتردّى بالوزارة ، فأومض في آفاق الدول ، ونهض بين الخيل والحوّل ؛ وأبو

١ ب م : فلنعد .

٢ من قول عوف بن محلم الخزاعي :

ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان

٣ ط د : للطروس .

٤ ترجمته في المغرب ٢ : ٣٠٣ والحلة السراء ٢ : ١٧١ والمطمح : ١٥ - ١٦ ونفح الطيب
٣ : ٤٠٨ ، ٥٤٢ - ٥٤٣ ؛ وهذه الترجمة مطابقة لما في المطمح ، وقد ذبه ابن سعيد الى
هذا التوافق بين الذخيرة والقلائد (وليس له ترجمة في القلائد ولعل ابن سعيد سها فذكر =

عامر هذا أحدُ أنجاديهم* ، ومتقلدُ مجادهم ، فاقهم أدباً ونُبلاً ، وباراهم
 كرمًا [تخاله] وبلاً ، إلا أنه بقيَ وذهبوا ، ولقي من الأيام ما رهبوا ، فعانَ
 تنكُّرها ، وشربَ عكرها ، وجال في الآفاق ، واستدرَّ أخلافَ الأرزاق ،
 وأجال للرجاء قِداحاً متواليات الاخفاق ، فأنخمل قدرُهُ ، وتوالى عليه جَوْرُ
 الزمانِ وغدره ، فاندفت أخباره ، وعَفَت آثاره ، وقد أثبت له بعض ما قاله
 وحالُهُ قد أدبرت ، والخطوبُ إليه قد انبرت ، فمن ذلك :

الشمسُ أنتَ وقد أظَلَّ طلوعها فاطلَعُ وبين يديكَ فجرٌ صادقُ
 وكان له ابنٌ مكبُودٌ قد أعيا علاجهُ ، وتهاى للفسادِ بذلك مزاجهُ ، فبدُلَّ
 على خمرٍ قديمةٍ فلم يَعْلَمْ بها إلاَّ عند فتىٍ وسيمٍ ، فكتب إليه :

أرسلُ بها مثلَ ودكُ أرقُ من ماءِ خدكُ
 شقيقةَ النفسِ فانضَحْ بها جوى ابني وعبدك
 وكتب معتذراً عن تخلفه عن جاءه من ذراً :

ما تخلفتُ عنك إلاَّ لعذرٍ ودليلي في ذاك حرصي عليكِ
 هَبْكَ أن الفراقَ عن غيرِ عذرٍ أتراه يكونُ إلاَّ إليكِ . [٢٦٩]

فصل في ذكر ذي الوزارتين القائد أبي عيسى ابن لبون^١

أحد وزراء ابن ذي النون المعتزين في دولته ، المعدَّين لبأسه وصولته^٢ ، ولكنه
 ثار ، وخاض الهولَ المثار ، وخلَص من الهُلُكِ ، واقتنصَ نافرَ الملك ، وكان

= القلائد بدلا من المطمح) ؛ ولم ترد هذه الترجمة في ط د س كما أن ابن بسام لم يذكر هذه الترجمة
 في الفهرست العام الذي وضعه في مقدمة كتابه ، مما قد يدل على أنها ترجمة دخيلة .
 ١ ترجمته في المغرب ٢ : ٣٧٦ والحلقة ٢ : ١٦٧ وأعمال الاعلام : ٢٠٩ ونفع الطيب
 ١ : ٦٧٢ وازهار الرياض ٣ : ١٢٠ والقلائد : ٩٩ والخريدة ٢ : ٣٣١ والمسالك ١١ :
 ٤٤٥ وفي هذه الترجمة مشابه كثيرة مما جاء في القلائد ، وبعض العبارات مشتركة نصاً بين
 الكتّابين ؛ ولم ترد هذه الترجمة في ط د س ؛ ولم يذكرها ابن بسام في الفهرست العام الذي
 وضعه في مقدمة كتاب الذخيرة . ٢ م : شدته .

شهم الفؤاد ، معدوداً في الأجواد ، مفضلاً في الوزراء والقواد ، حصل بمربطراً
واقطعها ، وحلّ بها سلك الرئاسة ومطلعها ، وما خلع اسم الوزارة ، ولا تسوّغ
سواها ممن أمّه وزاره ، فغدّت به منزعة الوافد ، وكانت عنده مشاهد ، ترف للمنى
أبكارها نواهد ، يراقُ بها نجيع الراح ، ويساقُ إليها ترجيع الأقداح ، واندنيا
تُسعدهُ ، وتنجز له ما تعدّه ، إلى أن لعب عليه ابن رزّين وخدّعه ، ولم يف
له بما أعطاه منها عوضاً وأقطعه ، فبقي ضاحياً ، وغدا جوّه من تلك العدة
صاحياً .

وله نظم "نظم فيه من المحاسن جُسلًا" ، وأعاد سامعها ثَملاً ، وقد أثبت
له ما يدلُّ على نفاسة سبكه ، وجودة حَبكه ، فمن ذلك ما قاله متوجماً
لخليط ظنّ ، وأوغلّ في شِعاب البُعدِ وأمعن :

سقى أرضاً نووها^٢ كلّ مُزْنٍ وسائرهم سرورُ وارتياجُ
فما ألوى بهم مللٌ ولكن صروفُ الدهرِ والقدرُ المتاح
سأبكي بعدهم حزنًا عليهم بدمعٍ في أعنته جماح

وكان بقصر مربطير في المجلس المشرف منها ، والبطحاء قد لبست زخرفها ،
ودبح الغمام مطرّفها ، وفيها حدائقُ ترنو على مُقلٍ من جنسها^٣ ، وتبث طيب
نفسها ، والجلتارُ قد لبس أردية الدماء ، وراع أفئدة الندماء ، فقال :

قم يا نديم أدِرْ عليّ القَرْقَنة أو ما ترى [زهرَ] الرياضِ مُفوّفاً
والجلتارُ دماءُ قتلٍ معرّكٍ والياسمينُ حَبَابُ ماءٍ قد طفا

وله :

لحا الله قلبي كم يحنُّ إليكمُ وقد بعمُ حظّي وضاع لديكمُ

١ مربطير - حسب الامالة الغالبة على لسان اهل الاندلس - ومرباطر (Murviedro)
تقع الى الشمال من بلنسية .

٢ كذا في الاصول ، ولعل الصواب : نووها .

٣ ب م : حسننها ؛ القلائد : نرجسها .

إذا نحن أنصفناكم من نفوسنا ولم تنصفونا فالسلام عليكم
وله وقد كتب إليه راشد بن سليمان بالتمويل ، وكان عهد اليه ألا يخاطبه إلا^١
بالتسويد :

ثَقَلَتْ رُوحِي أَيَّمَا ثَقِيلٍ فيما قصدت له من التمويل [٢٦ ب]
هذا على أنني عهدتُكَ خِفَةً كرسول برءٍ حلَّ عند عليل
فراجعهُ :

لا والذي ولأَكْ أَلْوِيَةِ النَّدى وحباك من خطط العَلَا بجزيل
ما حدثُ عن سَنَنِ الْكِتَابَةِ عَامِداً ولو اعتمدتُ فعلتُ فعلَ نبيل
لكن بناني أنكرتُ ما عَوَّدتُ فتبرَّعتُ بكتابة التمويل
ولربَّ سرٍّ كامنٍ عند امرئٍ أبداهُ بعضُ مقالهِ المفعول^٢
للهِ رُفْعَتُكَ الَّتِي ضَمَنْتَهَا معنى النُّهى من لَفْظِكَ المعسول
نَظْمٌ وَعَيْشِيكَ لو غدا نثرأ لما قدَّرْتُهُ إِلَّا مِنَ التَّنْزِيلِ
وافى به من لو أمنتُ صدودهُ عني غمرتُ يديه بالتقبيل
وله يرثي ذا الوزارتين أبا محمد أخاه :

قُلْ لِيَصْرِفِ الزَّمانُ كم ذا التناهي في تلقيك لي بهذي الدواهي
كان في عامرٍ وأرقمٍ ما يك فمي فهلا أبقيتَ عبدَ الإله
فيه قد كنتُ بعدُ استدفعُ الخط بَ وأسطو على العدا وأباهي
أيُّ شمسٍ وافى عليها أفولُ فلَّ غَرْبِي عِزائمي ونواهي
وكتب إلى ابن اليسع :

لو كنتَ تشهدُ يا هذا عَشِيَّتَنَا والمزنُ يسكبُ أحياناً وينحدرُ
والأرضُ مصفرةٌ بالمزنِ كاسيةٌ أبصرتَ تَبِيراً عليه الدرُّ يتثرُ

١ التمويل : قوله يا مولاي ، والتسويد : يا سيدي .

٢ القلائد : فعاله المجبول .

وله :

يا ربَّ ليلٍ شربنا فيه صافيةً حمراءَ في لونها تنفي التباريحاً
تري الفراشَ على الأكواسِ طائفةً كأنَّها أبصرتَ منها مصابيحاً

وله بعد زواله عن ملكه ، وأخذ سلطانه من سلكه ، يحنُّ إلى ليلائه السالفة ،
وظلالِ أنسيهِ الوارفة ١ :

يا ليتَ شعري وهل في لَيْتٍ من أَرْبٍ هيهات لا تُقْنِضِي ٢ من لَيْتِ آرابُ
أينَ الشمسُ التي كانت تطلعنَا والجوُّ من فوقه لليلِ جلبابُ
وأينَ تلكَ الليالي إذ تلمُّ بنا ٣ فيها وقد نام حُرَّاسٌ وحجابُ
تبدي إلينا لجيناً حشوهُ ذهبٌ أناملُ العاجِ والأطرافُ عَنَابُ [٢٧ أ]

وله وقد بات له الأسى ملءَ الجوانح ، وعوضَ بالبارح من السانح :

خليليَّ عوجاً بي على مَسْقَطِ الحمى ٤ لعلَّ رسومَ الدارِ لم تتغيرا
فاسألَ عن ليلٍ تولَّى بأنْسِنَا وأندُبَ أَيْاماً خَلَّتْ ثم أعصرا ٥
لياليَ إذ كان الزمانُ مسالماً وإذ كان غُصْنُ العيشِ مَيَّاساً ٦ أخضرا
وإذ كنتُ أسقى الراحَ من كفِّ أغيدٍ يناولنيها رائحاً ٧ أو مَبْكِراً
أعانقُ منه الغصنَ يهترُّ ناعماً وألثمُ منه البدرَ يطلعُ مقمرا
وقد ضربتُ أيدي الأمانِ قبابها علينا وكفَّ الدهرُ عَنَّا وأقصرا
فما شئتُ من لهُوٍ وما شئتُ من ددٍ ومن ميسمٍ يُجَنِّيكَ عذباً مؤثرا
وما شئتُ من عودٍ يغنيك مفسحاً « سمالك شوقٌ بعدما كان أقصرا » ٨

١ ب : الوارفة .

٢ القلائد والخريدة : قنقضي .

٣ م : بهم بها .

٤ القلائد والخريدة : اللوى .

٥ القلائد والخريدة : أياً ما تقضت وأعصرا .

٦ القلائد والخريدة : فيثان .

٧ صدر بيت لامرئ القيس ، وعجره : وحلت سليمى بطن قو فمرعرا .

ولكنّها الدنيا تخادعُ أهلها
لقد أوردتني بعدَ ذلكَ كلّهُ
وكم كابدتُ نفسي لها من مُلِمّةٍ
خيليّ ما بالي على صدقِ نبيّ
ووالله ما أدري لأيّ جريمةٍ
ولم أكُ في كسبِ المكارمِ عاجزاً
لئن ساءَ تمزيقُ الزمانِ لدولتي
وأيقظَ من نومِ الغرارةِ نائماً

تغرُّ بصفوي وهي تطوي تكذّرا
وواردَ ما ألفتُ عنهن مصدرا
وكم باتَ طرفي من أساها مُسَهّرا
أرى من زماني ونيةً [وتعذّرا]
تجنّني ولا عن أيّ ذنبٍ تغيّرا
ولا كنتُ في نيلٍ أنيلٍ مقصّرا
لقد ردّ عن جهلٍ كثيرٍ وبصرا
وكسبَ علماً بالزمانِ وبالورى

وله يأنف من المقام على ما رتب له من الإجراء ، ويكلف بالإدلاج والإسراء :

ذروني أجبُ شرقَ البلادِ وغربها
فلستُ ككلبِ السوءِ يُرضيه مريضٌ
وكنتُ إذا [ما] بلدةٌ لي تنكّرتُ
وسرتُ ولا ألوي على متعذّرٍ
كشمسٍ تبدّتْ للعيونِ بمشرقٍ

لأشفيَ نفسي أو أموتَ بدائي
وعظمٌ ولكنّي عقابُ سماءٍ
شدتُ إلى أخرى مطيَّ إباثي
وصمتُ لا أصغي إلى النصحاءِ
صباحاً وفي غربٍ أصيلٍ مساءً [٢٧ ب]

وله في ذم الدنيا :

نفضتُ كفي عن الدنيا وقلتُ لها
من كيسرِ بيتي لي روضٌ ومن كتيبي
أدري به ما جرى في الدهر من خبرٍ
وما مصابي سوى موتي ويدفنتني

إليكِ غني فما في الحقِّ أغتبنُ
جليسُ صدقٍ على الأسرار مؤتمنُ
فعنده الحقُّ مسطورٌ ومختزنُ
قومٌ وما لهم علمٌ بِمَنٍ دفنوا

فصل في ذكر ذي الرياستين أبي مروان عبد الملك بن رزين الملقب
من الألقاب السلطانية بحسام الدولة ؛ والإعلان بأولية أمره ، وإثبات قطعة
من متخير شعره^١ .

قال أبو الحسن : كان [جدّ] ابن رزين الأول^٢ من كبار الجند ،
وأعلام الوفد ، ومشهور^٣ أهل الحلّ والعقد ؛ انطوى عنّي كيف كان
نجومهم^٤ ، وخفيّ عليّ من أين نشأت غيومهم^٥ ، ولم أظفر من ذلك إلا
بما حكاه أبو مروان ابن حيان من خبر جدّه هذيل بن رزين ، وقد أثبتّه
بنصّه ، وأتيت من حديثهم^٦ بفصّه :

قال ابن حيان^٥ : وأما أبو محمد هذيل بن خلف بن لب بن رزين
المعروف بابن الأصلع صاحب السهلة — مَوْسَطَة ما بين الثغر الأعلى والأدنى
بقرطبة — فإنه كان من أكابر برابر الثغر ، ورث ذلك عن سلفه ، ثم سما
لأوّل الفتنه إلى اقتطاع عمله ، والامارة لجماعته ، والتقيّل لجاره إسماعيل
ابن ذي النون في الشّروء عن سلطان قرطبة ، فاستوى له من ذلك ما
أراد هو وغيره من جميع من انتزى في الأطراف ، غرباً وشرقاً وقبله^٦

١ أبو مروان عبد الملك بن رزين (٤٣٦ - ٤٩٦) راجع ترجمته في القلائد : ٥١ (والحرّيدة
٢ : ٣٠٨) والمغرب ٢ : ٤٢٨ والمطرب : ٣٩ والبيان المغرب ٣ : ٣٠٩ واعمال الاعلام :
٢٠٦ والحلة السيرة ٢ : ١٠٨ والمسالك ١١ : ٤٤٦ وكتاب Jacinto Bosch Vila: Historia

de Albarracin y Su Sierra, Tomo II, (Teruel, 1959).

وهذه الترجمة تلتقي في كثير مع نص القلائد .

٢ م ب : كان ابن رزين من الاول .

٣ د ط : ومشهود .

٤ د ط س : حديثه .

٥ نقل ابن الابار في الحلة بعض هذا النص .

وجوفاً ، إلا أن هذيلاً هذا مع تعززه على المخلوع هشام لم يخرج عن طاعته ^١ ، ولا وافق الحاجب منذراً ولا جماعة المتماثلين على هشام في شيء من شأن سليمان عدوه ، إلى ^٢ أن ظفیر بهشام ، فسلك هذيل مسلكهم ، فرضي منه سليمان بذلك [وعقد له على ما في يده هنالك ، لعجزه عنه ، فزاده ذلك بعداً منه] وتمرس به الحاجب منذر بن يحيى مُدرجاً له في طيِّ مَنْ استتبعه واشتمل عليه من أصاغير أمراء الثغر النازلين في ضيقه ^٣ ، فأبّت له نفسه البخوع ^٤ له والانضمام إليه ، فردّ أمره وحاده ، وصار ضده ، وأجاره منعة معقّله وشجاعة رجاله ، وظاهر أعداء منذر حتى حالف ^٥ الموالي العامريين ، واستمرّ معهم على دعوة هشام المخلوع وقطع دعوة سليمان ، وكانت واقية [٢٨ أ] الله عليه كونه بسطة ^٦ الثغر ، فصار ذلك أردّ الأشياء للبرابر ^٧ [عنه] ، فسلم من معرفة الفتنة أكثر وقته ، وتخطته الحوادث لقوة سعده ، فتبكت النعمة ^٨ وصفا عيشه ، واقتصر مع ذلك على ضبط بلده الموسوم بولاية والده ، وترك التجاوز لحدة والامتداد إلى شيء من أعمال غيره ، فاستقام أمره ، وعمر بلده ، وأنظر بعد جمهور الثوار بالأندلس شأواً بحياة ^٩ . وليس في بلد

١ د ط س : جماعته .

٢ ب م : إلا .

٣ الضيق : الناحية والكيف ؛ د ط س : ضيقه .

٤ البخوع : المناصحة في الطاعة .

٥ م : حلف .

٦ ط د س : موسطة ؛ والسطة : الوسط .

٧ س : أردى . . . إلى البرابرة .

٨ ط د س : فتبت نعمته ؛ وتبكت النعمة : تمكن منها .

٩ ط د س : شأوه .

الثغر أخصب بقعةً من سهلته هذه المنسوبة إلى بني رزين ، سلفه ، في اتصالِ عمارتها ، فكثّر ماله^١ إذ ناغى جاره^٢ وشبهه^٣ في جمع المال لإسماعيل ابن ذي النون ، ونافسه^٤ في خلال البخل وفرطِ القسوة فبذّه ، وكان مع ذلك شاباً جميلَ الوجه حميَّ الأنف غليظَ العقاب جباراً مستكبراً^٥ [صار] إليه أمرُ والده مُنبعثَ الفتنة ، وهو فتى^٦ كما اجتمع وجهه ، تبع العشرين من سنّه ، فأنجده الصّبا على الجهالة ، وقوّاهُ الشبابُ على المعصية ، فبعُدَ في الشرود^٧ شأوه^٨ ، فلم يحالف أحدّاً من الأمراء على أداءِ إتاوةٍ ، ولا حظيَ أمراءُ الفتنة منه بسوى إقامة الدعوة فقط ، دون بذلِ درهمٍ معونةً ، أو إمدادٍ بفارسٍ نصرته^٩ ، أو مشاركة^{١٠} للجماعة في حلوةٍ أو مرّةٍ ، على كثرةِ ما طرق الحضرة من خطوبٍ دُهمٍ استخفّت البطاء ، وقربتِ البعداء فضلاً عن الأولياء ، إلا ما كان من هذه الحية الصماء ، فانه لم يزل على تصاممِهِ عن كلِّ نداء ، إلى أن مضى بسبيله والذمُّ حبيسٌ عليه^{١١} ، والأخبارُ شائعةٌ عن جهله وفظاظته ، حتى زعموا أنه سطا بوالدته لتهمةٍ لحقتها عنده ، فتولّى قتلها [زعموا] بيده ، وكان أشنعَ ما كان من كبائره^{١٢} .

قال أبو مروان^{١٣} : وكان هُذَيْل هذا بارعَ الجمالِ ، حسنَ الخلقِ ، جميلَ العشرة ، ظاهرَ المروءة ، لم يُسرَ في الأمراء أبهى منه منظراً مع طلاقه

١ جباراً مستكبراً : سقط من ط د س .

٢ ط د س : الشذوذ .

٣ د ط س : دون معونة بدرهم ولا امداد بفارس ولا شارك . . .

٤ والذم . . . عليه : سقط من ط د س .

٥ د ط س : متتابعة .

٦ وكان . . . كبائره : سقط من ط د س .

٧ انظر هذا النص في ملحقات البيان المغرب ٣ : ٣٠٨ .

لسانه ، وحسن توصُّله بالكلام إلى حاجته دون معرفة . وكان مع ذلك أرفع الملوك همةً في اكتساب الآلات والكسوة ، وهو أول من بالغ الثمن بالآندلس في شراء القينات ، اشترى جاريةً أبي عبد الله المتطبب ابن الكتاني^١ ، بعد أن أحجمت الملوك عنها لغلاء سَوْمِها ، فأعطاهُ فيها ثلاثة آلاف دينار فملكها ، وكانت واحدة القيان في وقتها ، لا نظير لها في معناها ، لم يَرَّ أخفَّ منها روحاً ، ولا أملح [٢٨ ب] حركةً ، ولا ألين إشارةً ، ولا أطيب غناءً ، ولا أجودَ كتابةً ، ولا أملح خطأً ، ولا أبرع أدباً ، ولا أحضر شاهداً على سائر ما تحسنه وتدعيه ، مع السلامة من اللحن فيما تكتبه وتغنيه ، إلى الشروع في علم صالح من الطب ينسبط بها القول في المدخل إلى علم الطبيعة وهيئة تشريح الأعضاء الباطنة وغير ذلك مما يقصّر عنه كثيرٌ من منتحلي الصناعة ، إلى حركةٍ بديعةٍ في معالجة صناعة الثقاف والمجاوله بالحجفة واللعب بالسيوف والأسنة والخناجر المرفهة ، وغير ذلك من أنواع اللعب المطربة ، لم يُسمع لها بنظير ولا مثيل ولا عديل . وابتاع إليها كثيراً من المحسنات المشهورات بالتجويد ، طلبهن بكل جهة ، فكانت ستارتهُ في ذاك أرفع ستائر الملوك بالآندلس . وحدثتُ عنه أنه اجتمع عنده مائة وخمسون حظيةً ، ومن الصقلب المجابيب ستون وصيفاً لم تُجمَع عند أحدٍ من نظرائه^٢ ؛ انتهى كلامُ ابن حيان .

قال ابن بسام : وأما ذو الرياستين فكان له طبعٌ يدعوهُ فيجيبه ، ويرمي ثُغرة الصواب عن قوسه فيصيبه ، على ازدراءٍ كان منه بالأئمة ، وقلة استخداؤه لمن عسى أن يأخذَ عنه من الأئمة ، وربما خالسهم الكلمة بين

١ د ط س : ابن الكتاني المتطبب .

٢ د ط س : لغلاء سوماها ، بثلاثة . . . الخ .

٣ وحدثت . . . نظرائه : سقط من ط د س .

مغالطة وأنفة ، وعولَ في أكثر ما يقرأ^١ على تعاليقه وصحفه ، وكثيراً ما رأيتُ في شعره وشعر غيره ممن سلك هذا المسلك ، ببداء مُضِلَّة لا تُسَلِّكُ ، وأغاليط لا تُستدرَكُ . وبالجمله فلو جرى ذو الرياستين على عقوه ، وعرف منتهى شأوه ، لكان شاعراً مجيداً ، وناثراً معدوداً ؛ وقد أخرجتُ من نظمه ونثره^٢ ما هو الشاهدُ على ما أدَّيتُ^٣ من ذكره .

نسخة رُقعة له خاطبَ بها ابن طاهر المذكور قال فيها : من عَرَفَ — أعزَّكَ الله — الأيامَ وصروفها ، وخَلَقَها وصنوفها ، وخبرها على مناقيلها ، في وجوه تداولها ، وحلَّ محلَّك من التمييز ، والسَّبقِ والتبريز ، لم تَزِدْهُ شدَّتها إلا مُعْتَبَرًا ، وشكراً لله وتدبُّراً ، وما زلتُ — أعزَّكَ الله — الفاك بالود على البعد ، فأراك بتقدُّمِك في الأعيان ، وإن لم أرك بالعيان ، واستخبرُ الأخبار فأسمعُ ما يقرعُ صَفَاةَ الكبدِ منك بانحاء الزمان عليك ، وتنكره لك ، إلى أن وردَ عليَّ فلان صادراً عن ذلك الأفق ، فما قدَّمتُ على الاستفهام عن ذلك ، والاستعلام بحالك ، فذكرَ ما أزعجَ وكدَّرَ ارتماضاً لمثلِكَ أن يُعوِزَهُ مَرَّامٌ ، أو ينبو [٢٩ أ] به مَقَامٌ ، فجزَّدتُ عن ساعدِ الشفاعة عند فلان في صَرَفٍ ما يُمكن من أملاكك ، فوقع

١ م ب : يقرأ عليه .

٢ د ط س : وقد اجريت من شعره .

٣ د ط س : اجريت .

٤ وردت هذه الرسالة في موضعها هنا في ب م ، ثم مكررة في آخر الترجمة مع اختلاف في النص على النحو التالي : « وله يخاطب ابن طاهر مستدعيًا الى الكون معه [برسالة] تدل على انايته في الفخر دلالة النسيم على الزهر والشاطيء على النهر : انت ادام الله عزك عالم بالزمان وانقلابه ، عارف باغارته واستلابه ، ومن عرفه حق معرفته لم تزده شدته الا معتبراً... الخ » ؛ وهذا مطابق لما ورد في القلائد : ٥٤ . ه د ط س : وغلوفها .

الاعتذار بأنه أمرٌ محذورٌ ، تقدّم فيه من أمير المسلمين^١ أمرٌ محذور ، وأشار إلى إجراء ما يلزم بالاكْتفاء .

وفي فصل منها : وأنا أعرضُ عليك - أعزّك الله - ما هو الأوفى لي ، والأحقُّ بي ، عن عزيمةٍ مكينة ، ورغبةٍ وكيدةٍ ، من التّقلُّ إلى جهتي ، والاختلاط بي وبلحمتي ، فأستوفي الحظَّ من مؤانستك ، واستنفد الوسع في تكريمَتِكَ ، وأقاسمُكَ خاصَّ ضياعي ، ومعلومَ أملاكِي [ورباعي] ، وإن شقَّ عليك الكونُ بجهتي - جهتيك - لبردِ هوائها ، وبعْدِ أنحائها ، فهذه شَنْتَمَرِيَّةٌ أَقْفُ طاعتها عليك ، وأصرفُ أمرها إليك ، وعندي من العَوْنِ على الارتحال ، ما يقتضيه لك رفيعُ الحال ، ولك الفضلُ في مراجعتي بما يستقرُّ عليه رأيُكَ ، ويأتي به إيجابك ، مُكرِّماً مواصلاً ، إن شاء الله .

فراجعهُ ابن طاهر برقعة قد كتبناها في رسائله^٢ [وبالله التوفيق] .

ومن شعر ذي الرياستين مما نقلته من خط ابنه ، قال :

أدْرِها مُدْماً كالغزالةِ مُزَّةً تلينُ لرائيها وتأبى على اللّمسِ
وتبدو إلى الأبصارِ دون تجسُّمٍ على أنها تخفى على الذّهنِ والحسِّ
إذا شعشعتْ في الكاسِ خلت حجابها لآلئاً قد رُفِعْنَ في لبّةِ الشّمسِ
موكّلةٌ بالهمِّ تهزمُ جيشه^٣ بجيشِ الأمانِي والمسرّةِ والأنسِ
فإن شئتَ^٣ قلّ فيها أرقّ من الهوا وإن شئتَ قلّ فيها أرقّ من النفسِ

قال أبو الحسن : البيتان الأولان من هذه القطعة صُبْحٌ بلا صَبوح ،

١ من أمير المسلمين : سقط من ط د س .

٢ انظر ص : ٤٨ في ما تقدّم .

٣ ط د س : قلت .

وَجَسَدٌ بلا روح ، استأذن بهما على قول الحسن^١ فما وصل ، ودندن
حول ذلك المقطع المستحسن فما تحسّل له ولا حصل ، ومنحى الحسن
الذي انتحاه ، وميدانه الذي رame بزعمه وتعاطاه ، قوله^٢ :

أَكَلَ^٣ الدهرُ ما تجسّم منها وتبقّى لبابها المكنونا
فإذا ما لمستها فهباءٌ تمنعُ الكفَّ ما تبيعُ العيونا
ولبعضهم في قريب منه^٤ :

وخمارة من بنات الملوك ترى الزقّ في بيتها سائلا [٢٩ ب]
مَدَدْنَا لها ذهباً جامداً فكالت لنا ذهباً سائلا
وبلغني أنه غنيّ المعتمد بن عباد بهما فزاد فيهما هذا البيت :
وقلنا خذي جوهرأ ثابتاً فقالت : خذوا عَرَضاً زائلاً
وقال ابن المعتز :

لم يَبْقَ منها البلى [شيئاً] سوى شبحٍ بقية الشكّ بين الصدق والكذب

ولبعض أهل العصر في قريب من هذا الوصف ، وإن كان في ذكر
السيف :

تدبُّ المنايا الحمرُ من جنباته على جامدٍ في الكفّ ، في العينِ ذائبٍ
وقال ابن رزين :

١ يعني ابا نواس الحسن بن هاني .

٢ ديوان ابي نواس : ٣٣٩ .

٣ الديوان : درس .

٤ الديوان : اجتليتها .

٥ نسبها في بدائع البداهة : ١٥٨ لابن المعتز ، وذكر انه يشغل ذلك عن الذخيرة .

يا ربَّ ليلٍ أطال الهجرُ لذَّتهُ فأبأسَ العمرَ عن إدراكِ مُتتصفه
 ليلٌ تطاولَ حتى قد تبيَّنَ لي عند التأملِ أنَّ الدهرَ من سُدَّفه
 وله ١ :

أنا مَلَكٌ تجمعتُ في خمسٍ كلُّها للأنامِ محيٍ مميتُ
 هيَ ذهنٌ وحكمةٌ ومضاءٌ وكلامٌ في وقتهِ وسكوتُ
 وهذا البيت قلب معناه ، فيما أراه ، من قول الأوَّل ، وأحسن ما شاء :
 وإن كلامَ المرءِ في غيرِ كنهه لكالنبْلِ يهوي ليس فيه نصاله ٢
 ومن غريبِ شعرِ ابنِ رزینِ قوله :

أخسيسٌ بمجلسٍ معشرٍ ما فيه إلا الطنَزُ برُ
 جلساؤه قومٌ ٣ ثِقَا لَ كُلُّهُمُ خُبْتُ وشرُّ
 ما فيهمُ إلا ذني ؤ أو غبيُّ أو مضرُّ
 أسدٌ على ثلبِ الكرا م وإن ورتَّتهمُ فذرُّ
 هذا يغوثٌ بل أضه ل وذا يعوقُ وذاك نسرُ
 ذاك المحلُّ كوادٍ عو ف ليس يلقي فيه حرُّ

وهذا من طرقِ تلك الزبراء التي تعسَّفها وحدهُ ، وبعضِ الشؤون
 التي عوَّل فيها على ما عنده ؛ إذ هذا المثل يضرب للسيد المتيع الذي غلب

١ س : وقال يفخر .

٢ د ط س : تهوي ليس فيها نصالها .

٣ ط س : قدم .

٤ سقط البيت من د ط س .

٥ فيه إشارة الى المثل : « لا حر بوادي عوف » ، انظر فصل المقال : ١٢٩ ، ٣٣٦ والميداني
 ٢ : ١٢٤ والعسكري ٢ : ٢٧٥ .

الناسَ على السيادة ، أو قسّهم على ما تعيّنَ منهم وأرادهُ^١ ، ولو أُلْمِتُ
في هذا الكتاب بشيء [٣٠ أ] من التفسير لاجتلبتُ كلَّ ما قيل فيه ،
ولنُثِرْتُ ما خفيَ على ذي الرياستين من مطاويه ، وقد ذكرت من ذلك
جملةً موفورة ، في كتاب : « سرّ الذخيرة » .

ما أخرجته من شعر ذي الرياستين في النسب وما يناسبه

[قال] :

أنحى^٢ على جسمي النحولُ فلم يدعْ متوهماً من رَسْمِهِ المعلومِ
عَبَّثَتْ به أيدي الضنا فكأنه سرٌّ خفيٌّ في ضميرِ كتومِ
وقال :

أقسمتُ بالوردِ الجنيِّ ورنتني نايٍ وعودِ
لأواصلنك بالرضى أو تأفّنْ من الصدودِ
ولأشربنك بالمني ولألثمننك من بعيدِ
ولأرضيننك أن سخطت بذلّةِ الدّيفِ العميدِ
ولأعطفننك بالخضو ع وبالقنوع وبالسجودِ
فبحقّ ما في فيك من لعسٍ ومن ثغرِ برودِ
أدمي يضيع وشاهدا خديك في عقدِ الشهودِ^٣

وقال^٤ :

١ د ط س : أو يقصرهم على ما يعين لهم من إرادة . ٢ س : أخنى .

٣ ب م : الشهيد .

٤ هذه القطعة ، والقطعة الضادية التي سترد رابعة ، وردتا مكررتين في ب في آخر الترجمة .

أترى الزمانَ يسرُّنا بتلاقٍ
وتعضُّ تفاحَ النهودِ شفاهُنا
ويعيدُ أنفُسنا إلى أجسادِها^٢
ويضمُّ مشتاقاً إلى مشتاقٍ
فلطالما شُرِّدنا بالأحداقِ^١
فلطالما شَرَدَتْ على الآفاقِ

وقال :

ترهّدني في الزهدِ عينٌ مريضةٌ
ولم تبقِ نفسي غيرُ عطفةٍ شادنٍ
شكوتُ إلى فيه الذي بي من الظما
يمرّضني من لحظها ما أعلّتي
عساني أفديّه بها ولعلني
فأنهني عَذَبَ الرُّضابِ وعلّتي

وقال^٣ :

إذا زهدتني في الهوى خيفةُ الردى
فلا دمعَ ما لم يجر في إثره دمٌ
جلّت لي عن وجدٍ يزهد [في الزهدِ]
ولا وجد ما لم يغن عن صفة الوجدِ

وقال :

برّحَ السقمُ بي فليس صحيحاً
ان للأعينِ المراضِ سهاماً
جوهرُ الحسنِ منذ أعرضَ للقلدِ
مَنْ رأت عينُهُ عيوناً مراضاً
صيرتْ أنفَسَ الورى أغراضاً
بِ ثنى الجسمِ كلّه أغراضاً

وقال :

يا مُقلّةَ الظبي الغري
ومصيّبَ حباتِ القلو
رِ ووجنةَ القمرِ المنيرِ
بِ بزاعبياتٍ ، الفتورِ

١ د ط س والخريدة : تفاح الحدود ؛ د ط س والقلائد : وترى بنا الاحداق بالاحداق ؛
الخريدة : وذرى سنا . . . الخ .

٢ د ط س : أجسامها . ٣ سقط البيتان من ط د س .

٤ الزاعبيات : رماح منسوبة الى زاعب ، رجل أو بلد . وقال المبرد : تنسب الى رجل من
الخزرج ، كان يعمل الاسنة .

تالله إن لم تترك
لأسرحن^١ لواحظي
ولآكلشك^٢ بالمني
عن ذا الجفاء وذا النفور
في ذلك الورد^٣ النصير
ولأشربنك^٤ بالضمير

وقال يفخر :

من كثر الجند رأى سعدة^١
ومن أذل المال عزت به
فاهدم بناء البخل وارفض به
لا عاش إلا جائعاً ناعماً
يصعد حتى ينتهي حدة^٢
أيامه وانصرفت جنده
من هدم البخل بني مجده
من عاش في أمواله وحده

وقال :

شأوت آل رزين غير محتفل^١
قوم إذا سئلوا أغنوا ، وإن حربوا
جادوا فما يتعاطى جود أنملهم^٢
وما ارتقيت إلى العليا بلا سبب
فمن يرُم جاهدًا إدراك منزلي
وهم على ما علمتم أفضل الأمم
أنفوا ، وإن سوبقوا جازوا^٣ مدى الكرم
مد البحار ولا هطالة^٤ الديم
هيهات هل أحد يسعى بلا^٥ قدم
فايحكني في الندى والسيف والقلم

وقال ٤ :

وروض كساه الطل^١ وشياً مجدداً
إذا صافحته الريح خلّت غصونه^٢
إذا ما انسكاب الماء عاينت خيلته^٣
وإن سكنت عنه حسبت صفاءه^٤
فأضحى مقيماً للنفوس ومقعداً
رواقص في خضر من العصب ميّداً
وقد كسرتة راحة^٥ الريح مبرداً
حساماً صقيلاً صافي^٦ المتن جرّداً

١ ط د س : على .

٢ ط د : حازوا .

٣ ط د س : يرى .

٤ انظر القلائد : ٥٢ والمغرب ٢ : ٤٢٨ .

وَعَنْتْ بِهِ وَرَقُ الْحَمَائِمِ حَوْلَنَا غَنَاءَ يُنْسِيكَ الْغَرِيضَ وَمَعْبَدَا
 فَلَا تَحْقِرَنَّ الدَّهْرَ مَا دَامَ مُسْعِدًا وَمُدًّا إِلَى مَا قَدْ حَبَاكَ بِهِ يَدَا
 وَخُذْهَا مُدَامًا مِنْ غَزَالٍ كَأَنَّهُ إِذَا مَا سَعَى بَدْرٌ تَحْمَلُ فَرَقْدَا

وهذا البيت الأخير معناه مشهور وهو كثير في أشعارهم ؛ ومنه قولُ
 عنان جارية الناطقي ، وقد رُوي لأبي نواس :

وَكَأَنَّهَا وَالْكَاسُ فَوْقَ بَنَانِهَا شَمْسٌ يَمُدُّ بِهَا إِلَيْكَ هَلَالُ
 وقال ابنُ الرومي :

قمرٌ يقبَلُ عارضَ الشمسِ^١

وقال ذو الرياستين [٣١ أ] [من جملة أبيات] :

قَدْ خَرَجْنَا مِنْ أَزْدَحَامِ الْقَتَامِ كَشْمُوسٍ خَرَجْنَ تَحْتَ الْغَمَامِ
 وَحَصَلْنَا فِي نَزْهَتَيْنِ وَفِي حُسْنِ نَيْنِ بَيْنِ الْمِيَاهِ وَالْآكَامِ
 بَيْنَ [رَوْضِ] مُدَبَّجٍ وَغُصُونِ تَتَشَنَّى كَشَارِبَاتِ الْمَدَامِ^٢
 غَرَّدَتْ فَوْقَنَا الْبَلَابِلُ وَالْوُرُ قُ فَارَقْنِي وَهَجَنَ غَرَامِي
 ذَاكَ طَيْرٌ أَطَارَ قَلْبِي شَوْقًا وَحَمَامٌ مُغَرَّدٌ بِحَمَامِ^٣

وكتب إليه أبو جعفر بن سعدون بهذه الأبيات :

[فديناك لا يستطيعك النظم والنثر فأنت ملوك الأرض وانفصل الأمر]

١ هذا البيت . . . الشمس : ورد في ط د س في موضع هذه العبارة : « ومعاني هذه الابيات
 واكثر هذه التشبيهات قد ذبعت عليها فيما مضى من هذا التصنيف ، واندرج لها نظائر في
 تصانيف هذا التأليف » .

٢ ب : كشاربات مدام ؛ د : كشارب من مدام ؛ س ط : كشارب مدام .

٣ د : بحامي . م ب : لحام .

٤ هذه الابيات : عبارة لم ترد في د ط س .

وقد جلبت ساعاتنا لهُو يومنا^١ وساعدَ سعدٌ منه لو ساعدَ السكرُ
وفضلكَ للجودِ المتممِ ضامنٌ فمن عندهِ خمرٌ ومن عندنا شكر
فأجابه ذو الرياستين :

رغبتمُ وأرغبناكمُ وهي الخمرُ فما لم يكن سُكرانٍ فليكنِ السكرُ
إليكم فاني في الوغى والندى فتى هو البحرُ إن أعطى وإن صال فالدهرُ^٢

أخبر الوزير أبو عامر بن سنون أنه اصطحب يوماً والجو سماكي العوارف ،
لازوردي المطارف ، والروض [أنيقة لبائته^٣] رقيقة هبائه ، والتورمبستل ،
والنسيم معتل ، ومعه قومه ، وقد راقهم يومه ، وصلاته تصافح معشيمهم ،
ومبراته تشافيه موافيمهم ، والراح تشعشع ، و [ماء] الأمانى ينشع ، فكتب
إلى ابن عمار وهو ضيفه :

ضمانٌ على الأيام أن أبلغ المنى إذا كنتَ في ودي مُسرّاً ومعلنا
فلو تسألُ الأيامُ مَنْ هو مفرد بودّ ابنِ عمّارٍ لقلتُ لها : أنا
فإن حالتِ الأيامُ بيني وبينه فكيف يطيبُ العيشُ أو يحسنُ الغنى
فأجابه :

هصرت لي الأيامَ طيبةَ الجنى وسوّغتني الأحوالَ مُقبيلةَ المنى^٤
وألبستني النعما أغصن من الندى وأجمل من وشي الربيع وأحسننا
وكم ليلةٍ أحظيتني بحضورها فبتُ سميّاً للسّناءِ وللسّنا
أعّلتُ نفسي بالمكارم والعلا وأذني وكفّي بالغناءِ وبالغنى

١ ط د س : اللهو بيننا .

٢ الى هنا تنتهي الترجمة في د ط س ؛ وما جاء بعدها في م ب يتفق مع ما ورد في قلائد العقيان :

هـ وما بعدها ؛ وقد انفردت ب ايضاً بزيادات اشرت اليها فيما تقدم ، وهي تكرار^{١١}
سبق ذكره .

٣ زيادة من القلائد ؛ وفي ب م بياض .

٤ القلائد : الدنى .

سأقرن بالتمويلِ ذِكْرَكَ كَلَمًا
لأَوْسَعَتَنِي قَوْلًا وَطَوَّلًا كَلَاهِمَا
وشرقتني من قطعةِ الروضة التي^١
نروقُ بحيد الملكِ عقداً مُرَصَّعاً
فدمُ هكذا يا فارسَ الدَّسْتِ والوغي
لتطعنَ طوراً بالكلام^٢ وبالقنا

وكتب إليه الوزير أبو جعفر بن سعدون وقد اصطبج يوماً بحضرته ولارذاذ
رشد ، والربيع على [وجه] الأرض قَرَشٌ ، وقد صقل الغمامُ الأزهارَ حتى
أذهب نَمَشَهَا ، وسقاها فأروى عطشها :

فدينك لا يَسْطِيعُكَ النظمُ والنثرُ
مَرَيْنَا نَدَاكَ الغمرَ فأنهلَ صَيِّباً
وجاء الربيعُ الطلقُ يندى غَضَارَةً
وما منهمُ إِلَّا إِلَيْكَ انْتِمَاؤُهُ
خلا منك دهرٌ قد مضى بعبوسه
« فبشرتُ آمالي بملكٍ هو الورى
فراجعه :

إليكَ فلولا أنتَ لم يُنظَمْ الدرُّ
إذا قلتَ لم ينطقَ فصيحٌ مَذْرَبٌ
لك السبقُ كم روضتَ من عاطلِ الربى
ولما ملكْتَ القولَ قهراً^٥ وعنوةً
ولا التامَ في مدحِ نظامٍ ولا نثرُ
ولا ساغَ في سَمْعٍ غناءً ولا زهر
وحللتَ من سحرٍ وقد عُدِمَ السحرُ
أطاعك جيشُ النظمِ واثمرَ النثرُ

١ القلائد : الروض بالتي ؛ وفي م : الروض .

٢ القلائد : بالاقلام طوراً .

٣ القلائد : العصر .

٤ القلائد : العصر .

٥ القلائد : قسراً .

فلا نقلَ إلاَّ ما تقولُ بديهةً ولا خمرَ ما لم تأتِ من فمك الخمر
ثم وجه فيه إلى روضة قد أرجت نفحاتها ، وتدبجت ساحاتها ، وتجردت
جداولها كالبواتر ، ورمقت أزهارها بعيون فواتر ، فقال ذو الرياستين :
روض " كساه الطلّ ... البيت ١ [١٣٢]

وللكاتب أبي الحسن ابن سابق عندما وصل مريبطر عند تخلّي أبي عيسى بن
لبون عنها ، وكان في جملة من انخرّف عن ابن لبون ، وتشوّف إلى المستعين ،
وورد على غير عذب ولا معين ، فقال أبو الحسن ٢ :

من كان يطلبُ من أصحابنا صلةً على فراقِ أبي عيسى بن لبونِ
فليس يُقنّعي من بدمه عيوضٌ ولو جُعِلَتْ على أموالِ قارونِ
قد كان كنزِي فكفّ الدهرُ عنده يدي والدهرُ يُمتنعُ بالنعيمِ إلى حينِ
كانَ قلبي إذا ذوكرتُ فُرّقتهُ مقلّبٌ فوقَ أطرافِ السكاكينِ

فلما سمع قوله هذا ابن رزين قال :

هَبُّوا لَنَا حَظَّكُمْ مِنْ آلِ لَبَّونِ كَمْ تَبْخُلُونَ عَلَيْنَا بِالرَّيَاحِينِ
لَا تَعْدِلُونَا فَحَقٌّ أَنْ نَنَافِسَكُمُ فِي أَكْرَمِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ ٣
ذَاكَ الْوَفِيُّ الَّذِي نَبِطَتْ تَمَائِمُهُ عِنْدَ الْفِطَامِ عَلَى حِلْمِ ٥ ابْنِ سِيرِينَ
اخْتَارَنَا فَتَخَيَّرَنَاهُ صَاحِبِنَا وَكَلَلْنَا فِي أَخِيهِ غَيْرُ مَغْبُونِ
إِنْ كَانَ أَنْشَرَ ذَكَرِي فِي بِلَادِكُمْ لِأَنْشَرْنَ لَهُ يَحْيَى بْنُ ذِي النُّونِ
وَكُلُّ مَنْ حَوْلَهُ حَاطِ بِحَظْوَتِهِ يَغْشَى ٦ الْحَسُودَ بِتَرْفِيعٍ وَتَمَكِينِ

١ اورد هنا سبعة أبيات سبق إيرادها ، وهذا تكرار يدل على أن هذه القطعة المزيدة دخيلة على
« الذخيرة » وفيها اتباع واضح لما جاء في قلائد العقيان .

٢ انظر القلائد : ٥٤ .

٣ القلائد : للدنيا وللدن .

٤ القلائد : الكريم .

٥ القلائد : حلم .

٦ القلائد : يشجي .

حتى تقولَ الليالي وهي صادقةٌ هذا السؤالُ في هذي السلاطين
وله ١ :

ربَّ صفراءَ تردَّتْ بشحوبِ العاشقين
مثلَ فيعلِ النارِ فيها تفعلُ الآجالُ فينا

وله يتشوقُ إلى خليط ودّعه ، وأجرى بعده أدمعه ٢ :

دع الدمعَ يُفني العينَ ٣ ليلةً ودّعوا إذا انقلبوا بالقلب لا كان ملمعُ
سرواً كاغتداءِ الطير ، لا الصبرُ بعدهم جميلٌ ، ولا طولُ الملامةِ ينفعُ
أضيقُ بحملِ الفادحاتِ ٥ من النوى وصلري من الأرضِ البسيطةِ أوسعُ
وإن كنتُ خلاّعَ العذارِ فلأنني لبستُ من العلياء ما ليس يُخلعُ [٣٢ ب]
إذا سلّتِ الأحاطُ سيفاً نخشيتُهُ وفي الحربِ لا أخشى ولا أتوقعُ

وأخبر أبو عامر بن سنون ، أنه كان معه بمثية العيون ، في يومٍ مُطرز الأديم ،
[وجلس] معزّز النديم ، والأنسُ يغازلهم من كلِّ ثنية ، ويواصلهم بكلِّ
أمنية ، فسكّر أحدُ الحاضرين سكراً مثل له ميدان الحرب ، وسهّل عليه مستوعر
الطعن والضرب ، فقال :

نفسُ الذليلِ تعزُّ بالجرىالِ فيقاتلُ الأقرانَ دونَ قتالِ
كم من جبانٍ ذي افتخارٍ باطلٍ بالخميرِ تحسبهُ من الأبطالِ
كبشُ النديّ تخمطاً وعرامةً وإذا تُشِبُّ الحربُ شاةُ نزالِ
وله :

برَّحَ السَّقَمُ [البيت] ٦

١ انظر القلائد : ٥٦ والمغرب ٢ : ٤٢٩ .

٢ القلائد : ٥٥ والمغرب ٢ : ٤٢٩ . ٣ القلائد : الجفن .

٤ القلائد : الندامة . ٥ القلائد : الحادثات .

٦ تكرر هذا البيت من قبل ؛ وقد ورد وحده في م وورد في ب مع بيتين آخرين .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي محمد عبد الله ابن الفقيه أبي عمر بن عبد البر النمري وسياقة فصول من ترسيله ، تشهد لمن قال بتفضيله^١ .

كان أبو محمد قد حلّ من كُتّاب الإقليم ، محلّ القمر من النجوم ، وتصرف في التأخير والتقديم ، تصرف الشفرة في الأديم ، وله ولأبيه قبله لواء سبق ، ولسانُ صديق ، وكفى بأبيه علماً لا يخفى ، ورحماً من العلم لا تجفى ، وتواليفه اليوم تيجان رؤوس^٢ العظماء ، وأسوة العلم والعلماء . ولما^٣ شأى أبو محمد بالأندلس الحلبة ، وتبجح صدر الرتبة ، تهادته الآفاق ، وامتدت إليه الاعناق ، ففاز به قيدُ عباد بعد طول خصام ، والتفاف زحام ، فأصاخ أبو محمد لمقاله ، وتورط بين حباله وحباله ، وحلّ البلد النكد ، وركب يومئذ الأسد الورْد ، وعلى ذلك فكان غصّ أبو الوليد ابن زيدون بمقدّمه ، وجهد - زعموا - كلّ جهد في إراقة دمه ، ولهما في ذلك خبرٌ سارت به الركبان ، وسمر تهادته السقار في جميع البلدان^٤ .

ولما رأى أبو محمد أنه قد باء بصفقة خسران ، وأن العشاء قد سقط به على سرحان^٥ ، أدار الحيلة ، وابتغى إلى الخلاص الوسيلة : زعموا

١ ترجمة أبي محمد بن عبد البر في القلائد : ١٨١ والخريدة ٢ : ١٣ ، ٤٧٨ ، (١٦٦) ، (٤٥٩) وبغية الملتبس رقم : ٩٦٥ والمغرب ٢ : ٤٠٢ والصلة : ٢٧٠ (وفيها أنه توفي سنة ٤٥٨ وهو مخالف لما ذكره ابن بسم) واعتاب الكتاب : ٢٢٠ والمسالك ٨ : ٢٤٦ .
٢ ب م : رؤساء .

٣ من هنا نقله ابن الأبار في اعتاب الكتاب : ٢٢١ مع إيجاز وحذف .

٤ ط د س : الركائب ، وسمر تهادته المشارق والمغرب ، وكذلك خ بهامش م .

٥ سقط العشاء به على سرحان : مثل ، وأصله ان رجلاً خرج يطلب العشاء فوقع على ذئب ، فأكله الذئب ؟ وقال ابن السكيت : هو سرحان بن معتب ، كان يحمي مكاناً ، فمر رجل من بني أسد فرعى فيه فقتله سرحان (فصل المقال : ٣٦٢ والميداني ٢ : ٢٢١) .

أنه مذ دخل اشبيلية يومئذ لم يزل نافر النفس ، منقبض الأُنس ، فلما
استشعر الحذر ، وأحسّ بالتغيير ، ألقى عصا التسيار ، وأخذ في اقتناء
[٣٣ أ] الضياع والديار ، حتى ظنّ عباداً أنه قد رضي جواره ، واستوطن
داره ، فاستنام اليه برسالة إلى بعض خلفائه من رؤساء الجزيرة وقتّه ،
فجعل أبو محمد يتفادى منها ، ويتناقل عنها وهو يقول : لا أبا لك ، تمنّعي
أشهى لك . ولما انسلّ من يد عبادٍ انسلال الطيف ، ونجا واسأله^١ كيف^٢ ،
رجع إلى مُستقرّه من الشرق ؛ وأدار الحيلة على أبي عمر بن الحذاء
الحائن^٣ ، فعوّضه بضياعه وعقاره ، وزينّ له اللحاق بدار بواره ، وسوء
قراره . وقد كان عباد قبل ذلك يَعِدُهُ وَيَمْنِيهِ ، ويستدرجه ويدلّيه ،
فلما طلع عليه لم يزد على أن أسرّه وقصره ، وأظهر من الزهد فيه ، أضعاف
ما كان يَعِدُهُ وَيَمْنِيهِ ، وجعل أبو محمد ابن عبد البرّ بعد ذلك ينتقل في
الدول ، كالبدْر يترك منزلاً عن منزل ، وقد جمع التالد إلى الطارف^٤ ، وكتب
عندنا عن أكثر ملوك الطوائف ، وقد أخرجت من شواهد على الإحسان ،
ما يليق^٥ بغرض هذا الديوان . وكانت وفاة أبي محمد سنة أربع وسبعين
وأربعمائة .

١ د ط س واعتاب الكتاب : وسله .

٢ ذكر ابن الأبار أن والده الفقيه إبا عمر ابن عبد البر سافر من شرق الاندلس الى اشبيلية
لتخليص ابنه من يدي عباد ، فأطلقه له ، وانصرفا عنه محفوفين بالأكرام .

٣ ب م : أبي عمرو بن الجدي ؛ ولفظة « الحائن » لم ترد في ط د س ؛ وأبو عمر ابن الحذاء هو
أحمد بن محمد بن يحيى التميمي ، جلا عن قرطبة في الفتنة ثم عاد إليها فكان متصرفاً بينها
وبين اشبيلية الى ان توفي سنة ٤٧٧ (الصلاة : ٦٥) .

٤ ط س د : والطارف . ه ط د س : يفي .

جملة ما أخرجته من رسائله السلطانيات

فصل له من رقعة عن ابن مجاهد وقد زفّ ابنته إلى ابن صمادح^١ :
قد انتظمتنا [أيديك الله] انتظام السِّلَك ، وضرّحنا عن مشاربِ الحالِ
الجامعة لنا قذاة كلِّ شك وإفك^٢ ، وظهر الحقُّ المبينُ من المين ، وتبين
الصبحُ لذي عينين^٣ ، وأنفِذتِ الهدية^٤ المقتضاة ، محفوفةً بالحرم والمحارم ،
مكتوفةً بالكرائم ثم بالاعلام^٥ الأكارم ، وانا أسألُ الله في متوجّهها
ومُنقلبها الرعاية الموصولة بك ، والكفاية المعهودة منك ، حتى يفيء
عليها ظِلُّكَ ، ويوثّقها مشوى الحفاية^٦ محلّك ، ويحميها حوزك ومكانك ،
ويؤويها عزك وسلطانك ، ثم حسبي عليها كرمك وكَنَفُكَ ، وخليفتي
عليها برك ولطفك ، فهي الآن ملكك وانت الكريم المسجع ،
وبضاعة متجري منك وأنت المُرِيحُ المنجح ، فانك - والله يميّك
ويعليكَ ، ويشدُّ قبضتَكَ على [رقاب] أمانيتك وأراجيك - ذخِرُ الأبد ،
وعتادُ الأهل والإخوان والولد ، وعندك ثمرة النفس وفلذة الكبد ،
فارقنّها عن شدّة ضنّانه ، وأسلمتها بعد طول صيانة ، وما زُفّت إلا إلى
كريم^٧ يحملها محمل الأمانة ، ويقضي فيها حقّ الديانة ، ويرعى لها انقطاعها

١ انظر المغرب ٢ : ٤٠٢ - ٤٠٣ .

٢ ب م : افك وشك .

٣ من المثل : « قد بين الصبح لذي عينين » ، فصل المقال : ٦١ .

٤ الهدية والهدي : العروس ، وفي اللفظة تورية .

٥ د ط س : بالكرائم والاعلام .

٦ الحفاية والحفاوة بمعنى .

٧ ط د س : كفيل .

عن أهلها ، واغترابها عن مألها ومنشأها ، وهو حُكْمُ الله [٣٣ ب]
 الواجب ، وقَدَرُهُ الغالب ، وسُنَّتُهُ المشروعة ، ومشِيئَتُهُ المتبوعة .
 ولنا في رسول الله عليه السلام أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، وفيما قاله في مثل هذه قُدْوَةٌ
 يقتدى بها ، وسُنَّةٌ يحتذى عليها ، إذ تلا قوله تعالى ﴿ وهو الذي خلقَ مِنَ
 الماءَ بَشَرًا فجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ (الفرقان : ٥٤) وقال عليه السلام :
 « انما فاطمةُ بضعةٌ مِنِّي ، فمن أكرمها فقد أكرمني ، ومن أهانها فقد أهانني »^١ .
 اللهمَّ بارك لها وبارك عليها ^٢ .

ولأبي ^٣ محمد بن عبد البر :

لا تكثرَنَّ تأمُّلاً واحبسْ عليكَ عنانَ طرفِكَ
 فربَّما أرسلتَهُ فرماكَ في مَيِّدانٍ حتفك

وكتب إلى بعض إخوانه ^٥ : مَن صَحِبَ الذَّهَرَ - أعزَّكَ الله - وقع
 في أحكامِهِ ، وتصرَّف بين أقسامِهِ : من صحَّةٍ وسَقَمٍ ، ووجودٍ وَعَدَمٍ ،
 وفتنٍ ^٦ وَهَرَمٍ ، وبعادٍ واقترابٍ ، وانتزاحٍ واغترابٍ ، واتَّفَقَ لي ما
 قد علمتَ من الانزعاج والاضطراب ، والتغرب والإياب ، لا والله ما
 جرى من حركاتي شيءٌ على مُرادِي واعتقادي ، وإنما هيأتها الأقدارُ
 والآثارُ ، وعند ورودِي أُعْلِمْتُ بما أصابتك [به] صروفُ الأيام ، من

١ ورد في الصحيحين ، باب مناقب الصحابة ، ومسنَد أحمد ٤ : ٣٢٦ بلفظ مختلف .

٢ ب ط د س : لنا . . . علينا .

٣ من هذا الموضع حتى قوله : « فالمصاب جليل » لم يرد في د ط س ، واكثره متابع لقلائد العقيان :
 ١٨١ وما بعدها ، وقد فصل بين رسالتين في وضوع واحد هو زفاف ابنة مجاهد الى ابن
 صمداح ، وأغلب الظن أنه دخيل على أصل النسخة .

٤ البيتان في القلائد وبغية الملامس والخريدة ٢ : ١٣ ، ٤٧٨ والمغرب .

٥ انظر القلائد : ١٨١ . ب : وقى ؛ م : وقتو .

الامتحان والاثلام ، فيعلمُ الله لقد أَلَمْتُ لذلك نفسي ، وساءَ به أثرُ الزمانِ
عندي ، فقد جمعنا حوادثُ الأيامِ وصروفها ، وقد اختلفتْ أنواعُها
وصنوفُها ، على أن الذي أصابك أثقلُ عبثاً ، وأعظمُ رزواً ، والله يعظمُ
أجركَ ، ويجزِلُ ذُخْرَكَ ، ويجعلُ هذه الحوادثَ آخرَ حوادثك ، وأعظمَ
كوارثك ، حتى يستديمَ ما بعدها من سرَّاءٍ سابغةٍ تُنْعِمُ بِالكِ وخاطركَ ،
وتُقِرُّ عينكَ وناظركَ ، ولا زلتَ من خطوبِ الدهرِ في جهةٍ من الكفايةِ
مكينةً ، ودرعٍ من الحمايةِ حصينةً .

وكتب مهناً للمعتضد بأخذِ شِلْبٍ^١ : كتابي - أعزَّكَ الله - عن حالِ
قد أطلَّ جناحُها ، وآمالٍ قد أسفرَ صباحُها ، ويدٍ قد أورى^٢ زندُها ،
ونفسٍ قد انتُجِرَ وعدُها ؛ أعزَّزْه من صنْعٍ جميلٍ صنعَ الله لكَ بحصولِ قاعدةِ
شِلْبٍ وذواتِها في قبضتكِ ، واستظلالِ ذلك الأفقِ بظلِّ طاعتك ،
 وخروجِ صاحبها عنها من غيرِ عَقْدِ عاصمٍ ، ولا عهدٍ لازمٍ ، قد خابَ
ظَنُّهُ في التماسكِ ، وأخلفه^٣ أَمَلُهُ في التهالكِ ، فأَيَّ نعمةٍ ما أجَلَّها
وأجزَّلها ! وأَيَّ منَّةٍ ما أتمَّها وأجملَّها ! على حينِ تضاعفِ حُسْنِ مَوْقِعِها ،
وبانِ لطفِ محلِّها وموضعِها ، ولاحتِ عنواناً في [٣٤ أ] صحيفةِ مساعينا ،
وبرهاناً على تأتِي أراجينا ، فالحمدُ لله على ما منَّ به وأحسنَ ، حمداً
يوافي الحقَّ ويقضيه ، ويحتوي على المزيدِ ويقضيه ، وهو المسئولُ أن
يُتَّبِعَهُ بأشكاله ، ويشفعهُ بأمثاله ، فظهوري منوطٌ بظهورك ، وسروري
موصولٌ بسرورك ، واتصالُ حالي بأحوالك ، وحيلي بجمالك ، هنالك الله

١ القلائد : ١٨٢ والخريدة ٢ : ٤٧٩ .

٢ القلائد والخريدة : اشتد .

٣ ب م : وجمله ، والتصويب عن القلائد .

ولما ياي ما خوَلَك ، وقَرَنَ بالزيادةِ آلاءهُ قبلَكَ .

وله يرثي بعضَ حظاياها :

بعضُكِ بل كلُّكِ في الرَّمَسِ لتَفدِ يَنكِ النفسُ بالنفسِ
يا فجعةٌ ما مثلها فجعةٌ من ناظرٍ صار إلى رمس
غرسٌ نما حتى إذا ما استوى عدَّتْ يدُ الدهرِ على الغرس

وله :

قل في الحمام وما عَسَاكَ تقولُ النفسُ تجمعُ والحمامُ يَصُولُ
يا أيها الملهوفُ كرباً لا تُفِقُ إنْ جَلَّ صَبْرُكَ فالمصَابُ جليل

وله من أخرى^١ : وقد توغلتُ معك في أسباب الألفة ، وهتكتُ
بيني وبينك ستارَ المراقبة والكلفة ، فأنا أستريحُ إليك بخفياتِ سرِّي ،
وأجلو عليك بنياتِ صدري ، خروجاً إليك عما عندي ، وجرياً معَكَ
على ما يقتضيه إخلاصٌ ودِّي ، وجلاءً لشواغِلِ بالي ، واستظهاراً بك
على حالي ، وشفاءً لغصصِ^٢ نفسي ، واستدعاءً لما شَرَدَ ونفَرَ من أنسي ،
كما يَنفِثُ المصدور ، ويتلقى بردَ النسيم المحرور^٣ ، وكما تفيضُ النفسُ
عند امتلائها ، وتجوّدُ العين طلباً للراحة بمائها أو دماؤها ؛ وكنتُ أشرتُ
في كتابي بتوجّه من توجّه من قبلي ، ممن كان رَوْحَ أنسي ، وريحانَ
خلدي^٤ ونفسي ، إلى أن قرَعَ ما قرَعَ من لوعةِ الفراق ، ولذعَ ما لذعَ
من رَوْعَةِ الاشتياق ، وأنا أظنُّ أن ذلك عاقبةُ الصبرِ تغلبُهُ ، والجلدِ

١ زاد في ط د س : في ذكرها ، يعني في ذكر ابنة مجاهد وزفافها الى ابن صمادح ، انظر

ص : ١٢٧ . ٢ ط د س : لمضض .

٣ ط د س : المخمور .

٤ ط د س : نفسى . . . جنلي وأنسي .

يَعْقُبُهُ ، وان انصرامَ الأيامِ يُنسيه وَيُذهِبُهُ ، فإذا هو قد أفرطَ وزاد ، وغلب أو كاد ، حتى نفى السلو ، ومنع الهدوء ، وتعدَّى اللذعَ إلى الإحراق ، وتجاوزَ الرُّوعَ إلى الاطباق ، والأفقُ داجٍ مظلم ، والنهارُ عندي ليلٌ مستبهم ، وإني لأستخفُّ لما أجدهُ حلماً ، وأستضعفُ مما أكابدهُ عزمي ، واستنهضُ للشبابِ تأييدي وحزمي ، فينزع [٣٤ ب] بي الإشفاقُ المستولي ، ويترجمُ الزفيرُ المستعلي ، ويتصورُ لي أنّ قطعةً مني ، بانتَ منفصلةً عني ، وأن جزءاً من أجزائي ، ذهب بصبري وعزائي ، حتى إذا تفكرتُ في خروجها إليك ، وأنت من أنت ، تراجعتُ وتماسكت ، وإذا تذكرتُ تعريسيها بك ، وحالكَ حالُكَ ، تصبرتُ^١ وتماكتُ ؛ واللهُ يَطْلِعُنِي من سلامةِ الوصول ، وكرامةِ الحلول ، ما يُقَرُّ العينَ وَيَسْرُرُ النفسَ ، بمنهٍ وَيُؤْمِنِهِ .

قال أبو الحسن : كناية أبي محمد عنها بـ « الهدية »^٢ ، كناية سرية^٣ ، وإنما احتذى في ذلك حَدَوَ بلغاء المشرق - ذكر أبو منصور الثعالبي قال : لما زَفَّ بختيار بنته إلى أبي تغلب بالموصل كتب عنه الصابي فصلاً بمعناها استحسنته البلغاء وتحفظوه ، وأقرَّ له كلُّ بليغٍ بالبلاغة فيه وهو : قد توجه أبو النجم بدرُ الحرمي ، وهو الأمينُ على ما يَلَحْظُهُ ، الوفيُّ بما يحفظُهُ ، يحملُ الهديةَ ، وإنما نُقِلَتْ من وطنٍ إلى وطنٍ ، ومن معرَسٍ إلى معرَسٍ ، ومن مأوى بئرٍ وانعطافٍ ، إلى مأوى كرمٍ وألطافٍ ، ومن منبت درت له نعامؤه ، إلى منشأ تجودٍ عليه سماؤه ؛ وهي بضعة

١ ط س : تبصرت . ٢ انظر ما تقدم ص : ١٢٧ .

٣ ب م : برية .

٤ د ط س : احتذى حذر بلغاء المشرق ، كقول الصابي في فصل عن بختيار وقد زف ابنته إلى أبي تغلب بالموصل : وقد توجه أبو النجم . . . الخ .

مني انفصلتُ إليك ، وثمرةٌ من جَنَى قلبي حَصَلَتْ لديك ، وما بان عَنِّي من وصلتُ حَبْلَه بِجَبْلِكَ ، وتخَيَّرْتُ له بارعَ فضلك .

وإنما أَلَمُ الصَّابِي في هذا أيضاً بفصل لابن ثوابة كُتِبَ عن المعتضد إلى ابن طولون في ذكر ابنته قطر الندى المنقولة أيضاً إليه ، يقول^١ فيه : وأما الوديعَةُ فهي بمنزلة من انتقل من يمينك إلى شمالك ، عنايةً بها وحياطةً لها ، ورعايةً لمَوَاتِكِ فيها .

فحكى أن الوزير عبيد الله بن خاقان انتقد الفصل على ابن ثوابة^٢ وقال له : ما أَقْبَحَ ما تفاءلتَ لامرأةٍ زُفِّتْ إلى الملك بتسميةِ الوديعَةِ ، والوديعَةُ مُسْتَرْدَّةٌ ، وقولك : من يمينك إلى شمالك أَقْبَحُ ، لأنك جعلتَ أباهَا ابنَ طولون اليمين ، والشمالَ أَمِيرَ المؤمنين ، ولو قلتَ على حال : وأما الهديةُ فقد حَسَّنَ موقعها مِنَّا ، وجلَّ خطَرُها عندنا ، وهي وإن بَعُدَتْ عنك ، بمنزلةٍ من قَرَّبَ منك ، لتفقدنا لها وسرورها بما وردت عليه ، واغتنابها بما صارتُ إليه ؛ فكتب الكتاب يومئذ على ذلك .

وكان في جملة من تحمَّلَ قطرَ الندى يومئذٍ إلى المعتضد أبو عبد الله ابنُ [٣٥ أ] الجصاص^٣ ، وكان آيةً من آيات خالقه في الجهل والغباوة ، مع وفور الجاه وغلظ النعمة ، ونوادره في النوكى مأثورةٌ مذكورة ، جدت أبو اسحاق الماذراني قال : خرَجنا إلى الشماسية مع الوزير عبيد الله بن سليمان نستقبلُ ابنَ الجصاص ، وقد وافى بغدادَ بقطر الندى ،

١ د ط س : وألم الصابي أيضاً في هذا الفصل لابن ثوابة عن المعتضد إلى ابن طولون . . . قال .

٢ د ط س : فانقد الوزير عبيد الله تلك اللفظة عليه . . . الخ .

٣ نوادره كثيرة في كتب الادب : كالبصائر لابي حيان ونثر الدر للآبي وزهر الآداب وجمع الجواهر للحصري والنفوس للصابي ونشوار المحاضرة للتونخي وفوات الوفيات للكتبي .

٤ د ط س : وغلظ .

وبالمعتد يومئذ علة كبرت معها خصيته ، فلما سألناه عن أبي الجيش
خمارويه وعن الحرّة قطر الندى قال : أما الأمير ففي عافية ، وأما العروسة
فجئتكُم بيزيد على ورق^١ ، والله لا يضع الأمير^٢ فرد خصيته عليها إلا
قتلها ؛ فأضحك من حضر .

ومن نوكة أنه دخل عليه بعض إخوانه فوجده يصلي وقد أطل
السجود ، فقال له : ما هذه السجدة ؟ فقال : سألت ربي حاجة ، أن
يمسحني يوم القيامة حوراء ويزوجني عمر بن الخطاب ، قال له : فكنّت
إذن تسأله أن يزوجك بالنبي عليه السلام ، قال : غششتني يا سيدي ،
أردت أن تجعلني ضرة لعائشة !

ومن نوكة أنه كان عند الوزير ابن الفرات يوماً فذكروا^٣ هزاراً
جارية ابن المعتز وأنها تزوجت بغلامه سريعاً بعده ، فقال ابن الجصاص
لابن الفرات : أعز الله الوزير ، لا تثقن بقعبة ولو كانت أمك ؛ فتبسّم
الوزير ، وانقلب المجلس ضحكاً .

وأجيب بختيار يومئذ على كتابه برقة من إنشاء أبي الفرج البغاء يقول
في فصل منها : وأما أبو النجم بدر فقد أدّى الأمانة^٤ إلى محملها ، وسلّم
الذخيرة الجليلة إلى متقبلها ؛ فحلّت^٥ محلّ العز في وطنها ، وأوت من حمى
الأسود^٦ إلى مستقرها وسكنها ، منتقلة عن عطن الفضل والكمال ،
إلى كتف السعادة والإقبال ، وصادرة عن أنبل ولادة ونسب ، إلى
أشرف اتصال وأنبه سبب ، وفي اليسير من لوازم فروضها وواجبات

١ د ط س : ورقة .

٢ د ط س : الخليفة .

٣ د ط س : فتذكروا .

٤ د ط س : فتبسم ابن الفرات .

٥ د ط س : قال فيها : وقد أدى أبو النجم بدر الامانة .

٦ ط س : فجاءت .

٧ ط س د : الأسد .

حقوقها ما عاق رغبتني عن الوصاة بها ، وكيف يوصي الناظر بنوره ،
أم [كيف] يُحَصِّصُ القلبُ على حفظِ سروره .

[رجع] :

ولابن عبد البرّ عن المعتضد إلى أبي عمر أبيه [من] رقعة يقول^١ فيها :
إن كنّا لم نتعارف تراثياً ، ولم نتلاقَ تدانياً ، ففَضَّلَكَ في كلِّ قطر
كالشاهدٍ ، وشخصك في كلِّ نفسٍ غير متباعدٍ ، فأنت واحدٌ عصرك ،
وقريعٌ دهرك ، علماً بيدك لواؤه ، وفضلاً إليك اعتزاؤه ، وكنتَ كذلك
والناسُ موفورون ، والشيوخُ [٣٥ ب] أحياء يرزقون ، فكيف وقد
دَرَسَ الأعلامُ والكُدى^٢ ، وانتزعَ العلمُ بقبضِ العلماء فانقضى ،
والله يباركُ في عمرك ، ويعين كلاً على برك ، وإلى ذلك من مشهور حالك ،
فبيننا من وكيد الذمام السالف ، وشديد اتصال التائد والطارف ، وأنت
له جدُّ ذاكرٍ وبه حقٌّ عارفٍ ، ورعايةٌ مثل هذا منك تُقْتَبَسُ^٣ ،
ولديك تُلْتَمَسُ^٤ ؛ ولم تَزَلْ نفسي إليك جانحةً ، وعيني نحوك طامحة ،
انجذاباً إلى العلم ورغبةً فيه ، ومنافسةً في قضاء حقوقِ حامليه ، والناسُ
عندنا إلى ما عندك ظِماء ، ولدينا الداءُ وأنت الشفاء ، فاجعل بفضلِكَ
للغربِ منك نصيبَ الشرق ، فهو أولى بك وأحقُّ ، وعندي لك من
الإعظام والاكرام ما يُضاهي حالك ، ويُسامي آمالك ، وقد صار عندي
جزءٌ منك متحكماً^٥ فيه على المنصور - أيّده الله - وعليك ، وإرادتي^٦

١ د ط س : قال .

٢ الكدى : جمع كدية ، الاراض المرتفعة ، والاعلام : الجبال ؛ يعنى درس العلماء الاعلام
ومن يليهم في الشهرة والارتفاع . ٣ والله تبارك . . . تلتمس : سقط من ط د س .

٤ ب م : ونفسي . ٥ د ط س : جزء من اجزائك محكما .

٦ د : وارادني ؛ م : وان اذنتني .

أن أجمعَ شملكما ، وأصلَ حبلكما .

وله عنه من أخرى إلى ابن هود : مَنْ اعتقدَكَ - [أعزَكَ الله] -
عماداً له وظهيراً ، وراك عتاداً وذخيراً ، طالعَكَ بحالِهِ وأمرِهِ ، وأطلعَكَ
على حُلُوهِ ومُرِّهِ ، وخرج إليك عن سِرِّهِ وجهِهِ ، وناجاكَ بمختلجاتِ
صدرِهِ ، ومعتلجاتِ^١ فكرِهِ ، مستريحاً إلى النجوى ، بالغاً عُدْرَ^٢ نفسه
في الشكوى ، واثقاً بقضائِكَ الفصل فيما يُورِدُهُ ، عالماً بحكمكَ العدلِ في
ما يعدُّدُهُ^٣ ، راضياً بانصافِكَ في ما يُقدِّرُهُ لديك ويُمَهِّدُهُ^٤ ، واللهُ
لا يُعْدِمُنِي الاستظهارَ برأيِكَ أعشو إليه سراجاً ، وسعيكَ أحتذي عليه
منهاجاً ، وقد علمتَ صورةَ حالي مع المدبرين^٥ لقرطبة^٥ وصبري لهم
في الخطير والجليل ، وانجراري معهم الزمن الطويل ، مغضياً لهم على ما
يوحشُ ويريبُ ، مُغْمِضاً لهم على بوادرٍ لا تزالُ تنوبُ وتثوبُ^٦ ، على
أنها جنایات قعدة ، لا نكایات مُرَدَّة^٧ ، وأن وسعهم^٨ لا يتعدى هذا
الحدَّ ، وطوقهم لا يتجاوزُ هذا الحدَّ .

وفي فصل منها : فلم تزلْ عقاربُ سعيهم إلى تَدَبُّ ، وريحُ جنایاتِ
بَغِيهِم عليَّ تَهْبُ ، وأنا في كلِّ ذلك أقابلُ تخشينهم بالتلين ، وأتلقى
غليَّ مراجلهم بالتسكين ، أتغاضى عما يَرِدُّني منهم مرةً ، وأغالطُ

١ م : ومختلجات .

٢ ب م : عند .

٣ م ب : تعدده ؛ ط س : يقدره ؛ د : يقرره

٤ م ب ط : المديرين .

٥ ط س د : بقرطبة .

٦ س : تثوب وتثوب .

٧ ب م : العقدة المردة . ٨ ط د س : سعيهم .

نفسى في التأويل تارة^١ ، ولا أقارضهم عن شيء مما يطالبونني فيهم^٢ مساترة^٣ ومجاهرة^٤ ، مع إمكان المقارضة سرّاً وعلانية^٥ ، طاعة^٦ مني لعواطف النفس ، في الإبقاء على الجنس ، ما وجدت إلى الإبقاء سبيلاً^٧ ، وعليه^٨ معيناً ، [٣٦ أ] وكنت أرجو مع ذلك أن يثوب ثائب استبصار ، ويخطر خاطر إقلاع وإقصار ، فلا والله ما يزدادون إلا تمادياً في الإضرار ؛ والعجب كل العجب أنهم يُمَالِثُونَ عليّ أعداءهم المنابذين^٩ ، وواتريهم^{١٠} المطالبين^{١١} ، الذين صَيَّرُوا مَلَأَهُمْ بَدَدًا^{١٢} ، وعصاهم قِدَدًا^{١٣} ، واستباحوا دماءهم وأموالهم^{١٤} ، وغيروا آثارهم^{١٥} وأحوالهم^{١٦} ، وجاهدوهم جهاد الكفار^{١٧} ، وساموهم سوم أهل الذلّة^{١٨} والصغار^{١٩} ، فكفكفت^{٢٠} عنهم غزبتهم^{٢١} ، وشغلت^{٢٢} عنهم بنفسي حرّبتهم^{٢٣} ، ولو أغمضت^{٢٤} فيهم ، ولنت^{٢٥} لواتريهم ومطاليهم^{٢٦} ، لما كانت صدور مجالسهم ومجامع^{٢٧} أنديتهم^{٢٨} ، لأفراسيهم^{٢٩} إلا مرابط^{٣٠} ، ولا عاد أهل دارهم وعامر^{٣١} أفنيتهم^{٣٢} لخييلهم إلا مسارح^{٣٣} وبسائط^{٣٤} ، فما ظنك ببصائر تقلّب^{٣٥} - في طلب الثار^{٣٦} ، ومنازدة العدا الفجار^{٣٧} - الطبايع^{٣٨} ، وتغلّب^{٣٩} - في مهاجرة الخوارج المراق^{٤٠} ، الروافض الفساق^{٤١} - الشرائع^{٤٢} ، فاعجب لهذا الاعتزاء بالمخالفة^{٤٣} ، والانتهاز في المكاشفة^{٤٤} .

وله عنه رقعة أقتضبها تخفيفاً للتطويل ، شرح فيها قتله لابنه إسماعيل .
قال ابن بسام : وكان عبّاد قد ألحق يومئذ بابنه حاشية^{٤٥} وأبلغ في المثلة^{٤٦} ،

١ د ط س : فيه .

٢ م : وعليه اكون .

٣ ب م : وأحربهم .

٤ ب م : الذمة .

٥ ط د س : فكففت .

وتجاوز بها إلى من نشأ في الحلية^١ ، وما حماها عنده من الأطباء ثدي ناهد ، ولا شفقة الوالد^٢ . أخبرني^٣ من لا أرد خبره من وزراء اشبيلية قال : شهدنا مجلسه بعد ثلاثة ، من هذه الحادثة ، ووجهه قد اربد^٤ ، وود^٥ كل واحد [منهم] أنه لم يشهد ، ولم يزيدوه على السلام ، وأرتج عليهم الكلام ، فصوب فيهم وصعد ، وزار كالأسد وقال : يا شامتين ، مالي أراكم ساكتين ، اخرجوا عني . فقام كل يجر ساقيه ، ولا يقدم أحد أن يطرف بشفره^٥ إليه ، فلما صرنا بباب القصر ، دعا بنا فانصرفنا ، وأذن لنا في الجلوس فجلسنا ، ثم خرج أمره بأن يحضر الكاتب ابن عبد البر ، فدخل ، ومجلسه قد احتفل ، وقال له : اكتب إلى ابن أبي عامر ، وحلل دم الخائن^٦ الغادر ، وكلاماً هذا معناه . وجاءه الغلام بجلد الرق والدواة ، والوزراء والخاصة جلوس بذلك المقام ، وقالوا في أنفسهم : ما عسى أن يتجه لابن عبد البر من كلام ، على هذه الحال ، لاسيما على الارتجال ؛ قال المحدث : فسوى الجلد ، وجعل يستمد ويكتب ، وعين المعتضد فيه تصعد وتصوب ، فلما فرغ منه أسمع ذلك إلى آخره ، وخرجوا عنه وهم يرون أن ابن عبد البر من آيات فاطره ، وكان [قد] قال في تلك الرقعة [بعد الصدر] :

١ م : يشاء في الحيلة ؛ ب : يشاء في الحلية .

٢ ط د س : من الأطباء ، برد ماء ، ولا شقة لمياء ؛ ب و خ بهامش م : ثدي ناهد ولا شقة ليا .

٣ نقله ابن عذاري في البيان المغرب ٣ : ٢٤٥ بصيغة الغائب ؛ وفي ط د س : أنهم دخلوا عليه بعد ثلاثة من تلك الحادثة الخ .

٤ ط د س : تلك .

٥ ط د س : بشفر عين .

٦ ط د س : فلما صاروا نفذ بانصرافهم الامر ، فرجعوا وجلسوا ثم امر ان يحضر .

٧ ب : الخائن

إذا تقوضي - أيديك الله - حق المشاركة ، وتعوطي^١ حق المساهمة
 بين إخوان الصفاء ، في [٣٦ ب] صغار الأبناء ، فأخلق بتقاضيه في
 العجائب العقم^٢ ، وتعاطيه عند النوائب الدهم^٣ ، وطرات علي^٤ [يا سيدي
 وأعلى عددي] من خطوب الأيام طارئة^٥ دهياء دهماء ، وفجأتني^٦
 من ضروب^٧ الأقدار فاجئة^٨ عمياء صماء ، ثارت إلي^٩ من مكمني ،
 وطلعت علي^{١٠} من مأمتي ، وشرعت نحوي من قبل الجنة التي كنت أعدتها
 لأشباهاها ، وأديرها متفيئاً بها من تلقائها وتجاهها ، إلا أن الله بصنعه
 الجميل الذي لا أنفك^{١١} أشكره وأحمده كفاني أولاً ثم شفاني آخرأ ، له الحمد
 دائماً ، والشكر واصبأ ، وشرح ذلك^{١٢} [أيديك الله] أن الغبي العاق ،
 اللعين المشاق ، إسماعيل ابني بالولاد لا بالوداد ، ونجلي بالمناسب لا بالمذهب ،
 كنت قد ملت بهواي إليه ، وقد مته على من هو أسن منه ، وجبت^{١٣}
 الشيء^{١٤} يعني ويصم ، والهوى يطمس عين الرأي أو^{١٥} يلم ، فآثرته^{١٦}
 بأرفع الأسماء والأحوال^{١٧} ، ووسعت عليه في خطيرات الذخائر والأموال ،
 وأخضعت له رقاب أكابر الجند ووجوه الرجال ، ودرّبت^{١٨} في مباشرة
 الحروب ، وأجرائه على مقارعة الخطوب ، ولم يكن^{١٩} فيما أحسبه أني

١ م : تعوطي . . . تقوضي .

٢ د ط س : المعجم .

٣ د ط س : دهياء عمياء ، وفجأتني

٤ د ط س : صروف

٥ م : دائماً . . . لازماً .

٦ من هنا يبدأ النقل عند ابن عذاري في البيان المغرب ٣ : ٢٤٥ .

٧ م ب : إذ ؛ والمعنى : أو يكاد ؛ وفي الحديث الشريف : « وإن مما يثبت الربيع ما يقتل
 حبطاً أو يلم » .

٨ زاد في البيان : وخصصته بما بيدي من القواعد والاعمال .

٩ م ب : أكن .

إنما أشحذ^١ على نفسي منه^٢ شقرة^٣ ، وأوقد^٤ [منه] بالتدريب والتخريج^٥ تحت حِصْتي جمرة^٦ ، وما كنتُ خَصَصْتُه بالإيثار ، واستعملته في المكافحة والغوار ، إلا لجزالة كنتُ أتوسمها فيه كانت عيني بها قريرة ، وشهامة كنتُ أتوهمها منه كانت نفسي بها مسرورة ، فإذا الجزالة جهالة ، والشهامة شيرة وكهامة^٧ ، وقد يُفْتَنُ الآباءُ بالأبناء ، وينطوي عنهم ما ينطوون عليه من الأسواء^٨ ، مع أن الآراء قد تنشأ وتحدث ، والنفوس قد تطيب ثم تخبث^٩ ، لقرين يَصْلِحُ أو يُفْسِدُ ، وخليط يغوي أو يرشِدُ ، وكما أن داء العرّ قد يعدي ، كذلك قرين سوء قد يردي ، ومن اتخذ الغاوي خديناً ، عاد غاوياً ظنيماً ، ﴿ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾ (النساء: ٣٨) . وقد انطوى عن بعض الأنبياء عليهم السلام ما آل إليه [أمر] بعض بنيهم ، هذا والوحي يشافهم ويناجيهم ، فكيف بنا وإنما نقضي على نحو ما نسمع ، ونقطع على حسب ما نرى ونطلع ، وليس علينا ضمان العواقب ، ولا إلينا عِلْمُ حقائق المذاهب ، وهي الخواطر ، لا يعلمها إلا الفاطر ، والبواطن ، لا يحيط بها إلا الظاهر الباطن ، وقد يخبث طعم الماء مع الصفاء ، ويروق منظر الدمنة الخضراء ، ويدوي ثمر^{١٠} الدوحة الغناء ، في التربة الغضراء .

وفي فصل منها : ولما وثب هذا اللعين [٣٧ أ] الغبين ، من المهد ، إلى سرير المجد ، ودرج من الأذرع ، إلى المحلّ الأرفع ، ورآه استغنى ، وأثرى من زينة الدنيا ، أشرة ذلك وأبطره ، وأطغاه وأكفره ، وطلب

١ ط د س : من ابني .

٢ ط د س : بالتخريج والتدريب .

٣ س : الأهواء . ٤ م رب : ويخبث . ٥ ب م : بعد .

٦ م ب : وتردي ثمرة . ٧ د ط س : رفعة .

الازدياد ، وأحبّ الانفراد والاستبداد ، وقبض^١ له قرنائه سوء أعدوه^٢ وأردوه^٣ ، وأتيح له جلساء مكر أغروه^٤ وأغووه^٥ ، وأشعروه الاستيحاء والتفار ، وزينوا له العقوق والفرار ، لينفرد وينفردوا معه بالبلد ، ولا تكون على أيديهم [فيه]^٦ يد^٧ أحد ، فخرج ليلاً بأهله وولده خروجا [شنيعا] فتق فيه قصري ، وخرق به حجاب ستري ، يؤم الجزيرة الخضراء وما يليها ، ليملكها^٨ ويعيث فيها ، وكنت غائبا على مقربة ، فوردت وطيرت في الحين إلى الجهة من يصدّه عنها ، ويمنع منها [فسبقه الخبر ، وفاته الوطر ، وأوى إلى قلعة ذي الوزارتين القائد أبي أيوب ابن أخي حصاد^٩ سيدي ، وأفضل عددي - سلمه الله - فوجهت إلى اللعين أعرض عليه قبول عذره ، وسررت الخيل مع ذلك للاحاطة به وحصره ، حتى ألجأه ذلك إلى التنصل والاعتذار ، وأجاءه إلى الإقالة والاستغفار ، فأقبلته وقبلته [وعفوت عنه ، وأغضيت على ما كان منه ، وصرفته إلى جميع حاله وماله^{١٠} ، ولم أؤدبه إلا بالإعراض والمهجران ، وإن كنت قد أنسته مع ذلك بتزويد الإنعام والإحسان ، فإذا به كالحية لا تغني مداراتها ، والعقرب لا تسالم شباتها ، وكأنه قد استصغر ما أتى ، واحتقر^{١١} ما جنى ، فردى ، وسدنى ، ما صارت به الصغرى التي كانت العظمى ، فلم أشعر به إلا وقد ألّف أوباشا من خيساس صبيان العبيد الممتهين في أدون وجوه التصريف ، إذ لم يطمع اللعين أن يساعده على هذه الفتكة^{١٢} ،

١ د ط س : وقرن .

٢ د ط س : ليملكها ؛ البيان : ليمتكن منها .

٣ د ط س : بهامش س : أبي .

٤ د ط س : وملكه ؛ وفي البيان : ورددت عليه جميع ماله .

٥ ط د س : حماد .

٦ م : واستحقر .

٧ ب م : الشنعة .

من فيه أدنى رَمَقٍ وأقلُّ مُسَكَّةٍ ، ثم سقاهم الحِمْرَ وسقى نفسه ليجتري
ويجريهم ، ويحول بينهم وبين أدنى مَيَزٍ لو كانَ فيهم ، وسلّحهم بضروبٍ
من الأسلحة المتصرّفة في أماكن الضيق والسعة ، وطرق القصر في بضع
عشرة منهم ، وتعلّق معهم الأسوار والحيطان ، وتسنّم بهم السقوف
والجدران ، يرومُ في القضية العظمى ، والطامة الكبرى ، التي قام دونها
دفاعُ الله تعالى ، فشعرت^١ [بالحركة] وخرجتُ ، فلما وقعتُ [عينه] و
أعينهم عليّ تساقطوا هاربين ، وتطارحوا خائفين خائبين ، وإنما كان
رجاؤهم أن يجدوني في غمرة الكرى ، أو على غفلة من أن أسمع وأرى ،
فقلت بحمد الله أراجيحهم ، وضلّت أعمالهم ومساعيهم ، وأعجلتهم
عواقب كفرهم^٢ وتعدّتهم ، وخرق اللعين سور المدينة فاراً بنفسه [وأخرجتُ
الحيل في أثره] فلحق غير بعيد ، وسبق إليّ في حال الأسير المصفود ،
وكذلك سائر الجناة ، وباقي العصاة^٣ ، أظفر الله بهم [ومكّن منهم ،
وأعثر على جميعهم ، فلم يفلت منهم أحدٌ] ، ولا فات منهم بشرٌ . ولقد
اتفق من صنع الله الحميل في من غدر وختر ، أن فرّ اثنان منهم فتجاوزا
وادي شوش من شرقي قرمونة ، وكنتُ قد أخرجتُ خيلاً للضرب على
بلد باديس ، فخرجا هنالك إلى أيدي تلك الخيل وهي منصرفة بما غنمتُ
ولا علم لهما بما وقع فتفقوها واستاقوها ؛ وحصل في قبضتي جميع
الصبيان من العبيد المذكورين [وأقمت حدودَ الله تعالى على الجميع منهم ،
وأنفذتُ حكمه العدلَ فيهم] والحمد لله كثيراً . فاعجب يا سيدي
لأبناء الزمن ، وأنباء الفتن ، وانقلاب عين الابن [٣٧ ب] المقرب

١ ب م : فشرت .

٢ د ط س : مكرهم .

٣ د ط س : العصاة . . . الجناة .

المودود ، إلى حالِ الواترِ الحسود ، والثائرِ الحقود ، واعتبر في ورود المساعة من مَوطينِ المسرة ، وطلوعِ المحنة من أفق المنحة [وانعكاس بعض الهبات خبالاً ، والأعطيات وبالاً] . وقد أربت هذه الحال على كلِّ مَنْ جرى له أو عليه من الآباء والبنين ، عقوق من السلفِ المتقدمين ، فلم يكنْ أكثرُ ما وجدناه من ذلك في الأخبارِ والآثارِ إلا استيحاشاً وشروداً ، ونبواً وندوداً ، إلا ما شذَّ لأحدِ ملوكِ الفرسِ وآخر من [ملوك] بني العباس . وَجَمَعَ هذا اللعينُ في إرادتيهِ ومحاولته بين الشاذِّ النادر ، والمنكرِ الدائر ، وزاد إلى استباحة الدِّمِ ، التعرضَ لإباحةِ الحُرِّمِ ، وإلى ما رام من إتلافِ المُهْجَاتِ ، التسامح فيما كان يجري على العوراتِ المصونات ، [ولولا دفاعُ الله تعالى لامتدت أيدي السِّفَالِ فضلاً عن أعينهم ، واتَّسع خَرَقٌ لا قوةَ على رتقه معهم ، وقد قيل :

هو الشيء : مولى المرء قرن مباين له وابنه فيه عدوُّ مقاتلُ]

وهو زمانُ فتنة ، وشمولُ إحْنةٍ ودمنة^٢ ، والناسُ بأزمانهم أشبهُ منهم بأبائهم ، وأصدقُ من هذا قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ (التغابن : ١٤) . [وقد استجلبتُ من الغربِ ابني محمداً ، ملتزماً بِشُكْرِكَ ، ومعظمِ قَدْرِكَ ، - وفقه الله - لأقْعَدَهُ مَقْعَدَهُ ، وأسدَّ به مَسَدَهُ ، وأرجو أن يكونَ أوطأ أكنافاً وجوانبَ ، وأجملَ آراءٍ ومذاهبَ ، وأحمدَ أخلاقاً وضرائبَ ، واللهَ أسألُ الخَيْرَ في ما آتَى وأذَرُ ، وأقدِّمُ وأؤخِّرُ] . نفثتُ - يا سيدي - نفثةَ مَصْدُورٍ ، وأطلتُ في الشَّرْحِ والتفسيرِ ، خروجاً

١ د ط س : لواحد من ملوك .

٢ د ط س : وشمول محنة .

إليك عن هذا الخطب الخطير ، والملم الكبير ، وهو خبرٌ فيه معتبر ،
 [وقلتُ : ما له ظهورٌ وظفرٌ ، والله يتمُّ النعمى ، ويُجْمِلُ العُقبى ،
 ويوزعُ الشكرَ على ما أولاه بمنه ، وإياهُ أسألُ أن يجعلك في حيز الكفاية ،
 وجانب الوقاية ، حتى لا تساء بقريب مأمون ، ولا بعيد مظنون ، بمنه
 وطوله ، إن شاء الله] .

إيجاز الخبر عن هذه الأحذوثة بلفظ ابن حيان^١

قال أبو مروان : وفي سنة أربعمائة وخمسين تواتر الإرجافُ بقرطبةَ
 أن عبادةً دبّرَ النزولَ بزهرائها المعطلة بأسفلها ، التي منها أبدأً كان يُصابُ

١ يختلف النص في د ط س في خبر هذه الحادثة ولذلك اثبتته هنا: «وفي سنة خمس [كذا] تواتر
 الارجاف بقرطبة ان عبادة دبّر النزول بزهرائها المعطلة التي منها ابدأ كان باب مقتلها ،
 وسبق الخبر باذه قد أنهض نحوها ابنه اسماعيل وهو كالنار [في] أحجارها مستكنة ، ولا
 يشك انه ارسل منه على قرطبة شواظ ذار لا يذر منها باقية ، فنفس الله مخنقها بما نقض تدبيره
 وقت عزمه فأقصر صاغراً ، وكان من قدر الله تعالى ان كره هذا الفتى ما حملة عليه والده
 من ذلك وهاج منه حقوداً كانت له بنفسه كامنة ، جسسته على معصية ابيه ، وانصرف من
 طريقه إذ عظم عليه امر الهجوم على مثل قرطبة مع قرب حليفهم باديس بن حبوس الذي
 لم يشك في اسراعه اليه فيقع بين حيين يمضغانه ، وانه عرض ذلك على ابيه فاستجبهه واغلظ
 وعيده وكاد يسطو به ، فأوحشه ذلك ، ودبر الفرار عنه مع خويصة له أغوته ، فأصاب
 فرصة بمغيب والده عن حضرته الى مكان متنزهه بحصن الزاهر ، فاقتمح قصره ، وعلق
 ببعض ذخائره ، واحتلمها مع امه وحرمه ، واستكثر مما غله من المال والمتاع ، ومضى
 لوقته مبادراً طريق الجزيرة الخضراء فظفر به ، وصرف بعد أن اضطره الى ابن ابي حماد بقلده
 مستجيراً به فأجاره بأسفل قلعة ولم يصعده اليها استظهاراً على مكيدة قدرها من ابيه ،
 وبادر بالكتابة اليه انه حصل لديه ، فسر المعتضد بذلك ، وخاف ان يلحق ببعض اعدائه
 هنالك ، فأب اسماعيل ودخل اشبيلية ليلاً ونكب به عن القصر ، وصرف على ابيه جميع ما =

مقتلها ، وسبق الخبر بأنه قد أنهض نخوها ولدهُ إسماعيل المتسمي بالمنصور خليفتهُ ووليَّ عهده ، وهو النارُ في أحجارها مستكنة ، ولا يشكُّ أنه أرسل منه على قرطبة شواظَ نارٍ لا يذرُ منها باقية ، فنفسُ الله مُخَنَّقٌ أهلها بما نقض تديرهُ وثى عزمهُ ، فأقصرَ صاعراً . فجرى من قَدَرِ الله الذي لا يُغالبُ أن كرهَ هذا الفتي ما حملة عليه والدُّهُ من ذلك ، وهاج منه حقوداً كانت له بنفسه كامنةً ، جَسَرَتْهُ على معصيةِ أبيه ، وانصرفَ من طريقه لأمرٍ اختلِفَ فيه ، ف قيل إنه استوحشَ منه لمكروه كان أحلَّ به أبوه بين يدي إخراجهِ إلى عُدوةِ قرطبة لما قَدَّرَ الله من حتفه ، وقيل بل عَظُمَ عليه أمرُ الهجوم على مثل قرطبة لقلَّةِ مَنْ معه

= كان تحمله من ماله، حتى ان زاملة من زوامله فصرت عنه عبد جده في السير، وغادرها في الصحراء رازحة، فوقعت الى بعض فرسان والده فقبض عليها وصرفت بحملاتها لم يقطع لها حبل، فزعموا ان وقرها كان مالا صامتاً وذخائر؛ فأظفر الله عباداً بولده ليليلوه فيما آتاه من ذلك فأثر الشفاء على المغفرة، الا انه لحقته هذه الحادثة ، لطروقها من مأتمه، وفماده لاكرم أعضائه عليه ، خشعة فتت عزمه في اذاة قرطبة والجمعاع بأهلها ، فتتفس مخنقهم قليلا ، وكفت الغارات عنهم وقتاً ، وسارع سمرهم الى الانحطاط . وكان الذي دبر له هربه عن ابيه وزيره وصاحبه ابو عبد الله البزلياني المهاجر اليه من وطنه مالقة . وكان اسماعيل قد رمى الى هذا الكهل مقاليد وفوض الى رأيه ، فلم يبارك له فيه ، وشكا اليه بعض ما يناله من فظاظة ابيه ورميه المتألف به ، فحسن عنده العقوق له والذهاب عنه الى بعض أطراف اعماله ليتغير عليه وينفرد بنفسه ، وكان خرج معه وزيره هذا البزلياني ، فلما صرفوا من قلعة الحصادي - حسبما تقدم - عجل عباد ضرب عنق البزلياني مع نفر من خول ابته ، واعتقله ، فدبر من مكان اعتقاله الهجوم على ابيه ، وساعده الموكلون به ، فظفر بهم واتى عليهم، وطمس اثر ولده وقطع دابره ، فكان لم يكن قط اميراً ، ولا انفذ حكماً ، ولا قاد جيشاً . وما ابن عباد ببعد فيما اتاه في هذا ، فقد يضطر الماوك مع ذوي ارحامهم السامين الى ذيل منازلهم من مستجري عليهم الى ما يحملهم على انتهاك ذلك حباً للحياة الدنيا ، على ان المغو كان اقرب للتقوى ، مع ان اسباب الملك الاضطرابية لا تحتمل الاستقصاء ولا تعرض للتصحيح ، قرن الله باعمالهم الصلاح ، وجنبهم بته الجناح (ط د س : النجاج) .

من جيشه، وحذره لنزوله ما بينهم وبين حليفهم باديس بن جبوس الذي لم يشك في إسرعه إليه فيقع بين لحيين بمضغانه ، وأنه عرض ذلك على أبيه فاستجبه وأغلظ وعيده ، وكاد يسطو به ، وألزمه المسير لسبيله ، وأوعده القتل على التواني عنه ، فأوحشته [٣٨ أ] ذلك ، ودبر الفرار عنه مع خوينة له أغوته ، فمشى من اشبيلية نحو مرحلتين ، ثم أظهر لأصحابه أن كتاباً سقط عليه من عند والده يستصرفه فيه لأمر أراد مشافهته فيه ، فرجع إلى اشبيلية ، وأصاب فرصته بما قدر بمغيب والده عن حضرته إلى مكان منتزه به بحصن الزاهر ، فاقتحم قصره ، وعلق ببعض ذخائره واحتملها ، وأخذ أمه وحرمة ، واستكثر مما غلته من المال والمتاع ، يخال أن ينجو ، واحتمل كل ذلك على الدواب ، وطلبها في الليل ممن يعهد بها عنده ، ومضى لوقته مدبراً طريق الجزيرة الخضراء ، ثغر أعمال والده بالساحل ، مقدراً دخولها والانتزاء بها عليه ، فصار ارتبأكه في تباطؤه الداعي إلى لحاقه وعوقبه عن طريقه ، واختلفت الحكايات في قصته هذه وسبيل مهربه ، وظفر والده به وانصرافه إلى يده ، مما يطول القول فيه ، بعد أن وقف في طريقه بعض حصون أبيه ، فغلقتها قوادته في وجهه ، وخاف اجتماعهم للقبض عليه ، فاضطر إلى ابن أبي حصاد بقلعته طرف كورة شدونة ، مستجيراً به ، فأجاره - زعموا - بأسفل قلعته لم يصعده إليها استظهاراً على مكيدة قدرها من أبيه ، بعد أن نزل إليه واستقبله برجاله ، مشيراً إليه بمراجعة أبيه ، ورفع الحرق عليه بالإجابة إلى طاعته ، ضامناً له استجلاب عفو ، فلم يمكنه العدول عنه لقلّة من معه ، وأجابه ، فأنزلهم عنده منزل تكريم ، وبادر الكتاب إلى عباد بحصوله بيده ، ووصف له ندمته ، وتشفع له ، فسّر عباد بذلك ، وكان شديد الخوف أن يلحق بأعدائه هنالك ، وأجاب هذا الحصادي

وشَفَّعَهُ ، فَأَجَابَ إِسْمَاعِيلُ إِلَى أَبِيهِ ، وَدَخَلَ إِشْبِيلِيَّةَ لَيْلًا ، وَنَكَبَّ [بِهِ] عَنْ قَصْرِهِ إِلَى بَعْضِ دُورِهِ بِالْقَرَبِ مِنْهُ ، وَمَنْعَهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، وَصَرَفَ اللَّهُ عَلَى عِبَادٍ جَمِيعٍ مَا كَانَ أَحْتَمَلُهُ إِسْمَاعِيلُ ابْنَهُ مِنْ مَالِهِ وَذَخَائِرِهِ لَمْ يُحَرِّمْ مِنْهُ شَيْءٌ ، حَتَّى إِنْ زَامَلَهُ مِنْ زَوَامِلِهِ قَصَّصَتْ عَنْهُ عِنْدَ جِدِّهِ فِي السَّيْرِ وَغَادِرِهَا فِي الصَّحَرَاءِ رَازِحَةً ، فَوَقَعَتْ إِلَى بَعْضِ فُرْسَانِ وَالِدِهِ الَّذِينَ سَرَّحَهُمْ لِاقْتِنَاءِ أَثَرِهِ ، فَقَبِضَ عَلَيْهَا وَصَرَفَتْ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ بِحَمْلِهَا لَمْ يُقَطِّعْ لَهَا حَبْلٌ ، فَزَعَمُوا أَنَّ وَقَرَهَا كَانَ مَالًا صَامِتًا وَذَخَائِرَ تَفُوقُ قِيَمَةَ ؛ وَأُظْفِرَ اللَّهُ عِبَادًا بَوْلَدِهِ أَعْظَمَ الظَّفَرِ لِيَبْلُوَهُ فِيمَا آتَاهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَثَرُ الشَّفَاءِ عَلَى الْمَغْفِرَةِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ - زَعَمُوا - لِحَقَّتْهُ [٣٨ ب] لِهَذَا الْحَادِثِ وَفِظَاعَتِهِ وَطُرُوقِهِ مِنْ مَأْمَنِهِ وَفَسَادِ أَكْرَمِ أَعْضَائِهِ عَلَيْهِ ، وَعَمْدَةِ ثِقَاتِهِ لَدَيْهِ ، خَشَعَةً فَلَّتْ عَزَمَتُهُ ، وَحَيَّرَتْ قَلْبَهُ ، فَعَيَّتْ بِهِ عَمَّا صَمَدَ لَهُ مِنْ أَذَى قَرْطَبَةَ وَالْجَمْعِ جَاعَ بِأَهْلِهَا ، فَتَنَفَّسَ مُخَنِّقُهُمْ قَلِيلًا ، وَكَفَّتِ الْغَارَاتُ عَنْهُمْ وَقَتًا ، وَسَارَعَ سِعْرُهُمْ إِلَى الْإِنْخِطَاطِ .

قال أبو مروان : وَبَلَغَنِي أَنَّ الَّذِي دَبَّرَ عَلَيْهِ هَرَبَتَهُ عَنْ أَبِيهِ وَتَوَلَّى كِبَرَتَهُ ، وَزِيرُهُ وَصَاحِبُهُ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَزْلِيَانِي الْمُهَاجِرُ إِلَيْهِ عَنْ وَطْنِهِ مَالِقَةَ ، مُخْتَارًا لَهُ عَلَى مَلِكِهِ بَادِيَسَ ، فَاعْتَرَفَ لَهُ عِبَادُ فِي جَهْلِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَسُوءِ مَوْرَدِهِ حُجَّةً لِلْعَذْرِ فِي تَحْكَمِهِ عَنْ ذِي اللَّبِّ الْمَقْرَرِ لِحَوَاطَةِ نَفْسِهِ ، فَإِنْ هَذَا الْفَتَى إِسْمَاعِيلَ كَانَ رَمَى إِلَى هَذَا الْكَهْلِ بِمَقَالِيدِهِ وَفَوْضَ إِلَى رَأْيِهِ ، فَلَمْ يَبَارِكْ لَهُ فِيهِ ، وَشَكَا إِلَيْهِ بَعْضُ مَا يَنَالُهُ مِنْ فِظَاظَةِ وَالِدِهِ وَقَسَوْتِهِ وَرَمِيهِ الْمُتَالِفَ بِهِ ، فَحَسَنَ عِنْدَهُ - زَعَمُوا - الْعُقُوقَ لَهُ ، وَالذَّهَابَ عَنْهُ إِلَى أَطْرَافِ أَعْمَالِهِ الْعَرِيضَةِ ، كَيْمَا يَتَقَرَّرَ عَلَيْهِ ، وَيَنْفَرِدَ بِنَفْسِهِ ؛ فَلَمَّا قَذَفَ بِهِ وَالِدُهُ [مَا] تَعَاظَمَتُهُ مِنْ حَرْبِ قَرْطَبَةَ

اعتزم إلى إنفاذ أمره في الفرار عنه من طريقه ذلك ، فعمل في النكوص عنه بما قدّمناه ، وهجم على قصر أبيه وأخذ ذخائره ، وخرج مبادراً ، ووزيره هذا البزلياني معه قد تولّى كبير ما أحدثه ، ونفذ في مقدار ثلاثين فارساً من خاصّة غلمانته ، بعد أن غرق سفن المعابر الرابطة قدّام القصر بالنهر ، كيما يعتاص وصول الخبر إلى أبيه ، بالمتنّزه الذي كان فيه بعدوّته ، إلى أن يُبعد في مهربه ، فاتفق أن بادر إليه بعض غلمانته النازلين معه بالقصر ، وقد أنكر مدخل إسماعيل وخطفّه ، فقطع النهر سباحة ، وسبق إلى مولاه عبّاد فأيقظّه من نومه ، وعرفه بالحادثه ، فسقط في يده ، وبادر بإخراج عدّة من فرسانه ، وأندّر عليه قوادر الحصون ، فلجأ إلى قلعة الحصادي - حسبما قدّمناه - . واستقرّ بعد في اعتقال والده مدة يقلب الرأي في أمره ظهره لبطنه ، ولا يبين من قوة غضبه عليه ما يؤيس من استبقائه له ، وقد عجل على أبي عبد الله البزلياني لأوّل ما اعتقله عنده ، لفرط حنّقه عليه ، فضرب عنقه ، وقتل معه نفرًا من خواص إسماعيل ، فاستوحش من أبيه ، ولم يشك أنه لاحق بهم ، فدبر من مكانه ، موضع اعتقاله ، الهجوم على أبيه ، والتسور على قصره من قبل عورة عرفها كيف [٣٩ أ] يفتك به ويصير مكانه ، وساعده الموكلون به على الأمر وقد متّاهم ببلوغ الأمل بتمامه ، فقاموا معه في ما أراد من ذلك ، والقدر يجدّ بهم وبه ، إلى أن وقع في يد والده كرّة أخرى فبطش به ولم يقبله ، وتفرد بقتله جوف قصره ، فلم يقف أحد على مصرعه لطمس آثاره وآثار جميع أصحابه وغلمانته وخواصّه ، بعد أن جلد بعضهم ، وقطع أطرافهم ، وتجاوز إلى الضعفاء من حرمة ونسائه فأتى على خلق منهم سرّاً وجهرّاً ، ومثل بهم أنواع المثلّة ، حتى طهر أثر ولده هذا وقطع دابره ، فكان لم يكن قطّ أميراً ، ولا أنفذ

حُكْمًا ، ولا قَادَ جَيْشًا ، والله يُعْلِي لِمَن شَاءَ ، ويستدرجُ مَن يَريدُ ،
له القُوَّةُ البالغة .

وما ابن عبادٍ ببدعٍ فيما أتاه في هذا ، فقد يُضطرُّ الملوكُ مع ذوي
أرحامهم السامين إلى نيلِ مرامهم من مستجرىءٍ عليهم ، إلى ما يحملهم
على انتهاكِ أكثرَ مَن ذلك حُبًّا للحياة الدنيا الغريرة ، ومنجاةً بالرجة
من الفرقة المبيدة ، على أن العفو أقربُ للتقوى لا محالة ، مع أن أسبابَ
الملوكِ الاضطرابية لا تحملُ الاستقصاءَ ، ولا تُعرِضُ للتمحيصِ ،
قرَنَ الله بأعمالهم الصلاحَ ، وجنبَهُمُ بمنه الجُنَاحَ .

قال ابن بسام : وكان خاطب المعتضدُ يومئذٍ جماعةً [من] حلفائه
وقصَّ عليهم نبأه [مع ابنه] ، فمن جواب بعضهم له في فصلٍ قال فيه :
تقديمُ الوصف - أيدك الله - للوداد والاعتقاد ، من المتعارفِ المعتاد ،
فيُستفتحُ به أوَّلُ المكتوب ، كما يُستفتحُ الشعرُ بالنسيب ، لكني - أيدك
الله - أربأُ بجلبها عن شاهدٍ غيرِ الضمير ، وواصفٍ غير ما في الصدور ،
وبرهانٍ غير الناظر المشهور ، وأرُمي شاكلةَ الغرضِ ، وأصفُ ما أباتني
لياليَ على قَضَضٍ ومَضَضٍ ، ثم ما ردَّ باقي الأُنس ، وشفَى لاعجَ النفس ، فإن
الأنباء وردتني عن المنصور أبي الوليد ابنك ابني - أعزه الله - بانزعاجه أولاً ،
وأبطأتِ الجليَّةُ كلاً ، فأشفقتُ على يقيني ^٢ أن الداخلة تصدُّه ، والحقيقة
تردُّه ، وأن شهامته جمحتُ به ، وصرامته صرمتُ منه ، وأنه حسامٌ
دلقَ من غمده ، وسهمٌ نفذ وراءَ غرَضه وحده ، وأن ريحَ الصَّبَا عصفتُ
عليه وهو لدنُ المعطف ، وغرةَ الشبابِ اهتبلته ^٣ وهو سلسُ المِقْوَدِ ،

١ ط د س : يستفتح .

٣ د ط س : اهتبلت غرته .

٢ ط د س : يقين .

لَيْسَ الْمُصَرَّفُ^١ ، والمرء للخطل والزلل ، وكلُّ مَخْلُوقٍ ففيه النقص والخلل .

ومن جواب ابن أبي عامر له : الدنيا رَنَقَةٌ^٢ المشاربِ ، جَمَّةُ النواثبِ ، تسلكُ بأهلها كلَّ سبيل ، وتريهم من خطوبها [٣٩ ب] كلَّ معلومٍ ومجهول ، تقطعُ ما تصل ، وتمنعُ ما تبدلُ [وتسوء من حيث تسرّ ، وتخون من حيث تفي ، لا تمتنعُ بحالٍ ، ولا تدومُ] على وصال ، وهذا أصحُّ دليلٍ على هوانها وصغارها ، وأوضحُ تمثيلٍ في تفاهة^٣ شأنها ومقدارها ، وإن كثُر فيها التنافرُ ، وعظمَ فيها التقاطع والتدابُرُ ، فنسألُ اللهَ ألاَّ يصرفتنا عن التوفيق ، ولا يعدلَ بنا عن سَوَاءِ الطريق .

وإن كتابك ورد بما لم يقع^٤ في تقدير ، ولا عن مثله في ضمير ، من الداهية الدهياء ، والمعضلة الشغواء ، والحال الحادثة مع من رين على قلبه وعقله ، وغُبنَ في حظه ورشده ، فزاغ عن نهاه ، واتخذ إلهه هواه ، ولقد وقفت بك ، عمادي ، على عبرة المعتبرين ، وعظة المتدبرين المستبصرين^٥ ، فإن الذي رمتك به الأيام لغريبة الغرائب ، تؤذن بانقطاع الخير ، وارتفاع البرِّ ، أفلا راعى أولاً ما أوجب الله تعالى [تقدست أسماؤه] للأبناء على الأبناء ؟ فإنه قرن ذكرهم بذكره ، وشكرهم بشكره ، فقال : ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان : ١٤) وقال : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الاسراء : ٢٣) إلى ما جاء في العقوق ، فقد قيل : إنَّ العقوقَ هُلُكٌ ، والمروقَ شِرْكٌ ؛ وقيل : عقوق

١ د ط س : المنصف . ٢ ط س : رفقة ؛ د : رقيقة .

٣ د ط س : تهافت . ٤ د ط س : وفي فصل منها : وإفاني كتابك بما لم يقع

٥ د ط س : المعتبر المتدبر والمستبصر .

والذين يُعْقِبُ النكد^١ ، ويمحقُ العدَدَ ، وَيُخَرِّبُ البلدَ . ثم هلاً راعى
 آخراً ما سوَّغَتْهُ من النعم التي غُبِطَ بها ، وَحُسِدَ فيها ، وما خصَّصَتْهُ
 [به] من العزة التي بذَّ فيها الأندادَ ، وشأى فيها الأترابَ والحساد ؟ !
 ولكنَّ شيطانَ الغرارةِ أغواه ، وسلطانَ الجهالةِ أَرَداه ، مع قُرَناءٍ سوءٍ
 [قِيَّضُوا لَهُ] زَيَّنُوا لَهُ ضلالَهُ ، وأفسدوا عليه حالَهُ ، وبحقِّ قيل :
 الوحدةُ خيرٌ من الجليسِ السوءِ ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
 يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً ﴾ (الكهف : ١٧) وقد صنع الله لك
 صنْعاً جميلاً ، ودفع عنك جليلاً ، وأجراك على ما عودَكَ من فضله
 ﴿ وَلَا يَحْقِيقُ الْمَكْرَ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾^٢ (فاطر : ٤٣) فالحمدُ لله على نعمةِ
 خَوَلَّها ، وولايةِ أَجْمَلِها ، ومكيدةِ نَقَضِها ، وَسِعَايةِ دَحْضِها . وفي
 علمه احتراقُ نفسي لهذا الحادثِ الكارثِ ، ومشاركتي في هذه الملمةِ
 المدهمةِ^٣ ، التي لم أُخْلِها من حالي الإشفاقِ والجزعِ ، وخطَّتي الارتماضِ
 والتفجعِ ، وان الأمرُ عندك وزْنُهُ عِنْدِي ، ومأخذهُ مِنْكَ مأخذُهُ مِنِّي .

ومن جواب ابن مجاهد [له] من إنشاء ابن أرقم : وآفتني - أَيْدِكَ
 الله - مُساهمتُكَ الكريمةَ ، ومشاركتُكَ السليمةَ ، الصادرةُ عن الصِّدْرِ
 السليمِ ، المقتضيةُ للحمد والشكرِ العميمِ ، وقد كان سَبَقُ كتابٍ قبلُ بما
 لَزِمَنِي في الحادثةِ الأولى ، فقلتُ : حسام [٤٠ أ] دَلَقَ ، وسنان زَلَقَ ،
 وشبابٌ عَصَفَ ، وجوادٌ جَمَحَ فأسرفَ ، وعثرةٌ تُسْتَقَالُ ، وغرارةٌ
 يُرْفَعُ بِهَا ذَلِكَ الاختلالُ ، ثم بعد نفوذِهِ وردني النبأُ على عَقِبِها ، بما

١ د ط س : عقوق الولد . . . البعد .

٢ د ط س : واحاق المكر السيء بأهله .

٣ د ط س : لهذه الحادثة الكارثة المبهمة .

٤ د ط س : والوجع .

٥ د ط س : ثم ورد النبأ .

صَغُرَ تِلْكَ عَلَى عِظْمِهَا ، فَتَرَدَّدْتُ شَرِيقًا ، وَاضْطَرَبْتُ قَلَقًا ، حَتَّى اسْتُوْضِحْتُ مِنْ قَبْلِكَ الْأَمْرَ عَلَى آخِرِهِ ، وَتَلَقَيْتُ عَنْكَ الْخُطْبَ بِمَوَارِدِهِ وَمَصَادِرِهِ ، مَنْسُوقَةً مَرَاتِبُهُ وَمَنَاقِلُهُ ، مَشْرُوحَةً أَعْجَازُهُ وَأَوَائِلُهُ ، فَمَا سَاهَمْتُ إِلَّا مَنْ تَلَقَّى مَا أَنَهَيْتَهُ بِنَفْسِكَ ، وَشَرَبَ مَا عَاطَيْتَهُ بِكَأْسِكَ ، وَشَاطَرَكَ الْحَالَ بِنَصْفَيْنِ ، وَكَانَ هُوَ وَأَنْتَ فِي الْقَضِيَّةِ سَيِّئِينَ^١ ، فَتَجَرَّعَ مَا تَجَرَّعْتَ [وَاسْتَفْظَعَ مَا اسْتَفْظَعْتَ ، وَاسْتَغْرَبَ مَا اسْتَغْرَبْتَ] وَاعْتَبَرَ بِمَا اعْتَبَرْتَ ، وَفِي الْأَيَّامِ وَاللِّيَالِي مُعْتَبَرٌ ، وَإِنِّهَا — لَكَمَا ذَكَرْتُ وَوَصَفْتُ — عَقِيمَةٌ مُعْجَبَةٌ ، وَعَنْقَاءُ مُغْرِبَةٌ ، وَمَا شُهِدَتْ لَهَا أُخْتُ إِلَّا مِنْ أَحَدِ الْفَرَسِ وَأُخْرَى مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ ، كَمَا ذَكَرْتُ ، وَقَدِيمًا اسْتَغْوَى الشَّيْطَانُ ، وَكَانَ لِلْمَرْءِ سُلْطَانٌ ، وَالزَّمَانُ بِمَثَلِهَا جَوَادٌ ، وَلِإِطْلَاعِ الْغَرَائِبِ مَعْتَادٌ ، وَقَدْ أَوْتِي صَاحِبُ الْخَضِرِ عَلَى عِلْمِكَ مِنْ أَقْرَبِ الْوَلَدِ رَحْمًا ، وَأَضْعَفَهُمْ نَفْسًا وَجِسْمًا ، وَمَنْ سَوَّقَ بَنِي أُمَيَّةَ وَغَيْرَهُمُ الْجُمَاءَ^٢ الْغَفِيرَ ، وَالْعَدَدَ الْكَثِيرَ ، وَكَثِيرًا مَا شَهِدْنَا وَسَمِعْنَا بِقَاتِلِ نَفْسِهِ ، وَهِيَ أَكْرَمُ النَّفُوسِ عَلَيْهِ ، وَآكَلَ جِسْمَهُ وَهُوَ أَحَبُّ الْجُسُومِ إِلَيْهِ ، وَقَدْ يَفِيضُ الدَّاءُ مِنَ الدَّوَاءِ ، وَيَشْرِقُ الْمَرْءُ بِالْمَاءِ ، وَيَوْتِي الْحَذِرُ مِنْ مَأْمَنِهِ ، وَيَجْتَنِي الْقَبِيحُ مِنْ حَسَنِهِ ، وَالْأَدْوَاءُ تَثُورُ فِي الْوَلَدِ ، كَمَا تَثُورُ فِي الْجَسَدِ ، وَتَتَوَلَّدُ فِي الْقَلْبِ وَالْكَبِدِ ؛ وَقِرْنَاءُ النَّسْوِ يَكْدُرُونَ^٣ الْأَصْفِيَاءَ ، كَمَا يَكْدُرُ الْمَشْرَبُ^٤ الْعَذْبَ الدَّلَاءَ ، وَمَا نَدْرِي يَا سَيِّدِي [إِلَّا] أَنَّكَ أَرَدْتَ إِقَالَتَهُ وَاللَّهُ قَدْ عَثَرَهُ^٥ ، وَاعْتَقَدْتَ اسْتِعَاذَتَهُ وَاللَّهُ قَدْ غَيَّرَهُ^٦ ،

١ م ب د س : شَيْنَيْنِ ؛ ط سَبِيْنَيْنِ .

٢ ب د ط س : الْجُم .

٣ د ط س : يَتَكْدَرُ بِهِمْ .

٤ د ط س : الشَّرَابُ .

٥ طس : وَاللَّهُ عَثَرَتْهُ . ٦ د ط س : اسْتِعَاذَتَهُ فَعَثَرَهُ .

وأيأسك منه بقبیح فعله ، وأسلاك عنه بعظیم جرّمه ، وكنت معه والله
مع غيره ، وأردته وأراد الله سواه ، ولا مانع لما أعطى ، ولا مُعطي لما منع :
وليس لأمرٍ حاولَ اللهُ جمعه مُشِتٌ ولأما شتتَ اللهُ جامعُ

وقال الله تعالى لنوحٍ عليه السلام بعد قوله ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ
إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ ﴿فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ
تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود : ٤٦) وقوله للخضر عليه السلام ﴿فَارْدُنَا
أَنْ يَبْدُلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رَحِمًا﴾ (الكهف : ٨١) :
وكلُّ مصيباتِ الزمانِ إذا أتتْ فهنَّ سوا ما لم يُصِبَنَّ صميمي
وما زادت هذه على أن وقى الله صميمك ، وصانَ حريمك .

قال ابن بسام : ولما [٤٠ ب] أنشأ أبو محمد رسالته المتقدمة الذكر ،
تناغث لمةً من كتاب العصر في معارضتها ، وقد ذكرتُ بعض من أجاب
عنها ، وأذكرُ أيضاً فصولاً لمن انتصف على زعمه بالمعارضة منها ، منهم
من أفردتُ فصلاً في ذكره ، ومنهم من لم يقع لي شيء من أمره ، فلم
أجد إلى ذكره سبيلاً ، ولا على موضعي من الصناعة دليلاً ، وكنتُ
جديراً بتأخير رسالة من أفردتُ في ذكره فصلاً ، حتى أقبسها له لألاء ،
وأضعها في يده لواء ، ولكن أذكرُ الشيء بما تعلق به ، أو كان من سببه ،
لأُقَيِّدَ ما شرد ، وأنسقَ ما تفرّقَ وتفرّد .

وله ١ : أتمَّ الله أيها الأمير ، الجليلُ مسجده ٢ ، الجميلُ معتقده ،

١ لم ترد هذه الرسالة في د ط س ؛ ووقعها هنا فصل بين مقدمة ابن بسام عن المعارضات لرسالة
ابن عبد البر ، والاسترسال بإيراد هذه المعارضات ؛ ومن اللافت للنظر ان هذه الرسالة
ثابتة في قلائد المعيان : ١٨٢ . ٢ القلائد : محتده .

المشهورُ فضلهُ وسوددهُ ، عليكَ نعمهُ ظاهرةٌ وباطنة ، وأجزل لك به قيسمه متوافيةٌ زاكية ، وآتاك من كلِّ حظٍّ أجزلهُ ، ومن كلِّ صنْعٍ أجمله ، ومن كلِّ خيرٍ أتمه وأكمله ، فإن الأيامَ قد وصلتُ بيننا إلى الراسل سببا ، وجعلتُ لنا في التواصلِ أربا ، فإذا أمكن سبب قدّمته ، وإذا تهيأ رسولٌ اغتنمته ، توكيدا للحال معك ، وتجديدا للعهد بيني وبينك ، فمثلُ الحظِّ منك لا يُهمَلُ ، وسببُ^١ الحقِّ الذي لك لا يُغفلُ ، ومكاتبةُ الصديق عيَوضٌ من لقائه إذا امتنع اللقاء ، واستدعاءُ لأبنائه إذا انقطعت الأبناء ، وفيها أنسٌ تلذُّ به النفس ، وارتياحٌ تلذُّ منه^٢ الأرواح ، وارتباطٌ يتصلُّ به الاغتراب ، واعتقادٌ يُتَبَيَّنُ به الوداد^٣ ، ومثلُ خلقتِكَ الكريمةِ عُمِرَتْ معاهدُها ، ومثلُ عِشْرَتِكَ الجميلةِ شُدَّتْ معاقدها ، ومثلُ مكارمَتِكَ المبررةِ حُمِدَتْ مصادِرُها ومواردُها ، فإني متطلعٌ إلى أخبارِكَ أراعيها ، وحريصٌ على أوطارك أفضيها ، ومستمطرٌ لكتبِكَ الكريمةِ أجتليها ، فمَنْذَرٌ صَدَرَ عني فلان لم أتلُقْ عنك خبراً ، ولم الحظُّ من تلقائك أثراً ، وذلك لا محالة لا متنازع البحر وارتجاجه ، وتعذر المسلك وإرتاجه ، وإذا قد ذلَّ صعبه ، وهان خطبه^٤ ، فأنا أعتقد أن كتابك بازاء كتابي هذا مجددٌ عهداً ، ومهد عنه حمداً ، فإنه ما دخل إلينا ولا تكرر علينا إلاَّ وذكركَ الجميل في فمه يُبدِئُه^٥ ويعيدُه^٦ ، وثناؤه^٧ يلهجُ به ويشيده ، في شكرِ الأمير الأجلِّ والإشادة بتعظيم أمرِهِ ، وتفخيم قدره ، فإنه لا يُعرفُ عندنا إلاَّ بوسمه ، ولا يناضل [إلاَّ]^٨ بسهمه^٩ ، ولا يجاهدُ إلاَّ عنه ، ولا يُحتَسَبُ إلاَّ فيه^{١٠} . ومن جرى على البعد هذا المجرى ، وشكر شكره النعمى ، فحقيق بالإنعام [١٤١ أ] خليق بالإكرام .

١ القلائد : وشبه . ٢ القلائد : تنتعش به .

٣ القلائد : واعتقاد الاعتقاد والوداد .

٤ القلائد : البرة .

٥ القلائد : ذل صعبه لراكب على هائب .

٦ القلائد : وأثرك الحسن عليه .

٧ ب م : ولا يتامل باسمه . ٨ ب م : يحسب ... منه .

فصول من جملة رفاع لغير واحد في ذلك

فصل من رقعة لبعضهم يقول فيها^١ : ما أبصرَكَ - أيَدك الله - بل أذكَرَكَ ! وكيف يُوقِظُ اليقظانُ ، وينبهُ النبهان ، وحاشا أن تُعلِّمَ الحِمرةَ العوان ، إن الدنيا على الغير موضوعة ، وعلى المكاريه مطبوعة : ألا إنما الدنيا غَضارةٌ أَيْكةٍ إذا اخضرَّ منها جانبٌ جفَّ جانبٌ^٢

ونقلُ الطباعِ لا يُستطاع ، ولا تبديلُ لحكم الجليل ، والدنيا مُنكرةٌ لمتعارفيها ، مسلّطة بنوائبها على بنيها ، المتهاكين فيها ، لاسيما الأحرار ، فإنها تطالبهم بثار :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تَكَشَّفَتْ له عن عدوٍّ في ثيابِ صديقٍ^٣

ومنها : وما ظنك بدنيا قلّما تسمَحُ بحَبْرةٍ ، إلّا أتبعنها بعَبْرةٍ ، ولا تجود بمنحةٍ ، إلّا كدّرتها بمحنةٍ ، ولا تسقي شراباً ، إلّا شابهته صاباً ، ولا تهب نسيماً ، إلّا قلبته سموماً ، تكاد تسوءُ بالساعاتِ ، وقلما تسرُّ إلّا في الفلّات ، ثم تغري بنا الآفات :

ومن يأمنِ الدنيا يكن مثلَ قابضٍ على الماءِ خائنته فروجُ الأصابعِ^٤

وفي فصل : والأَنامُ أغراضُ ، لسهامِ الأعراضِ ، قلّما تتخطاها إن فُوقَتْ ، ولا تخطئها إن رُشِقَتْ ، وقد يَمَقُّها من لا يثقها ، ويتيامنُها

١ د ط س : فصل لبعضهم قال فيه .

٢ البيت لابن عبد ربه ؛ انظر جذوة المقتبس : ٩٦ والعقد ٣ : ١٧٥ .

٣ البيت لابي نواس ، ديوانه : ١٩٢ .

٤ أصله للمجنون (ديوانه : ١٩٧) ورواية الصدر : فأصبحت من ليلي الغداة كقابض

مَنْ لَا يَأْمَنُهَا ، وَأَيَّ أَمَانٍ ، مِنْ زَمَانٍ ، يَدْبُ دَيْبُ الْعَقْرَبَانِ ، وَيُثْبُ
وَتُوبَ الْأَفْعَوَانِ ، مَا أَمَكْنَهَا لِمَكَانٍ وَعَنَّ لَهَا مَكَانٌ ، وَيَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ ،
بَيْنَ الْفُرُوعِ وَالْأَرْوَمَةِ ، وَهِيَهَاتِ أَنْ تَصْطَفِيَ حَيَةً رَقِشَاءُ لَيْسَ مَسْهُهَا
قَاتِلٌ سَمَهَا ، يَهْوِي إِلَيْهَا الْجَاهِلُ ، وَيَحْذَرُهَا الْعَاقِلُ ، وَأَيُّ نَاجٍ مِنْ بَأْسَائِهَا ،
وَلَوْ كَانَ فِي سُودِهَا ، هِيَ وَاللَّهُ مَا عَلِمْتَ وَتَعْلَمُ ، قَرِيبَةُ الْعُرْسِ مِنَ
الْمَأْتَمِ ، هَكَذَا عُرِفَتْ ، وَبِهَذَا وُصِفَتْ :

وَمَكَلَّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طَبَاعِهَا مَتَطَلَّبُ فِي الْمَسَاءِ جَذْوَةَ نَارٍ^١

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : وَإِنِّي مُنِيتُ - أَيْتَدُكَ اللَّهُ - مِنْ زَمَنِ الْخَوْنِ ، بِشَقِيقَةِ
الْمُزْنِ ، وَكَادَتْ تَكُونُ ، فَيَا لَهَا [مِنْ] حَادِثَةٍ عَظْمَى ، وَصُدْمَةٍ صَمًّا ،
كَدَّرَتْ شَرِي ، وَزَوَّعَتْ سِرِّي ، وَاعْجَبَ لِسَهْمٍ رُمِيَّ بِهِ رَامِيهِ ،
وَتَبَجَّلَ دُهَيْيَ بِهِ مُتَضَيِّهِ ، أَشَدَّ مَا كَانَ لَهُ اسْتِبْصَارًا ، وَبِهِ انْتِصَارًا ،
[وَعَلَيْهِ اقْتِصَارًا] ، وَلَيْسَ يُنْكَرُ مِنَ الْأَزْمَانِ^٢ ، عَكْسُ الْأَحْوَالِ وَقَلْبُ
الْأَعْيَانِ ؛ وَتَفْصِيلُ^٣ هَذَا الْمَجْمَلِ ، وَإِيضًا هَذَا الْمَشْكَلِ ، الَّذِي رَمَزْتُ
بِذِكْرِهِ ، وَعَرَضْتُ بِأَمْرِهِ ، أَنَّ الْعَاقَّ الْمَشَاقَّ ، الْجَلْفَ السَّفِيهِ ، الْمَتَمَذِّهَ
بِغَيْرِ مَذْهَبٍ أَبِيهِ [٤١ ب] وَمَنْ سَلَكَ مِنْ مُنْسَلِيهِ ، ابْنِي إِسْمَاعِيلَ ،
الْفَاعِلَ بِي أَسْوَأَ الْأَفْعَالِ ، أَحْدَثَ حَدَثًا أَشْنَعَ ، مِثْلُهُ يُسْتَفْطَعُ ، بِمَا كَانَ
مِنْهُ ، وَاسْتَدَاعَ عَنْهُ ، مِنْ اسْتِهَانَةٍ عَقُوقِي ، وَاطَّرَاحِهِ حَقُوقِي ، وَشَذُودِهِ
عَنْ أَشْكَالِهِ ، وَعُدُولِهِ عَنْ سَنَنِ آلِهِ ، وَإِنْ جَمَعَهُ بِي مَنَسَبُهُ ، فَقَدْ
نَفَاهُ عَنِّي مَذْهَبُهُ ، كَالَّذِي اسْتَهْوَاهُ الشَّيْطَانُ ، كَأَنَّمَا اقْتَادَهُ فِي أَشْطَانِ ،
وَإِذَا قَضَى الْقَدَرُ ، عَشِيَّ الْبَصَرِ ، وَمَا جَرَّاهُ عَلَى قُبْحِ فَعَالِهِ ، وَمَجَانِبَتِهِ
الْمَعْهُودَ مِنْ حَالِهِ ، إِلَّا قُرْنَاءُ سُوءٍ قَيْضُوا لَهُ ، [إِذْ] جَعَلُوا يَضْرِبُونَ لَهُ أَسْدَاسًا

١ البيت لأبي الحسن التهامي ، ديوانه : ٤٧ . ٢ ط د س : الأيام . ٣ ط د س : وتفسير .

لأخماس ، ويكيدونه بكيد الوسواس الخناس ، حتى < إذا > أوردوه أنشودة ، لم يكن مثلها أغلوطه ، هوى به الهوى هوى الدلو أسلمه الرشاء^١ ، ولا غرو فقد تعدي الصحاح مبارك^٢ الحرب^٣ ، وذلك أني لما أرضعته لبان مقيتي ، ومَلَكْتُهُ عِنانَ ثقتي ، وأدْنَيْتُ زُلْفَتَهُ ، وأبْدَيْتُ رِفْعَتَهُ ، وأقبلته عَيْنَ القَبول ، وأحْلَلْتُهُ مِنِّي محلَّ الصلة من الموصول ، وقَلَدْتُهُ أَعْنَةَ السياسة ، وَوَسَمْتُهُ بِسِمَةِ الرياسة ، وأوطأتُ عَقِبَهُ الرجالَ ، وتجاوزتُ به حدودَ الآمال ، نقلاً من حالٍ إلى حال ، حتى مُدَّتْ نحوه الأعناق ، وسارت بذكره الأفذاذُ والرفاق ، وَنَيْطَتْ به الآمال ، ولأذ به الأُمال^٤ ، وجعلتُ السيفَ والقلمَ من خَدَمِهِ ، ووضعتُ الوجوهَ تحت قدمه ، يقولُ فَيُسْمَعُ لِقَالِهِ ، ويصُولُ فَيَرْتاعُ لمصالِهِ ، حتى لقد كَادَتْ الأقدامُ أن تستوي لولا فضلُ الأبوة ، ونقصُ البنوة ، فلما رأى الدولة قد أَلْقَتْ إليه بأزمَتِها ، وأقَادَتُهُ بأعنتِها ، استأسَدَ وتَنَمَّرَ ، واستشعر الأشرَ والبطر ، وحاول الشفوفَ ، وربما كان فيه الختوف ، ونزع إلى الاستبداد ، منزَعَ الغيِّ إلى العناد ، ورفضَ الحقوقَ ، وآثَرَ العقوقَ^٥ ، وكفر بالنعمة ونام عن شكرها ، فَطُويَتْ عنه بأسْرِها ، والشكرُ للنعمة نتاجٌ ، والكفرُ بها رتاج .

[وفي فصل منها] : فعلمتُ مَرَمَى قوسِهِ ومنزَعَ سَهْمِهِ ، كأنما كنتُ نَجِيَّ سرِّهِ ، ووليَّ أمرِهِ ، وقد تبصرُ الظنونُ بغيرِ عيون ، فتتبعُ

١ من قول زهير :

فشج بها الاماعز فهي تهوي هوي الدلو اسلمه الرشاء

٢ انظر الحاشية ٥ ص ٦٨ .

٣ د : ولأذت بحقوه الرجال ؛ ط س : ولأذت بحقوه الامال .

٤ د ط س : فأثر العقوق ورفض الحقوق .

خبره ، وَقَفَّوْتُ^١ أثره ، بخيل كالسيل بالليل ، تُعْجِزُ طالباها ، وتدرِكُ هاربها ، فلم ينتبه إلاَّ وقد أُحِيطَ به ، ففزعَ إلى الاعتراف ، وهو يذهب بالاعتراق .

[وفي فصل] : ومدارة الحية كيف تنفع ، وهي إذا أمكنها اللسع تَلْسَعُ ؛ ولما أبى إلاَّ الإباء ، وأسَرَ الشحاء ، وحاول العظيمة ، وتناول الجريمة ، وكاد - وايم الله - يهدمُ بنيانَ الله ، لولا دفاعُ الله ، أَلَفَ أغماراً من العبدان كانوا عكوفاً عليه ، ورتباً حواليه [٤٢ أ] وأطعمهم في ما صرعهم ، وأكثرُ المطامع ، تنولُ إلى المصارع^٢ ، ولو أنهم أيقنوا أن أنفُسَهُمْ نَعَوْا ، وإلى دمائهم بأقدامهم سَعَوْا ، لتبَطَّوا ، وما تورَّطوا ، لكن ليَقْضِي الله أمراً كان مفعولاً^٣ ، وإذا حان الحينُ ، عَمِيَّتْ العين ، وربَّ ساعٍ بقدمه ، على دمه ، فلما جنَّ عليه الليل ، والليلُ أخفى للويل^٤ ، تساقوا بينهم المدام ، ليقدموا^٥ بها أشدَّ إقدام [ورب إحجام أنجي من إقدام] ، فأخذوا الثبات ، وَعَقَدُوا النيات ، وتسوَّروا الأسوار ، وتخطوا غيرَ ما دار ، وداعي الهوى يدعوهم ، وحادي الردى يحدوهم ، وقد اعتقلوا الردينيات ، وتأبَّطوا الهندوانيات ، وشمَّروا ذيلًا ، وادرعوا ليلاً ، واقتحموا المهالك ، في أضيق المسالك ، وترقَّوا الجدران ، بأشدَّ تمرّدٍ وعصيان ، فسقط العشاءُ بهم على سِرْحان ، فما تمالكتُ أن سمعتُ حسيَّهم^٦ ، ولحظتُ شخوصَهُمْ^٧ ، فملثوا فرَقاً ، وتصيَّروا فرَقاً ، أيدي سبا ، يحدّون هرباً ، ويرومون الخلاص ، ولاتَ حينَ مناص ،

١ ب م : وقفيت . ٢ ط د س : مصارع .

٣ انظر سورة الانفال ، الآية : ٤٢ ، ٤٤ .

٤ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ٨٥ والميداني ٢ : ٩٤ والعسكري : ١٢ - ١٦ .

٥ د ط س : عني العين . . . فأخروا الثبات وعقدوا النيات ، بعد أن تساقوا المدام ليقدموا ؛ وعند هذا الموضع أتوقف عن الإشارة إلى ما كان من زيادات ب م على ط د س ، إلا نادراً .

ونفوسهم^١ تودّع أجسادها ، وتسحّت آمادها :

وضاقت الأرض^٢ حتى كان هاربهم^٣ إذا رأى غير شيء ظنّه رجلاً^٤

ولم يمتروا أن قدرة القدير ، تنقّض التدبير ، ولله عاقبة الأمور . وما كان رجاء^٥ القوم ، إلا استغراقي في النوم ، وأيقظني القدر ، وما بي من حذر .

وفي فصل : فلما رأى اللعين أن سهمه قد طاش ، وقد راش منه ما راش ، وأيقن أنه حريق ناره التي سحر ، وغريق تياره الذي فجر ، شرّد شيراد^٦ الظليم ، على حين لا حليف ولا حميم ، وترامى من شرفات القصر ، ترامي المذعور بالقسر ، وهو ينشد :

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده^٧؛

فأعجلت إليه هنالك من عثر وشيكاً عليه ، واستاقه استياق العاني ، فيا وقفه المذنب الجاني ، يشكو إلى من يصم عنه ، ويتبرأ منه ، وسيقت بطانته أسارى ، من غير خمير سكارى ، فأقروا بما دبّروا ، وبه دُمروا ، فالحمد لله جاعل تدميرهم في تدبيرهم ، وإبادتهم في إرادتهم ، ومن حفر لأخيه [بشرّاً] سقط فيها ، واستحضرت مشيخة العلماء وجعلت الأمر بينهم شورى ، إشارة للعدل في القضا ، واتباعاً لأمر الله تعالى في الغضب والرضى ، فكلّهم^٨

١ البيت للمعتزلي ، ديوانه : ١٢ .

٢ د ط س : رده .

٣ د ط س : شروء .

٤ خ بهامش م : اتته الرزايا من طريق الفوائد ؛ وهذا عجز بيت لابي فراس (ديوانه : ٨٣)

وصدر البيت : إذا كان غير الله للمرء عدة ؛ اما البيت الذي في المتن فورد غير منسوب

في التمثيل والمحاضرة : ١٠ . ه س ط د : فكل .

حَدَّ إِنْفَازَ الْحَدِّ ، وتلوا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي [٤٢ ب] الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ﴾ الآية (المائدة : ٣٣) .

فكانَ ما كانَ مما لستُ أذكرُهُ ١ فظنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبرِ ١

فاعتبرْ يا سيدي من هذه الفتنِ المصليَّةِ لأبناءِ الزمنِ ، وانظر كيف يستدرجهم الشيطانُ ، في مدارجِ العصيانِ ، حتى إذا قحمهمُ الغررَ ، أسلمهمُ القدرَ ، وكلُّ ذلكُ مسطورٌ ومأثورٌ ، وفي عقوقِ هذا من البنينِ ، آيةٌ للعالمينِ ، وما كان هذا اللعينُ ، في ما جناهُ ، فاجتناهُ ، وشبههُ ، فألهبه ، وكاده ، فأبادهُ ، إلا كالبقرةِ تبحثُ على مدينتها بقرنيها ، وكالنملةِ تطلبُ حنفاً يجناحيها ٢ ، فتنبأً للأولادِ ، يتقربون بالولادِ ، ويتباعدون بالودادِ ، في مصارعِ الحسادِ ، إن هم إلاَّ فهودُ ، بأهْبِ أسودُ ، يتقلبون بما صغروا ، ويستأسدون إذا كبروا .

وفي فصل : ولعلَّ قائلًا قد سُلِبَ المعقولُ ، يصولُ يوماً فيقولُ ، ويطعنُ ويغمزُ ، حيث لا مطعنَ ولا مغمزَ ، وينحلي الفظاظَةَ والقسوةَ ، ويعتدُّها وِصمةً عليَّ وهفوةً ، وربَّ سامعٍ بخبري لم يسمع عذري ٣ ، ولست ببدعٍ ممن ظلمَ فانتصر ، وخولفَ فما اضطبر ، ولا بنكيرٍ ٤

١ البيت لابن الممتر ، ديوانه ٣ : ٤٩ وانظر قطب السرور : ٥٦٧ .

٢ اصل المثل : كباحث عن الشفرة (او عن المديّة) انظر فصل المقال : ٣٩٢ والميداني ٢ : ٦٩ ؛ وقد اشار الجاحظ في مواضع من كتاب الحيوان الى ان النمل اذا نبت له جناحان فقد دنا هلاكه .

٣ انظر فصل المقال : ٧٢ والميداني ١ : ٢٠١ والمسكري ١ : ٣٠٨ .

٤ قبلها في ب م صورة « وعز » .

٥ ب م : تنكر .

ممن أَرْضَى باريه ، باسْخَاطِ أهليه ، إنَّ لي في من سَلَفَ أسوة ، وبالنبيِّ عليه السلام قُدْوَةٌ ، ولو نَظَرَ بعينِ الحقيقة ، ولم يعدل عن سننِ الطريقة ، لكان من أنصاري ، في إقامة عذارى : هذا خليل^١ الرحمن ، وكان في الأنبياء مَنْ كان ، لما تَبَيَّنَ أن أباه عدوٌّ لله تَبَرَّأ منه ، وقد تَلَّ أيضاً عليه السلام ابنه الذبيحَ للجبين ، ووضع في حلقة السكتين ، وهو من أبرَّ النبيين ، اتباعاً لأمرِ الله حتى فداهُ الربُّ الكريمُ ، بالذَّبِّ العظيم ، وصبرَ على ما لو حلَّ بالصخرِ لفلقه ، أو بالحجر لفرقه ؛ وهذا عمرُ بن الخطاب ، وكان من كان في الأصحاب ، قد قسا قلبه على أبي شحمة ، ولم تأخذه فيه [رَأْفَةٌ ولا] رحمة ، حينَ جَلَدَهُ ، حتى فَقَدَهُ ، وصَبَرَ غيرَ مكتئبٍ ، صَبَرَ المحتسِبِ ، إرضاءً لباريه ، وتقرباً إليه بما يُرضيه . وكان لبعض بني العباس ، وهُم أئمةُ الناس ، في ابنه العاق ما قد دَرَسَ خبره ، وطَمَسَ أثره ، ولولا أن الإطالة ، تُفْضِي إلى الملالة ، لأوردتُ من خبره الأشنع ، ما فيه مَقْنَعٍ ، وأحدثُهم عهداً في هذه العصور ، عبد الله الأمير وأبو عامر المنصور ، فأما عبد الله فقد قتلَ ابنه محمداً^٢ ، لما أَحَسَّ منه تمرداً ، وكان قُرَّةَ عينيه ، فما عيبَ ذلك عليه ؛ وأما [٤٣ أ] المنصور ، وحسبك به جزالةٌ وحزامةٌ في الأمور ، فقد فعل بابنه عبد الله ما فعل لما عصى ، وشقَّ العصا^٣ ، هذا وما بلغا هذا المبلغ ، ولا ولغا في الدم كما كاد هذا اللعين أن يلغ ، ولو اقتصصتُ ، فوق ما نَصَصْتُ ، لأُطِلْتُ وأَمِلْتُ ،

١ د ط س : وبالنبي عليه السلام قدوة ، ومن التابعين رضي الله عنهم اجمعين ، هذا خليل...

٢ - كان مطرف ابن الأمير عبد الله يفري أباه باخيه محمد ، فأخذ الأمير ابنه محمداً وحجسه ، ولما نحى جاية الامر اطلقه اذ لم يحده مذبأ ، فقتله مطرف سنة ٢٧٧ ، هذا ما ذكره ابن عذاري ٢ : ١٥٠ .

٣ قتل عبد الله بن المنصور سنة ٣٨٠ ، انظر قصة خروجه على ابيه ثم مقتله في ابن عذاري ٢ :

لكن اجتريت^١ ، بمن سميت ، وأي عذر [يقوم] لمن مكنته^٢ الله في بلاده ، وحكمه في عباده ، ألا يُنفذَ حدّه الذي حدّه ، ويؤثر فرضه الذي فرضه ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (المائدة : ٤٧) ولولا عقابُ المسيء ، لقلَّ مَنْ لا يسيء :

والظلم في خلق النفوس فإن تجدوا ذا عفة فلعله لا يظلم^٣ ولا غروا أن أسهبت وأطنبت في خبر المغرور ، فإنها نفثةٌ مصدر ، وما أطقْتُ تجرّع الغصص [في كتم هذه القصص] التي فيها عبرة لأولي الألباب ، وما كان هذا الذي طرا ، حديثاً يفتري ، ولا هذا الذي طرق ، نبأً يُختلق .

ومن رقعة أخرى أيضاً في ذلك مجهولة [القاتل] : المحن على ضروب ، والنواب تجري بمعضلات الخطوب ، فتفجأ بالرقم الرقماء^٤ ، وتطرق بالداهية الدهياء ، وتأتي بالغبية الشنعاء ، فلا وافي سواه ، ولا مجير من بَغْتَاتِهَا حاشاه ، وهب الحازم ارتقب الخطوب مُعِدّاً لها من سننها ، ولقي المكاره بسلاحتها وجننها ، كيف له بعلم خفيات الضمائر ، وخبيثات البواطن والسرائر ؟ إلا أن لطفه الخفي ، وصنعه الكافي الحفي ، يكلان مَنْ توكل عليه ، ويعضدان من اعتضد به [واستند إليه ؛ وكنت] قد اختصصت من ولدي الخائن^٥ الجاني إسماعيل بضروب

١ د ط س : احتذيت .

٢ البيت للمتنبّي ، ديوانه : ٢١٩ .

٣ الرقم : الداهية ؛ يقال جاء بالرقم الرقماء أي الداهية الدهياء .

٤ د ط س : وينصران .

٥ ب م : بالخائن .

من الإنعام ، والإحسانِ والمبرةِ والإكرام ، ومَلَكتُهُ زِمَامَ أَعْنَةِ الجنود ، وأظَلَلته بظلٍّ خافقةِ البنود ، وأرَضَعتهُ ثديَ الحرب ، وجَرَّأتهُ على مقارعةِ الطعن والضرب ، وأنْفَذتُ أمرَهُ وَنَهْيَهُ ، وأَجَزْتُ فعلَهُ ورأيه ، فَقَصَصْتُ عليه أَقاصي المطامع ، وأَشِيرَ نحوه بالأصابع ، ودُعِيَ بالرئيس الأمير ، وَلَقَّبَ بالمؤيَّد المنصور ، إلا أنَّ ظنَّ المرءِ يخطئُ ويصيب ، ولله أَسْتارٌ دون علم الغيوب ، وليس على المرءِ ضَمَانُ العواقب ، ولا كَلْفٌ سوى الاجتهادِ في المطالب^١ ، فإنما هو بَشَرٌ ، يقضي بما ظَهَرَ ، والله ما بطنَ واستترَ :

فان كان ذنبي^٢ أن أحسنَ مطلبي أساء ، ففي سوء القضاء لي العذرُ

وكان ينبغي ظاهره^٣ من الاجتهاد منتهى الاستطاعة ، ويجري أمره إلى غايةِ اللازم من حدودِ الطاعة ، إلى أن علقَ به مَنْ أغواه من شياطين الإنسِ فزينَ له زُخْرَفَ الغرورِ [٤٣ ب] والفسوق ، وقذفَ به في هُوَّةِ الخذلانِ والعقوق ، فأحال طيئتهُ إلى أخْبثِ التُّرْبِ ، وقد تعدي الصبحُ مباركُ الحرب^٤ ، ونقله من الطبعِ الكريمِ ، إلى الخُلُقِ الذَّمِيمِ ، وعَوَّضَهُ من طاعةِ الربِّ والأب ، آفةَ الكبرِ والعُجْبِ ، وحين لبس ثوبَ الغِيرةِ والخِيلاءِ ، وقاد الجيوشَ ملءَ الفضاءِ ، واستضافَ إليه مَنْ استضافَ من شِرارِ القُرْناءِ ، طمعَ في بلدٍ ، لا تكونُ عليه فيه يدُ أحدٍ ، ليستعملَ السِّفَةَ والجهلَ ، ويُهْلِكَ الحرثَ والنَّسْلَ ، ويأبى دفاعُ الله من ذلك ،

١ د ط س : الغالب .

٢ د ط س : وما هو الا .

٣ قد مر هذا ، انظر ص : ٣٥ ، ١٥٦ .

٤ د ط : العزة .

فهو أرفعُ بخلقه من إسلامهم للمهالك ، وطار النبأ إليَّ ، وسقط الخبر عليَّ ، فبلغ عزَّ وجل ، من الكفاية غايةَ الأمل^١ ، وخاب سعيه^٢ ، وقالَ رأيهُ ، وندم ولاتَ حينَ مندم ، فتحرَّكتُ مني الرحمةُ التي قطعها ، وحنَّتِ الرأفةُ التي نبذَها وخلَّعها ، فغفوتُ [عنه] واعتلقَ بحبلِ الإنابة ، وأسرعَ الدخولَ في بابِ الإجابة ، وهو منظوٍ على شرِّ ضمائرهِ ، ومسرٌّ لأخبثِ سرائره :

وأظلمُ أهلِ الأرضِ من باتٍ حاسداً لمن باتَ في نعمائِهِ يتقلَّبُ^٣
وقبلتُ توبتَهُ الظاهرة ، وأقلَّتُ زلَّةَ قدميهِ العائرة ، ولم أخْلِه فاضل^٤
اهتباي واعتنائي ، ولم أمنَّعهُ غيرَ قربي ولقائي ، فأطعاهُ ذلك وأبطره ،
وأطعمه في نيلٍ ما كان أضمره ، فرامَ التي لا شوى^٥ لها ولا بقاءَ معها :
أريدُ حياتَهُ ويريدُ قتلي عذيرُكَ من خليلِكَ من مُرادٍ^٦

* * *

سبكانهُ ونحسبُهُ لحيناً فأبدي السبكُ عن خبثِ الحديد^٦
ولعمري لئن أنجلته آباءُ سروٍ وصِدْقٍ ، لقد سرى فيه للخؤولة لثيم^٧

١ ب م : الآمال .

٢ البيت للمتنبي ، ديوانه : ٤٦٦ وروايته : أهل الظلم ، وهي رواية س ط د .

٣ د ط س : من فضائل .

٤ الشوى : كل ما كان غير مقتل ، والتي لا شوى لها : فتكة تصيب مقتلاً .

٥ البيت لعمرو بن معد يكرب ، وكان علي رضي الله عنه يتمثل به (الكامل ٣ : ١٩٨ والسمط :

٦٣) وروايته : أريد حياهه ؛ وفي د ط س : عذيري من خليلي ، وعكس الشطرين .

٦ البيت في التمثيل والمحاضرة : ٢٨٨ دون نسبة ، وروايته : فأبدي الكبير .

٧ لثيم : سقطت من ط د س .

طبعٌ وعِرْقٌ ، ولا غَرَوْ في هذه الحال ، فقد يستحيلُ الزعاقُ من الزلال ،
وينامُ عرقُ الأبِ ويسري عرقُ الحال :

وأولُ خُبثِ الماءِ^١ خُبثُ ترابهِ . وأولُ خُبثِ المرءِ خُبثُ المناكحِ

فعاقدَ سَقَاطاً من خِساسِ^٢ صبيانِ العبيدِ المتصرفين في أخطِ المراتبِ عندي ،
المنحطّين عن الكونِ في جملةِ جندي ، إذ لم يجدْ مساعداً على هذه القضية ،
من فيه أقلُّ مُسَكَّةٍ وبقيةٍ ، فاستهوى ضعفَ عقوْضِ^٣ ، واستنفرَ قليلَ
تحصيلهم ، وسلّحهمُ بسلّاحي ، وراشهمُ بفضلِ جناحي ، ودعاهم
إلى عصيانِ ربهم وأمري [٤٤ أ] والتعرّضِ لَهتكِ سلطانيهِ وسُتري ،
وتسمنوا مُنيّفَ الأسوارِ تسنّمَ الوعول ، بعد أن سقاها صِرْفَ الشمول ،
التي تذهّبُ بوافرِ العقول ؛ يظنّوني نائماً ويحسبونني غافلاً ، واللهُ
ليس بغافلٍ عمّا يعملُ الظالمونَ ؛ وكان عددُ الفتيانِ الفجارِ ، كعددِ^٤
خزنةِ أهلِ النارِ ، فأطلعني الله تعالى على حِسِّهمُ ، وأسمعني خفيَ
رِكزهمُ ، فثرتُ من الفراشِ ، رابطَ الجاشِ ، فولّوا على الأعقابِ حينَ
رأوا شخصي ، متساقطينِ على الأذقانِ إذ سمعوا صوتي^٥ ، وعاد الخائنُ الخائنُ
إلى سورِ المدينة بعد أن خرّقَ اليه ، ورائدُ الموتِ يحولُ بينَ عينيه ، فغيرَ
بعيدٍ ما أسرتهُ الخيلُ أسراً ، وقيدَ إليَّ عَنوةً وقهراً ، وكذلك شيعتهُ
المارقة ، وصحابتهُ الجانيةُ الفاسقة ، فلم يفلتَ^٦ منهم بحمدِ الله أحدٌ ،

١ ط د س : المرء . ٢ د : خساساً من سقاط .

٣ س : قلوبهم . ٤ د ط س : سُتري وسلطاني ؛ ب : سلطاني وسُتري .

٥ ناظر الى الآية : ٤٢ من سورة ابراهيم .

٦ د ط س : كمدة . ٧ ط : صولتي .

٨ د ط س : إذ سمعوا صوتي ، وفروا فأسرتهُم الخيل اسرا ، وقيدوا الي عنوة وقهراً ، فلم
يفلت الخ .

ولا أجاره مكاناً ولا بلد ، حتى أخذ الله تعالى بثارِهِ منهم ، وأقام حدودَهُ فيهم ؛ وأنا متأسّ في هذه الرزية ، بكبارِ ملوكِ الإسلام والجاهلية ، فقد تعدّى عقوقُ الأبناء ، إلى كبارِ البشر والأنبياء ، حتى قال الله تعالى لنوح عليه الصلاة والسلام : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (هود : ٤٦) والربُّ تعالى يُخْرِجُ الحبيثَ من الطيب ، ويقضي ما شاء في علم الغيب ، لكنني على العلاّت ، ورعاية الحرمات ، أَرْضِي طاعة الله تعالى في مَنْ عصاه ، وألتزمُ أَمْرَهُ في مَنْ خالف رضاه :
وإن السيفَ في الباغي جزاءً أحقُّ به من النسبِ القريبِ

بقية ما استخرجته من رسائله السلطانيات

فصل له من رقعة [عن ابن مجاهد] إلى المنصور^٢ بن أبي عامر : من اختار — أيدك الله — لِحِلَّتِهِ أَرْكَى المعادن ، واعتمد لِمِقَّتِهِ أَسْنَى المواطن ، كان جديراً أن يغتبطَ بجنائها ، ويرتبطَ بفوز عُقْبَاهَا ، ويعلم أنها على الأيام صقيلةُ الأرجاء لا يصدئها الإهمال ، صدقةُ^٣ المضارب لا يفلها الأعمال ، وأنت الذي لا يُدَانِي شَرَفُهُ ، ولا يُسَامِي سَلَفُهُ ، ولا تُجَارِي أَعْرَاقُهُ ، ولا يَبَارِي إِعْرَاقُهُ ، فمن ظَفِرَ بصفائك^٤ عماداً ، وبوفائك عتاداً ، فقد أصمى سهمه وقرطس^٥ ، ونزل ساحة الفضل وعُرس^٥ ، ووثق بأنه

١ ط د س : ارضيت . . . والتزمت .

٢ د ط س : الناصر ؛ والناصر هو عبيد الله بن المنصور عبد العزيز بن أبي عامر .

٣ ب م : صدقة .

٤ م : بفضائك ؛ ب : بفضائك .

٥ قرطس : اصاب الرمية .

وردَ ورداً لا تكدرُهُ الدَّلَاءُ ، واعتقدَ عقداً^١ لا يُغيّره الإصباحُ والإمساءُ ؛
وتلك حالي في ما مُنِحْتُهُ^٢ من صفائك ، ووليتُهُ من ولائك ، والله يحرسُ
حظي من وفائك ، ويرفعُ المضارَّ عن حَوْبَائِكَ ، [بمنته] .

ومن أخرى عنه إلى المظفر بن الأفطس : إذا تشاكنتُ - أيَّدك الله -
الأحوالُ والضرروب ، تقاربتِ الأهواءُ والقلوبُ^٣ ، وقد قيل [٤٤ ب] :
الشكولُ أقارب ، والمذاهبُ مناسب :

ولنَ تنظُمَ العقدَ الكعابُ^٤ ، لزيينةٍ كما تنظُمُ الشملَ الشيتَ الشمالُ

وما تشئتَ لنا ، بحمدِ الله ، شملٌ ، ولا انقطعَ بنا حبلٌ ، ولا غبَّ بيننا
وصلٌ ، بل نحن على ثلجٍ تواصلٍ يقتضيه التشاكلُ والتآلفُ ، ونهج تداخلٍ
يستدعيه التعاقدُ والتحالفُ ؛ وإنِّي - علم الله - بمكانِكَ لمباهٍ ، وبزمانِكَ
لمظاهرٍ مضاهٍ ، أعتقدُ لك العقدَ الذي لا تُجاذِبُ أهدابُهُ ، ولا يَنازِعُ
جلبابه ، وقد نظمْتُنَا من الأحوالِ المشاكلةِ والأسبابِ الواشجةِ ما كلانا
له مُراعٍ ، وإلى قضاءِ الحقِّ فيه وحفظِ الخطِّ منه ساعٍ ، وربَّ حالٍ
جددتُ تآلفاً ووداً ، وأكَّدْتُ وشدَّتْ^٥ على مرِّ الأيامِ عهداً وعقداً ،
وبنت ما لا يهدمُهُ الدهرُ ولو انتحاه من خطوبه بمِعْوَلٍ ، وأنحى عليه بجرانٍ
وكلكلٍ ، واللهُ يصلُّ ما بيننا بالدوامِ والثباتِ ، ويحرسُهُ من الانصرامِ
والانبتاتِ .

١ م ب : عهداً .

٢ م ب : منحت .

٣ م ب : والمطلوب .

٤ د ط س : الشيتيت .

٥ د ط س : ووكدت وشدت .

وله من أخرى^١ : لئن ضنّنتُ الأيامُ بالمرغوب ، وَلَوْتَنَا فِي نَيْلِ
المطلوب ، فلا ضيرَ ، فلسنا نعلمُ أيُّ القسمين أرجحُ فنتأسفُ على تركه ،
وأيُّ الحظين أرجحُ فنتنظم في سلكه ، وَحَقَّ لِمَنْ نَظَرَ بَعَيْنَ الْفِكْرِ أَنْ لَا يَبَالِي
بِحَالَةٍ تَعْرِضُ ، أَوْ عَزِيمَةٍ تَنْتَقِضُ ، أَوْ حَبْلٍ يَبْرَثُ ، أَوْ شَعْبٍ يَنْتَكِثُ ،
فَرَبَّمَا كَانَ الْأَعْرَاضُ أَحْكَامًا ، وَأَصْبَحَ الْإِنْتِقَاضُ إِبْرَامًا ، وَالْهَجْرَانُ وَصَالًا ،
وظَلَّ النِّقْصَانُ كَمَالًا ، وَاللَّهُ وَلِيُّ السَّلَامَةِ ، فِي الظَّنِّ وَالْإِقَامَةِ .
ووافاني كتابُكَ العزيزُ ، فَأَوَّلَ مَا سَرَّحْتُ طَرْفِي فِي مَسْطُورِهِ ،
وَأَعْمَلْتُ فِكْرِي فِي مَشُورِهِ ، اسْتَطَارَ الرِّكَابُ فَرَحًا ، وَعَادَتِ الْغُمَرَاتُ
مَرَحًا ، ثُمَّ أَنْشَدْتُ وَرَدَدْتُ :

أَهْمَ بَشِيءٍ وَاللَّيَالِي كَأَنَّهَا تَطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأَطَارِدُ^٢
بِذَا قَضَيْتِ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ

وعسى اللهُ أَنْ يَعْبِدَ عَهْدًا تَجْرِي فِيهِ السَّوَانِحُ ، وَتَسْقُطُ بِهِ الْبَوَارِحُ ، فَيَصْفُو
جَمَامَ ، وَيَنْقَطِعُ هَيَامُ ، وَيُسَلَّ حَسَامُ ، وَيُحَمَّدُ مَقَامُ .

وله من أخرى إلى المنصور بن أبي عامر^٣ : إني — أَيْدَ اللَّهِ الْمَلِكِ
الكَرِيمِ — لَمَّا أَضَاءَتْ لِي أَهْلِيَّةُ مُفَاخِرِهِ فِي سَمَاءِ الْفَخَارِ ، وَأَثْرَقَتْ شَمُوسُ
مُكَارَمِهِ عَلَى مَفَارِقِ الْأَحْرَارِ ، وَأَبْصُرْتُ شِمَائِلَهُ الزُّهْرَ تَتَبَّرُ مِنَ الْهَمَمِ كَامِنَتِهَا ،
وَمَحَاسِنَهُ الْغُرَّ تَوْقِظُ مِنَ الْأَمَالِ نَائِمَتِهَا ، تَيَقَّنْتُ أَنْ بِحَقِّ انْقَادَتْ لَهُ الْقُلُوبُ
فِي أَعْنَتِهَا ، وَتَهَادَتْ إِلَيْهِ النُّفُوسُ بِأَزْمَتِهَا ، فَالَيْتُ أَنْ لَا أَلُمَّ إِلَّا بِحِمَاةِ ،
وَلَا أَحْطَ رَحْلًا [٤٥ أ] إِلَّا فِي ذَرَاهِ ، عَلِمًا بِأَنَّهُ نَثْرَةُ الْفَخْرِ ، وَغُرَّةُ

١ لم ترد هذه الرسالة في د ط س .

٢ البيتان للمتنبي، وهما متباعدان في موضعيهما من القصيدة ، انظر ديوانه : ٣١٠ ، ٣١٣ .

٣ وردت هذه الرسالة في نفح الطيب ١ : ٥٩٧ ، وهي مبنية على الخطاب لا على الغيبة .

الدهر ، فيمَّمتُ ساريّاً في طالع نوره ، متيمناً بيُمنِ طائِرِه ، بأملٍ متحقّق
الريح ، موقنٍ [بالفلج و] النُّجج ، حتّى حملتُ بدرجة^١ المجد ، وأنحتُ
بذروة^٢ السَّعد ، فجعلتُ أنثر من جواهر الكلام ، ما يُرَبِّي على جواهر
النظام ، وأنشُرُ من عطر الثناء ، ما يُزَرِّي بالروضة الغنّاء ، وحاشَ
للفضل^٣ أن يُعَطِّلَ ليلى من أقمارك ، ويخليَ أفقي من أنوارِكَ ، فأرى
منخرطاً في غير سلكك ، منحطاً إلى غير مُلكِكَ ، لا جرّمَ أَنه مَن
استضاء بالهلال ، غنيّ عن الدُّبال ، ومن استنار بالصباح ، ألغى سنا
المصباح ؛ تالله ما هزّت آمالي ذوائبها إلى سواك ، ولا حدّت أطماعي
ركائبها إلى حاشاك^٤ ، ليكونَ لذلك في أثرُ الوسميِّ للماحل ، وعليّ جمالُ
الحليِّ للعاطل ، بسيادتكِ الأوليّة^٥ ، ورياستك الأزلية^٦ ، التي يَنقُصُ
عن وصفها إفصاحي ، ويعيا عن بعضها بياني^٧ وإيضاحي ، فالقراطيسُ
عند بثِّ مناقبك تَفنى ، والأقلامُ في رَسْمِ آثارِكَ تحفى .
وفي فصل منها : والسعيدُ مَن نشأ في دولتك ، وظهر في جُمليتك^٨ ،
واستضاء بغرَّتكَ^٩ ، لقد فاز بالسبق مَن لحظته^{١٠} عيونُ رعايتك ، وكنفته^{١١}

١ النفح : في دوحه .

٢ النفح : بدولة .

٣ النفح : للفهم .

٤ النفح : الى من عداك .

٥ النفح : السنية .

٦ النفح : الأوليّة .

٧ ب م : ثنائي .

٨ النفح : امتك .

٩ ط د س : بقربك ؛ النفح : بعزتك .

١٠ م : لاحظته .

حِرْزُ حمايتك ، فأنت الذي أُمِنْتَ بعدله نوابُ الأيام ، وقويت بفضلِهِ
دعائم الإسلام ، تختالُ بك المعالي اختيالَ العروس ، وتخضعُ لجلالتك
أعزّةُ النفوس ، بسابقةٍ أشهرَ من الفجر ، وفطنةٍ أنورَ من البدر ، وهمّةٍ
أبعدَ من الدهر :

لقد فاز مَنْ أضحى بكم متمسكاً يمدُّ إلى تأميل عزِّكم يسدا
سلكتَ سبيلَ الفضل خلقاً مركباً وغيرُك لا يأتيه إلا تجسدا
ليهنّيكُم مجدٌ تليدٌ بنيمٌ أغارَ لعمري^١ في البلادِ وأنجدا

[وفي فصل] : وإنما أهدي إلى مولاي خدمتي ، وأضعُ في ميزانِ اختيارهِ
همتي ، لأمتازَ في جملة عبّيده ، وأشهرَ في خدمتِهِ وعديده :

وما رغبتُ في عسجدٍ أَسْتَفِيدُهُ ولكنّها في مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّهُ^٢
وكلّ نوالٍ كان أو هو كائنٌ فلهِ لحظةٌ طَرَفُ منك عندي ندّه
فكنْ في اصطناعي محسناً كمجربٌ بينَ لك تقريبُ الجِوَادِ وشده^٣
إذا كنتَ في شكٍّ من السيفِ فابْلُغْهُ فاما تُنْفِيهِ وإما تعدّه [٤٥ ب]
وما الصارمُ الهنديُّ إلّا كغيرهِ إذا لم يفارقه النجادُ وغمده

وله من أخرى عن ابن مجاهد إلى ابن أبي عامر يعلمه بغدر أخيه حسنٍ
له ، قال فيها بعد الصدر : وان الموفقَ مولاي - رضي الله عنه - كان
رمى إليّ بعهدهِ ، وقلّدتني الأمرَ من بعده ، وبايعني بذلك مَنْ كان في
قبضةِ سلطانه ، واشتغالَ ديوانه ، ولما اتفقتِ الآراءُ ، ويئسَ الأعداءُ ،

١ النسخ : اغار سناه .

٢ الابيات للمتنبي ، ديوانه : ٤٥٤ مع اختلاف في ترتيبها .

٣ في النسخ : وبعده ، والتصويب عن الديوان .

مدَّ أخي حسنٌ بيّعتي يداً ، وأظهر في طاعتي مُعتقداً ، فما آن لمدادِ
عهدهِ أن يحفَّ ، ولا حان ليدِ عاقده أن تنحرف^١ ، حتى داخلَ صاحبَ
اشبيليةَ في الغدرِ والخلاف ، فأنفذ إليه رجلاً يدعى سلمةً من جنده^٢
ليتصرّف على إرادته ، فأجمعوا أيديهم والقضاء أملكُ ، وأزمعوا كيدهم
والقدرُ يضحك ، وتوخّوا صدري^٣ من صلاةِ الجمعة ، فوافوني^٤ قد
انسربتُ في كلةِ الأمنِ ، ونمت في حجرِ حُسْنِ الظنِّ ، فما استيقظتُ
إلاّ لصبحٍ^٥ صفائحهم تُصلتُ عليّ ، ولا انبتهت إلاّ لضوءِ رماحهم^٥
تُشرعُ إليّ ، إلاّ أن الله كان بازائي ظهيراً ، وتلقاني نصيراً ، وبين يديّ
رفداً ، ومن ورائي مدداً ورداءً . فما كان إلاّ أن تساقطَ فراشهم^٦ في مصابيح
الفرج ، وأتعيستُ^٦ شُبُههم في مواردِ الثلج ، وفزتُ وقد انجلتِ الكرةُ
عليهم . فأما سلمةُ المذكور فانه رمى عن قوسه إلى نفسه^٧ ، وسطاً بسهمه
على جسمه ، فانشى في بطاحه ، مقتولاً بسلاحه ؛ وأما حسن فمراً مستمراً
لما استمراه ، مستمراً لما استحلاه ، قد عارضَ النعمةَ بجحدها فسلبت
عنه ، وقارضَ الحسنةَ بضدّها فانتزعت منه ، على أنه كان بينَ الجفنِ
والناظرِ نازلاً ، وبين الضميرِ والظاهرِ جائلاً ، قد قاسمتُهُ العيشَ نصفين ،
والحياةَ شطرين ، له النومُ وليَ السهر ، وله الأمنُ وليَ الحذر ، وله
الصفوُ وليَ الكدر ، أشقى لينعم ، [وأمتهنّ ليكرم] ، إلى أن واصلتهُ

١ د ط س : تنصرف .

٢ م : سلمة بن خنده .

٣ س : صدوري .

٤ د ط : فوافقوني .

٥ د ط س : لصيح .

٦ ط د : وانقسمت ؛ س : وانقسمت .

٧ ط د س : بنفسه .

الرفاهيةُ فمَلَّ ، ونادمتُه النعمةُ فاعتَلَّ ، ومَسَّهُ الخيرُ فمَنَعَ ، وغَرَّتْهُ
الأمانيُ فانخدَع ، حتى ذاقَ وبالَ أمره ﴿ولا يحيقُ المكرُ السيِّئُ إلاَّ بأهله﴾
(فاطر : ٤٣) .

وله من أخرى [عنه] إلى المظفر بن الأفطس : وما أشكُ في ما ذكرتَ
من أخذِكَ معي بالنصيبِ الأوفر ، والقسطِ الأكبر ، من المصابِ بفقدِ
الموفقِ مولاي ومعظمك ، كان ، — لقاءَ الله رضوانه ، وألحفَه عَفْوَه
وغفرانه — فقد كان إذا عُدَّ الأفاضل لا يثني خِنِصْرَه إلاَّ عليك ، وإذا
ذُكِرَ الرؤساءُ لم يُشِيرْ بتصحيحِ الوفاءِ إلا اليك ، فنحن لا نستوحشُ
بفقدِ فاضلٍ وذاتِه موجودة ، ولا نرتاعُ لموتِ جليلٍ ٢ [٤٦ أ] وحياتِه
ممدودة ، فانك إذا قال قائلٌ منا : كَسَدَتْ لوفاءُ ٣ الموفقِ سوقُ الأدبِ ،
وبارتِ بضاعةُ الطلبِ ، وهوى نجمُ العلمِ ، وكبا زَندُ الفهمِ ، وعفا رسمُ
الحلمِ ، وَطَفِىءَ سراجُ الرأي ، استثنى بك المجيبُ ، وَعَزَّيْ بِمَكَانِكَ
المصيبِ ، وأطبقَ الإجماعُ أنك جِماعُ الفضائلِ ونظامها ، وفي يديك
لواؤها وزمامها .

وله [فصل] من أخرى : أأظمأُ إلى ماءِ نهرٍ قد تغلغلْتُ في حياضِه ،
وأذاذُ عن لآلاءِ زهرٍ قد توغلْتُ في رياضه ، وأتعطلُ من حليك وقد
فاض فيضَ البحرِ ، وأتعرى من حُلِّلكَ وقد ضَمَقَتْ مَلابِسُها على

١ ط د س : الإدام .

٢ ط د س : أطبق .

٣ ط د : ممدودة . بوفاة .

٤ ط : وعد ؛ د

الجمهور ؟ ! كلا والله ، إني لعاجزٌ مع^١ تمكينها وإعراضها ، وقلة عِللها وأعراضها ، ولقد رفع الله من هذا الأدب الذي جَدَدَتْ رسومُهُ بعد دثورها ، وأطلعت نجومه بعد غُورها ، ونهجت سُبُلَهُ بعد انشعابها وطموسها ، وبَصَّرَتْ^٢ أعلامه بعد ذهابها ودروسها ، حتى مالت إليه الأعناقُ ، وانثالت عليه الرفاق ، وطمحت بحوه الأحداقُ^٣ ، وحقَّ لشيءٍ نَفَقَتُهُ أن يعزَّ وينفق ، ولنجمٍ أطلعتهُ أن ينيرَ ويشرق ، ولغصنٍ سقيته أن يبسُقَ ويورق ، وجَدَدَتْهُ عن قِدم ، وأوجدته من عَدَم ، ونشرتَهُ من كَفَن ، وبعثته من جَن ، فهو يثني بآلائك ثناء الأزهارِ للأمطار ، ويعبقُ بشيمك^٤ عبق الأنوار بالأسحار ، ويشيرُ إليك إشارة المصنوع إلى الصانع ، ويدلُّ عليك دلالة الليل على النجوم الطَّوالع .

وفي فصل من أخرى : ان سبقت إلى الفضل فالمعهودُ منك السَّبَقُ ، وإن أوجبت [لك] عليَّ حقاً فقدماً كان لك الحق ، وقد أبى الله أن يرتدي برداء الحمد ، ويقتعد ذِرْوَةَ المجد ، إلّا من قرَعَ أنفَ الأنفة ، بيد النّصفه ، وعصى سلطانَ الحميّة الجاهلية ، بالانقياد لأحكامِ الملة الحنيفيّة^٥ ، وما أربحه متجراً ، وأرجحه مفخراً ، لمن أهدهُ إليه توفيق ، وهدهُ^٦ عليه تحقيق ، وأنت — أيّذك الله — ذلك الناظرُ بعين اليقين ، الساهرُ

١ ط د : بعد .

٢ بصر : وضع ؛ ب م : وقصرت .

٣ ب م : اليها ... عليها ... نحوها ؛ ط د س : الارزاق .

٤ ب : بنسيمك ؛ د ط : بنسيمها .

٥ في أنسخ : الا .

٦ ب ط : الحنفيّة .

٧ ط د : وعداه .

في مصالح^١ الدنيا والدين ، وبحقِّ علا قدرُكَ ، وسما ذكرُكَ ، وأصبحتَ
في رؤساء الأندلسِ المشارِ إليه ، والكبيرِ المعتمد عليه .

ومن رسائله في ذكر الجهاد واستنفار كواف البلاد

فصل له من رقعة : ورد كتابُكَ يحضُّ على ما أمرَ اللهُ به من الألفةِ ،
واتفاقِ الكلمة ، وإطفاءِ نارِ الفتنة ، وَجَمَعَ شَمَلَ الأُمَّةِ ، في هذه
الجزيرة المنقطعة عن الجماعة ، فله [٤٦ ب] رأيُكَ الأصيل ، وسعيُكَ
الجميل ، ومذهبيُكَ الكريم ، وغيبُكَ السليم ! ! ما أصدقَ قيلِكَ ،
وأهدى دليلَكَ ، وأوضحَ في سبيلِ البرِ سبيلَكَ ! ! وقد كنتُ - علمُ^٢
الله - جانحاً إلى ما جنحتَ إليه ، ويلوحُ لي ما يلوحُ إليك : مِن أَنَا على
طَرَفٍ إِلَّا ما كفى الله ، وعلى قَلَّةٍ إِلَّا ما وقى الله .

وله فصول^٣ [اقتضبتها] من رسالةٍ فيها طولٌ ، كتبها على ألسنةِ
أهل بَرَبَشْتَر^٤ ، عنوانها : من الثغورِ القاصية ، والأطرافِ النائية ، المعتقدين
للتوحيد ، المعترفين بالوعدِ والوعيد ، المستمسكين بِعُرْوَةِ الدين ، المستهلكين
في حمايةِ المسلمين ، المعتصمين بعصمةِ الإسلام ، المتألفين^٥ على الصلاةِ
والصيام ، المؤمنين بالتنزيل ، المقيمين على سُنَّةِ الرسول ، محمد نبي الرحمة ،

١ ب : مصالح ؛ د ط : مصابيح .

٢ ب م : يعلم .

٣ بربشتر (Barbastro) تقع في ناحية وشقة على احد فروع نهر إبره الى الشمال الشرقي
من سرقسطة ؛ وانظر الخبر عن كائنتها في ابن عذاري ٣ : ٢٢٥ ودراسة عنها في Recherches

٢ : ٣٣٢ وما بعدها ، وسينقل ابن بسام نص ابن حيان عنها فيما يلي .

٤ ط د س : المعترفين بالوعد والوعيد المؤلفين . . . الخ .

وشفيح الأُمّة ، إلى مَنْ بِالْأَمْصَارِ الجامعة ، والأَقْطَارِ الشَّاسعة ، بجزيرة
الأنْدلس من ولايةِ المؤمنين ، وحماةِ المسلمين ، ورُعاةِ الدين ، من الرؤساء
والمروسين ، سلامٌ عليكم ، فانا نحمدُ اللهَ اليكُم ، حمدَ مَنْ أيقنَ به
ربّاً ، وجعله حَسَباً ، وليّ المؤمنين ، وغيثَ المستغيثين ، مجري الفلك
في البحرِ بأمره ﴿وَيَمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (الحج :
٦٥) ونصليّ على المصطفى من أَصْفِيائِهِ ، محمدٍ خاتمِ أنبيائِهِ ، المبتعثِ
بأنوارِهِ الساطعة ، وحجاجِهِ القاطعة ، على حين عَقَّتْ رسومُ الدين ،
وخوتِ نجومُ اليقين ، فجلا الشكَّ ، وأدْحَضَ الإفكَ ، فعليه من السلام
أفضلُ سلام ، ما وُحِّدَ الرحمن ، وتُنِّيَ الفرقدان .

أما بعدُ : حرسكم الله بعينه التي لا تنام ، فانا خاطبناكم مستنفرين ،
وكاتبناكم مستغيثين ، وأجفاننا قَرَحَى ، وأكبادُنا حَرَّيْ ، ونفوسنا
منطبعةٌ ، وقلوبنا محترقةٌ ، على حين نشرَ الكفرُ جناحيه ، وأبدى الشركُ
ناجذيه ، واستطار شرَرُ الشرِّ ، ومَسَّنَا وأهلنا الضُرَّ ، أحسنَ ما كنّا
بالأيام ظناً ، وملَّسْنَا ظاهرةً ، وفَتَّسْنَا متناصرةً ، لا تُشَلُّ لنا يد ، ولا
يُفَلُّ لنا حدٌّ ، حتى انقلبَتِ العين ، وبان الصبحُ لذي عينين ٣ .

[وفي فصل منها] : وأيُّ أمانٍ من زمانٍ قلما يخضرُّ منه جانبٌ إلا جفَّ
جانبٌ ٤ ، ولا تبرقُ منه بارقةٌ إلا اتبعنها صاعقة ، إلا ما وقى الله . وننبشكم

١ د ط : وحججه .

٢ ط د س : جرحى .

٣ من المثل : قد بين الصبح لذي عينين ، انظر فصل المقال : ٦١ والميداني ٢ : ٣١

والمسكري ٢ : ١٢٥ ، وقد تقدم ص : ١٢٧ .

٤ من قول ابن عبد ربه :

الا انما الدنيا غصارة ايكسة اذا اخضر منها جانب جف جانب

— معشر المسلمين — بعض ما نابنا في ثغورنا، عسى أن تكونوا سبياً لنُصرتنا،
 فالؤمنون إخوة^١ ، والمسلمون لُحمة^٢ ، والمرء كثير بأخيه ، وإلى أمه
 يلجأ اللهفان ، وإلى الصوارم تفرغ الأقران ، والسعيد من وعظ بغيره^٣ ،
 والشقي من عميت عيناه ، وصمت عن الموعظة أذناه . ونقص عليكم
 من نبأنا^٤ ، وما انتهت إليه حال ملأنا ، ما والله يوجع [٤٧ أ] القلوب
 سماعه^٥ ، كما قصم الظهور وأسخن العيون اطلاعه .

وفي^٣ فصل منها : فأحاطت بنا كإحاطة القلادة بالعنق ، يسومونا
 سوء العذاب ، بضروب من الحرب والحراب ، آناء ليلها ونهارها ، تصب
 علينا صواعقها ، وترمي إلينا بوائقها^٢ ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، على
 ما رأيت^٤ منا العيون ، من انتهاك تلك النعم المدخرات ، وهتك ستر
 الحرم المحجبات ، والبنات المخدرات ، وما تكشف^٥ من تلك العورات
 المستترات ، فلو رأيتم — معشر المسلمين — إخوانكم في الدين ، وقد غلبوا
 على الأموال والأهلين ، واستحكمت فيهم السيوف ، واستولت عليهم
 الختوف ، وأنتهتهم الجراح ، وعبثت بهم زرق الرماح ، وقد كثر الضجيج
 والعيول والنياح ، ودماؤهم على أقدامهم تسيل ، سيل المطر بكل سيل ،
 ورعوسهم قد أمهم تطير ، وقلوبهم في أجسادهم تستطير ، ولا مغيث
 ولا مجير ، وقد صمت الأذان ، بصراخ الصبيان ، ونياح النسوان ،

١ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ٣٢٧ والميداني ١ : ٢٣٢ .

٢ د ط س : أبنائنا .

٣ — ٣ تبدأ هذه الفقرة في د ط س : وذلك انه احاط بنا عدونا كاحاطة القلادة بالعنق

فحاربنا حتى ظفر ، فانا لله . . . الخ .

٤ ط د س : تراءت .

٥ ط د س : وماذا كشف .

وبكاءِ الولدان ، وعلتِ الأصوات ، وفشت^١ المنكرات ، وتمردَ الشيطان ،
واشتهر^٢ الطغيان ، وظهرتِ الصليبان ، وأفصحت النواقيس ، وجلجت^٣
الأباليس ، وسعرت طغاة الخنازير ، وصارت^٤ الدور كاللثناير ، دماءُ
تُسفكُ ، وستورُ تهتك ، وحُرْمٌ تنتهك ، ونعمٌ تستهلك ، وأقفاء تُصفع ،
وأعضاء تُقَطِّع ، وأعيانُ تُترتكب ، وأثاثُ ينتهب^٥ ، ومصاحفُ تمزَّق ،
ومساجدُ تحترق ، فلا الأخُ يُغني أخاه ، ولا الابنُ يدعو أباه ، ولا الأبُ
يُدني بنيه ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس : ٣٧)
ولا المرصعةُ تلاوي على رضيعها ، ولا الضجيعةُ ترثي لضجيعها ، كأنهم
في مثلِ اليوم الذي ذكره الجليل ، في مُحْكَمِ التَّزْيِيلِ ، ﴿يَوْمَ تَرَوْنها
تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَها
وَتَرى النَّاسَ سُكَّارٍ وَمَا هُمْ بِسُكَّارٍ﴾ (الحج : ٢) ؛ فما^٦ ظنكم
— معشرَ المسلمين — وقد سيقت النساءُ والولدان ، ما بين عاريةٍ وعُريان ،
قوداً بالنواصي إلى كلِّ مكان ، طوراً على المتون ، وطوراً على البطون ،
ومشيخةُ الرجال ، مُقَرَّنِينَ في الحبال ، مصفَّدين في السَّلاسل والأغلال ،
مقتادين بشعورِ السَّبال ، ان استرحموا لم يُرحموا ، وان استطعموا لم يُطعموا ،
وان استسقوا لم يُسقوا ، وقد طاشتْ أحلامُهُمْ ، وذهلَتْ أوهامُهُمْ ،
وسخنت أعيانُهُمْ ، وتغيَّرت ألوانُهُمْ .

١ م : وغشيت . ٢ د ط س : واستهوت .

٣ جلجت : حملت ؛ م : وجلجلت ؛ د : وضجت ؛ ط س : وغلجت .

٤ د ط س : وعادت ؛ ب : وسارت .

٥ ط س : وأعمار ؛ د : واغيار .

٦ م : واثاث تركب ؛ ط د س : وآثار تنتهب ؛ ب : واثاث تنتهب .

٧ قبل «فما» في د ط س : وفي فصل منها .

وفي فصل منها^١ : وما ظنكم - معشر المسلمين - وقد رأيتم .
 [٤٧ ب] الجوامع والصوامع بعد تلاوة القرآن ، وحلاوة الأذان^٢ ، مطبقة بالشرك والبهتان ، مشحونة بالنواقيس والصلبان ، عوضاً من شيعة الرحمن ، [والأئمة والمتدينون] ، والقومة والمؤذنون ، يجرهم الأعلاج كما تُجر الذبائح إلى الذابح ، يُكبّون على وجوههم في المساجد صاغرين ، ثم أضرمت عليهم ناراً حتى صاروا رماداً ، والكفر يضحك ويُسكي ، والدين يُنوح ويبكي^٣ ، فيا ويلاه ، ويا ذلّاه ، ويا كرباه ، ويا قرآناه ، ويا محمداه ، ألا ترى ما حلّ بحملة القرآن ، وحفظة الإيمان ، وصوام شهر رمضان ، وحجّاج بيت الله الحرام ، والعاكفين على الصلاة والصيام ، والعاملين بالحلّال والحرام ، فلو شهدتم - معشر المسلمين - ذلك لطارت أكبادكم جزعاً ، وتقطعت قلوبكم قطعاً ، واستعذبتم طعم المنايا ، لموضع تلك الرزايا ، ولهجرت أسيافكم أغمادها ، وجفت أجفانكم رقادها ، امتعاضاً لعبدة الرحمن ، وحفظة القرآن ، وضعفة النساء والولدان ، وانتقاباً من عبدة الطغيان ، وحملة الصلبان .

وفي فصل منها^٤ : وقد ندب الله مسلمي عباده إلى الجهاد في غير ما آية من الكتاب ، يضيق عن نصّها الخطاب ، ترغيباً وترهيباً ، فوعد المطيعين جزيل ثوابه ، والعاصين أليم عقابه ، والرواية عنه عليه السلام في فضل الجهاد ، وما يجازي فيه ربّ العباد ، أشهر من أن تذكر ، وأكثر

١ وفي فصل منها : سقطت من د ط س .

٢ س ط د : الإيمان .

٣ د ط س : ثم أضرم النار عليهم حتى احترق الجميع وهلكوا ، والكفر يضحك ، والدين يبكي ، والعذاب يتكي .

٤ وفي فصل منها : سقطت من د ط س .

من أن تحصر^١ ، فالله الله في إجابة داعينا ، وتلبية منادينا ، قبل أن تُصدع صفاتنا كصدع الزجاج ، فهناك لا ينفع العلاج .

وفي فصل منها : ولا بدّ للحقّ من دولة ، وللباطل من جولة ، والحربُ سجال ، والدهرُ دُول ، و﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ (يونس : ٤٩) ؛ ولولا فرطُ الذنوب ، لما كان لريحهم علينا [من] هُبوب ، ولو كان شملنا منتظماً ، وشعبنا ملتئماً . وكنا كالجوارح في الجسد اشتباكاً ، وكالأنامل في اليد اشتراكاً ، لما طاش لنا سهمٌ ، ولا سقط لنا نجم ، ولا ذلّ لنا حزب ، ولا قُلّ لنا غَرْب ، ولا رُوع لنا سِرْب ، ولا كُدّر لنا شِرْب ، ولكُنّا عليهم ظاهرين ، إلى يوم الدين ، فالحذر الحذر ! فإنه رأسُ النظر ، من بركانِ تطاير منه شررٌ مُلهِب^٢ ، وطوفانٍ تساقط منه قطرٌ مرهَب^٣ ، قلما يؤمن من هذا إحراق ، ومن ذلك إغراق ، فتنبّهوا قبل أن تُنبّهوا ، وقاتلوهم في أطرافهم^٤ قبل أن يقاتلوكم في أكنافِكُمْ ، وجاهدوهم في ثغورهم ، قبل أن يجاهدوكم في دوركم ، ففينا [٤٨ أ] مُتَعَطِّ لِمَن اتَّعَطَّ ، وَعِبرَةٌ لِمَن اعْتَبَر ، فانظروا إلى ثغورنا كيف تُهْتَضَمُ ، وإلى أطرافنا كيف تُخْتَرَم ، وفيثنا كيف يُقْتَسَم ، وأموالنا كيف تُصْطَلَم ، ودماؤنا مطلولة ، وحدودنا مقلولة ، وأنتم عنا لاهون ، في غمرة ساهون^٥ ،

١ س د ط : تحصى .

٢ د ط س : ملتهب .

٣ ط : مرتهب .

٤ ط : ولا .

٥ ط د س : أطرافكم .

٦ ط د س : وفي .

٧ انظر الآية ١١ من سورة الذاريات .

وكاننا لسنا منكم ، ولا نحن سداد^١ دونكم مضروبة ، وَجُنُنٌ^٢ نحوكم منصوبة .

وفي فصل منها : وأنه إن استُلِبَتِ^١ الأطرافُ ، لم تتعذرِ^٢ الأَنصافُ^٣ ، والبعضُ^٤ للبعضِ سببٌ ، والرأسُ^٥ من الذَّنَبِ ، غير أننا دَتَوْنَا^٦ وبعثتم ، وشقينا وسعدتُم^٧ ، ورأينا وسمعتُم^٨ ، وليس الخبرُ كالعيان ، ولا الظنُّ كالعرفان ، ولقد آن أن يبصرَ^٩ الأعمى وينشطَ^{١٠} الكسلان ، ويستيقظَ^{١١} النومان ، ويشجعَ^{١٢} الجبان .

إيجاز الخبر بحادثة بربشتر التي ذكر ورجوع المسلمين إليها^٣

قال أبو مروان [ابن حيان] : وفي سنة ست وخمسين وأربعمائة تغلب العدو على مدينة بَرَبَشْتَرُ^١ قسبة بلد بُرْطَانِيَّة^٢ ، الواسط لما بين بلدي لاردة وِسَرَقُسْطَة^٣ ، ركي الثغورِ العلا ، وهي الأم البرزة ، التليد^٤ حلولُ الإسلام فيها لأول فتوح موسى بن نُصَيْر^٥ ، التي لم تنزل^٦ من أقادم^٧ معمرات من تناسخِ عمارة الأندلس من القرون الحالية ، اتخذت بأكرم البقاع وأوثق البناء ، راکبةً لنهر ماردة سوراً^٨ مضروباً لأهل الثغور القصصى ، [والدفع] في وجوه

١ د ط س : وإذا ابتليت .

٢ يريد إذا أصيبت أطراف البلاد بغارات العدو سهل عليه بعدئذ مهاجمة أوساطها .

٣ قارن بابين عذاري ٣ : ٢٢٥ ونفع الطيب ٤ : ٤٤٩ .

٤ ب م : التليدة .

٥ ط د س : لم تنزل أقاديم .

٦ ط د : مارة سداً .

العدي^١ ، تناسختها قرونُ المسلمين منذ ثلاثمائة وثلاث وستين سنة ، منذ أول عهد^٢ الفتوح الإسلامية بجزيرة الأندلس ، فرسخٌ فيها الإيمانُ ، وتدورسَ بها القرآن ، إلى أن طرقَ الناعي بها قرطبتنا فجأةً^٣ ، صدرَ شهرِ رمضانَ من العام ، فصكَّ الأسماعَ وأطار الأفئدة وزلزل الأرض الأندلسية^٤ قاطبة ، وصيرَ للكلِّ شُغلاً تسكعُ^٥ الناس في التحدث به والتسأل عنه والتصورِ لحلول مثله أيتاماً لم يفارقوا فيها عاداتهم من استبعادِ الوجَلِ ، والاعتِثار بالآمل ، والإسنادِ إلى أمراء الفرقة الحمل ، الذين هم منهم ما بين فِشَلٍ ووَكَالٍ ، يصدّونهم عن سواء السبيل ، ويلبسونَ عليهم وضوح الدليل .

ولم تزل آفةُ الناسِ منذ خلقوا في صنفين منهم ، هم كالمليح فيهم : الأمراءُ والفقهاء ، قلّما تتنافرُ أشكالهم ، بصلاحتهم يَصْلُحُونَ ، وبفسادهم يُرْدُونَ^٦ ، فقد خصَّ الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاجِ صنفيهما لدينا هذين ، بما لا كفايةَ له ولا مَخْلَصَ منه ، فالأمراءُ القاسطون قد نكبوا بهم عن نهج الطريقِ ، زياداً [٤٨ ب] عن الجماعة ، وحوشاً^٧ إلى الفرقة ، والفقهاءُ أثمتهم صموتٌ عنهم ، صدوفٌ عما أكدَّ الله عليهم في التبيين لهم ، قد أصبحوا بين آكلٍ من حلوائهم ، خائضٍ^٨ في

١ ب م : العدو .

٢ ط د س : من عهد .

٣ ط د س والنفع : أرض الأندلس .

٤ ط د س والنفع : يشغل .

٥ م : والتساؤل .

٦ ط د س : يفسدون .

٧ ط د س والنفع : وجرياً .

٨ ط د س : وخابط .

أهوائهم ، وبين مستشعرٍ مخافتهم^١ ، آخذٍ بالتقية في صديقهم^٢ ، وأولئك هم الأقتلون فيهم ، فما القول في أرضٍ فسد ملحها الذي هو المصلح لجميع أغذيتها ، وإن أصبحت بصددٍ من خيالها^٣ : هل هي إلاّ مُشفية^٤ على بوارها واستئصالها ؟ ! ولقد طما العجب من أفعال هؤلاء الأمراء ، أن لم يكن عندهم لهذه الحادثة الغراء في برّبشتر^٥ إلاّ الفرع إلى حفر الخنادق وتعليق الأسوار ، وشدّ الأركان ، وتوثيق البنيان ، كاشفين لعدوهم عن السوءة السوءة من إلقاءهم [يرمئذ] بأيديهم اليهم : أمورٌ قبيحات الصور ، مؤذونات الصدور بأعجازٍ تحل^٦ في الغير :
 أمورٌ لو تدبرها حكيمٌ إذن لنهى وهيب ما استطاع^٧

ولكن ما الحياة في أديمٍ تفرّى تعيئاً ، فغلب الصنّاع ، يخالها^٨ العاجز سحيلات^٩ محولة^{١٠} ، وهي في حكمة التقدير مبرمة مفتولة ، ضلّ فيها الحكماء قبلنا ، فلنا في الإقصار عن كشفها مندوحة ؛ فلنأخذ فيما افتتحنا القول فيه من حديث المصيبة الفادحة في برّبشتر :

وهو أن جيش الأردمانين طنبّوا عليها ، ووالوا حصّرها ، وجدّوا في قتالها طامعين فيها ، وقد أسلمهم أميرهم يوسف بن سليمان بن هود لخطبهم^{١١} ، ووكّاهم إلى أنفسهم ، وقعد عن النفير نحوهم ، فأقام عليها

١ ب م : صرفهم .

٢ ط د س : بصدر من خيالها .

٣ ط د س : من .

٤ تحل : سقطت من د ط س والنفع .

٥ البيت للقطامي ، ديوانه : ٣٤ .

٦ ط د س : الضياع بخالها .

٧ ط س : محيلاً ؛ والصواب « سحياً » كما في د .

٨ ط س : خطبهم .

العدو منازلًا أربعين يوماً ؛ ووقع بين أهلها تنازع على^١ القوت لقلته ، ولما علم العدو بذلك جدًّا^٢ في القتال ، فدخل الكفرة^٣ المدينة البرانية في نحو خمسة آلاف دارع ، فبُهِتَ الناسُ وتحصنوا بمدينتهم الداخلة ، ودارت بينهم حربٌ شديدة قُتِلَ فيها من النصارى خمسمائة ؛ ثم اتفق من قَدَّرَ الله تعالى أن قناةً من عمل الأوائل ، سَرَبًا تحت الأرض بتقدير موزون إلى أن أفضت إلى شطِّ النهر ، فانهارت في نفس ذلك السَّرَبِ صخرة عظيمة الحرم [صفوانة الخلق] من حجارة بناية الأول سدَّت السَّرَبَ بأسره ، فعدموا الماء وأيسوا من الحياة ، ودعوا إلى تأمينهم على النزول بأنفسهم خاصة دون مال وعيال ؛ فأعطاهم أعداء الله^٤ ذلك ، فلما خرجوا نكثوا بهم وقُتِلُوا معاً ، ولم يُطْلِقُوا منهم غير قائدهم ابن الطويل وقاضيه ابن عيسى [٤٩ أ] في نفرٍ من الوجوه قليلٍ عددهم ، فحصلوا من غنائم بَرَبَشْتَرٍ على ما لا يُقَدَّر [حَصْرُهُ] كثرةً ؛ زعموا أنه صار لأكبر رؤسائهم ، قائد خيل رومة ، في حصته نحو ألف وخمسمائة جارية أبكاراً كلهن ، ومن أوقار الأمتعة من الحلي^٥ والكسوة والوظاء خمسمائة حمْل . وتحدث أيضاً أنه أصيب في هذا القتل والسبي مائة ألف نسمة^٦ ، وشدَّ الكفار أيديهم بمدينة بربشتر واستوطنوها ، وهلك من نساء بربشتر جملةً يكثر عددها عند إفلاتهن من عطش القَصَبَةِ لتطارجهن على الماء ،

١ ط س د : في .

٢ ط د س : واعلم فجد .

٣ ط د س : فاعطاهم العدو .

٤ ط س د : نحو قائد .

٥ ط د س : والحلي .

٦ ط د س : أصيب فيها بالقتل والسبي خمسون ألفاً .

يكرعن فيه بغير مهل ، فكبهن للأذقان موتاً^١ . وكان الخطب في هذه النازلة^٢ أعظم من أن يوصف أو يُتقصى .

قال أبو مروان : وبلغني أنه كانت المرأة تطلع من فوق سور المدينة ، فتنادي من يدنو^٣ إليها من الكفرة عن جرعة ماء لنفسها أو لطفلها ، فيقول لها : هاتي ما معك ، ألقي إلي ما يرضيني أسقيك ، فتلقي إليه ما عندها من كسوة أو حلية أو مال ، وتُدلي نحوه ما حضرها من قربة أو آنية في رشاء ، فتغيث به نفسها أو طفلها . وعرف الطاغية ذلك ، فنهى رجاله [عنه] وقال : اصبروا وقتاً ويؤخذون جملة . وآل بجماعتهم آخرأ أن ألقوا إلى المشركين بأيديهم فارين من الظمأ مع أمان ، فلما رأى الطاغية كثرتهم وانتشارهم ، هاله ذلك وخاف أن تدرکہم حمية في استنقاذ أنفسهم ، فأمر أصحابه ببذل السيف فيهم ليخفف من أعدادهم ، فقتل منهم يومئذ خلق عظيم تحدث أنهم نيفوا على ستة آلاف قتيل . ثم نادى ملكهم برفع السيف عنهم ، وأمر جميعهم بالخروج عن المدينة بالأهل والذرية فابتدروا الخروج عنها مزدحمين على أبوابها ، فمات منهم في ازدحامهم [ذلك ، من الشيوخ والعجائز والأطفال] جماعة ، وجعل كثير منهم يتدلون بالحبال من ذرى السور فراراً من ضغط الازدحام على الأبواب ، ويداراً إلى شرب الماء ؛ واستمسك في القسبة من وجوه الناس وجلدء فتيانهم نحو سبعمائة رجل ، تحصنوا فيها ولاذوا من موت السيف بموت الغلة . ولما برز جميع من بقي من أهل المدينة عنها إلى فناء

١ وهلك من نساها عند اذلاتهن من عطش القسبة عدد كثير لتطارحهم . . . يكرعون . . .

نهل ، فكبهم . . . موتاً .

٢ ط د س : المدينة .

٣ ب م : يدني .

بابها^١ بعد من خُفِّفَ منهم بالقتل ، وهلك في الزجمة ، ظلُّوا قياماً ذاهلين منتظرين لنزول^٢ القضاء بهم ، نوديَ فيهم بأن يرجعَ كلُّ ذي دارٍ منهم إلى داره ووطنه بأهله وولده ، وأزعجوا لذلك ، فنالهم من الازدحام قريباً مما نالهم في خروجهم^٣ عنها فلما استقرُّوا فيها [مع عيالهم وذرياتهم] اقتسمهم المشركون بأمر سلطانهم قسمةً قرروها بينهم ، فكلُّ من صارت في حصته دارٌ حازها ، وحازَ ما فيها من أهلٍ وولدٍ ومال ، يحكمُ^٤ كلُّ عِلجٍ منهم في من [٤٩ ب] سلَّطَ عليه من أرباب الدور بحسب ما يبتليه اللهُ به [منهم] ، يأخذُ كلُّ ما أظهره عليه من نَشَبٍ ، ويقرُّه على ما أخفاه عنه^٥ ، يعذب به أنواعاً من العذاب^٦ حتى يُبلِّغَ نفسه عُذْرَها منه ، فربما زهقت نفسُ المسلم دون ذلك فاستراح ، وربما أنظره أجله إلى أسوأ من ذلك^٧ ، فإنَّ عُدَاةَ الله كانوا يومئذٍ يتَوَلَّعون بهتكِ حُرْمِ أسراهم وبناتهم بحضرتهم وعلى أعينهم ، إبلاغاً في تعذيبِ قلوبهم^٨ ، يغشون الثيبَ ويفتضونَ البكرَ ، وزوجُ تلك وأبو هذه موثقٌ بقيدٍ إيساره ، ناظرٌ إلى سُخْنةِ عينه ، فعينه تدمعُ ، ونفسه تقطعُ ، ومَن لم يرضَ ذلك منهم

١ ط د س : ولما برز جميع من خرج عن المدينة بفناء بابها .

٢ د ط س : نزول .

٣ د ط س : الخروج .

٤ د ط س : بالدور .

٥ ط د س : ليحكم .

٦ د ط س : ويقرره عليه فيما أخفى .

٧ د ط س : يعذب أشد العذاب .

٨ ط د س : إلى أسرا سقاء ذلك .

٩ ط د س : إبلاغاً في نكائيتهم .

أن يفعلَهُ في خادمٍ أو ماهنةٍ^١ أو وَخَشٍ^٢ أعطاهنَّ حوَلَهٗ وغلماَنَهُ^٣ يعبثونَ بهنَّ^٤ عبثهٗ ، فبلغ الكفرةُ فيهم^٥ [يومئذ] ما لا تلحقه الصفةُ على الحقيقة .

ولما كانَ ثلاثةُ أيامٍ من استيلاءِ الكفرةِ عليهم ، نهدوا لمن كان بقي من المتحصنينَ بذِروَةِ القَصْبَةِ ، وأحاطوا بهم ، فزلوا على أمان وقد سَهِمَتْ وجوههم ، وتغيَّرت خِلَقُهُمْ^٦ ، من عَبَثِ العطشِ ، فتجافى الكفرةُ عنهم ، وخرجوا يريدونَ مدينةَ منتشونَ^٧ — أقربَ مدن الإسلامِ إليهم^٨ — ففُضي أن لقوا سريةً من خيلِ النصارى ، لم يشهدوا فتحَ بربشترَ ولا علموا خبرَ هؤلاءِ المَسرَّحينَ المكروبينَ ، فقتلوهُم جملةً ، إلَّا من نجا به أَجله منهم ، وقليلٌ ما هم ، فمضوا على هذه السبيلِ على ما حكم^٩ الله فيهم .

ولما عزمَ ملكُ الرومِ على القُفُولِ [يومئذ] من بربشترَ إلى بلده ، تخيَّرَ من بناتِ المسلمينَ الجوارِي الأَبكارِ ، والثيباتِ ذواتِ الجمالِ ، ومن صبيانهم الأيفاعِ والحزاورِ^{١٠} الحسانَ ألوفاً عدَّةً ، حملهم معه لينهديهم

١ ط د س : أو ذات مهنة .

٢ الوخش : اراذل الناس وسقاطهم ، يوصف به الرجل والمرأة .

٣ ط د س : فيهم .

٤ ط د س : منهم .

٥ د ط س : مرت .

٦ ط د س : عيث .

٧ Monzon إلى الجنوب من بربشتر ، وقال ياقوت : حصن من حصون لاردة .

٨ ط د س : منهم .

٩ ط د س : حرب .

١٠ ب م : تماماً بحكم .

١١ م : والمرد ؛ د : والجاذر ؛ والحزاور : جمع حزور ، وهو الغلام .

إلى مَنْ فوقه ، وترك ببربشتر من رابطة خيله ألفاً وخمسمائة ، ومن الرجال ألفين .

قال أبو مروان [ابن حيان] : وأختمُ هذه الأخبارَ البربشترية ، الموقظة لقلوب أولي الألباب ، بنادرةٍ منها يُكتفى باعتبارها عما سواها ، وتمثل لذوي النهى صورةَ البلوى التي تتوقع شرواها ، وهي ما حكاها لي بعضُ مَنْ أكاثبُهُ بالغرور عن رجلٍ من تجّار اليهود ، أتى ببربشتر البائسة بعد الحادثة [عليها] ، ملتصقاً فديةً بناتٍ لبعض وجوهٍ من نجا من أهلها حصّان في سهم قومسٍ من وجوه الرابطة فيما كان يعرفه ، قال : فهديتُ إلى منزله الذي كان نزله فيها ، واستأذنتُ عليه ، فأجدهُ^٢ جالساً مكانَ ربّ الدار مستولياً على فراشه ، رافلاً في نفيس ثيابه ، والمجلسُ والسريّرُ كما تخلفهما ربّهما يومَ محنته ، لم يتغيّر شي^٣ من رياشهما وزينتهما ، ووصائفُ علي [٥٠ أ] رأسه رُوقةٌ^٤ مضموماتُ الشعور قائماتُ على رأسه ساعياتٌ لخدمته ؛ فرحبَ بي وسألني عن قصدي ، فعرفتهُ وجهه^٥ ، وأثرتُ له إلى وفور ما أبذله في بعض اللواتي على رأسه ، وفيهنّ كانت حاجتي ، فابتسم وقال بلسانه : لسريع ما طمعت من قُرب فيما أبرزناه لك^٦ ، فأعرض عمّن هاهنا ، وتعرض لمن شئت ممن صيّرتُهُ^٧ بحصني من سبيي وأسراي أقاربك في من شئت منهم^٧ ؛ فقلت له : أما الدخول إلى الحصن فلا رأيي

١ ب م : ذوي .

٢ ط د س : فوجدته .

٣ ط د س : لم يغيّر شيئاً . ٤ د ط س : ووصائف رومة .

٥ ط د س : (ما) أسرع ما طمعت فيمن أعرضناه لك .

٦ ط د س : لخصني .

٧ ط د س : منهم .

لي فيه ، وبقربكَ أَنِيسْتُ . وفي كَنَفِكَ اطمأننتُ ، فسمني ببعضٍ مَن هاهنا فإني أَصيرُ إلى رغبتك : فقال : وما الذي عندك^١ مما تشوقني^٢ إليه ؟ قلت له : العينُ الكثيرُ الطيبُ ، والبزُّ الرفيعُ الغريبُ ؛ قال : كأنتك تشهيني ما ليس عندي : يا بجةً — ينادي بعض أولئك الوصائف : يريد يا « بهجة » [فيغيره] بعجمته^٣ — قومي فاعرضي على هذا اليهوديَّ الخدّاعِ مما في ذلك الصندوق : فقامتُ إليه . وأقبلتُ بيدِ الدنانيرِ وأجناسِ^٤ الدراهم وأسفاطِ الحليّ ، فكشِفَ وجُعِلَ بين يدي العليج حتى كادت تواري شخصه^٥ ؛ ثم قال لها : ادني إلينا من تلك التخوت ، فأدنتُ منها^٦ عدةً من قطع الوشي والخزّ والديباجِ الفاخرِ بما حار له ناظري وبهتُ ، واسترذلتُ ما عندي . ثم قال [لي] : لقد كثر هذا عندي حتى ما ألدّ به ، ثم حلف بإلهه وآبائه : لو لم يكن عندي شيءٌ من هذا ثم بُذل لي بأجمعه في ثمن مُدْنِيَتِهِ إليك ما سَخَتُ نفسي بها فيه^٧ ، فهي ابنةُ صاحبِ المنزل ، وله حَسَبٌ في قومه ، اصطَفَيْتُهَا له مع جمالها لولادتي ، حسبما كان قومُها يصنعونهُ بنسائنا نحن أيتامَ دولتهم ، وقد رُدَّ لنا الكرةُ عليهم ، فصرنا الآن فيما قد تراه ؛ وأزيدك بأنّ تلك الخود الناعمة — وأشار إلى جاريةٍ أخرى قائمةٍ إلى ناحية — لمغْنِيَةُ السخين العين^٨ والدها التي كانت تشدو

١ ط د س : وما عندك .

٢ ب م : تشوق .

٣ ب م : بعجموته .

٤ ط د س : عليه الخدّاع ما .

٥ د والنفخ : وأكياس .

٦ ط د س : منه .

٧ ط د س والنفخ : في ثمن تلك ما سخت بها يدي .

٨ ط س : لمغنية الغبي ؛ د : لمغنية اللعين .

له على نشواته ، إلى أن أيقظناه من نوماته^١ ؛ يا فلانة — يناديه بلكنته —
 خذي عودك فغني زائرنا بشجوك ؛ قال : فأخذت العود وقعدت تسويّه ،
 وإني لأتأمل دمعها يقطرُ على خدها ، فتسارقُ العليجَ مسحهُ ، واندفعتُ
 تغني بشعرٍ ما فهمتهُ أنا ، فضلاً عن العليج ، فصار من الغريب أن حثَّ
 شيربتهُ هو عليه ، وأظهرَ الطربَ منه . فلما قطعتُ ويشتُ مما عنده ،
 قمتُ منطلقاً عنه ، وارتدتُ لتجارتي سواء ، فاطلعتُ من كثرةٍ ما لدى
 القوم من السبي والمغنم [على] ما طال عجبي منه . فهذا فيه مقنّعٌ لمن
 تدبره ، وتذكّره لمن تذكّره .

قال أبو مروان [ابن حيان] : وقد أفسينا^٢ في شرح هذه الفادحة مصائب
 جلييلة مؤذنة^٣ برشك القلعة ، طالما حذر عليها^٤ أسلافنا لحاقها بما احتملوه عمن
 [٥٠ ب] قبلهم من أثاره ، ولأشدُّ مما أفسينا عند أولي الألباب ما أخفيناه
 مما دهانا من داء التقاطع وقد أخذنا^٥ بالتواصل والألفة ، وأصبحنا
 من استشعار ذلك والتمادي عليه على شفا جرفٍ يؤدي إلى الملكة لا محالة ،
 إذ قدر الله زمانها^٦ ، هذا بالإضافة إلى ما عهدناه في القرن الذي سلخناه من
 آخر أمد الجماعة على إدراك من^٦ لحق الذي قبله ، فمثلُ دهرنا هذا فرس^٦
 بهيم الشية ما إن يباهي بقُرحة فضلاً عن شدوخ غرة ، قد غرّبل
 أهليه أشدَّ غريلة فسفسف أخلاقهم ، واجتث أعراقهم ، وسفّه أحلامهم ،

١ ب م : نومته .

٢ د ط س والنفع : اشفينا .

٣ ط د س : عنها .

٤ النفع : امرنا .

٥ ط د س : زماننا .

٦ ط د س : ما .

وخبث ضمايرهم ، فاحتوى عليهم الجهل^١ ، واقتطعهم الزيف^٢ ، وأركستهم الذنوب ، ووَصَمَتَهُمُ العيوب^٣ ، فليسوا في سبيل الرشد بأتقياء ، ولا على معاني الغي بأقوياء ، شاء من الناس هامل ، يعللون نفوسهم^٤ بالباطل ، من أدل^٥ الدلائل على فرط جهلهم بشانهم ، اغترارهم بزمانهم ، وبعادهم عن طاعة خالقهم ، ورفضهم وصية^٦ رسوله^٧ نبهم عليه السلام ، وذوهم عن النظر في عاقبة أمرهم ، وغفلتهم عن سد^٨ ثغره^٩ ، حتى لظل^{١٠} عدوهم الساعي لإطفاء نورهم يتبجح^{١١} عِراض^{١٢} ديارهم ، ويستقرئ^{١٣} بسائط بقاعهم ، يقطع^{١٤} كل يوم^{١٥} طرفاً منهم ويبعد^{١٦} أمة^{١٧} ، وَمَنْ لدينا وحوالينا من أهل كلمتنا صُموت^{١٨} عن ذكرهم ، لهاة^{١٩} عن بثهم ، ما إن يُسمع^{٢٠} عندنا في مسجد من مساجدنا ومَحفل من محافلنا مذكّر^{٢١} بهم أو داع^{٢٢} لهم ، فضلاً عن نافر^{٢٣} إليهم أو مواس^{٢٤} لهم ، حتى كأن ليسوا منا ، أو كأن فتقهم^{٢٥} ليس بمفض^{٢٦} إلينا ، قد نخلنا عليهم بالدعاء ، بُخلنا بالغناء ، عجائب^{٢٧} مُغربة^{٢٨} فاتت^{٢٩} التقدير ، وعرضت للتغيير ، فله عاقبة^{٣٠} الأمور ، وإليه المصير .

قال أبو مروان [ابن حيان] : فلما كان عقب جمادى الأولى من سنة سبع وخمسين [بعدها] شاع الخبرُ بقرطبة بارتجاع المسلمين لبر بشره^١ ، وذلك أن أحمد^٢ ابن هود الملقب بالمتندر ، المفرط فيها ، والمتهم على أهلها لانحرافهم إلى أخيه ، صمد لها مع مدد^٣ عباد حليفه^٤ ، وسعى لإصمات^٥ سوء القالة^٦ عنه ، وقد كتب

١ ط د س : أنفسهم .

٢ ط س : أظل .

٣ ب م : عراض .

٤ ط د والنفع : أو ماش .

٥ ط د س : برجوع المسلمين بحمد الله إليها .

٦ ط د س والنفع : امداد لحليفه عباد (ط : خليفة) .

الله عليه منها ما لا يحويه إلاّ عفوّه ، فتأهّب لقصد بربشتر ، فسار نحوها :
ورجالُ ابن عباد نحو من خمسمائة فارس ، مقدّمتهُ من شِداد البرابرة
وغيرهم من أبطال الأندلس ، فنزل عليها بجمعِهِ ، فجالدوا المسلمين
ببابِ المدينة جِلاذاً^١ ارتاب منه كلُّ جبان ، وأغرى الله أهلَ [٥١ أ]
الحفيظة والشجعان ، وحمي الوطيسُ بينهم إلى أن نصر الله أولياءَهُ ،
وزلزل^٢ أعداءَهُ ، وولّوا الأدبارَ مقتحمين أبوابَ المدينة ، فاقتحم^٣ المسلمون
عليهم وملكوهم أجمعين ، إلاّ مَنْ فرّ من مكانِ الوقعة ولم يأتِ المدينة ،
فأجبلَ [السيف] في الكافرين ، واستؤصلوا أجمعين ، إلاّ مَنْ استرقّ
من أصاغرهم ، وابتغوا الفداء^٤ من أعاضهم ، وسبوا جميعَ من كان فيها
من عيالهم وأبنائهم ، وتملكوا المدينةَ بقدرة الخالق الباري ، وأصيبَ
على منحة النصر المتاح طائفةٌ من حُماة المسلمين ، الجادّين في نصر الدين ،
نحو الحسين ، كتب الله شهادتهم ؛ وقتل فيها من أعداء الله الكافرين نحو
ألف فارسٍ وخمسمائة^٥ راجل ، فاستولى المسلمون بحمد الله عليها ،
وغسّابوها من رجسِ الشُّركِ ، وجلّوها من صلب الإلفك ، ثبتَ الله فيها
قدَمَ الإسلام^٦ ، وجبر صدعَ مَنْ تولّى من إخوانهم ، بمنته^٧ .

١ ط د س والنفع : فتأهّب لقصد بربشتر في جدوع من المسلمين فجالدوا الكفار بها جلاذاً...

٢ د ط س والنفع : وخذل .

٣ ط د س : فاقتحمها .

٤ د ط س والنفع : يدخل .

٥ ط د س : القدية .

٦ د ط س : وخمسة آلاف .

٧ د ط س : قدمهم .

٨ د ط بن : برحمته .

ومن رسائله الإخوانيات

فصل له من رقعة في استفتاح خلطة: قد يتراسلُ الناسُ وإن لم تتقدم مباسطة^١ ، ولا سلفت مخالطة ، لأسباب تصلُ أهواءهم ، وأحوال تجمع آراءهم ، فتألف قلوبهم ، وتعود ذاتُ بينهم كأن لم تزل ملتزمة^٢ ، وتلوح قواعدُ مؤاخاتهم كأن لم تبرح مستقرة^٣ مستحكمة ، وقد دعاني إلى الأخذ بحظٍّ من إخالِكَ ، والاكتتاب في ديوان أودائك وأصفيائك ، سبيان أحدهما ما أرجأ^١ إليّ من طيب أخبارك، وجليّ عليّ من محاسن آثارك، وقد رلديّ من فضائلك التي تقتادُ اليك النفوس بأزيمة ودادها ، وتقفُ عليك خالص اعتقادها ، فالفضائلُ حيث كانت مرغوبة^٢ محبوبه^٣ ، والههم نحوها جانحة طامحة^٤ ، والأهواءُ بها كلفة^٥ ، ولها مكتنفة^٦ ؛ والسبب الآخر: مكانك من سيدنا الملك [الأعظم] — أدام الله رفعتَه ، وثبت وطأته ، ومكّن سلطانه ودولته — وحظك الرفيع من أثرته ، وحالك المشكورة في خدمته ، فإن كل من اتصل به واعتصم بسببه ، وفاء عليه ظله الظليل^٧ ، وأحاط به فضله الجزيل ، فقد جمعني وإياه ذمام كبير^٨ وسبب موصول ، إذ أنا متمسك من حبله بأوثق عروة^٩ ، ومستضيء من نوره بأنور جذوة .

وله [فصل] من أخرى [في مثله] : قديماً تواصل الناسُ على البعد، وتهادوا ثمر الإخلاص والود^{١٠} ، وإن لم يتقدم سبب موجب للتواصل ، ولم

١ ط س : أراح .

٢ د ط س : محبوبة .

يرد رائد مقتضى للتراسل ، وما أقولُ إنَّ مخالطة^١ تمكنت [٥١ ب]
لا سببَ لها ، ولا مواسطة تمهّدتْ لا باعثَ عليها ، فإن توقَّ النفسِ
إلى استصفاء الفضلاء ، واقتناء مودّات الأوفياء^٢ ، أقوى أسباب
الارتباط ، وأدعى أبواب الاختلاط ، ومحال أن تنجذب^٣ نفس^٤ ، إلى
من ليس لها به أنس ، أو يكلف ضمير^٥ ، بمن ليس له منه حظّ موفور ،
وقد تخلّت مخاطبتي لك من الأسباب إلّا^٦ من سبب المحبة فيك ، والمعرفة
بجميل مذهبك ومساعدك ، والرغبة في اقتناء خلّتك ، وادّخار
صداقتك ، لما شهّر من أحوالك الجميلة ، وظهر من خيالك النبيلة ،
ومن كان على ما أنت عليه ، فمرغوب^٧ فيه منجذب إليه ، مطلوب إخاؤه ،
مخطوب صفائه ، محبوب على البعاد ، مفدّى حتى من الأضداد .

وفي فصل من أخرى [في مثله] : إن كانت المعرفة لم تحقق ، فكم
أثر أهدى من عين ، وكم خبر أغنى عن خبر ، ولئن كانت الألفة لم تسبق^٧ ،
فرب طارف حديث أكرم من تالد موروث ، وربّ مستفاد مكتسب ،
أغبط من عتاد معتقب ؛ ووردني لك كتاب [كريم] نطق بلسان تفضّلِكَ
فأصغى هوى النفس إليه ، واستصفي مودّات القلوب لديه ، وقضى
أنك عين الأعيان ، وفاضل الزمان ، والخاص بنوع الإنسان .

١ ط د س : مخاطبة .

٢ د ط س : الاولياء .

٣ ب م : تتحدث .

٤ د ط س : وما مخاطبتي لك الا .

٥ د ط س : بجميع .

٦ ط د س : فهو مرغوب .

٧ ب م : تستبق .

وفي فصل من أخرى : منابتُ الفضلِ باسقةُ الفروع ، حميدةُ الجميع ،
طَيِّبةُ الجنى ، جميلةُ المخبر^١ والمرأى ، لا تُطْلِعُ إِلَّا ما يُبْهَجُ ، ولا تُلْقِحُ
إِلَّا ما يَنْتَجِ^٢ ، ولا تُورِقُ إِلَّا بما يَرْفِ ، ولا تثمرُ إِلَّا ما يَشْفُ ، وأنت
في أطيبها مَعْدِنًا ، وأكرمها مَوْطِنًا ، ومن أزكاها مَبْتَأًا ، وأسراها مَغْرَسًا ،
ولا يَرُدُّ مِنْكَ إِلَّا ما يَعْبَقُ نَسِيمُهُ ، ويلدُّ شَمِيمُهُ ، ويروقُ مَنْظَرُهُ ،
ويُفوقُ مَخْبِرَهُ ، وما زلتُ أعرفُ لكَ الحقَّ^٣ الوكيد ، والسَّبَقَ البعيد ،
والسعيَ السديد ، فأقولُ إنك غُرَّةٌ في وجهِ الدهرِ البهيم ، ومَعْدرةٌ من
إِسَاءةِ هذا الزمَنِ المليم ، فما أخطأتُ عنك الفِراصة ، ولا اختلفتُ فيكَ
الرياسة ، بل أَوْفَيْتُ على المقدارِ المظنون ، وأتيتُ من وراءِ المتيقنِ المضمون .

وله من أخرى^٤ : ورد كتابك الكريم يُعْرِبُ عن ودِّ لا تكذبُ فيكَ
صِفاته ، وعهد لا تُقَرِّعُ صِفاته ، وقد كنتُ أَتأملُ فيكَ^٥ شواهدَ التحقيق ،
وأعلمُ أنك الواقعُ عليه معنى الصديق ، على أنه في هذا الزمَنِ كالعدم ،
إِلَّا في الكتُبِ والكَلِمِ .

وفي فصل من أخرى^٦ : ان عوائدَ المتكاثين على أيِّ حالٍ كانوا من
اتفاقِ المعاهد ، واختلافِ المقاصد ، قد جرت على سُنَنِ من ذكر [٥٢ أ]

١ ط س : المجنى ؛ د : المحيا .

٢ ط د س : تنتج .

٣ ط س : الخير ، وسقط النص من د ابتداءً من قوله « واسراها مغرساً » حتى آخر الرسالة .

٤ ط د س : الزمن .

٥ ط س د : الدهر .

٦ سقطت هذه الرسالة من د ايضاً وثبتت في سائر النسخ .

٧ ط د س : منك .

٨ هذه الرسالة والتي تليها سقطتا من د .

الودّ وانتحاله ، وحسن العهد وجماله ، تمثّره كلُّ فرقة^١ ، وتتعاطاه كلُّ طائفة ، حتّى قد كاد يقع الالتباس بين المحقّ والمبطل ، وتخلجُ الظنونُ والظنن في عيان المتأمل ، بكثرة^٢ الدعاوى في الناس والنفاق ، وعدم التصافي في الأغلب والوفاق ، فالكلامُ منهلٌ مورود ، وحبلٌ ممدود ، وبابٌ غير مسدود ، فما عسى الموالي المحقّ أن يكتبَ به ، مُعرباً عن صحّة ضميره ومذهبه ، ولعلّ الظنين المسترابَ به قد سبق من القول في هذا الباب إلى كلِّ نسيّة ، وأتى من الإسهاب والإغراب^٣ بكلِّ قضية سنية^٤ ، قبل إعمال الرويّة ، فهي ألفاظٌ مشتركةٌ غيرُ مُتميّزة ، وكلماتٌ مختلطة غير متحيّزة^٥ .

وفي فصل من أخرى [له] : وكنتُ أضربُ صفحاً عن ذكرِ حالي معكَ وارتباطها ، وانجذاب نفسي إليك وانبساطها ، وامتزاج ذاتي بك واختلاطها ، إلّا أنّي قلتُ : لا بدّ للنفوسِ من أن تُظهرَ أفعالها ، وللحقائقِ أن تعطيَ أحوالها ، فإن وراءَ كلِّ دعوى ، ستاراً^٦ من النجوى ، يُعلّمُ به هل تغلّلت في الضميرِ ذاهبة ، أو أخذت في بعض الجوانبِ وازبة^٧ ؛ وعلمتُ أنه لا بدّ من شواهدِ اللسان ، مع معاهد الجنان ، واللهُ المطلعُ على الضمائرِ لم يقبل عقْدَ الإيمان ، حتّى يصحبه عقْدُ اللسان ، ولهذا السببِ لا بدّ

١ ط س : تخبر به كل طبقة .

٢ ط س : لكثرة .

٣ ط س : والاعراب .

٤ ب : نسيّة ؛ ط : يشبه ؛ س : بشبيه .

٥ ط س : سراراً ؛ ب : سياراً .

٦ وازبة : ذاهبة ؛ وفي النسخ : وارية .

للمرء أن يقول ، وللسان أن يجول ، إلا أنه يكتفى بالقليل من الكثير ، ويُحالُ على خواطرِ الضمير .

وله من أخرى ^١ : إن أخذتُ في ذكرِ فضائلِك ، أوعطرتُ كلامي بطيبِ شمائلِك ، فلسانُ الأيامِ بها أفصحُ ، ولها أشرحُ ، وإن عدلتُ إلى وَصَفٍ ما اعتقدهُ فيكَ وأضمره ، وأطويه من ودادي لك وأنشره ، فشاهدُ ضميرِك به أنطقُ ، وعنه أصدقُ ، فليس إلاّ الاتفاق والاصطلاح ، على ما تتناجى به النفوسُ والأرواح .

وفي فصل من أخرى : وردني لك كتابٌ أراني كيف يكونُ الكلامُ درّاً ، والبيانُ سحراً ، وبطونُ المهارقِ حدائقَ ، وما بين مدبِّ الأقلامِ بوارق ، فله يدٌ نمنمتُ وشيهُ ، ونظمتُ حليه ، وقریحةٌ أطلعتُ أزهیره ، ما أطولَ باعها ! وأكثرَ في فنونِ الأدبِ اتساعها ! ولله زمانٌ أصحبَ بعد الامتناع ، ووصلَ بعد الانقطاع ، ورفعَ أعلامَ السعادةِ ، وبلغَ أقصى الآمالِ والارادة ، بورودِ الكتابِ الأثيرِ من شاطبة ، وقد تبوأَ منها بسطة ذراه ، وذكرتُ أنه وصل إليها على تناءٍ من البهجة ، فأتتِ الظنونَ ، وراقتِ العيونَ ، وتجاوزتُ حدَّ [٥٢ ب] الجمال ، واستوفتُ غايةَ الكمال ، بالمنظرِ المعجب ، والمرأى المستغرب ، الذي لم تُفتقِرِ الأسماعُ بمثله ، ولا نهضتِ الأفكارُ بشكله ، والحالُ مغنيةٌ بذاتها ، عن صفاتها ، فقد رفعها الله عن أن تحيطَ بها الأوصافُ ، ومحلتها أجلٌ عن أن تصفها الوصافُ ، فإنها نادرةُ الأيامِ ، وفائدةُ الزمان ، يسيرُ بها الركبُ ، وتُحلتى بها الكتبُ ، وتبدونُ في صحائفِ الفخر ، وتُعمَرُ على مرِّ الدهر ، ويبلى العصرُ ، وهي جديدةُ الذكر .

١ سقطت هذه الرسالة واثنان بعدها من د ط س .

وله من أخرى : وحين انتظم أمل^١ ، وتناهى جدل^٢ ، لما أشرفت^٣
 عليه من صدر الكتاب الكريم ، أوقفتني منه على حفزة عتب^٤ ، وخزت^٥
 وخز الأثافي ، ولدغت لدغ الأفاعي ، فأمرت الحلو ، وكدرت الصفو ،
 وحزنت النفس ، وشردت الأنس ، فناهيك بكسلي بعد نشاطي ، وانقباضي
 غيب^٦ انبساطي ، وهذه عادة الأيام يجيء كدرها جملاً ، وصقوها
 لُمعاً ، والله المستعان على ما يجيئني منك وأنا ذاهل ، ويطرقني وأنا غافل .

وفي فصل له^٣ : وربما تهيأت الصداقة ، وتمكنت العلاقة ، على
 تنائي الديار ، وبعد الأقطار ، بالأخبار السائرة ، والأنباء المتواترة ،
 بيارع مناقبهم ، وباهر مذاهبهم ، وجليل فضائلهم ، وسامي منازلهم ،
 فتعارف القلوب ، ويجمعهم عقد الوداد ، وإن تناءوا في البلاد ، وينظمهم
 سلك الصفاء ، وإن لم يكن سبيل^٤ إلى اللقاء ، فإذا خطب بعضهم وصل^٥
 بعض ألفاه موطأ الكنف ، مهياً اللطف ، سهلاً مرأته^٦ ، سلساً زمامه^٧ .
 وقد خص الله الوزير الأجل بضروب من المفاخر ، وصنوف من
 المآثر ، تأملها أعين النظار^٨ ، وتنحملها ألسن الأخبار ، ويخطها سواد^٩
 الليل على^٦ بياض النهار ، ويحدو بها حادي الرفاق ، على أقاصي البلاد
 والآفاق ، ويسري بها سُرأة الركبان^٧ ، إلى نائي البلدان ، حتى لقد

١ ب م : حفرة عتت ؛ والحفزة : الطعنة .

٢ م : بعد ، وفوقها « غيب » خ .

٣ سقطت من د وحدها ؛ طس : ومن أخرى .

٤ ط س : وجميل .

٥ ب م : الناظر .

٦ ط س : ويخطها عن ؛ م : ويخطها .

٧ ب م : تنائي .

أسمعوها كلَّ أذنٍ صمَاءَ ، وأروها كلَّ عينٍ عمياءَ ، وعمرها بها
كلَّ قطرٍ وإن شطَّ وَبَعْدَ ، وأنطقوا بها كلَّ لسانٍ وإن عيَّ^١ وجمد ،
فألويةُ الحمدِ عليه خافقةُ ، وألسنةُ المجدِ بفضلِهِ ناطقةُ ، وكلُّ أفقٍ
بكواكبه منيرُ ، وكلَّ قلبٍ بصفاءِ مودَّتِهِ معمورُ ، واللهُ يُبْقِيهِ للمكارمِ
نظاماً ، وللأفاضلِ^٢ إماماً ، ولمحاسنِ الدنيا تماماً .

وفي فصل من رقعة وجدتها له منسوبة ، وفي ديوان رسائله [٥٣ أ]
مكتوبةً ، وهي فيما أراه لسواه^٣ : أما البلاغةُ فأنت ابنُ بجدتها ، وأما
الفصاحةُ فأنت لابسُ جلدتها ، والبراعةُ فأنت مقيمُ بردتها ، ولا غرو ،
فمن زاحم في العلمِ بالمنكبِ الأشدَّ ، وخطا في عَرَصَةِ الأدبِ بالباعِ
الأمَدَّ ، واستولى في مضمارِ الركابِ على الأمدِّ ، أتى من الإبداعِ بالعجبِ
العجيبِ [واجتني قطفَ الاختراعِ من المكانِ القريبِ] ، وتقنَّصَ شاردةً
بالسهمِ المصيبِ . وما زلتُ أفضُّ كتبَكَ عن بدائعِ دونها السَّحرُ ، ولآلِ
يُزْهِى بها النحرِ ، وغرائبِ يعذُّبُ بها لو مازجتهُ البحرُ ، فأعترفُ بالتقصيرِ ؛
وَمَنْ رَكِبَ في الكتابةِ عصاً قصيرَ ، أنسى له بمطاولةٍ مَنْ رَكِبَ عصاً
فقيرَ ؟ وما كفاكَ - أبقاك الله - حينَ قابلتني بما لو قوبلَ به النجومُ
لأنحطَّتْ إليه من سمائها ، أو الغيومُ لترقرقتْ عليه من أرجائها ، أو
السَّمُومُ لسمحت بنسيمها وأندائها ، وذلك ما أبديتهُ ، مما أدَّيتهُ ، بل

١ ب م : غبي .

٢ ط س : والفضائل .

٣ هذه الرسالة والتي تليها سقطتا من د وحدها .

٤ ب ط س : متمم .

٥ ط س : نفيير .

أهديته^١ ، من تلك الرسالة المستبينة الإعجاز ، المنتظمة الهوادي بالأعجاز^١ ،
 الآخذة بحاشيتي المجاز ، التي ربُّ قلائدِها ، وأبو فرائدها ، ووليُّ خرائدها ،
 واحدُ أقرانه جلالة ، وقريعُ دهره جزالة^٢ ، ونسيجُ وحده أصالة ، الكاتبُ
 الماهر ، وبَدْرُ الصناعة الباهر ، أبو فلان [أبقاه الله] ، فإنك جلوت [علي^٣]
 من أبكاره كرائم ، [وسُفِّتَ إليّ من نتائج أفكاره تماثم ، وفتقت عن
 زاهر افتقاره كمائم] ، وعرضت عليّ من توليد تفكيره^٤ ، وبديع
 منشوره ، وأنيق تحبيره ، ما هو أحلى من لذّة الكرى^٥ ، وأشهى من
 درك الغنى ، وأعبقُ من نفحات الأنوار ، غبّ القطار ، عند تبلّج
 الأسفار .

وفي فصل من أخرى : ولما تعيّن عليّ وظيفُ المراجعة ، بعد طول
 الممانعة ، وشدة المدافعة ، نثرتُ [له] كنائِنَ اعتزامي^٦ ، وشحذتُ أسنّةَ
 أقلامي ، وامتريتُ دِرّةَ كلامي ، فبعد لأيٍ ما انقادت صعابه^٧ ، وذُللتُ
 ركابه^٨ ، وفتحتُ شعابه ، وكتابي [أعزك الله] طوراً يبسطُ يدي وطوراً
 يقبضها ، وتارةً يرسلها وأخرى^٩ يعترضها ، ومرةً يُقعدها وأخرى
 يُنهضها ، حياءً من مقابلة بحرك بنطفي ، ومحاسن ضيائك^{١٠} بسدّتي ،
 ومناطحة طبعك بكتلّفي^{١١} ، فأما الودُّ ، فمنتظِمُ العقد ، وأما العهد ،

١ ب م : بالهوادي الاعجاز .

٢ ب م : فكره . ٣ ط س : المي .

٤ ب : اعتزامي .

٥ ط س : وفتحت .

٦ ط س : وتارة .

٧ ط س : وضياء محاسنك .

٨ ط س : يتكلّفي .

فمستحكمُ الشدَّة ، وأما الجِد ، فكرياض الورد .

وله من أخرى : وإذا كانت الأعلاقُ [النفيسةُ] الثمينةُ ، والجواهرُ
الرفيعةُ المصنونةُ ، يُرغَبُ في اقتنائها ، وَيُتَنافَسُ في ادِّخارها واصطفائها ،
وهي أحجارُ جوامد ، ومتملكاتُ صوامت ، فأخلقُ بأعلاقِ الشرفِ
المجيد ، وجواهرِ السُّودِ دِ التلید ، أن تمتدَّ إليها الأيدي والأعناق ، وتستهدِها
الأقطارُ والآفاق ، وتخالسَ إليها الأيامُ والليالي [٥٣ ب] ولا يُعتمدُ
منها إلاَّ الرفيعُ العالی ؛ وَعَلِقُ صفائك - أعزك الله - أرفعُ الأعلاقِ ،
كما أن عِرْقَ سنائك أكرمُ الأعراق ، فقد انجذبتُ اليك انجذابَ الراغبِ
فيك ، والحريصِ عليك ، واستشعرتُ لك ودّاً قدَّمتهُ ، وعهداً أحكمته ،
وصفاءً أخلصته ، وإخاءً أمحضته ، علماً أني أغرسُهُ من تربك في ثرى
ثري ، وأطلعُهُ من جوهرك في أفقِ صاحٍ مُضيٍّ ، وإن كانت المواصلَةُ
قبلُ لم يمتدَّ لها سببٌ ، ولا انعقدَ لها مذهبٌ ، والمداخلةُ لم يفتَحْ لها
بابٌ ، ولا نازعَ إليها انجذابٌ ، فقد تعاقبتُ عليك الأيامُ من نوائبها
ومواهبها ، ومساءتها ومسراتها ، ما وجبتُ مشاركتكُ فيه ، وقد قدُمتِ
الرزِيَّةُ ، فارتفعتِ التعزية ، وأعقبتِ العطيةُ ، فلزمتِ التهنية ، وأنا أسألُ
الله أن يهنيكَ كلَّ سرور ، ويجري بمحابتك المقدور .

وله من أخرى : لتمثلُ^٢ - أعزك الله - منصفاً مقامي ، وتختيلُ^١
مسعفاً خجلي واحتشامي ، من لدن افتتحتُ كتابك [إلى] أن اختتمته ،
وابتدأته إلى أن أتممتُهُ^٤ ، وقد رأيتُ في مبادئه وانتهائه^٣ ، واقتضبتُ^٥

١ ط س : صباح .

٢ ب : لتمثل .

٣ ب : وانتهائه .

٤ د ط س : وامتنيت .

من فصوله وغاياته ، ما غمّر وبهر ، ورقّ وراق ، وشقّ وشاق ، من تواضعٍ شريف ، وتدانٍ رفيعٍ منيف ، ووسمي بسماتِهِ ، ووصفي بصفاته ، وحلاّتي بحلاه ، وأقحمني في علاه ، وأثبت في ديوانِ الكتابة اسمي ، وإن كانت الحقيقة لم تثبت فيه رسمي ، ومن لي بالعصا في ميدانها ، ولست من فرسانها^١ ، وكيف لي بتلك الصناعة ، وأنا مُزجى البضاعة ؟ ! كلا ، فقد سبق ارتجاجي رهوك ، وشأى اجتهادي عفوك ، أيام كنت رخي البال ، ناظراً إلى الدهر بعين استصغار ، وإن كنت أنت تخرع فأتبع ، وتُهبب فأجيب ، فالآن إذ أحمَدَتِ الخطوبُ نارَ رويّتي ، وارتشفتِ النوائبُ ماءَ بداهتي^٢ ، فما غادرت فيه شفاقةً ولا علالةً ، ولا أسأرت فيه صُباةً ولا بلالةً ، أرتجي أن أطيلَ فلا أُمِلَ ، وأختصرَ فلا أُقِلَ ؟ ! هيهات ! يابى ذلك جفنُ أرقٍ ، وقلبُ محترقٍ ، وفكرُ نابٍ ، وذكرُ كابٍ ؛ ولو كنتُ ممّن يُبدى ويعيد ، ويُحسنُ ويحيد ، لما اغترفتُ إلاّ من بحرك ، ولا نفثتُ إلاّ من سحرك ، ولا أغرتُ إلاّ على نظمك ونثرك ، فأنت قدوتي ، وبك أسوتي ، وإليك منتهى روايتي ، ومنك معظمُ درايتي .

ومن أخرى : إن استدلتُ - أعزّك الله - أو أدلتُ أو انبسطت ، فإخلادٌ إلى جنبِ المقة ، واعتمادٌ على ركنِ الوفاءِ والثقة ، وانقيادٌ لما تقدّم من الذمام السالف ، وتأكدٌ من تالدِ الإخاءِ [٤٥ هـ أ] والطارف^٣ ، والله يُبقيك عبناً للزمان ، وعنواناً في صحيفةِ الإخوان .

١ ب م : خيل فرسانها .

٢ ط س : بديهتي .

٣ ط س : ذلك الإخاء الطارف .

ومن أخرى خاطب بها أبا القاسم بن خيرون^١ : وقفتُ على ما حَدَّثتهُ
من مقابلة السُّفرين المشتملين على فنونِ الآداب ، وصناعةِ الكتاب ،
وطرقِ الخطاب^٢ ، الجامعة لفصاحةِ الأعراب ، وللبابِ الباب ، وبادرتُ
إلى ذلك بدارَ مَنْ علمَ أنها نعمةٌ سابغةٌ مُنحتها ، ووصلةٌ وُصِلَتْها ، لما
في تأملها من الإشرافِ على طُرُقِ البلاغةِ والكتابةِ ، وصناعةِ الترسيلِ
والخطابةِ ، مع ما يلزمني من حقِّكَ أَقْضِيهِ ، وواجبك أَتَصَرَّفُ فيه وأوفيه ،
إذ أنت صنوُّ أبي مولاي - مدَّ الله عليَّ ظلكما ، وكبت^٣ الباغي عليكما ،
والحاسدَ لكما - فكم يقرعُ سمعي من قولِ الحاسدين من^٤ خصَّ أبي
مولايَ بمعاداةِ أهلِ الجهل ، وحباه بموالاةِ أهلِ الفضل ، ولا غرو فغيرُ
غريبٍ ذلك من فعلهم بالعلماءِ ، ولا يبدع من صنيعِ الدهماءِ ، وقد قال
الأول :

بيني وبينَ لثامِ النَّاسِ مَعْتَبَةٌ لا تنقضي وكرامُ النَّاسِ خلاّني^٥
إذا لقيت لثيمَ الأَصْلِ أبغضني وإن لقيتُ كريمَ الأَصْلِ حياني
وقال آخر^٦ :

لقد زادني حباً لنفسيَ أنْتي بغيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غيرِ طائلِ
وأني شقيٌّ باللثامِ ولن تَرَى شقيّاً بهم^٥ إلا كريمَ الشَّمائلِ

١ ب م : جبرون ؛ وقد ترجم ابن سعيد لأبي القاسم بن خيرون (المغرب ٢ : ٤١٩)
ونسبه إلى حصن بيران من أعمال دافية ، وذكر أنه سكن دافية وكان من شعراء أقبال الدولة .

٢ ط د س : الخطابة .

٣ ط س د : وبكت .

٤ د : مذ .

٥ البيتان في الصداقة والصديق : ٣٠ دون نسبة .

٦ هو الطرماح بن حكيم ، انظر ديوانه : ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

وفي فصل منها : ومن العجائب العجيبة ، والنوادر الغريبة ، تحكك^١ من ليس من شأنه ، ولا يجري في ميدانه ، إلى مطالبته ، ونصبه لمحاربته^٢ ، بالإبراق والإرعاد ، والتهديد^٣ والإيعاد ، لا جرم أن يده أقصر ، وخطبه أيسر ، وهو أصغر وأحقر ، فما ريع بذلك الوعيد ، ولا رفع رأسه لذلك التهديد^٤ ، ولا أصبح سر به خائفاً ، ولا أمسى طائره واقعاً ، ولا طرفه خاشعاً ، ولا اضطرب به مستقر ، ولا قال أين المفر ، بل عد ذلك من دلائل سموه الواضحة ، ومخايل علوه اللائحة ، وتضاحك منه لاهياً ، وأنشد :

زعم الفرزدق أن سيقتل^٥ مربعاً أبشر بطول سلامة^٦ يا مربع^٧

ومن أطرف ما جاءت به الأيام ، وتحدثت به الأنام ، مناواة^٨ جاهل خسيس ، لإمام عادل رئيس ، لقد استنت^٩ الفصال حتى القرعى^{١٠} ، ولا تعجب لجاهل علا ، إن البغاث بأرضنا يستنسر^{١١} ، وما لئيس جبان ، والجري مع العلماء في ميدان ؟ ! أوهمته نفسه إذ لقّب [٥٤ ب] بالفقيه ، وذلك أقصى أمانيه ، وهو من العلم ، أبعد من النجم ، ومن الجهل الشديد ، أقرب من جبل الوريد ، وكيف يجاري العلماء ، ويُسامي الكبراء ، ويزاحم أهل العلم بالفروع والأصول ، والعلّة والمعلول ؟ وماذا

١ ط س د : إلى محاربته .

٢ ط د س : والتعزير .

٣ د ط س : النشيد .

٤ البيت لجرير ، ديوانه : ٩١٦ .

٥ ط د س : موالاة .

٦ انظر امثال المسكري ١ : ٧١ وفصل المقال : ٤٠٢ وجمهرة ابن دريد ٢ : ٣/٣٨٤ : ٨٢ .

٧ انظر امثال الميداني ١ : ٧ وفصل المقال : ١٢٩ والمسكري ١ : ١٤١ ، ١٦٣ .

عليه من العلم [المدار] ، بوثائق ابن العطار ، وبعقد وثيقة وهو لا يعرف
معانيها وفصولها ، [ويطول وهو لا يميز حشوها وفصولها] ، إلى الله الشكوى
في دثور العلم وتألب الجهلاء والغوغاء ، وتألفهم على من بان فضله عليهم ،
حتى صاروا على الشر أعواناً ، وإن لم يكونوا قبل إخواناً ، خوفاً على جهلهم
أن يظهر ، وينتشر من غباوتهم ما استتر :

حسدوا الفتي إذ لم ينالوا سعيه^١ فالناس أعداء له وخصوم^٢
« وذو الجهل في الدنيا بذئ الفضل مولع ».

إن المقدم في حذق بصنعيته^٣ أنى توجه منها فهو محسود^٤
وليت لو كانوا^٥ من الأكفاء والأنداد ، وموضعا لوداد ، ومكانا للاقتصاد :
ولو أني بليت^٦ بهاشمي خؤلته بنو عبد المدان^٧
صبرت على عداوته ولكن^٨ تعالتوا فانظروا بمن ابتلاني
اخرج^٩ يا دجال . فقد غلب المحال :

قوم^{١٠} إذا ما جنى جانبيهم^{١١} أمنوا للؤم^{١٢} أحسابهم^{١٣} أن يقتلوا قودا^{١٤}
وفي فصل منها : وإني ليلغني ما يأتي به من هذيانه في المنثور والموزون ،
وتخطيه إلى العريض المصون ، والنيل من ذوي الفضل والدين ، فأهم^{١٥}

١ البيت لأبي الأسود الدؤلي ، ديوانه : ٥٤ وانظر شرح شواهد المني : ١٩٤ ونظام الغريب :
٧١ وفصل المقال : ٤٥ .

٢ ط د س : كان .

٣ ورد البيتان في ديوان المعاني ١ : ١٧٨ دون نسبة .

٤ ورد البيت في التمثيل والمحاضرة : ٥٦ دون نسبة ، وروايته كما في د ط س : من لؤم .

٥ ط د س : ما أهم .

بمعارضته ، ثم أَمْسِكْ عنه لتفاهته ودناءته ، وأذكرُ قولَ القائل :
نجا بكَ لَوْمُكَ مَنجى الذَّبَابِ حَمَتُهُ مَقَاذِيرُهُ أَنْ يَنالَا^١
[وقوله] :

• وَمَنْ يَعْضُ الْكَلْبَ إِنْ عَضَا^٢ •

لو كنتَ من أحدٍ يهجي هجوتكمُ يا ابنَ الرقاع ولكن لستَ من أحدٍ^٣
وله من أخرى خاطب بها [الوزير] أبا المطرف بن الدباغ : مُطَالَعْتُكَ
— أعزَّكَ الله — منتظرة ، وصلتك مستمطرة ، فلا تعتذرُ إلاَّ من الإغباب ،
ولا تستكثرُ قليلَ ما تصلُ به من الكتاب ، فأنا إلى أخبارِكَ متطلِّع ،
ولآثارِ الصديق المخلصِ من النفسِ مَوْقِيع ، وقد علمَ علامُ الغيوب
شُغْلَ بَالِي بك ، واقتضائي الأيَّامَ لك ، ما تقتضيه لنفسك وذاتك ، من
آمالك وإراداتك ، وإنه ليعتريني حَصْرٌ عند مجابتك ، وخجلٌ حينَ^٤
[٥٥ أ] مكاتبتك ، من خلوتِ كتابي إليك ، من معنى تشدُّ عليه يديك ،
وفائدة تعودُ بمسرةٍ عليك ، ولكنَّ الأحوالَ لا تغربُ ولا تغيب ، وليس
على الأيَّامِ عَتَبٌ ولا تأنيب .
وفي فصل منها : وردني كتابك مشاركاً لي بفضلك ، في ما أظلم من

١ البيت لابراهيم الصولي ، ديوانه : ١٦٣ (القطعة رقم : ١٢٩) وانظر الحماسة البصرية

٢ : ٢٨١ وأما لي المرتضى ١ : ٤٨٨ وديوان المعاني ١ : ١٧٩ .

٣ في التمثيل والمحاضرة : ٣٥٥ : وهل يعض الكلب ان عضا .

٤ البيت للراعي النميري ، ديوانه : ٦٤ ، وانظر طبقات ابن سلام : ٤٣٥ والتمثيل والمحاضرة :

٦٨ .

٥ ط د س : واقتضاء .

٥ د ط س : عند .

بالك ، واغتمّ من حالك ، وتعدّر من أمرك ، وتأخّر من إسعادِ دهرك ،
 كأنه نفثةُ المصدور ، وسلوةُ الموتور ، وتعلّةُ الشاكي إلى أخيه ، وراحةُ
 الباكي مع مَنْ يباكيه ، وقد علم تعالى أنّ مساهمتي لك في ذلك مساهمةُ
 مَنْ يَخْصُهُ ما يَخْصُكَ ، ويمسّه ما يمسُّك ، ولكنّ ما يُصْنَعُ مع الأيام
 إذا صمّت عن الشكوى ، وأبت من العُتْبَى ، والأقدارِ إذا لم ينته لها أمد ولا
 مدى ؟! وإن عذرك لواضحٌ أن يضيقَ صدرك ، ويعاصيك [في] بعض الأحيانِ
 صبرك ، فقد ترى حظوظاً أنت بها أحقّ ، وغيرك إليها أسبق ، وأحوالاً
 أنت الجاري إلى غاياتها ، وغيرك الجاني لثمراتها ^١ ، إلّا أنها الجلودُ لا تُعْجَلُ
 عن آناها ^٢ ، ولا تُحْفَزُ في أناتها ، وعندك من معرفة الأيام ما يُسْلِكُ
 وينفعك ، ومن الأدواتِ ما لا يهلك ولا يضيّعك ، وأنت في اقتبالِ
 سنك ، وعنفوانِ أمرك ، وحالك واعدةٌ لك بأكثر مما في نفسك ،
 فلا تَضْجِرَ [بفضلك] فالزمنُ بين يديك ، وعَدَمُ الأماثلِ مُحَوِّجٌ إليك .

ومن أخرى إليه ^٣ : إذا اتفق للمرءِ وفيّ يصادقهُ ، وسريّ يوافقهُ ،
 وأديبٌ يجاذبه أهدابَ الآداب ، وأريبٌ يناهيه لبابُ الألباب ، فقد ظفر
 بالأخِ الأسنى ، وأفاضَ بالقِدْحِ المعلنى ، وراد من الأُنسِ مراداً خصيباً ،
 وفوقَ في أهدافِ المنى سهماً مصيباً ، فهي الضالة التي تُنْشَدُ ولا توجد ،
 والغريبةُ التي توصفُ ولا تعرف ، وهو الاسمُ الواقع على غير مسمّى ،
 كعتقاءٍ مغرب ، وأرى أن قد ظفرتُ منك بذلك المطلوب الذي هو في

١ ط د س : الجاري الى غمراتها .

٢ ب ط س : إناها .

٣ د ط س : وله من أخرى .

٤ ب م ط د س : وأرى وقد .

حيّرَ العدم ، وتنسبت^١ منك طيبَ السجايا والشييم ، واعتقدتُك من الذخائر
والعدّد ، واعتددتُك لليوم والغد ؛ وَوَصَلَ كتابُكَ الكريمُ وبحرُ القول
فيه يُزِيد ، وإنسانُ البيانِ منه يسجد^٢ ، وَطَرَفُ الاهتبالِ به يسهر ، وطويلُ
باعِ الشكر عنه يَقْصُر .

وفي فصل من أخرى : قد يجزىء التيممُ عندَ عَدَمِ الماءِ ، ويكفي
التعلُّلُ من كمالِ الشفاء ، وتلك حالُ كتابِكَ الكريمِ الوارد ، وجوابُكَ
الأثير الوافد ، فإنه سدّ من الأُنس مسدّاً وإن لم يكفِ ، ونال من جلد^٣
الوجد منالاً وإن لم يَشْفِ ، أما^٤ إنه كان ماءً وإن لم يبلغ أن يكون صداء ،
ومرعى وإن لم ينته أن يكون سعداناً^٥ ، ورأيتُك رحلت على أن المقام^٦
ثلاثاً فطابت لك حتى [٥٥ ب] أتممتَ عشراً^٧ ، بل ما أقمّتَ إلّا دهرأ ،
فقد زدتَ على المثل ، وتَمَلَّيْتَ مسافةَ الجذل ، فهنيئاً لك غيرَ منغص ،
ومزيداً غيرَ متقص .

ومن أخرى^٩ : ورد كتابك فلحظتُ منه فجرَ البيان ، وشجر الإحسان ،

١ ط د س : وشممت .

٢ ط د س : يزخر . . . يسحر .

٣ ب م : فقد . ٤ د ط س : جلي .

٥ ط د س : إلّا .

٦ إشارة الى المثل : « ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان » ؛ انظر فصل المقال : ١٩٩

والميداني ٢ : ١٥٣ والعسكري ٢ : ٢٠٦ .

٧ ط س : دخلت على المقام .

٨ إشارة الى قول أبي نواس :

خرجنا على أن المقام ثلاثة فطابت لنا حتى أقمنا بها شهرا

٩ سقطت هذه الرسالة والتي بعدها من د ط س .

وثمارَ البديعِ المزرية ، واستخفّتي باعجابه^١ ، واستفّزني بإطرابه^٢ ، فأشهد
لو كان خلقاً لكان إنسا ، أو نوراً لكان شمساً ، أو روضاً لكان حزنًا^٣ ،
أو ماءً لكان مُزناً ، وكلّما سرّحت فيه ناظري ، وأجلّلت في أرجائه
خاطري ، رأيتُ الطبعَ البعيدَ كيفَ مواقعُ إبداعه ، ومنتهى اختراعِهِ .

ومن أخرى : قد سقط القولُ بيننا في الاعتقاد ، وتعرّينا من سنن^٤
التزيين فيه والاحتشاد ، فلا يُحطُّ من روائه ، ولا يريقُ بالإعادة من
مائه ، وجعلنا الضمائرَ - وكفى بها بياناً وتبييناً - لا تنفك محوطة ، وبالكفاية
منوطة ، فلو استطعتُ لوضعتُ الذنب والجناح^٥ ، وسقطتُ سقوطَ الندى
قبيلَ الصباح ، لاسيما وقد اتصل بي اعتلالٌ طاف بك ، أرقّ عيني ،
وقربَ حَيثي ، فما عرفته إلا بطاريءٍ من أفقك ، استوضحته عن خبرك ،
إلا أنه أنسَ بتصرفك واستقلالك ، ثم تابعتَ البشرى بطلوع الكرم
خطابك ، معلماً بابلالك ، فمضى الغمة ، وقوى الهمة ، وسكنَ القلبَ ،
وأزاح الكرب^٦ ، وأشفقتُ أن لم تشاركني لوقتِ العارض ، حتى من
الله بالشفاءِ الفاض .

١ م : باحسانه .

٢ ب : باطرابه .

٣ روضة الحزن اطيب شذا من سواها ؛ ب م : حرثا .

٤ ب : شنن .

٥ ب و خ بهامش م : لطرت بجناح .

٦ وسكن القلب : وقعت هنا مكررة في ب .

فصول من كلامه في رسائل الشفاعات والوسائل

فصل من رقعة كتبها شافعاً بابن حماد ، أحد أفراد القواد : وقله
 سَمَتُ بِي هِمَّتِي الَّتِي هُوَ بِفَضْلِهِ أَسْمَاهَا ، وَأَطَالَ مَدَاهَا ، أَنْ أَقْرَعَ
 بَابَ كَرَمِهِ شافعاً ، وَأَسْتَمَطَرَ سَحَابَ نِعْمِهِ رَاغِباً ، فِي إِقَالَةِ عَثْرَةِ عَبْدٍ
 مِنْ عبيد الدولة ^١ ، باخِيعٍ بِحَقِّ ^٢ الطاعة ، خاضِعٍ لِعِزِّ القُدرة ، مَاتَ بِسَبَبِ
 القَرابة واللَّحمة ، قَدْ اتَّخَذَنِي سَبِيّاً إِلَى عِلَّاتِهِ ، وَسَلَّمَ إِلَى سَمَائِهِ ، إِذْ عَلِمَ
 أَنِّي لِدَوْلَتِهِ - خَلَّدَهَا اللَّهُ ^٣ - وَلِيٌّ ، وَبَيَدَرٌ نِعْمَتَهُ غَدِيٌّ ، وَفِي كَنْفِهَا
 رَبِّي ، وَوُثِقَ أَنْ مِثْلِي مِنْ دُعَاتِهِ فِي الْقَطْرِ الشَّاسِعِ ، وَأَشْيَاعِهِ فِي الْبَلَدِ
 النَّازِحِ ، لَا يَرُدُّ إِذَا رَغِبَ ، وَلَا يُصَدِّ إِذَا طَلَبَ ، وَلَا يُحْرَمُ إِذَا شَفَعَ ،
 وَلَا يُخْجَبُ إِذَا قَرَعَ ، لَا سِيَّما وَهُوَ طَالِبٌ عَفْوٍ مَذْنُبٍ ، وَرَضِيَ عَنْ
 مُعْتِيبٍ ، وَالْعَفْوُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ^٤ ، وَالصَّفْحُ أَدْنَى إِلَى الزُّلْفَى ، وَلِمَقِيلِ
 الْعَثَرَاتِ عِنْدَ اللَّهِ جَزَاءً ^٥ الْحَسَنَى .

وفي فصل منها ^٦ : وَقَدْ كُنْتُ قَدَّمْتُ فِي شَأْنِهِ مِنَ الرِّغْبَةِ مَا يَقْتَضِيهِ ^٧ ،
 [٥٦ أ] فَأَعْلِمْتُ أَنَّ شِدَّةَ الْمَوْجِدَةِ عَلَيْهِ سَدَّتْ عَنْهُ بَابَ رَغْبَتِي فِيهِ ^٨ ،

١ ب م : عند ابن عبيد الدولة .

٢ د ط س : ناخِيعَ نَحْوِ ؟ وَنَخِيعَ وَنَخِيعَ بِمَعْنَى أَذِنَ .

٣ ط د س : اِدَامَهَا اللَّهُ بِدَوَامِ الْإِيَّامِ .

٤ في التَّنْزِيلِ : وَإِنْ تَعَفَّوْا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى (البقرة : ٢٣٧) .

٥ ط د س : جَزَاؤُهُ عِنْدَ اللَّهِ .

٦ وفي فصل منها : سَقَطَتْ مِنْ ط د س .

٧ د ط س : مِنْ الرِّغْبَةِ فِي شَأْنِهِ مَا يَقْتَضِيهِ ؛ ب م : فِي شَأْنِهِ قَبْلَ الرِّغْبَةِ .

٨ ط د س : شَدَّتْ عَنْهُ وَعَنِي فِيهِ .

فَسَلِمَتْ بِسِيَاسَةِ الدَّوْلَةِ الَّتِي مِنْهَا يَسْتَمْلِي^١ الدَّهْرُ إِذَا أُمِلَى حُكْمًا ، وَعَنْهَا يِقْتَبَسُ الزَّمَانُ إِذَا ارْتَأَى عِزْمًا ، وَعَلِمْتُ أَنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا ، وَلِكُلِّ أَمَدٍ^٢ حِسَابًا ، ثُمَّ لَمْ أَبَاسَ مِنْ عَطَفَاتِ الْمَلِكِ الْأَجَلُ إِذْ كَانَ كَرَمُهُ أَكْرَمَ شَافِعٍ إِلَيْهِ ، وَأَنْجَحَ وَسِيلَةَ لَدَيْهِ ، يَنَاجِيهِ بِلِسَانِ الشَّفَاعَةِ ، وَيَلْتَمِسُ بَيْنَ يَدَيْهِ بَسَاطَةَ الضَّرَاعَةِ .

وَقَدْ^٣ عَلِمَ أَنَّ فَلَانًا الْمَذْكُورَ سَهْمًا^٤ مِنْ سَهَامِ تِلْكَ الدَّوْلَةِ عَلَى أَعْدَائِهَا ، وَسَيْفُ مَسْلُوقٍ دُونَ مَنْ يَلِيهَا^٥ مِنْ نَوَاحِيهَا وَأَرْجَائِهَا ، وَيَقَارِعُ مِنْ ضَادِّهَا ، وَيَعَانِدُ مِنْ حَادِّهَا ، وَفِي الْإِبْقَاءِ عَلَيْهِ لِبَقَاءٍ عَلَى جُمْهُورٍ^٦ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَثِيرٍ ، وَإِحْيَاءٍ^٧ مِنَ الْأَرْضِينَ كَثِيرٍ ، وَتَأْمَنُ سُبُلُ مَخَوفَةٍ مَقْطُوعَةٍ ، وَرِعِيَّةٌ ضَعِيفَةٌ مَرَّوْعَةٌ ، وَتُحَقَّنُ الدِّمَاءُ فِي أَهْبِيهَا ، وَتُثْمَنُ الدِّهْمَاءُ مِنْ كَلْبِهَا ، وَيَرْدُّ عَلَى الْعِيُونِ كِرَاهَا ، وَيَزُجِّي إِلَى النُّفُوسِ مَنَاهَا ، [وَفَلَانُ الْمَذْكُورُ عِنْدَ سَيِّدِنَا يَدٌ قَدْ دَمَيْتَ بِسَوَارِهَا ، وَصَلَيْتَ مِنْ شَمْسِ عِلَائِهَا بِأَوَارِهَا ، فَهُوَ فَرْعٌ مِنْ دَوْلَتِهِ الْمُنِيفَةِ ، وَوَاحِدٌ مِنْ جَمَلَتِهِ الشَّرِيفَةِ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ الْعَذَابُ قَدْ انْتَهَى ، وَالْمَلِكُ الْأَجَلُ قَدْ اسْتَبَقَى] ؛ وَلَوْ أَمَكْنِي أَنْ أَخْوِضَ الْبَحْرَ إِلَيْهِ ، وَأَمْثُلَ رَاغِبًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، لَفَعَلْتُ ، وَكَانَ ضِمَانًا عَلَى كَرَمِهِ أَلَّا أَرْجِعَ [عَنْهُ] صِفْرَ الْيَدَيْنِ ، وَلَا أَنْقَلِبَ بَخْفِي حَنِينٌ ، فَلِيْمَثْلَنِي — خَلَّدَ اللَّهُ مَلِكَهُ — وَاطْنًا لِلْبَسَاطَةِ ، سَائِلًا فِي السَّمَاطِ ، قَدْ أَطْلَقْتُ

١ ط د س : يشتمل ؛ والصواب « يستمل » .

٢ ط د س : امر .

٣ قبلها في ط د س : وفي فصل منها .

٤ ب م : وقد علم أنه سهم .

٥ ط د س : يليه .

٦ ط د س : جماعة .

٧ ب م : واحماء .

لسانَ الرغبة ، وأدلتُ بذهامِ الولاية والمحبة ، وإن كنتُ لم أَسعَ في ذلك ،
إلى هنالك ، بقدمي ، فقد سعتُ آمالي^١ وهممي ، وعَرَفَ^٢ الجميعُ ، أنني
الراغبُ الشفيعُ ، فالعيونُ ناظرةٌ ، والآذانُ مصيخةٌ ، والأعناقُ متطلعةٌ ،
والنفوسُ متشوفةٌ ، إلى ما يكونُ من الملكِ الجليل ، من الفعلِ الجميل ،
من مقابلةِ^٣ شفاعتي — إن شاء الله — بالقبول .

وفي فصل من أخرى : من حُكْمِ شيمك — أيديك الله — الحالية ،
وَدَيْدَنِ هممك العالية ، أن توجبَ للراغب ، وتُنْعِمَ قبلَ عزيمة الطالب ،
وتُسَعِفَ مِنْ غيرِ شفاعَةٍ ولا مسألة ، وتلتزمَ^٤ الحقَّ من غيرِ ذمامٍ
ولا صلة ، فكيف بك إذا تَوَسَّلَ بدمعةٍ محبةٍ متوسل ، وتوصلَ بحرمةٍ
قربةٍ متوصل ، وضرع^٥ من عبيدِ اصطناعك ضارع ، وشفعَ من صدورِ
أودِائك شافع ، هنالك لا محالة يوري زندهُ من غيرِ قدح ، وَيُنْضِي
جدهُ إلى نُجْح ، وينتهي سُرَاه المحمودُ إلى آيِنِ^٦ صبح ، ويحوزُ الشافعُ
جمالَ القبول ، ويفوزُ المستشفعُ بثمرةِ المأمول ، وفلان^٧ من أصحابي [الأخصيين]
الأخلصين ، ومن أشياعك الأوديين الأجدين ، وكما نحن في أحوالنا كلها
مشاركين ، كذلك نشتركُ فيه شركَ عنان^٨ ، فلي شخصه وقربه ، يلك

١ ط د س : سعيته بآمالي .

٢ د ط س : وعلم .

٣ د ط س : ومقابلة .

٤ ب : ويلزم ؛ م : ويلزمني .

٥ ب م : وتضرع .

٦ د ط س : سراه . . . آين .

٧ د ط س : وان ابا فلان .

٨ شرك عنان وشركة عنان : ان يشترك اثنين في شيء خاص دون سائر اموالهما : ان يخرج كل شريك مبلغاً من المال ويخلطوا المبلغين ويأذن كل واحد لاصاحه بان يتجر بهما .

ضميره^١ وقلبه ، وإن لَزِمَتْنِي رعايته^٢ من وجه^٣ [٥٦ ب] فهي لك من وجوه^٤ ألزم ، إذ حالك معه أقدم ، وأنت أرعى وأكرم^٥ .
 وذكر أنه يخاصم^٦ بعض بني عمه - [كثره الله] - وكان الضَّلَعُ^٧ في خُصُومته^٨ عليه . وإن كان الحق^٩ في يديه ، لأسباب^{١٠} دنيوية^{١١} ، لا لتوجه^{١٢} حُكْمٍ [ولا] قضية^{١٣} ، ورغبته^{١٤} الموصولة^{١٥} برغبتي^{١٦} ، المؤيدة^{١٧} بشفاعتي^{١٨} ، أن يكون^{١٩} له منك جانب^{٢٠} يرقى^{٢١} منه إلى مُستَصْعَب^{٢٢} مطالبه^{٢٣} ، ويدراً^{٢٤} منه^{٢٥} في نَجَرِ^{٢٦} مطالبه^{٢٧} ، ويعيدُ^{٢٨} الشهود^{٢٩} عليه^{٣٠} شهوداً^{٣١} له ، والمتألين^{٣٢} عليه^{٣٣} إلماً^{٣٤} معه^{٣٥} ، وإذا شدَّ^{٣٦} زنده^{٣٧} حُسْنُ^{٣٨} رأيك^{٣٩} في يده^{٤٠} ، ضرب^{٤١} بنصل^{٤٢} يقطع^{٤٣} الهام^{٤٤} في غمده^{٤٥} ، وسرى^{٤٦} بسراج^{٤٧} يضيء^{٤٨} له^{٤٩} مبهم^{٥٠} قصده^{٥١} ، فإن الله^{٥٢} يزَعُ^{٥٣} بالسلطان^{٥٤} ، ما لا يزَعُ^{٥٥} بالقرآن^{٥٦} .

وفي فصل من أخرى^١ : عبدُ سيِّدنا - أدام الله عزَّه - قد تحيَّفتِ^٢ الأيامُ قواه^٣ ، ونحوَّنتِ^٤ الحادثاتُ عُراه^٥ ، وقربَّتِ^٦ الثمانون^٧ خطاه^٨ ، فاختلفَ^٩ بنائه^{١٠} حتى كأنَّه^{١١} لم يتعلَّقْ^{١٢} من الكتابة^{١٣} بأطناب^{١٤} الإطناب^{١٥} ، ولا تصرَّفَ^{١٦} من البلاغة^{١٧} في سهوِّبِ^{١٨} الإسهاب^{١٩} ، ولا عدَّ^{٢٠} في الدواوين^{٢١} من صدورِ^{٢٢} الكتاب^{٢٣} ؛ والحضرةُ^{٢٤} الجليلةُ^{٢٥} تنعيمُ^{٢٦} باستماعِ^{٢٧} بَثِّه^{٢٨} ، واغتفارِ^{٢٩} رَثِّه^{٣٠} ، جرياً^{٣١} على الكرمِ^{٣٢} .

١ - أراد في هذا البيت : واحضنى بالضم والكرم .

٢ - تضاعف : الضمين هو .

٣ - صدور من : يصدرون .

٤ - ب : ب : له .

٥ - ن : من : سويل .

٦ - تضاعف : الضمين هو .

٧ - ب : ب : له .

المعروف ، وسعيًا إلى الفضل المألوف ؛ وعبدُهُ يخدمُ البساطَ بالتقبيل ،
ويسألُ أن يُنزِلَهُ منزلةَ القبولِ ، مُهْتَبِلًا ، مجملًا ، إن شاء الله .

[وله من أخرى : كيف لا أتُحَكِّمَ - أيدك الله ، وأوصلَكَ إلى ما
ترضاه - على سيادتكَ تحكِّمَ المدلِّ ، وأتقدِّمُ في ذلك تقدُّمَ المنبسطِ
المسترسل ، وقد مهدتَ لي جانبَ الإفضال ، وأمنتَ سربي قديمًا وحديثًا
من الإملال والاختجال ، فإن انبسطتُ فبحقِّ ، وإن شَقَعْتُ فبضمانِ
صدق] .

[ومن أخرى : إذا استحكمتِ المقة ، وتمكَّنتِ الثقة ، وخلص
الصفاءُ من كلِّ شَوْبٍ ، وسلمَ الإخاءُ من كلِّ عيبٍ ، ارتفعتْ أسبابُ
التحفُّظِ والترقبِ ، وعُصِيَّتْ دواعي الانقباضِ والتهيبِ ، واسترسل
المرءُ راغبًا في كلِّ ما عنَّ له ، وانبسط شافعًا لكلِّ من اتصل به ، وذلك
عندي - أبقاك الله - رسمي في تواترٍ من كتبي ، في من لي به لديك عنايةٌ
وإكرام ، وله إليَّ وُصْلَةٌ وذمام] .

[ومن أخرى : تلزمني - أيتد الله مولاي - علائقُ لو وقف منها على
السرِّ ، لتجلَى له وَجْهُ العذرِ ، مِنْ هَزِّ فَضْلِهِ في شأنِ فلان مملوكِهِ
وحبيسةِ برِّه ، ليعطفَ عليه عطفةُ الماجدِ ، ويحنو عليه حنوُ الوالدِ ، على
فراخٍ كزغبِ الفطا ، وعيالٍ ليسَ منهمْ إلاَّ المفجَّعةُ الحرَّى ، دموعُها
تنهلُ كالسحابِ ، وضلوعُها تلتهبُ بنارِ الاكتئابِ . قد شملهم الفِرارُ ،
ونبا بهم القرارُ ، وعُدَّضوا بالبؤسِ من النعيمِ ، وأدِيلوا بالحزنِ من
السرورِ المقيمِ ، كأنما يتكحلون^١ بالسهادِ ، وينامون على شوكِ القتادِ] .

١ د : يكحلون .

[وأنا أمدُّ إلى مولاي يدَ الضراعة ، وأسأله إن لم يستوجب المذكورُ الرعايةَ لنفسه ، فليسرَّعه لأصله ومغرسه ، وإن لم يرقَّ لذاته ، فليرقَّ لبنيه وبناته ، وأهله وعوراته ، وأذكرُهُ كلمةَ المأمون^١ : لو علمَ الناسُ حرصنا على العفو لتوصلوا إلينا بالذنوب ؛ وقوله : إني لألتدُّ بالعفو حتى أخشى أن لا أُوجَرَ عليه . وكان الحجاجُ^٢ قد استأصلَ بالقتل أسرى ابن الأشعث حتى انتهى إلى فتىٍّ منهم فقال : أيها الأمير : لئن أسأنا في الذنوبِ ما أحسنتَ في العفو ، فقال الحجاج : أفَ لهذه الجيف ، أما كان فيهم أحدٌ يُحسِّنُ مثلَ هذا ؟ ! وأمسكَ عن القتلِ مع قساوته ، وَحَقَّقَتْ عنده هذه الكلمةُ الدمَ ، وتغمدتِ الإساءةُ والجُرم . ومولاي بصحةِ فطرته ، وتوقدَ فكرته ، وذكاءِ فهمه ، واتساعِ حلمه ، أحدٌ من اتبع كريم الآثار ، وشيّدَ مباني الفخار ، ولم أذكره على طريقِ الحجة ، لكن على وجهِ الذكرى التي هي في الأكرمين ناجعة ، وفي المؤمنين نافعة ، كما قال الجليل ، في التزليل ، ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الدَّكَرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات ٥٥)] .

ومن كلامه في ذكر التهنئة وإقامة^٣ رسم الهدية

فصل له من جواب^٤ : ورد كتابُكَ ففضضْتُ خَتَمَهُ عن رياضٍ تفتحتُ عن أزاهيرِ كلمك ، ونَشَرْتُ طِيهَ عن جواهرِ حكمك ، ولحظتُهُ

١ قارن بتاريخ الخلفاء للسيوطي : ٣٤٨ .

٢ انظر ابن خلكان ٢ : ٣٩ .

٣ ط س : وإقام .

٤ ط د س : فصل من رقعة له .

بعين التدبُّر المعانيه ، وجميع ما ضَمَّنْتَهُ^٢ فيه ، فوجدتُهُ قد أخذ بطرفي
الآداب . واكتست عليه حلة الإيجاز والاسهاب ، فاطردت مياهُ البراعة
من فروع منشوره ، وعبق نسيمُ البلاغة من مسكه وكافوره ، وقابلتني
منهُ أوجه من البرّ جميلة ، فأردتُ تركَ معارضتك ، نكولاً عن مبارزتك ،
وذهبتُ إلى العدول عنها كلالاً عن مناجزتك ، وأنتى بمناضلتك وقيدُحك
الفائز ، وكيف بمجاراتك وشأوي العاجز ، تالله لولا مخافةُ العقوق ، وتركُ
واجباتِ الحقوق ، لأضربتُ عن مجاوبتك تقصيراً ، ولو شمّرتُ عن ساعدُ
ذهني تشميراً .

ووصل معه الغزالُ الأهيف ، وكأنَّ عينيه عينا وسانٍ مالت به نشوةُ
الراح ، وثني عطفه هزةُ الارتياح ، كأنما كحلاً سحراً ، وأشرباً
خمرأً ، ينظرُ بهما نظرَ المريب ، ويُعرضُ إعراضَ الحبيب ، بجيدٍ أتلع ،
[٥٧ أ] ومنظرٍ أروع ، وكأنَّ قرنيه قلمان ، وكأنَّ أذنيه جلمان ،
ينصبُّهما إذا أوجس^٣ . ويشيهما إذا أنيس^٤ ، وكأنما كُسيَ أبطلاهُ حلةَ
الشقق ، وطُرزتْ بسواد الغسق ، يتوحش^٥ في الإنس ، ويأنس^٦ في
الكنس ، عدّ وانهُ رياحٌ ، ومثواه قراحٌ ، تخالهُ سهماً إذا انصاع ، ومعشوقاً
أشعرَ برقيبٍ فارتاع ، يزداد جماله إذا نفر ، وتروق^٦ محاسنه إذا دُعِرَ :
كاد يحكي غزالةَ الإنسِ لولا رقةً في الشوى وقَرَنُ علاهُ

١ ب م : ولحظت . . . التدبير .

٢ ب م : ضمنت .

٣ ط د س : أوحش .

٤ ب م : رماح .

٥ ب م : ومثواه فداح ؛ ط د س : وسواه فداح .

٦ ب م : وترق .

أنا أهواه لا لشيءٍ ولكن كلفاً بالفقئ الذي أهواه

وقرنت إلى هذه الهدية الرائقة^١، والمنحة الفائقة، شطرنجاً صغيراً
كان أقليدس قسم أجزاءه^٢، ورقق أشكاله وأنحاءَه^٣، يحار في لطيف^٤
صنعه الوهم، ويضل في كلفيته الفهم^٥، قد قسم قسمين : قسم أحمر،
وقسم^٦ كأنه من ناصع الجوهر، تتقابل^٧ خيلُه بلا فرسان، وتنقاد
بلا عنان، في أرض مربعة الأقطار، تثير سناكبها العثار^٨، وكأن الرخ
إذا برز^٩ للمصاع، وأشهر العرصة^{١٠} للقراع، بطل^{١١} تتقى حملته^{١٢}،
ولا تؤمن جولته^{١٣}، يهوي هوي الصقر في الجو^{١٤}، ويصول صولة
الأسد في الدو^{١٥}، إذا حمل على صف قسمه، وإذا ضرب قيرناً قصمه،
يكن فيله^{١٦} كون الكمي، ويبرز بروز القصور الجري، يرتصد الفرصة^{١٧}،
وينتهز الغيرة^{١٨}، وكأنما الفيرز^{١٩} إذا جال متبخراً، أو مشى متكبراً^{٢٠}،
ثمل^{٢١} يترنج، أو سكران يتزحزح^{٢٢}، فإذا شد عقده بالبيدق^{٢٣}، فإنه^{٢٤} مركز
دائرة^{٢٥} الفيلق، وكأنما الشاه كسرى حفت به مرازبه^{٢٦}، أو بدر أحاطت
بفلكه كواكبه، هي به قطب كواكب الجوزاء وعليها تدور الدوائر،
وقلب الكتيبة وعليها تقتل^{٢٧} العساكر، وكأن الرجل^{٢٨} رجل جراد^{٢٩} تريش^{٣٠}

١ ب م : الرائعة .

٢ ط د س : لطف .

٣ ب م : تتقاتل .

٤ ب م : عثار، وسقطت العبارة من ط د س .

٥ ب م : الزناد ابرز .

٦ كذا بالصاد المهملة، وربما قرئت في م ب : الفرسة .

٧ ب م : متكسرا .

٨ د ط س : يتدحرج .

٩ ب م : كأنه .

١٠ ط د س : دائرة .

١١ ب م : تقتل .

سهام الحرب ، وتقدح نار الطعن والضرب ، تبرز إلى المقاتلة بلا سلاح ،
ويصرع^١ بعضها بعضاً بلا^٢ جراح ، قد اكتفت عن الصوارم بصرامتها ،
وعن السابغات بصلابتها :

جيشان يقتتلان لا لعداوة أبداً ويصطلحان لا لسوداد
أهداه سعاد الدولة الندب الذي جمعت محبته عزى الأكباد

وله من أخرى جمع فيها بين التهنية والتعزية : أحوال الدنيا — أعزك
الله — مبنية على التداول والتعاقب ، ومساءتها ومسراتها جارية مجرى
التبادل والتقارب ، فمن عبرة تفضي إلى عبرة ، ومن مساءة تعقب
بمسرة ، ومن محنة تفر عن منحة ، ومن ترحة تقلع عن فرحة ،
ولله تعالى في جميع الأحوال المختلفة ، والأقدار المتصرفة ، حقوق من
الصبر على السراء [٥٧ ب] والضراء ، وعلى الأولياء المختصين فروض
من المشاركة والمظاهرة في كل ما ناب من حزن ، وثاب من حسن ،
قد جرت بها العوائد ، واستوى فيها الغائب والشاهد ، فتلك ترعى بالدعاء
والتهنية ، وهذه تتلقت بالاطراء والتعزية . والله يجعل أيام مسراتك
الأكثر إسعاداً ، وأوقات تهناتك الأوفر أعداداً .

وأني إلي من تقليدك العهد ، وامضائك العقد ، للناصر [سيدي
وأسي عددي أبقاه الله] — على بلنسية — عمرها الله بدوام عزك ، وحماها
باتصال نصرك — مكان المعتم — رحمه الله — فقلت : ملوك تردد
في عنصر ، وخاتم تنقل من خنصر^٣ إلى خنصر ، وقد سددت — أيديك

١ ب م : يرش ... ويقلح ... يبرز ... ؛ س ط د : وتسرع .

٢ د ط س : بغير .

٣ د ط س : بنصر .

الله - ثلماً ، وشفيت^١ كلاً ، وسُمت الخطوبَ رغماً ، وأوسعتها همّاً .

ومن أخرى^٢ : أطالَ الله بقاءَ الوزير الأوحَد ، الخطير الأَمجد ،
مسروراً بِسموِّ الأحوالِ والرُتبِ ، معصوماً من طوارقِ الأحداثِ والنُوبِ .
إذا تقادَمتِ الذَّرَائِعُ والوسائلُ ، وتناصرتِ الطبائعُ والشُمائلُ ، كان للودِّ
مع ذلك وفورٌ ونماءٌ ، ولكرمِ العهدِ ظهورٌ وبهاءٌ .

وفي فصل منها : وكيف لا أدخلُ إلى رضاه من كلِّ باب ، ولا أفتَرِسُ
من عداهُ بكلِّ ظفرٍ وناب ، وأطيرُ من السرور ، لما تهيأَ له من الظهور ،
بكلِّ جناح ، وأتقدِّمُ إلى الفخار ، بما يبلغُهُ من^٣ الأوطار ، بغيرِ جناح ،
وهو ركني الذي يقيمُ ظهري ، ويردُّ عني صَرفَ دهرِي ، ومعه هواي ،
الذي يعضدُ ديني ودنياي ، ويُدني إليَّ أُملي ومناي ؛ أسأَلُ الله تعالى أن
يُبقِيَهُ للوزارةِ زِيناً وفخراً ، وللرياسةِ ركناً وذُخراً ، وللدينِ عزّاً وجلالاً ،
وللملِكِ زِيناً وجمالاً .

ولما طلع البشيرُ عليَّ بتصويرِ الوزارةِ اليه ، ودَوَّرِ رحي الخلافةِ عليه .
جددتُ لله تعالى حمداً وشكراً ، ولنعمه الجزيلةَ ذكراً ونشراً ، وأخذتُني
هزة الجذلِ والارتياح ، وأسفرَ لي وَجْههُ الأملِ والاقتراح ، فانتشيتُ
من فَرَحٍ وطرب ، ونيلِ مُرادٍ وأرب ، ودعوتُ الله أن يجعلها ولايةً ،
تبلغُ من السَّعدِ نهايةً ، وتضاعفُ للدينِ حمايةً ؛ وقد تَعَيَّنَ عليَّ أن أهنيءَ
بالوزارةِ بل هي المهنةُ بمصيرها اليه ، وظهورِ رسمها عليه ، فهو المعدلُ
لحدودها وسيرها ، المحسنُ لوجوهها وصورها ، المبيِّنُ لحُجُوجها وغُررِها ،

١ ب م : وشعبت .

٢ لم ترد هذه الرسالة في د ط س .

٣ م : إلى . ٤ ب م : فاشبت .

لا زال سيّدنا زيناً للدول والممالك ، ونوراً في المواطنِ والمسالك ، وفخراً
لأهل المشارقِ والمغرب ، وقَبْلَةً لذوي الحاجاتِ [٥٨ أ] والمآرب .

ومن رسائله في التعازي

فصلٌ له من رقعة : يا سيدي ، ومن لا زال جأشُهُ ساكناً ، وحرْمُهُ
أمنًا ، وبالْهُ ناعماً ، وأنْفُ مَنْ عاداهُ^١ راغماً ، بِوُدِّي [أعزك الله]
لو خاطبتُكَ بالتهنيةِ لا بالتعزية ، وشاركْتُكَ بالعطيةِ لا بالرزية ، ولكنها
الأيامُ تُحلي وتُمِرّ ، والأقْدَارُ تسوءُ وتسرّ ، والرزايا تتَطَرَّفُ وتُحْيِفُ ،
والمنايا تستدرجُ وتتخطَّفُ ؛ واتَّصَلَ بي وفاةُ الوالدةِ [المرجوُّ لك دعوتها ،
المبلوَّةُ بركتها] فساءَ لي يعلمَ الله أن يطرقَ خطبُ حماك ، ويطأَ رزءُ
ذراك ، مشاركةً^٢ لك في المهم ، ووقوعاً معك تحتَ الحادثِ الملمّ ، إلّا أني
أرجو أن تشدَّ له عزائمَ عزائك^٣ ، وتحملهُ على كبدٍ احتمالك ، وتقلبَ إليه
مجنّ^٤ اصطبارك ، وتُدْهِكي عليه قَبَسَ اعتبارك ، فتعلمَ كَثْرَتَهُ وِجْمومَهُ ،
وتذكرَ شمولَهُ وعمومَهُ ، وتستشعرَ أنه عُرِفَ لا نُكِرَ ، وعَوَّانٌ لا بَكُرَ ،
فتتأمّنَ بكثرةَ الباكين ، على الهالكين ، وتتعزّى^٥ بسرعةَ اللاحقين ، على
السابقين . والنساءُ كيف كانت مراتبهنّ ، والحرْمُ وإن جَلَّتْ منزلتهن ،

١ د ط س : وانفِ عدوه .

٢ ب م : مشاركا .

٣ ط د س : عزيم عزائمك .

٤ د ط س : وتحمّله على كد .

٥ د ط س : ظهر .

٦ ط س : وتعدى .

لم يُغلقْ عليهنَّ كأبوابِ الترابِ ، ولم يُسدَلْ دونهنَّ كستورِ القبورِ ، وربُّ أمٍ مبرورة ، وأختٌ كبيرة ، قد نزعَتْ منزعاً من الصيانة ، وذهبت مذهباً من مُباحٍ^١ الديانة ، ودَّ ابنها^٢ وأخوها قبلَ ذلك لو طواها كَفَنٌ ، وواراها جَنَنٌ ، فتقدُّمُهُنَّ أصونُ لهنَّ ، وأولى بهن .

وفي فصل من أخرى : كتبتُ عن قلبٍ يتَشَعَّرُ ، ونفسٍ بين ضلوعها لا تستقرُّ ، لخبرِ الرُّزءِ الهاجم ، والنبأِ الشنيعِ الكالم ، بوفاةٍ [الحاجب عزَّ الدولة سيدي] ^٣ ، كان ، لقاءه الله الرضوان ، وأخفه العفو والغفران ، محتضراً في أوَّل الكمال ، مختلطاً عند الاقبال ، مبادراً قبل الإبدار ، معاجلاً بالسرار ، في عنفوانِ الإقمار ، فيا لها حسرةً ما أنكاها للنفوس ، وجمرةً ما أذكاها في القلوب ، وروعةً ما أفتَّها في الأعضاء ، ولوعةً ما أحرَّها على الأكباد ، لكنه أمرٌ يعمُّ ولا يخصُّ ، كلُّ نفسٍ لها جارِعٌ ، وفيها كارع ، فمن مُبتدِرٍ يعاجلُ ، ومنتظرٍ يناول :

وما نحن إلاّ مثلهم غيرَ أنّنا أقمنا قليلاً بعدهم وتقدّموا

وأنت أعلمُ بالأيامِ وصروفها ، والأرزاءِ وصنوفها ، والأنفسِ ومآلها ، والأجسامِ واضمحلالها ، والعواري وارتجاعها ، والمناجحِ ومقاديرِ إمتاعها ، من أن يغلبَكَ الجزعُ والتهالكُ ، ويَتَزَعَّ بك الجَلَدُ والتماسكُ ، فأنت بالأزمانِ خيرٌ ، وبالأحوالِ بصيرٌ ، وباستعمالِ ما في ذكرك من أمثالِ النَّاسِي [٥٨ ب] ومواعظِ التعزّي جديرٌ ، ومثلِكَ أعداءُ للأمورِ أقرانها ،

١ مباح : سقطت من د ط س .

٢ د ط س : أبوها .

٣ ب م : بوفاة فلان .

٤ د ط س : محتضراً في اقباله .

وحملَ على النفوسِ أحرانها ، ولم يُغْرِبْ الدهرُ عليه ببدعٍ من نوائبه ،
 ولم يَقْجَعْهُ بما لم يحتسبه من مصائبه ، ولم يتجاوز دَمْعَ العين حُزْنَ
 القلب ، إلى إحباط الأجرِ وإسقاطِ الربِّ ؛ وإن كان الله قد سَلَبَ بعدله ،
 فقد وهب بفضله ، وإن كان أخذَ فقد أعطى ، وإن كان اخترَمَ فقد
 أبقي ، وبهذا صَدَعَ عروةُ بن الزبير^١ رضي الله عنه عندما مُنِيَ به في أحد
 أبنائه ، وبعض أعضائه ، والله يُمْتَعُكَ بالباقي الراهن ، وينفعُكَ بالثاوي
 الظاعن ، ويجعلُ هذه الرزيةَ مُنتَهَى بلواك ، وآخرَ رزاياك ، وَيُسِرُّكَ
 للتسليم والاحتساب ، ويحفظُ عليك ما عَرَضَكَ له وعَوَّضَكَ به من مذخورٍ
 الثواب ، وإن كان قد جرى هذا الأمر ، على خلاف حكم الدهر ،
 في تقدُّمِ الأسلاف على الأخلاف ، فَصُنْعُ الله لك أجمل ، وَصُنْعُهُ في
 بقائك أعدل ، لِغَنَائِكَ عن المسلمين ، ومكانِكَ للدنيا والدين ، فاللهم
 ببقائك مُغْتَفَرٌ ، والمهمُّ وإن جَلَّ مُحْتَقَرٌ .

وذكرت أنه خرج من بيته مجاهداً ، وعن حمى الدين ذائداً ، فقد
 وقع أجره على الله ، وفاز بكرامة الله ، وإذا فاز بالسعادة والشهادة وهو
 فَرَطَكَ وشافِعَكَ ، فهو لا محالة مغتبطك ونافعك ؛ وقد أخذتُ بحظي
 من هذه الحادثة الشنعاء ، والداهية الدهياء ، في من تُسْتَقْبَلُ له أحوال ،
 وتناطُ به آمال ، ويعدُّ في أكابر العدد ، وفي دخلة الصديق والولد ، والآخِرُ (؟)
 إشفافاً عليك من مضطرٍّ فقدته ، وتصوُّرٍ شديدٍ اكتئابك من بعده ، فمثل
 هذا في مثله لم يكد يتسع للمصاب به صَدْرٌ ، ولا يثبت للصدمة الاجاجية
 صَبْرٌ ، فإن جَزَعَ الجازعُ فالعذرُ واضح ، وإن صَبَرَ المصابُ فالأجرُ راجع^٢ ،

١ راجع ابن خلكان ٣ : ٢٥٥ - ٢٥٧ في صبر عروة عندما فقد ابنه وقطعت رجله .
 ٢ ورد بعدها في ب م : بين سعادة اليوم والغد ؛ وهو سهو فيما يبدو ، لأن العبارة سترد
 بعد قليل .

ومشاركتك لي فيما طرقتك به الأيام ، وفجعك فيه الحمام ،
مما أشكره من فعلك ، وأنشره من فضلك ، أوزعني الله شكرك ،
ومد في عمرك ، وأعقبك زيادة العدد ، وجمع لك بين سعادة اليوم والغد .

وفي فصل منها : وأنت الطودُ الموفي على كل هَضْبَةٍ ، الملتى على
كل فرحةٍ وكُرْبَةٍ^١ ، وما بقيت وعوفيت فكلُّ حَظْبٍ وإن جَلَّ جَلَلٌ ،
وكلُّ صَعْبٍ وإن أعْضَلَ فمَحْتَمَلٌ^٢ ، فالله يا سيدي في نفسك العزيزة
أن يكون فيها كامنٌ رزءٌ^٣ يقدح ، أو أن يوهن منها باطنٌ أَسَى يكدح
[٥٩ أ] أو يقدح ، فأنت سدادٌ كلِّ مُلِمٍّ ، وسنا كلِّ مَظْلَمٍ ، وأنا
أضرب لك الأمثال ، وأعلمُ مع ذلك علمَ الحقيقة أن مُصَابِكَ كبير ،
ورزءك أليمٌ خطير ، لا يكادُ يتعلّقُ بالجازعِ منه مَلَامٌ ، ولا يستمرُّ
على الصبرِ فيه اعتزام ، فمن كَرَمَ الكريمِ ، الجزعُ على الحميمِ ، ومن
خواصَّ القلوب ، الأسفُ على المحبوب ، وإذا كان الحيوانُ غيرُ الناطقِ
يحنُّ ويَرَامُ ، فنحن بذلك أحقُّ ، إذ نحن أرقُّ قلوباً وأرحم ، إلا أن
مثلك ممن عَظُمَ قَدْرُهُ ، وتقدّم بالأيام خبرُهُ ، أرجحُ علماً من أن
يُسَلِمَهُ العزاء إلى التهالكِ ، أو تغلبهُ الأرزاءُ على التماسكِ .

وفي فصل من أخرى عن ابن مجاهد إلى ابن أبي عامر : لو استغنى
— أعزك الله بالصبر ، وأيدك بالنصر — أحدٌ عن التعزية ، واكتفى مصاب

١ د ط س : هَضْب . . . فرحة وكرب .

٢ ط س : شعب . . . محتمل .

٣ د ط س : جوى .

٤ ط س : يقرح .

عن التسليمة^١ ، لأصالة رأيي وسعة علم ، وجلالة قدر وجزالة نفس
وشدة كظم ، لكنت أنت الغني عن ذلك ، لإحاطة علمك بتقلب الأيام
وتصرف الأحوال ، وارتفاع قدرك عن أن يملأ الزمان صدرك ، وتبلغ
المحن^٢ صبرك ، فأنت أصلبُ عوداً من أن تروعك^٣ المصائب ، وأشدُّ
ركناً من أن تضعُضِعَكَ النوائب ، لكنّ الذكرى باب^٤ مندوب^٥ إليه ،
وسنن^٦ معمول^٧ عليه ، ولئن جلّ الخطبُ ، وعظمَ الكربُ ، فالثوابُ بقدره
المصاب ، والعطيةُ بحسب الرزية ، وإنما الأجرُ بالصبر ، والجزاء مع العزاء ،
وإن كان الله قد أخذ ابناً فقد ترك أبناء ، وإن كان [قد] سلب نعمةً فقد وهب
نعماً ، وإن كان الأعم والأكثر أن تمضي الآباءُ ، وتختلف الأبناء ، فالملكُ
يدعو الله أن يخرجك من هذا العموم ، ويورثك أعمار الجميع ويجعلك
الباقى بعد كل قريب وحميم ، فكلُّ خطبٍ ما عداك يسير ، وكلُّ رزءٍ
إذا تخطّأك حقير .

وفي فصل من أخرى : لقد طرقت نائبة من الموت وفاجعة من
الكرب في قطب الآمال ومدارها ، وسناء الهمم ومنازها ، وتاج الرئاسة
وسوارها ، [الحاجب حسام الدولة ، كان ، رضي الله عنه وأرضاه ،
وجعل الجنة مأواه] فوالهفا عليه مردداً ، ويا أسفا له مؤبداً ، ماذا خطفت
[يد الحمام] وأصمت به سهام الأيام ؟ ! أيّ سماء للعلاء فطرت . وأي

١ ب م : تسليمة .

٢ د ط س : ويفعل بالمحن .

٣ ط س : تردعك .

٤ د ط س : ندب .

٥ د ط س : على قدر .

٦ د ط س : للمعالي .

نجم للمنى^١ كدّرت ، وأيّ بحرٍ من الأسى سجّرت ، وأيّ عينٍ للبكاء
فجّرت ، ما يُقاسُ به مثيل ، ولا يُضاف إليه عدل ؛ وقد كان لي أن
أصريفَ المقال ، وأضربَ الأمثال ، وأجتلبَ من التعازي ما جاءت به
الآثار ، ووردت به الأخبار ؛ غيرَ أنه - أيّده الله - أعلى في الفضل
[بدأ] وأثبت في العلم قدماً ، وأرجحُ حليماً إذا طاشت العقول ، وأشدُّ
كظماً إذا اضطربت في الصدور النيران ؛ من أن أُوردَ عليه ما لم
[٥٩ ب] يُحيط به علماً ، ولم يتوصّل إليه فهماً .

وله من رقعة إلى المظمر بن الأفطس يعزيه بالمنصور أبيه : وسهل كتابه^٢
- أبدّه الله - بما شرّد غمضي ، ونعى بَعْضي إلى بعضي ، وأطبق
سمائي على أرضي ، وأقض مضجعي ، وأسأل مدمعي ، وعظم شكلي
وجزعي . من فطّيع الخطب الوارد ، وشنيع الرزء الوافد ، بوفاة
[المنصور سيدي وموتلي] ، كان ، أوسعه الله جنته ورضوانه ، ولقاه
رحمته وغفرانه [٤] ، فيا لها مصيبة قصّمت ظهري ، وذهلت فكري ،
وقللت حدّي ، وأرغمت حدّي ، ودفعني إلى الجزع وحدي :

فلو كنت في الباكن حولك كنت قد تأسيت فاستشفيت والعين تدمع
ولكنني أبكي فريداً وأشتكي وحيداً فما ينفك عني التروع
هو الرزء أفضى بي إلى كل غاية . من البث لا أسلو ولا أتروع^٣

١ ب م : نجم للعل .

٢ ب م : فاجاب .

٣ د ط س : كتاب مولاي .

٤ ب م : بوفاة فلان .

٥ ط د س : وفلت .

٦ اتروع : اكف وامتنع ؛ د ط س : اتروع .

لئن حَسُنَ السَّلْوان والصبرُ بامرئ^١ فأحسنُ حالاني سلوٌ ممنوع

وفي فصل منها : ومثلُ مولاي الرئيس [الأجل^٢] تلقى^٣ هذا الخطبَ الذي يهدُّ الجبالَ ، ويقطعُ الآمالَ ، ويخلعُ الفؤادَ ، ويصدعُ الأكبادَ ، بما حضَّ الله تعالى عليه من الصبرِ ، وتَدَبَّ إليه من استجزالِ الذُّخْرِ ، فهو القائلُ تعالى ﴿ إِنَّمَا يُؤَقِّتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر: ١٠) [وأنت في نافذ فهمك وثاقب علمك لا تبصِّر بل تذكر ، وكان من الحقِّ الأوجب والفرض الألزم أن أقيم قدمي مقام قلبي] وأكتفي بالركابِ عن الكتابِ ، وقل^٤ ذلك منِّي في هذه النائبةِ [الهادمة] ، والنازلةِ القاصمةِ ، إلاَّ أني على علمك^٥ عن الإرادةِ مردودٌ ، وفي عِقالاتِ الآلامِ^٦ والأعراضِ مَصْفُودٌ ، جعلَ الله هذا المصابَ الخطيرَ آخرَ ما يقرعُ لك باباً ، ويحرقُ^٧ اليك^٨ عن كرهٍ حجاباً .

وله من أخرى : كتابي والدمعُ يُشْثِي لِعَيْنِي سَحَابِيهِ ، والحزنُ يجهِّزُ إلى نفسي كَتَائِبِيهِ ، والصبرُ قد فُلَّتْ شَبَاتُهُ ، وَصَوَّحَ نَبَاتُهُ ، والقلبُ قد أَظْلَمَتْ أَفَاقُهُ ، واشتدَّ بنارِ الرِّزِيَّةِ احْتِرَاقُهُ ، بما فجأ من وفاةِ الوزيرِ الفقيهِ أبي فلان^٩ ، عمدةِ الإسلامِ ، وَمُبَيِّنِ الحلالِ والحرامِ ،

١ ب : الصبر والسلوان ؟ بامرئ : سقطت من م د .

٢ ط س : يلتقى .

٣ د ط : رقايل .

٤ ب م : سادسة .

٥ د ط س : بمقتضى .

٦ ب م : الآلام ؛ ط س : غفلات الآلام .

٧ ط د س : ويحترق .

٨ د ط س : وفاة فلان .

وهاتك حُجْبِ الضَّلالةِ والجهالة ، فالديانةُ عليه لابسَةُ الحداد ، مفعوجةُ
 القواد ، وهي لفقده باكيةُ الأجفانِ ، عاطلةُ البنان ، مُخلّقةُ الجلباب ،
 منقطعةُ الأسباب ، منكوسةُ اللواء ، مهجورةُ الفناء ، قد ذهبَ ناظرُها ،
 وَزَمَّتْ للركابِ أباعرها ، [وَسَدَّتْ على الطالعينِ أبوابها] فمن لتحقيقِ
 معانيها ، وتعميرِ مغانيها ، أم من لاختيارِ أقوالها ، وتوشيةِ سربالها ،
 وإظهارِ ما خفي من مسائلها ، وجلاءِ ما صدَىء من مناصلها ، أم من
 ينصرُ ملّةَ الإسلام ، بلسانٍ [٦٠ أ] كالصمصام ، أم من يردُّ على
 أهل التناسخ ، بالحجج الرواسخ ، الثابتة كالجبالِ الشوامخ ؛ فالدنيا تحلو
 لتُسمِرَ ، وتصفو لتكدّر ، وتنظم لتنثر ، وتجمعُ فتفرق ، وتسقي لتتشرّق ،
 فهي كالشمس تُضيءُ فتعتشي ، وكالطعام يُغدّي فيؤذي ، فالأولى الزُّهدُ
 عن زخرفها وزِبرِجِها ، والتَّركُ لما يحلو من رضاها ، ويخدعُ من سراها ،
 والإعراضُ عن وصالها ، وتَضَرَّتْها وجمالها ، فليست تُبقي على السيّد
 ولا المسود ، ولا على القريب والبعيد ، ولا على الملوكِ والعبيد ، ولا على
 العالمِ والجاهلِ ، ولا [على] النّبيِّه والخامل .

ومن أخرى : إذا رُمْتُ - أعزَّكَ الله - تَعزَّيْتِكَ عن المصابِ الحادث ،
 والخطبِ الكارث ، ذكرتُ تماسُكَكَ فأَمْسَكَتُ ، واستقبلني فاجعُ
 الرزية فسكت :

فلو شئتُ أن أبكي دماً لبكيتُهُ عليه ولكن ساحةُ الصبرِ أوسعُ
 والليالي جاريةٌ في أخذٍ ما تلد ، وإعدام ما توجد :

لا بدَّ من فقدٍ ومن فاقِدٍ هيهات ما في الدهرِ من خالدٍ^١

١ ورد البيتان منسوبين لأبي نواس في محاضرات الراغب ٤ : ٥١٣ ولم أجدهما في ديوانه .

كن المعزى لا المعزى به إن كان لا بُدَّ من الواحد
برَد الله مضجعه ومثواه، وأكرمَ مُنْقَلَبَهُ ومأواه، ولقاه من برَدِ النعيم ،
كالذي كان عليه من الخلق الكريم ، وسقاه من السلسبيل ، مثلَ ما كان
يأوي إليه من المذهبِ الجميل .

وكلامُ أبي محمدٍ كلهُ رائقٌ بديعٌ ، لا يتسِعُ لاستيفاء محاسنه هذا
المجموع .

فصل في ذكر الوزير الكاتب الماهر أبي عامر بن التاكرفي واجتلاب
جملة من نثره ونظمه ، تشهد بنبله وفهمه ^١ .

وأبو عامر كاتبٌ مُجيدٌ ، ومُحَسِّنٌ معدودٌ ، نشأ أبوه في الدولة
العامرية يَفَرَعُ مراتبها ، ويتدرَّعُ جلابيها ، إلى أن وليَ في أيام المظفر بن
المنصور ^٢ زمامَ التعقيبِ على أهل الأندلس ، فلما ^٣ انقضت الدولة العامرية
وانشقت عصاها ، وأدارتِ الفتنةُ الميرةُ رحاها ، كان أحدَ مَنْ مرق
من ظلماتها ، وآوى إلى جبلٍ عَصَمَهُ من مائها ، فاستقرَّ ببلنسية وأميرها
مظفر ومبارك - المذكوران في أوّل هذا القسم - فانتظم أبو عامر في سلكهما ،
وشاركهما في مراتبٍ ملكهما ، إلى أن أجابا صوتَ المنادي ، وخلا منهما

١ أبو عامر محمد بن سعيد التاكرفي نسبة الى تاكرنا ، وكانت قصبة كورة رنده ، وقال ابن
سعيد (المغرب ١ : ٣٣٠) انها خربت ؛ راجع ترجمته في جذوة المقتبس : ٥٦ (وبغية
الملتبس رقم : ١٣٧) والمغرب ١ : ٣٣٢ واعتاب الكتاب : ٢٠١ وأعمال الاعلام :
٢٢٤ - ٢٢٥ .

٢ نقل ابن الابار بمض هذا النص في اعتاب الكتاب : ٢٠١ - ٢٠٢ .

٣ انظر ص : ١٣ وما بعدها .

النادي ، فخرًا حسبما شرحته للفم واليدين ، وفرّق بينهما [٦٠ ب] من أعفى الفرقدين ، وأفضى ملكهما ومُلْكُ مَنْ كان بهذا الأفق الشرقي من هؤلاء العبيدِ المجاييب إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن^١ الملقب بالمنصور ، فنهل أبو عامر في دولته وعلّ ، ونهض بأعباء مملكته واستقل ، وكان بينه وبين أحمد بن عباس ، كاتب زهير الفتي - المتقدمي الذكر^٢ - مكاتباتٌ تنازعا فيها فضلَ البلاغةِ والبراعة ، وتسابقا منها إلى غايات هذه الصناعة ، وقد أثبتَ منها ومن سائرِ كلام أبي عامر في هذا الديوان ، ما يقضي له بالإحسان ، ويشهدُ بتبريزه على أهل الزمان .

فصول من رسائله السلطانيات

فصل له من رقعة عن المنصور إلى مجاهد الموفق ، وقد أظلم بينهما الأفق^٣ : إن أوّلَى النَّاسِ بِالاصْطِلَاحِ نفوسٌ جُبِلَتْ عَلَى صَفْوٍ ودادها ، وأحقّ الذنوبِ بالاطّراحِ ذنوبٌ جُنِيتْ عَلَى غيرِ اعتقادها ، وإن رسولك الكريمَ وردني فلم يترددْ عِنْدِي إِلَّا رِيثْمًا يَقدَحُ زَنْدَ الْودَادِ فِي نَفْسِكَ النفيسة ، فيُؤْري سراجاً من الصَّلَةِ أسري به في ظلماءِ القطيعة .

قال أبو الحسن [ابن بسام] : وكان مجاهدُ الملقَّبُ بالموفق قد انتزى عما دانيةَ والحزائرِ الشرقيّةِ بِغَدْرِهِ لعبد الرحمن بن أبي عامرٍ مولاه - حسب ذكرناه - وحظوته بذلك عند محمد بن هشام بن عبد الجبار الناصريِّ عدوّاً

١ د ط س : عبد العزيز بن أبي عامر . ٢ في القسم الأول من الذخيرة

٣ اقتبس ابن سعيّد هذه الرسالة في المغرب ١ : ٣٣٢ .

٤ م : بالاصلاح .

ناقض الدولة العامرية، فشرّد على^١ أصحابه الموالي العامريين ؛ وكان مجاهد لا يظهر بشيء من الحزم ، بل عَمَلُهُ في الأغلب من تدبيره بالغلبة والمناوأة ، وتحويله على المسامة ، واستراحته إلى الغدر ، فلا يزال أمرُهُ ينتقض مع لازم الحرمان الموكّل به ، حتى يردّه على عقبه ، فكم فضّ من جيش ، وأذلّ من عزيز ، وأباح من حمى ، ووجه من فتح ، يُقال له ما بعده ، حتى إذا همّ أو كَرَب لم يلبث أن ينحسر عنه ، ويعود في أكثر الأمر غُمَّة عليه ، ثم يلبد مدة فيثب كالليث ؛ له في هذا الباب كلّ أخبار مأثورة مشهورة ، وقد قدمنا القول فيه أنه كان أديب ملوك ذلك الزمان^٢ ؛ كتب^٣ يوماً إلى المنصور حفيد ابن أبي عامر رقعة لم يضمنها غير بيت الخطيئة حيث يقول^٤ :

دع المسكّارم لا ترحل^٥ لبغيتهما واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي [١٦١]
فلما وردت الرقعة على المنصور أقامته وأقعدته ، وكاد يَمْرُق من إهابه ، فضلاً عن ثيابه ، واستحضر أبا عامر [بن] التاكري فقال له : تطاطأ لها تُخَطِّثُكَ^٥ ، واسمع المراجعة عنه ، وعنون وبسمل ، وكتب هذا البيت خاصة :

شتمت مواليتها عبيد نزار شيم العبيد شتمة الأحرار

فسلا المنصور عما كان فيه .

ولما نهض العبيد من شاطبة إلى طرطوشة واقتضت الحرب هنالك قتل

١ ط د س : عن . ٢ ط د س : ملوك وقته .

٣ وردت هذه القصة في المغرب واعتاب الكتاب والنفع ٤ : ١٣٢ .

٤ ديوان الخطيئة : ٢٨٤ .

٥ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ٢٢٩ والميداني ١ : ٩١ .

مقاتل^١ الصقلي^٢، وسبق رأسه إلى بلنسية، كتب منذر^٣ إلى المنصور يرعده
ويبرق، فراجعه أبو عامر المذكور عن المنصور ببني أبي الطيب^٤ :

فان كان أعجبكم عامكم فعودوا إلى حمص^٥ في القابل
فان الحسام الخضيب الذي قُتِلْتُمْ به في يد القاتل

وله من رقعة خاطب بها أبا جعفر بن عباس يقول في فصل منها^٥ :
كُتِبَتْ عن نفس تفيض بمائها ، وتجيش بدمائها ، وتشكو إلى الله عظيم
أدوائها ، غيظاً على تقلب الزمان ، وعجباً من تنكر الإخوان ، لا يلفظني
عجب إلا إلى مثله ، ولا أنتقل من مستغرب إلا إلى شكله ، إن أبرمت
حبلاً من الإخاء ، نقض المفسدون مريرتة^٦ ، أو ملأت يدي بمن أعتد
به للشدة والرخاء ، أفسد الواشون سريرته ، [وبحق قيل] :

إذا قلت هذا صاحب قد رَضِيَتْهُ وَقَرَّتْ به العينان بدلت أخرا^٧
كذلك جدِّي ما أصاحبُ صاحباً من الناس إلا خاني وتغيرا

ولا عتب على الدهر فان العتب على بنيه ، والدم لازم لأهليه ، والناس
بأزمانهم أشبه بمنهم بآبائهم^٧ .
وفي فصل منها : ولو لمست العيوق ، وأدركت بيض الأنوق ،

١ د ط س : قاتل .

٢ ولي مقاتل طرطوشة بعد لبيب الفتي ، وتلقب « سيف الملة (أو الملك) » .

٣ ديوان المتنبي : ٢٦٣ .

٤ في الاصول : مصر .

٥ د ط س : وله من رقعة الى ابن عباس .

٦ البيتان لامرئ القيس ، ديوانه : ٦٩ .

٧ انظر هذا القول في التمثيل والمحاضرة : ٣٠٥ .

وجئتُ بالأبلىءِ العقوق^١ ، وسمح الدهرُ لي بعجائبه ، وخصني بغرائبه ،
 ما غيرَ مني فتيلًا^٢ ، ولا رأيتُ بمن عاشرتهُ بديلًا . وأعلمني فلان بما
 قلَّ من الحدِّ ، ولففتُ له رأسي حياءً من المجد^٣ ، والله ما يصلحُ السَّبَابُ ،
 بين الأراذل والكلاب [فضلًا عن الأفاضل] ، وانك لتعلمُ علمَ يقين ،
 وانك فيَّ على سننٍ مستبين ، أني ما عودتُ قطَّ لساني ، سبَّ مَنْ نافرني^٤
 وعاداني ، ولا صرفتُ عنانَ كلمي ، ولا صرفتُ شباةَ قلبي ، إلَّا في
 ما يطيبُ على الأفواه [عَرَفُهُ] ، ويحسنُ مع الأيام وَصْفُهُ [٦١ ب]
 وإني لمقبوضُ القولِ ، ساكنُ الطائرِ ، سالم الجانبِ ، مستعينُ بالله على
 العدوِّ والمطالب^٥ ، وما انطويتُ عمري قطُّ على حقد ، ولا رضيتُ بنقضِ
 عهد ، ولا خِست^٦ في حلٍّ ولا عقد :

وَمُرَادُ النَفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ نَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى^٨

١ ناظر الى المثل : طلب الابلق العقوق ، وقال الشاعر :

طلب الابلق العقوق فلما لم يجده اراد بيض الانوق

والعقوق : الفرس حين تحمل ؛ والأبلىء لا يحمل ، والانوق : الرخمة وهي تحرز بيضها
 فلا يصل اليه احد ، والمعنى لو انني فعلت المستحيل .

٢ ب م : قبيلا .

٣ من قول ابي تمام (ديوانه ٢ : ١١٥) .

اتاني مع الركبان ظن ظننته لففت له رأسي حياء من المجد

٤ د ط س : سبيل .

٥ د ط س : نابذني .

٦ ط د س : العدو الطالب .

٧ د ط س : خنت .

٨ البيت للمتنبي ، ديوانه : ٤٧٠ .

والدنيا^١ عندي أحقرُّ ، وجميعُ ما فيها في عيني أصغرُّ وأنزر ، من أن أراحمَ
في حُطامها ، وأنفسَ على تكسب آثامها .

وفي فصل منها : وقد كان يلزمك^٢ أن تعرض على نفسك ، ان كنتُ
تَلَبَّتْ عدوّاً قط بحضرتك ، أو تنقصتُ مخلوقاً بمشهدك ، على طولِ
المجاورة ، وكثرةِ المعاشرة ، فتجعلَ ذلك عياراً لك ، وقياساً مطرداً
قيلك ؛ اللهم إلاَّ إن كنتَ عددتَ ما كنّا نتفاكه^٣ [به] جماماً للنفوس ،
ونتعاطاه عند معاواة^٤ الكؤوس ، [من] توقيعِ نادر ، وهزلِ حاضر ،
فما أشدَّ ما غيرتكَ الأيامُ والليال ، وقلبتكَ الأقوال ، أين يذهبُ
بك الكاشحون ، وكيف يُزخرِفُكَ المزخرفون ؟ ! والله لو كنا من الأغمار ،
وممن لم يُحنّكه الليلُ والنهار ، ما وجب علينا مع الذّمام المؤكد ، والعقدِ
المشدّد ، أن نحملنا الأيامُ وخطوبُها ، ولا أن تعصفَ بنا الرياحُ وهبوبها ،
فكيف وقد حلينا شطور الدهر ، وعرفنا أحوالَ العُسْرِ واليسر ، واعرورينا
ظهورَ العُرفِ والنكر ، وركبنا متونَ البرِّ والبحر ، وجمعنا الشدةَ والليان ،
وحالتَ علينا حالاتُ الأزمان ، وأرضعتنا^٥ بلبانها الكؤوسُ ، وتصرّفنا
مع الرئيس والمرءوس ، فلم يكن في خلالِ ذلك كلّهُ إلا نظامٌ مُتّسق ،
وأمرٌ متفق ، وشعبٌ ملتئم ، وسيلك^٦ منتظم .

وفي فصل منها : ولقد شهدتُ^٥ فلاناً يُنحي عليك ، ويَنسِبُ كلَّ
مكروهٍ إليك ، بغايةِ السبِّ ، ونهايةِ الثلبِ ، فقلتُ له : بفيك الحجرُ

١ ط د س : وإن الدنيا .

٢ د ط س : يجب .

٣ د ط س : ونتعاطاه معاواة .

٤ ط د س : وارتضعتنا .

٥ ط : شهدت أن .

والأثلب^١ ، فخرج وهو يجمجم^٢ ، كالمتهيم لي يزعمه ، ولم يختلج قط في صدري تلك الحماقات ، ولا شغلت سرِّي تلك الهنات ، يعلم ذلك من عنده مغيّبات^٣ الأمور ، ولديه خفيات^٤ الصدور . ولقد كنت أشفق^٥ عليه وأحرص^٦ على خيره ، وكانت ظنونه^٧ على حسب سريرته ، وتوهمه^٨ بمقدار معتقده ، وبحق يقول أبو الطيب^٩ :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونهُ^{١٠} وصدّق ما يعتاده^{١١} من توهم^{١٢} [١٦٢]
وعادى محبته بقول عُدائِهِ^{١٣} وأصبح في ليلٍ من الشكّ مظلم
فسلط^{١٤} لسانه ، وصدّق ظنونه ، وبلغتني قوارضه^{١٥} فلم أقارضه^{١٦} رغبة^{١٧}
في فيئته^{١٨} ، وحرصاً على رجّعته^{١٩} ، وأما أنت فعذرُك بضيق ، وأنت
الحميم الصديق ؛ وقد كان انتهى إليّ ما عُمِرْتَ به مجالس^{٢٠} فيها الرئيس
والمرءوس ، وأنت بها المنادم^{٢١} والجليس ، فقلت لمبلغ ذاك : هيهات !
أبت الأعراق الزكية ، والأخلاق السنية^{٢٢} ، أن أتنبّص^{٢٣} بحضرتها ، أو
ينسب^{٢٤} إليّ الكذب بمشهدها ، فلما انتهى إليّ تصديقك^{٢٥} ما نقله الواشون ،
وأفككه^{٢٦} الحاسدون^{٢٧} ، والله المستعان^{٢٨} على ما يصفون^{٢٩} ، وستُكتب^{٣٠} شهادتهم
ويُسألون ، قلت : صَفِرَتْ وطاب^{٣١} المروّة ، ودَرَسَتْ آثارُ الأخوة^{٣٢} ،
وطُمِسَتْ أعلام^{٣٣} الرعاية ، ونَفَقَتْ سوق^{٣٤} السّعاية .

١ الاثلب : التراب والحجارة او فتاتها .

٢ ديوان المتنبي : ٤٥٦ .

٣ ط د س : فصدق .

٤ ط د س : والمنادم .

٥ ط د س : الزاكية السامية .

٦ ط د س : الحاسرون .

٧ انظر الآية : ١٨ من سورة يوسف .

وفي فصل منها^١ : ومن أعجب العجائب ما يتصل بنا عنكم على السنة العامة وكثير من الخاصة ، بما لا أصل له ، ولا شبهة تصح منه ، فالأنفس سليم^٢ ، والألسن حرب^٣ ، ولو اتصلت المداخله لارتفعت الشبهة ، ولم تبقَ لمخلقي حيلة ، ولا صار الكذب قربة^٤ ووسيلة ؛ وقد كنت بفضلك حضضت على فتح باب الصلة ، والتعهد بالرسل لاستحكام المقة ، فامتثلنا ذلك حسبما حضضت ، وصرنا إلى ما إليه نذبت^٥ ، رغبة في تأكيد الخلّة ، وحرصاً على حسم كل علة ، ووافقنا من المنصور — أيده الله — نفساً جانحة إليكم ، وسريرة حريصة عليكم ، فعميد الدولة — أعزه الله — عمه الحاني ، وأهله الداني ، فلم تتقبل الرسل عندكم بواجب القبول ، ولا تؤوّل أمرهم على أجمل تأويل ، فسالك أنت أبا جعفر لا تجد ذلك الوصل ، ولم لا تصل ذلك إلى السنة أهل الزور ، وتحقق ما تنسقه^٦ الأباطيل ؟ حتى يلوح في معرض الصدق ، ويشمل^٧ السداد ، ولا ينفق سوق الكساد رات قطب عليه يدار ، ورأبك سراج به يستنار ، وما خاطبتك إلا مشفقاً من جبل وصله الله أن ينقطع بالباطل ، وودّ أخلصه الله أن يتغير ناقل ، فان هذا إن تهادى بحسبه ، وبقي التنافر والاستيحاش على شخصه ، تعظم الدائرة ، وتتفاقم النائرة ، وتزل القدم ، ولا ينفع الندم ، وما أخص بقولي هذا فريقاً ، ولا أورد إلا تحقيقاً ، والله يكشف الغطاء عن قلوب قد رين عليها ، وزين الشيطان^٨ الفساد إليها :

١ وفي فصل منها : سقطت من د ط س .

٢ ط د س : أثرت .

٣ د ط س : وتحقق ... تنمقه .

٤ ط د س : ويشتمل .

فأجابه أبو جعفر [ابن عباس] برقعة يقول^١ فيها : وقفتُ على ما
أوماتَ إليه وصرحتُ في طيِّ التعريض ، وبه ما ترجفُ العامة بإخطارِ
[٦٢ ب] ذكره ، وتهتفُ بعضُ الخاصة بالتحرز^٢ من كونه ، وفي مثله
يقول القائل :

إني أرى شجراً تورَّدَ غُصْنُهُ أَخْلِقُ به متورداً أن يثمر
وإذا السماءُ تمخضتْ ببروقها ورعوها فجديرةٌ أن تمطر
كلا أبا عامر ، قربٌ صلَفَ تحتَ الراعدة^٣ ، وما كلُّ بيضاء شحمة ،
وإن كانت ناصعة ، ولا وعمرُك أبا عامر ، أطاله اللهُ على حكمك ،
ما يشني علينا في هذه الجملة خنصرٌ ، ولا يؤثّرُ عنا فيها حديثٌ مُسنَدٌ ،
ولا نحن إلاّ في حيزِ السماعِ المستفيض ، وأغلبُ ظنوننا فيه التكذيب ، وإن
كان الظنُّ أكذبَ الحديث ، وعنوانُ أحوالنا عندكم ، وسيرُنا مقدودٌ
من أديمكم ، فلا تسأل عما لدينا غيركم ، ولا تقيسْ علينا إلاّ بما قبلكم ،
والمرجفون كثيرٌ ، والناسُ إلى الشرِّ سراع ، ورياحُ أهوائهم تنشئُ
سحابَ التكذيب ، وتستدرُّ أخلافَ التضريب ، وحقُّ هؤلاء أن تُنتَفَ
سبائهم ، وتخلع على أقدائهم نِعالم ، وهذا رأيي فيهم ، فاحكم
بفتاوي عليهم ، وضعهم على يديّ عدلٍ يعدلُ فيهم ، وأصغرِ إلى من

١ د ط س : قال .

٢ د ط س : بالتحذير .

٣ انظر امثال الميداني ١ : ١٩٨ وفصل المقال : ٤٣٠ والعسكري ١ : ٣١٦ والجمهرة ٢ :
٢٥٠ ، والصلف : قلة الخير .

٤ انظر امثال الميداني ٢ : ١٥٦ .

٥ ط د س : يذكر .

٦ د : اعقابهم .

يَعْرِضُ عَلَيْكَ ذَاتَ نَفْسِهِ ، وَيُطْلَعُكَ عَلَى بَنَاتِ صَدْرِهِ ، وَدَعْنِي مِنَ
التَّعْرِيجِ عَلَى قَوْمٍ يَنْتَفِقُونَ سَوْقَهُمْ ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ
أَنْفُسَهُمْ ﴾ (النساء : ١٠٧) وَجَمَلَةُ الْحَالِ وَتَفْصِيلُهَا : ذَلِكَ الْعَقِيرُ^١
الْبَرِثْلُونِي مُسْتَرَابٌ ، وَالتَّدَاوِي بِهِ دَاءٌ عِيَاءٌ ، وَلَوْ صَرَفْتَ عَنَّا يَتَكَ إِلَى
سَدٍّ^٢ ذَلِكَ الثُّغْرَ وَالْبَرَاءَةَ مِنْهُ ، لِأَخْرَسَتْ أَلْسِنَةُ الْمَرْجُفِينَ ، وَابْطَلَتْ
زُخَارِفُ الْمُخْرِقِينَ ، فَهَذِهِ^٣ عَيْنُ الْخَبَرِ ، وَمَكَانُ النَّظَرِ ، فَمَا بَالُنَا نَجْعَلُ
الْعِتَابَ بُدْءَ نَظِيفٍ بِهِ ، وَنَنْسَجُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصَّدَقِ حِجَاباً نَتَنَاجَى مِنْ خَلْفِهِ ! !
وَالسِّرُّ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَمَا يُلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِرِّ^٤

وَأَنْتَى لَكَ^٥ بِتَكْذِيبِ مَا شَاعَ ، وَتَزْوِيرِ مَا اسْتَدَاعَ ؟ ! وَقَدْ سَدَدْتَ عَلَيَّ ثَنَابَا
الْحَيْلِ^٦ ، وَصَكَّكَ سَمْعِي بِهَذَا الْمَثَلِ :

قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ إِنْ صَدَقًا وَإِنْ كَذِبًا - فَمَا اعْتَذَارُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلًا^٧
وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ نَصْحِي بِصَدَقِ مَقَالِي^٨ ، وَأَخْوَكُ مَنْ صَدَقَكَ^٩ ،
فَإِنْ كُنْتَ فِي مَا نَدْبَتْنِي إِلَيْهِ مُحِقِّقًا ، وَأَرَدْتَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَمَا أَخْلَقَكَ

١ العقير كالعقار : الدواء .

٢ د ط س : صدقت ... سر .

٣ د ط س : فهو .

٤ البيت لزهير بن أبي سلمى ، ديوانه : ٩٥ .

٥ ط س د : لي .

٦ د ط س : الحيل .

٧ انظر فصل المقال : ٩٢ ، وهو مما قاله النعمان - فيما يحكى - ردّاً على الربيع بن زياد ؛
ط د س : إن حقاً .

٨ د ط س : سر نصحتي بصدق مقالتي .

٩ في المثل (الميداني ١ : ١٦) : أخوك من صدقك النصيحة .

بهاتين الصفتين ، فاقدح لي أضىء لك ^١ ، وكن مثلي أكن مثلك ؛ ولا تحتج معي أن تقول : تزل القدم ، ولا ينفع الندم ، فإني أذكرك [٦٣ أ] قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ (الأنفال : ٢٥) ولا تكلفني دفع العيان ، وتلزمي إقامة البرهان على كل محال ، فكل شيء يجوز تكليفه الإنسان إلا ما لا يُستطاع ، وعند الله احتسابٌ موعظتي ، وهو المجازي على نيتي .

فراجعه أبو عامر ثانية برقعة [أخرى] يقول ^٢ فيها : وَرَدَ كِتَابُ كَرِيمٍ لَكَ قَدْ ضَمَّنَ مِنَ الْآدَابِ عِيُونًا ، وَاسْتَدْعَى مِنَ الْإِغْرَابِ فَنُونًا ، فَوَقَفْتُ مِنْهُ عَلَى تَرْجِيمِ الظَّنُونِ ، وَفِي حَيْرَةٍ بَيْنَ الشُّكِّ وَالْيَقِينِ ، وَقُلْتُ : هَذِهِ بَدَعُ الْمُتَظَرِّفِينَ ، وَنُكَّتُ الْمُتَفَلِّسِينَ ، طَوْرًا إِيْمَاءً وَتَلْوِيحًا ، وَطَوْرًا إِفْصَاحًا وَتَصْرِيحًا ، وَكَلَّمَا نَظَرْتُ فِيهِ ، وَفَكَّرْتُ فِي مَعَانِيهِ ، اسْتَنَكَرَ مَعَ الْعَرَفَانِ ، وَاسْتَعْجَمَ عَلَى نَهَايَةِ الْبَيَانِ ، فَقُلْتُ : لَا غُرُو قَدْ يُنْكَرُ اللَّيْثُ فِي قَرَارِهِ ، وَيُعْرَفُ الْهَلَالُ فِي سَرَّارِهِ ، وَلَا بَدْءٌ مَعَ الْبَحْثِ أَنْ أُصِيبَ غَرَضًا ، أَوْ أَنْ أَكُونَ دُونَهُ حَرَضًا ^٣ ، فَلَمَّا غُصْتُ فِي بَحَارِكَ ، وَأَمْضَيْتُ فِكْرَتِي فِي مِضْمَارِكَ ، وَقَعَ السَّهْمُ فِي غَرَضِهِ ، وَلَاحَ الْحَقُّ فِي مَعْرَضِهِ ، وَبَدَأَ لِي أَنْ مَا خَاطَبْتُكَ بِهِ لَمْ يُوَافِقْ قَبُولًا ، وَلَا كَانَ عَلَى الصَّدَقِ مَحْمُولًا ، وَلَيْسَ الْكَذِبُ مِنْ شِيمِي ، وَلَا الْمَذْقُ - بِحَمْدِ اللَّهِ - مِنْ كَلَمِي ، وَبِاللَّهِ مَا خَاطَبْتُكَ إِلَّا شُحْحًا ، وَلَا أَسْمَعْتُكَ إِلَّا نُصْحًا ، فَمَنِيتُ مِنْ قَبُولِكَ

١ عكس للمثل : أضىء لي أقدح لك ، انظر فصل المقال : ٢٠٥ والميداني ١ : ٢٨٥ والعسكري

١ : ٣٦ .

٢ د ط س : قال .

٣ ناظر الى الآية : ٨٥ من سورة يوسف .

٤ د ط س : وأنضيت فكري .

بسوق كاسدة ، وَمِنْ قِبَلِكَ : « رَبِّ صَلِّفِ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ » ، وكَلَّا^١
والله ما رَعَدَتْ لَنَا سَمَاءٌ ، وَلَا تَكَدَّرَ لَنَا مَاءٌ ، وَلَا قَصِدْتُ بِخَطَابِي مَقْصِدَ^٢
التَّهْدِيدِ ، فَالْصَّدَقُ يُنْبِي عَنْكَ لَا الْوَعِيدُ^٣ ، بَلْ خَاطَبْتُكَ بِقَلْبِ سَلِيمٍ ،
وَبُتُّ لَكَ عَلَى عَهْدٍ كَرِيمٍ .

وفي فصل منها : ومن العجب قولك : اقدح لي أضيء لك ، ولقد
قَدَحْنَا لَكُمْ فَأَظْلَمْتُمْ ، وحفظنا ذِمَامَكُمْ فُضِيْعْتُمْ^٤ ، ووصلنا فهجرتم ،
وقربنا منكم فبعدتم ، ورب رسالة أنشأناها رغبة فرغبت عنها ، ورسول^٥
ملطف قصد جهتكم طار بجناح الحزى^٦ منها ، بعد الترقيب عليه ، وإظهار
التناقل إليه ، ونحن على ذلك نقتل في الغارب والذروة ، ونزداد وضلا^٧
على الجفوة ، ونلین على القسوة ، ونصبر للأذى ، ونغمض على القذى ،
إن عاتبناكم لم تُقْلِعُوا ، وإن استعتبناكم لم تَرْجِعُوا ، بل تركبون الهياج ،
وتكلمون^٨ اللجاج .

ومن أغرب ما به احتججت ، وأعجب ما به لهجت ، تكرر فلان علينا ،
وتردده^٩ لدينا ، كأنكم جهلتم القوم وأطماعهم ، ولم تعلموا تطرفهم^{١٠} ،
وانتجاعهم ، وأنهم يتعللون بأدنى سبب في المراسلة ، امتراء^{١١} لأخلاف
العطاء ، وذريعة لاستجزال الحياء ، وقد شهير هذا من فعلهم ، في كل^{١٢}
جهة تكون من سلمهم^{١٣} ؛ فما [٦٣ ب] بالننا نُخَصَّ بهذه اللائمة
وجنائتها^{١٤} عليكم ؟ والإنصاف يقلب مَدَمَتَهَا عليكم ، أَلَمْ تُسَلِّمُوا مَنْ

١ انظر في هذا المثل ، فصل المقال : ٤٨ ، والميداني ١ : ٢٦٩ والعسكري ٢ : ٣١ .

٢ ب م : الجري .

٣ د ط س : وترسلون .

٤ التطرق : اتخاذ الطريق .

٥ د ط س : في سلفهم .

٦ د ط س : وخباثتها .

كان بكم مشتد^١ بعد العهود المؤكدة ، والمواثيق المشددة ؟ فاحتل العدو - قصمه الله - جهة^٢ لم تخطر^٣ بباله ، واستصرختم فلم تُصْرخوا ، واستنجدتم فلم تُنجدوا ، والنعم تُنتسِفُ ، والستورُ تنكشفُ ، والدماءُ تُسْفِكُ ، والحرمُ تنتهكُ ، والإسلامُ يعلّزُ علّز^٤ المحتضر ، وأهلُهُ للشُّركِ كالهشيمِ المحتظر ، فلا حرمةَ الإسلامِ رعيتم ، ولا ذمامَ المشاركةِ قضيتُم ؛ فلم تعدون ذلك من ذنوبنا ، وتبشونَ بذلك رُسُلَكُم في البلادِ ، وتنادون هَلُمَّ إلى الجهادِ ، تقولون بأفواهِكُم ما ليس في قلوبِكُم واللهُ يعلمُ ما تكتُمون^٥ ، بل تدبّون الضراءَ ، وتُسِرُّونَ حسواً في ارتقاء^٦ كلِّ ذلك بمرأى ومسمع منا ، وغيرُ غائبٍ عنا ، ولا نزدادُ مع حركتكم إلاَّ سكوناً ، ومع نخشتكم إلاَّ ليناً ، فأبقوا على الودِّ ما دام بوفائه ، وصونوا جمالَ الحالِ ما بقي بمائه :

ولا توبسوا بيني وبينكم الثرى فان الذي بيني وبينكم مثرى^٧
والعدو الذي حذرتم نحنُ أشدُّ حذراً منه ، وأعظمُ نفاراً عنه ، فقد صحَّ عندنا من أمرِهِ ، ما يضيقُ الصدرُ بحمله ، فيا للمسلمين ! تعالوا إلى التعاونِ ، واتفقوا ولا تفرقوا ، واتقوا عاقبةَ الخذلانِ . وقد ناديتُ إن اسمعتُ ، ونصحتُ بقدرِ ما استطعتُ ، فان وافقتُ قبولا ، ولقيتُ تأويلاً جميلاً ، فان الخيرَ عتيدَ ، والتناولَ غيرُ بعيدَ ، وإن كان للهوى سلطانُ ، وللتعسفِ

١ د ط س : مستبدأ .

٢ ب م : تخطر . ٣ يملز : تأخذه كربة الموت ؛ ب م س ط د : يعلق على .

٤ ناظر الى الآية : ١٦٨ من سورة آل عمران .

٥ في هذا المثل انظر فصل المقال : ٧٦ والميداني ٢ : ٢٥١ .

٦ البيت لجريز ، ديوانه : ٤٢١ وامالي القالي ١ : ٩٤ والسمط : ٢٩٢ والسان (ثرى) .

عدوان ، فأخلى بلامّة العزم أن يتدرعها مدرك لا يضام ، ومحرّب
لا ينام^١ ، يقتحم النار ، ولا يخشى العار ، في يوم لا تطلع شمسُهُ ،
ولا يُذكرُ أمسه :

تبدو كواكبه والشمس طالعة لا النور نور ولا الإظلام إظلام

وحينئذ تستغرب ما إليه أشرت ، وتستسهل^٢ ما منه حذّرت ، من استعمال
العقير البرشكوني على ما نهجت الحكماء عند إعضال الداء ، من استعمال
السّموم في أثناء الدواء ، ليتفق مزاجها ، وينفذ علاجها ، فان كان ما
يحاولونه من التدبير ، سبباً لذلك العقير ، فهو قريب عتيد ، وإن كنتم
على ما عهدنا فهو من جهتنا نازح بعيد ، وهذه جملة مفصلة ، وحقيقة
محصلة ، فإما ألّفة وانتظام^٣ ، واتفاق يحبي رمق الإسلام ، وإما داعية
تلف ، وراعدة صلف^٤ ، وهنالك تزل القدم ، ولا ينفع الندم .

فراجع ابن عباس أيضاً [٦٤ أ] برقة يقول^٥ فيها : التصدير
— أعزك الله — ب « كتابي » و « كتيب » ، وتوشحهما ب « كان » و « كنت »
بشر يرف على صفحة التملق زبرجته^٦ ، وسراب يحسبه الظمان ماء^٦
فيستدرجه :

١ ناظر الى قول المتنبي :

لا افتخار الا لمن لا يضام مدرك او محارب لا ينام

٢ د ط س : يستغرب . . . ويستسهل .

٣ د ط س : ونظام .

٤ ب م : دون صلف .

٥ ط د س : قال .

٦ ناظر الى الآية : ٣٩ من سورة النور .

ولا يَغْرُوكَ ذو مَلَكٍ وبشرٍ يقولُ وليس يعدو أن يقلا

فتحتَ رَغْوَةَ التصنُّعِ لبَنٌ صريحٌ^١ ، وعلى أديم التحقيق شعارٌ سليمٌ ، وبين
أثناء المناقلة جدٌّ كالقَدَرِ ينزلُ بكرةً وأصيلاً ، وفي تضاعيف المساجلة
هزلٌ كالنسيم الخَصيرِ يُهدي الشفاءَ قليلاً قليلاً^٢ ، وفي استرسالِ الصديقِ
سلوةٌ بالغةٌ ، وجناتُ عتابِهِ حلوةٌ سائغةٌ ، وإن أنحيتَ فيه على خَشِنِ
مِبرَدٍ ، وأرجَتَ شمائلَكَ الَّتِي هي جامدُ البَرَدِ ، ودبَّ بِشْرُكَ منه
بنَفَسٍ متداركٍ ، وأثرتَ عنه بغيرِ الكلامِ وهو باركٌ ، وساورتني ضئيلةٌ
ببائِكَ^٣ ، وألقيتُ السَّلَمَ إلى سلاطةِ لسانِكَ ، وبرئتُ إِلَيْكَ من عَهْدَةٍ
قِصْرِي عن ساحةِ طَوْلِكَ وَعَرَضِكَ ، وشهدتُ لك تَظامَنَ سَمَائِي عن
قَرارةِ أَرْضِكَ :

فما حَسَنٌ أن يمدَحَ المرءُ نَفْسَهُ ولكنَّ أخلاقاً تُدَمُّ وتُمدَحُ

وكلُّ ذلكَ لأشَقُّ كمامةَ صبرِي لك عن زهرةِ كلفِي بك ، وأتدَرَعُ
مُفَاضةَ الاحتمالِ منك جُنَّةً بَيْنِي وبين الشَّماتَةِ فِيك ، هذا - أعزَّكَ
اللهُ - حُكْمُ الصداقةِ الَّتِي وَضَعْتَ يَدَكَ على رُمَّتِها ، وخلعتَ نِجادَ
هواكِ على قَمَتِها ؟ فان أَسَمَحَ قِيادَكَ ، وأنِيسَ شِرادَكَ ، وأجريتَ في
روحِ الإخاءِ نَفَساً ، وَجَرَرْتَ على أديمِ الوفاءِ يداً مَلَسا ، فبِجَمِيلِ
ذَكَرِكَ أبدأ وأختمُ ، وفي حَيْزِ رضاكَ أَطِيرُ وأجثمُ . وأما قَعَقَعَتَكَ أبا عامرٍ

١ من المثل : تحت الرغوة اللبن الصريح (انظر امثال العسكري ١ : ٢٧٠ تحقيق ابو الفضل
ابراهيم) يضرب مثلاً للامر تظهر حقيقته بعد خفافها .

٢ من قول النابغة :

فبت كَأَنِّي ساورتني ضئيلة من الرقش في اذياها السم ناعم

بشنان الشُّرك ، واعتصامك^١ بغيرِ جبل^٢ الله ، وإزعاجك بكتائبِ
الروم ، وإبراقك بالإجلابِ على ملةِ التوحيد ، وإبعادك بمدرك لا يضام
يدرع لأمة العزم ، ومِحْرَبٍ لا ينام يقتحم النار ، ولا يجتنبُ العار ،
فاتقِ الله بحملك ، أليس الله^٣ بالمرصاد ، أم اتخذت على الغيبِ حميلاً ،
وأثيت على الحججِ ظهيراً ؟ وكفاك بهذا البيانِ سحراً في باب الجدل ،
وحسبك به فخراً على من تقدّم وتأخر ، وأما التخويف من اقتراب الساعة
بزلزلة الافرنجِ دفعةً ، ونتقِ الجبلِ فوق رءوسنا كأنه ظلةٌ ، فنازلةٌ
تُحركُ لها حوارَ الإيمان [فيحنُّ]^٥ ، وطامةٌ كبرى يعجُّ لها الإسلام
ويضجُ ، فبعضهم أولى ببعض [﴿] وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ [﴾]
(المائدة : ٥١) بحكم النص ؛ فدعْ ضَرْبَ مثلِ السوء [٦٤ ب] لنا ،
وعُدْ إلى ما هو أليقُ بكم وبنا ، فعلى الانصافِ من نفسه أدلةٌ واضحة ،
وعلى الحقِّ بين المنصفين سبيل^٦ لائحة ، واذكر شئونَ أحوالنا الأوّل ،
ورفرفُ بخواني الرجاءِ وقوادِمِهِ على أيماننا القدم :

وقلْ لخيالِ الحنظلية ينصرفُ إليها فاني واصلٌ حَبْلَ مَنْ وَصَلَ
فلا أعْرِفْنِي إِنْ نَشَدْتُكَ ذِمَّتِي كداعي هديلٍ لا يُجَابُ^٧ ولا يَمَلُ

١ ب م : وحذواذك .

٢ ب م : حزب .

٣ ط س د : هو .

٤ فيه إشارة الى الآية : (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) الاعراف : ١٧١ .

٥ من المثل : حرك لها حوارها تحن (انظر امثال الميداني ١ : ١٢٩) ، والحوار : ولد
الناقة ، ومعناه : ذكره بعض اشجانه يهيج له .

٦ د ط س : سبل .

٧ ط س م : كراعي هديل ؛ د : كراعي هديل ؛ ط د س : يخاف .

فأما أبا عامر وقد نحت أثلة الشك^١ لتستيقن ، وقرعت مرّوة الحديث لتستثبت ، فلا صدقتك سين^٢ بكري^٣ ، استنامة^٤ إلى صدقك ، ولأطلعنك^٥ على مثل ما أطلعت من غيبك ، وأقول لك قول من زفّ اليك ودّه براحة ثقتّه ، وأنباك^٦ ما عنده بلسان صداقته ، وقد تُعدي الصحاح مبارك^٧ الجرب^٨ ، ويغفر الله ظنوننا^٩ فبعضها إثم^{١٠} ؛ وفي هذين المثليين كيفية بدء الحال وعودها ، وجماع^{١١} ما يعبر به عن حورها وكورها ، وتحت جملتها تفصيل^{١٢} طويل ، وتفسير كثير ، بعيد^{١٣} مرّامه^{١٤} عليك قريب^{١٥} :

فنجي^{١٦} الفؤاد يعلمه^{١٧} العاقل قبل^{١٨} السماع بالإيماء^{١٩}
ولهذا اكتفى^{٢٠} البليغ^{٢١} من الإسهاب فيما يريد^{٢٢} بالإنحاء

غير أن الكنائف ترفض^{٢٣} عند المحفظات^{٢٤} ، والعجلة تترك^{٢٥} تبركاً بالأناة ، وإذا استكففت حاجب أفقنا بيد رفقك ، وأومات^{٢٦} إلى جونا برجع^{٢٧} طرفك ، أدرت^{٢٨} دراري الوداد^{٢٩} في مناطق أفلاكها ، وتركت^{٣٠} أعلام الوفاء ثابتة^{٣١} على أساسها ، وجلوت^{٣٢} أعراس الإخاء^{٣٣} في أحسن معارضها ، فما لنا لا نقير^{٣٤} الطير على وكنائنها ، وننكب^{٣٥} عن الأفاعي العزم^{٣٦} فلا نطوؤها في مراصدها^{٣٧} ، ونجانب^{٣٨} عن بنت الطريق إلى أمها ، ونسري^{٣٩} سرى النجوم^{٤٠} على سميتها^{٤١} ، ونعود^{٤٢} إلى التي هي أعدل^{٤٣} سنناً^{٤٤} ، قبل أن يسبق^{٤٥} السيف العدل^{٤٦} سفها^{٤٧} :

١ د ط س : أثلتنا .

٢ من المثل : صدقي سن بكره ، انظر فصل المقال : ٤٥ والميداني ١ : ٢٦٥ .

٣ انظر ص ١٦٢ الحاشية : ٣ . ٤ د ط س : ذنوبنا .

٥ البيهقان لابن الرومي ، ديوانه ١ : ١١٤ .

٦ من قول القطامي : وترفض عند المحفظات الكنائف ؛ ومعناه تتحلل الاحقاد والسخائم عند حلول الامور التي تستدعي الغضب ؛ انظر ديوانه : ٥٥ وفصل المقال : ٢١٤ والسمط : ٩٠٣ واللسان (كتف) .

٧ س : مصادرها .

فانَّ النارَ بالعودين تُسْذِكِي وانَّ الحربَ مبدؤها الكلام^١

فلنحمِ ثغرَ اليقين بجهادِ الشكِّ فيه ، ونسدَّ ثنايا النفاقِ على منفقيه ،
حتى ييأسَ أهلُ هذه البضاعةِ عن مساعي نائمهم ، ولا يجدوا محزاً^٢ لشفارهم ،
وكلُّ ذنبٍ دون الذمِّ لَمَمٌ ، والسهمُ لنا ما لم يُنبَضِ الوتر ، وان حلبنا
لم نردَّ في الضرع اللبن ، ولولا هناتُ سَلِّ العتابِ بيننا سخائمها ، وألأنَّ
تعاطينا النصفةَ شكائِمها ، لاختالت^٣ المنافرةُ بيهجتها وازينت ، ودارتُ
رحى الفتنةِ في قُطبها على ما خيَلتُ ، وإني وإن تقلدتُ بكَ الخطابِ
عن نفسي ، فتَبَّحتها كنايةً إليها أُشيرُ برمزي ، ومركزُ [٦٥ أ] حواليه^٤
أديرُ معاني لفظي ، ولم أتيهم صعيدَ هذه الغيطان فتمسحتُ بتربه ، ولا
انخرطُ في سلك الانطباع ففصلتُ بين دُرِّه بشدره ، إلاَّ وقد وُلِّيتُ
فَصَلَ الخطاب والحكومةَ باجماع ، ورضينا بما لنا و [ما] علينا في القضيةِ
دون ثانٍ^٥ ، ووُضِعَتْ واسطةُ القلادةِ لتعدِّلَ ، ويكفي منها ما أحاط
بالعنق^٦ ، فاذكرِ المثلَ فهو لفظ يجمع بين معنيين ، وجنسٌ يشتملُ على
نوعين ، أُشيرُ لك إليهما بقول الأول :

١ من أبيات تنسب لنصر بن سيار ، انظر مروج الذهب ٦ : ٦٢ وفصل المقال : ٢٣٣ .

٢ ووردت في مجموعة المعاني : ١٢ منسوبة لابني مريم البجلي .

٣ المعاني : ١٠٠ : ١٠١ .

٤ المعاني : ١٠٠ : ١٠١ .

٥ ١٠٠ : ١٠١ .

٦ المعاني : ١٠٠ : ١٠١ .

٧ المثل : « حسب رزقي من الدنيا ما سأل الله من رزقي » .

خليليَّ إنسانانِ دَيَّني عليهما مَلَيَّانِ لو شاءَ لَقد قَضَياني^١
خليليَّ أَمَّا أمُّ عَمروٍ عَلِمَتها^٢ وأما عَنِ الأخرى فلا تَسْلاني

وَحَقُّ هَذِهِ النِّكَتِ الكَامِنَةِ فِي ضَمِيرِ القُوَّةِ أَنْ تَخْرُجَ إِلَى حَدِّ الفِعْلِ بِمَرَّةٍ ،
وَلَا تُتْلَوَى فَتَرَاخِي كَأُلُولٍ وَهَلَةٍ ، فَيَسْتَحْتَاجُ فِي المِستَأْنَفِ إِلَى عَمَلٍ ، وَيَعِيدُ
القَضِيَّةَ جَذَعَةً مِنْ ذِي قَبْلِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُمَسِّكُ رَمَقَ الإِسْلَامِ فِي هَذِهِ
البَقْعَةِ ، وَيُقِيلُ عَثَرَتَهُ بِإِلْهَامِ أَهْلِهِ إِلَى مَا هُمْ عَنْهُ فِي غَمْرَةٍ .

قال أبو الحسن [ابن بسام] : وذكر بعضُ الرواةِ مِنْ نَقْلَةِ الأَخْبَارِ أَنَّ الوائِقَ
لَمَّا رَأَى أَحْمَدَ بْنَ الحَصِيبِ الكَاتِبَ يَوْمًا يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ تَمَثَّلَ بِالبَيْتَيْنِ
الْمُتَقَدِّمِينَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ سَلِيمَانَ بْنَ وَهْبٍ فَقَالَ : أَنَا وَاللَّهُ تِلْكَ الأُخْرَى ،
إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، قَالُوا : فَنَكِبَهُمَا بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ .

وله فصل من رقعة عنه إلى [ابن] مجاهد : [واتصل بي الحادثُ]
على^٣ القاضي أبي العباس - رحمه الله - فقسم ظهري ، وجلَّ مَصَابُهُ
عِنْدِي ، وَعَلِمْتُ مَوْضِعَ فَقْدِهِ مِنْ نَفْسِكَ العَزِيزَةِ - حَرَسَهَا اللَّهُ - وَأَشْفَقْتُ
مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ الأَشْفَاقِ ، وَاحْتَرَقْتُ نَفْسِي [لَهُ] أَبْلَغَ الاحْتِرَاقِ ، وَعَلِمْتُ
أَنَّهُ لَا بَدَّ فِي مُفَارَقَةِ الإِخْوَانِ وَثِقَاتِ الحَدِّمَةِ وَالْأَتْبَاعِ ، مَعَ طَوْلِ الصَّحْبَةِ
وَمُوَافَقَةِ الطَّبَاعِ ، مِنْ لَوْعَةٍ تَلْدَعُ الكَبِدَ ، وَتَفْتِ العُضْدَ ؛ لَكِنْ مَنْ كَانَ

١ البيتان في الاغاني ٢٣ : ٥١٦ ورواية الاول : من الناس إنسانان ؛ ويروى الشعر لابن
الدمينة ، انظر ديوانه : ٣١ ، ١٧٠ .

٢ الاغاني : فتمتها .

٣ ط س د : عن .

٤ في النسخ : من .

في قوى نفسه على خليقتك ، وجرى في اعتبار^١ الدنيا على طريقتك ، فهو يلقي خطوبَ الدهرِ ، بمجنّ من الصبر ، إذ قد ذاق حُلُوها ومُرّها ، وخبرَ صَفْوها وكَدَرها ، فليس حَدَثُ الزمانِ عنده بِنُكْر ، ولا خطبه لديه بَمَنكر ، وهو كما قيل :

وفارقتُ حتّى ما أراعُ من النوى وإن بانَ جيرانُ عليّ كرامُ

ومما زاد عليّ في الإشفاق ، ما كان لديه من الأعلاق — أوشك الله خلفها عليك ، ولا غيرَ نِعْمَةٍ لديك — وما قد فات من المال ، فهو ليومِ الحاجة ذخيرةٌ إلى صالح الأعمال ، وكلُّ جليلٍ [٦٥ ب] يصغر عندَ الدفّاع عن حَوَائِك ، وكلُّ خطيرٍ محتقر^٢ مع سلامتك وطولِ بقائك .

وله من رِقة^٣ عن إقبال الدولة إلى المعز بن باديس : أطال الله بقاء سيدنا الأجلّ رافعِ أعلامِ الهدى ، ومحبي كلمةِ التقوى ، وقوامِ أمرِ الدين ، ونظامِ شملِ المسلمين ، وشعارِ حِزْبِ المؤمنين ، وناظرِ عَيْنِ الزّمان ، وروحِ جسمِ الأوان ، وحسامِ عاتقِ الإسلام ، وحلّني جيّدِ الأنام ، محلّدةً دولته ، مؤيدةً حيثُ يَمَّمُ ، بَطَشَتُهُ .

وفي فصل منها : وإني وإن قعدتُ عن مناسكِ فرضها ، وتأخرتُ في مضمارِ قرَضها ، فإني مُغيَرُها ضميراً كما أنبلج النهار ، وشكراً كما أرجَ النّوار ، وهل أنا إلّا أحدُ أبنائها ، وشُهْبِ سَمائها ، وشيعةٍ^٤ علائها ،

١ ط د س : اعتياد .

٢ ط س : يحتقر .

٣ ط د س : أخرى .

٤ ب م : يمت .

٥ ط د س : وشيعة .

وَأَن جَدَّمَ نَائِي الدار ، كَفَّ الخيار ، ففي البعد اعتذار ، وفي الجهدِ
إعذار ، وإن مع التجاورِ لَيُعْلَمُ العيان ، ومع التحاورِ لِيَطْمَئِنَّ البرهان ، ومع
التزاورِ لتزولِ الأحوالُ ، ومع التقاربِ ليقعُ الإخلال ، والقوى [المخلوقاتُ]
قريبةُ الانحلال ، سريعةُ الانفعال ، والنيراتُ على وفورِ ضيائها ، وظهورِ
سنائها ، فيما لا تُقَابِلُ كليله ، وعندما لا تُسَامِتُ^٢ عليله ، وفيما لا تناولُ
ضئيلة ، وما قُنْيَةٌ^٣ ورثتها ، ونعمةٌ طُوْقَتْهَا ، وَرَفَعَتْهُ^٤ أَلْبِسَتْهَا ،
بمكفورةِ آثارها ، ولا مسودةِ أنوارها ، ولا مواتي إلى الدولة العلية
بطارقةٍ ، ولا شوافعي لديها بمستانفة .

وله من أخرى عن المنصور إلى أهل قرطبة : إن كنتُ منكم بِنَبْوَةٍ ،
وعنكمُ بِنَجْوَةٍ ، فإني شهيدُكُمْ بنفسي ، وقسيمُكُمْ بحالي ، أراكم
بعينِ المشاهدة ، واكلاًكُمْ بعينِ الإحاطة ، أعدُّ كبيرَكُمْ كالعمِّ ،
وصغيركم كابنِ الأمِّ ، فأنتم الأهلُ والجيران ، والذخائرُ للزمان ، في الدار
التي منها خَرَجْتُ ، والبَيْضَةُ التي فيها نشأت ، أفضلُ دارٍ تكنفني
عما بها ، وأوَّلُ أرضٍ مسَّ جلدي ترابها ، فلو أمكنَ أن تصيرَ إليكم
أمدادي مع الرياح ، وتطيرَ نحوكم أجنادي بألفِ جَنَاح ، ملبياً لدعوتكم ،

١ ب م : لتزور .

٢ ط د س : يقابل ... يسامت .

٣ ب م : فتية ، وسقطت العبارة من ط د س .

٤ من قول الشاعر :

أحب بلاد الله ما بين منعج الي وسلمي ان يصوب سحابها
بلاد بها عقى الشباب تمائمى وأول أرض مس جلدي ترابها

وَمُسَارِعاً إِلَىٰ نَصْرَتِكُمْ ، لما تأخَّرَ ذلك عنكم طُرْفَةً ، ولا تَلَبَّثَ^١ خطفة ،
لكنَّ عوادي^٢ الفِتَنِ ، وعوائقَ الزَمَنِ ، مَنَعَتْ من العَجَلَةِ قبلَ إحكامي
لما حاولتُهُ من تأليفِ^٣ الكلمة ، فربَّ عجلة تهبُّ ريثاً ، ومن أعدَّ
للأُمُورِ عُدَّتَهَا ، وأخذ لها شِكَّتَهَا ، كان قميناً^٤ أن يكونَ نظرهُ نافِعاً ،
ودواؤه ناجعاً . ولم أزلُ أَحْسِمُ العِلَلَ ، وأقطع [٦٦ أ] بالفتنةِ دونَ
الأملِ ، حتَّى لانتِ الأَيامُ بالسَّماحِ ، وسكنتُ بعدَ الجِماحِ ، وصارَ
المسلمونَ إخوةً ، وفي جميلِ المعاشرةِ أسوةً ، وقبلَ الرميِ تُرَاشُ السِّهامُ^٥ ،
ويحسنُ التناولُ بقربِ المرامِ ، ورأيتُ أن استتلافَ^٦ القلوبِ المتنافرةِ ،
وتواصلَ الأهواءِ المتدابرةِ ، أقوى أسبابَ النِّجاحِ ، وأشدُّ الأَعوانِ على
الفلاحِ ، فتأخَّرتُ عنكم متقدِّماً إليكم ، وتبَقَّيْتُ^٧ دونكم وافداً^٨ عليكم ،
ولم أَفْنَعْ من الأُمُورِ بغيرِ التحقيقِ ، ولم أَرْضَ من المركبِ بالتعليقِ ، وقد
نَقَذْتُ ثِقائي إلى الجهاتِ لتخيَّرَ^٩ الأجنادُ [وانتخالُ الأنجادِ] ، ليكونَ
جميعُهُمْ صَفوةً ، ولا يَشُوبُهُمْ أَحَدٌ من الحَشْوَةِ ، وشرطتُ أن يتوجهَ

١ د ط س : لبث .

٢ د ط س : عوائد .

٣ د ط س : تألف .

٤ انظر هذا المثل في فصل المقال : ٣٣٥ والميداني ١ : ١٩٨ والمسكري ١ : ٣١٣ .

٥ ط د س : قمناً .

٦ من المثل : قبل الرماء تملأ الكنانان (الميداني ٢ : ٣١) .

٧ ط د س : اثتلاف .

٨ ط س : وتبقيت ؛ د : وتسقيت ؛ ب م : وتمنيت .

٩ م ب : واجداً .

١٠ د ط س : إلى الجهاد لتجهيز .

من قِبَلِي إليكم ، ويفد منهم عليكم ، مَنْ له المزية والظهور ، والغناء المشهور ، أولو البأس والنجدة ، والثبات والشدة^١ ، والقلوب الأبيّة ، والأنوف الحميّة ، يسمحون عنكم ببذل النفوس ، ويقوم الواحد منهم مقام الخميس ، تمتلئ العيون منهم قرّة ، والنفوس مسرّة ، وفي الثالث من [يوم] كتابي هذا ينفذ إليكم من الوزراء مَنْ تكون حركة الخيل معهم في زمان معروف ، [واجتماعها] في مكان موصوف ، إن شاء الله ، ليصحّ عند العدو - قصمه الله - أن الأيدي قد ارتبطت عليهم ، وأن الأعنة قد صُرِفَتْ إليهم ، وأن الوقت قد أُرِف ، والغطاء قد كُشِف ، فيا ليت شعري أين المفرّ ، أم يقولون نحن جميع صبر ، ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر : ٤٥) .

انتهى ما تلخصته من كلام^٢ أبي عامر ، موجز^٣ الموارد والمصادر ، ويتلوه مما يفى بشرط الكتاب من أخبار هذا الأمير ، عبد العزيز بن أبي عامر المذكور ، وعبد الملك ابنه ، صِيَابَة دولتهم ، اللذين جاءا في آخر الرعيل ، وردّا هذا الاسم على الحمول .

١ ب م : والشدة . . . والنجدة .

٢ د ط س : اخبار .

٣ ب م : من موجز .

٤ د ط س : الرئيس .

إيجاز القول عن إمارة عبد العزيز بن أبي عامر وابنه ببلنسية وأعمالها^١

قال أبو مروان [ابن حيان] : هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر . كان الموالي العامريون عند ذهاب مجاهد عنهم قد أسندوا أمرهم إلى نَصَرٍ من مَشِيخَتِهِمْ ، فتشاوروا في ارتياد أميرٍ من أنفسهم يعترفون له ، فاتفقوا على ابن مولاهم عبد العزيز هذا لإيثاراً له على ابن عمته ، محمد بن عبد الملك ، وكان مقيماً بقرطبة ، وعبد العزيز بسرقسطة في كَنْفِ منذر بن يحيى [منذ التجأ إليه غباً الحادثة بقرطبة ، فدسوا إليه سرّاً من منذر بن يحيى] فأحكم له التدبير ، وخرج سرّاً من سرقسطة ، فلحق ببلنسية ، فاستقبله الموالي العامريون أفواجا ، وقلدوه رياستهم . وكان عبد [٦٦ ب] العزيز هذا من أوصل الناس لرحمه^٢ ، وأحفظهم بقرابته ، ابتعثه الله رحمةً للمُستَحْنين من أهل بيته فأواهم ، وجبر الكسير ، واكتنف الطريد ، ونعشَ الفقير ، طول مدته ، إلى أن بلغ من ذلك مبلغاً أعيا ملوك زمانه . وخاطب لأول حينه الخليفة القاسم^٣ بقرطبة مع هدية حسنة وذكره بأيام سلفه ، فقبل القاسم هديته ، واعترف بوسيلته ،

١ انظر المغرب ٢ : ٣٠٠ وأعمال الاعلام : ٢٢٤ وابن خلدون ٤ : ١٦١ ، وقد نقل ابن عذاري (البيان المغرب ٣ : ١٦٤) هذا النص . وراجع Hist. Mus. de Valencia ٢ : ١٦٣ وما بعدها .

٢ ب م : ثم .

٣ ط د س : من أوصلهم لرحمه .

٤ هو القاسم بن حمود الحسني ، بويغ سنة ١٢٤ ، ثم انتزع قرطبة منه يحيى بن أخيه ثم عاد القاسم إليها وبقي فيها حتى خلع سنة ١٤٤ .

وَعَقَدَ لَهُ عَلَى أَعْمَالِهِ ، وَسَمَّاهُ الْمُؤْتَمَنَ ذَا السَّابِقَتَيْنِ ، فَتَوَطَّدَ سُلْطَانَهُ ،
وَأَشْتَمَلَ عَلَى خِدْمَتِهِ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى سَمَّاهُمْ النَّاسُ الطَّبَائِعَ الْأَرْبَعَ ،
وَهُمْ : ابْنُ طَالُوتَ وَابْنُ عَبَّاسٍ [وَابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ] وَابْنُ التَّائِكِرِيِّ الْمَذْكُورِ ،
كَاتِبُ رِسَائِلِهِ وَمَكَانُهُ مِنَ الْأَدَبِ وَالْعِلْمِ وَالذِّكَاءِ مَكِينٌ ، فَاَنْتَشَرَ كَلَامُهُ ،
وَاعْتَلَى ذِكْرُهُ ، وَلَمْ تَزَلْ حَالُهُ تَسْمُو حَتَّى اتَّصَلَ بِوِزَارَتِهِ فَنَالَ جَسِيمًا مِنْ
دُنْيَاهُ .

فَلَمَّا كَانَ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ اعْتَلَى عِلَّةً أَعْيَا عِلَاجُهَا ، وَاخْتَلَفَتْ
نُوبُهَا ، تَطْمِعُهُ تَارَةً وَتُؤْيِسُهُ أُخْرَى ، وَالْإِرْجَافُ لَا يَفْتَرُّ عَنْهُ ، إِلَى
أَنْ قَضَتْ عَلَيْهِ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنَ الْعَامِ ، فَاجْتَمَعَ أَصْحَابُهُ عَلَى تَأْمِيرِ وَلَدِهِ
عَبْدِ الْمَلِكِ^١ ، وَقَامَ لَهُ بِأَمْرِهِ كَاتِبُ وَالِدِهِ الْمُدَبِّرُ لِدَوْلَتِهِ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ،
[الْمَشْهُورُ مَعَ مَعْرِفَتِهِ بِابْنِ رُوبِش^٢ الْقُرْطُبِيِّ ، وَكَانَ مَوْصُوفًا بِالرَّجَاحَةِ ،
فَأَحْسَنَ هَذَا الْكَاتِبُ مَعُونَتَهُ عَلَى شَأْنِهِ ، وَتَوَلَّى تَمْهِيدَ سُلْطَانِهِ ، وَاسْتَقَرَّ
أَمْرُهُ عَلَى ضَعْفِ رُكْنِهِ ، لِعَدَمِ الْمَالِ ، وَقِلَّةِ الرِّجَالِ ، وَفَسَادِ أَكْثَرِ الْأَعْمَالِ .
وَرَاعَى هَذَا الْكَاتِبُ [الشَّهْمُ مَدْبَرُ هَذِهِ الدَّوْلَةِ فِي هَذَا الْمُؤَمَّرِ عَبْدِ الْمَلِكِ
مَكَانَ صَهْرِهِ وَظَهِيرِهِ الْمَأْمُونِ يَحْيَى بْنُ ذِي النُّونِ ، إِذْ كَانَ صَهْرَ عَبْدِ الْمَلِكِ
أَبَا أُمْرَأَتِهِ ، الْمُسَاهِمَ لَهُ فِي مُصَابِ أَبِيهِ ، الْمَعِينَ لَهُ عَلَى سَدِّ ثُلَمِهِ ، الذَّائِدِ
عَنْهُ كُلِّ مَنْ طَمَعَ فِيهِ ، فَاَنْزَعَجَ ، عِنْدَ نَزْوِلِ الْحَادِثَةِ ، مِنْ حَضْرَتِهِ^٣ طَلِيْطِلَةَ
إِلَى قَلْعَةِ قُبُونِكَةَ مِنْ طَرَفِ أَعْمَالِهِ ، لِلدَّنْوِ مِنْ صَهْرِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَبَادَرَ
بِإِنْفَازِ قَائِدٍ مِنْ خَاصَّتِهِ وَبِالْكَاتِبِ ابْنِ مِثْنَى إِلَى بَلَنْسِيَةِ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ ،
أَمَرَهُمْ بِالْمَقَامِ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَشَدَّ رُكْنَهُ ، فَسَكَنْتُ الدَّهْمَاءُ عَلَيْهِ . وَمَضَى

١ د ط س : تَأْمِيرِ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنَهُ .

٢ ط د س : رُوبِشَ ، وَالتَّصْحِيحُ عَنِ الْبَيَانِ الْمَغْرِبِ .

٣ ط د س : حَضْرَةِ .

عبد العزيز أبوه لسبيله غير فقيد المكان ، ولا عزيز الشأن ، ولا مُبتك^١ لسمائه ولا أرضه ، ما فُجِعَ به إلاّ [ذوو] رحمه [من] آل [أبي] عامر لتناهيهِ في صلتهم . حتى صار إسرافه في ذلك من أضرّ الأشياء بلحده ، وأجلبها لذمه ؛ له في ذلك أخبارٌ مأثورة ، فتوفي وهو أطولُ أمراء الأندلس مدّة إماره ، تملّاها أربعين حجة ، إذ كانت إمارته ببلنسية صدرَ سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ، فسبحانَ المنفردِ بالبقاء ، الأول قبل الأشياء .

فصل في ذكر الوزير [٦٧ أ] الكاتب أبي المطرف عبد الرحمن بن فاخر المعروف بابن الدباغ وإثبات جملة من نثره ونظمه^٢ .

وكان^٣ أبو المطرف هذا أحد من خُلِّيَ بينه وبين بيانه ، وجرى السحرُ الحلال بين قَلَمِهِ^٤ ولسانه ، وكان استوحش من أمير بلده ، ومقيم أوّده ، ابن هود المقتدر^٥ . فخرج عنه وفرّ ، وفارق عزّ ذلك المقام ، « ونجا برأس طمرة ولبام »^٦ فأجزلَ المعتمدُ بن عباد قِراه ، ووسّع^٧ له ذراه ،

١ ط س : سبك ؛ د : سبك .

٢ ترجمة أبي المطرف ابن الدباغ في القلائد : ١٠٦ والمغرب ٢ : ٤٤٠ والخريدة (قسم المغرب والاندلس) ٢ : ٣٤٩ (٣٨٧) والمسالك ٨ : ٢٢١ .

٣ نقل ابن سعيد بعض هذا النص في المغرب .

٤ ط س د : قلبه .

٥ ط س : المقتدر بن هود .

٦ من قول حسان بن ثابت يعير الحارث بن هشام بفراره (ديوانه ١ : ٢٩) :

ترك الاحبة ان يقاتل دونهم ونجسا برأس طمرة ولبام

٧ ط د س : وأوسع .

وأفردةٌ بحظٍّ من دنياه . وخصّه بمكان سِرّه^١ ونجواه ، وسفر بينه وبين المتوكل بن الأفضس أيامَ كونه بيابرةً ، حين أخذ أخوه [يحيى] بيكظميّه . وهمّ بالنزول على حكم المعتمد أو حكمه^٢ ، وقد كان ابن عباد فعرفاه على المتوكل . وقدّر أن ينيخ عليه [بكلّكل - حسبما قدمته] في أخباره - فوعده بالغرور^٣ . وزخرف له شهادت زورٍ ، على لسان [هذا] الوزير أبي المطرف المذكور . [فلما حاوَرَهُ وناظره ، خصّه] بنصيحة وآثره ، ومثّل له ذلّة المزعولين ، وذكره بفعل معاوية يوم صفّين ، فأوجده سبيلاً ، ودرّجه قليلاً ، ومات أخوه المنصور يحيى بعقب ذلك ، فورثه الله ملكه ، ونظم سلّكه ، فرحل إليه أبو المطرف ملياً بحجّ وعُمرة ، متوسلاً بسابقي أنصاريّة^٤ وهجرة ، فصادف وجهاً خصيباً ، ومكاناً من العزّ رحيباً .

وكان سببُ خروجه من اشيلية - فيما حدثني بعضُ وزرائها - أنّه تشاد^٥ مع ابنِ عمّار . فأشار المعتمدُ إلى حَسَمِ ذلك بين يديه ، فأبى أبو المطرف عليه ، ثم اجتمعا بعد في مجلس أنسٍ دون رأيه ، فأمر المعتمد بنفيه ، وقد كان أيضاً بلغ أبا المطرف أنه قدح فيه بمجلس المعتمد وقُرِفَ بشيءٍ أقلقه ، وذلك أنه كان يعاني الخضابَ ويثابرُ عليه ، فقال بعضهم فيه :

خضابٌ لعمرك لا للنساءِ ولكنّه لفحول الرجالِ

١ ب م : من سره .

٢ ط د س : وحكمه ؛ ب م : على حكمه أو حكم المعتمد .

٣ ط د س : الغرور .

٤ ب م : فدخل .

٥ د ط س : بحجة .

٦ د ط س : نصرة ؛ ب م : انصاره .

٧ ط د س : تشاجر .

فخاطبه بشعر قال فيه :

يُهانُ بِحمصٍ عزيزُ الرجالِ وَيُعزَى إليهمُ قبيحُ الفَعَالِ
وَيُعزَى ذوو النقصِ من أهلها بتلطيخِ أعراضِ أهلِ الكمَالِ

فوقع المعتمد على ظهرِ رقعة بهذين البيتين :

شعرتَ فجئتَ بعينِ المحالِ وما زلتَ ذا خطلٍ في المقالِ^١
متى عزَّ في حمصٍ غيرُ العزيزِ أو ذل^٢ غيرُ النميمِ الفَعَالِ

فلما قرع سَمْعُهُ البيتان أخذهُ الأفكَلُ ، وخرج من حينه وكان يحدث نفسه بالتحول ، [٦٧ ب] إلى أن نفاه^٣ ، فلهق بالمتوكل فأواه ، وأجزل قراه ، وخاطب المعتمد في معناه ، ورحَّب به في بَطْلَيْوُسَ مِثْواه ، إلى أن اشتعلت بينه وبين الوزير أبي عبد الله ابن أيمن^٤ نارٌ ملأ الأفقَ شُعاعها ، وأخذَ بأعنانِ السماء ارتفاعها ، فكَرَّ راجعاً إلى سرقسطة ، فَتَقَسَّلَ ببستانٍ من بساتينها ، بعد مديدة من لحاقه بها ، ورثاه الوزير أبو محمد بن عبدون بأبياتٍ أعربت عن ودِّه ، ودَلَّتْ على كرمِ عهده ، وقد أثبتتها من هذا التصنيفِ بحيث أجريت من ذكره ، فيما انتخبته من نظمهِ ونثرهِ^٥ ؛ وأثبت من كلامِ أبي المطرف هاهنا ، ما يشهدُ بفضله ، ويدلُّ على نبله .

١ لم يردا في ديوان المعتمد .

٢ د ط س : ذم .

٣ ط د س : حتى نفاه .

٤ ط د س : المنصور .

٥ ترجم له ابن بسام في القسم الثاني من الذخيرة ، وأشار إلى تضايقه من قدوم ابن الدباغ إلى حضرة بطليوس .

٦ ط د س : الآفاق .

٧ ط د س : من شعره .

جملة من رسائله في أوصاف شئ

* من ذلك فصول له في ذمّ الزمان [وبنيه] ، وتعذّر آماله فيه *

فصل له من رقعة : أَوْحِشْ بِأَيَّامٍ أَقْطَعُهَا وَأَفْنِيهَا ، وَأُثْوَبِ عَيْشٍ
أَخْلَقَهَا وَأُبْلِيهَا ، بِحَيْثُ لَا أَرَاكَ عَيَانًا ، وَلَا أُمْلِكُ مِنْ أُنْدِيَتِكَ ^١ مَكَانًا ،
حَتَّى أَعْتَزَّ بِكَ مِنْ هَوْنٍ أَغْضِي فِيهِ عَلَى الْقَذَى ، وَأَصْبِرُ مِنْهُ عَلَى حَزٍّ ^٢ الْمُدَى ،
وَأَتَمَيِّزَ مِنْ طَبَقَةِ الْإِتْضَاعِ وَالِاسْتِخْذَا ، وَأَعْظُمُ تَلَهْفِي بِمَاضٍ مِنَ الدَّهْرِ
بَغَيْرِ مُسْتَفَادٍ ، وَذَاهِبٍ مِنَ الْعَمْرِ لَيْسَ بِمُسْتَعَادٍ ، وَلَيْتَ شِعْرِي أَتُنْجِزُ
الْأَيَّامُ مُوَعِدًا ^٣ ، أَوْ تُدْنِي مِنْ الْأَمَلِ بَعِيدًا ، فَتَرْضَى بِمَا أُسْخَطْتُ ،
وَتَعْتَذِرُ بِمَا أَذْنِبْتُ ، وَتُنْسِي مَضَضَ شِدَّتِهَا بَلِيَانٍ ، وَتَمْحُو أَثَرَ إِسَاءَتِهَا
بِإِحْسَانٍ ؟ ! مَا تَحْدِثُنِي بِذَلِكَ نَفْسِي ، وَلَا إِخَالُ أَنْ زَمَانِي يُذْعِنُ بِإِسْمَاحٍ ،
وَلَا يَزَالُ مُسْتَمِرًّا الْجَمَاحِ ، وَمَا الْحِيلَةُ إِنْ أَبَى سِوَى التَّعَلُّلِ بِالْمُنَى ، وَالِاسْتِرَاحَةِ
بِلَعْلٍ وَعَسَى ؟ وَبُودَيَّ لَوْ مَلَكَتُ عَنْ هَذِهِ الشُّكُوى لِسَانِي ، وَأُمْسَكَتُ فِي
الْبُوحِ بِهَا مِنْ عَنَانِي ، وَأَخَذْتُ نَفْسِي بِأَنَانِهَا ^٤ ، وَأَنْظَرْتُ الْأَقْدَارَ ^٥ إِلَى
أَوْقَاتِهَا ، حَتَّى لَا أَسُوءَ وَلَا أَنْكَدَ ، بِمَا أُرَدُّ مِنْهَا وَأُرَدَّدُ ، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ
مَغْلُوبٌ بِالْإِضْطِرَارِ ، مَعْدُولٌ عَنْ وَجْهِ الْإِخْتِيَارِ ، وَمِنْ أَتَى

١ د ط س : أنسك .

٢ ط د س : حد .

٣ س : موعدا ؛ ط : وعودا ؛ د : موعدا عودا .

٤ ط د س : .

٥ ط د س : .

٦ ب م : .

٧ د ط س : .

أنوي في كتيبي أن تكونَ من الشكوى خالية ، وبزينةِ التجميلِ حالية ،
ولسانُ الحالِ تأبى إلاّ أن تبوحَ بمضمرة السرِّ ، وتكشفَ عن حقيقة الأمر ؛
وقد كان لي عنه معزلٌ إلى وصف ما للبين بقلبي من جرح وآثار ، وللشوقِ
بين جوانحي من وقود وأوار ، فإنه مَذَنَّبٌ يحولُ فيه القولُ كلَّ مجال ،
ويشالُ عليه الكلامُ أيّ انثيال ، وتتأتى به الألفاظُ لازدواجها ، وتراءى
المعاني في معرض انتاجها ، ولئن لم أبدأ به لعلَّه قَصَدْتُ ، وإياهُ أردتُ ،
وقد اكتفيتُ منه بما أثبت . ورقعتُ . انتهيت [٦٨] .

وله في مثله من أخرى : قد كنتُ أوْمَلُ هذا التلاقي ، لأشكو فيه
إليك دواهيَ بَلَغَتْ بالنفوسِ التراقي ، وصيرتِ المنايا أُماني ١ ، فمن
لي الآن به وبوصولي إليك حيث أنت ، ودونك ما لا يخفى عليك ، وقد
عرض الماءُ لعيني فكيف أُرِدُّ . ومن أين أقصِدُ ، اللهُ حسبي في سوءِ
جَدَّتِي ، وأنت وليُّ عذري ، في الحضورِ بالمكاتبة إذ لم أجدُ سبيلاً إلى
المشافهة ، ولا أكْذِبُكَ . ضاقتُ بي الأرضُ كلِّها ، وانسَدَّتْ عليَّ
سبلها ، وضللتُ عن كلِّ عزاءٍ وتماسكٍ ، وأُسْلِمْتُ إلى كلِّ بأسٍ
وتهاك ، فتداركني ممزقاً ، ونجّتي غرقاً ، وأحْبَبْتَنِي بِأَلَاك ٢ ، واعرض
حالي على اهتبالك ، عسى أن يتجهَ للفرجِ وجهي ٣ ففجر .

وله من أخرى : كلُّ يومٍ تظهرُ من فناءِ السبابِ ، وتطلُعُ من
الطافِ بركَ غرائبُ ، تُشعِي بها محاسنُ ١ ، وتزهدُ معها
مآثرُ من تهممُ ، حتى كأنَّ الجميلَ ٢ ، والالطفَ ٣ .

١ فيه إثارة من قول المتنبي : كلُّ يومٍ تظهرُ من فناءِ السبابِ .

٢ ط د س : له .

٣ ط د س : فعملك .

لم تُفْهَمَ بَعْدُ دَقَائِقُهُ ، إلى أن أتيتَ فاختَرْتَ من ذلك سُنَنًا^١ وبدائع ،
لا يزالُ مثلها^٢ لأولي الفضل شرائع ، وأنوارها في فَلَكَ الفضل^٣ سواطع ،
فما أسعدَ من تَمَسَّكَ بعصمتك ، واعتزى إلى جملتك !! !

وفي فصل منها^٤ : وكتابي [هذا] وأنا كما تدريه ، غرض^٥ للأيتامِ
ترميهِ ، ولكنني غيرُ شاكٍ من آلامها ، لأنَّ قلبي في أغشِيَةِ من سهامها ،
فالنصل على مثله يَقَعُ ، والتألمُ معَ هذه الحالِ يرتفع^٦ ، وكذلك التقريعُ
إذا تتابعَ هان ، والخطبُ إذا أفرطَ في الشدةِ لان ، والحوادثُ تنعكسُ
إلى أضداد^٧ ، إذا تناهتْ في الاشتداد ، وتزايدت على الآماد^٨ .

وبعض ألفاظ هذا الفصل محلول^٩ من قول المتنبي حيث يقول^{١٠} :

رمانى الدهرُ بالأرزاءِ حتى فؤادي في غشاءٍ من نبالِ
فكنت^{١١} إذا أصابني سهامٌ تكسرتِ النصالُ على النصال

وله من أخرى : لا تستغربُ — أعزَّكَ الله — ما صادفتَ [لي] هنالك من
تعذُّرٍ وحرمان ، كما لا أستغربُ ما ألاقيه عندنا من تسليط^{١٢} وعدوان ،

١ ط د س : شيئاً لم يكن .

٢ د ط س : لا تزال امثلتها .

٣ د ط س : المجد .

٤ انظر هذا الجزء من الرسالة في القلائد : ١٠٧ والخريدة ٢ : ٣٥٠ ، وقد قال الفتح انه

وجه بهذه الرسالة الى ابن حسداي .

٥ القلائد والخريدة : بهذه الحالة قد ارتفع .

٦ ط د س : الأضداد .

٧ القلائد : اضدادها اشتدادها آمادها .

٨ ديوان المتنبي : ٢٥٤ .

٩ الديوان : فصرت .

١٠ ط د س : نشاط .

فالنحوسُ كُلُّها مجتمعةٌ لي في قران ، ولا تعجبُ إلاَّ لثبوتي لما لا يثبتُ
 عليه الحلقُ السردُ ، وبقائي على ما لا يبقى عليه الحجرُ الصلدُ ، وبالجملةِ
 لا تسألُ عن الحالِ فقد صار في عينيَّ معمورُ الكُرة ، أضيقَ من خُرَّتِ
 الإبرة ، واستبهمتُ ليَ المطالب ، وانسدَّتْ عليَّ المذاهب . فما أدري
 أيَّ وجهٍ أَيْتَمُ^١ ، ولا [٦٨ ب] على أيِّ أمرٍ أعزم ، ويا ليت شعري
 أين الفرجُ فهذا التناهي ، وقد بلغت القلوبُ الحناجرَ ومَتَى التلاقي ؟ نستغفرُ
 الله من هذا الضَّجَر ، ونعوذُ به من السخطِ على القدر ، ونسأله صبراً
 يشتدُّ لشدائدِ^٢ النَّوَبِ حتى تجوزَ وتعبر ، وتوفيقاً يهدي في غياهبِ الكُربِ
 حتى تنجلي وتُسْفِر .

وله في فصلٍ من أخرى^٣ : كتابي وعندي من الدهر ما يهدُ أَيْسَرُهُ
 الرواسي ، ويفتتُ الحجرَ القاسي ، < فانا وإياه > فرسا رهان :
 * يُجدُّ نوائباً وأجيدُ صبراً *

ومن أجلَّها قلبُ محاسني مساوي ، وأوليائي أعادي^٤ ، وقصدي
 بالبغيضة من جهة المِقَّة ، واعتمادي بالخيانة من حيث الثقة ، فقسُ بهذا
 على ما سواه ، وعارضُ به ما عداه ، ولا أطولُ عليك فقد غيَّرَ عليَّ
 حتى شرابي ، وأوحشني حتى ثيابي ، فها أنا أتتهمُ عياني ، واستريبُ من
 بناني^٥ ، وأجني الإساءة من غُرسِ إحساني ، وقاتل الله الخطيئةَ في

١ ط د س : أين أيمم . ٢ ط د س : لنوائب .

٣ انظر القلائد : ١٠٧ والخريدة ٢ : ٣٥٠ والمغرب ٢ : ٤٤٠ ، وقد خلط صاحب القلائد
 والخريدة بين هذه الرسالة والتي تقدمتها .

٤ ب م : يمجيد ، وسقط من د ط س .

٥ ط د س : مساويا . . . أعاديا . ٦ د ط س : بياني .

قبره ، فلشدّ ما غرّ بقوله ^١ :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه^٢ لا يذهب العرف بين الله والناس^٣
من يزرع الخير يحصد ما يسرّ به وزارع الشرّ منكوس^٤ على الراس

أنا والله اغتررت به وفعلتُ خيراً فعدمتُ جوازيه ، وأذممتُ^٥ عوائده^٦
ومباديه ، وزرعته فلم أحصد^٧ إلاّ شرّاً ، ولا اجتنيثُ معه^٨ إلاّ ضرّاً ،
وهكذا جدّتي ، فما أصنع وقد أبى القضاء^٩ إلاّ أن أقضي^{١٠} عمري في
بؤس ، ولا أنفك^{١١} من نحوس ، ويا ليتَ باقيه قد انصرم ، وغائبَ الحمام
قد قدم ، ففسي أن تكونَ بعد الممات^{١٢} راحة^{١٣} من هذا النصب ، وسلوة^{١٤}
عن هذه الخطوب والكرب^{١٥} ؛ ودعُ بنا هذا التشكي فالدهرُ ليس بمعتبٍ^{١٦}
من يجزع^{١٧} ، ولا بمشفقٍ على من توجع^{١٨} ، واطرحُ بنا هذا القولَ في
الرياح ، واعدلْ بنا عن الجِدِّ إلى المزاح .

وله من أخرى : كتابي والحال على ما أسألُ اللهَ لها تبديلاً وإدالةً ،
ولعثرةِ الجِدِّ فيها استقلالاً وإقالةً ، ولستُ أشكو إلاّ زماني وقعوده^{١٩}

١ د : بقوله في شعره ، وكذلك هو في القلائد .

٢ البيت الاول وحده للحطينة في ديوانه : ٢٨٤ ، وانظر ما تقدم ص : ٢٢٨ .

٣ د ط س : وذممت ؛ القلائد والخريدة : وما حمدت .

٤ د ط س والقلائد : منه .

٥ القلائد والخريدة : افني .

٦ د ط س : ان يكون الممات .

٧ د ط س والقلائد والخريدة : والنوب .

٨ من قول ابني ذؤيب :

امن المنون وريبتها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

٩ الخريدة والقلائد ، وما في الايام رجاء ولا مطمع ؛ ط د س : ولا بمستقر على من يرتجع .

يُجَدِّي ، وقبيح آثاره عندي ، فإنه وإن كان على الكلّ عادياً ، وللجميع بكأس مكروهه ساقياً ، فيخصني بمزية حرمان ، ويتوخائي بفضلـة عدوان ، ويجعلني نصّب سعيه ، وغرض رميه ، ومكان أذايته وبغيه ، حتى كأني أبديت له معايير ، وأدرت عليه دواير ، ودالت العالم [٦٩ أ] على جورهِ في الحكم ، وتطبعه في الظلم ، وحسبي الله تعالى فيما أسخط وأرضى . ومع ما ذكرته في من الصبر جانب ، وإن حميت^١ منه جوانب ، ومعني من التجلت بقیة وإن سلبته^٢ السوالب .

وفي فصل من أخرى : ربما كتبت تارة واستوقفت أخرى ، وليس ذاك لتلون وانقلاب^٣ ، وأقن في الرأي واضطراب ، ولكني بحسب الحال أكتب ، وعلى قدر تقلب الخطوب عليّ أنقلب ، وما زلت أثبت لتوالي الرمي ، وأستمسك على قوة الرزم ، إشفاقاً من أن أكون كلاً ، وأزيد في مؤنتك ثقلاً ، حتى قدم الغائب وقد تملأ من المرة الصفراء ، واستفرغ من خلطي البلغم والسوداء ، وتلقى الساعي هراشه بالاغراء ، وناريته بالحلفاء ، فاندفع يهيج وتهوج^٤ ، ويستشيط ويتأجج ، ولا حلم يردع ، ولا استبصار ينفع^٥ ، فبالك من مكاشفة تركت الأبواب حياري ، والناس سكارى ، فما أجيد إلا من يثلب ، ولا أمر إلا بمن يتجهّم ويقطب ، حتى كأني وترت الجميع ، وجنيت عليهم الخطب الشنيع ، والله سمعي ماذا يسمع ، وقلبي كيف لا يتصدع !! ولو نال مني ذو حرمة

١ كذا في الأصول ، ولعل صوابه « ضمت » . ٢ د ط س : الذوائب .

٣ ب م : وانتقاض .

٤ ب م : ويتموج .

٥ م ب : يقع .

تَعَزَّيْتُ ، أَوْ أَخَذَ مِنِّي مَنْ فِيهِ إِنْسَانِيَّةٌ مَا بَالَيْتُ ، وَلَكِنْ الْمَحَنَةُ بِأَوْغَادٍ
تَدُقُّ عَنِ الْمَجَازَاةِ مَقَادِيرَهَا ، وَالْبَلِيَّةُ بِذُبَابٍ يَحْمِيهَا مَنْ أَنْ تُنَالَ مَقَادِيرَهَا .
حَلَّ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ ، وَهُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ فِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ
الْمَلِكِ الزُّيَّاتِ :

نَجَا بِكَ لَوْ مَلَكَ مَنْجَى الذَّبَابِ حَمَتَهُ مَقَادِيرُهُ أَنْ يُنَالَ^١

وله من أخرى : قَدْ آلَى الدَّهْرُ أَلَا يُصِيبَنِي بِنَوَائِبِ ، حَتَّى تَكُونَ
غَرَائِبُ ، فَهُوَ يَخْتَرَعُ كُلَّ يَوْمٍ فِتْنًا ، وَيَطْرُقُنِي بِمَا لَمْ يَطْرُقْ^٢ قَطُّ أَذْنَا .

وَفِي فِصْلٍ مِنْ أُخْرَى^٣ : تَحْيَلُ فِي اسْتِلْطَافِ فَلَانٍ فَعَسَاهُ يَلِينُ بَعْدَ
قَسَاوَتِهِ ، وَيَسْكُنُ غَضَبُهُ بَعْدَ اشْتِدَادِهِ ، وَكَيْفَ أُوصِيكَ وَأَنْتَ سَاحِرُ
الْبَلَدِ ، وَأَحَدُ النِّفَائِثَاتِ فِي الْعُقَدِ ؟ وَمَنْ الْعَجَبِ أَنْ أَدْعُوكَ إِلَى ذَلِكَ
وَأَنْتَ الَّذِي جَنَيْتَ عَلَيَّ فِيهِ ، وَأَذَقْتَنِي مَرَارَةَ تَجَنُّبِهِ ، فَكَيْفَ تُصْلِحُ وَأَنْتَ
الْمُفْسِدُ ، وَكَيْفَ تَسْتَدْنِيهِ وَأَنْتَ الْمُبْعِدُ ، وَكَيْفَ تُنْصِفُ وَأَنْتَ الظَّالِمُ ،
أَوْ تَبْنِي وَأَنْتَ الْهَادِمُ ؟ ! هَذَا مَرَامٌ بَعِيدٌ ، وَاسْتِرْضَاءٌ حَاسِدٌ مِثْلِكَ صَعْبٌ
شَدِيدٌ ، وَلَكِنِّي وَائِقٌ بِأَنْ يَحْقِقَ بِكَ سَيِّئُ مَكْرِكَ ، فَتَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِكَ ،
وَتَحْصِدَ زُرَائِعَ شَرْكَ ، وَتَصْلَى بِنَارِ بَغْيِكَ ، وَتَجْنِي ثَمَارَ سَعْيِكَ ، وَاللَّهِ
مُقَرَّبُ ذَلِكَ فَيْكَ وَمَدْنِيهِ مِنْكَ .

١ مَرَّالْبَيْتِ ص : ٢٠٤ وَانْظُرْ دِيْوَانَهُ (رَقْم : ١٢٩) وَدِيْوَانَ الْمَعَانِي ١ : ١٧٩ .

٢ د ط س : وَيَقْرُطُنِي . . . يَقْرُطُ .

٣ ط د س : وَفِي فِصْلٍ مِنْهَا .

٤ د ط س : خِيلْتُ .

٥ د ط س : زَرَعَ .

وله من أخرى : كتابي عما عهدته من قُعودِ الأيامِ بجاني [٦٩ ب] ،
واعترضها عليّ في وجوه قصدي ^١ ، ومقابلتها بالخيبةِ والحرمانِ سعيي
وجُهدي ، بل ما تنفكُ تتلاعبُ بي تلاعبَ العايبِ ^٢ . وتستطيلُ عليّ
استطالةَ العائثِ ، وتريني من أحداثها عجائبَ تُسجِمُ الدموعَ ، وتُطْلِعُ
عليّ من خطوبها غرائبَ تحطم الضلوعَ ، فيا لنفسٍ ^٣ تستطيع حملَ هذه
الكلِّفِ ، وتبقى على ما في ^٤ أيسره وشيكُ التلّفِ ، وقد كان شديدها
عندي هيناً ، وصعبُها عليّ ليناً ، حتى جدّ الجدّ برحلتك ، وجرت لي
الأشائمُ بِفُرْقَتِكَ ، فسدت عليّ من الراحةِ ^٥ الأبوابُ ، وقطعت بيني
وبين الفرجِ الأسبابُ ، ولم يبق لي مُعلِّلٌ ^٦ من دائها ، ولا فارجٌ عليّ
اشتباكٍ ^٧ غمائها ، ولعلّ الذي لم يزل يمتحني ^٨ ليعلم كيف أصبر ، وينظرَ
أشكرُ أمْ أكفر ، أن يجعلَ لحالي إدالةً ^٩ ، ولعثرةَ جدّي إقالةً ، وأن
يقبضَ بجمعِ الشملِ ، ووَصَلَ الحبلَ ، سبباً ، ويقضي من عَوْدَةِ المجالسةِ ،
وتجديدِ المؤانسةِ ، أرباباً ، بمنه .

ومن أخرى في مثله : كتابي والحالُ في الحمولِ ^٩ كما علمت ، والجدُّ

١ د ط س : مقاصدي ؛ خ بهامش س : مطالبي .

٢ ط د س : للنفس .

٣ ب م : ما فيه في .

٤ ب م : الرأفة .

٥ د ط س : مملل ؛ ب م : مملل لي .

٦ ط : استياك ؛ س : اشيا .

٧ ط د س : لم يزل في امتحاني .

٨ د ط س : حالة .

٩ د ط س : والحمول .

في الشقاوة كما عهدت ، وكلما أرجو لباب الفرج انفرجاً . يستبهم^١ ويزداد
إرتاجاً ، وكلما أطمعُ بمطالبة الأيام أن تلين تشتد اعتزاً^٢ ، ولسهام النوائب
أن تشني تتابعُ ولاءً . والحمد لله الذي يبتلي ليزي كيف الصبر^٣ ، ثم
يُنعمُ ليري كيف الشكر . حمد متوكلٍ عليه ، مفوضٍ أمره في
كل حالةٍ إليه .

وله من أخرى في مثله^٤ : لكل زمان طاعة^٥ يشقى به ويعبأ له^٦ ، وربما
خَصَّ بتسلطه ، وانقبضَ في تبسطه ، ولم يصل بضرامه ، إلا من
ضايق في خطامه ، فهذا المعهود^٧ ، ولا كمن جمعنا به عصر^٨ ، وضمنا
معه مضر^٩ ، فانه جاهر الكل بالقليل^{١٠} ، ودعا إلى مكروهه الجفلى ، وامتنحتُ
أنا منه وممن معه بأشد^{١١} محنة ، وأسلمتُ لأستهم وسهامهم بلا جنة ،
فمن أبدى تستبيح الحمى ، وألسنة تنطق بالخنا ، ومن سَطَوَات تملأ عراض
القلب رعباً ، وترسل أدمع العين سكباً ، ولو استطعت أن أطوي عنك
أحوالي ، ولا أشغل بالك بأوجالي ، لرفهتكَ عن سماع ما يجلب إليك
ارتماضاً ، ولا تملك لي فيه امتعاضاً ، ولكن أعوز الصبر ، وأعجز احتمال
الضر ، فاسترحت استراحة واجدٍ كاظم ، وتعللت بالشكوى إلى متوجع
واجم^{١٢} ، على ما قيل :

١ د ط س : اعتداء .

٢ ط س د : وفي فصل من أخرى .

٣ ب م : ويمنى به .

٤ ط ن : بالغل .

٥ د ط س : اشد .

٦ الواجم : الذي اسكته الهم وعلته الكآبة .

ولا بدءاً من شكوى إلى ذي حفيظة^١ يُواسيك أو يسليك أو يتوجع^٢
 واشتمل كتابك الكريم على^٣ ما استحيت منه، وعضضت طرفي
 عنه ، وأوهمني أن [٧٠ أ] شكواي أثارته ، وربما انحفت فيما الحال
 بذاتها معربة^٤ عن التعذر^٥ ، فأنظر الأمر إناه^٦ ، وأجره على مجراه ، وليس
 إلا التفويض إليك ، والتوكل عليك ، وما عندي أكثر من أن نفسي
 في يديك ، فلا تكلفني إلى رأيي فأخار ، ولا تخيرني فلست أحسن
 أن أختار .

ومن أخرى : أنا في هذا الوقت بحكم الزمان ، نعيم مستودع
 الهوان ، أضحك لمن شتم ، وأعتذر إلى من ظلم ، وأغضي لمن همز
 ولمز ، وأنعمي على من أشار وغمز ، وأتلقى المكروه والأذى ، بطلاقة
 التقبل والرضى ، فمثلي إن ابتلي صبر ، وإن أودي شكر ، أو أسخطته
 الأقدار تجمل ، أو حُمل ما لا يستطاع تحمّل^٧ ، فعل من يلبس للأحوال
 لبوسها ، ولا يحفل بنعيم الأيتام وبوسها .

ووقفت على كتابك فلم أستغرب تجنيك ، ولا أنكرت تعديك ،
 وما عسى أن تكون في جملة من يُعَيَّر ويكلم^٨ ، ويسخط ويذم ، وأنت
 إذا خلصت من هذا الباب لم تتخلص^٩ للحجى ، وكنت كجزء لا يتجزأ .

١ ورد دون نسبة في فصل المقال : ٣٩٩ وفيه « أو يتفجع » .

٢ ط د س : واشتمل كتابي على

٣ ط د س : معربة بذاتها على البعد .

٤ ط د س : واغض .

٥ ط د س : وحمل . . . فحمل .

٦ ط س : تعير وتكلم ؛ د : تغير ؛ ب م : تعد وتكلم ، ولعل الصواب : تعدى وتكلم .

٧ ب م : يتحصل .

هات يا سيدي عَتَبَكَ وعتابك . واشحذ^١ للملام شفارك وحرابك ،
تجدني لاحتمالك عَوْدًا بجنبه جُلَب^٢ ، وعليه من قراع الدهر نُدَب^٣ ؛
على أنني ما خلت أن الخطوب تبلغ بي رتبة من^٤ تَعْتَد^٥ أنت عليه ذنباً ،
ويسمع من مثلك عَتَبًا^٦ . ولكنها الأيام تأتي بغرائب ، وتلد ما لا يُحْتَسَبُ
من العجائب ؛ وقد - وحياتك - جاشت هنا خواطري بالذم ، وهمت
نفسي بأن تفارق عاداتها عن الكَظْم . لولا بقية بقيت من الخجل^٧ ،
ذكرتني بالتمالك . وعرفتني مذهبي في التماسك ، فأمسكت عليك
احتساباً ، ورجوت على حمل جفاء مثلك ثواباً ، وأضربت عن أن
أتكلف لك في شيء مما ذكرته [جواباً] ، إكراماً لنفسي عن مجاوبتك .
وتزيتها لها عن مساواتك^٨ ومماثلتك .

وله فصل من أخرى : كيف أكتب أو أعبّر ، وبأي ذهن أخبر^٩
وأستخير ، ومالي والله يد تجري بقلم . ولا خاطر يهتدي إلى كلام ،
وإن نفسي من التبلد^{١٠} والكهامة والأين ، بحيث لا تُخَلِّصُ معنى ولا تجمع
بين حرفين ، وما حال من^{١١} كلما هم بشيء باعده الدهر منه ، وطردته^{١٢}
الليالي عنه^{١٣} . وكلما قرع باب مطلب^{١٤} عارضه من الحرمان رد^{١٥} ، أو ذهب

١ من قول الراجز : اصبر من عود بدفيه (أو بجنبه) جلب ، وله قصة في الامثال ، الميداني ١ :

٢٧٦ - ٢٧٧ وفصل المقال : ٩٨ ؛ والعود : الجمل المسن ؛ والجلب : آثار الدبر .

٢ ب م : تعدد ؛ د : يعتد . ٣ ط س د : وتسمع . . . مثله .

٤ د ط س : المعجل ؛ ب م : الفعل (اقرأ : الفصل) .

٥ ط د س : مساواتك . ٦ م : التهلك .

٧ ناظر الى قول المتنبي :

اهم بشيء والليالي كأنها تطاردني عن كونه واطارد

٨ ط د س : طلب .

به^١ مذهب سعي قطع به من النحوسِ سدّ، حتّى لو عرض له عند الظما شرب ، لغيض وحمته من الخطوبِ خطب ، فاليأسُ قاطعُ أسبابِ الطلاب . ومغلقٌ من النّججِ جميعِ الأبواب ، ولكنّها النفسُ ما بقيت لها حُشاشةٌ فهي تشفّ إلى طمع ، وتنهضُ على ظلّع ، وتجهدُ ألا تقصّر [٧٠ ب] إلى أن^٢ تمرّت فتعذر .

وفي فصل من أخرى : ليت شعري متى أفتتحُ بالرّضى ، وهل أكتبُ وقتاً من الدهر ولا أتشكّي ، فإني أحمدُ الله على حياةٍ أقطعها في شدائد لا تنني ، وسكراتٍ غمّ لا تنجلي ، ونكدٍ أخلاقٍ لا يشوبه ابتهاج ، وضيقِ أحوالٍ لا يتخلّلها انقراج ، ولئن كان باقي العمر كماضيه ، وعوائد العيش كبواديه . فالحمامُ أعذبُ مَورِداً . والوفاءُ أحسنُ مَشهداً ، فليس [بعد] هذا العذاب ما هو أشدّ ، فلكلّ شيءٍ مدى ينتهي إليه وحدّ ؛ فسبحان مَنْ جعل الدنيا دارَ كربٍ ومحنة ، لكلّ ذي لبٍّ وفطنة ، ومقامٍ تنعمٍ وتَرَفٍ . لكلّ ذي خِسةٍ ونطَفٍ^٣ ، وسبحان من ابتلى فيها ذوي الفضل والنّهى بكلّ قَعطٍ ، بنفسه ويستشرفُ من سماءِ المجد ، ويلتفُّ في جُعبِهِ ويستقذِرُ عنبرَه الهند .

وفي فصل من أخرى : كتابي وقد لقيتُ من التعذّر في الدنيا ما صحّحَ منها اليأسَ ، وأراحَ من وسواسِ التّرجي للنفس ، وأغراني برفضِ المطالب . بما أفادني من التجارب . وقد خلعتُ عني ذلّ الطمع ، ولبستُ عزّ التوكّل ،

١ به : سقطت من ط د س .

٢ ط د س : إلا أن .

٣ النطف : العيب أو الفساد ؛ ط س د : لطف .

٤ د ط س : محط ؛ ب م : قحط ؛ والقعط : الدليل .

٥ د ط س : عير .

وسلّمتُ إلى مَنْ له الأمرُ ، وبَيْدِهِ النِّفْعُ والضَّرُّ . وإليه العطاءُ والمنعُ ،
وأنا في هذا الوقتِ منشِرحُ الصدرِ . خلوّ من الفكرِ ، وسببُ ذلك كلُّ^١
خيرٍ من قبَلِ فلانٍ ، فإنّه لما علمَ كربتِي ، لم يزلْ يتلطّفُ في صلتِي ،
فلله هو إذا بهرجَ الرجالِ نقدٌ . وقللَ تحصيلَهم في الفضلِ عدّ ، ما
أميزه بالدنيا^٢ ، وأسراه في طُرُقِ العليّا ! وما أعرفه من أين يؤتى [المجد] .
وكيف يُقتنى الثناءُ والحمد ! ومما أنفذتُ اليك^٣ من مخاطباتي ، تقف على انفرادهِ
بالفضلِ ، وارتفاعهِ عن المثلِ .

ووردني كتابُكَ فضاعفَ سروري أضعافاً ، وردّ شواردَ أنسي^٤
ألاًفاً ، وأمدّ ابتهاجي بأمدادٍ ، وأرادني من الجذلِ في أخصَبِ مرّادٍ ،
ووقفتُ على جملة ما تجشّمتُهُ ، ولستُ أعارضُ بشكرٍ إجمالَكَ ، ولا
أطاولُ بثناء^٥ أفعالِكَ . لأنّ العجزَ لاحقٌ لي ، والتقصيرَ معصوبٌ بي .
غيرَ أنّ مبدأ^٦ ما أنت بسبيله يقتضي أن تقفَ على منتهاه ، وأول الأمرِ
[فيه] . يحفزُكَ أن تنتهيَ إلى أخراه .

وله فصل في مثله : ما أظنُّ أن لدجى^٨ حالي انبلاجاً ، ولا لكربة نفسي
انفراجاً ، ولا إخالُ غمّراتِ الهمّ تنجلي . ولا مُدَدُ النحوسِ تنقضي .
ومن كانت له من الدنيا حظوةٌ بصطفيها ، ومكانةٌ يستقرُّ فيها ، فليس

١ ط س د : وكل .

٢ ط د س : بدنيا .

٣ ب م : إياه .

٤ م : مخاطبتي .

٥ ب م : الأنس . ٦ ط د س : ثناء ؛ ب م : بثنائي .

٧ ب م : بدء .

٨ ط د س : لداجي .

لي منها إلا أن أرى كيف تنقسم رُتبها وتتناوب^١ ، وتتنازع^٢ نعمها وتتجاذب^٣ ، وتغنم^٤ فوائدها وتتناهب^٥ ، حتى كأني جثت على العدد [٧١ أ] زائداً ، ولم أكن عند القسمة شاهداً ، فنبذت بالعراء ، ولم يثبت اسمي في جملة الأسماء ، وما أقول هذا قول ساخط ، ولا أياس من رحمة الله يأس قانط ، ولكن ربما استراح الليل في أنة ، واستغاث المتوجع إلى رنة ، وخفف عن المصدور نقث ، ونفّس من وجند المكروب^٦ بث .

ووصل كتابك مؤنساً إيحاش النوب ، ومسلماً عن حوادث الكرب ، على عادة ما يرد من تلقائك . ويتجدد لدي من أنباتك ، ووقفت على ما أزمعت عليه من لقاء الوزير الأجل^٧ ، فهيئت لي بذكراه^٨ ، صباة لقياه ، واستطرت^٩ من أشواق إليه وقعا ، وأيقظت من آمالي فيه هجعا ، وجعلت المني تذهب بي كل مذهب . وتجري من بروقها بين صادق وخلب ، وتخيل لي أن المثل بحضرته قد دنا ، والفوز برؤيته قد أنسى . وتناولني المواجهس بذلك حتى كأن ناظري مستنير بمرآه ، وسمعي مُصغى إلى نجواه ، فما لبثت أن أنشدت :

منى إن تكن حقاً تكن أحسن المني وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً^{١٠}

١ د ط س : وتتوزع .

٢ د ط س : وتغنم .

٣ م ب : المستريب . ٤ عن : سقطت من ط د س .

٥ ط د س : من لقاء فلان .

٦ ط د س : بتذكاره .

٧ ط د س : وأطرت .

٨ البيت لرجل من بني الحارث ، المرزوقي : ١٤١٣ وذيل الامالي : ١٠٢ .

وفي فصل منها^١ : ما عسى أن أكتبَ وقد أطلتُ في القول حتى أملتُ ،
وأكثرُ من التشكي حتى أضجرتُ ، ولو شئتُ أن أقولَ لما أسعدتُ
نفسُ قد هدمتها^٢ الهمومُ فما تقدر ، وأحسب [أن] لو أقبل عليَّ من الدنيا
مؤتيها ، وأمكنتني الآمالُ^٣ من نواصيها ، لما اهتزتُ لها اهتزازَ نشاط ،
ولا وليتها ولايةَ اغتباط ، فبؤسا للدهر ما أعنفه^٤ من مالك وأصوله ،
فانظر على أي نفسٍ قدر ، وفي أيِّ هممٍ أثر ، وأيِّ خطرٍ أخمَل ،
وأيِّ إباء استنزل^٥ ، وأيِّ حدٍّ كلَّ وفلِّل^٦ .

ومن أخرى : في حالي — أعزك الله — عجبٌ للمتعجب ، كلما رُمْتُ
وجهةً فأتيتها من أقصدٍ مذهب ، وتناولتها بالطف مرغب ، حتى تخيل
لي أن أبيها قد أسمع ، وحميد السعي فيها قد أنجح ، رجعتُ عنها صفرَ
الوطاب ، وحصلت على رقائق السراب ، وكان المستعجلُ منها أبطأ
وأعصى ، والمستقرَّبُ أبعدَ وأنأى ، ويا ليت شعري إلى متى ، وكم أتعذبُ
وأشقى ، وهل لهذا التحيرُ^٧ أمد ، أم زماني كله نكد ؟ !

وفي فصل من أخرى : وأما حالي التي تطلعت إليها فحالٌ مَنْ لا يزالُ
يستنجزُ الأيامَ عداتٍ كواذب ، ويستسقيها فتمطرُ صواعقَ ومصايب .

وله من أخرى يخبر ما جرى عليه بدولة المقتدر : كتابي وأنا أسايرُ

١ ط د س : من أخرى .

٢ ب م : نفسي قد هدمتها ؛ د ط س : هدمتها .

٣ د ط س : الأيام . ؛ ط س د : أعقبه .

٤ ط س : اناء استذل ؛ د : اناس .

٥ ط د س : وأي حد فل .

٦ ب م : البحر .

من هذه النكبة^١ غمرةً يتطاولُ مداها ويمتدّ ، وأصابُ منها محنةً تزيدُ مع الأيام وتشتدّ . وزادني قلقاً ما حكاه لي فلان من [٧١ ب] خبرِ المقتدرِ في السبب الذي له جُنيتُ ، ومن أجله أقصيتُ ، وذكر ذنوباً كانت مني ، وأقوالاً بلغت^٢ عني ، منها تحصيلُ حركاتِهِ وأخبارِهِ ، وتحريفُ ما كنتُ أشاهده في مجلسه الكريم من آثاره ، وأراهُ يذهبُ في تعديد ذلك ذهاباً دلّ على حرّادٍ ، وأنبا عن سوءِ مُعْتَمَدٍ ، فأزعجني الأمرُ إزعاجاً يقتضيه تغييرُ رأيٍ مثله من الأملاك ، الذين همُ كالليلِ في الإدراك^٣ ، وكالقضاء إذا شاءوا في الهلاك ، ولم أجدُ لنفسي قراراً على تغييره ، ولا هدوءاً مع تنكّره ، وقد يجوزُ أن يكونَ للمبلّغين في السعاية بلاغاتٌ محرّقة ، واختلاقاتٌ مزخرفة ، تثيرُ بسعيها حرّجاً ، وتهيجُ أنفأً ، فمالي حُرْمَتُ منه ما هو معلومٌ دونَ ملوكِ العَصْرِ ، من سعةِ الحلم وكثرةِ الصبرِ ؟ ولم عدمتُ عنده ما هو موصوفٌ به من كظم الغيظِ إذا أحفظ ، وذكرِ الرضى إذا أغضب ؟ بل كيف حتى خُصِصْتُ وحدي من بين العالم ، بأنَّ يُصغى في جهتي إلى النماثم ؟ ! ولو رزقتُ من تأمله - أيده الله - ما أصغى إلى ذلك الناقلِ وما أنهاه ، إذ الإفكُ ما حكاه ، فلم يكُ من ذوي الأديانِ فيوثقَ في نقله ، ولا من ذوي النصائح فيقبلَ من مثله ، ثم من أعظمِ الخطوبِ ما أدْرَجَتْهُ في أثنائهِ ، من تعديدِ أياديه وآلائهِ ، وتَعَسَمَ ، أولى - أيده الله - وشرفَ ووجّهَ ، ونبتَه من خمولٍ ونوّه ، ولستُ لكلّ ذلك بكاندٍ ، ولا لجميع ما أولاه بجاحدٍ ، ولو جحدتُ

١ م ب : النكبة .

٢ د ط س : بلغت .

٣ من قول النابغة : فانك كالليل الذي هو مدركي .

٤ ط د س : جرحا وتهيج قرحا .

لَأَقَرَّتْ عَلَيَّ الْمَوَاهِبُ ، وَلَوْ سَكَتُ لَأَنْتُ بِأَلَانِهِ الْحَقَائِبُ ^١ ، وَأَجْمَدُ اللَّهِ تَعَالَى
 عَلَى مَا اتَّفَقَ لِي عِنْدَهُ مِنْ هَذَا الْإِعْتِقَادِ فِيَّ ، وَالنَّظَرِ بِمَثَلِ هَذِهِ الْعَيْنِ إِلَيَّ ،
 [هَذَا] مَعَ قَرُطِ تَحَرُّزِي وَانْقِبَاضِي . وَتَنَاهَيْ تَذَلُّلِي وَانْخِفَاضِي ، وَمَا
 جَنَّبِلَتْ عَلَيْهِ مِنْ سَكُونِ الطَّائِرِ ، وَغَضِّ النَّازِرِ . وَخَزَنِ اللِّسَانِ ، وَمَهَابَةِ
 السُّلْطَانِ ، فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ . وَإِذَا فَكَّرْتُ فِي ذَلِكَ لَمْ أَسْتَغْرِبْهُ ، لَمَّا عَلِمْتُ
 مِنْ شِقَائِي فِي جَدِّي ^٢ ، وَسُوءِ أَثَرِ الزَّمَانِ عِنْدِي ، فَفِي مَوْلَدِي أَنْ تَقْسُوَ
 عَلَيَّ قُلُوبُ أَسْتَلِينَهَا وَأَسْتَطْفُفُهَا ، وَتُعْرِضَ عَنِّي جَوَانِبُ أَسْتَمِيلُهَا وَأَسْتَغْطِفُهَا .
 وَمَا زِلْتُ مَذْكَرْتُ أَعْتَذِرُ مَظْلُومًا وَاسْتَرْضِي مُتَسَخِّطًا ، وَأُدَارِي مُنْشَطَطًا ،
 وَاضْطَرُّ إِلَى الْإِقْرَارِ بِأَجْرَامِ ^٣ لَا أَجْنِيهَا ، وَالِاسْتِعْفَاءِ عَنْ ذُنُوبٍ لَا أُدْرِبُهَا ،
 وَكَيْفَمَا دَارَ الْأَمْرِ ، وَتَصَرَّفَ بِي الدَّهْرُ ، فَإِنِّي لَا أَفَارُقُ عِصْمَتَهُ وَلَائِهِ ،
 وَلَا أَنْحَرِفُ ، عَنْ تَأْمِيلِهِ وَرَجَائِهِ ، حَتَّى يَهَبَ اللَّهُ لِي مِنْهُ تَأْمِلًا يَسْتَوْضِحُ بِهِ
 بَرَاءَةَ سَاحَتِي مِمَّا نُسِمِي إِلَيْهِ ، وَسَلَامَةَ جِهَتِي [٧٢ أ] مِمَّا زَوَّرَ لَدَيْهِ ^٤ ،
 فَيَعُودَ بِي إِلَى الْعَهْدِ مِنْ رَأْيِهِ الْجَمِيلِ ، وَيُوسِعَنِي مَا أَوْسَعَ الْكُلَّ مِنْ طَوْلِهِ
 الْجَزِيلِ ، فَلِمَ يَكُنْ قَدَرُ مَا نَمِي إِلَيْهِ لَوْ قَامَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ يُقْنَعُ ، وَظَهَرَ بِصَحَّتِهِ
 أَمْرٌ لَا يُدْفَعُ ، مِمَّا قَدَحَ فِي رِيَاسَتِهِ ، وَغَضَّ مِنْ نَفَاسَتِهِ ، فَيُؤَيِّسَ مِنْ
 كَرِيمِ عَطْفِهِ ، أَوْ يَضِيقَ عَنْ تَغْمِدِهِ وَعَظِيمِ صَفْحِهِ . وَأَنَا أَرْغَبُ أَنْ
 تُلَخِّصَ مَعَانِي كِتَابِي هَذَا بِفَضْلِكَ وَتَعْرِضَهَا عَلَيْهِ ، وَتَأْخُذَ جُمْلَتَهُ

١ مَنْ قَوْلِ نَصِيبِ بْنِ رِبَاحٍ (دِيَوَانُهُ : ٥٩) .

فَعَا جُوا فَاتُّنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَتُنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبَ

٢ س : شَقِي جَدِّي .

٣ ب م : بِالْأَجْرَامِ .

٤ س : أَتَحَرِّفُ .

٥ د ط س : مَتَهُ .

٦ ب م : إِلَيْهِ .

وتفصلها لديه ، وتحلّي ما خَشِنَ منها بلطفٍ إشارتك ، وتُثِمَّ^١ ما نقص منه بحسنِ عبارتك . وتتوخّى لذلك وقتَ نشاطه ، وساعةَ انبساطه ، فعسى أن تصادفَ به إصغاءً يثني عن النبوة ، ويُلينُ جانباً من القسوة ، ويُذْهِبُ بعضَ ما يجده ، ويصرفُهُ عن هذا الاعتقادِ الذي يعتقده .

وله من أخرى يشرح أيضاً ويذكر خبره مع المقتدر : تَطَلُّعُ عليكم مع^٢ هذا الكتاب طوامٌ مُعْضِلَةٌ ، وعجائبُ مُذْهِلَةٌ ، ينسبك بعضها بعضاً ، وتُفَنِّسي^٣ وأنت لا تدري أناميلكَ عضاً ، وكأني بك كلما نشرت منه سطرًا ، وطالعتَ فيه أمرًا ، تتصبب عرقًا ، وتذوبُ فرقًا ، وتغشاك سكرةٌ على سكرة ، ولا تخرجُ من غمرةٍ إلّا إلى غمرة ، أولها : أنه يخاطبك فيه مَنْ كان ميتًا ولم يكذبْ يُبْعَثْ حيًّا ، وَمَنْ هَلَكَ هُلِكَ عادٍ ، وليس على ثقةٍ من معاد ، فيجبُ أن تقنعَ بما يتفق من وصفٍ ، وتعذرَ الخاطرَ إن لم يسمحْ لك بحرف ، وخذ الآن إليك ، فافتح مسمعيك : فارقتنا عند نهوضِ المقتدر بالله بيجوشه واتفق أن كنتُ أحدَ القاعدين ، ولم أُلَفْ في عدادِ الغازين ، ولا في من لقيَ من لفيفِ الكتاب ، وأعيانِ الوزراء والأصحاب ، فاشتد حنقُهُ على الخوالفِ ، وعمَّ سخطه جميعَ الطوائفِ ، ونذر إذا قفلَ ، أن يصنعَ بهم ويفعل ، وقدّر الله أن غمَّ ، وفتّحَ على يديه^٤ وسلم ، ولعلك تطلبُ شرحَ هذه النكته ، وتَسألُ كيف كانت القصة ، ولئن عجزتُ عن التفصيلِ فاسمع الجملة :

١ ط د س : يخلص . . . ويعرضها . . . ويأخذ جملة وتفصيله . . . ويحلي . . . ويتمم .

٢ ط د س : يطالع عليكم من .

٣ ط د س : وتعض .

٤ د ط س : بقي .

٥ ط د س : وفتح عليه .

جلس بعد أيام من صَدَرَه في مجلسِ الذهب ، وعليه سيما الغضبِ
والرَّهَب ، والناسُ يستعينون بالله من بوسه ، لما رأوا^١ من فَرَطِ عبوسه ،
ثم قال : أين فلان ؟ فكنتُ للشقوةِ غائباً عن المكان ، فقيل ليس بحاضر ،
فاندفع من فوره وأقسم بالغموسِ أن أعزَلَ عن خدمته . ولا أبقى في
بَلَدَتِهِ . فاستحوذَ على الكلِّ البَهْتِ ، وملكَ جميعهم السَّكْتَ ،
وحَضَرَتْ أحدَ الوزراءِ بديهةً تراجعَ بها شيءٌ من ذهنه . فتجاسر بعضُ
التجاسر عليه وذكره بالكظم ، واسترجعه إلى سجيته من الحلم ، فضجر
أشنع من الأولى . وشدَّ اليمين [٧٢ ب] بأخرى ، فانقطعت أسبابُ
الرجاء . ولم تكن حيلةٌ في القضاء . وسَبَقَ إليَّ ذلك النبأُ الفظيعُ ، ثم
تلاه الأمرُ الشنيعُ ، فتوهمُ - جعلني الله [فداك] - صورتي إن صحَّ لك
تَوَهُمٌ ، وتَحَيَّلَ حالي إن بقي لك تَحَيَّلٌ ؛ وأذكرُ لك ما بقي في ذكري
وثبتَ في ذهني ، وسقطتُ مَغْشِيَةً عليَّ ، وعايشتُ الموتَ جاداً إليَّ ،
وشاهدتُ نفسي وهي تخرج ، ورأيتُ روحي وهي تَعْرُجُ^٢ ، وبقيتُ
لا أَقْلَنْقَلُ ولا أَزْعَجُ ، كالمستضعفِ أحاطتْ به غلبةٌ ، ولم تُسْمَعْ له
طَلِبَةٌ ، ويا لك من مقتدرِ شمختِ العِزَّةُ بأنفه ، ولم يثنِ الجبروتُ من عِطْفِهِ ،
وقد فارقتُهُ الرَّافَةُ^٣ ، وتمكنتُ منه القسوةُ ، واللَّجَاجُ يغريه بازعاجي ،
ولا يشفيه شيءٌ غيرُ إخراجي ، لعلمه أن ليس له عندي إنعام ، يمكنني
معه خروجٌ أو مُقَامٌ ، ثم خرجتُ مع هذا كله على رغمي إلى شَنْتَمَرِيَّةَ ،
وهي القبرُ إلاَّ أنها من قبورِ النَّقْصَةِ لا من قبورِ الرَّحْمَةِ ، وأنا الآن فيه

١ د ط س : رأوه .

٢ د ط س : وهو يعرج .

٣ د ط س : يشفى بشي .

أَتَعَذَّبُ بِغَمَّتِهِ ، وَأَتَقَلَّبُ فِي ظَلَمَتِهِ ، وَتُعَرِّضُ عَلَيَّ أَعْمَالِي ، وَلَا أُدْرِي
إِلَى حَيْثُ يَكُونُ مَالِي .

هَذَا يَا سَيِّدِي بَعْضُ مَا تَحْصَلُ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ ، بِمَا جَرَى عَلَيَّ مِنَ
الشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ ، فَرَقَّ الْآنَ لِأَخِيكَ رِقَّةً رَاحِمَ ، وَابْكِ عَلَيْهِ بِدَمْعِ
هَامٍ وَسَاجِمٍ^١ ، وَتَقْطَعْ إِشْفَاقًا ، وَاسْتَشْعِرِ انْطِبَاقًا ، وَابْسُ عَلَيْهِ أَغْبَرَ
إِنْ لَمْ تَلْبَسْ حِدَادًا ، وَأَلْقِ لِلْعَزَاءِ عَنْهُ وَسَادًا ، وَاعْجَبْ لَطُولِ تَلَاعُوبِ
الْأَيَّامِ بِي ، وَتَلَوَّيْهَا [وَتَلَوَّيْهَا] فِي تَرْكِي مَطْرَحًا بِمَنْزِلَةِ ضِيَاعٍ ، وَوَضْعِي
غَرَضًا لِتَحْكَمَ جِهَالٍ وَرِعَاعٍ ، أَجْرَعُ مِنَ الْهُونِ مَا أَجْرَعُهُ ، وَأَقَابِلُ
مِنْ الضَّمِيمِ مَا لَا أَدْفَعُهُ ، وَأُسَاءُ دَهْرِي كُلَّهُ وَأُكْرَبُ ، وَأُجْرُ كُلَّ
حِينَ بِأَيْدِي الْاهْتِضَامِ وَأُسْحَبُ ، وَلَا أَعْدَمُ فِي كُلِّ مَكَانٍ مَنْ يَتَجَنَّى ،
وَيَعْدُدُ ذُنُوبًا لَا تُدْرَى^٢ ، وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا كَفُّ الْأَذَى مِنْ لِسَانِي ، وَمَسَالِمَةُ
الْوَرَى فِي سَرِّي وَإِعْلَانِي ، وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَحَاسِنُ الَّتِي تَعْجُزُ عَنْهَا ذُنُوبِي
الَّتِي أَجْفَى لَهَا ، فَكَيْفَ أَسْتَغْفِرُ مِنْهَا ، وَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ عَنْهَا ؟ وَمَا
زِلْتُ أَجْهَدُ — عَلَى عِلْمِكَ — أَنْ يَكُونَ هَذَا الْانْفِصَالُ عَنْهُ اخْتِيَارًا ،
فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ اضْطِرَارًا ، وَطَمَعْتُ أَنْ أَسْتَفِيدَ فِي تِلْكَ الصَّحْبَةِ مَا
يُعِينُنِي عَلَى نِيَّتِي ، وَيُرِيشُ جَنَاحِي لِلنُّهُوضِ إِلَى طِيَّتِي ، فَمَا حَصَلَتْ
مِنْهَا إِلَّا عَلَى قَبِيحِ عَزَائِمِي .

قَالَ ابْنُ بَسَامٍ : وَهَذَا الْفَصْلُ مُحْلُولٌ^٣ مِنْ قَوْلِ^٤ الْبَحْرِيِّ حَيْثُ يَقُولُ :

[٧٣ أ] .

١ ط د س : بدمعة ساجم ؛ ب م : بدمعة غام وساجم .

٢ س ط د : ويعد ... تدرا (تدرا) .

٣ ط س د : نظم .

٤ ديوان البحري : ٩٥٤ .

إذا محاسني السلائي أدِلُّ بها كانت ذنباً فقلُّ لي كيف اعتذرُ

ومجلسُ الذهب الذي وصفَ أبو المطرف مجلسُ في دار السرور ،
أحد قصورِ المقتدر بن هود بسرقسطة ، وفيه يقولُ ذو الوزارتين ابن
غندشلب^١ يهجو الوزيرَ ابنَ أحمد ، وكان ينبز بتحتون^٢ :

ضجَّ من تحتونَ بيتُ الذهبِ ودعا مما بسه واحربي
ربُّ طهرني فقد دنسني عارُ تحتونَ المثوفِ الذنَّبِ

وله من أخرى يصف ضيقَ المكانِ الذي أخرج إليه : فرَّقُ ما بينَ
المكانِ الذي وردتُ عليه ، وبين القبرِ الذي مآل الإنسان إليه ، [أن]
المقيمَ به والساكنَ فيه يُدفَنُ حياً ، ولا يعلمُ من نورِ الدنيا شيئاً ، وأنا
منذ احتلاله أفرغُ من حجَّام سابط^٣ ، أركلُ وأضربُ الآباط ، وتارةً
ألعبُ بشطرنج وتردُّ ، وتارةً أطلعُ أخبارَ بشرٍ وهند ، وأخرى
أيضاً : أظلُّ ردائي فوقَ رأسي قاعداً ، أعدُّ الحصى جاهداً ، وأرمي بها
صادراً ووارداً ، وكانت راحتي في مخاطبة صديق أجاذبه^٤ الكلامَ ، وأقطعُ
بمناجاته الأيام ، ولكنَّ من مِحنِ الدنيا^٥ ألاَّ أجِدَ من يتحمَّلُ لي
كتاباً ، ولقد ظفرتُ بمن توجهَ إلى تلك الناحية فكتبتُ مخففاً عن صدري ،

١ في الاصول : عبدشلب ، وانظر النفع ١ : ٥٣٤ .

٢ النفع : بتحتون ؛ ط د س : بيمحتون .

٣ كان يحجم الحنْد بنسيئة إذا مروا به ثم يقعد فارغاً بعد ذلك (المفيداني ٢ : ٢٢) .

٤ ط د س : بالشطرنج والبرد .

٥ راجع هذه القصة في مقامات البديع ، المقامة البشرية : ٢٥ ؛ والمعنى انه اقبل على كتب

الاسمار والاساطير يقطع بها وقته .

٦ ط س د : أجاريه .

٧ ط د س : الزمان . ٨ ط س : ولو .

وطالعتك أنت والإخوان ببعضٍ أمري ، وانتظرتُ صدرَ ذلك الإنسانِ ،
بأجوبةٍ تفيدُ بعضَ السُّلوانِ ، فلم يكنْ منهم إلاَّ كلُّ جافٍ جلفٍ ١ ،
لم يَرَ في دينه المراجعةَ بحرفٍ ، فساءَ بذلك ظنِّي ، وقرعتُ على ما فعلته
بالندم سنِّي ، وتصرفَ فكري في أنَّ ذلك الرجلَ كان من معارف الرِّجسِ ،
فاتهمتُ أن الداخلةَ دخلتْ عليَّ منه ، ولولا ذلك لفجأكَ من العتب ما
يُرهِقُ شمسك ، ويصلح من رَوْحِ الله بأسك ، فعجلْ مراجعتي بجليَّة
ما عندك من وصولِ الكتبِ أو غيرِ ذلك ، ولا تزدُ على ما في جوابك ،
فلإني زاهدٌ في قراءةِ كتابك ، غيرُ نشيطٍ لما يرد منك ومن سواك ٢ ،
ولو راجعتُ عما أكتبُ بالضعف ، عن كلِّ سطرٍ بألف .

وله من جواب على كتاب ورد عليه من بعض إخوانه بالعفو عنه :
ورد جوابك الكريم فنفس من كُربتي ، وأنس من وحشتي ، وروح
عن قلبي الأسى ، ووصل [بين] طرقي والكرى ، بما أطلعتهُ عليَّ
من الفرحَةِ المستمطرة ، والبشرى المنتظرة ، في سكونٍ ضجر المقتدر
[بالله] وغضبَتِهِ ، ونزولِهِ عن أكثر عَتَبِهِ وَمَوْجَدَتِهِ [٧٣ ب]
وامتنانه ٣ بالقبولِ لإنايتي ، والإصغاءِ إلى استلطافي واستلاتي ، وما كان
ليقطعَ عصمةَ من انقطع إلى علاه ، ولا يؤوب بحسرة الخائب من أمله
وزجاءه ، ورأيتُ ما لَوَحَتْ به من الأشياءِ الموجبة للجفاء ، على ذلك الإقصاء ،
وانها توادكتُ ٤ على مرِّ الأيام بأقوالٍ مستبشعة ، وبلاغاتٍ مستشعة ،

١ ب م : جلف جاف .

٢ ب م : سؤاك .

٣ ط د س : واستنابه . . .

٤ د ط س : وإنما تأكدت .

وقد آلم وساء ، وبلغ الباغي في النكاية ما شاء ، ولكن أترى أن الحاكي لها مِمَّنْ يتحلَّى^١ بفضل ، أو يرجعُ إلى دينٍ وعقل ؟ وهل يجوزُ أن يتسوقَ بمثلها^٢ إلاَّ أوضاعُ الدنيا ، وسُقَّاطُ أتباعِ أولاد الزنا ؟ وقصاراهم أن يتعرضوا للطخ الأعراضِ الطاهرة : ويتمرَّسوا ببطعنٍ على الفضائلِ الباهرة ، بكذوبٍ^٣ تُلَفَّقُ ، ومحالاتٍ تختلق وتتمقُّ ، فما أبعدَ جوازها على العقول ، وأقلَّ بِنَاقِها عند ذوي التحصيل ، وأخلِقُ بها من شُبُهَةٍ^٤ أن تنجلي ، ومن ضرَمِ إحنةٍ أن تنظفي .

ومن أخرى يصف خبر نكته^٥ : ورأيتُ ما تعلقَ ببالكَ من معرفة حالي ومجراها ، في حدِّها ومنتهاها ، وفي شرح ذلك خطبٌ ثقيل ، وشغب طويل . جملته : أنَّ الذي كتب على لساني أوسَّعَهُ ثلْباً في قولٍ تقوِّله عليّ ، واستخفافٍ نسبته إليّ ، وعلم الله تعالى براءةَ ساحتي من ذلك ، ونزاهةَ نفسي عنه ، لكن الطبايعَ الحبيثةَ تقبلُ سريعاً من أجناسها ، ولم تزلْ تتزيّد وتكثرُ حتى فار الاناءُ بما فيه ، وأبرزَ ما كان ينطوي عليه ويخفيه ، وليس عندي في ذلك أكثرُ من أنَّ الأقدارَ تعملُ أعمالها ، وتُظهرُ في البشرِ^٦ عِلَلَهَا وأفعالها ، والذي يغمّتي من ذلك ويهمني جدّاً لا ينفكُ من عثار ، وحالٍ لا تزال في خمولٍ وإخمال ، وقَطْعُ عمري في كدٍّ وذلةٍ ، وجهدٍ وقلةٍ ، وتصرفٍ لا ترضى به آلائي ، واتضاعٍ ترفعني

١ ط س : مما يحل .

٢ د ط س : بامثالها .

٣ ط س د : كذوب .

٤ ب م : شبة (صوابها : شبه) .

٥ د ط س : وله من أخرى .

٦ ط س د : ويظهر بالبشر .

عنه أدواتي ، بحيثُ يتقدمُ الجَهلُ على النبل ، ويستَظِيلُ ما شاءَ على الفضل ،
وتُنالُ الرُتبُ بالمخارق ، وتُعطى الكِوَادُنُ حظوظَ السِوابِقِ ، ولم أزلُ
أصبرُ من ذلك كله على ما يُشيبُ رأسَ الوليد ، ويؤذِبُ الحديد ، ويهدُّ
الرواسيَ هدّاً ، ويُحدِثُ للجِمارِ غيظاً ووجداً ، لئلا يقالَ مضطربُ
يقلق ، وعجولٌ لا يتأتى ولا يرفق ، حتى آلت الحالُ إلى هذا المآل ،
وبلغ الكتابُ أَجَلَهُ في الانفصال ، فاعجبُ يا سيدي مما يُدفعُ الإنسانُ
إليه من شقاءٍ يقاسيه ، وعناءٍ يعانيه ، ومحنٍ يغشاها [٧٤ أ] ألواناً ،
ونوبٍ تفرقُ عليه أقراناً ، ومغايظَ تطرفُ الناظرَ بقذاها ، ويعرضُ في
مجاري الأنفاسِ شجاها ، وتقطعُ النفسَ أنفساً ، وتحيلُ العيشَ أبوساً ،
ويأبى الروحَ مع ذلك لشقاوته إلا أن يكونَ حافظاً لحياته ، حتى يتعذَّبَ
بكلِّ ما عدده ، ويتألمَ من جميع ما سرَدَتْهُ ؛ فليت شعري : لم هذا ؟
وعلامَ الرغبةِ في الازدياد ، وهذا الحرصُ على التماسِ ؟ ولو أنَّ الأيامَ
كلَّها في نعيمٍ مُحْتَفِلٍ ، وسرورٍ متصل ، لما كان ذلك إلا بمنزلةٍ ظلِّ
زائلٍ ، ولم يحلَّ منه بطائلٍ ، إن هذا لطموسٌ أضلَّ الألبابَ فلا تدري
الرشاد ، وأفسدَ الأفكارَ فلا تعلم ما المراد^٢ .

وله من أخرى إلى الوزير أبي الفتوح^٣ : ما زالتُ — فسح الله لك أيها
الوزيرُ الأجلُ غايةَ الأمل — منذ سمعتُ فضائلَكَ تُذكرُ ، ومناقبَكَ
تُنشَرُ ، وسُورَ سِرِّكَ تُتلى ، ومحاسنَ فعالك تُجلى ، أحنُّ إليك
حينَ كَلِفَ ، وأتَشوقُ نحوكَ تشوقَ شَغِفٍ ، وأستمعُ الأيامَ خلَّتكَ ،

١ د ط س : يعضد .

٢ ط د س : وافسد الاكوان . . . السداد .

٣ سقطت هذه الرسالة من ط د س .

وأودُّ لو أفادتني صِلَتَكَ ، حتى فتحتَ لذلك غَلَقًا ، ونهجتَ له طُرُقًا ،
ومكّنتَ من المعارضِ بالودِّ ، وسببتَ التناجي على البعد ، فكان ما أتيتَه
من ذلك بحسبِ البُغْيَةِ ، وواقعاً موقعَ الأُمْنِيَةِ ، وهكذا فعلُ من
حويي بالسعادة ، وأنشئَ على السيادة ، حتى قرَعَ من المجد ذَرَاهُ ،
واستولى من كلِّ فضلٍ على مداه ؛ هنأني الله ما منحني من صفائك ،
وبارك فيما وهبني من إخائك .

وإنَّ كتابك الكريمَ ورد ، وعلمتُ ما وراء افتتاحِكِ المكاتبَةِ من
ودِّ صريح ، وميلٍ صحيح ، وانجذابٍ جَدَّبهُ لا محالةَ تجانُسٌ في
الخلائِقِ ، وتشابهٌ بين الطبائع ، والله ما أفادتني الأيامُ بك ، وأكسبتيه
منك ، ورأيتُ ما أشرَّتْ إليه من إجراءاتك إلى الصلة بيني وبين الملك الأجلَّ
المنصور - أطال الله بقاءه ، ووصل اعتلاءه - ولا بدَّ أن تُسبَّبَ للمواصلةِ
أسباب ، وتفتَحَ للمداخلةِ أبواب ، فيتسنى بذلك من تآلف النفوسِ
كامنٌ ، ويكون الامتزاج ظاهراً كما هو باطن ، وأنا أرغبُ أن تتناولَ
ما بدأتَ من ذلك فتتمِّمه ، ولا تحلَّ من عقد الوصلة يدك أو تحكِّمه .
وقد لقيتُ فلاناً فرأيتُ لعمرى فضلاً رائعاً ، ونبلاً بارعاً ، وحلاوةً
تستهوي ، ولطافةً من ذلك السُرورِ تستملي .

ومن رسائله الإخوانيات

فصل له من رقعة : إذا صحَّ الودُّ ارتفع التصنعُ فيه ، ولم تُستخدَمِ
الأقلامُ في شيءٍ من معانيه ، ولهذا أضربتُ [٧٤ ب] عن وصفِ الاعتقادِ

ولم أجر فيه على المألوف المعتاد .

ووصل فلان ، فلا والله ما رأيتُ أبني^١ منه لمجدٍ ، ولا أنطقَ منه بحمد ،
كلما اطمأنَّ به مجلسٌ لا يزال يُشني ، والأسماعُ إليه تُصغي ، حتى
يجعلَ المحبةَ فريضةَ دينٍ ، ويمكنَ للقولِ من الأنفسِ أيَّ تمكينٍ ؛
ثم تفرَّدَ في خلالِ ذلك من رُشدِ الطرائق ، وشرفِ الخلائق ، وعلوِّ الهمم ،
والتطبعِ بالكرم ، بما يقضي أن للسيادة فيه أسراراً^٢ ستظهرها الأقدار ،
وينطقُ بها الليلُ والنهار ، والربُّ تعالى يُتِمُّ عليه موادَّ نعمه ، ويوفي به
على مطالعِ هِمَمِهِ .

وله من أخرى : وزدني كتابك على حين كانت الأشواقُ تتَوَكَّفُهُ ،
والأمانُ تتشَوَّفُهُ ، فأبهجني مطلعُهُ ، ولَطَّفَ مني موقعه ، وأجلتُ فيه
ناظري فاجتليتُ لسانَ الودِّ بيوحُ سريرةِ الصِّفاء ، ويُعَرِّبُ بحقيقةِ الوفاء ،
وعاينتُ نجيَّ المقة كيف يساقِ كأسَ المحبةِ صرفاً ، ويهزُّ باللطافِ الصلةِ
عِطْفاً ، لله هو من كتابِ أحضرَ وفدَ الأُنسِ عندي ، وجدَّدَ الجَدَلِ
كعهدي ، ورفع للأطرابِ ألويتي ، وعطرَ بطيبِ^٣ الشمائلِ أنديتي ،
وبنفسِي مُهْدِيهِ ، وخاطرُ تَلَطَّفَ في معانيه ، وراعِ بَرائعةِ أغراضِهِ
ومباديهِ ، وإذ لا تسعفُ الليالي بتلاقٍ يشفي ، فالتناجي بمثله يُتَعَلَّلُ
ويكفي ؛ لا زالت أسبابُ مواصلتك لي مؤكدةً ، ورسومُ ملاطفتك عندي
مجددةً .

ورأيتُ من ذلك الفاضل سيراً^٤ تنتظرُ دَرَجُ العلا أن يرتقيها ،

١ س : أنبا .

٢ ط د : ان السيادة اسرار .

٣ ط د س : بتلك .

٤ ط د س : سراً .

وتتسوّفُ إليه رتبُ المجدِ أن يعتليها ، وكأني^١ به قد أجنّتهُ الأمانى ثمارها ،
وزفّتُ إليه السيادةُ أبكارها ، وقاه الله العيونَ ، وحقّقَ فيه الظنونَ ،
فما أنبلَ قدره ، وأكملَ سرّوه !!

وله من أخرى : إذا نجم الفضل — [أعزّك الله] — من المعادنِ الشريفة ،
في المناصبِ المنيفة ، ثم تحلّى بحليةِ الآداب ، ولم يتكلّ في العلا على بنيةِ
الأحساب ، فلا غرّو أن يكثرَ خطّابه ، لأن تعلق^٢ أسبابه ، ويتنافسَ
في عرفانه ، ليُحصَلَ من معارفه وخلاته ؛ وأنت — يُبقيكَ الله —
ذلك الضاربُ في الشرفِ بأرسخِ عِرْق ، الفائتُ في الفضلِ كلَّ ذي
سبَق ، تُعَرِّبُ عن ذلك الأخبارُ السائرة ، وتُمُّ عليك به الأنباءُ العاطرة ،
لا سيّما بأوصافِ فلان ، لعلمه بحرصي على ذلك الألق لا يزالُ يُهدي
إليّ أخباره فيخصّصُ بينهم من الخلالِ والمناقب ، وحُسْنِ السَّيرِ والمذاهب ،
ما قد شوقَ نفسي إليك ، وملاً جوانيحي حِرْصاً عليك ، وتمنيتُ لو حُزْتُ
أسبابَ [٧٥ أ] القدرة ، بتنقلي إلى تلك الحضرة ، ولم أتمالك أن خاطبتك
خاطباً صلتك ، ولستُ من الأكفاء ، وراغباً في خلتك ، وإن لم أكن من
النظراء ؛ لا زالتُ تستخلصُ الأنفُسَ شمائلُكَ ، وتقفُ عليك
المودّاتِ فضائلُكَ .

وفي فصل من أخرى : قد كنتُ — أعزّكَ الله — متمنياً لهذه الأيام ،
كما يُتمنى في المحلِ صوبُ الغمام ، ومنتظراً لظهوركَ فيها ، كانتظارِ النفسِ
أعذبَ أمانيتها ، ولما أطلعتُ طلائعها السَّعودُ ، واستمرّ بك الارتقاءُ

١ ط س د : وكأن .

٢ ط د س : لتعلق .

والصَّعُودُ ، قلتُ لنفسي : بشراكِ ، أسعفكِ الدهرُ بمناكِ ، وسركِ في بعضِ أعزَّتكَ وأرضاكِ ، الآنَ آنَ للنحوسِ أنْ تُدْبِرَ عنكِ إدبارَ المنهزمِ ، وللنوائبِ أنْ تحذَرَ منكِ سطوةَ المنتقمِ ؛ وأذني في الاصغاءِ ، إلى ما يطرأُ من الأنباءِ ، فلا تنفكُ مُبْهِجَةً الأخبارِ تترى ، ومُثْلِجَةً المسارَّ تتناصِرُ وتتوالى ، وكلِّما قيلَ قَرَعَ من الجاهِ ذِرْوَةٌ ، واستجدَّ من العزِّ كُسُوءَةٌ ، سرتِ العزَّةُ في خلْدي ، وطالتِ على النوبِ يدي ، وحينَ صَحَّ تَمَكُّنُكَ عِنْدِي ، انبسطتُ إلى مخاطبتكِ نفسي ، مذكرةً^١ لكِ في تنويعي وغرسي ، إنْ صادفتِ من الزمانِ إيساداً ، وملكْتَ^٢ من إحدى الممالكِ قياداً ؛ على أنْكَ ممن لا تُنسيهِ المعارفَ حالٌ^٣ ، ولا يلهيه عن الحميلِ إقبالٌ ، ولو استقلَّ بكِ السريرُ ، ودان لكِ الخورنقُ والسديرُ ؛ ليأمنُ مسألتي الدهرُ المحيلُ فقد حسبني أحاوله ، أمْ أيَّ حظٍّ أجزلُ من إقبالكِ عليَّ أتناوله ؟ كلا واللهِ ، ما أسألُ وقد نلتُ الرضى ، ولا أجري بعد أنْ بلغتُ المدى ، حَسْبُ يدي وما عَلِقَتْ ، ولتقتنعُ نفسي بما رَزَقَتْ ، فلكلِّ طلابٍ غاية ، وللظفرِ بالمنى راية .

ومن أخرى : أيُّ حمدٍ يفي بمنى لكِ تُسْلِفُها ابتداءً ، وتُتَابِعُها ولاءً ، بلا وجوبٍ يقتضيها ، ودون سببٍ يَسْتَدْعِيها ؟ بعيدٌ عليَّ أنْ تقومَ لذلكِ قدرتي ، أو تبلغهُ استطاعتي ، وليس عِنْدِي إلَّا بذلُ المهجة فيما وَصَلَ بكِ ، وَصَمَّ إليك ، وإِرْخَاصُ النفسِ فيما أدنى إليك ، وأحظيُ لديك . ووجدتُكَ قد أشرتِ إلى عُدُرٍ أعجلكِ في الكتابِ ، عن التعمُّلِ والإسهابِ ،

١ ب م : مدركة .

٢ ط د س : أو تملكْتَ .

٣ ط د س : بحال . ٤ ط د س : التعمق .

ووصلت ذلك بأن حسنت مذهب الاسترسال ، واعتفيت من مؤنة الاحتفال ،
حسبما يوجبُهُ تمكُّنُ الاتصال .

وله فصل : ووصلت الأبياتُ الرائقة تعبقُ في أنفِ المتنسِّم ، وتشيرُ
لعينِ الناظرِ المتوسِّم ، وتأمَلتها فرأيتُ نورَ الحكمة منها يتألق ، وماء الطبع
عليها يتدفق ، وما أنا إلاَّ غفلٌ وَسَمْتُهُ وَسَمًا باقياً ، وعاطلٌ طَوَّقْتَهُ
[٧٥ ب] طوقاً باهياً ، وبودّي لو أغرَبْتُ في الشكر ، إغرابك^١ في الشعر ،
واقتردتُ على الجزاء ، اقتدارك على الإطراء ، حتى أصِلَ إلى سبقك ،
وأقضي بعضَ حقك ، وإذا كنتُ أقصّر ، ولا أقدر ، فأنت بفضلك
تتجاوزُ وتَعْدِرُ .

وله من رقعة خاطب بها جماعةً من إخوانه^٢ : كتابي هذا من^٣ وادي
الزيتون ، ونحن فيه مُحْتَلِّتون ، ببقعة اكتست من السندس الأخضر ،
وتخلت بأنواع الزهر ، وتخاللت بأنهار تتخللها ، وأشجار تظللها ،
تحجب أرواحها الشمس لالتفافها ، وتأذن للنسيم فيميل من أعطافها ،
وما شتم من محاسن تروق وتُعجِب ، وأطيار تتجاوب بالحن تلهي
وتُطرب ، في مثله يعود الزمان كله صبا ، وتجري الحياة على الأمل
والمنى ، وأنا - أبقاكم الله - فيها بحال من طاب غذاؤه ، وحسن
استمراؤه ، وصحا من جنون العقار ، واستراح من مضض الخمار ،
وزايلته وساوسه ، وخلصت من الخباط هواجسه ، لا أبيت بليلة

١ ط د : اعربت ... اعرابك .

٢ انظر نفع الطيب ١ : ٥٣٤ .

٣ ط د س : كتبت من .

٤ ط د س : فضول .

الشَّيْثُ^١ ، ولا أقوم^٢ كالذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ، بل أَنَا مُلءٌ جَفَوْنِي
نَوْمَ مَسْرُورٍ ، وَأُنْتَبِهْ إِذَا انْتَبَهْتُ غَيْرَ مَذْعُورٍ ، فَلَتَبْعُدْ بَعْدَهَا الْخَمْرُ ، مَا
بَقِيَ الدَّهْرُ ، فَقَدْ طَلَّقَتْهَا ثَلَاثًا ، وَتَرَكْتُ الْأَسْبَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا رِثَاءً ، وَلِلَّهِ
الْحَمْدُ عَلَى أَنْ خَلَصَ^٣ مِنْ حَبَائِلِهَا ، وَنَجَّى مِنْ غَوَائِلِهَا ، وَسَلَّى مِنْ
حَيْثُ كَانَ يَتَوَقَّعُ الْكَرْبُ ، وَلَقِيَ الْمَحْبُوبَ مِنْ حَيْثُ كَانَ يُخْشَى الْمَكْرُوهُ
وَالْخَطْبُ . وَأَنْتُمْ سَادَتِي أَخْلَاءُ النَّبِيذِ ، بَرِثْتُمْ مِنْكُمْ كَمَا بَرَى الْمَسِيحُ مِنَ
الْيَهُودِ ، فَهَنِيئًا لَكُمْ تَنْفَسُ أَنْفَاسِهَا ، وَتَعَاطِي أَكْوَاسِهَا ، فَلَسْتُ أَزَاحِمُكُمْ
عَلَيْهَا بِمَنْكَبٍ ، وَلَا أُوَافِقُكُمْ فِيهَا عَلَى مَذْهَبٍ ، فَاطْلُبُوا لِحْشَهَا الْأَلْحَانَ ،
وَاخْلَعُوا فِيهَا الْعُذْرَ وَالْأَرْسَانَ ، وَتَعَرَّوْا مِنْ ثِيَابِ الْوَقَارِ ، وَارْكَبُوا رِعْوَ سَكَمِ
فِي هَتَكِ الْأَسْتَارِ ، وَمُوتُوا سُكْرًا ، وَلَا تَعْصُوا لِشَارِبِهَا أَمْرًا ، وَاتَّخَذُوا
الْحَسَنَ^٤ فِي دِينِهَا نَبِيئًا ، وَاعْتَقِدُوهُ إِمَامًا مَرْضِيًّا ، وَقُولُوا عِيشُ الْخَلَاعِقِ
عِيشُ رَقِيقٍ ، وَلَذَةُ النُّفُوسِ صَبُوحٌ وَغَبُوقٌ ، فَلَيْسَ لِقَوْلِكُمْ رَدٌّ ، وَلَا فِي
غَيْرِ رَأْيِكُمْ رُبُّدٌ ، وَلَا أَقْصَى اللَّهِ إِلَّا مِنْ تَعَسَّفٍ ، وَلَا أَبْعَدُ إِلَّا مَنْ لَامَ
وَعَنَفَ .

وَكَأَنِّي بِكُمْ - [أَبْقَاكُمْ اللَّهُ] - إِذَا قَرَأْتُمْ أَحْرَفِي هَذِهِ تَسْتَذْكُرُونَ^٥
عَلَيْهَا عَهْدِي ، وَتَشْرَبُونَ مِنْهَا كَاسًا فِي وَدْيٍ ، وَتَقُولُونَ : سَنَنْفُثُ فِي
الْعُقْدِ ، وَنَصْرِفُهُ^٦ عَنْ ذَلِكَ الْمَعْتَقَدِ ، فَلَا تَعْتَقِدُوا ذَلِكَ وَلَا تَتَوَهَّمُوا أَنْ
تَكِيدُونِي بِكَيْدٍ ، وَلَوْ تَأَيَّدْتُمْ عَلَيْهِ^٧ بِأَشَدِّ أَيْدٍ ، فَقَدْ اسْتَدْفَعْتُ بَرَبَّ النَّاسِ

١ الشَّيْثُ : القلق ؛ ب م : التَّيْسُ ، وموضعها بياض في ط د س

٢ ب م : أبيت . ٣ ط س د : ما خلص .

٤ الحسن بن هانئ ، أبو نواس .

٥ ط د س : النفس . ٦ ط د س : تتذكرون .

٧ ب م : سينفث وينصرف . ٨ ط د س : علي .

غامضَ شركم ، وتعوذتُ بربِّ الفلق من [٧٦ أ] نافثٍ عَقَدِكُمْ ^١ ،
والله وليُّ الكفاية بفضلِهِ .

شاركتمكم يا سادتي - [أعزكم الله] - نعمة ^٢ الله المتجددة قبلي ،
وأعلمتكم بمبلغ سروري وَجَدَلي ، فإن كنتم قد خصصكم منه - جلَّ
وعزَّ - بمثلها عرفتموني [بها] لتساوى في الشكر ، وإن كنتم على الحال التي
تركتكم عليها من البطالة ، والتمادي في الضلالة ، فأعفوني من جوابٍ
بصفتها ، فلست أطلعُ إلى معرفتها ، [وأنتم أولياؤنا إن شاء الله] .

فراجعه أبو الفضل بن حسداي برقعة قال في صدرها ^٣ : يا سيدنا الذي
ألزمتنا بامتنانه ^٤ الشكر ، وكبيرنا الذي علّمنا ببيانه السحر ، وعميدنا
الذي عَقَدَنا بجرمه وانحلَّ ، ورمانا بدائه وانسلَّ ^٥ ، أبقاك الله لتوبة
نصوحٍ تمرُّها ، ويمينٍ غَمُوسٍ تَبَرُّها ، وَرَدَّنا ^٦ - أبقاك الله - كتابك
الذي أنقذتَهُ من معرَّسِكَ بوادي الزيتون ، ووقفنا على ما لقيتَ في أوصافه
من حُجَّةِ المفتون ، وإعجابك بالتفافِ شجره ودَوَّحاته ، واهتزازك
لطيب ^٧ بواكره وروحاته ، ومرورك به وهو حوَّ تلاعه ، موردة ^٨ صفاته

١ ط د س : سحرکم .

٢ ط د س : فی نعمة .

٣ ط د س : قال فيها ، وانظر هذه الرسالة في نفع الطيب ١ : ٥٣٥ .

٤ ط د س : بالتزامه .

٥ من المثل : رميتُ بدائيها وانسلت : انظر فصل المقال : ٩٢ والميداني ١ : ١٩٣ والمسكري

١ : ٣٠٩ .

٦ ب م : وردني .

٧ النفع : بلطيف .

٨ ط د س : مرورة ؛ النفع : مورودة هضابه واجراعه .

وأجزأعه^١ ، وكلُّ المشارب ما خلاه ذميم^٢ ، وماؤه الدهرَ خَصِرٌ والمياه
 حميم ، وتلك عادةُ تلَوْنِكَ ، وسجيةُ تَحْضُرُكَ ، وشاكلةُ ملالِكَ
 وسأَمِكَ ، وأشعرُ الناسِ عندك مَنْ أنت في شعره^٣ ، وأحبُّ البلادِ
 اليك ما أنت في عُقره^٤ ، فأين منك بساتينُ جَلَقَ وجنانه^٥ ، ورياضُهُ
 المونِقَةُ وَخُلْجَانُهُ ، وقبابُهُ البِيضُ في حدائِقِهِ الخضر ، وجوهُ العطرُ
 في جنبابه النضر ، وما تضمُّه حيطانه ، وتمجُّه نجاهه^٦ ، وغيطانه ، من أمهاتِ
 الراح التي هجرتها بزعمك ، وموادِّ الشمولِ التي طَلَقَتْهَا برغمك .
 وهيَّات ! فوالله ما فارقتك^٧ تلك الأجارعُ والمحاني ، ولا شاقَّتْكَ تلك
 المنازلُ والمغاني ، إلَّا تذكراً لما لدينا من طيبِ المعاهد ، وحنيناً إلى ما عندنا
 من جميلِ المشاهد ، وأين من المشتاقِ عنقاءُ مغرب^٨ .

وأما ما وصَفْتَهُ من صحةِ استمرائك ، ونفوذِ غذائك ، وإفاقتِكَ
 من جنونِ العُقار ، واستراحَتِكَ من سُقْمِ الحُمَار ، وخلوصِ تلك
 الهواجسِ [من اختلاطِ الراس^٨ ، فاعلم أن الغيَّ ما أنت فيه منذ اليوم ،
 والوسواسَ ما سَمِعْتَ به أَسْماعُ القوم ، وقد أدَّانا صادقُ القياس ،
 إلى علمِ سببِ ذلك الوسواسِ] فإنك تعرَّضْتَ للسمومِ غيرِ ملثَم ، وبرزتَ

١ من قول الشاعر :

اقرأ على الوشل السلام وقل له كل المشارب منذ هجرت ذميم

٢ من قوله أوردها ابن قتيبة في الشعر والشعراء : ٢٦ .

٣ ب م : عفره .

٤ ب م د ط س : وجناته .

٥ ط س د : وتحتوي عليه نجاهه . ٦ ط د س : فارقت .

٧ من قول المتنبي :

أحن إلى أهلي واهوى لقاءهم وأين من المشتاق عنقاء مغرب

٨ الراس : سقطت من س .

إلى الهجير غيرَ معتمٍ ، فأنت عملسٌ^١ أسفار ، وخيريتٌ^٢ مهامية وقفار ،
فتخلل الحام^٣ اللجج ، وتقطع البلغم اللزج ، وتصاعدت أبخرة البدن
إلى أعلاه ، فقذفَ بذلك المحال الذي أملاه .

وقد بلغنا أنك نفضت مكامن الثغر الأعلى ، وسريت إلى بلاد العدو
في من سري ، وشهدت الخيل يوم طرادها ، وباشرت الحرب غداة
جلادها ، مختالاً بين الصفيين على شقراء تردى منك بنسيج وحده ،
وتحيء [٧٦ ب] بك معتجراً في برده ، فقد كتبت عليك حكماً
القتل والقتال ، وعلينا توسيع الجيوب وجر الأذيال ، فهذا هو الرأي الذي
سوّى لك أن تدعي التوبة ولا تستدعي الكاس ، وتستدعي التوبة وتستدعي
الناس^٤ ، وتُري أنك تنسك وتتقرأ^٥ ، وتنخلع من المجون وتبرأ ، فالسلام
عليك يا أيها الناسك المتصوّف ، والمتبتل المتكشف ، الذي أقصر لما أبصر ،
وفضّل نور الحقيقة ، على نور الحديقة ، فقطع العلائق ، وهجر الخلائق ؛
فأنت ممن تقول ، ما لا تدركه الأبواب والعقول : أخذت مني أنا ، فبقيت

١ العملس : القوي الشديد على السفر ؛ ط س : عناس .

٢ الحرير : الدليل الحاذق بالدلالة .

٣ ب م : الحام ؛ والحام : نوع من البلغم (مفيد العلوم : ٤١) .

٤ من قول دكين الراجز :

جاءت به معتجراً بهرده سفواء تردى بنسيج وحده

والسفواء : الخفيفة الناجية السريعة ؛ وفي الاصول « شقراء » وهي صفة للفرس ؛

والسفواء صفة للبقلة .

٥ من قول عمر بن أبي ربيعة :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جر الذبول

٦ ب : التوبة .

٧ وتستدعي الناس : وردت في م وحدها .

٨ تقرأ : تنسك .

بلا أنا ، فبوجهك يستسقى الغمام^١ ، وبيركة دعائك تستسقى الآلام ،
فإنك الرجلُ الزاهد ، والمرابطُ المجاهد ، وما تخفى عليك لطائفُ الزهدِ
ورقائقه^٢ ، ووجوهُ النسكِ وطرائقه .

ولكن هاتِ حدثنا حينَ لم ترضَ بالراحِ إلْفاً ، وطلقتُها أَلْفاً ، ما
سَبَبُكَ في سَبَكِهَا ، وهي صافيةٌ طاهرة ، وغضُّكَ منها وهي طيبة
عاطرة ، وَكُلُّوْحُكَ في وجهها وهي طَلْقَةٌ ناضِرَةٌ ؟! وما لك جواب
غير قول أبي نواس^٣ :

لا تسمِّ المدامَ إنْ لمتَ فيها فتشِينَ أَسْمَهَا المليحَ يُفِيكَ

وأما إشارتك في أن نَشَرَبَهَا على وُدِّكَ ، ونتذكَرَ عليها طيبَ عهدك ،
فلا ولا كرامةَ ولا نُعْمَى عَيْنٍ ، فهي أَجَلٌ وأَكْرَمُ من أن نبذلها في
وَدٍّ مَنْ جفأها وقلاها ، ونديرها على حَمْدٍ من ذمها وهجاها ، وأما قولك^٤ :
« لا يسري فيك غامضُ شَرِّنا ، ولا يحلُّ عَقْدُكَ لطيفُ سحرنا » فإنك
ترققُ عن صَبُوحٍ^٥ ، وتُشيعُ السرى وأنت مصبحٌ^٥ ، وتسرُّ الحسوَ وأنت

١ من قول الشاعر :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة الأراذل

٢ ديوان أبي نواس : ٣٠٩ .

٣ ب م : وقولك .

٤ من المثل : أعز صبح ترقق (فصل المقال : ٧٥ ، ٧٦ والميداني ١ : ٣١٥ والعسكري

١ : ١٦) أي يعرض بشيء وهو يريد غيره .

٥ من المثل : اذا سمعت بسرى القين فانه مصبح (فصل المقال : ٣٥ ، ١٠٧ والميداني ١ :

٢٧ والعسكري ١ : ١٢ والجمهرة ٣ : ١٦٨) والقين : الحداد ، ينزل في البادية فيمكث

أياماً فيكسده عليه عمله فيأخذ يوهم الناس انه سار راحل عنهم وان لم يرد ذلك ، فاصبح

اتكرار الامر لا يصدق ؛ ومصبح : مقيم حتى الصباح .

مُرْتَعِجٍ ، وترى الزهدَ وأنت طالبٌ مُبْتَغٍ ، فاعلمُ أنا سنجعُ شرَّنا^١
 الميين ، ونظاهرُ عليك أجمعين ، ونجلِبُ من الجنِّ كتابَ وجرائد ،
 ونصرفُ من المكر خُدَعاً ومكايد ، في بقائك على نُسُكِكَ مستمراً ،
 ودوامك على توبتك مصرّاً ، فعسى أن تنعم بالآلَ وتقرَّ عيناً بنضوج كبذك ،
 والتياعِ حشاك ، وتشاهدَ مشارعَ الراحِ ولا ترد ، وتباشرَ مناهلَ المدام
 وتنشد :

أرى بعد وِرْدِ الماءِ للقلبِ لوعةً^٢ اليك على أنِّي من الماءِ نافعُ
 وإنا لنوقنُ أن هذا الأملَ بعيدٌ لا نبْلُغُه ، ونعيمٌ لذيدٌ^٣ لو نُسوِّغُه^٤ ، فما
 تزالُ يَحُلُّ أَيْمانُكَ من نفسك حَنْتٌ ، لا يقاومه سِحْرٌ ولا نَقْثٌ ،
 ونعم ، سنأدبك إلى مآدبِ أنسنا ، [ونندبك] إلى محاضرِ لهونا ، فما نَمُ إلا
 بك ، ولا نلذُّ إلا باقترابك^٥ ، وأي شيء ألدَّ وأمتعُ من أن نَتَعَاطِي [٧٧ أ]
 الكراتِ والنُخبَ ، ونبعثُ من مكانه الارتياحَ والطربَ ، ونصدَّ الكاسَ
 عنك وأنت في مجراها ، ونخلقُ بها عليكَ وأنت لا تراها^٦ ، ولا تُعَلِّلُ
 منها بنسيم ، ولا تنفخُ لك من رياها بشميم ، حتى إذا دبَّتْ فينا حُمَمًا
 الأحمر ، وقهرتْنا سَوْرَةُ السُّكْرِ ، تمايلنا عليك مُعْرَبِدِينَ ، وتمسحنا بأثوابك
 راكعين وساجدين ،

* كما شَبَّرَقَ الولدانُ ثوبَ المقدَّسِ^٦ *

١ ط د س : سحرنا .

٢ ط د س : لدينا .

٣ ب م : تبلغه . . . تسوغه .

٤ ط د س : بقربك . ه ط د س : ولا تمكن من أن تراها .

٦ لامرئ القيس ، وصدرة : فادركنه يأخذن بالساق والنسا (الديوان : ١٠٤) شبرق

مزق ، المقدس : الراهب الذي يأتي بيت المقدس .

وأما [صفة] حالتنا^١ التي سألت عليها^٢ ، فسزيدك جنوناً بالحديث عنها :
اعلم^٣ أننا قيّدُ التهاءِ وارتياح ، ورَهْنُ اغتياقٍ واصطباح ، تصرَعُنَا
القهوةُ ، فنتداوى منها بها ، ونتدرعُ الشوةَ ، فلا نَعْرَى من إهابها ،
فنخرجُ من سكرةٍ إلى سكرة ، ونعبرُ من غمرةٍ في غمرة :

[سدى عده لا يعرف اليوم^٥ باسمه ونعملُ فيه اللهو مرأى ومسمعا]

وكتبنا إليك — [أصلحك الله] — بأناملَ يمتطيها القلمُ فترَعَش ،
وتحتويها الكاسُ فتستقلّ وتنتعش ؛ أطلعنا عليك من حالنا غائظاً فتلقَّه
بالكظم ، وأوصلنا إليك من خفَضِ عيشنا منكرأً فادفعهُ بالصبر والحلم ،
وستردُّ فتعلمُ ، وتلقى خلافَ ما تظنُّ وتتوهم ، والله يُمَتِّعنا بمقدَمِكَ ،
ويؤنسنا بلقائِكَ ، وينفعنا بصلاحِكَ وبرَكَةِ دعائِكَ .

وذكرتُ ببعض فصولِ هذه الرسالة^٦ أبياتاً كتب بها ذو الوزارتين
أبو محمد بن هود^٧ إلى الوزير أبي محمد بن عبدون في ترك الشراب ، أولها :

* الخمرُ يا سادتي حرامٌ *

فراجعهُ الوزير أبو محمد بهذه الأبيات :

يا سيداً في حُباهُ رَضَوِي أَسْتَغْفِرُ اللهَ بل شمامُ

١ ط د س : حالتنا .

٢ ط د س : عنها .

٣ ط د س : فاعلم .

٤ ط د س : نخرج .

٥ د س : النوم ؛ ط : الناس .

٦ ط د س : الرقعة .

٧ ترجم له ابن بسام في القسم الثاني من الذخيرة .

في زمنِ الوردِ يا أخاه تُجفَى ولم تُذنبِ المدام
 إذا أَلَمْتَ ذوباً وجمداً تنفِرُ عنها^١ ولا النعام
 ودار دنيا الورى^٢ عروس^٣ معشوقه^٤ ريقها المدام
 إني لأدري الورى يقوم^٥ أنت لهم سيدي إمام
 شامت^٦ يدُ النسكِ منك سيفاً لكنّه مثلها كهمام
 فعدّ^٧ إلى الضربِ يا حساماً عن مثله^٨ يعجزُ الحسام

وله من أخرى^٩ : وَصَلْتَ رَقْعَتُكَ - أَعَزَّكَ اللهُ - تستدعي المؤانسة
 من توالي هذا المطرِ الموحشِ للأنفُسِ اللبّية ، المضيّقِ للصدورِ الرحيبة ،
 فاستغربتُ فضلكَ في تذكّر من يُنسَى ، وصلة من يُجفَى ، واستدناء
 من يُقْصَى ، ويحقُّ أن يُستغربَ وفاءُ الصديق ، في زمانِ الغدْرِ والمذوق^٥ ،
 غير أنَّ رغبتك صادفتني ولي من الكتبِ جلساءُ تؤنيسُ في الوحدة ،
 وتسليّ من الكربة ، وتحلو صدأ الخواطر ، وتفتح عيونَ البصائر ،
 وتحلو للمجتنبي ثمارها ، ويُمْتَرِعُ ناظرَ التأملِ^٦ نوارها ، ثم إنَّ من أغرب
 فوائدها أنها تستدنيك إن نأيتَ ، وتستعطفك إن وليتَ ، وأغربُ من
 ذلك [٧٧ ب] أنك تحمد عقبها ، ولا تتوقع^٧ أذاها ، وقد رضىتُ

١ ط د س : منها .

٢ ط : ودار دار الدنيا .

٣ ط د س : فعله .

٤ ط د س : ولابي المطرف من رقعة قال فيها .

٥ المذوق : الكذب والنفاق .

٦ ط س : التأمل .

٧ ط د س : أنا نحمد ولا نتوقع .

اليومَ بها قَسَمًا^١ ، وإن أفاتتني من السرورِ برؤيتك غُنىً ، ولك أنت
أخفُّ الشكر ، فيما تَلَطَّفْتَ به من البر ، فاخترُ إخواناً يجاروني في الذمِّ
والمديح ، ويساعدوني على الحسنِ والقبیح ، وحسبي أنا منها ما تتذكرون
من عهدي ، وتتعاطون^٢ من الأكواسِ والشُّخبِ في ودِّي .

وله من أخرى : من الأعاجيب - أعزَّك الله - مكاتبةٌ مجهول لا يُعرفُ
له اسم ، ومراسلةٌ غُفْلٍ لم يَصَحَّ له^٣ وسمٌ ، ولكنك أصبحتَ غريبَ
العليا ، وزعيمَ بني الدنيا ، فحسنٌ لنا أن نذهبَ مذهبَ الإغراب ، في
ما نبغيه لديك من الطُّلاب ، ونبدأ بعرضِ الآمال ، من غير أن ندرجَ
في مدارج الاتصال ، ذهاباً في ذلك عن^٤ العادة ، مع مَنْ خَرَقَهَا في
السيادة ، حتى جَلَّ في المجد والعلاء ، عنِ الأشباه والقرنَاءِ ، فينشدُ
فيه وفيّ :

غَرَبْتُ خلائقَهُ وأغربَ آملٌ فيه فأبدعَ مُغْرِبٌ في مُغْرِبٍ^٥

وله من أخرى : لولا أن التعمَّلَ^٦ في بعضِ الأحوالِ ، ضَرَبْتُ من
الإزراءِ والإخلالِ ، لاحتفلتُ وأطنبتُ ، إلاَّ أنه قد يكونُ في بعضِ
السِّرِّ إعلان ، وينبي عن ما في الصحيفة عُنْوان ، وبذلك أكتفي وأحيلك

١ من قول المتنبي :

طلبت لها حظاً ففانت وفاتني وقد رضيتني لو رضيت بها قسماً

٢ ط د س : يتذاكرون يتعاطون .

٣ ط د س : يلج عليه .

٤ ط د س : على .

٥ البيت لابني تمام ، ديوانه : ١١٢ ، وفيه : فاحسن مغرب .

٦ ط د س : التعمق .

على نفسك النفيسة فهي تصوّره وتخيّله ، ثم تصوّره ببالك وتمثله .
 ووصل كتابك مشتملاً من لطيف صلتك ، وصافي برك وتكرمتك ،
 على ما أشعر النفس اعتزازاً ، وكسا الأعطاف اهتزازاً ، وتلا ذلك من
 ودادك واعتدادك ، وجميل مذهبك واعتقادك ، ما استغرق المني ،
 وزاد على الأمل فأوفى .

ومن أخرى : لم أزل مذ سمعتُ سورَ فضلك تتلى ، ومحاسنَ شمائلك
 تُجلى ، وجميلَ فضلك يُعادُ ويُنشأ ، وغريبَ مجدك يكرّرُ ويُنشأ ،
 أهمُّ بمكاتبتك ، وأشوقُ إلى مخاطبتك ، وأتمنى أن لو فتح الله للصلة^٢
 باباً ، ومكّن من الخلّة أسباباً ، وعوارضُ الاستحياء ، تحولُ بيني وبين
 الابتداء ، حتى جدّد لي فلانٌ من أوصافك ما لسانُ الزمان به أنطق ،
 وشواهد^٣ الفضل عليه أصدق ، فلم أتمالك أن حللتُ عرّى الانقباضِ
 عني ، وتراميتُ إلى مفاتحتك بنفسي ، وها أنا ذا قد أتيتُ إلى مودّتك
 خاطباً ، وفي صلتك راعباً ، على ثقة بأنك — بما يجمعنا من التشاكل
 والتناسب ، في جميع الأمور والمذاهب — تراني كفواً لما خطبت^٤ ، وأهلاً
 لما رغبت . ولا غرو أن أقرنَ بهذا استنهاضك إلى مشاركتي في الخطب
 [٧٨ أ] الأخطر ، والمهمّ الأكبر ، دون أن أصلَ للأخاء حبلاً ،
 وأتدرّج في تهذيب الصفاء حالاً فحالاً ، حتى يتمكن الارتباط ، ويتمهد
 الاغتباط ، ويحسن السؤال والانبساط ، ففضلك يقتضي أن ابتدءَ

١ ط د س : ذكرك .

٢ ط د س : من الصلة .

٣ م : ومنتدى ؛ والكلمة غير واضحة في ب .

٤ ط س : خاطبت .

بالإدلال ، وأتخطى تلك الرُتب إلى الاسترسال ، ليمَّ ما بيننا في الابتداء ،
ما لم يَمَّ لغيرنا في الانتهاء .

وقد علمت ما دخل الشرق من الاختلال ، واضطراب الأحوال ،
وأن الحزم داعٍ إلى التحول عنه والانتقال ، وقد تأملت أيَّ الجهات أنجي
وأعصد ، وعلى أيَّ الملوك أعوّل وأعتمد ، فلم تطب إلاّ على تلك الحضرة
الرفيعة نفسي ، إذ كان يجمع الدولتين نظام ، ويضمّ الحالتين الثام ، وكان
المنتقل بينهما إنما يتقلب في ظلال ، ويتحوّل من يمين إلى شمال .

وله من أخرى بعد انتقاله : كتابي له من قرطبة ، وقد وردتها بحمد الله
على رجب وسعة ، وأخلدت منها إلى سكون ودعة ، وذهبت بحمد
الله تلك الحيرة ، وانجلت تلك الغمرة ، واستقال الجدُّ من عثاره ،
ولاح قمر السعد بعد سيرة ، وأعاد الله من تلك الأحوال العائدة
بمساءة الأولياء ، الجالبة لشماتة^٢ الأعداء ، لجمعها بين القيلة والذلة ،
وخطّة الخسف والعطلة ، وأغنى جلّ جلاله عن تلك الدولة التي حملتْنا
على حال خمول ، وصرفتنا على غير جميل^٣ ، وحصلت بالحضرة التي
لا يُنفقُ فيها بالمخارق ، ولا تُعطى الكوادر فيها حظوظ السوابق ،
وهذا هو المعهود منه تعالى في أن يُبدل^٤ من الضراء بالسراء ، وينقل
من الشدة إلى الرخاء ، ومن اعتقد الخير غير دائم ، ولم يحسب الشرّ ضربة
لازم ، فقد أراح نفسه من تعب السّاخِطِ على القضاء ، والقانِطِ من الفرج
عند الانتهاء .

١ ط د س : كتبت .

٢ ط د س : شماتة .

٣ ب م : حال خمول .

٤ م ب : يبدل ؛ ط س د : بأن يبدل .

وأنت يا سيدي ممن يُسرُّ بما ذكرتهُ ، لأنك الوليُّ الذي لا مَرَضَ
 بودةٍ ، ولا استحالةَ لعهدِهِ ، ولا يوحِشُكَ ما سلف من عَتَبٍ عليك ،
 ومنافرةٍ لك . وانقباضٍ عنك ، فمن ضنَّ بالخلةِ نافَسَ في الصلةِ ، وقد
 عفا الله عما مضى ، إن حققتَ الآن ما ادَّعيتَ ، ووفيتَ بما منَّيتَ ،
 فإنك عاهدتَ أن تستدركَ من صلةِ المكاتبَةِ على تنائي الأقطار ، ما ضيعتَ
 منها مع تجاور الديار ، وقد آن لك أن تزورَ كعبةَ الكرم ، وتهاجرَ إلى
 مطمح الآمال [والهمم] ، وأن تلقى ملكاً ليس كالملوك التي لقيتَ ،
 ولا أحسبك ترى مثلهُ ما بقيتَ ، فبادر تغمُّ ، ولا تتأخَّرْ تَنَدَّمَ .

[وله] من أخرى [في مثله] : كتبتُ وقد أدالَ الله من تلك الديارِ
 الموحشةِ بضدِّها ، وأراحَ من [٧٨ ب] مواطنِ الهونِ بفقدِها ، ونقل
 بفضلِهِ إلى حيثُ البرُّ باهر ، والانعامُ غامر ، والفضلُ في النقصِ آمر ،
 والنبيلُ على الجهلِ ظاهر ، نعم : وحيثُ المجدُّ شامخُ البناء ، والشرفُ
 عاديُّ الانتماء ، والسلطانُ رائعُ الرواء ، والملكُ متناهٍ في البهاء ، وحيثُ
 [بحور] الكرمِ زاخرة ، وسماءُ المجدِ ماطرة . إلى غيرِ ذلك مما يطول
 عدُّهُ ، ويُعجزُ البيانُ حدُّهُ .

وله من أخرى : أتراكَ ممن^٢ تغيرَ ، وفي جملةِ مَنْ تنكَّرَ ، فنحتاجُ
 إلى استتلافك ، ونأخذُ في استلطافك ؟ ! أنا أكفيك مؤنةَ الجوابِ ، في
 هذا الباب ، وأخصمُ نفسي عنك ، وأقيمَ الحجةَ عليها لك ، فأجعلُ
 عُدْرَكَ في الأشغال^٣ ، ولا أنسبك إلى التغافلِ والإهمال ، وأقول : بعيدٌ

١ ط د س : والسرو .

٢ ط د س : فيمن .

٣ ط د س : الاشتغال .

على الدهر أن يؤثر في ودك ، أو يحلّ رباطاً من عقْدِكَ ، ولكنّي أقول مع هذا : واصلْ فقد أغببتَ ، واعتذرْ بما أذنبتَ . وهاتِ يا سيدي أخبارَكَ التي هي أشهى إلى نفسي من عَصْرِ الصَّبَا . وأنْدَى على كبدي من نسيم الصَّبَا ، وجدّدْ بك وبها عهدي فقد عفا منه رَسْمٌ ، ولاح عليه للقِدَمِ وَسَمٌ .

وفي فصل^١ : وعرفني بمَ تَقطعُ دهرَكَ ، وعلى أيّ شيءٍ تنفقُ عمركَ ، ونُصَّ على ما تجدهُ . عندك من العجائب ، واستفدته بعدي من الغرائب ، ولا تكتمني شيئاً وابسطه كله بسَطَ المُسْهِبِ ، واشرح جميعه شرح المستوعب ، تمحْ بذلك إساءة الإغباب ، وتزلْ عني دواعي الاكتئاب .

وله من أخرى : وقفتُ على كتابٍ من لدنك قد اشتمل على كلِّ برٍّ وحَقَايَةِ^٢ ، وإشفاقٍ [ورثاية] ، وتسليّةٍ تُذهِلُ عن سوء الحال ، وتعدُّ على الأيام بضمانٍ إقبالٍ . فذهب مُستَوْدَعُهُ بغمة النفسِ ، وأدال من الوحشة بالأُنسِ ، وغلبَ الرجاءَ على اليأسِ ، وظلتْ حُشاشةُ الهمةِ تتراجعُ ، وخفضةُ^٣ الأملِ تترافعُ ، حتى كاد هذا يستقيلُ من عثارٍ ، وتلك تُنَشَّرُ بعد إقبارٍ ، وليس هذا بأوّلِ انطباقٍ أعمَ فطلعتْ له من تأنيسك مصابيحَ ، ولا بأوّلِ غلَقٍ استبهم فتداركته من ألطافِكَ مفاتيحَ ، بل هي لبيضِ أياديك شوافعُ ، ولسوالفِ مشاركتك توالٍ وتوابعُ .

وله من أخرى : ولو رأيتَ فلاناً وادعاءهُ ، ورَعهُ^٤ أن الله اتخذهُ

١ وفي فصل : سقطت من ط د س

٢ ط س د : وحماية

٣ ب م : وحفظة .

صَفِيًّا ، وآتاهُ الحَكمَ صَبِيًّا ، فأفردَهُ بِجوامِعِ الكَلِمِ ، وَجمَعَ لَهُ ما افترَقَ
 فِي الأُممِ ، أن حَصَلَ فِي مَجْلِسِ مَلِكِ أَعْلَاهُ ، وَعَقَدَ بِالْجَهْلِ حِباها ،
 ثُمَّ قالَ قولَ عَلِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ [٧٩ أ] وَأَرْضاهُ : سَلَوْنِي قَبْلَ أن تَفْقِدُونِي ،
 وَلَنْ تَعْدَمَ مَعَ هَذَا مُطَرِّبًا بِالصَّوابِ . وَقائلاً : هَذِهِ الحِكْمَةُ وَفَصْلُ
 الخُطابِ ، فَأعجَبَ يا سَيِّدِي لأُمِّمِ ، ضَحَكَتْ مِنْ جَهْلِها الأُمِّمِ ، وَغَلَطَتْ
 فِي ما لا تَغْلُطُ فِيهِ النِّعَمُ ، إلی أن نَفَقَتْ عِنْدَها المَحالَّاتُ والأَهْذارُ ، وَبَطَلَتْ
 بِسَبَبِها القَيِّمُ والأَقْدارُ ، وَلَكِنْ إِنْ وَقَعَ الأَمَلُ سَقَطَ التَّعَجُّبُ لِأَنَّهُ لِلْقَوْمِ
 مِثْلُ ، وَلِلْحالِ وَفَقُّ وَشَكْلُ :

فَلَمْ تَكُ تَصْلَحُ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا^١

وَفِي فَصْلِ مِنْ أُخْرَى^٢ : وَرَدَ كِتَابُكَ فَنَوَّرَ ما كانَ بِالإِغْبابِ داجِياً ،
 [وَحَسَّنَ عَنْكَ مِشافَهاً وَمِناجِياً] ، وَاسْتَرَدَّ إلی الخَلَّةِ بِهاءِها ، وَأَجْرَى
 فِي صَفْحَةِ الصَّلَةِ ماءَها ، وَعِنْدَ شِدَّةِ الظَّماءِ ، يَعْذُبُ الماءُ ، وَبَعْدَ مَشَقَّةِ
 السَّهْرِ^٣ يَطِيبُ الاغْتِفاءُ ؛ وَلا تَعُدْ [بَعْدُ] إلی هَذَا فَيَكْفِي ما يَجْنِيهِ عَلَيْنَا حادِثُ
 البَينِ ، حَتَّى يَزِيدَهُ بَقْطَعِ الأَثَرِ بَعْدَ العَينِ^٤ . وَرَأَيْتُ ما وَعَدْتَ بِهِ مِنَ الزَّيارَةِ
 فَسَرَّني سُروراً بَعَثَ مِنْ أَطْرابِي ، وَحَسَّنَ لي دِينَ التَّصابِي ، فَلَمْ أَتِمَّاكَ
 أَنْ اسْتَرَسَلْتُ إلی المَزاحِ ، وَتَجَلَّيْتُ فِي^٥ يَدِ الارْتِياحِ ، حَتَّى كَأَنَّمَا أَدَارُ
 عَلَيَّ المَدامَ مُدِيرُها ، وَجاءَ المِثاليّ زِيرُها ، وَلَعَلَّ الأَيامَ تَفْعَلُ

١ البيت لأبي العتاهية ، ديوانه : ٦١٢ .

٢ انظر القلائد : ١٠٩ والخريدة ٤ : ٣٥٥ .

٣ ب م : السفر .

٤ ب م : والعين .

٥ د ط س : وتحليت من .

ذلك فقد تُحسِّن في بعض الأوقات الصنيع ، وتَشعَّبُ الشملَ الصديق ،
ولا تسأل عن حالٍ استطلعتها فهي شرٌّ ما عهدت : من صبح^١ لاح من
خلال ذوائبي^٢ ، وتنفسَ في ليلٍ لمتي ، فأراني^٣ مصارع [آمالي] ، وكشفَ
لي عن أسودادِ المطالب ، وأبأسني من قضاءِ المآرب ، وعرفني من مبادي
العيش ما زهد في العواقب .

وله من أخرى : آياتُ مجدك ظاهرة ، وأقمارُ سؤددك باهرة ،
والعيونُ إليها ناظرة ، والهممُ منها غائرة^٤ ، وخُطَا الأيام عن نيلها قاصرة ،
وأقدامُ المساعي في مداها عائرة ، ولله عصرٌ^٥ سبَّبَ فتشَّحَ بابِ مخاطبتك ،
وزمنٌ خلَّعَ عليَّ حلَّةَ مواصلتك ، ووهبي جميلَ العارفة بك .

وفي فصل [له] من أخرى : ورد كتابك فرفع مغضوضَ نواظري ،
وحركَ سكونَ خواطري ، وأقام عاثرَ همتي ، وأعادَ عليَّ ذاهبَ مُنبِّي ،
ولما فضَضْتُهُ وجدته قد تضمَّنَ من تفضلتك وتكرمك ، وعرض من
اهتباك وتهممك . ما ينقطعُ جرِّي^٦ القلم في مدى شكرِهِ ، ويضيقُ
ذرعُ البيان عن توفية نشرِهِ^٧ . وما ذكرته من صفاء الودِّ ، والوفاءِ
بالعهد ، فكلُّ ذلك مصوَّرٌ في نفسي قبل أن تشيرَ إليه . ومحيطٌ به علمي

١ القلائد والخريدة : فهي كاسفة بالي ، كاشفة عن خيالي ، لصبح .

٢ ط د س : ذوائبي .

٣ القلائد والخريدة : مطالع عمالي ، وارانني . . . الخ .

٤ ط س د : عامرة .

٥ ط د س : ولله سبب فتح .

٦ ط د س : حد .

٧ د ط س : بشره .

من غير أن تنبّه عليه ، لأننا كلٌّ تَبَعَضَ في جزئين ، وجوهرٌ تظاهر في شخصين ، فَشَمَلْنَا جميعٌ وإن تصدّع ، وَشَعَبْنَا واحدٌ وإن تنوع .

وفي فصل من أخرى : رأيتُ ما ذكرتهُ من استقرارك في ذلك المحلّ الرفيع ، واغتنابكِ بذلك الجنابِ [٧٩ ب] المريع ، عند صاحبِ المظالم ، ونظامِ ١ أَشْتَاتِ المكارم ، الذي أعاد آثارَ الفضلِ معالمَ مشهورة ، وأخبارَ الكرمِ مشاهدَ محضورة ، أعاذ الله مَجْدَهُ من أعينِ العلويةِ ، لا من أعينِ البشريةِ ، وجعل له خاتمةَ إنعامه ، التراخي في مدّة أيامه ، فحسبك إلى ما أجريت ، ولا مزيدَ حيثُ انتهيت ، فاشددْ على التعلق به يداً ، فلست تلقى بَعْدَهُ أحدًا .

حلّ تلك الفقرة المتقدمة من قول المعري حيث يقول ٢ :

أعاذ مَجْدَكَ عَبْدَ اللَّهِ خَالِقُهُ من أعينِ الشَّهْبِ لا من أعينِ البشرِ

وله من أخرى : إذا أُسِيتُ ٣ لفراقك فإنّ في الباكين حولي تسلياً ، أو جزعتُ من رحلتك فإن في المصابين معي تعزياً ، فما ارتحلتَ إلّا عن من ودّعَ بوداعِكَ دِينَهُ ودُنْيَاهُ ، وفارقَ بفراقِكَ سروره ومَحْيَاهُ ، لإحاطةِ العلم أن قد استوتْ بعدك الأقدام ، وطُمِسَتْ من العلوم الأعلام ، ثم تقضي لي مَرِيَّةً ٤ الاصطفاءِ والتقريب ، بوفورِ الحظ منك والنصيب ، فقد كان لي من أخلاقك الكريمة في الاختصاص . ومذاهبك الحميدة في

١ ط د : وناظم .

٢ شروح السقط : ١٥٠ .

٣ ط د س : ان تاسيت .

٤ د ط س : قضية .

الاستخلاص ، ما يحول الآن بيني وبين التماسك ، ويحمل نفسي على التهالك .

ومن أخرى : وظننت أنني أولُ مخصوص بالكتابة^١ . ومُعْتَمِدُ بالمخاطبة ، فإذا أنا المنسيُّ ، وسواي المرعِيُّ ، وغيري يُعْطَاها ولا يسأل ، وأنا أطلبها فأصرَفُ بالجمية وأخجلُ ، وكلما رأيتها تُفَرِّقُ بمنةً وبسرةً ، تقطعت نفسي عليها حسرةً ، فلولا العنوانات لادَّعيتُ فيها ، واختطفتها من أكفِّ آخذها ، لحجلي بين من كان يَتَوَهَّمُ أنني^٢ مختص بك وأثيرُ عندك .

وأراني فلانٌ كتابكَ إليه ، فوقفتُ عليه ، وفي صدره وصفُ خبرك ، ولعلَّه ما استهداه ، ولا سألكَ إياه ، وفي عَجْزِهِ حثُّكَ له ولأشباهه على الرحيل ، فيا ليتني كنتُ في جملة ذلك الرعيل ، وقد تواتر النبأ من بَرٍّ مَنْ أَيْدِه الله لك بأشياء تُنْكَرُ إلاَّ من^٣ مثله ، وتستغربُ إلاَّ من فعله ، والله يُبْغِيكَ جمالاً^٤ للدين . ونوراً في فلككِ العليا ، ولولاه ما رجَّتِ الهممُ بشراً ، ولا عُرِفَ الكرم إلاَّ خبراً .

وفي فصل من أخرى^٥ : يا ليت شعري كيف أتغير على بعضي ، وأمنحه قطيعتي وبغضي : وما أظن إلاَّ أنك داخل في جملة من يحب فيمتجنى ،

١ ب م : بالكتابة .

٢ ط د س : يتهم أنه .

٣ ط د س : الا على .

٤ ط د س : كالا .

٥ انظر القلائد : ١٠٤ والخريدة : ٤ : ٣٥٧ .

ويعشق فيتجافى ، بدليل أني كلما بسطتك تنقبض ، أو أبرمت منك حبلاً
يتنقبض .

وله من أخرى :

ترحلتُ عنكم^١ لي أمامي نظرة^٢ وعشر^٣ وعشر^٤ نحوكم من ورائي [٨٠أ]
ولكنها نظرة^٥ من خلال عبّرة ، والتفاتة^٦ إثر زفرة ، والصباة^٧ تفعل
بالنفس أفعالها ، وتشرب^٨ من المدامع أوشالها ، والقلب^٩ من جزع يضطرب
ويخفق ، ويطفو في أشواقه^{١٠} ويغرق ، وكلما خطت^{١١} المطي^{١٢} باعاً ، خفت^{١٣}
على كبدي انصداعاً ، وما كنت^{١٤} ممن يكلف^{١٥} ويشفق^{١٦} ، ولكن من أبصر^{١٧}
ما أبصرت^{١٨} فبالضرورة^{١٩} يعشق^{٢٠} ؛ ويا شوقاه ! ويا حرّ قلباه ! من لي بالشعب
أن يلتئم ، وبذلك الشمل^{٢١} أن ينتظم^{٢٢} ، كانتظامه^{٢٣} في مشاهد جمعت^{٢٤}
أشبات^{٢٥} الأنس ، واحتفلت^{٢٦} من منى النفس . وتناولت^{٢٧} الراح^{٢٨} من يد القمر^{٢٩}
والشمس ، بين بساتين^{٣٠} نشرت^{٣١} عليها تستر^{٣٢} ألويتها^{٣٣} . وأهدت^{٣٤} إليها
صنعاء^{٣٥} أوشيتها^{٣٦} ، وذوب^{٣٧} اللجين^{٣٨} يطرد من خلالها ، وأدواح^{٣٩} الزبرجد^{٤٠}
تغشاه^{٤١} بظلالها ، وقيان^{٤٢} الطير راقية^{٤٣} في أغصانها ، متجاوبة^{٤٤} بضروب ألحانها .
ونحن نوفي كل^{٤٥} مكان منها طيباً ، ونشاهد^{٤٦} منظرأ عجيباً ، ولا ندع^{٤٧} أن
نعرّس^{٤٨} في كل^{٤٩} مغنى ، وندير^{٥٠} الكاس^{٥١} على كل معنى ، ولا مثل^{٥٢} يوم

١ د ط س : يكلف ويمشق .

٢ ناظر الى قول المتنبي :

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ولكن من يبصر جفونك يعشق

٣ س : واختلفت . ٤ د ط س : ارديتها .

٥ ب م : رشيها .

٦ ط د س : بكل .

الديرِ وصُبح^١ وصلناه ، والنواقيسُ حولنا تضربُ ، ونحن نطوفُ بالصليبِ
ونلعب ، وذلك المزنَرُ يَسقي وتَشربُ^٢ ، ومغنيّنا يغني وتَطربُ^٣ ،
وقد عقدوه بزَنارِهِ فديتُ الغزالَ ومن زَنَرَهُ^٤

وعسى الأيامُ أن تجدَدَ بتلك المعاهدِ عهدي ، فأشفي بنسيمها وجدي ،
وأضع في بَرْدِ ثراها خدّي ، فقد تلىنُ في الأحيان منها معاطف ، ويكونُ
لها في الندرةِ عوارف .

وكان غَرَضِي أن أُسكِنَ بالمكاتبَةِ من لوعي ، وأتعلَّلَ باستهداءِ
الأخبارِ في وحشتي ، لولا ما كنتُ بسبيله من سقم ، لم تتمكنُ يديُ معه
من إمساكِ قلم ، وها هنا سرّ تصيخُ إليه ، وتطلُّعُ عليه : وَعَيْنُ شِكِّ مَا
كَانَ جَلُّ مَا بِي إِلَّا مِنْ أَجْلِ الْعَيْنِ وَالْبَاءِ^٥ ، فبرَّحَ إن شئت بالخفاء ، واسترُ
إن شئت^٦ على مثلي من الأولياء ؛ لكني لما آتستُ راحةً من شكاتي ، تطلَّعتُ
إلى تناولِ الحميّا على علاّتي ، وحضرتُ بين يديّ سلافُ ذكرتني برشفِ
ذلك اللّعس ، ونرجسُ عارضني بطيبِ^٧ ذلك النّفّس ، فنشطتُ للكتابِ
قليلاً ، وسامحَ الدهرُ وإن كان قليلاً ، فهاتِ - جُعِلْتُ فداك - جَدُّ^٨
مِنَنِكَ عندي ، بوصفِ صُورِ الأحوالِ بعدي ، وأخبرني عن القمرين
إذا اعتمّا بذلك السَّبَج ، ولحظا من ذلك الدّعَج ، وعارضا في العوارض

١ ب م : والصبح .

٢ ط س : ويشرب ؛ د : ويطرب .

٣ د ط : ويطرب . ٤ س : لم يتسن لي .

٥ ب م : الباء والعين .

٦ ط د س : احببت .

٧ ط س : فطيب .

تلك الصوالج [المنمنمة] ، وأبدى من المباسم تلك اللآلي المنظمة ^١ ، ومال
 بغصنهما ^٢ الدلال ، وألبسهما حلاهما الجمال ، كيف يروعان النفوس
 إذا طلعا ، وكيف يفعلان بالقلوب [٨٠ ب] إذا افترقا واجتمعا ، واذهب
 في الوصف مع الاسترسال ، ولا تجر إلى التعمل ^٣ والاحتفال ، وزدني من
 حديثك يا سعد ، وإن زدني جنونا بعد ^٤ ، ولا تقل أنا مقسم البال مشغول ،
 وفيما استفهمت عنه كلام طويل .

وله من أخرى خاطب بها الوزير أبا محمد بن عبدون من سرقسطة ،
 ونقلتها من خط يده ^٥ : نعم قد حم ما توقعنا من بين ، وصار أمرنا
 أثراً بعد عين ، وصرنا عنكم في الطرف الأقصى ، وشطت بنا غربته
 النوى ، وتساوينا على عارض الفرقة والأسى ، « فمتى تقول الدار
 تجمعنا » ^٦ ؟ وقد نثرنا الأيام فكيف تنظمن ؟ هذا بعيد والذي بيده
 كل شيء يدينه ، ومتعذر وهو جل جلاله ييسره ويسنّه ، وعلى
 ذلك فأنا الآن بحال من بلغ أملاً ، واستساغ جدلاً ، ورضي بعض
 الرضى عن دهر صار للشملى جامعاً ، وقد كان اليأس منه واقعاً ، والحمد
 لله على نعمة ^٧ جدّها ، ومنّة أكدها ، وهذه جملة موصولة منك ^٨ يفصلها

١ ب م : المنتظمة .

٢ د ط س : بغصنهما .

٣ ط د س : التعمق .

٤ من قول الشاعر :

وحدثني يا سعد عنهم فزدني جنوناً فزدني من حديثك يا سعد

٥ د ط س : خاطب بها من سرقسطة بعض اخوانه بالغرب ، ونقلت هذه الرقعة من خط يده .

٦ عجز بيت لعمر بن أبي ربيعة (ديوانه : ٤٣٤) صدره : اما الرحيل فدون بعد غد .

٧ م ب : منة .

٨ ط د س : إليك .

ويشرحها ، ويجلوها ويوضحها ، فإني كتبتُ على عجل^١ ، وعلى غير مهل ، وفي وقتٍ لم أتمكنُ من بسطِ المقال ، والجري فيه على عادة الاسترسال ، فلا تجرِ بهذا ولا تُقَارِضْ عنه ، وتفرَّغْ للجواب ، وأطِلْ في الخطاب ، واشرحْ كلَّ ما جرى بعدي من خبر ، وتجددْ من أثر ، وحَدِّثْ من عجب ، ووَاقِعْ من نادرٍ ومُسْتَغْرَبٍ .

وفي فصل من أخرى : وصلتِ التحفةُ المرغوبةُ ، والملاطفةُ المحبوبةُ ، فكانت أحلى موقعا ، وأسنى موضعاً ، من التحفِ ذاتِ القيم ، و [الملاطفات] للعدودةِ أحلى^٢ القيسم ، وارتاحتُ إليها النفسُ ، وحَضَرَ بها قَبْلَ وقته^٣ الأُنْس ، وكادت تتمشَّى نحوها الكأس ، وسأجدُّ^٤ لك بها ذكرى ، وأشربُ بها على ودك^٥ ملائى ، وأديرُها على الصبح ، وأتساوى في قسمتها مع الشرب ، فهذا من حقِّ فضلها ، وبعضِ ما لك في إهداء مثلها ، لا زلتِ الملاطيفَ المكرم ، والمواصلَ المتهمم .

وله من أخرى^٦ : أوصافُك العطرة ، ومكارمُك المنتشرة ، تنشطُ سامعها^٧ من غير توطئة ، في اقتضاء ما عَرَضَ من أمنية ، وللراح - جعلت فداك - من قلابي محلَّ لا تصلُ إليه سلوةٌ ، ولا تعترضُ عليه

١ ب م : معجل .

٢ ط د س : في .

٣ د ط س : وقتها .

٤ هنا وقع خرم في س ضاعت بسببه أوراق .

٥ ب م : عليها بودك .

٦ انظر القلائد : ١٠٨ والخريدة ٢ : ٣٥٤ .

٧ د ط ب م : ينشط سماعها .

جَفَوَةٌ ، إِلَّا أَنْ مَعَيْنَهَا قَدْ جَفَ [وقطينها قد خف] ، فلا توجَدُ للسَّبَاءِ^١ ،
ولو بِحُشَاشَةِ الْحَوْبَاءِ ، فَصَلِّني منها بما يُوَازِي قَدْرِي ، ويقومُ له
شكْرِي ، فإنْ قَدْرَكَ أَرْفَعُ مِنْ أَنْ تُقْضِي حَقَّهُ زَاخِرَاتُ^٢ الْبَحَارِ ، ولو
[٨١ أ] سَأَلْتُ بِذَوْبِ النَّصَارِ ، لا بِصَافِيَةِ الْعُقَارِ .

وله من أخرى في الاستدعاء^٣ : يَا سَيِّدِي وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ قَشِيبةً
أَثْوَابُ عِزِّهِ ، مَحْمِيَّةٌ سَاحَاتُ حِرْزِهِ^٤ ، يَتَوَمَّنَا يَوْمٌ تَجْهَمُ حَيَّاهُ ،
وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، وَبَرَقَتْ شَمْسُهُ الْغِيُومُ ، وَنَثَرَتْ صَبَاهُ لَوْلُؤُهَا^٥ الْمَنْظُومُ ،
وَمَلَأَ الْخَافِقِينَ دَخَانُ دَجَنِّهِ ، وَطَبَّقَ بَسَاطَةُ الْأَرْضِ هَمَلَانُ^٦ جَفَنِهِ ،
فَأَعْرَضْنَا عَنْهُ إِلَى مَجْلِسِ وَجْهِهِ كَالصَّبَاحِ الْمُسْتَفِيرِ ، وَجَلْبَابُهُ كَالرِّدَاءِ
الْمَجْبَرِّ ، وَحَلْيُهُ يُشْرِقُ فِي تَرَائِيهِ ، وَنَدَاهُ يَتَضَوَّعُ^٧ مِنْ جَوَانِبِهِ ،
وِطْلَانُ أَنْوَارِهِ تَتَمَرَّمُ^٨ ، وَكَوَاكِبُ أَكْوَاسِهِ^٩ تَزْهَرُ ، وَأَبَارِقُهُ تَرْكَعُ
وَتَسْجُدُ ، وَأَوْتَارُهُ تُنْشِدُ وَتَغْرَدُ ، وَبِدَوْرِهِ تَسْتَحُثُّ أَنْجَمُهَا حَيِّيَّةُ ،
وَتَقْبَلُ أَمَلُهَا مَفْدِيَّةُ ، وَسَائِرُ نَغَمَاتِهَا ، خُذْ وَهَاتِهَا ، وَأَقْصَى أَمَلِنَا ،
وَمُنْتَهَى جَذَلِنَا^٩ ، أَنْ تَحُثَّ خَطَاكَ ، حَتَّى يَلُوحَ سَنَاكَ ، وَنَسْتَفِي بِمَرَاكَ .

١ سبأ النمر : شراؤها .

٢ د : زاخرة ؛ ط : زاجرة .

٣ القلائد : ١٠٨ والخريدة : ٢ : ٣٥٤ .

٤ يا سيدي . . . حرزه : سقط من د ط وكذلك من القلائد والخريدة .

٥ د ط والقلائد والخريدة : أوأوه .

٦ القلائد والخريدة : يعبق في .

٧ القلائد والخريدة : تظهر .

٨ القلائد والخريدة : ايناسه .

٩ ب م : املها . . . جذلها .

وله من أخرى في مثله^١ : طلع علينا هذا اليوم فكاد يُمطر من الغضارة
صَحْوُهُ^٢ ، وَيَعْشَى من الإنارةِ جَوْهُ ، ويحيي الرميمَ اعتداله ، وَيُصْبِي
الحليمَ حُسْنُهُ وجماله ، فَلَقَقْنَا زَهْرَتَهُ ، ونظمتنا بهجته ، في روضةٍ
خلعت عليها السماءُ سَبَائِسَهَا ، ونثرت علينا كواكبها ، ووفدَ عليه
النعمان بشقيقه ، واحتلَّ فيه الهندُ بِخَلْقِهِ ، وبكرَ إليه بابل برحيقه ،
فالجَمالُ يُشْخِصُ لحسنه طَرْفَهُ ، والنسيمُ يهزُّ لأنفاسِهِ عِطْفَهُ ،
وتمنينا - أعزك الله - أن يتبلَّجَ صُبْحُكَ من خلالِ فروجه ، وتحلَّ
شمسك في منازل بُرُوجِهِ ، فإن رأيتَ أن تَطْلُعَ علينا الأُنسَ بطلوعِكَ ،
وتُهدِي الفرحَ بوقوعِكَ ، فلن تعدَمَ نَوْرًا يحكي شمائلك طيباً وبهجة ،
وراحاً تُخالِ خلالَكَ صفاءً ورقَةً ، وألحاناً تثيرُ أشجانَ الصبِّ ،
وتبعثُ أطرابَ القلبِ ، وندامى^٣ ترتاحُ لهم الشمولُ ، وتتعطرُ بأرجهم
القبولُ ، ويحسدُ الضحى عليهم الأصيل ، وَيَقْصُرُ بمجالستهم الليل
الطويل .

وله من رقعة^٤ : ورد كتابك مشتملاً على أنفَسِ كلامِ راقٍ في
نظامه ، وأحسن زهر تطلَّع من كمامِهِ ، فأبهجَ النفسَ برائع البيان ،
وملك الطرفَ بباهرِ الحسنِ والإحسان ، لا عدمتك تهدي^٥ نواذر وفوائد ،
ومعجزاً في مصادر وموارد ، ويعلمُ الله استيحاشي من بُعدِكَ ، وإشفاقي
من فقدك ، ولكنَّ هذه الأيامَ لا تسمحُ بمِرغوب ، ولا تجري إلى إثباتِ

١ القلائد : ١٠٩ والخريدة ٢ : ٣٥٦ .

٢ من قول ابي تمام :

مطر يذوب الصحو منه وبعده صحو يكاد من الغضارة يطر

٣ ط د : وندماناً . ٤ ط د : ومن أخرى .

٥ د ط : مهدي .

محبوب ، وعسى أن تعطفَ بالتلاقي ، وتسببَ الاجتماعَ والتداني ، فتنظمَ ما بددتَ ، وتصلحَ ما أفسدتَ ، وما ذلك على الله بعزيز .

ومن كلامه في العتاب [٨١ ب] [وما يجانسه]

فصل^١ له من رقعة^١ : وردني لك كتاب^٢ لطيفُ الحجم خِلْتُهُ للطفِهِ سَحَاءَةً ، وَتَوَهَّمْتُهُ مِنْ خِفَتِهِ هِبَاءَةً ، وَفَضَضْتُهُ عَنْ أُسْطَرٍ [فِيهَا] سَوَادٌ ، لَمْ يَتَحَصَّلْ لِي مِنْهَا مُسْتَفَادٌ ، فَتَعَوَّذْتُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، مِنْ شَرِّ ذَلِكَ الْغَسَقِ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَيْهِ^٣ الْمَحْهُ ، وَعَدْتُ عَلَيْهِ أَتَصَفِّحُهُ ، فَلَمْ يَتَخَلَّصْ لِي مِنْهُ^٤ مَحْصُولٌ ، وَلَا تَأْتِي إِلَيَّ فِيهِ مَعْقُولٌ ، حَتَّى كَأَنَّهُ سَفْطُ مَبْنِيٍّ ، أَوْ عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ مَطْوِيٍّ . فَبَعْدَ [لِأَيِّ] مَا انْفَكَّ لِي فِي صَدْرِهِ : « قَرَأْتُ كِتَابَكَ » لَا غَيْرَ ، وَلَيْتَ سَيِّدُنَا تَفَضَّلَ وَأَبَانَ ، عَنْ أَيِّ الْكُتُبِ كَانَ ، فَنَعْلَمَ بِذَلِكَ الْوَقْتِ^٥ وَالْأَوَانَ ؛ وَاسْتَحْيَيْتُ - وَحَيَاتِكَ - مِنْهُ لَكَ ، وَخَجَلْتُ عَنْكَ ، وَبُهِتْتُ فِي مَغْزَاكَ ، وَلَمْ يَتَّجِهْ لِي وَجْهُ مُنْحَاكَ ، وَقُلْتُ : مَا الشَّأْنُ الَّذِي أَرَادَ ، وَمَا هَذِهِ الْأَلْوَانُ^٦ ؟ وَأَيْنَ تِلْكَ الْفُطْنَةُ الذَّكِيَّةُ ، وَالْعِبَارَةُ الْجَلِيلَةُ ؟ وَمَا فَعَلْتُ تِلْكَ الْبَدِيعَةُ الرَّائِعَةُ . وَالْبَلَاغَةُ الْبَارِعَةُ^٧ ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ غَالَ ذَلِكَ الطَّبِيعَ الَّذِي كَانَ يَسْجَحِرُ ، وَكَيْفَ غَاضَ ذَلِكَ الْبَحْرُ الَّذِي كَانَ بِهِ يَزْخَرُ ؟

١ القلائد : ١٠٨ والخريدة ٢ : ٣٥٣ .

٢ ط د : ورد كتاب .

٣ م ب : عليه .

٤ ط د : فلم يتحصل منه .

٥ د ط : لتعلم به وبالوقت .

٦ ط د : الألوان .

٧ د ط : الرائقة .

وله من أخرى في مثله ^١ : وكنت عهدتك ^٢ لا تمتنع من مداعبة من يداعبك ، ولا ترتفع ^٣ عن مراجعة من يخاطبك ، فمن أين حدث هذا التعالي ، وما سبب هذا التعالي ^٤ ؟ عرفني - جعلت فداك - وكأني أراك تتوقد في قعدتك ، وتتشاوس في نظرتك ، فما تكلم إلا إن ابتسمت ، ولعلك رأيت الحضرة منذ زمان خلعت من قاض فطمعت في خبطة القضاء ، لأنها أشرف خطط السناء ، وجعلت تأخذ نفسك بأهبتها ، وترشح لرتبته ، وأنت الآن لا شك تتفقه في الأحكام ، وتطالع شريعة الإسلام ، وهبك تحليت بهذا السمت ، وتنبأت لهذا الدست ، ما تصنع في قصة السبت ^٥ ؟ دع عنك هذا التخلق وارجع إلى أخلاقك ، وعد في إطرافك ، واجر مع الزمان إن رشداً فرشداً وإن غيياً فغيياً ، وتجاهل ما قبلك جاهل ، وتحامق مع الحمقى فإنك عاقل ، ولا تمنع لذة الاسترسال ، من أجل القيل والقال ، ولا تتعبد للعالم بالخدمة ^٦ في كل الأحوال ، فما أشبه إدارها بالإقبال ، وكثرت بها بالإقلال ، إذا فكرت في البدء منها والمآل .

ومن أخرى : لشد ما ألهتك الدنيا أبا علي بإقبالها ، وشغلتك بأحوالها ، فما تفكر في صلة ، ولا تبدى بمكاتبة ، أو تراجع عن

١ القلائد : ١٠٨ والخريدة ٢ : ٣٥٣ .

٢ ب م : أدريك .

٣ القلائد والخريدة : تنقبض .

٤ ط د : التعالي . . . التعالي .

٥ ط د : تبسمت ؛ وهو من قول الشاعر :

يفضي حياء ويفضي من مهابته فما يكلم الا حين يبتسم

٦ ذكر صاحب القلائد انه خاطب بهذه الرسالة ابن حسداي ، فقصة السبت تعني انه كان من قبل يهوديا .

٧ ط د : بخدمتك .

مخاطبة ، ومن أين تجدُ سبيلاً إلى ذلك وزمانك كله مُقسَّم^١ في أشغال ،
 ومرتبٌ على أحوال ، تنام بالضحي^٢ مُثَقَلًا من السكر ، وتتململ على
 فراشك إلى الظهر ، حتى يتكرر رسولُ فلان [٨٢ أ] فيوقظك من المنام ،
 ويحركُك إلى القيام^٣ ، ثم تركبُ وتجدُ المائدةَ موضوعةً ، والأيدي
 لإبطائك مرفوعةً ، فتدنو من الطعام بكسل ، وأنت شاك من بقايا خُمَارٍ
 أو ثمل ، وتخدشُ من الحبزِ بظفرك ، وتأكلُ شيئاً لطيفاً على قدرك ، ثم
 تستلقي وتمتدّد ، وتشاءبُ وتتوسّد ، وتستحضرُ جنّانك فتسأله عن
 الجنة متى سقاها ، والروضة إن كان رَوّاها ، والأزهار هل تحفظُ بها
 وجنّاتها ، وبيننا أنت في ذلك يستأذنُ عليك وكيلك في ضياع الانزال ،
 فتأذنُ له في الدخول ، ثم تستفهمه متى أقبل ، وأي شيءٍ عمل ، وكم
 جمَعَ ، وما زرعَ ، وتعلّلُ بهذه العلل والأخبار ، حتى تنقضي بقيةُ
 النهار ، ثم تنشطُ^٥ لتستدفعَ شربَ الماء ، في ودٍّ أحدِ الرؤساء ، وتقيمُ
 من بعدُ دَسْتِ الأُنس ، حتى تعودَ في مثل ذلك الأَمَس ، فمتى تتفرغ
 مع هذا للصيديق ، وكيف تتمكنُ من قضاءِ حقوقٍ ؟! وأيضاً فإن السياسةَ
 تقتضي أن تُعرِّضَ عن ذكر مثلي ، وتلعنَ وقتاً وصلت به جبلي ، لاسيما
 وقد دُهِيتَ من جهتي ، وكادَ السلطانُ يحفوك من أجلِ خلطتي ، أنت
 لعمرى في أوسعِ العذر ، فاجرٍ مع الدَّهرِ .

وله من أخرى : ولئن كانتِ الأيامُ تُنْسِيكَ ، فالأمانى تدنيك ، ولئن

١ د ط : مقسوم .

٢ د ط : الضحي .

٣ د ط : للقيام .

٤ ط د : وتخدش الحبز .

٥ د ط : تنشط .

كنتَ محجوباً عن الناظر ، فإنك مصوراً في الخواطر^١ ، أناجيكَ بلسانِ
الضمير ، وأعطيكَ سُلَافَ السرور . وأداعبك مداعبةَ الحضور ، وأجاذبك
فضولَ اللعب ، وأبلغ معك إلى حدِّ الطرب ، حتى أسكنَ شوقي إليك ،
وأقضيَ وطري منك ، وأنت في كلِّ حال لا تشعر ، وذاهلٌ لا تذكر ،
ولا تقطعُ زمانك إلاَّ بحظيرةٍ حولك تصنعها ، وخيمةٍ ترفعها ، فإذا تمَّ
لك هذا اللهو ، تداخلك الزهو ، وشمخُ بأنفكِ البأو ، وخلتَ أنك متوجُّ
على سرير . أو ربُّ خورنقٍ وسدير ، فمتى نلتقي على حال ، ويتفقُ
مذهبتنا في وصالٍ ؟ ! هذا لعمرى بعيد ، اللهم ان كان من الدهرِ حِلْمٌ ،
واكتهال السنِّ نوم ، ونجومُ الشيبِ قد طلعت من الغدائر ، وعمایاتُ
الصبا قد انجلت عن البصائر ، فتذكر من الودِّ ما أذكر ، وتفكر في النأي
كما أفكر ، وتحنَّ إلى تلاقٍ ، وتبردَ غليلَ اشتياق .

وله فصول من رسائل ، في العناية والوسائل

فصلٌ من رقعة : معرفتك بتقلبِ الأيام بذوي الفضل ، وحكمها
[فيهم] بغيرِ السَّوِيَّةِ والعدل ، تُغني عن عَرَضِ ذلك عليك ، وتقديره
لديك . وفلان ممن عرفتَ حاله في الثروة والمنعة ، ورتبته في الجاهِ
والرفعة ، لكن أساءتَ إليه بَعْدَ الإحسان ، وامتنحتَه [٨٢ ب] بأنواعٍ
من الامتحان ، حتى ذَهَبَتْ بِجَمِيعِ وَقَرِهِ ، واضطرتته إلى بني دهره ؛
وَقَصَدَكَ مستجيراً من عثرته ، ومثلُكَ بادر إلى مشاركته ، وحضَّ على
إِسْلَافِ البرِّ إليه ، ورغبَ في وضعِ^٢ الصنائع لديه .

١ ط د : الخاطر .

٢ ب م : موضع .

وفي فصلٍ من أخرى : للصنائع - أعزك الله - عوائد من الحمد ،
تُطِيلُ بناءَ المجد^١ ، ومثلك انتهى في إسلافها منتهى الجاهد ، وناقسَ
فيها بالطارفِ والتالد ؛ والأديبُ أبو فلان ممن تزكو لديه ، ويتظاهرُ جمالُها
عليه ، بما له من المحاسن التي تُؤَلَّفُ منشورَ المفاخر ، وتنظمُ أشاتَ المآثر ،
ثم بالأدب الذي يُمتَسِعُ بالاجتناء^٢ زهره^٣ ، والفهم الذي يتطاير عند
الاقتداحِ شرره ، إلى ما يرجعُ إليه من عفة طُعْمَتِهِ ، وعلو همته ،
وتحلُّ بأجملِ المذاهب ، وتترهُ عن ذنِّ المكاسب ، وأنت بسروك^٤
ترى صلةً مثله ذماماً ، ووضعَ العارفةِ عنده اغتناماً .

وفي فصل من أخرى في مثله : مكاتبتك - أعزك الله - في البرِّ بمن
يَرُدُّ^١ ، والمكارمة لمن يطراً عليك ويفد ، كمن يستمطرُ السحابَ وقد
أخضَلْتَهُ ، ويستعجلُ الرياحَ وقد استَقْبَلْتَهُ ، ولكنها سننٌ وعوائدُ ،
تُفَعِّلُ وإن لم تُسْتَجَلِّبْ بها زوائد وفوائد ؛ وفلان ممن عَلِمَتْ فَضْلُهُ
وأصالته ، ويقظته وجزالته ، ولطفه وحلاوته ، وما الظفرُ بقربه إلا
فرصةٌ تُغْتَمُ ، ولا المشاركةُ لأمثاله إلا فضيلةٌ تُلتَزَمُ ، لأنه بالشكر
رَحَّبُ الذراع ، وفي بسْطِ الشناءِ طويلُ الباع ، وحسبي أن أشيرَ وأنت
تكتفي بالإيماء ، فتوفي في مكارمته على الأملِ والرجاء .

وفي فصلٍ من أخرى : حيث الكلاؤُ يَرُتَعُ ، وأمكنةُ الحصبِ تُنتَجِعُ ،

١ د ط : تطيل فيها الحمد .

٢ ب م : في الاجتناء .

٣ ب م : يرد اليك .

٤ د ط : فريضة .

والنفسُ إلى من أحسنَ إليها أنزع^١ ، والأملُ في من وصلَ أطمع ؛ وقد
كان فلان قصدَ تلك الحضرةَ — دام جمالها بك — فأوسعتَ مطالبتهُ قضاءً ،
وكنتَ له قليلاً ورشاً ، حتى انصرفَ بفوائدِ وقرها اهتبالُكَ ، وأثمرها
جاهلُكَ ومالك . وكلما انتجع بعدها مراعيَ أذكرته السعدان^٢ ، أو ورد
مواردَ أصدْرته غير ريتان ، ولما أضلَّ الكرمَ رجعَ إلى حيثُ يُهشَد ،
وعاودَ من يُعتَقَد ، والعودُ أحمد ، وأنا أرغبُ أن يكونَ له في فضلك
مَعاد ، ومن طولِكَ ازدياد .

وفي فصل من أخرى : أعاذَ الله عمادي من المحنِ والنواب ، ولا أعدمهُ
إسداءَ المننِ والمواهب ، فقد عقدَ اللهُ على الخيرِ^٣ سريرتك ، وصحَّحَ
في ابتغاءِ الأجرِ بصيرتك ، فما تُدْعى إلى حسنةٍ إلّا وأنت سابقٌ إليها ،
وموفٍ [٨٣ أ] بِسَعْدِكَ عليها . ومُوَصِّلُ كتابي رجلٌ من الثغرِ ووجوه
الأطراف ، امتحنَتْهُ الأيامُ في النعم ، أوَانِ الشَّيْخِ^٤ والهرم ، وابتلته بذلِّ
الأسْرِ ، وطولِ الشقاءِ في دارِ الكفر ، وبحسبِ حاله في الثروة ، ومكانِهِ من
النجدة ، اشتطَّ عليه ، وأخذَ منه في الفداءِ جميعُ ما في يديه ، وارتَمَنَ
أولادَهُ في بقايا بَقِيَّتْ عليه ، وأنت بفضلِكَ تحملها^٥ في مالك ، ولا
يضيقُ عنها حالُكَ ، حتى تفوزَ وَحْدَكَ بأجرِها ، ولا يُسْنَهُمْ لغيرِكَ
في ذخْرِها ، وتنفردَ بِجمالِ الذكرِ في خبره^٦ ، وتتلأفي ما اختلَّ من أمره ،

١ د ط : تنزع .

٢ إشارة إلى المثل : « مرعى ولا كالسعدان » .

٣ د ط : الحسن .

٤ د : الشيب .

٥ د : تتحملها ، ط : لتحملها .

٦ كذا في الأصول ولعل الصواب : « جبره » .

فهو ممن يقوم للمسلمين مقام الأعداد ، في مواطن الجهاد ، ومواقف الجلال ، والله على ذلك مؤيدك ، وهو بمنه مسددك .

وله فصل من أخرى : توهّم الشيخ - أبي ، شاكرك - أن الأدب شيءٌ يشرف حامله ، ويكسب الجاه ناقله ، فأراد أن يستعين على ما رغب ، وليس عنده أنه مع الخطوب خطب ، ومع الزمان على منتحليه إلب ، ولا في علمه أن الأيام لا تمكّني من دفع مضرة عن ذراي ، فكيف عن جلب منفعة لسواي ، ولا في حسابه أن كانت سعوته مولية ، ونحوه مستعلية ، فبعض خاذليه في النصرة اليد ، وأول مسلميه عند الحاجة العضد ، وقد سمع - أعزك الله - أن لي نصيباً من ودك ، فألح علي في قصدك ، لأرغب له وأسأل ، وقد عزمت أن أفعل ، لكن رأيت الرقعة بالسؤال أسمع ، والقلم في الرغبة أفصح وأنجح ، فلذلك جعلت الخطاب عوضاً ، وتركت من القصد مفترضاً .

وله من أخرى : غير ذاهب عنك - أيدك الله - ما في جبلّة الإنسان ، من الحنين إلى الأوطان ، وأنه لا يفارقها في أكثر الأحيان ، إلا باضطرار ، ولا يخرج عنها إلا غير مختار ، ومهما طال اغترابه ، وكثر في البلاد اضطرابه ، ولها عنه باسعاد من الزمان . وتسلّى بضروب من السلوان ، فلا بدّ للنفوس من اشتياق إليها وتولّع ، ونزوع نحوها وتطلّع ، وقد أشار إلى العلّة في ذلك المتقدّمون والمحدثون ، وأوضحها بعد المولدون^١ ، وعبروا عنها بغير ما عبارة حتى اتضح وضوح النهار معناها ، وانتهت منها الأقوال^٢

١ د ط : بعض المولدين .

٢ د ط : الاقوال منها .

متهاها ، واستوي في معرفة سرّها وخبرها ، واستغنيَ باشتهارها عن ذكرها ؛ وإحاطةُ علمك بحالِ الوزير الكاتبِ أبي فلان^١ من بدّئها إلى انتهائها ، يُغنيَ لك عن ذكرها وإجرائها ، ولما دخل إلى بيضتِه التي منها خرّج ، وَوَكْنِه [٨٣ ب] الذي منه درّج ، تذكّرَ حالَ أولاده فجذبته إليه جواذبها . وغلبته على رأيه غوايلها ، ولم يتماسكْ أن حنَّ إلى العودة لمغناه ، فحسنتُ له ما اعتزمه وراه ، ولم أرَ بأساً في تحوُّله من ناحيتك إلى ناحيتي ، فليس بمفارقٍ حَضَرَتِكَ من ينتقلُ إلى جهتي ، ولا ينفصلُ من جملتك مَنْ يحصل في جملي ، لأنه لا فَرْقَ بين الحالتين ، ولا تبايُنَ بين الجهتين .

وفي فصل من أخرى : لئن كان مولاي أعلى الملوك مكاناً ، وأعظمهم شأنًا ، وأكثرهم إنعاماً وامتناناً ، وأعلمهم ببواطن السرائر ، وأفطنهم لهواجس الخواطر ، وأسبقهم إلى العطاء دون أن يُسأل ، وأسمعهم بالمأمول قبل أن يؤمّل . فإن عادة العبيد من الموالى أن يستزيدوا وإن غمّرَ إحسانٌ ، وأن يُذكروا وإن لم يكن نسيانٌ ، ليقف موقفه المؤمّل ، ويزداد رغبةً في تطوّله المتطوّل ؛ فإن كنتُ قد وصلتُ من عزّته الرفيعة إلى داري ، وحصلتُ منها^٢ في موضع استقرارٍ ، ونلتُ من تقريبه فوق قدري ومقداري ، فأنا الآن بمنزلة ضيفٍ وبودي ألا أكونه ، بل كنتُ أشتهي أن أرى نفسي بمنزلة مَنْ ألقى العصا ، وأمينَ روعة النوى ، وخيسمَ مستوطناً ، واتخذ سُكنى وسكناً ، وصار من دنياه في أمل ، وقلب الطرف بين خيّلٍ وخول ، ولا والله ما يختلجُ ببالي غيرُ ذلك كله ، ولا

١ ط د : بحالة فلان .

٢ ط د : وخلصت منه .

استبطأتُ من طَوَلِ مولاي وفضله ، ولكن ليس للمرء من عمل ، في قوله عز وجل ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ﴾ (الأنبياء: ٣٧) ولئن تَسَرَّعْتُ وَعَجِلْتُ ، فعلى فضلِ أناهُ مولاي عَجَلْتُ ، وعليه عَوَّلْتُ واتكلتُ^١ ، ولولا ثقتي بالرأي الجميل ، والمعتقدِ^٢ الكريم النبيل ، لوقفْتُ عند قدري ، وما تعدَّيْتُ طَوْرِي ، حتى يكونَ هو — أيده الله — السابقَ إلى ما يُغْنِي عن إنشاده :

وفي النفسِ حاجاتٌ وفيكَ فطانةٌ سكوتي بيانٌ عندها وخطابُ^٣

* * *

ومثْلُكَ مَنْ كان الوسيطَ فؤادهُ فكَلَّمَهُ عَنِّي ولم أَتكلَّمْ.

ومن رسائله في التعازي

فصل^٤ له من رقعة^٥ : من أيّ الثنايا — أيديك الله — طَلَعْتُ عليّ النوائب ، وأيّ حمى رتعتُ فيه المصائب : فوهاً لحشاشةِ الفضل أرصدها الردى غوائله^٦ ، وبقيةِ الكرم جرّ عليها الدهرُ كلاكيله^٧ ، وواحسرتا للجنةِ المواهب كيف سَجَّرَتْ ، ولشمسِ المعالي كيف كوَّرتْ ، ويا لهفا على هضبةِ الحلم^٨ كيف زلزلت ، وحادّةِ الذكاءِ والفهم كيف [٨٤ أ] فُلِّلْتُ ، فإنّا لله [وإنا إليه راجعون] أخذاً بوصاياها ، وتسليماً لأقداره وقضايها .

١ ط د : فعل فضله عولت وعليه توكلت واتكلت . ٢ ط د : والمشهد .
٣ البيتان للمتنبي ، ديوانه : ٤٨١ ، ٤٦٠ ؛ ب م : كلام عفته .
٤ القلائد : ١٠٧ والحريدة ٢ : ٣٥٢ .
٥ م : الردى . ٦ ط د : العلم .

مدحه ابن خيرون^١ بشعر قال فيه :

لا تكثري^٢ لومَ المحبِّ وما به يكفيه من مضضِ الهوى وعذابه
يقول فيه :

بأبي المطرف روضة الأدب الذي إن قلتُ قسَّ فهو أفصحُ منطقاً
أو قلتُ صابئاً دهره أو دَغَفَلْ
يا غُرَّةَ الزمنِ البهيمِ وماجداً لو أنصفَ الزمنُ الخؤون ذوي العلا
لكنسه يحبو اللئيمَ بأريسه
يردُّ الوضيعُ من البرية ماءه خذهُ إليك أبا المطرف واغتفر
أضحى به فرداً بغير مُشابه
أو قلتُ سبحانُ فقد أزرى به أخطأتُ ، ما جاء بمثل خطابه
ما إن يوازي في علوِّ نصابه كنتَ الوحيدَ الفردَ من كتابه
ويجودُ للحرِّ الكريمِ بصابه صفواً ، ويخدعُ ذا النهى^٣ بسرابه
زلي فديتَ فلستُ من أترابه

فأجابه أبو المطرف بشعرٍ قال فيه :

يا معرباً في كلِّ معنى سؤددٍ نفسي فداؤك من خليلٍ واصلٍ
لله ذاك الطبعُ همَّ بمنطقٍ صواغ أنوع البديع فما الرضي
علقتُ يميني منك علقَ مَضِنَّةٍ وسللتُ منك على الزمانِ مهتداً
نظمَ العلا فأجاد في إعرابه
أهدى إلينا الدرَّ من آدابه فغدا الشroudُ مذلللاً لخطابه
ومن الوليدُ ومَن أبو خطابه شدتُ أناملها على أسبابه
يفري فرى الخطمي حدَّ ذبابه

١ ب م : جبرون .

٢ ط د : لا تكثروا .

٣ م ب : ويجزع ذا البها .

٤ ب : عر ، م : عن ، وسقط البيت من ط د .

وكسوتني من حرّ شعركَ مَلْبَساً قد كان غيرُ عواتقي أولَى به
فأجبتُ عنه على الرويِّ وربمــــا كنتُ المقصّرَ في اعتراضِ جوابه
أسدلَ عليّ بسترَ فضلكَ واصلاً فالشعرُ مما لا أطوفُ ببابــــه
وأبو المطرف القائل في غلامٍ وسيمٍ رأى بيده عصفوراً^١ :

يا حاملَ الطائرِ الغريدِ يعشقــــه تهنا العصافيرُ انْ فازتُ بقرباكا
تُمنّي وتُصبحُ مشغولاً بعجمتها^٢ في غفلةٍ عن دمِ أجرته^٣ عيناكا
إذا رأتكِ تغنّتِ كلّها طربــــاً حتّى كأنَّ طيورَ الجوّ تهواكا
يا ليتني الطيرُ في كفّيك مطعمــــه وشربــــه حينَ يظما من ثناياكا

وله من رقعة خاطب بها الوزيرَ الكاتبَ أبا محمد بن عبد البر : لما
أصبحتَ - أعزّك الله - في صناعةِ البلاغةِ إماماً ، ولأشتاتِ الفضائلِ
نظاماً ، لم تتّهمِ في ودادِ تدعيه ، واعتلاقِ تبتغيه ، مَنْ سَمَتْ به إليك
همم ، أو تقدّمتْ له فيها قدم ، لأنك المنتهى الذي إليه يُجرى ،
وتبتغى لديه الزُّلفى ، ويُتوصَّلُ به إلى العليا ، وأنا ممن يتشيعُ فيك تشريعاً ،
ويحبُّك طبعاً لا تطبعاً ، وأستنزلُ في الجمعِ بك الأقدار ، وأستخدمُ
في التعلّقِ بأسبابك الليلَ والنهار ، لتأحقه بالعتاق السوابق ، وتلقي عليه
شعاعك فيشرقُ في المغارب والمشارك . ولما سنّى الأملُ باللقاء ، واتصلتِ
النفسُ بذلك الفضلِ والعلاء ، جاشتُ بالحمدِ الخواطر ، وهاجتُ بأسرارها
الضمائر ، لمتسكّشف من الثناء ، تحقّقَ النفسَ بالولاء ، وتكونَ على ثقةٍ

١ انظر المغرب ٢ : ٤٤٠ .

٢ المغرب : بصحبته .

٣ المغرب : تجريه ب م : جرتة .

٤ د ط : تشيعا .

بالمساجة والاعضاء ، فلست بالشعر آنساً : ولا بمعاناة النظم والنثر متلابساً ، وإنما أنطقني بما قلته الود ، وأملئ علي ما كتبته المجد .

ثم ختم رقعة هذه بأبيات يقول فيها :

قد كنتُ ذا حنقٍ على الدهر الذي	ما زال يسخطني صباح مسائي
حتى لقيتُ أبا محمد الرضي	فأدال ذلك السخط بالارضاء
طلق الجبين وفيه فضل مهابة	يغضي لها ذو المقلة الشؤساء
حلم لو أن الدهر حمل بعضه	لشكت عواقبه من الإعياء
وإذا تناولت الرقاع بنائسه	أنسنتك طرز الوشي في صنعاء
وزرت على ورد الحدود فوقها	لام العذار على انعطاف الرء
تقضي بأن سنا البلاغة لم يلح	من قبلهن لأعين البلغاء
وله إذا شاء النظام غرائب	لا تدعيها فطنة الشعراء
برئت من التعقيد في تأليفها	فأتتكَ أملس من زلال الماء
أفراد حمد حازها متفرد	هي في الوري مقسومة الأجزاء
ما كنت بالمداح غيرك واصلاً	لو كانت الشعرى عليه جزائي [٨٥ أ]
ولأنت أوصل من رعى أسبابها	فبني لمهديها سماء علاء

فصل في ذكر الأديب أبي الربيع سليمان بن مهران السرقسطي^٢

من شعراء الثغر ، كان ، في ذلك العصر^٣ ، وله شعر كثير ، وإحسان

١ د ط : مجد .

٢ ترجمته في المغرب ٢ : ٤٤٢ والجذوة : ٢٠٩ (وبغية المائتمس رقم : ٧٧٣) ، ومسالك الابصار ١١ : ٤٤٧ .

٣ ط د : الاوان .

مشهور ، وعلى لفظه ديباجة رابضة ، غير أنه لم يمرّ بي من شعره عند نقلي هذا المجموع إلاّ أبياتٌ سمعتُ القوالين يتداولونها لعدوبتها وسلاستها ، وتعلقُ بذيلها حكايةٌ وجدتها في بعض تعاليق الفقيه أبي محمد علي بن حزم الشافعي بخطه عن محمد بن الحسن المذحجي المعروف بابن الكتاني المتطبب ؛ قال ابن الكتاني ^١ : شهدت يوماً مجلسَ العلجة بنت شانجه ملك البشكنس ، زوج الطاغية شانجه بن غرسية بن فردلند — بدّد الله شيعتهم — لبعض ترددنا ^٢ عن ثغرنا إليه في الفتنة ، وفي المجلس عِدَّةٌ قَيْنَاتٍ مسلمات من اللواتي وهبهنّ له سليمان بن الحكم — المتقدم ذكره صدرَ هذا الديوان — أيام إمارته بقرطبة ، فأومأت العلجة إلى جاريةٍ منهنّ فأخذتِ العود وغنّت بهذه الأبيات :

خليليّ ما للريح تأتي كأنمسا يخالطها عند الهبوب خملوقُ
أم الريحُ جاءت من بلادٍ أحبتي فأحسبها ريح^٣ الحبيب تسوق
سقى الله أرضاً حلّها الاغيدُ الذي لتذكّاره بين الضلوع حريق^٤
أصار فؤادي فرقتين فعنده فريق^٥ وعندي للسياق فريق

فأحسنّت وجوّدت ، وعلى رأس العلجة جارياتٌ من القوامات أسيرات كأنهنّ فلقاتُ قمر ، فما هو إلا أن سمعت إحداهنّ الشعرَ فأرسلت عينيها [كأنهما] مزادتان ، فرَفَقَتْ لها وقلتُ : ما أبكاك ؟ قالت : هذا الشعرُ لأبي ، وسمعته فهيمَجَ شجوي ، فقلتُ لها : يا أمةَ الله ، ومن أبوك ؟ قالت :

١ ط د : الفقيه أبي محمد بن الحسن المعروف بابن الكتاني قال :

٢ ط د : ترددي . ٣ المغرب : عرف .

٤ المغرب : له بين احناء الضلوع حريق .

٥ - ط د : من القيمات اسيرة كأنها فلقة . . . سمعت الشعر . . . م ب : هذه الأبيات .

سليمان بن مهران السرقسطي ، ولي في هذا الإِسار مُدَّة ، ولم أسمع لأهلي بعدُ خبراً .

قال ابن الكتاني : فما جزعتُ على شيءٍ جزعي عليها يومئذ .

قال أبو الحسن [ابن بسام] : هكذا وجدت خبر هذه الأبيات بخط الفقيه أبي محمد المذكور ، ولم يخبر [ابن الكتاني] انه امتعضَ لفكِّ أسْرِ تلك الجارية هنالك ، ولا وفقه الله لشيءٍ من ذلك ، وكان [٨٥ ب] تركه لها في الأسر ، مع ما أطلعتُه عليه من الأمر ، مما يوقدُ الضلوعَ ، ويُسْكِبُ الدموع .

وأخبرني أيضاً بهذه الأبيات الفقيه أبو بكر بن العربي قال^١ : أخبرني الحميدي عن الفقيه أبي محمد بن حزم ، قال : أنشدني محمد بن الحسن المذحجي قال : أنشدني الأديب سليمان بن مهران في مجالس الوزير أبي الأصبغ عيسى ابن سعيد وزير المظفر بن المنصور بن أبي عامر ، وأنشد الاربعة الأبيات المتقدمة .

وكان محمد بن الكتاني المتطبب^٢ فردَّ أوانه ، وباقعةَ زمانه ، منفقاً لسوق قيانه ، يعلمهن الكتاب والإعراب ، وغيرَ ذلك من فنون الآداب^٣ ،

١ هذه هي الرواية التي ذكرها الحميدي نقلاً عن ابن حزم ، وهي مختلفة اختلافاً كبيراً عن الأولى ؛ وسقطت هذه الرواية من د ط .

٢ قد وردت ترجمة محمد بن الحسن المذحجي الكتاني الطبيب في طبقات صاعد : ٨٢ وابن أبي أصيبعة : ٢ : ٤٥ والصفدي : ٢ : ٤٥ وجذوة المقتبس : ٤٥ وهو يرد باسم محمد بن الحسن ومحمد بن الحسين ؛ راجع مقدمة كتاب التشبيهات ؛ واستبعد أن يكون هو نفسه صاحب القيان ، الذي يتحدث عنه ابن بسام بقوله « كثير الترقيع والاستعمال لضروب من الكذب وزور المقال » .

٣ ب م : العلم .

وكان متحيلاً كثيراً الرقيع والاستعمال ، لضروب من الكذب [وزور
المقال] ، وربما أنشأ عدة رسائل فينحلها القيان ، ويبيعهن بأغلى الأثمان .
وقد ذكرنا في أخبار ابن رزين أنه باع منه قيمة بثلاثة آلاف دينار ، حسبما
حكاه أبو مروان [ابن حيان] .

ولابن الكتاني فصل " من رقعة يصف فيها تعليمه القيان ، يقول فيه :
فأنا منبته الحجارة ، فضلاً عن أهل الفدامة والجهالة ، واعتبر ذلك بأن
في ملكي الآن أربع زوميات كن بالأمس جاهلات ، وهن الآن عالمات
حكيمات منطقيات فلسفيات هندسيات موسيقاويات أسطرلابيات
معدلات نجوميات نحويات عروضيات أدبيات خطاطيات ^٢ : تدل على
ذلك لمن جهلن الدواوين الكبار التي ظهرت بخطوطهن في معاني القرآن
وغريبه وغير ذلك من فنونه ، وعلوم العرب من الأنواء والأعاريض
والأنحاء ، وكتب المنطق والهندسة وسائر أنواع الفلسفة ، وهن يتعاطين
إعراب كل ما ينسخنه ويضبطنه فهماً لمعانيه ولكثرة تكرارهن فيه ،
وفي هذا أعظم الشهود أنني واحد عصري ونسيج وحدي ، وأني أفنيت
الزمان تجربة ، والدهر تبصرة ، فاعرف - أعزك الله - قدرتي ، ووقتي
قسطي ، ولا تطمع أن تظفر بعالم مثلي ، أو متفرغ فضولي شبيهي ، ولو
طفت الآفاق ، وساءلت الرفاق ، ومشيت العراق ، من زقاق إلى زقاق .

وأنشدت لابن مهران من شعر كتب به إلى بعض كتّاب الثغر من
جملة أبيات :

١ م ب : على .

٢ ط د : خطاطات .

٣ ط د : علوم .

لا تَنْسَني من سُحْتِكَ المكسوب^١ واجعلْ نصيبَكَ منه مثلَ نصيبي
 واذا اغترى بك في القيامة أهلهُ فبمثلِ ما أوليتني تُغري بي [٨٦أ]
 وهي الذنوبُ ، وبالغُ في لؤمه أقصى النهاية باخلٌ بذنوب

قال أبو الحسن [ابن بسام] : وحدثني من أثقه عن الفقيه أبي الحسين^٢
 عبيد الله بن منبه الشنتمري قال : دخل بعضُ شعراء العصر^٣ على ابن ست
 الجيش ، وكان جدّ ابن منبه لأمه — وقد تقدم ذكره والخبر عن مقتله
 في أخبار القاضي ابن عباد — فأنشده هذه الأبيات :

وإخبار^٤ ابن منبه بهذه الحكاية عن جده [مادحاً له] ، على ما فيها
 من قبح الاحدوثة وشناعة الذكر ، ليثبت أن ذلك الخائن البائر ، المتعسف
 الجائر ، كان جدّه ، ويُعَرَّب^٥ عن شرفه ، ويدلّ على نباهة سلفه . وشبيه
 بهذا [الخبر] ما حكى^٦ عن أبي العباس المبرّد أنه صنع هذه الأبيات ليثبت
 نسبه في ثمالة ، [وهي]^٧ :

سألنا عن ثمالة كلّ حيّ فقال القائلون ومن ثمالة
 فقلتُ محمدُ بن يزيدٍ منهم فقالوا زدتنا بهم جهالة
 وقال لي المبرّدُ خلّ عني فقومي معشرٌ فيهم نذالة

١ ب م : المكسوب .

٢ د ط : واخبرني الفقيه أبو الحسين .

٣ د ط : بعض الشعراء .

٤ د ط : وتحدث .

٥ د ط : ليعرب .

٦ د ط : يحكى .

٧ انظر ابن خلكان : ٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ وديوان المعاني ١ : ١٧٨ .

فصل في ذكر الأديب الأستاذ النحوي أبي عبد الله بن خلیصة الضریر^١

وكان أحد العلماء بالكلام ، وله حظ من النثر والنظام ، ولكنه بالأئمة العلماء ، أشبه منه بالكتاب والشعراء ، وقد مرت بي له أشعار يشير بها إلى البديع ، ويذهب فيها إلى التصنيع ، وقد أوردت منها جملة تليق بالديوان ، وتنبه على موضع قائلها من الاحسان .

فصول^٢ من كلامه في أوصاف شتى

فصل له من رقعة عن إقبال الدولة إلى المعتصم : كتبت - أدام الله إعزازك ، وصان ارتياحك للمحامد واهتزازك - بعد قفول من قفل عنك ، وحلول من صدر بما شرح الصدور من لدنك ، والحال شاملة الصلاح ، فائزة القيداح ، جارية على الاختيار والاقتراح ، ومما ضرح القذاة من شربي ، واستنزع الأداة عن سربي ، وزوى روعة روعي ، وروى بماء الثقة^٣ عودي ، حتى رستخت في أرضها أصولي ورفقت فروعي ، ما حلاك به من عميم الفضائل ، وكريم الشمائل ، فأقر صحة ما بلاله منك في فؤادي ، وأشربه ذاتي . فوحياتك التي بها حياة الكرم ، لقد أسمعوا

١ ابو عبد الله محمد بن خلیصة الشذوني الداني ؛ راجع ترجمته في الجذوة : ٥١ (وبغية الملتصق رقم : ١١١) ونكت الهميان : ٢٤٨ والتكملة : ٣٩٥ والمسالك : ١١ : ٤٥ ونفح الطيب : ١٠٠ ، ١٥٦ وأشار اليه ابن الأبار في تحفة القادم : ٢ ، وانظر الوافي : ٣ : ٤٢ ، وقال ابن الأبار في التكملة : وقرأت ان في ديوان شعره قصيدة له على روي الراي يهنئ فيها المقتدر احمد بن سليمان بدخول دانية وتملكها سنة ٤٦٨ .

٢ ب م : فصل ؛ وسقط العنوان من د ط . ٣ ب : بما القه ؛ م : بمالقة . ٤ ط د : هي ؛ ب : الذي بها .

من لطائف البر^١ ، وأودعوا من غرائب الثناء [٨٦ ب] الحرّ ، ونشروا
من كرم الخلال . مع ركانة الوقار ومهابة الحال ، وإعظام الجليس ،
والتزام التواضع والتأنيس ، بعد توفية الرياسة حقّها ، وتقضية السيادة
أجلّ واجباتها وأدقّها ، جعل الله الآمال طاعتها والأيام رقّها ، ثم
استوصفتهم^٢ التذاذاً بطيب أنباتك ، صورة مجلسك مع وزرائك وأحبائك ،
فأوردوا من ذلك ما هو أشهى من السعادة ، وأحلى من الحياة المعادة ،
وأسبى للنفوس من مراض الحديق ، وأجلى للشكوك من غرة الفلق ،
فطارت بي هزة الشوق^٣ كل مطير ، وأصارتني غرة الفرح بين روضة
غنّاء ووادٍ مطير^٤ ، وقلت : الحمد لله ، قد وفقتُ أمري ، وقام عند
العواذل عذري ، وسطع شهابُ حجتي بأن خلعت^٥ عليه نفسي ، وأودعت^٦
يديه مهجتي .

وفي فصل منها^٧ :

ومثلك من كان الوسيط فؤاده فكلمه عني ولم أتكلّم^٨

* * *

والحق أبلغ قد هديتُ إلى الصراط المستقيم
ووثقت أني لم أبسوسى حرمتي إلاّ حريمي

١ ط د : البشر .

٢ ب م : استوفتهم .

٣ ط : الشرح ؛ ب م : الترج .

٤ ب م : واصابني .

٥ د ط : روضة وغدير .

٦ ط د : جعلت .

٧ منها : سقطت من ط د .

٨ قد مر هذا البيت ص : ٣١٤ ، وهو للمتنبي .

ما ضاع حقٌ كريمٌ هُدِيَتْ إلى كفؤِ كريمٍ
يا كاسبَ الحمد^١ الحديث ووارث المجد القديم^٢
قاسمتك النفسَ [النفيسة] واختصصتك بالصميم

أيَّ برٍّ - أعزك الله - يُعارَضُ به بِرُّكَ ، وقد عَرُضَ في المكارم
بِرُّكَ وَبَحَرُكَ^٣ ، أم أيَّ فِعَالٍ تَوَازِي فِعَالِكَ ، وقد ودَّتِ النيراتُ
أن تكونَ نَعَالِكَ ، أم أيَّ شُكْرِ يكونُ كَفَاءُ أَيْادِيكَ ، وقد تَمَنَّتِ الأيامُ
أنَّ لها أَلْسِنًا تُطْرِكُكَ ، و [أن لها] أنفُسًا تُفَادِيكَ ، أم أيَّ عَرَفٍ يكونُ
جِزَاءَ عَرَفِكَ ، وقد فغم الخافقين رِيًّا عَرَفَكَ . هُنْتُكَ الْخَيْرُ الَّذِي
لَا يُضَاهِي وَلَا يَبَاهِي ، وَالْحَرُّ الَّذِي لَا يَبَارِي ، وَالْجَوَادُ الَّذِي لَا يَجَارِي ،
وَالْمُصِيبُ الَّذِي لَا يَنَاضِلُ ، وَالْحَسِيبُ الَّذِي لَا يَكَارِمُ وَلَا يَفَاضِلُ ، وَالْمَلِكُ
الَّذِي لَا تَجَانَسُ صِفَاتُهُ ، وَلَا تَجَاذِبُ أَوَاخِي أَسْبَابِهِ ، وَلَا تَحَاذِي أَوَاذِي
عِبَابِهِ :

مليكٌ إذا الهى الملوكَ على اللهى
ولم تُنْسِه الأوتارَ أوتارُ قينة
وهُوبٌ ولكن لا تعدُّ هباتُهُ
أشمٌ إذا وازنت يوماً بحلمه
ولا للمنى إلا بساحته جنى
ولو جادَ بالدنيا وعاد^٦ بمثلها
خمارٌ وخمرٌ هاجرَ الدَلَّ^٥ والدنا
إذا ما دعاه السيفُ لم يشنه المثنى
بِمَوْحَدٍ إنْ عُدَّ الهبات ولا مثنى
شماماً ورضوى لم تجدُ لهما وزناً
ولا للغنى إلا براحتة معنى
لظنَّ من استصغارها أنه ضنأ^٧ [٨٧]

١ د ط : المجد .

٢ ب : الصميم .

٣ د ط : بحرك وبرك .

٤ د ط : كفؤ .

٥ ب م : الذل .

٦ النفع : وثى .

٧ هذا البيت والذي يليه وردا في النفع ٤ :: ١٥٦ .

ولا عيب في إنعامه غير أنه إذا منّ لم يُتَّبِعْ مواهبه منا
وأنتى تساميه الملوك وإنمسا وجدنا الورى لفظاً ومعناهم معنا
تقيل من آباءه الغر سادة قيولاً فبدّ البحر واحتقر المزنا

وفي فصل من أخرى : كتابي عن ودّ لا يُكَدَّرُ صَفْوُ موارد ،
وعهد لا يفنى بِحُكْمِ معاقده ، ونفس ترتاح لذكراك^١ ، وتمثّل
مع الساعات مرآك ، وحق لمن أرعيتهُ الحصب من روض إخائك ،
وسقيتهُ العذب من مشرع وفائك ، أن يَفْصَحَ في بثّ محاسنك لسانه ،
وينفخ في نشر فضائلك مِيدانه ، ويفوز في وَصْفِ فضائلك بِيانهُ ،
وينظم لفخرك^٢ على أجياد شكرك عقوداً ، ويحوك لمجدك وسنائك
[من تقرّبك وثنائك] بروداً ، يوشّيهما بذكرك الخطير ، ويطرّزها
بالترّفع لك والتوقير ، والله تعالى يحرسُ بحراستك فواضل الخلال ، ويُبقي
ببقائك محاسن الآثار والأفعال ، بعزّته .

وله من أخرى : كتابي مُبتدئُ الحمد ، مستهدي الود ، ضابط على
ذؤابة الإخاء ، رابط بافتتاح مكاتبتك أسباب التكرّم منك والوفاء ،
لا طالباً فضل الابتداء عليك ، ولا مستزيداً على التوسّل بمباراتك إليك ،
إلاّ هوادة طبيعة ، وودادة^٣ شريعة ، يبعثها في ذات الله مُراداً ، لها من
الفؤاد مَراد ، وسرائر ، أحكمت عقْدَ الإخلاص منها مرائر ، صان الله
بإدامة حياتك ، وحسن الدفاع عن ذاتك ، الفضل الذي إليك منزعهُ
ومفزعهُ ، ولديك مستقرهُ ومستودعهُ .

١ ط : لذكرك .

٢ ط د : بفخرك .

٣ ب م : ووداد .

وإلى ذلك - أطل الله بقاءك - فموصله فلان ، وإفاني^١ هذا العام
 راغباً في مذاكرتي بما أشاركهُ فيه ، ومحاضرتي في المجلس الذي التزمهُ
 وأنتديه ، وعلمتُ أن قد ثقلتُ في حركته مؤونته ، فلزمتني معونته ،
 وأن قد هاجر إليّ وطنهُ ، فأجرزته فيما شاء مني رسنهُ ، وأرحبتُ
 عطنهُ ، وهو مع ذلك لا ينسلك ولا يتناساك ، ماء ودّه عذب ، ولسانه بالثناء
 عليك رطب ، وعلم الله أني ما أخبرتُ إلا بما اخترتُ ، ولا شهدتُ إلا
 بما عهدتُ^٢ ، ولو إلى سوى ذلك أشار ، لما أعطيتهُ منّي القول والايثار ،
 فان أحبّ واش أن يغيّر الحال ، فأقام مقام المستقيم المحال ، فلموثوق به
 منك الاخذ بالفضل الذي ضفا عليك رداؤه ، ونجم عليك سناه وسناؤه ،
 وأنا الكفيل برده إلى المجلس الذي [٨٧ ب] أنشاه وأتماه ، وكشف
 غيابة غمّاه ، وأخلّق بسبب رجائي ألا يهن ، ويجفن أمني منك ألا
 يسّن .

وهذه أيضاً جملة من شعره في أوصاف شتى

له^٣ من قصيدة أولها :

فض لي بجودك فالغمامُ ضنينُ وف بالأمانة فالزمانُ خؤونُ^٤
 بردت ظلالك والظلالُ سمامُ وصفت مياهُك والمياهُ أجونُ

١ ط د : وفلان وإفاني .

٢ ط د : علمت .

٣ ط د : قال .

٤ انظر بعض أبياتها في النسخ ٤ : ١٥٦ .

٥ ب م : غلّين .

شيم" إذا دعت المديح أجابها
ونقيبة تسرو النقاب عن الهوى
نشر النجاح بها الجناح ونقر الـ
وقف الرجاء بذى الرجاء عليكم
فعلام أهزل والكثيب مروّض
تلوى لباناتي وتحرم حرمتي
ويعزّ أمر عصابة منسية
يا مالكا حسدت عليه زمانه
ماريت صرف الدهر وهو ألد
مالي أرى الآمال بيضا وضحا
والعدل خيم منك إلا أنه
أنا آمن فرق وراج يسائس
ومراقب وعدا وجدت جداه أن
لا تعدني أنواء يمينك لا عدا

وله [من أخرى أيضاً] :

أبي ، فأقصر عنان اللوم أو أطيل
ألقي عذاب الهوى عذاباً فالفسه
كلني لشوقي أصلى حرّ لوعته

سلس العنان وانه لحرون
وترد ركن الكفر وهو ركون
طير الأشائم طائر ميمون
وبدا لكم سرّ العلا المكنون
وعلام أظما والقلب معين
وهوى بدر هواكم ملبون
عرفت بفضلة جاهنا ونهون
أمم خلت من قبله وقرون
ومريت خليف الحرب وهي زبون
ووجه آمالي حوالك جون^٢
جدي العنور وحظي المغبون
ورو صدي ومسرح مسجون
أغذى بما يغذى^٣ به الكمون
ك النصر والتأييد والتمكين

ياما ألحك من ذي منطق خطل
فما أصبح إلى عدل ولا عدل
وإن بليت بما ألقى فلا تبسل

١ م : بفضلك جاهها .

٢ د ط : لديك الجون .

٣ د ط : جراه ؛ ب م : اعدى بما يعدى .

٤ د ط : ايا .

وَلَّ الملاحه من أحببت أو أدل
واقن الحياء فقلبي أنفأ أنف
لم تدر من قبله عين ولا بصرت
[ومنها] :

خَدَمْتَكُمْ لِيَكُونَ الدَّهْرُ مِنْ خَدَمِي
إِنْ لَمْ تَكُنْ بِكُمْ حَالِي مُبَدَّلَةً
فَمَا أَحَالَتَهُ عَنْ حَالَتِهِ حَيْلِي
فَمَا انْتَفَاعِي بَعْلَمِ الْحَالِ وَالْبَدَلِ
وله من قصيدة في الوزير الكاتب أبي محمد بن عبد البر ، أولها :

أَطِيعْ أَمْرَ مَنْ تَهْوَاهُ مِنْ عَزٍّ قَدْ بَزَا
تَعْبُدُنِي حَبًّا وَتِيْمَتِي هــوِ
إِلَى كَمِ أُمْنِي النَّفْسِ وَهِيَ نَفِيسَةٌ
بِأَرْضٍ بِهَا الْإِلْفُ الْمَوَازِي بِزَعْمِهِ
يَرَى عَيْنٌ تَبْجِيلِي وَوَجْهَ تَحِيَّتِي
كَمَا اجْتَلَبْتُ فِي الْبَدْءِ لِلْوَصْلِ هَمْزَةً
وَفِي النَّفْسِ هَمٌّ مَا يَزَالُ يُؤْزِنِي
فَمَنْ مَبْلَغُ الْأَحْبَابِ أَنْ رَكَائِبِي
وَهَاجَرْتُ الرُّوضِ الْإِنْيَقَ نَبَاتُهُ
فَصِيحٌ مَتَى يَنْطِقُ تَدْعُ كُلُّ لَفْظَةٍ
وَلَمَّا لَحَاثِي الدَّهْرُ لَحَوَ الْعَصَا وَلَمْ
جَعَلْتُكَ لِي حَصْنًا وَنَبَّهْتُ مَقُولًا

١ ب : ألد .

٢ ط د : لي .

٣ ط د : فلاحظني . . . وكلمني .

٤ ط د : حديدًا جدادًا ؛ ب م : جرازًا جذاذاً .

ولم تقتصد^١ منك القصيدة^٢ نائلاً
ليمتع بك الله^٣ الأماني^٤ والمني
وله من قصيدة في أبيه يرثيه :

يا ضريحاً حوى عظماً عظماً
أعياء^١ داويت^٢ داء^٣ عيباء^٤
إن عهدي وإن بليت^٥ جديد
كدت^٦ أقضي عليك نحي^٧ نحيباً^٨
وأحل^٩ الثرى حلوك فيسه
ومن أخرى في [أم] معز الدولة^{١٠} :

بم^١ ، والرزء^٢ بالجليل^٣ جليل^٤
جلل^٥ دق^٦ فيه كل^٧ جليل^٨
أي عرش^٩ للمجد ثل^{١٠} ، وغرب^{١١}
يا صناع^{١٢} الصنائع^{١٣} الغر^{١٤} بدء^{١٥}
أيها اللحد هل علمت^{١٦} بما استو^{١٧}
ووريت^{١٨} فيك^{١٩} رحمة^{٢٠} وغيث^{٢١}
أنس^{٢٢} الشيمة^{٢٣} الكريمة^{٢٤} إن الد^{٢٥}
إن تلقاك^{٢٦} روح^{٢٧} ربك^{٢٨} والرض^{٢٩}
فيما طبت^{٣٠} والزمان^{٣١} خبيث^{٣٢}
وتسلسلت^{٣٣} والميه^{٣٤} آجون^{٣٥}
يا أبا عامر^{٣٦} عزاء^{٣٧} جميلاً^{٣٨}

يتأسى^١ الأسى^٢ ويؤسى^٣ العليل^٤
وتساوى^٥ التكتير^٦ والتقليد^٧
فل^٨ ، والدهر^٩ من شباه^{١٠} قليل
غالت^{١١} المكرمات^{١٢} بعدك^{١٣} غول
دعت^{١٤} ، كلاً^{١٥} إن الجماد^{١٦} جهول
وحجى^{١٧} نابل^{١٨} وقدر^{١٩} نبي^{٢٠}
ار^{٢١} وحش^{٢٢} والمكث^{٢٣} مكث^{٢٤} طويل
وان^{٢٥} والله^{٢٦} بالحمي^{٢٧} كفيل^{٢٨}
وبما جدت^{٢٩} والغمام^{٣٠} بخي^{٣١}
وتروضت^{٣٢} والبلاد^{٣٣} محمول^{٣٤}
فاليكم^{٣٥} يعزى^{٣٦} العزاء^{٣٧} الجميل^{٣٨}

١ ط د : ومن مرثية له في أم معز الدولة .
٢ م : حفي .
٣ ط د : والزمان .

كلنا صائرٌ إلى الله حتماً واستراح العذولُ والمعذول
وقصارى بين القصور قبورُ ويهبُ الصبا بها والقبول
سُنَّةُ الله في العباد ومسا في سنة الله للورى تبــــــــــــديـل
حُكْمُهُ الْفَصْلُ ليس عنه انفصال وهُوَ العدلُ ليس عنه عدول
عَدَمُ ذَا الورى وانتم وجودُ وهُراءُ وأنتمُ المعقــــــــــــول
وإذا كشف الحقائق فكرُ شهدت لي بما أقولُ العقول

وخاطبه الحصري بأبيات منها :

وَفَيْنَا لَهُمْ وَخَانُوا كذا الناسُ والزمانُ
لَحَوْنِي عَلَى غَرَامِي وقالوا الهوى هوان
وَمَا ضَرَّ أَنْ يَقُولُوا صَبَاً فِي الْهوى فلان
لِخَالِ اللَّهِ كُلَّ خَلٍّ لِحَا فِي هوى يَصــــــــــــان
وَأَبْقَى الْأَدِيبَ فَرْدَاً لِمَلِكٍ بِهِ يــــــــــــزان
فَدِينَاكَ مِنْ أَدِيبٍ عَلَيْهِمْ لَهُ امْتِنَانُ [٨٩ أ]
أَسِيفٌ بِفِكَ يَقْضِي عَلَى الدَّهْرِ أَمْ لِسَان
كَذَا تَنْتِجُ الْمَعْسَالِي كَذَا يَسْخَرُ الْبَيَان
وَفِي كُلِّ حَاجَةٍ لِي عَلَى جِــــــــــــاهِكَ الضَّمان

فأجابه ابن خلدون :

أَفَقُ فَالْهوى هَوَانُ لعهد الصبا أَوَانُ
إِذَا مَا انطوى شَبَابُ طَوْتُ وَدَكِ الْحَسَانُ
لِعَمْرِي وَإِنْ عَمْرِي لِمَا لَيْسَ يَسْتَهــــــــــــان
أَيَا صَادِقاً هَسَوَاهُ إِذَا الْمَدَّعُونَ مَانَوَاهُ

١ د ط : ينضى .

فلم يحوِ ما حواهُ زمانٌ ولا مكان
ولم يتفرّ ما قرأهُ حسامٌ ولا سنان
إذا سلّ مرهفاتٍ من المنطق البيان
تبيّن أن أمضى من الصارم اللسان
فعشّ للورى ملياً فني عيشك ازديان
ولا زال لليلالي بابقائك امتنان

فصل في ذكر الأديب أبي مروان بن غصن الحجاري وإيراد طرف
من خبره ، وحמיד أثره^١ .

وكان اقتبس من أنواع العلوم [والآداب] ما صار به في عالم عصره^٢
علماً ، وفي الكمال عالماً ، وكان كما قرأتهُ في فصلٍ وصفه به أبو محمد
ابن عبد البر في رقعة خاطب بها المعتضد ، قال فيها : أياديك - أيديك الله -
قد طبّقت . ومساعيك قد أنارت وأشرقت ، فكلُّ أفقٍ بها بهج ، وكلُّ
قطرٍ منها متضوّعٌ أرج . وكلّ همة بها موكّلة ، وكلّ نفسٍ إليها منجذبةٌ
مسترسلة ، فإن أحسَّ امرؤ من نفسه قوّة جنّان ، وفُضِّلَ بيان ، وتَصَرَّفَ
لسان ، فأقصى غرّضه أن يحلّي بيانه بما أثرك ، ويفتقّ لسانه بمفاخرك ،
ويطرز ملاءة نظمه ونثره باسمك الأعذب ، ويشرف مطرف قريضه

١ انظر الجذوة : ٣٧٨ (وبنية الملتبس رقم : ١٥٤٦) والمغرب ٢ : ٣٣ والخريدة
٢ : ١٢ والمسالك ١١ : ٤٤٧ والنفع ٣ : ٣٦٣ ، ٤٢٣ والتكملة رقم ١٦٩٠ واسمه
عبد الملك بن غصن الحشني من اهل وادي الحجارة ، لقي ابا الوليد يونس بن عبد الله القاضي
وحدث عنه بمقالة حنش الصنعاني في قرطبة ، وكان فقيهاً اديباً شاعراً صاحب منظوم ومنثور ؛
وكانت وفاته بغرناطة سنة ٤٥٤ .

٢ د ط : وقته .

بذكرك العطر الاطيب ، ويتشرف بالدخول إليك ، ويتمجد بالمثل بين يديك ، ليحظى منك بالتجويز ، ويصح له دعوى السبق والتبريز ؛ وإن ممن استولى على الامد الذي وصفته ، وحوى قصب السبق فيما ذكرته ، الأديب الكامل أبو مروان بن غصن الحجاري ، وهو كما علمت ممن لا يجارى في ميدان ، ولا يطاول بعنان ، إن نظم فنيان مرصوص ، وإن نثر فلائء وفصوص ؛ انتهى كلام ابن عبد البر .

قال أبو الحسن [ابن بسام] : ونكبه المأمون بن ذي النون^١ وله فيه « رسالة السجن والمسجون ، والحزن والمحزون » أودعها قصائد مطولات ، ومقطوعات أبيات ، ورسالة أخرى سماها بـ « العشر كلمات » . وهو القائل في سجنه ، وكتب بها إلى أخيه^٢ : [٨٩ ب]

أأروى وبين ضلوعي حريقُ وأشجى وإنسانُ عيني غريقُ
وفي كلِّ يومٍ وفي كلِّ حينٍ يحملني الدهرُ مسا لا أطيع
تهمُّ الخطوبُ بوصلي فمسا لن إلى غيرِ قلبي طريق
أيا واحدي وشقيقي ويمسا فريقاً يبكيه مني فريقتي
أخوك أخو نكباتٍ لمسا يرقُ العمدو فكيف الصديق

١ ترجم ابن سعيد في المغرب ٢ : ٣٠ لمن اسمه عبد الملك بن حصن وقال انه كان من اعيان الوزراء واعلام الكتاب والشعراء ، وذكر انه هو الذي سجنه المأمون حتى تخلصه ابن هود من يديه ؛ ويعتقد الدكتور شوقي ضيف محقق المغرب ان هناك خلطاً بين عبد الملك بن غصن الحجاري ، وعبد الملك بن حصن ، وان هذا الخلط وقع فيه ابن بسام وابن الابار (التكملة رقم : ١٦٩٠) وصاحب النفح ؛ وانا استبعد ذلك ، فان ابن الابار لم يقل انه كان وزيراً للمأمون وانما قال « وامتنح بالمأمون بن ذي النون صاحب طليطلة فحبسه بسجن وبذة مدة هو وجماعته معه . . . ثم اطلق من معتقله فسار الى بلنسية » ؛ ولعل الخلط انما هو ما وقع فيه صاحب المغرب وحده ، اذ جعلهما شخصين وجعل احدهما وزيراً .

٢ منها أبيات في المسالك .

كسدتُ ونظمتي درُ نفيس^١
ورأيتُ شهابَ أُجَلَّى العمى^١
وما أظلمَ الجهلُ^٢ في معشرٍ
ولو جاثليق^٣ تخولتـــــــــــــــــه

وَضِيعْتُ وَتَشْرِي مِسْكُ فَتِيقُ
به وحديثي روض^١ أنيسق
وفي أفقهم من علومي شريق
بموعظةٍ آمَنَ الجاثليق

ومنها :

وطيف صديقٍ كريمٍ له
سرى واهتدى لي ومن دونه
فشيعة من دموعي انسكاب^١
وفارق ذا سقَمٍ لا يسبين^٢

بنفسي وإن بان عني لصوق^١
جدارَ معلّى وباب^٢ وثيق
وودّعه من فؤادي خفوق
لولا الزفيرُ ولولا الشهيق

ومن شعره فيه :

يحسى المليك الذي به حسيبت^١
لو حسبت في الورى مواهبه^٢

نفسي وفازت بكل ما اشتهدت^١
لم يخل حسابها من الغلت^٢

[ومنها] :

قد استردّ الشبابُ خِلْعَتَهُ
لولا أنيني على فراشي لم
ولو أتتني المنونُ تطلبيني

وتبّهتني الخطوبُ من سينة^١
يبدُ خيالي لعينٍ ملتفت
ما علمت موضعي ولا رأيت

وأودع رسالته تلك ألف بيت ، فقال فيها :

وألف بيت من القريض إذا
لو أن شعر الورى ينظم في

مات جميع الأنام لم تمت^١
عقد لكانت بموضع السطة^٢

١ د ط : الدجى .

٢ د ط : الجوى .

٣ الجاثليق : (Catholicos) رئيس النصارى .

سائرةٌ حيث لم يسر قمرٌ ولا سرت أنجمٌ ولا جرت

وللمتنبي في هذا المعنى ^١ :

ولي فيك ما لم يقُلْ قائلٌ وما لم يسر قمرٌ حيث سارا [٩٠] |
وعندي لك الشرْدُ السائراتُ لا يختصن من الأرض دارا
فإني إذا سرن من مقولي وثبن الجبال وخُصن البحارا

وهذا أحسن ما قيل في سيرورة الشعر ، وأبلغ منه قول علي بن الجهم ^٢ :
فسار مسير الشمس في كل بلدةٍ وهب هبوب الرياح في البر والبحر

ولابن شمّاخ الغافقي من جملة قصيدة في المعتمد بن عباد :

ان لم تسر هذه الغراء سائرة منيرة بين أنجاد وأغوار
فليست الرياح في الدنيا بسائرة وليست الشمس فيها ذات أنوار

وقال ابن غصن الحجاري ^٣ :

قد ألحف الغيم بانسكابه والتحف الجو في سحابه
وقام داعي السرور يدعو حي على الدن وانتهاه
وتاه فيه النديم ممسّا يزدهم الناس عند بابه

وقال أيضاً :

يا فتية حرةً فدتهن من حادثات الزمان نفسي
شربهم الخمر في سكون ونطقهم عندها بهمس
أما ترون الشتاء يُلقي في الأرض بسطاً من الدمقس

١ ديوان المتنبي : ٣٤٦ يماتب سيف الدولة لتقصيره فيما كان عوده من الاقبال عليه .

٢ ديوانه : ١٤٧ .

٣ النفع ٣ : ٤٢٣ والمسالك .

مقطَّبٌ عابسٌ ينادي : يومُ سرورٍ ويومُ أنسٍ

وقال ^١ :

يومٌ تبدَّى لنا بصحوٍ والحوُّ صافي الهوا جليُّ
طاب رحلي ^٢ به إلى أنْ كدَّرَ مِن صفوه العشي
كأنما حالتـــــــــاه ودُّ جاراك فيه طُلَيْطليُّ

وقال :

يا صوبَ غاديةِ الربيعِ الممطرِ بادِرُ بسبكِ رسمِ دارٍ مُقْفَرِ
ميدانِ أفراسِ الصِّبَا وملاعبِ آرامِ والروضِ الأنيقِ الأزهرِ ^٣
واقذفْ بسلكِ الغيثِ في ساحاته واسكبْ لآلِيه عليه وانسُرْ
حتى ترى الغيطانَ زاهرةَ الرُّبى تُنبِيكَ عن عهدِ الزمانِ الأزهرِ
وترى الأقاحَ كأنه فمٌ شادنٍ غنِجٍ تبسَّمَ عن لقيطِ الجواهرِ
وشقائقَ النعمانِ مثلَ الغيدِ والـ قلنا سبايا من بناتِ الأصفرِ
لولا خفارتُها وحالكُ شعْرِها

وقال :

وآلفتي فيك النجومُ لرعيها فدُرَيْتَها خلتي وبدُرُ الدجى إلقي
كأنَّ سماءَ الله نطعُ زبرجدٍ وقد نُشِرَتْ فيه الدنانيرُ للصرفِ [٩٠ ب]

وهو القائل [أيضاً] ^٤ :

فديتك لا تخفُ منِّي سلوًّا إذا ما غيَّرَ الشعرُ الصغارا

١ منها بيتان في المسالك .

٢ ط د : رحيتي .

٣ ط : المطر .

٤ ورد البيتان في المغرب والنفع والمسالك .

أهيم^١ بدن خمير صار خلا^٢ واهوى لحية^٣ كانت عذارا

فصل في ذكر الأديب أبي علي ادريس بن اليماني العبدري الياسي^٤

ويابسة^٥ من الجزائر الشرقية على سمّت مدينة دانية من الأندلس .
وأخبرت^٦ أن أصله^٧ من قسطنطية^٨ الغرب ، من عمل شنت مرية ابن
هارون ، وبدانية قرأ ، وبها نشأ ، ومنها انبعث انبعث السيّل ، وأدرك إدراك
الليل ، حتى تضاءلت له الهضاب عن قدره^٩ < وماجت الأرض ببحره >^{١٠}
وصار [شعره] سمّر النادي ، وتعلّة الحادي ، وتمثّل^{١١} الحاضر
والبادي ؛ وطفق يتردّد^{١٢} على ملوك الطوائف بالأندلس تردّد الكاس
على الشرب ، ويجري في أهوائهم جرّي الماء في الغصن الرطب ، وكان
كلما قال قصيدة لم يضرب عليها حجاباً ، ولا ضمّنها كتاباً ، حتى يأخذ
بها مائة دينار ، وقد سأله عباد في بعض رحله إليه ، على كثرة بوائقه ،
وشكاسة خلائقه ، [أن] يمدحه بقصيدة يعارض بها قصيدته السينية التي
مدح بها آل حمود^{١٣} فقال له : إشارتي مفهومة ، وبنات صدري كريمة ،

١ د ط : ادين ، وسيرد البيت بهذه الرواية فيما يلي ص : ٣٣٩ .

٢ ترجمته في المغرب ١ : ٤٠٠ ، والخدوة : ١٦٠ (وبغية الملتمس رقم : ٥٦٠) والمسالك

١١ : ٢٠٤ وفوات الوفيات ١ : ١٦١ (ط . بيروت) والوافي للصفدي ٨ : ٣٢٧

والشفح ٤ : ٧٥ ، ١٥٦ وعقود الجمان للزركشي : ٦٦ وكانت وفاته سنة ٤٧٠ .

٣ د ط : وقد قيل .

٤ ب م : قسطنطية .

٥ ط د : تضاءلت الهضاب لقدره .

٦ زيادة من المسالك وهو ينقل عن الذخيرة .

٧ ب م : ومثل .

٨ ط د : السينية في ابن حمود .

فمن أراد أن ينكح بكرها ، فقد عرف مَهْرَهَا .
وقد أخرجتُ من أشعاره ، ما يشهدُ بسموِّ مقداره ، ويعربُ عن
غرائبِ أخباره .

جملة من شعره في أوصاف شتى مختلفة في النسيب وما يناسبه

[قال]^١ :

قبلة^٢ كانت على دَهَشٍ أَذهبتُ ما بي من العطشِ
ولها في القلبِ منزلة^٣ لو عَدَّتْهَا النفسُ لم تعش
طرفتي والدجى لبست^٤ خِلْعاً من جلْدَةِ الحنش
وكأنَّ النجمَ حينَ بسدا درهمٌ في كفٍّ مرتعش

وحدث^٥ ميمون بن يوسف بن درِّي قال: اعتمدني أبو علي ادريس
ابن اليماني ، فجاذبته في ذكر البديع من القول ، فأنشدني هذه القطعة في
صفة الثريا ، فعمدتُ بعدُ إلى سبعةِ مثاقيلَ صحاحاً فطبعْتُ عليها ،
وكتبتُ معها :

وَجَهُّ الثَّريَّا إن شِيتَ تعرفه فاسلكْ من القولِ نحو موعبه [٩١ أ]
نجمك في البعدِ ظلٌّ مشبهها وشبهها شبه ما بعثتُ به

١ وردت الابيات في النفع ٤ : ٧٥ والمسالك .

٢ ب م ط د : لابس ، والتصويب عن النفع والمسالك .

٣ هنا ينتهي الحرم في س . ٤ ب م : فأطبقت ؛ ط د س : فأطبعت .

٥ م : الظل .

ونظر لإدريس إلى غلام [أوسيم] بالحمام عليه أسمال فقال :

توشَّح بالظلماء وهو صباحُ فأمرِضتِ الألبابُ وهي صباحُ
وظلَّ فؤادي طائراً عن جوانحي وليس له إلاَّ الغرامَ جناحُ
قضيبُ صباحٍ في وشاحٍ دُجْنَةٍ ألا ليتني تحت الوشاح وشاحُ
ولا عجبٌ أن أفسدني جفونُهُ فكل فسادٍ في هواه صلاحُ

وقال :

علَّقْتُهُ شادنساً صغيراً^١ وكنت لا أعشقُ الصغاراً
أعارني سَقَمَ ناظرَيْهِ فاستشعرتُ نفسهُ حذاراً
يُسْفِرُ عن وجهٍ مستنيرٍ يَرُدُّ جُنْحَ الدجى نهارة
لم أرَ مِنْ قَبْلِ ذاكِ مساءً أضرمَ فيه الحياءُ نسارة

وذكرت بقوله « لا أعشقُ الصغاراً » شعراً لبعض أهل العصر استطرد فيه لهجو السميسر^٢ استطراداً ظريفاً فقال :

ان كنتَ تهوى مليحاً فلا تَقُلْ بمعدَّرٍ
واهو الصغارَ ففيهم على الحقيقةِ تُعدَّر
دعِ الكبارَ لقومٍ دانوا بدين السميسر

ونصيب الأكبر القائل^٣ :

ولولا أنْ يقالَ صبا نُصَيْبٌ لقلتُ بنفسِي النشأُ الصغارُ

١ ط د : غريراً .

٢ ترجم له ابن بسام في القسم الاول من الذخيرة .

٣ ديوان نصيب : ٨٨ .

وما أعذب ما ذهب ابن غصن الحجاري بقوله^١ :

فديتك لا تخفُ مني سلسواً إذا ما غيّر الشعر الصغاراً
أدينُ بدنٌ خلٌّ كان خمراً وأهوى لحيّةً كانت عذاراً

وقال ادريس :

أقبلتْ تهتزُّ كالغصنِ وتمشي كالحمامه
ظبية تحسدُ عينيها وخذّيتها المدامه

وقال :

علق الهوى قبلَ الهواءِ علاقةً ما زال في نزعِ بها ونزاعِ
فكأنما سكن الهوى في قلبه من قبل سكنى القلبِ^٢ في الأضلاعِ
ومنها في صفة الخيل :

خيلٌ يمدُّ الدهرُ عند هبوبها ميدَ القضيبي بعاصف زعزاعِ
فكأنَّ خُطفاً^٣ من نتائج أعوجِ تنفضُ من فرسانِها بسباعِ

وقال^٤ :

صفراءُ تهديها^٥ بنانٌ صوّرتْ وغزالٌ سترٌ بل غزاةُ كلة^٦
أجني مرأشفها العذابَ وفي الحشا كهواك من غمٍّ ومن عتابِ
تثني عنانَ العتبِ بالاعتابِ [٩١ ب] حُرِّقُ فأمزجُ رحمةً بعذابِ

١ قد مر البيتان ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

٢ ط د س : الروح .

٣ ط د س : عقبان تحطّط .

٤ انظر مسالك الابصار .

٥ ط د س : تهديها .

٦ ط د س : أذس قفرة .

ودخل لإدريس بن اليماني على الموفق أبي الجيش فأنشده^١ :

ولربَّ ليلٍ قد طرقتُ وهمتي أسري بها إذ ليس يسري كوكبُ
في معشرٍ شُمُّ الأُنوفِ كأنَّهم سيدانُ^٢ رملٍ أو أسودُ دُرِّبُ
لبسوا دياجيرَ الدجى إذ أسادوا وتقنَّعوا بسنا الضحى إذ أوبوا^٣
وسروا فمغربُ كلِّ أرضٍ مشرقُ لهمُ ومشرقُ كلِّ أرضٍ مغربُ
والفجرُ ملوئُ الثقابِ مبرقعُ والليلُ مسدولُ الرواقِ مطنَّبُ
وكانَ باهرةَ الكواكبِ معشرُ قامَ الهلالُ بهم خطيباً يخطبُ
وكانَ نورَ الصبحِ رايةَ فارسٍ حمراءُ يتبعها خميسُ^٤ أشهبُ
وكانَ قرنَ الشمسِ وجهُ مجاهدٍ لما أثار سناه كادتُ تغربُ

وهو في كل ذلك يعبث بيديه في قليل شعرٍ عارضته ، استثقلاً للعارفة ،
وبخلاً بالخالصة ، وجهلاً بالفائدة ، فلما أملكه الأمر ، وأعوزه الصبر ، غمز
حاجبه بشطر حاجبه ، فاخطف القرطاسَ من يده ، وقال وقد سدَّ خياشيمه :
إن رائحة الشبين^٥ على شعرك ، تعريضاً له بياسة ، جزيرة في البحر كان
منها ، أكثرُ ثمرها الشبين ، فحجل لقماته ، وتعثر في ذيلِ كلامه ، فلما
وثب إليه نفسه ، وراجع حِسَّهُ قال : أيها الأمير إن كنتُ أسأتُ في
مدحك ، فأحسِّن في منحك ، أو قصَّرتُ في وصفك ، فأطل في عرفك .

١ حتى آخر الفقرة سقط من د ط س .

٢ سيدان : جمع سيد وهو الذئب .

٣ الاساد : سير الليل ، والتأويب : سير النهار .

٤ ورد هذا البيت والذي يليه في مسالك الابصار .

٥ الشبين فيما ذكره الحميدي في ترجمة ادريس هو شجر الصنوبر (بالفرنسية : *Sapin*
وبالاسبانية : *Sabina*) ولذلك كان ادريس يسمى احياناً « الشيبني » .

قال ابن بسام : وما أقبحَ هذا المنحى ، وأبعدَ هذا المرمى ، ولكر
السجايا تجري على ما تيسرت له من المعتاد ، وأين هو - قُبَحَ - من قولا
ابن عباد ، وقد كتب إلي^١ :

لكفي أهدى في نداها من القطا إلى موردٍ عَذْبٍ على [ظماً] برح
إذا أبْطَتِ الأَملاكُ غيري للثنا فاني وضاحُ الجيين إلى المدح
وكل امرئٍ يخني عليَّ جريمةً فاني أجازيه على الذنبِ بالصفح

ومن شعره في المديح وما يتشبه به من الأوصاف

له في المأمون بن ذي النون من قصيدة أولها :

تبيّنَ من سرّه ما اكتمُ فلاح كنارٍ بأعلى علَمُ

يقول فيها : [٩٢ أ]

أما والهوى وهو أحلى قَسَمُ وإن بنتُ عنه بنفسي قسم
وما يحتلى من أقاحٍ ضحوكُ يُشَبُّ بماءِ الشباب الشيم
لقد شربتُ شربَ نومي فلو شربتُ سلافَ الهوى لم أنم
خدودُ غلائلها من شقيقٍ وأيدٍ أناملُها من عنم
ظلمن قلوبَ الهوى مُدَّ عَدَوْنَ يطفرون فوق شمسِ الظلم
ولما أقمن رمـاحَ القدودِ فدانت لهنَّ رماحُ البهم
رفعن الهوى علماً خافقاً فكان فؤادي جناحَ العلم
يحمُّ أبو كلَّ شبلين بي ويلعبُ بي كلُّ طَرفٍ أحم
لقيتُ الليالي في شوكةا فبرح نخوي بصم^٢ الصمم

١ لم ترد هذه الأبيات في ديوانه

٢ ط د س : غري بضمي .

ونهبت سوق الردى في العدا
 فما راعني رائعٌ غيرُ لحظِ
 ظننتُ الشبابَ يفي حينَ وافي
 تولّى وشيكاً ولم أجنِ منه
 وما العيشُ إلاّ فوقُ اغتنامِ
 وفي شيم الناس ما في العيون
 وما زال يقفوا زمانٌ زماناً^٢
 ولكنّ هذا الزمانَ استقام
 فقد سكنتُ عينُ دهمائِه
 رعايا الملوكِ قطا البيد لكنّ
 ملوكٌ ولكنهم في الملوكِ
 وطيبٌ حتى رضابَ الثغورِ

وهذا البيت كقول محمد بن هانئ^٣ : [٩٢ ب]

قد طيَّبَ الأفواهَ طيبُ ثَنَائِهِ فمن أجلِ ذَا نَجْدٍ؛ الثَّغُورَ عَذَابَا

والبيت الذي قبله^٥ كقول ابن الرومي :

تلوحُ في دُوكِ الأيامِ دولتكم كأنها مِلَّةُ الإسلامِ في المللِ

وفیہا یقول ادريس :

۱ ط د س ب : یهفو .

۲ ط ب س م : زمان .

۳ دیوان ابن هانی : ۲۰۱ .

ط د ص : تجل :

• ب م : بعده .

٦ ط د س : وفيها ايضاً يقول .

أرى العالمَ اعتدلتْ حاله
وكان بحال انتقاصٍ فتمَّ
همامٌ له شيمة^١ كالشمول
أبا الحسن الحسن المـسـكـنـي
تسمتُ نعمته بالثناء
يدٌ تقع الهامُ تحت الحسام
كأنَّ العيونَ ازدحاماً عليه
وَحَذُّهَا تَجْرُ^٣ إلى حسنـها
لو اعترضت لزهيرِ البديع
ولو خطرت بحبيب بن أوس
فيا كعبةَ الحسن وافاك عبدٌ
حجبتُ وطفْتُ أسابيعَ لكنْ
فلا ما يُعَابُ ولا ما يُذَمُّ^٢
ولكنه بابتِ ذِي النون تم
تمتُ الهمومَ وتحيي^٢ الهمم
بما هو نعتٌ له لا جرم
ونشرُ الثناءِ نسيمُ النعم
بها والأقاليمُ تحت القلم
عطاشٌ إلى موردٍ تزدحم
«أتهجرُ غانيةً أم تُلِمُّ»
سلا عن بدائعِهِ في هرم
طوى كلَّ ما حاك في المعتم
لطاعة سيده ملتزم
تمامُ طوافي أن أستلـم

وله من أخرى في إقبال الدولة بن مجاهد بدائية :

قد كنت لا أضحي إذا جئتُ الضحي
فانجاب عن أوضاحِهِ ذاك الدجي
وصدرتُ عن حبِّ الشباب وطالما
صاح الصباحُ بجانبِي ليلي فلـم
لكن أسفتُ على طليٍّ وترائبِ
من كلِّ ناعمةٍ يحولُ وشاحُها
حتى دُفِعْتُ إلى القديرِ الضاحي
ووردتُ بعد الغمرِ في الضحضاح
غُمِسْتُ جَنَاحِي في غدِيرِ جُنَاح
آسفٌ لليلي إذ محباه صباحي
صَفِرَتْ يدي من حَلْيِهَا الصَّباح
هيـمانَ بين مهـفـهـفٍ ورداح [٩٣ أ]

٢ ط د س : مميت ... وتحيي .

٤ ب م : القمر ؛ س : العتد .

١ س : همة .

٣ ط د س : تحن .

ومنها^١ :

ثَقُلْتُ زجاجاتُ أَتُنَّا فَرَّغَا
خَفَّتْ فَكَادَتْ [أَنْ] تَطِيرَ^٢ بِمَاحُوتِ

حتى إِذَا مُلِئْتُ بِصَرْفِ الرِّاحِ
وكذا الجُحُومُ تُطِيرُ بِالْأُرُوحِ

ومنها :

بَعْلِي^٣ بَنِ مَجَاهِدٍ أوردتُـه
ثَهْلَانُ^٤ فِي عَقْدِ الْحُبِّ وَلَدَى الْوَغَى
فَالْبَرْ^٥ بَحْرٌ مِنْ مَدَائِحِهِ السَّنَى
بِسِيَاسَةٍ يَقِفُ الزَّمَانُ إِزَاءَهَا
مُخْفُوفَةٌ بِمَكْسَارِمٍ وَصَوَارِمٍ
يَا مَنْ يَلْحَنُ كُلُّ خَلْقٍ مَدْحَهُ
هَشَّتْ^٦ لَتَسْمَعَهَا بِفَضْلِكَ فَاسْتَمِعْ
غُرْرًا كَطَالِعَةِ الْكَوَاكِبِ مَوْهِنَا
فَأَتَتْكَ جَانِحَةٌ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا
فَلَكْفُكُ الْقِدْحُ الْمَعْلَى فِي الْعَلَا
وَلِئِنْ بَكَ اسْتَغْنَيْتُ عَنْ كُلِّ فَنِي

رَوْضَ الْمَدِيحِ وَمَوْسَمَ الْمَدَاحِ
غَصْنٌ يَبْرَاحُ إِلَى نَسِيمِ رِيَّاحِ
تُرْبِي عَلَى الطَّيَّارِ وَالسَّبَّاحِ
خَضَلَ الْحَيَاءِ مَلَاظِمَ الْإِسْجَاحِ
تَشْتِي وَتَصْرِفُ غَرْبَ كُلِّ جَمَاحِ
حَتَّى الْحَمَامُ عَلَى ذَرَى الْأَدْوَاكِ
سَيَّاحَةٌ بِنَائِيكَ السَّيَّاحِ
طَمَحَتْ إِلَى لَقِيَاكَ كُلَّ طَمَاحِ
جَنَحَتْ إِلَى مَغْنِيطَسِ الْأَجْنَحِ
وَعَلَاكَ تَحْكُمُ لِي بِفَوْزِ قَدَاحِي
ضَوْءِ الصَّبَاحِ غَنَى عَنْ الْمَصْبَاحِ^٦

وله من أخرى في ابن واجب :

وادي الأراكِ أَطَلَّتْ شَكْوَى الشَّاكِي
بشميمٍ كُلُّ بِشَامَةٍ وَأَرَاكِ

١ ورد هذان البيتان في المغرب والمسالك والخنوة والبغية :

٢ ط د س : وكادت تستطير .

٣ ب م : فالبحر .

٤ د : هبت .

٥ ط د س : بمجدك .

٦ ب م : الاصبح .

يقول فيها في وصف الحمامة ، وأجاد ما أراد وزاد^١ :

ورقا مطوقة السوالف سندساً لم يحك صَنَعَتِها حياكةُ حاك
تشدو على خُضْرِ الغصون بألسنٍ صبغت مَلائِمتها بلا مسواك
وكان أَرْجُلُها القواني أَلْبِسَتْ نَعْلًا من المرجان دون شراك
وكانها كُحِلَتْ بنارِ جوانحي فترى لَأَعْيِنها لَهيبَ حشاك

وهذا كقول ابن هاني^٢ :

وما راغني إلاَّ ابنُ ورقاءَ هاتفٌ بعينه جمرٌ من ضلوعي مشبوبٌ

قال ابن بسام : وسلك أبو الربيع القضاعي سبيلَ إدريس في صفة
الحمامة ، فضلَّ عنها ، في قصيدة [٩٣ ب] مدح بها ابن واجب أيضاً ،
أولها :

زعم العبيرُ بأنه حاكاك كذب^٣ العبيرُ وما حكى ريتاك
هذا شميمك فليهبَ نسيمُهُ حتى تَبيِّنَ مقالةُ الأَفَّاك
وإن ادَّعى ريمُ الفلاة بأن في عينيه لمحةَ عينك السفاك
فَلْيَاثِمِ حَكِ بِمَقْلَتِيهِ مُغَازِلًا حتى تَفَنِّدَ قولَهُ عَيْنُـسَاك

ثم خرج إلى ذكر^٤ الحمامة بوصفٍ غير رائقٍ استُبرِدَ فيه ، ورأيتُ ألاَّ
أكونَ ممن يرويه . وقد افترض في صفةِ الحمامة في هذه العروض والقافية بأفقتنا^٥

١ منها بيتان في المسالك ؛ وفي ط د س بدل هذه العبارة : ومنها .

٢ ديوان ابن هاني : ٢٢ .

٣ د ط س : أفك .

٤ ب م : وصف .

٥ د ط س : وقد افترض في صفتها على هذا الوزن والروي يوسف . . . الخ .

يوسف بن هارون الرمادي^١ مع يحيى بن هذيل^٢ ، وأنا أسوق
الحكاية بنصّ ما حكاه الرمادي عن نفسه^٣ ، قال : بكَرْتُ إلى أبي المطرف
ابن مثنى فألفيتُ قد بكَرَ قبلي يحيى بن هذيل ، فقال لي : ما عندك ؟ فقلتُ :
ليس عندي كبيرُ معنى ، ولكن ما عندك أنت ؟ فأخرجَ من كمّهِ قصيدته
التي يقولُ فيها في صفة الحمامة^٤ :

وَمُرْنَتِهِ وَالِدَجْنُ يُنْسَجُ فَوْقَهَا بُرْدَيْنِ مِنْ طَلٍّ وَنَوْءٍ^٥ بَاكَ
مَالَتْ عَلَى طَيِّ الْجَنَاحِ وَإِنَّمَا جَعَلَتْ أُرِيكَتَهَا قَضِيبَ أَرَاكَ
وَتَرَنَمَتْ لَحْنِينَ قَدْ حَلَّتْهُمَا بَغْنَاءٍ مُسْمِعَةٍ وَأَنَّةٍ شَاكَ
فَفَقَدْتُ مِنْ نَفْسِي لِفَرْطٍ تَلْهَفِي نَفْسَ الْحَيَاةِ وَقَلْتُ مِنْ أَبْكَاكِ
فَأَنْشَدْنِيهَا ، وأنا أعدُّ محاسنه فيها ، فلما أكملها قال لي : انصرف إلى المكتب
وتأدّب حتى تحكّمَ مثلاً هذا فكأنّه [حركني ؛ وافق أنه] لم يخرج إلينا

١ له ترجمة في الجذوة : ٣٤٦ (البغية : ١٤٥١) والنصلة : ٦٣٧ والمطرب : ٤ والمطوح :
٦٩ والمغرب : ١ ، ٣٩٢ ومسالك الابصار : ١١ : ١٧٥ وابن خلكان : ٧ : واليتيمة : ٢ : ١٢ ،
١٠٠ والمقتبس : ٧٤ ، ٧٥ وأشعاره في البديع للحميري والتشبيهات للكتاني ونفع الطيب
وشرح المقامات للثريشي ، وقد كتبت عنه دراسة في كتابي « تاريخ الادب الاندلسي - عصر
سيادة قرطبة » ص : ١٥٥ ط. أول .

٢ يحيى بن هذيل : ترجمته في الجذوة : ٣٥٨ (البغية : ١٩٤٥) وابن الفرضي : ٢ : ١٩٣
ونكت الهميان : ٣٠٧ وشعره في اليتيمة : ٢ : ١٤ ومسالك الابصار : ١١ : ١٧٣ وكتاب
التشبيهات (انظر الفهرست) .

٣ د ط س : مع ابن هذيل في خبر حكاه عن نفسه .

٤ انظر هذه القصة والشعر في نثار الازهار : ٨٢ .

٥ ط د س : نوه وطل .

أبو المطرف ذلك اليوم ، فبكرتُ من الغدِ إليه وأنشدته قصيدتي التي أقول فيها في وصف الحمامة :

أحمامةٌ فوق الأراكِ تنثني^١ بحياةٍ من أبكاك ما أبكاكِ
أما أنا فبكيتُ من حُرْقِ الهوى وفراقٍ من أهوى ، أنت كذاك ؟

قال : فلما سمعها^٢ ابنُ هذيل قال : عارضتني ! ! قلتُ : لا والله إلا^٣ ناقضتك ، فقال : اذهب فقد أخرجتك من المكتب .

وأنا أقول : وإن كان كلامُ الرمادي من الحلو المطبوع ، فلا نسبةَ بينه وبين كلامِ ابن هذيل ، وقد انفرد في صفتها انفرد سُهَيْل .

وحكي أن أبا الطيب المتنبي على قلّة رضاه عن شعر أحد فإنه على مذكر عنه أنشدَ لجملةٍ من شعراء الأندلس حتى أنشدَ قول ابن هذيل [٩٤ أ] :

إذا حبستُ^٤ على قلبي يدي بيدي وصحتُ في الليلة الظلماء واكبدي
ضجبتُ كواكبُ ليلي في مطالعها وذابتِ الصخرة الضمائم من كبدي
فقال أبو الطيب : هذا أشعرُ أهل المغرب .

وعارض أيضاً هذه العروض والقافية في ذلك الأوان الأديبُ أبو مروان المعروف بالبليني^٥ ، فقال من قصيدة أولها :

١ ط د س : بيدي . ٢ ط د س : سمعني .

٣ ط د س : بل .

٤ انظر مسالك الإبصار ١١ : ١٧٤ . ٥ المسالك : لما وضعت .

٦ هو سعيد بن عثمان بن مروان ، وكنيته في المغرب « أبو عثمان » ؛ والبليني Ballena الخوت ؛ انظر الجذوة : ٣١٤ (البغية : ٨٠٧) والمغرب ١ : ١٩٢ واليتيمة ١ : ٥٤ .

يومَ العقيقِ غلوتُ من قتلاك ، لما رمتُ بسهاميها عيناك
ثم خرج إلى صفة الحمامة فقال ^١ :

أحمامةٌ بكت الهديلَ وإنما طربتُ فغنتُ فوق غُصْنِ أراك
معشوقةُ التفويفِ ذاتُ قلائدٍ غنيتُ جواهرها عن الأسلاك
ناحتُ على غصنٍ وكلُّ شجٍ بكى يوماً بلا دمعٍ فليس بياك
لو كنتِ صادقةً وكنتِ شجيصةً جادتُ دموعك حين جدَّ بكاك

والرماديّ وابن هذيل وأبو مروان ليسوا من طبقة هذا الديوان ، إذ تقدم بهم ^٢ الزمان ، ولا ^٣ من شرطنا ، إذ لم يلحقهم أحدٌ من أهل عصرنا ^٤ .

ومن حرّ الكلام ، وسريّ النظام ، مما يتعلّق بوصفِ الحمام ، قول أبي العلاء المعريّ ، وأنا أثبتّه هنا زيادةً بعد إجادة جلةٍ نثر ونظام ، في صفة الحمام ، أخذت فيه بثوب الحسن من طرفيه ، واشتمل على رداء البديع من حاشيته ، ولولا تأخّر زمانه ، وتقدّم يحيى بن هذيل وطبقته لقلت : إنّ كلامَ المعريّ نقلوا ^٥ ، وعليه عوّلوا ، وهو قوله ^٦ : ما جاملةٌ طوق من الليل ، وبرّد من الربيع ^٧ مكفوف الذّيل ، أوفت الأشاء ، فقالت للكئيب ما شاء ، تُسمّعه غيرَ مفهوم ، لا بالرّمّل ولا بالمرموم ، كأنّ

١ د ط س : ثم قال في صفتها أيضاً .

٢ ب م : لهم .

٣ د ط س : وليسوا .

٤ د ط س : ولا لحقهم ... دهرنا .

٥ د ط س : ولولا تقدمهم وتأخره لقلت ان كلامه نقلوا ... الخ .

٦ انظر رسائل أبي العلاء : ١٥ - ١٦ (مرغوليوث) ؛ ص : ٣٩ (ط . بيروت) .

٧ الرسائل : المرتجع .

سجّعها قريض رمراسلها رذ ، فقد مادَ بِسَجْوِهَا العود ،
وفقيدها لا يعود ، تَنَدُّبُ شَوْقاً^١ هديلاً فات ، وأُتِيحَ له بعضُ الآفات ،
وابس الأشواقُ ، لذواتِ الأطواق ، ولا عند الساجعة ، عَبْرَةُ متراجعة ،
لَمَّا رأت الشرطَيْن قبل البُطَيْن ، والرشاء^٢ ، قبل^٣ العِشاء ، فحكّت
صوتَ الماء في الخريز ، ورنّت^٤ بزاءٍ دائمة التكرير ، فقال جاهل :
فقدت حميماً ، وثكلتُ ولداً قديماً ، وهيها يا باكية ، أصبحتِ فصدحتِ ،
وأُمسيتِ فتناستِ ، لا هَمَامٍ لا همام ، ما رأيتُ أعجبَ من هاتِفِ الحمام ،
سلم فناح ، وصمتَ وهو مكسورُ الجناح .

ومن أخرى له^٥ : ما حمامةٌ ذاتُ طوق ، يُضْرَبُ بها المثلُ في الشوق ،
كانت في وكرٍ مَصُونٍ ، بين الشجرِ والغصون [٩٤ ب] ، تألفُ من
أبناء جنسها رِبْداً^٦ ، يتراسلان تغريداً ، مَسْكَنُها نعمانُ الأراك ، تأمَنُ
به غوائلَ الأشرار ، وتمرُّ في بكرتها بالبيتِ الحرام ، لا تفرقُ لمكانٍ
صائدٍ ولا رام ، صادها وليدٌ في حِلٍّ ، ما حفظَ لها من إل^٧ ، فأودعها
سجنًا للطير ، ومنعها من كلِّ مَسِيرٍ ، فاذا رأتُ بواكرَ الحمام ، < ظلت >
تمارسُ جُرْعَ الحمام ، تسألُ بطرفها أنخاها ، ما فعل بعدها فرخاها ،

١ شوقاً : سقطت من الرسائل .

٢ الشرطان : نجمان معترضان من الشمال الى الجنوب ينزلهما القمر ، والبطين من منازل القمر ،
والرشاء : كدواكب كثيرة صفار على صورة السمكة .

٣ الرسائل ، بعد .

٤ الرسائل : وأنت .

٥ انظر رسائل أبي العلاء : ٥٩ - ٩٣ ، وسقطت من ط د س .

٦ الريد : الترب .

٧ الإل : العهد .

فيقول : أصبحا ضائعين ، يسترهما الورقُ عن العين ، بأشوقٍ مني
إلى حضرةٍ سيدي .

ومن شعره في صفتها قوله من قصيدة^١ :

وغنّت لنا في دار سابورَ قينسة^٢ من الورقِ مطرابَ الأصائلِ ميهالُ
رأتُ زهراً غصاً فهاجتُ بمزهرٍ مثنيه أحشاءُ لطفنَ وأوصال
فقلتُ تغنّي كيف شئتُ فانما غناؤكٍ عندي يا حمامةُ إعوال
وتحسّدُك البيضُ الغواني قلادةً بجيدك فيها من شذا المسك تمثال
فأقسمتُ ما تدري الحمامُ بالضحى أطواقُ حُسنٍ هنَّ أم هنَّ أغلال

وقال^٣ :

غيرُ مُجدٍ في ملتي واعتقادي نوحُ باكٍ ولا ترنمُ شادٍ
أبكتُ تلكمُ الحمامةُ أم غنّت على فرعٍ غصنِها المياد
أبناتِ الهديلِ أسعدنَ أو عيدنَ قليلَ العزاءِ بالاسعاد
إيه لله دركنَّ فأتن اللواتي يحسنَّ حفظَ الوداد
ما نسينَّ هالكاً في الألوانِ الحالِ أودى من قبلِ هلكِ إياد
بيدَ أني لا أرتضى مساً فعلتُنَّ وأطواقُكنَّ في الأجياد
وله من أخرى في أبيه يرثيه^٤ :

سأبكي إذا غنى ابنُ ورقاءَ هاتفاً^٥ وإن كان ما يعنيه ضدّ الذي أعني

١ شروح السقط : ١٢٣٩ .

٢ السقط : تلك أم هي .

٣ شروح السقط : ٩٧١ .

٤ شروح السقط : ٩٤٠ .

٥ السقط : بهجة .

وما ندبت^١ في مسمعي كل قينةٍ
ولہ من أخرى في أمه^٢ :

وأمتنني إلى الأجداد أم^٣
وأكبر أن يرثيها لساني
ومن لي أن أصوغ الشهب شعراً
مضت وقد اكتهلت فخلت أني
فيا ركب المنون أما رسول^٤
ذكياً يسحب الكافور منه
ألا نبهتني قينات بث^٥
وحماء العلاط^٦ يضيق فوها
تداعى مصعداً في الجيد جداً
أشاعت قبلها وبكت أخاها
شجتك بظاهر كقرىض ليلي
سألت متى اللقاء فقل حتى
يعز علي أن صارت أمامي
بلفظ سالك طرُق الطعام [٩٥ أ]
فألبس قبرها سِمَطي نظام
رضيع ما بلغت مدى الفظام
يبلغ روحها أرج السلام
بمثل المسك مفضوض الختام
بشمن غصاً فملن إلى بشام
بما في الصدر من صفة الغرام
فقال الطوق منها بانقصام
فأضححت وهي خنساء الحمام
وباطنه عويص أبي حزام^٧
يقوم الهامدون من الرجام

وقال بعض أهل عصري من قصيدٍ خرج فيه إلى وصف الحمام :

وان هتف الحمام فليست أدري وإن بارتته أيهما انتكالا
تعلقت الحمام بساق حر^٨ فسل هاتيك من أنكى الجمالا

١ السقط : ونادبة .

٢ ط د س : رثي بها أمه ؛ وانظر شروح السقط : ١٤٥٦ .

٣ العلاط : طوق الحمامة ؛ والحماء : السوداء ، وفي ب م : الحلي .

٤ ليل الاخيلىة ؛ وابو حزام المكي شعره عويص .

وقال محمد بن هانيء الأندلسي^١ :

وما راغني إلا ابنُ ورقاءَ هاتفٌ بعينه جذرٌ من ضلوعي مشوبٌ
وقد أنكر الدَّوحَ الذي يستظلهُ وصحَّتْ^٢ له الأغصان وهي أهاضيبُ
وحتَّ جناحيه ليخطفَ قلبه عشاءً شذانيقُ الدجى وهو غريبُ
ألا أيُّها الباكي على غير أيكسه كلانا فريدٌ بالسماوة مغلوبُ
فؤادك خفَّاقٌ ووكنك^٣ نازحٌ وروضك مطلولٌ وبانك مهضوبُ
هلمَّ على أني أقيلك بأضلعي وأملكُ دمي عنك وهو شآبيبُ
تُكنِّك لي موشيةً عبقريةً كريشك إلا أنهنَّ جلايبُ
فلا شدَّو إلا من رنينك شائسِقُ ولا دمع إلا [من] جفوني مسكوبُ
ولا مدح إلا للمعزِّ حقيقةً يفصلُ درأً والمديحُ أساليبُ [٩٥ ب]
نجارٌ على البيتِ الاماميِّ مُعتلٍ وعدلٌ إلى الحكمِ الربوبيِّ منسوبُ

رجع بنا الكلام إلى إدريس

وقال من قصيدة في ابن مقنة وزير يحيى بن حمود أولها^٥ :

دعاهُ الهوى من ذي الآراكِ قلباهُ وغناه أيكِيُ الحمامِ فأبكاهُ
وصدَّقَ دعوى الشوق برهانُ جسمه وما كلُّ ذي دعوى تُصدَّقَ دعواه
وظلَّ جناحُ القلبِ منه كأنما قدَّامِي جناح البرقِ منه قدَّاماه
بذي لَعَسٍ للاقحوان ثنياه وللورد خدَّاه وللأسر صدغاه

١ ديوان ابن هانيء : ٢٢ .

٢ الديوان : وسحت ؛ د ط : ومجت .

٣ الديوان : ووكرك .

٤ الديوان : العدل .

٥ ط د س : رجع وقال ادريس ؛ وورد منها بيتان في مسالك الابصار .

وللسّوسنَ الرِّيانَ صفحَةً خُصِّدَةً
يُزِينِي إِذَا رَدَّ السَّلامَ مَخَالِساً
كَأَنَّ فُؤَادِي كُلَّمَا قَامَ^٢ قُرْطُهُ
فَرِيدُ جَمالٍ تَمَّ لِي تَوَامُّ الهَوَى
تَكاملَ فِيهِ السُّؤْلُ^٣ حَتَّى كَأَنَّهُ
لَقَدْ كَانَ مَعْنَى الْجُودِ عُمِّيَ فَأَنْبَرِي
هَضِرْتُ بِهِ الدُّنْيَا فَمَالَتُ رَطِيبَةً
فَمَنْ يَكُ عَنِّي سائِلاً فَأَنَا السَّيْذِي
وَمَا ضَحَكُ النُّوَارِ مِنْ شَقِّ جَبِيهِ
وَمَا فَتَحَتْ أَيْدِي الْحَيَا زَهْرَةَ الرَّبِّي
تَأَمَّلْهُ^٤ وَانْظُرْ بَيْنَ بُرْدِيهِ وَاعْتَبِرْ
حَوَى الْقَلَمِ الْبَارِي الْأَسْنَةَ سَنَاهُ

وقال ادريس من قصيدة أخرى أولها^٥ :

لَبِيكَ لَبِيكَ دَاعِي اللّهُوَ مِنْ كَثَبِ
إِلَى السَّوَالِفِ كَالسَّوْسَانِ فِي صُعْدِ
إِلَى خُدُودِ بَنَاتِ الرُّومِ قَدْ بَرَزَتْ
إِلَى مَعَاظِفَةِ الْأَغْصَانِ فِي الْكُثْبِ^٦
إِلَى الْغَدَائِرِ كَالْخُلُجَانِ فِي صَبَبِ
مِنْ حُجُبِهَا وَأَدَارَتْ أَعْيُنَ الْعَرَبِ^٧

١ ط د س : محاسناً ؛ ب م : يرقاه ؛ د : ترقاه ؛ واليرنأ واليرنأ : الحناء .

٢ ط د س : فاء .

٣ ب م : الحول .

٤ ط د : يد .

٥ ب م : على سودا . . . اوراق ؛ المسالك : على متردى ؛ وسقط البيت ن ط د .

٦ ط د : وله من أخرى ؛ س : وقال من أخرى .

٧ ط د س : من كَثَب .

من كلِّ سافرة عن مشربٍ خجلاً
وأستضحكت عن لآلٍ أو حصي بردٍ
ومنها :

فيه طرازانٍ من ماءٍ ومن لب [٩٦ أ]
يكادُ يقطرُ من مائيةٍ الشنب

يحدو بها فتيةٌ صيغتُ وجوههُمُ
قد قارعوا دونها كلَّ ابنِ قارعةٍ
من كلِّ أشنبٍ قد أفنت شبيبتهُ
ومنها :

من الرضى وعواليهم من الغضب
يهبُ منغمساً في الحرب والحرب
شبيبةً البان في ظل القنا السلب

ماذا أقولُ لدنيا لو ظفرتُ بها
تجلو الرياسة في تاج البهاء على
شجى من أقذية الأيام برح بي
لكنني علوائي الهوى مرس
ألقى الأحبة مخفوض الجناح وقد
لا يستثيرُ وشاح الخود لي شغفاً
ولا أهيمُ بجيدٍ غير ذي جيدٍ
ولا أروحُ لروضٍ غير ذي زهرٍ
وحسبُ وشي ثنائي أن أزرره^١
شمائل طيِّباتٍ كلما انتشقت
ذو همة في العلا دأباً مسافرة
أعراق طيبٍ أتت من أصبغ بفتى
إن قام أو قعد التف العفاة^٢ به

أدبَتْها غَضَباً للظرفِ والأدب
من لا يُفَرِّقُ بين الرأسِ والذنب
بل بالعوالي وبالهنديّة القضب
حلبتُ أشطُرَ دهري أيّما حلب
أحتالُ تحت الرداء العضب ذي الشطب
ما لم يجبُ كفؤادِ العاشق الوجب
ولا أهشُّ لقرطٍ غيرٍ مضطرب
ولا أهشُّ إلى كاسٍ بلا طرب
على أبي الحسنِ المغموسِ في الحسب
إن الرياضَ متى [ما] تُنتَشِقُ تطب
لو سافرتُ لمداها الشمس لم تؤب
حاز السناء ترائاً عن أب فأب
كأنه منهم في عسكري لب

١ ب م : أزوره ؛ ط د س : اردهه .

٢ ب م : الزمان .

لم يمشِ قطُّ إلى قربٍ ولا بُعْدٍ إلا على قدمٍ موطوءة^١ العقب
وله من أخرى في باديس^٢ :

سقياً لواديكِ الأغْنُ مريعهُ إن الشبابَ به مريعٌ مُمْرِعُ
إن كان خدكِ فيه وردٌ يانعٌ فهوأك في عيني وقلبي^٣ أينع
ومنها :

القائدُ الجردَ العتاقَ كأنها لُجَجٌ زواخرُ أو عوارضُ لمعُ
متوقدٌ في الحادثاتِ إذا دجت فكأنه فيها شهابٌ يسطع [٩٦ ب]
علمٌ هو القمرُ المباهي طالعا صنهاجةً وهمُ النجومُ الطلُعُ
متسرلين لكلِّ حربٍ مُرةً بأساً يقرعُ كلَّ مَنْ لا يقرعُ
فلو أنهم رفضوا الأسنّةَ والقنسا قامتُ قلوبهمُ بها والأذرعُ
وهذا المعنى كثير ، ومنه قول الأول :

قومٌ إذا اشتجر القنا جعلوا الدروعَ لها مسالكُ
اللابسين قلوبهُمُ فوق الدروع لدفع ذلك

وقال أبو محمد بن عبدون من جملة أبيات تقدم إنشادها :
وقد زروا الدروعَ على قلوبٍ لو انتُضِيَتْ لَقُطَّ بها الرقابُ
وكرره في موضعٍ آخر فقال :

١ ب م : موضوءة ؛ وسقط البيت من ط د س .

٢ ورد منها بيتان في المسالك .

٣ ط د : قلبي وعيني .

٤ ط د : تلمع .

٥ د ط س : وهي .

أَخْلَائي وفي قِربِ الصدورِ ظُباً تَقْضِي على قِمْمِ الدهورِ
وللتهامي^١ :

لو أشرعوا أيمانَهُمْ من طولها طعنوا بها عوضَ القنا الخطارِ
وقال قيس بن الخطيم^٢ :

إذا قَصَّرتْ أسيفنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضـاربُ
وقال الآخر^٣ :

إذا الكِماءُ تَنَحَّتْ أن يُصِيبَهُمْ حدُّ الظبـاةِ وصلناها بأيديـنا
وقال ادريس :

أَكْهِلَةَ الأَجْفانِ بالسحر الذي لولاه ما زَوَتْ البِلابِلُ بابلُ
قد كان قلبي غافلاً عما به أودى وقلبُ [أخي] السلامةِ غافلُ
جنى دهاني منك صدرُ راميحُ ذربُ سناناه وطرفُ نابلُ
ما عَمِدْتُك المِسْمِيَّ بِجِدِّكَ دُرَّةُ لكن فرندُ في حِسامِ جائلُ
كملتُ سيوفُ الهدى فوق جفونها وطوالُ أهـدَابِ الجفونِ جِـمائلُ
ومنها :

سار وغاد بالجِـيادِ كأنَّهـا لجحُ وأكبادُ العداةِ سواحلُ
وكأنَّما الأَجـالُ فوق رماحه ورُقُّ على شجرِ الأراكِ هـوادلُ
الحافظاتِ أسافلاً وأعالـيـاً فكأنَّهـنَّ ضواغمُ وأجادلُ

١ ديوان التهامي : ٤٩ .

٢ ديوان قيس بن الخطيم : ٤١ ، وانظر التعليق على هذا البيت : ٢٠٣ في الديوان .

٣ البيت من الحماسية رقم : ١٤ ص : ١٠٨ في شرح المرزوقي ، وهي تنسب إلى بشامة بن حزن ، ونهشل بن حري ، وبعض بني قيس بن ثعلبة . ٤ ب م ط د : درت .

يلوي القنا في نحر كلٍّ مُدَجَّجٍ
 بأساً كما نزل القضاء ، يديره
 وإذا شرابُ القوم كان منيــــةً
 نغمُ السيوفِ ألدُّ ما هو سامعٌ
 هذا ابنُ خاضبٍ ذي الفقارِ بجاني
 وبخيبرٍ والحربُ بارقٌ عارضٍ
 دفع الرسولُ إليه رايته وقد
 أربّت على الغايات غايةً مجــــدهم
 تزدانُ أقلامٌ بهم ومحــــابرٌ
 فكأتما المقدارُ من أشياعــــه
 وكأنما المريخُ من أنصــــاره
 تصبو إليك مشارقٌ ومغارب
 وتودُّ سابحةُ الكواكبِ أنها
 تجري بما منها تشاءُ كأنــــما
 لولا اضطرام البأس فيك لدى الوغى

لياً كما قتلَ السوارَ الفاتل
 رأيٌ كما صقل الحسامَ الصاقل
 لم يدنُ من تلك المدامةِ واغل¹ [٩٧]
 ومنى النفوسِ أقلُّ ما هو باذل
 وادي حنينٍ والصفوفُ حوافل
 وبناتُ أعوجٍ ما شحّته زائل
 طمحت عيونٌ نحوه وأنامل
 فالوهمُ عن إدراكها متضائل
 وتطولُ أرماحُ بهم ومناصل
 وكأنما الحدثانُ عنه منــــاضل
 وكأنما البرجيسُ فيه مجادل
 وتهيمُ فيك منابرٌ ومحافل
 لك سباحاتٌ والدجونُ قساطل
 حركاتها فعلٌ وأنت الفاعل
 لاخضرٌ في يدك الوشيحُ الذابل

وهذا البيت من قول المعري² :

ينهلُ منهنّ النجيعُ الأحمرُ
 فجراحُهُم بالسهميّةِ تُسبّرُ
 لاخضرٌ في يميني يديه الأسمرُ

يتهلّلون طلاقةً وكاومُهُم
 لا يعرفون سوى التقدّمِ آسيــــاً
 من كلِّ مَنْ لولا تسعّرُ بأسه

وله من أخرى :

١ الواغل : المتطفل على الشراب .

٢ شروح السقط : ١١١٣ .

يلقى الوغى بأديم وجه ضاحك
 بطل ترى الأبطال منه كالقطا
 في سرجه زحل وبهرام معاً
 بأساً يخلي الخيل حين يخوضها
 وذكاء فهم كلما استخبرته
 في كل كف منه خمس أصابع

ولادريس من قصيد فريد^١ : [٩٧ ب]

سرت في قميص الصبح^٢ وهو جسيد
 ولما استمد الأفق من نور وجهها
 بشمس يكاد الوهم يذمي أدبها
 فلو يتأتى وردّها أو مرادها
 وأين من المرتاد أعفر مقمر
 غزال كيناس بل غزالة كلة
 كأن جفوني فوق عيني من أجلها
 أوحشية الإعراض عنا وماها
 من الهيف تستجفي النسيم إذا جرى
 وتحمل الياقوت يرسو ثقله
 أيعطى مناه من ترائب الحصى
 من الصيد حرّان أطلت عويله
 فإن لم أرد ذلك اللمى العذب إنني

فأبليت قميص الليل وهو جديد
 تقاصر باع الليل وهو مديد
 لها الليل تاج والنجوم عقود
 تسلسل مورود وطاب مرود
 نفور كنوم العاشقين شرود
 تزين الحلى منها سواف غيد
 ثياب دوام تحتهن شهيد
 من الوحش إلا مقلتان وجيد
 عليل على أعطافها فتميد
 فيجفو على صدر زهاه نهود
 ويحرم مشغوف الفؤاد عميد
 وثرغك سلسال الرضاب برود
 على مهبج الأسد الوراد ورود

١ ورد منها في المسالك ١١ بيتاً ، وسقطت من ط د س هي وما بعدها حتى نهاية الترجمة .

٢ ب م : الليل ، والتصويب عن المسالك .

وان صَدَيْتْ شَوْقاً إِلَيْكَ جَوَانِحِي
فَحَسْبِي مِـنْ شَهْدِيَّتِهِ مَاءُ صَارِمٍ
إِذَا سُلَّ فِي الْمِهْجَاءِ وَهِيَ دُجْنَةٌ
وَكَأْسٍ كَرَقِرَاقِ السَّرَابِ كَأَنَّمَا
هِيَ الْعَيْنُ عَيْنُ الشَّمْسِ تَأْبَى عَنِ الْقَذَى
فَبْتُ نَدِيمًا لِابْنِ عَشِيرٍ وَأَرْبَعٍ
وَمَا أَصْفَرَتْ وَجْهَ الشَّمْسِ إِلَّا لِأَنَّهُ
أَيَادِيهِمْ فَوْقَ الْعَفَاةِ عَقُودُ
مَضُوءَا وَنَحُورِ النَّبْلِ مِنْ صَبْغِ طَعْنِهِمْ
بَسَاحَةِ فَاسٍ مِنْهُ مَطْرَدُ النَّدَى
ومنها :

بَحِثْ الْبَحَارُ الْخَضِرُ وَهِيَ كَنَائِبُ
خِيُولُ كَعْقَبَانِ الدُّجُونِ وَكَلْهَا
لَهَا مِنْ ذَوَابَاتِ الْحَسَانِ مَقْدَمٌ
تَجَرَّرَ عَنْ [] الْمَقَرِّ فَمَا تَنِي
حَبَابُ وَلَكِنْ لَيْسَ يَثْنِيهِ ذَائِدُ
فَتَى يَخْرُقُ الْأَغْيَالَ وَهِيَ أَسَنَّةُ
فَلَيْسَ لِمُخْتَالٍ لَدَيْهِ مُخِيلَةٌ
بَعِيدُ الْمَدَى مَاضٍ يَرِيكَ جَلَادَةٌ
يَحِيدُ عَنِ الْقَوْلِ الْكَرِيهَ سَمَاعُهُ
فَأَنْتِ إِذَا اشْتَدَّتْ يَدُ الْقَهْرِ لَيْسَ
وفي ابنه :

فَصَدَّ بِهِ مِنْ عَارِضِيكَ صَدُودُ
فَلَوْلُ ظَبَاهُ لِي بِذَلِكَ شُهُودُ
تَأَلَّقَ فِيهَا لِلصَّبَاحِ عُمُودُ
لَهَا رَعْدَةٌ عِنْدَ الْمَزَاجِ عَقُودُ
فَتَنْفِي الْقَذَى عَنْ نَفْسِهَا وَتَذُودُ
يُدِيرُ رَحِيقًا عَتَقَتَهُ ثُمُودُ
لَوْجَهُ الْأَمِيرِ الْأَرِيحِيِّ حَسُودُ
وَأَحْلَامُهُمْ فَوْقَ الْجَنَاحِ بَرُودُ
كَمَا أَشْرَبَتْ مَاءَ الْحَيَاةِ خَدُودُ
وَلَيْسَ بِنَاجٍ مِنْ يَدَيْهِ طَرِيدُ [٩٨ أ]

عَلَيْهَا السَّحَابُ الْحُمْرُ وَهِيَ بَنُودُ
لِكُلِّ صَيُودٍ فِي الْعَجَاجِ صَيُودُ
وَمِنْ لَبَدِ الْأُسْدِ الْوَرَادُ لَبُودُ
يَرُوقُكَ مِنْهَا قَائِدُ وَمَقُودُ
عَبَابُ وَلَكِنْ لَيْسَ مِنْهُ سَدُودُ
وَيَقْتَنِصُ الْأَبْطَالَ وَهِيَ أُسُودُ
وَلَيْسَ لِمُرِيدٍ عَلَيْهِ مُرُودُ
إِذَا لَمْ يَطُقْ حَرَّ الْجِلَادِ جَلِيدُ
وَلَيْسَ عَنِ الْقِرْنِ الْكَرِيهَ يَحِيدُ
وَأَنْتِ إِذَا لَانَ الْكَمَاءُ شَدِيدُ

إذا اعتدّ ذو مال به لزمانه فمالك كثر للعفا عتيد
 لعمرى لقد أنجبتك لك مشبها فدانك منه مُتلفٌ ومفيد
 ففُغرتُهُ تعدي سنالك على الدجى وراحته تُبدي الندى وتعيد
 قريبٌ تراه [منك] لا متباعدٌ وكم من قريبٍ منك وهو بعيد
 فنوه به حتى يساميك في العـلا فقد يتساوى والدٌ ووليـد

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي الأصبع ابن أرقم^١

أحدُ كتّاب الجزيرة المَهرة ، والنقدة الشّعرة ، ممن نهض في الصناعة
 بالباع الأسدّ ، وأخذ فيها بالساعِد الأشدّ ، وجدّ في معاناتها ، واقتصر على
 كسب آلائها ، وجَمَعَ أدواتها ، وارتاض في طرقها معيداً ومبدياً ، ورمى
 إلى أغراضها مصيباً ومخطئاً ، حتى تدرّج في مدارجها ، وخرج على جميع
 مناهجها ، واطلّع من ثناياها ، وأشرف على خباياها ، ، وجرت بينه وبين
 طائفة من أهل^٢ هذا الشأن ، في ذلك الزمان هنات ، في ما انتقدوا عليه
 من ألفاظ وكلمات ، وتقدير واستعارات بعيدة^٣ ، وكانت تلك الطائفة قد
 أسندت في ذلك إلى ابن سيده ، وقد أوردت من ذلك ما يليق بالديوان ،
 ويستوفي جملة الإحسان .

١ عبد العزيز بن محمد بن أرقم النيمري الوادياشي ، سكن المرية ، وأقام بدانية مدة عند اقبال
 الدولة علي بن مجاهد ثم صار الى المعتصم محمد بن صمادح ، وكان مز وجود رجاله وذهباء
 اصحابه ، وقد توجه عنه رسولا الى المعتمد بعد ٤٦٠ ، بصحبة ابي عبيد البكري والقاضي
 ابي بكر بن صاحب الاحباس ؛ وله « الانوار في ضروب الاشعار » ثم اختصره وسماه
 « الاحداق » ؛ توفي في امارة المعتمد بن عباد ، (انظر التكملة رقم : ١٧٣٥ ونفح الطيب
 ٣ : ٤٩٨ والقلائد : ٨) .

٢ د ط س : ارباب .

٣ د ط س : بديعة . ٤ د ط س : وينسقى في .

فصول من رسائله السلطانيات [٩٨ ب]

فصل له من رقعة عن عليّ بن مجاهد إلى المعز بن باديس صاحب إفريقية^١ :
أطال الله بقاءَ الملكِ الأجلِّ ناظِرِ عينِ الزمانِ ، وروحِ جسمِ الأمانِ ،
وحسامِ عاتقِ الإسلامِ ، وجليّ جيدِ الأنامِ^٢ ، ومهديّ طوالِ الآمالِ ،
ومأوى شاردِ الإنعامِ والإفضالِ^٣ ، مخلّدةً في الأنامِ دولتهِ ، مؤيَّدةً مع
الأيامِ مدتهِ .

أنا^٤ - أيدّه الله - أمتٌ إلى دولتهِ - خلّدها الله وأيدّها ، كما وطّدها
ومهدّها - بما أبأى به على الأقرانِ ، وأكافحُ كلَّ زمانٍ ، وأفاوحُ
كلَّ بستانٍ ، وأحرزُ كلَّ ميدانٍ ، [إلى] أن ارتقيت إلى سمائها ، وصعدت
في سوائها ، مستسهلاً وعزّ المرتقى ، لسهلِ الملتقى ، ومستعذباً مرّاً المجتلى ،
لحلّوِ المُجتنى ، فشافهتُ بدَرها ، وتبوّأتُ حِجْرَها ، وارتضعتُ دَرّها ،
على حين أجفانِ الفضلِ كليله ، وأقدامِ المجدِ معقولة ، وأيدي النصرِ مغلوله ،
وان قعدتُ عن مناسكِ فرضها ، فإني مُعيرُها ضميراً كما ابتلج^٥ النهار ،
وشكراً كما أريجِ النوار ، وهل أنا إلا أحدُ أبنائها ، وشُهبِ سمائها ، وشيعةِ
علائها ، وحماةِ أرجائها ، وان جدّمَ نأيَ الدارِ كفَّ الخيار ، ففي البعدِ

١ ورد بعض هذه الرسالة ص ٢٤٥ منسوبةً إلى أبي عامر التاكرني ، وذلك فيما يبدو وهم
من ابنِ بسام^٦ وقد وقع اختلاف في القراءة في الموضعين أشرت إلى بعضه ، وأبقيت
بعضاً منه كما هو .

٢ ط د س : الأيام .

٣ س : الافضال والإنعام .

٤ ط د س : إني .

٥ ب م : افتتح ؛ ط : ابتلج .

٦ ب م : نائي .

اعتذار ، وفي الجهد إعدار ، وان مع التجاور ليعم^١ العيان ، ومع التحاور ليطمئن^٢ البرهان ، ومع التزاور لترود^٣ الأحوال ، ومع التقارب ليقع الإخلال ، والقوى المخلوقات قريبة الانحلال ، سريعة الانفعال ، والنيرات على وفور ضيائها ، وظهور سناها وسنائها ، فيما لا يقابل كليلة^٥ ، وعندما لا يسامت^٦ علية ، وفيما لا ينال^٧ ظليلة .

وفي فصل منها : وقد علم مبتلي السرائر ، وحافظ البواطن والظواهر ، أنها بصيرتي التي أستشعر ، وسريرتي التي أضمر ، وحتيقتي التي أخفي وأظهر ، وشريعتي^٨ [التي] بها أسر وأجهر ، وأن مقالي كفيل فعالي في موالاة سيدنا — خلد الله ملكه — على طول المدى ، وشطّ المنتأى ، وبُعد المرمى ؛ ولما وقف الأمر على الحد الذي قدّمته ، والقصد الذي ذكرته ، والرسم الذي أثبتته ، لم أستبد^٩ من إعلامه واستثماره ، ولم أقعد عن استئذانه وإشعاره ، ولم أنفذ إلا بعد استخباره .

وفي فصل من أخرى : إذا كانت نعم الله عند الحضرة الإسلامية مُشْرِقة المطالع ، رحيبة الأرجاء والمراتع ، وكان أنصارها وعبيدها ،

١ وردت قبل : ليعلم ؛ ب م : ليعمر .

٢ ب م ط : ليطمس .

٣ س : لتروح .

٤ ط د : الانفلال .

٥ ب م ط د س : جليلة .

٦ ب م : تقابل ... تسامت ... تنال .

٧ مرت قبلا : « ضليلة » .

٨ ط د س : وشريعتي .

٩ ب م : استند .

وكتائبها المنصورة^١ ، وجنودها المرهوبة ، في اجتماع من كلمتهم على طاعتها ،
 واتفاق من أهوائهم في مناصحتها ، وتظافر من جميعهم على خدمتها ،
 فقد علت يد الإسلام ، واحتوى عزه أن يضام ، وجانبه أن يرام ،
 وشملت نعمها الأقطار ، وأمدت أقاصي [٩٩ أ] الديار ، وأبرت^٢
 على نأي^٣ المزار ، فهي جماع الدين ، وردء المؤمنين ، ومحفل المسلمين .
 وفي فصل منها : ومما وجب التعريف به ما عم أقطار ثغرنا ، وغشي
 مجامع أفقنا ، من تمالؤ النصارى^٤ وتضافرهم من كل أوب إلينا ، بجمع
 لا عهد بمثله ، ملأ الفضاء ، وطبق الأرجاء ، وشغلنا بالفتنة بيننا
 عن تخفيف وطأتهم ، وتضعيف سورتهم ، فطمسوا الآثار ، وجأسوا خلال
 الديار ، موفورين لا مانع منهم ، ولا دافع لهم إلا التفاتة الله تعالى لأهل
 دينه بأن أقل فائدتهم^٥ ، وخيب مرامهم ، وأطاش سهامهم ، والحمد
 لله على منحته ومحنته .

وله عنه من أخرى إلى مقاتل العامري : ولما اعترفت السعادة بارتباط
 ودك ، والاعتباط بوثيق عقدك ، رأيت أن أسلك بابي السيل المثلث ،
 والمنهج الأهدى ، ويعلم أي نظرت له بأحسن ما نظرت والد لولده ،
 وحبا به أحد لفظة كبده ، حتى يكون إن أدركتني قبلك وفاة ، وكانت
 له بعدي إناة ، قد ظفر بأمل ينعمه ، وأوى إلى جبل يعصمه ، أو تمدت
 لي معك حياة ، وتناولت لي ليالات ، لم يضره^٦ أن يعلق بيدين ،

١ ب م : نائي .

٢ ط د س : العدو .

٣ ط د س : أقل قائدهم ؛ ط وخ بهامش س : بل أقل .

٤ ط د س : يضره .

[ويعتمد على ركنين] ، وَيُسْنِدَ إلى أبوين ، فأنت الوالد وهو الولد ،
والساعد وهو اليد ، بل قد اتصل بك اتصال الحليب بالكبد ، وحلّ منك
محلّ البنان من الكفّ والعَضْد ، وَمَنْ حَلَّ في ذَرَاكَ ، ولاحَ في
يُمْنَاكَ ، فهو الشهابُ الثاقب ، والحسامُ القاضب ، كما أن مَنْ عُدَّ
في ذوبك ، واعتدَّ في بنيك ، فلن يُقَصِّرَ إن شاء الله عن معادلة الكهول
وإن صَغُرَتْ سِنُّهُ ، ولا يتأخَّرَ عن مقارعة النصول وإن لان غُصْنُهُ ^١ ،
فإنما يزاحمُ منك بَعُودُ ^٢ ، ويطاولُ بَطُودُ ، ويقاثلُ بجمع ، وينازلُ
بنبع ، ويقضي على الأيامِ بظهير ، ويصولُ على الدهرِ بأميرٍ كبير .

ولما أذمَّ اليك بهذه الحال ، ودبَّتْ به نشوةُ الإدلال ، تمنى أن تُوطِئَهُ ^٣
الريحَ جناحاً ، وتعيَرَهُ من البرقِ التياحاً ، وترفعَ له نحو السماءِ طِمَاحاً ،
بما يرجوه من حملك إياه على المهرِ المذهب ، والوردِ الأغرِّ المحبَّب ^٤ ،
الذي استعيرت سرعته من إسراعك إلى المكارم ، وأخذَ سَبَقَهُ من
سَبَقِكَ إلى ندى ^٥ حاتم ، وعلمَ لِنَ قِيادك للمصاحب ^٦ ، واسترقتْ جودته ^٧
من سماعِ جودك على الطالب ، وإن يكن لا تؤثر به غير جنابك ، ولا
تختارُهُ إلا لركابك ، فمن لم يُوقَ شَحَّ نفسه [فيه معذور] ، ومن ارتبطه
بالضمانة ^٨ به جدير .

١ ب م : عضبه .

٢ من المثل : « زاحم بعود او دع » (الميداني ١ : ٢١٦) أي لا تستعن إلا بأهل السن والتجربة .

٣ ط د س : ولما زغب أن توطئه ... الخ ؛ وفي ب م : تطويه .

٤ ط د س : التياحا . ه ط د س : المجنب .

٥ ب م : الندى .

٦ س : للمصاحب . ٨ ب م : جوده .

٩ ط : فالضياع ؛ س : فالضمانة .

وقاد المهر المستهدى لولده^١ ، فأجابه بوصوله برقعة يقول في فصل منها^٢ : وصل - أيديك الله - البير المولي على الأرب ، وأتى الورد المحلى [٩٩ ب] بالذهب ، يسبح في حلييه ، ويمرح في محاسن زيه^٣ ، فقامت أمسح بردائي على وجهه وأطرافه ، وأخذ ناظراً في نعوته وأوصافه ، فإذا بالقمر قد أعطاه غرته^٤ ، والصبح قد حباه بلجته^٥ ، والغلس قد كساه دلجته^٥ ، فجمع بين دهممة الليل وشقرة الشفق ، ووضع فلقة القمر على صهوة الغسق ، ومد جلال الزلفة إلى حجلة^٦ الفلق ، وأردت إنعاله فإذا^٧ الرياح قد أنعلته^٨ أجنحة^٨ ، وتفقدت جلاله فإذا الفراشة قد ألحفته^٨ أوشحة^٨ ، فلو عزى إلى الأعوج لأنيف^٨ ، أو نمي إلى العصا لوجف^٨ ، ولو كان من خيل سليمان لما عدل بالصفاف العتاق ، ولا طفق لها مسحاً بالسوق والأعناق ؛ ولما راق منظره ، وفاق مخبره^٨ ، جعلت ودي معرضه ، ونفسي مربوطه ، وخاطري مرتعه^٨ ، وناظري مشرعه ، وقلت : لله دره^٨ ، فما أحكم الصنعة فيه ، وما أصح جود مهنديه !!

وله عنه [من أخرى] إلى ابن رزين : قد يكون - أعزك الله - الأجل

١ د ط س : لابنه .

٢ ط د س : برقعة قال فيها .

٣ ب م : ويسبح في محاسن ربه .

٤ ب م : وأخذ ناظري .

٥ ب م : حكاة .

٦ ط د س : وسدد .

٧ س : خلال ؛ ط د : خجلة .

٨ ب م : فكان .

في الأمل ، وربما صَحَّتِ الأجسامُ بالعلل^١ ، فكَم من امرئٍ نُشِرَ من كفه . وآخر أوتِيَ من مَأْمَنِهِ ، وَمِنَ نعمِ الله على العبد أن يقاتِلَ عنه من ناواه بحسامه ، ويناضِلَ دونه مَنْ عاداه بسهامه ، [حتى يكونَ قَتِيلَ سَهْمٍ رماه بيده ، ومصَابَ أمرٍ أجراه على مُعْتَقَدِهِ] ، والسعيدُ مَنْ نامَ والأقدارُ تحرسه ، وأقامَ والأَيامُ تُخدمه ، واتكلَ والله يكفله ، فحقَّ له ألا يجزع إذا دهى خطبٌ ، فإن الفرجَ معه ، وإلاَّ يهلك إن عدا كربٌ ، فإن الله قد رآه وسمعَه ، ولا سيَّما إن قُصِدَ بظلمٍ واعْتُمِدَ ببغي ، ففي التنزيل : ﴿ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْتَهُ اللَّهُ ﴾ (الحج : ٦٠) .

[وفي فصل منها] : ولما دعاه إلى السَّلم ، وناداه باسمِ الصُّلحِ الاثْمِ ، غرَّه بأيمانه ، واستدناه من مكانه ، فقبضَ عليه ، وخاسَ بما ألقاهُ من العهدِ إليه ، ثم أراد أن يُتَّبِعَ الإساءةَ ضعفاً ، والإبالةَ ضِعْفاً ، باعتزاه الغدرَ بأخيه الأقرب ، ومحلَّ أبيه الحَدَبِ ، فصَرَفَ اللهُ كَيْدَهُ في تَحْرِهِ ، وأذاقه وبالَ أمره ، ووضَحَ ما كان من سِرِّهِ وضوحَ النهار ، وتطلعتْ بناتُ صَدْرِهِ تَعْلُوْنَ على الأستار ، وهو لا يشعرُ أنه شُعِرَ به ، ولا بأنَّه قد أُبِيَ له^٣ ، بل خال عَمَائَتَهُ نهارَ الأديب فانكشف سرُّه ، وظن غباوته غفلةً^٤ الرقيب فانتهك سِتْرَهُ ، وكان قد فكَّرَ وقَدَّرَ ، ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ (المدثر : ١٩ - ٢٠) وليته قَبْلَ تدبيره لو نَقَّحَ ما دَبَّرَ ، وحين حَفَرِهِ^٥ لو وسَّعَ إذ حفر ، وسمعَ قولَ القائل :

١ عجز بيت للمتنبي ، وصدره : لعل عتبك محمود عواقبه . ٢ ط : تعلق .

٣ ط د س : ولا بأنَّه قد ولج له ؛ ب م : ولا بأنَّه أبه قد وبه له .

٤ ط د س : وطار غباوة غفلته .

٥ د ط ن : حفيره .

يا حافرَ الحفرةِ وَسَعَ فقد يَسْقُطُ في الحفرةِ حَقَّارُهَا
وقول الآخر :

مَنْ يَرَّ يَوْمًا يَرَّ بِهِ وَالدَّهْرُ لَا يُغْتَرُّ بِهِ

وما كان إلا أن قبض الله ظِلَّهُ ، وفضح غِلَّهُ ، وفاز بحطّ الحرمان ، وحلّلي
بطائلِ الحسران^١ ، وفزعَ فزعَ اللَهْفانِ ، لا يجدُ أمّا ، وَخَبَطَ خَبَطَ الحيرانِ ،
لا يهتدي أمّا ، على [حين] ما كان مستحكما الأملِ ، ذاتي الرجاء ، متمكن
الطمع [١٠٠ أ] في خسر أخيه والأخذ بكظمه ، والاعتدار على ظلمه ،
فإذا به قد نُشِرَ من قبره ، وشقي بضرة ، حين راماه^٢ بسَهْمه ، وأخذَه
بحكمه ، وأتاه بعلمه ، ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ
ظَالِمَةٌ ﴾ (هود : ١٠٢) وجزاؤه إذا جازى القلوب وهي آثمة ﴿ وَلَا
يُظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف : ٤٩) ﴿ فَإِنَّ يَسْلُوكُ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ (الجن : ٢٧) .

فالحمد لله الذي صيّرَه نهباً ، وكفّاه منه حرباً^٣ ، فقد كان فيما
بلغ ناهداً إليك ، وعلى ما اتصل وافداً عليك ، ولعلّ الصنع له كان من
حيث لم يعلم ، والعناية خُصّت به من أين لم يفهم ، فربما كانت وفادته
برُجْمية السائر^٤ ، وسعايته مشتمية الطائر ، وبدايته مندمية الآخر^٥ .

وله فصول من رقعة طويلة خاطب بها الفقيه أبا بكر بن صاحب الأحياس ،

١ د ط س : وحل بطائر ؛ ب م : الاحسان .

٢ د ط س : وسما بصره حتى راماه .

٣ د ط س : كربا .

٤ إشارة الى المثل : « أن الشقي وافد الإبراجم » (فصل المقال : ٤٥٤) .

٥ ب م : وندايته ؛ ط د س : وتدانيه منه الآخر .

وشرح فيها الكلمات التي انتقد عليه ابنُ سيدةَ في رسالته [إلى مصر] ، واحتجَّ فيها لنفسه ، قال في صدرها : لما كنتَ - أعزَّكَ الله - في أكفَّ الآدابِ علماً ، وعلى لسانِ العربِ وغيره حفيظاً وقيماً ، لاقتباسك العلمَ مِن كتب ، ووراثتكَ إيتاه عن كلاله أب ، ولم تزلْ تلتقاهُ كابرأ عن كابر ، وتترقاهُ^١ باهرأ عن باهر ، لستَ ابنَ سَمْعِكَ ، ولا عبْدَ طبعك ، تقلدُ كاتباً ساذجاً ، وتعتقدُ قارئاً هازجاً ، وتقبلُ البصرَ بلا بصيرة ، وتقفو الأثرَ على غيرِ وتيرة ، تراعي الحروف ، ولا تبالي عن التحريف ، وتتلو الصحف ، ولا عليك من التصحيف ، ولم تقتصرْ على حفظِ سطورٍ من كتابِ سيمويه ، و« شرح الفصيح » لابنِ درستويه ، واستظهارِ أوراقٍ من الغريب ، والتحفظَ مع الشروق ما تنساه مع الغروب ، ولم تشدْ إلى المخرقه بفرفوربوس ، ولا الغطرسه بأرسطاطاليس^٢ ، والفرقة^٣ بقافاتِ أرثماطيقا وأنولوطيقا ، والصفير^٤ بسيناتِ قاطاغورياس^٥ وباري أرمينياس^٦ ، وضيعتَ علومَ القرآنِ والتفننَ في حديثه عليه السلام وصحابته ، وتفهمَ أغرضه ولغاته ، واجتناءَ زهره وثمراته^٧ ، وأغفلتَ « الكامل » و « البيان » ، وتواريخَ الأزمان ، ونوادرَ البلغاءِ أهلِ اللسنِ والبيان ، وأهملتَ أشعارَ العربِ والمحدثين ، إلّا طلبك أثراً بعد عين ، وقد أربيت^٨ على الستين ، ولم تتمعددْ

١ ط د : وتنقله .

٢ ب م : بارسطاليس .

٣ ط د س : والقعقة .

٤ ب م : والسعر .

٥ ب م : قاطو اغورياس .

٦ ط س : وبار أرمينياس .

٧ د ط : ثمره وزهراته .

٨ ط د : أرميت .

أعجبياً ، ولم تبغددُ بدوياً ، ولم تكن مرة شيبياً ، ومرة قطرياً ، وتارة طبيعياً ، وتارة فلكياً ، ولم تتربّب حِصْرياً ، ولم تشحمَ ورماً ، ولم تُدَعِدْ في الأمن ، ولم تُجَعِّجْ بلا طِحن ، ولم تُقَعِّقْ بلُجْمنك ، ولم تُجَلِّبْ بخيلك ، ولم تحمل بأستك ، ولم تُرْهِبْ بصوارمك ، ولم تَكْرَ بِجِيادك ، ولم تَسْتَظْهَرْ بأجنادك ، ولم تحاربْ جالساً ، ولم تقاتلْ ناعساً ، ولم تُجَرِّ بالخلاء ، ولم تشجعْ على الأولياء ، وأنت الذي أدرّ لي غمائمَ الأدب ، وأطلع لي من كئامه كلَّ معجب ، وما كاد الشبابُ يحلُّ تماثمي ، ولا الزمانُ يُطلعي من كئامي .

وفي فصل منها : فاندب العلمَ وأهليه ، وارثه^١ وحامليه ، وابك رسومَه^٢ ، وحيّ طولَه^٣ ، [١٠٠ ب] وسلّم عليه تسليمَ وداع ، واشفقْ لعلّهِ المضاع ، واعلم أن صدّعه^٤ كصدع الزجاجة أعيّا الصنّاع ، فيا له مغنماً^٥ هُجِرَ على برد موقعه ، ونفلاً^٦ زُهِدَ فيه على شرف موضعه ، ومورداً تُركَ على دُرُورِ أخلافه ، ووطأة أكتافِهِ ، وقد تولّى الفهماء^٧ ولم يبق إلّا مَنْ قَدَمَتْ نُعُوتُهُ وَحَلَاةُ^٨ ، ووصفتُ حَدَوَهَ^٩ وَحَذَيَاهُ^{١٠} ، وأغنائي ما صدّرتُ به عن إعادةِ ذكراه ، ﴿واقترَبَ الوعدُ الحقُّ﴾ ، (الأنبياء : ٩٧) وبرّ الله تعالى وصدق في قوله : ﴿أولم يروا أننا نأتي الأرضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ (الرعد : ٤١) وقال عليه السلام :

١ ب م : ووارثه .

٢ ب م : برسومه .

٣ ط د : مغنى ؛ س : مغنا .

٤ د : وبقلا ؛ س : وشلان .

٥ ب م : موضع شرفه .

٦ د ط : الفقهاء .

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً » ... الحديث ^١ ، فَأَفْتَتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا ؛ وَمَنِ الْأَمْرُ الْمَعْجَبُ ، وَالْخَطْبُ الْمُغْرِبُ أَتَاهُمْ يَدْعُونَ — عَلَى جَهْلِهِمْ ، وَمَا يَبْتِنُّ مِنْ وَصْفِهِمْ — التَّرُّوسُ ^٢ فِي الْأَدَبِ مِنْ غَيْرِ رِيَاةٍ ، وَالْمُنَافَسَةُ لِأَهْلِيهِ مِنْ غَيْرِ نَفَاسَةٍ ، وَمُنَاهِضَةُ ذَوِي الْعِلْمِ بِاللِّسَانِ بِالْهَذْيَانِ ، حِينَ آتَسُوا عَدَمَ الْمُنْتَقَدِ ، وَفَقَدَانِ الْمُنْتَقَدِ :

وإِنِّي وَإِيَّاهُمْ كَمَنْ نَبَهَ الْقَطَا وَلَوْ لَمْ يُنَبِّهْ بَاتَتْ الطَّيْرُ لَا تَسْرِي
وليس كل سوادٍ ^٣ أسودَ البصرِ ، وما كلُّ فائحٍ ريحانٍ ، ولا كلُّ ملتوٍ خيزرانٍ ، ولو عَقَلُوا لاعتَقَلُوا ، ولو تبَصَّرُوا لآبَصَّرُوا .
وفي فصل منها : وتفسيرُ ما أَجْمَلْتُهُ ، وتفصيلُ ما أَهْمْتُهُ ، أُورِدُهُ عَلَيْكَ محلولَ العقدةِ ، مَنْضُوءُ البردةِ ، وذلك أَنَّ إقبالَ الدولةِ — أَيَّدَهُ اللَّهُ — أَمَرَنِي بِإِنْشَاءِ رِسَالَتَيْنِ إِلَى مِصْرَ ، فَلَمَّا عُلَّتْ شَرَفَاتُهُمَا ، وَرَوَّضَتْ عَرَصَاتُهُمَا ، وَرَدَّ عَلَيْهِمَا مِنْهُمَا ^٤ الْمَقِيمُ الْمُقْعَدُ ، وَكَادَ يُهْلِكُهُمَا الْحَسَدُ ، وَبُهِتَ الْعَدُوُّ وَكُمِدَ ، وَقَالَ الْوَلِيُّ : لَا قَبْلَ لِأَحَدٍ بِمِثْلِهَا وَلَا يَدَ ، فَطُؤِلَ مَا حَضَرْتُ أَنْطَلَقَ لِسَانُ ^٥ الْمَوَالِي ، وَخَفِقَ جَنَانُ الْمُنَاوِي ؛ وَعَرَضَتْ ^٦

١ نص الحديث (البخاري ، باب العلم : ٣٤) ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رهوساً جهالاً فسلوا فأفتوا بغير علم فضلوا واضلوا ؛ وانظر ايضاً صحيح البخاري ، باب الاعتصام : ٧ .

٢ ط د س : تبيينت ... المراس .

٣ ط د س : اسود .

٤ ط د س : منضود .

٥ ب م : شرفاتها ... عرصاتهما ... منها ؛ ط د س : علي منهم .

٦ ب م : يد لسان .

٧ ط س د : حتى عرضت .

وجهتي إلى المعتصم [بالله] فأنشد منشدهم^١ :

يا لك من قبرةٍ بمعنسرٍ خلا لك الجوفُ فيضي واصفري
ونقري ما شيت أن تنقـسـري^١

وقالوا : هذا حين يرى الرئيس ، أن هذا العلق الذي نفس به ليس بنفيس^٢ ،
وطاروا طيران الفراش حول النار ، وجالوا جولان الذباب بين الأزهار ،
مرة يستفتون الفقهاء^٣ ، ومرة يستشهدون السفهاء ، ومرة يقولون :
هذا يُسألُ عنه إن كان يقال ، وربما كان له^٤ في مضمار اللغة مجال ،
ويتسورون ويتشورون ، حديث النساء بعد البعول ، وهريف الإماء
دون الكفيل :

وقلت لها عيـثي جـعـارٍ وجـرـري بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره^٥
فاتفق رأيهم^٦ ، واستمر هديهم^٦ ، إلى سؤال أبي الحسن بن سيده ،
 فلم يفكر أبو الحسن في العواقب^٥ ، ولم ينظرَ نظراً أهل التجارب ، فسلمَ
لهم واغترَّ بمثل وشي الحيات ، وانقاد في زمام الزخارف والترهات :
وكان بما يأتي به ويجيـزُه مجربٌ سوءٍ يشربُ السمَّ للخبرِ
والأدب ينشدهم :

تنقُ بلا شيءٍ شيوخُ محاربٍ وما خلقتها كانت تريشُ ولا تـبري^٦

١ لطرفة بن العبد (أو كليب) ؛ انظر فصل المقال : ٣٦٤ - ٣٦٥ .

٢ ط د س : غير نفيس . ٣ س : لنا

٤ انظر اللسان (جعر) ؛ وجعار : الضيع ، وفي رواية البيت : لم يشهد القوم ، وانظر الميداني

١ : ٣١٠ تحت المثل « عيـثي جعار » ؛ ط د وخ في هامش س : حاضره .

٥ ط د س : سؤال ابن سيده أبي الحسن فلم يفكر في العواقب .

٦ البيتان للأخطل التغلبي ، ديوانه : ١٣٢ .

ضفادعُ في ظلماءٍ ليلٍ تجاوبت فدلَّ عليها صوتُها حيَّةَ البحر
فردَّ مواضع أنا واصفها وجوابها على سرد ، وذاكرها وما يجلو ارتيابها
على حرد .

قال ابن بسام : وطول أبو الأصبع في جوابه المفسر ، وسماه بـ «عقاب
المتسور»^١ ، ولم يمكن إثبات الجميع في هذا المجموع ، فالطول مملول ،
وجثت منه بفصولٍ ، تخفيفاً للتثقيل ، وهرباً من التطويل .

قال أبو الأصبع : كان أول التحميد : « الحمد لله تيمناً بحمده ،
وتحدياً لحده ، الهادي من ارتضاه سُبُل^٢ رضاه ، الحادي من انتقاه ،
إلى علم تقاه » ، فأنكر « تحدياً » ووضع مكانه « تصدياً » ، ويكفي في
هذا [قول] بشار في سيبويه^٣ :

أَسْبِؤِيهِ^٤ يا ابن الفارسية ما الذي تحديت من شتمي وما كنت تنبذ
أطلت تغني سادراً بمساءتي وأملك بالمصرين تعطي وتأخذ

وقال صاحب « العين » : حدا بمعنى تبع ، فإذا بنيت منه تفعلت قلت :
تَتَبَّعْتَ . وذكر أبو علي الفسوي في كتاب « الحجة » أن الفعل تَحَمَّلُ
أمثلته على أمثلة نظيره وما كان في معناه ، وباب التفعّل سائغ شائع ، لم يمنعهُ
مانع ، ولا قَطَعَ به قاطع ، إما أن يأتي مركباً على ثلاثي ماضٍ ، وإما أن

١ ب م : العقاب المنشور ؛ وفي التكملة : عتاب المتسور .

٢ د ط س : سبيل .

٣ ديوان بشار (جمع العلوي) : ٩٨ ، وورد البيتان في الموشح : ٣٨٥ والأغاني ٣ : ٢٠٤
وفي كليهما « تحدثت عن » مع أن موضع الشاهد في ما يورده أبو الأصبع .

٤ ط د و خ بهامش س : سألتك .

يأتي بذاته ليكونَ في معنى الثلاثي البسيط ، أو يكونَ للخروج من أمرٍ إلى غيره ، فالمركبُ مثل : تَقْفِيَتُهُ وتَأْبِيَتُهُ ، ومن السالم تَتَبَّعَتُهُ ؛ والذي يأتي بذاته غير مركب مثل تَحْفِيَتُهُ^١ وتَوْفِيَتُهُ ، وما يراد به الخروج من أمرٍ إلى غيره فمباحٌ غير محظور ، ومستباحٌ غير محجور مثل : تَكْوَفٌ وتَمَصَّرٌ ؛ وقال أبو تمام^٢ :

نَيْطَتْ قَلَائِدُ عَزَمِهِ بِمَقِيدِ^٣ مَتَكْوَفٍ مُتَدَمَشِقٍ مُتَبَغْدٍ

على أنه لم يسمع : تدمشق ، ولكنه مقول ؛ وقال عمر رضي الله عنه : تَمَعَّدُوا وَاخْشَوْشُوا .

وقال : « الحادي ليس من صفاتِ الله ، ولا يجوزُ أن يوصفَ إلا بما وَصَفَ به نفسه تعالى ، أو بما وصفه رسوله »^٤ وبديل « الحادي » بـ « المرشد » .

الجواب : انظر ما أعظمَ هذا السهو ، وما أضيقَ هذا الشأو ، وما أقبحَ هذا البهتَ ، وما أخشنَ هذا النحت ، وماذا على من قال : الحمدُ لله منقذنا من الغمّراتِ ، ومبّرئنا من العِلَلِ الفادحاتِ ، ومرشدنا إلى سُبُلِ الهدى ، وسائقنا لما يحبُّ ويرضى ، والله مُسَدِّدُنَا وعصمتنا

١ ب م س : تحيفته .

٢ ديوانه ٢ : ٥٥ .

٣ الديوان : بمحبر .

٤ يبدو ان في هذا الرأي بعض استناد الى رأي ابن حزم الظاهري حيث يقول : ومما أحدثه اهل الإسلام في اسماء الله عز وجل « القديم » وهذا لا يجوز البتة ، لانه لم يصح به نص البتة ، ولا يجوز ان يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه (الفصل ٢ : ١٥١ - ١٥٢) وابن حزم يرى ان اسماء الله مثل تقدير وسميع وبصير ، غير مشتقة ، ولكنه لم يقل شيئاً من هذا في الصفات على وزن فاعل كما قال ابن سيده .

وملاذُنّا وملجأنا [وشبهه] ، وليس شيء من هذا في القرآن ، ولا في حديثه عليه السلام ؛ واسم الفاعل العامل في ما بعده كالفعل يجري مجراه ، وينحو منحاه ، وأفعالنا كلّها لله تعالى ، هو الفاعل ، هذا مذهب [أهل] السنة وغيره مذهب البدع والمعتزلة. قال أبو بكر الباقلاني : يُوصَفُ الله تعالى بما لا يقع إجماع المسلمين على منعه ؛ وخطب عبد الله بن الزبير فقال : الحمد لله [١٠١ ب] الهادي الفاتن ؛ ولو شهد أبو الحسن الجمعة لسمع على المنبر من صفات الله تعالى ما ليس في القرآن وفي حديثه عليه السلام ، وقد أجازوا « السيد » من أسمائه [تعالى] وليس في القرآن ولا في الحديث ، واختلف فيه عن مالك ، وقال أبو عبد الله محمد بن عمر المرزبان أوّل كتابه في « الرياض » : الحمد لله الهادي إلى حمده برحمته ، والموجب من برّه برأفته ؛ و « الموجب » ليس من صفات الله في القرآن ، ولكنه أجراه مجرى الفعل كما فعلنا نحن . وللباقلاني وابن فورك من الاستفتاحات بمثلها ما لا يحاطُ بكنهه ، ويطول الكتاب بجمعه ، وأين هذا من قول الراجز المرويّ المستشهد به :

لا هُمَّ لا أدري وأنت الداري

وقول العجاج^١ :

فارتاحَ ربّي وأرادَ رحمسي

نعم ، وأسماءُ الله تعالى يشركه فيها المخلوقون إلّا الله والرحمن ؛ قال أصحاب أهل اللغة : الحادي بمعنى السائق ، وحدا بمعنى ساق ، قال القطامي^٢ :

وإذا يَرِيبُكَ والحوادثُ جَمّةٌ حَدَثٌ حَدَاكَ إلى أخيك الأوثقِ

١ ديوان العجاج ١ : ٤٢١ ، قال الشارح : ولا يقال : الله ارتاح ، ولكنه اعرابي مجنون جلف جاف .

٢ ديوان القطامي : ١١١ .

وقال الآخر^١ :

إنَّ لها لسائفاً خَدَّتْجَساً^٢ لا يدلجُ الليلةَ في مَنْ أدلجا

ويروى : لحادياً خدلجاً ؛ وحدا بمعنى ساق أغزر من النمل ، واكثر من الرمل ؛ فأما إبداله إياه بالمرشد أو الداعي فلهو المقيم وهو المدلج الساري ، وهم يتسببون إلى إنكار « الحادي » لأنه ليس من كتاب الله ويهدون بذلك ، والمرشد والداعي ليس في القرآن ، فأتوا بما أنكروه ، وأثبتوا ما ردّوه ، ولو اقتصرْتُ على بدّلهم لكانت فيه فضيحتهم وخزيُّهم ، وبدايةُ وهنهم ووهيهم ، وأين هذا الذي معناه في القرآن وفحواه ، وفي حديث الرسول عليه السلام وما يعضده البرهان ، وأجمع على قبوله الثقلان ، من قول أبي الحسن في خطبته التي توصّلَ بها إلى شرح صدر من كتاب سيبويه ، وهو يصف الله تعالى : « مُزْمِعٌ إحداثاً ، لانبعاثنا^٣ من أجداثنا ، يوم لا حكومةَ إلّا بيد الصفّاح العليم » والإزماع : العزمُ بعد التدبّر ، والاجماعُ بعد التفكير ، والنشاطُ بعد الكسل ، هذه صفةٌ بعيدة من القديم سبحانه ، والصفّاحُ أيضاً ليس في كتاب الله ولا في حديثِ رسوله . وأبو الحسن تخيّلَ القذاةَ في عين أخيه ولم يرَ الجذعَ في عينه ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ الآية (الأنعام : ١٢٥) .

وردَّ قولنا « فألفَت عقيلةُ نفسه في ذُرَى الحضرةِ كفتاً من الرضى كفيلاً ، وظللاً من [١٠٢ أ] المنى ظليلاً » فأنكر « عقيلة نَفْسِهِ » وبدّلَه

١ اللسان والتاج (خدلج) وديوان المعاني ١ : ٢٢٥ .

٢ الخدلج : العظيم الساقين .

٣ ط د س : لانبعاثنا .

« فألقى وارداً نفسه » ولم يدر ما قدمت ، ولا على ما أعدت ، ورأى من علمه بالبلاغة وتحققه بالفصاحة أن « كفتاً » و « كفيلاً » بيّارِدِ نفسه أليقُ منه بعقيلة نفسه ، وأنكر استعارة « العقيلة » للنفس ، ولا شك أنه ينفي المجاز ، وينكر ما فيه من الابداع والاعجاز ، قال عمار بن عقيل^١ :

[تَبَحُّثُكُمْ سُخْطِي]^٢ فغَيَّرَ بِحُكْمِ نَخِيلَةِ نَفْسٍ كَانَ نُصْحاً ضَمِيرُهَا
وَلَنْ يُلَبِّثَ التَّخَشُّنُ نَفْساً كَرِيمَةً عَرِيكُتُهَا أَنْ يَسْتَمِرَّ مَرِيرُهَا
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا نَظْفَةٌ فِي قَرَارَةٍ إِذَا لَمْ تَكْدَرْ كَانَ صَفْوَ غَدِيرِهَا

فاستعار للنفس : النخيلة والعريكة والغدير والنظفة ، وبدعُ كلام العرب الاستعارة حتى خَرَقَ بهم فيها الاتساع ، إلى غير ما شهَرَ وذاع ، وسوى ما غلب وشاع ؛ قال الراجز^٣ :

ولم تدقْ من البقولِ الفستقا

وقال الآخر^٤ :

إلى مَلِكٍ أَظْلَافُهُ لَمْ تَشَقَّ سَقِي

ولولا الإطالةُ لجلبنا على ذلك دواوينَ ، واستظهرنا بعددِ الحصى براهينَ .

وردّ قولنا : « فأنّ مَوَلَى الحُضرةِ اعتمدَ قضاءَ حقّها ، وإتيانَ

١ انظر معجم المرزباني : ٧٨ .

٢ سقط من ب م وزدناه من معجم المرزباني ، والأبيات لم ترد في د ط س .

٣ هو أبو نخيلة السعدي وقبله : دستية لم تأكل المرققا (انظر اللسان والتاج مادة « فستق ») .

٤ د ط س : آخر ؛ والشاعر هو عصفان بن قيس بن عاصم اليربوعي ، شاعر جاهلي ، وصدر

البيت : سأمنها أو سوف أجعل امرها ؛ انظر السمط : ٧٤٦ والجمهرة ٣ : ٤٩٠ وأما

القالبي ٢ : ١٢١ والصناعتين : ٣٠١ وأسرار البلاغة : ٣٧ واستوفى هنالك تخريجه فراجع .

وَفَقِيهَا ، وَأَدَاءَ فَرَضِهَا « فَأُنْكَرَ » أَدَاءَ فَرَضِهَا « وَبَدَّلَهُ « تَأْدِيَةً »
 الجواب : عُدْرُهُ فِي ذَلِكَ لَائِح ، وَأَمْرُهُ وَاضِح ، لِأَنَّهُ لَمْ يَقْرَأْ قَوْلَهُ
 تَعَالَى ﴿ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ (البقرة : ١٧٨) وَلَا قَرَأَ شِعْرَ زَهِير^١ :
 بِأَيِّ الْجِيرَتَيْنِ أَجْرْتُمُوهُ فَلَمْ يَنْجِيكُمْ^٢ إِلَّا الْأَدَاءُ

وَلَا قَرَأَ فِي كُلِّ كِتَابٍ « وَأَدَاءَ الْخَرَجِ » مَهْمُوزٌ ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِنْ كَانَ أَرَادَ
 وَزْنَ الْكَلَامِ ، وَتَعْدِيلَ الْأَقْسَامِ ، فَوَازَنَ « قَضَاءُ » الَّذِي هُوَ أَوَّلُ الْفَقْرَتَيْنِ
 بِ « تَأْدِيَةٍ » الَّتِي جَعَلَهَا أَوَّلَ الْفَقْرَتَيْنِ الْآخَرَتَيْنِ وَلَمْ يَرِ مَوَازِنَةً « قَضَاءُ »
 بِ « أَدَاءٍ » ، فَلَهُ عُدْرٌ يَلِيْقُ بِهِ ، وَوَجْهُهُ هُوَ خَلِيقٌ لَهُ ؛ وَقَدْ قَالَ هُوَ فِي
 خُطْبَتِهِ الْمَذْكُورَةِ « وَإِذْ لَا أَسْتَطِيعُ قَضَاءَ حَقِّهِ وَأَدَاءَهُ ، فَأُخَذَنِي اللَّهُ مِنْ كُلِّ
 مَكْرُوهِ بِدَلَّةٍ وَفِدَاءَةٍ » ، وَأَنَا أَقُولُ : « قَبْلَ اللَّهِ دَعَاءُهُ ، وَأُجَابَ نِدَاءُهُ » .
 وَرَدَّ قَوْلُنَا : « فَتَنَسَّمَ مَوْلَى الْخَضِرَةِ رِيَّاهَا عَطِيراً » وَأُنْكَرَ الْجَوَازَ فِي
 تَذْكِيرِ « رِيَّاهَا » وَبَدَّلَهُ « أَرْجَاهَا » .

الجواب : لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الرِّيَّاءَ يُذَكَّرُ إِذَا أُرِيدَ بِهِ النَّسِيمُ وَمِثْلُهُ ، وَإِنَّهُ
 تَأْنِيثٌ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ ، وَأَنِّي عَدَلْتُ إِلَيْهَا لِعَذُوبَتِهَا وَلِدَوْنَتِهَا ، وَهَمَّ قَدَمُ قَالُوا
 [١٠٢ ب] فِي التَّأْنِيثِ الْحَقِيقِيِّ : « حَضَرَ الْقَاضِي الْيَوْمَ امْرَأَةٌ » ، وَامْرَأَةٌ
 الْيَوْمَ ، وَالْحَمْلُ عَلَى الْمَعْنَى فَصَاحَةٌ ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافِرٍ مِنْ
 رَبِّكُمْ ﴾ (الأنعام : ١٠٤) ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ (آل عمران :
 ١٠٥) وَكَثِيرٌ مِنْ هَذَا ، قَالَ الشَّاعِرُ :

١ شرح ديوان زهير : ٧٦ .

٢ الديوان : فلم يصلح لكم .

٣ فِي ب م ط د س : قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ . وَقَدْ جَاءَكُمْ الْبَيِّنَاتُ ، وَابْتَدَأَتْ الْآيَاتُ كَذَلِكَ
 فَالْأَوَّلَى قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ ، وَابْتَدَأَتْ فِيهَا الشَّاهِدُ الْمُرَادُ ؛ وَالثَّانِيَةُ لَيْسَتْ آيَةً ، وَلِذَلِكَ ابْتَدَأَتْ
 لِنَفْسِي تَغْيِيرَ هَذَا كَلَمَةٍ ، فَاِبْقَاءَ ذَلِكَ فِي الْمَتْنِ لَا يَجُوزُ ، وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الْخَطَأِ غَرِيبٌ .

وإن كليباً هذه عشرُ أبطنُ وأنت بريٌّ من قبائليها العشرُ
وقال عمر بن أبي ربيعة^٢ :

فكان مِجَنِّي دون من كنتُ أتقي ثلاثُ شخوصٍ كاعبانٍ ومُعْصِرُ
والعالمُ بالصناعة لا يظاهرُ بما ظاهرُ به أبو الحسن ، ولا يجاهرُ بما جاهرُ ؛
ومن مضحكاته وضعه « أرجها » مكان « رِيّاها » والأرجُ طيبُ الرائحة
وعطرها ، قال كثيرٌ^٣ :

تأرَّجَ الحيُّ إذ مرَّت بِظَعْنِهِمْ ليلي ونمَّ عليه العنبرُ العَبِيقُ
[وما أنت بهادي العُمِّي عن ضلالتهم] .

وردّ قولنا : « وقضى حقَّ ما أولاه ، وتوشَّح به [وارتداه] » وقال :
التوشَّحُ حلية النساء^٤ ، وبدله بـ « تأزَّرَ »

الجواب : يال هذه المنازع الطريفة والمقاطع الفظيعة^٥ ، لو تركناه بغره ، وطويناه
على عرّهِ ، لكفانا البيان عنه والفضيحة له ، فجمع ضروباً من الجهل
باللفظ والمعنى ، وصنوفاً من العثار في سهل [ذلك] المدى ؛ [عنده] أن
الإزار ليس من لبس النساء ، والازارُ لهنّ أخلق ، وبهنّ أليق ، قال
عليه السلام لعائشة [رضي الله عنها] : « أشددي عليك إزارك »^٦ ، وقال

١ ورد غير منسوب عند سييويه ٢ : ١٧٤ وانظر الخصائص ٢ : ٤١٧ والخزانة ٣ : ٣١٢

٢ ديوانه : ١٢٦ وانظر سييويه ٢ ، ١٨١ والعيني ٤ : ٨٣ والخزانة ٣ : ٣١٢ .

٣ ديوانه : ٤٦٧ (اعتماداً على الذخيرة دون أي مصدر آخر) .

٤ ب م : هي حلية الرجال والنساء .

٥ ب م : يال هذه الطريقة والمنازع الفظيعة .

٦ شدي على نفسك إزارك ، في مسند أحمد ٦ : ٦٥ ، ٩١ ، ١٨٥ .

للمستفتي : « اشدد عليها إزارها . وشأنك بأعلاها » .
وقال الشاعر :

فدى لك من أخي ثقة إزارى^١

يريد أهله ، فكفى به عن المرأة ، حكاه أبو علي الفسوي في كتاب « الحجة »
والإزار أكثر ما يكنى به عن الفرج ، كما قال الفرزدق :
ما زال مذ عقّدت يده إزاره
وقال آخر :

والطيبون معاقد الأزر^٢

فتجنب « الإزار » إلى « الوشاح » آدب وأوجه ، والوشاح من استعمال
الرجال بعيد عن موضع الفرج وعن الكناية عنه ، وقد لبسه الجلة في سلمهم
وجعلوه نظير السلاح في حربهم ، قال جرير^٣ :
لبست سلاحي والفرزدق لعبــــــــــــة عليه وشاحا كرج وجلاجله

فعابه في الحرب بالوشاح لا في السلم ، لأنّ الوشاح ليس من لبس الحرب ،
كما أن السلاح ليس من لبس السلم ؛ والعرب تمدح وتمدح في السلم بالنعمة
والخفض واللباس الجميل . والرياش النبيل ، قالت الخنساء^٥ :

١ صدر البيت : إلا أبلغ أبا حفص رسولا ؛ والشعر لرجل من الانصار ، انظر المقد ٢ : ٤٦٣ .
٢ صدره : النازلون بكل معترك ؛ والشعر للخرنق بنت هفان تترثي زوجها عمرو بن مرثد
وابنها علقمة واخويه حسان وشرحيل . انظر أمالي القالي ٢ : ١٥٤ والسمط : ٥٤٨ ،
٧٨٠ والخزانة ٢ : ٣٠٦ والعيني ٣ : ٦٠٢ واللسان (نضر) .

٣ ديوانه : ٩٦٩ .

٤ ب م : كرك ؛ د ط وخ بهامش س : حرة ؛ د ط س : وخلاخله .

٥ ديوان الخنساء : ٣١ ، وصدر البيت « فذلك في الجد مكروهه » .

وفي السلم يلهو ويُرْخي الإزارا [١٠٣ أ]

وقال عبد الملك بن مروان للأحنف : ما أحسنُ ما مُدِحْتَ به ، قال :
قول القائل من جملة أبيات :

جلا المسك والحمام والبيض كالدمى وفرق المدارى رأسه فهو أنزعُ
وقال الآخر ١ :

إذا غدا المسكُ يجري في مفارقهم راحوا كأنهم مَرَضَى من الكرم
وقالت ليلي الأخيلىة ٢ :

ومخرَّقٍ عنه القميصُ تخالُهُ وسطَ الندى من الحياءِ سقيما
حتى إذا رفع اللواءَ رأيتَه تحت اللواءِ على الخميس زعيما
وقال بدرٌ أخو المرار ٣ :

مخدَّمون ثقالٌ في مجالسهم وفي الرجالِ إذا صاحبتهم خَدَمُ
ومثل هذا كثيرٌ لا يُحصى ، ومثلٌ لا يُتَقَصَّى .
وليس مرادنا أنه لبس وشاحاً بعينه ، ولا مرادٌ غيرنا لبس إزاراً بعينه ،
وانما المعنى الجليّ عند صبيان المكاتب أنه لبس الخطيئة كالوشاح ، في
التزين بها والتجمل بموضعها ، كما أراد بقوله الذي ألقى أبا الحسن في
هذا الجهل ، فحمله على غير وجه الحمل :

١ بهامش س أنه ما أنشده ابن دريد ، ولكن لم يعين قائله .
٢ انظر امالي القاضي ١ : ٢٤٥ والعيني ٢ : ٤٧ والشعر والشعراء : ٣٦٢ والحماسة رقم :
٦٩٩ (المرزوقي) والتبريزي : ٤ : ٧٧ .
٣ الاغاني ١٠ : ٣٣٠ .

إذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا^١

إنما هو تخذ المجد شعاراً ولباساً كالإزار ، ولو أن القافية تسوغه لقال^٢ :
فلا أب وابناً مثل مروان وابنه
إذا هو بالمجد ارتدى وتوشحا
كما قال أبو ذؤيب^٣ :

وكلاهما متوشح ذا رونقٍ عضباً إذا مسَّ الكريمةَ يقطعُ
وقال أقدم من أبي ذؤيب^٤ :

تركتُ النهابَ وأهلَ النهابِ وأكرهتُ نفسي^٥ على ابنِ الصَّعِقِ
جعلتُ يديَّ وشاحاً له وبعضُ الفوارسِ لا تعتنقُ

وقال أبو الحسن في خطبته المتقدمة الذكر : « لم يزل الأدبُ يوشحُ ذاتي
بحلته ، ويرشحُ نباتي بلخيه^٦ » فأتى بما صرفه ، واختار ما زينه . على
أن توشيح الذات بالخلي من الكلام النقي والمعنى القصي ، فتأمل هذه الغرائب ،
وتبين هذه العجائب :

على أنها الأيامُ قد صرنَ كلها عجائبَ حتى ليس فيها عجائب^٧

قد ذكر أيضاً أبو الحسن الإزار في خطبته فقال يصف جارية له [١٠٣ ب] :

١ عجز بيت للفرزدق ، يرد صدره فيما يلي ؛ انظر سيبويه ١ : ٣٠٥ والعيني ٢ : ٣٥٥

والخزاعة ٢ : ١٠٢ وشرح شواهد الكشف : ١١٣ .

٢ ط د : تسوغ له «توشحاً» لقالها .

٣ شرح اشعار الهذليين ١ : ٣٨ .

٤ البيتان في الحيوان ٦ : ٤٢٥ والبيان ٣ : ٢٤٦ .

٥ الحيوان : تركت الركاب لأربابها واجهدت نفسي .

٦ د ط س : بياني ؛ م ب : لحييه .

٧ البيت لابن تميم ، ديوانه ٤ : ٤٢ .

«أما ما تشدّ اليه إزارهًا فسقط ، وأما ما تعقدُ عليه زنارها فسمط »
ومن أضل الله فلا هادي له ^١ .

وردّ قولنا : « وسلفت السّير » واستمرت الميرر ، بإطراف الموالي
سادتهم ، وإلطف الخدام قاداتهم ، وإتحاف الأولياء ذادتهم » وقال :
الذادة مشترك يقال في الرفيع والوضيع .

الجواب : لقد كنت أبؤو به ^٢ أن أقول : ما أقبحَ هذا المنزع ،
وأوقع هذا المقطع !! وهبُ أن ذلك مشترك - وليس بمشترك - فقد حُفَّ
بالفصل من جنبه ، وكَنَفَهُ من حواليه ما يرفعُ الإشكال ، ويجلو وجهَ
المقال ، وكثيرٌ من الكلام مشترك المعنى ، مُشْتَبِه المنحى ، إلا أن فرشه ^٣
ومقدمته تبينُ مُشْكِلَهُ وتوضيحهُ مُبْهِمَهُ ، وتبيحُ مُمْتَنِعَهُ ، وتحسنُ
موضعه ؛ وللبلغاء [من] تقفية « السادة » ب « الذادة » و « القادة » ما لا
يحصي ، والجاحظ أفصح أهل وقته في كتاب « البيان والتبين » قال :
« الذادة » و « القادة » الذين هم ملح الأرض ونور الدنيا ، وحكي عن
العرب مثله في هذا الكثير ، وقال زيد الخيل يصفُ رؤساء طيء : أما بنو
حية فملوكنا وملوك غيرنا ، هم القداميسُ القادة ، والحماةُ الذادة ،

١ اُشار في ب م الى ان هذه العبارة آية قرآنية ، وليست كذلك .

٢ ب م : أبؤو به ؛ ط د : ابوا به ، فأما أبؤو فإنها لغة في أبأى ، أي ارفعه عن ذلك .

٣ فرشه : سقطت من ط د .

٤ حاء في مقدمة الجزء الثاني من البيان « الذين كانوا مصابيح الظلام وقادة هذه الايام وملح
الأرض وحلي الدنيا » ؛ ولم يقرن هنا بين لفظي « القادة » و « الذادة » فلعل ابن أرقم
يشير الى ورودهما في موضع آخر .

ه القداميس : جمع قدموس وهو السيد ؛ ب م : القراميس ؛ ط د س : السراة .

والآنجادُ السادة ، أعظمتنا خميساً ، وأكرمنا رئيساً ، وأحلمتنا مجالسَ ،
وأنجبتنا فوارسَ . وهذا المتسورُ على نقدِ الكلامِ معذورٌ لأنه لم يقرأ قطّ هذا
المعنى ، ولا سمع بهذا المغزى .

وردّ قولنا : « وما النفوسُ وحاملوها ، ولا الدنيا وأهلوها ،
[ولا الأرضُ وعامروها ، بكفاءٍ لبعضٍ واجباتِ الحضرة] » [فضرب
على الفقرة التي هي « ولا الدنيا وأهلوها »] وقال : هو بمعنى قوله : « ولا
الأرض وعامروها » فلا يجوز تكراره .

الجواب : حوى في هذا التسورُ ضرباً من الغباوةِ ، واجتنى صنوفاً
من الخزاية ، منها أنه جعل الدنيا هي الأرضَ ، والأرضَ هي الدنيا ،
على تحليته بعلم المنطق الذي لو علمه لم ننفسُ عليه علمه ، ولم نغبطه
حمّله ، ولم [يعلم] أنه يقال : الدنيا محيطةٌ بالأرض ، وليست الأرضُ
محيطةً بالدنيا ، والدنيا جنس ، والأرضُ تحتها نوع ؛ وفي الحديث الصحيح :
« سماء الدنيا » وفي الدنيا الخلقُ الروحاني ممن ليس في الأرض ؛ ومنها :
أنه لم يعلم أن من رَسَمَ العرب وفصاحتها تكريرَ المعنى إذا اختلفتِ
الألفاظ ، قال تعالى ﴿ وَغَرَابِيبُ سُودٍ ﴾ (فاطر : ٢٧) وقال ﴿ فَسَجَدَ
الملائكةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (الحجر : ٣٠ ، ص : ٧٣) [ومشبهه في
كلام العرب كثير] ولا فرقَ بين من لم يعلم هذا والعدم ﴿ فَإِنَّهَا لَا
تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج : ٤٦) .

وردّ قولنا : « ولا أظلمَ أفقٌ كان شمسُه » ، أنكر « أظلم »
ورده « دجا » .

١ ط د س : وحوى هذا التسور يا ابا الحسن . . . الخ .

الجواب : هذه الداهيةُ الشنعاءُ ، والقضيةُ الشرهَاءُ ، يدَّعي علمَ الكلام ، من لا يعرفُ الإصباحَ والإظلام ، لقد كان ملفِّقاً فانكشف ، ومنكوراً [١٠٤ أ] فاعترف :

وكان كعترِ السوءِ قامتْ بظلفها إلى مُدْيَةٍ تحتَ الترابِ تثيرها^١
ثم ختم رقعته يقول^٢ :

أُتيتُ بمنطقِ العربِ الأصيلِ وكان بقدر ما عاينتُ قبلي
فعارضه كلامٌ كان فيه بمنزلةِ النساءِ من البعول
وليس يصحُّ في الأوهامِ شيءٌ إذا احتاجَ النهارُ إلى دليل

قال أبو الأصبغ : وما أنكر عليَّ إلّا كلّ لفظةٍ جاءتْ معَ أختها كما
اقترن الكوكبُ والسَّعدُ ، والتقى الجيدُ الأَغِيدُ والعقدُ ، وشانوا ببعرهم
الدررَ ، وبجمهم الغُررَ ، وكان كلامهم كالبرصِ في أديمه ، والكسوفِ
في نجومه ، وعلم الله أنهم لو ردّوا مردّاً ، وتحدّوا متحدّى ، وذهبوا
صدداً^٣ ، لما أنِفْتُ ولا قلقتُ ، ولا حرجت ولا ضجرت ، ولأنصتَ
وأنصفتُ وانتقدت ، فقد قال السلف الصالح : رحم الله من أهدى إلينا
عيوبنا ، وقالوا : الفاضلُ مَنْ عُدَّتْ سَقَطَاتُهُ ، وقال عليه السلام :
ما هلك امرؤ عَرَفَ قَدْرَ نفسه . والمرءُ في سعةٍ من عقله ما لم يقل شعراً
وينشئ كلاماً ، وما أبرّىءُ نفسي ، ولا أعجَبُ بأمرٍ ولا أفخر ،
ولا أذبَ ذبَّ المزدهي بما حَبَرَ ، فما أحدٌ أنشأ نثراً ، ولا قال شعراً ،

١ البيت للفرزدق ، ديوانه : ٧١ وانظر فصل المقال : ٣٦٢ والمعاني الكبير : ٨٧٦ ،
١٢٠٩ وروايته : تحت الثرى تستثيرها .

٢ الأبيات للمتنبّي ، ديوانه : ٣٣٤ .

٣ هذه العبارة مبنية على الافراد في دطس : وشان ببعره ، . . . وبججه . . . وكان كلامه . . . الخ

إِلَّا اسْتَدْرِكَ عَلَيْهِ ، وَفُوقَتْ سَهَامُ الْقَوْلِ إِلَيْهِ ، وَمَا أَكْثَرَ أَحَدٌ إِلَّا أَهْجَرَ ،
 وَلَا أَطَالَ جَوَادٌ الْمَدَى إِلَّا عَثَرَ ، وَلَا سُبِيرَ مَعِينٌ إِلَّا تَغَيَّرَ ، وَقَدْ لَحَنَ
 النُّجُويُّونَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ فِي قِرَاءَتِهِ ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا
 بِأَهْلِهِ ﴾^١ (فاطر : ٤٣) وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ : مَا قَالَتِ الْعَرَبُ
 قَطُّ : بَرَقَ الْبَصَرُ ، بَفَتْحِ الرَّاءِ^٢ ؛ وَلَحَنُوا يَعْقُوبُ فِي قِرَاءَتِهِ ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي
 هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾^٣ (هود : ٧٨) وَقَالَ بَلَالُ بْنُ أَبِي بَرْدَةَ ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ
 الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ (الزمر : ٥٣) — بِكسْرِ
 النُّونِ — فَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : لَحَنَ الْأَمِيرُ ، فَسَأَلَ عَيْسَى بْنُ عَمْرِوٍ فَقَالَ :
 اللَّغْتَانِ مَقُولَتَانِ^٤ ؛ وَرَوَى عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ : عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطُونُ^٥ ،
 وَقَالَ عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنِّي أَرَى فِي الْمَصْحَفِ لَحْنًا سَتَصْلِحُهُ الْعَرَبُ
 بِالسَّنْثَا . وَقَالَ عَمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ^٦ : لَقَدْ خَطَبْتُ فَحَسِبْتُ أَنِّي بَدَرْتُ ،
 فَسَمِعْتُ فُتَيْمَةً مِنْ تَمِيمٍ تَقُولُ : أَيُّ خَطِيبٍ لَوْلَا أَنَّهُ عَطَّلَ خُطْبَتَهُ مِنَ الْقُرْآنِ ؛
 وَسَمِعُوا خُطْبَةَ زِيَادٍ « الْبَرَاءِ » ، وَفَسَّرَ الْعَتَبِيُّ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ شَدِيدَ الْمَحَالِ ﴾
 (الرعد : ١٣) فَقَالَ : هُوَ الْحَوَلُ وَالْحَيْلَةُ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ مَحَلُ فُلَانٍ
 بِفُلَانٍ إِذَا كَادَهُ ؛ وَقَالَ الرَّمَّانِيُّ فِي كِتَابِهِ « فِي الْمَذْكَرِ وَالْمَوْثُوثِ » : الْعَصْرُ

١ ليس في قراءة هذه الآية خلاف بين القراء ، ولم أجد فيها لابن عامر انفراداً وإنما جاء
 قبلها « ومكر السوء » وقرأها حمزة ساكنة الهمزة ، (انظر كتاب السبعة : ٥٣٥)
 وقد دافع عنه أبو علي الفارسي كثيراً في ذلك .

٢ قراءة أبي عمرو « برق » بكسر الراء ، وقرأ أبان ونافع عن عاصم بفتحها (انظر كتاب
 السبعة : ٦٦١) .

٣ يعني قراءته « أطهر » بفتح الراء ، انظر المحتسب ١ : ٣٢٥ .

٤ ذكر في اللسان أن المضارع من قنط تكون عينه مكسورة ومضمومة ومفتوحة .

٥ سورة الشعراء : ٢٢١ .

٦ شبيه لما في البيان ٢ : ٦ .

يُجمعُ أعصر في القليل وعَصُر في الكثير ، ويجمع الجمع فيقال أعاصير
كما قال الشاعر :

وبينما المرءُ في الأحياءِ مغتبطٌ إذ صار في الرّمسِ تغفوهُ الأعاصيرُ [١٠٤ب]
فالأعاصيرُ جمعُ أعصر ، والياء في الأعاصير زائدة ؛ ووهم الرماني ، إنما
الأعاصيرُ جمعُ إعصار وهي الريحُ الشديدة ، قال تعالى ﴿ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ
فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ (البقرة : ٢٦٦) وقال الشاعر :
الناسُ بعدك قد خَفَّتْ حلومُهُمُ كأنما نفختُ فيها الأعاصيرُ

وذكر أبو حاتم في « التذكير والتأنيث » عن عمارة بن عقيل ، وأنشد الصولي
في كتابه « في الشبان » لبعض قريش يوم فتح مكة :

خزرجيُّ لو يستطيعُ من البغضِ رمانا بالنسرِ والعسواءِ

وأخذَ على جميعِ المؤلفين بحقَّ وباطل ، ولولا الاشتهارُ في الأمرِ ومذهب
الاختصار لأوردتُ منه الخزيلَ الطويل ، والموصوفَ المعروف ، والكثيرَ
الغزير ، والموجودَ المحدود ؛ ولكنَّ هذا الرجلَ أبدى عواره ، ورفعَ
شَنَارَهُ ، وكان مستوراً موفوراً ، يقلدُ فيه ، ويُنصتُ لدعاويه ، ويُحتملُ
على المعرفةِ سرائره ومبادئه ، فأساءَ أدبَهُ ، وهتكَ حُجُبَهُ ، وفضحَ
مَذْهَبَهُ :

لم تكنْ عن جنابةٍ لَزِمْتَنِي لا يميني ولا شمالي رَمَتْنِي
بل جناها أخٌ عليَّ كريمٌ وعلى أهلها براقشُ تجني

ويشهدُ الله لقد كنتُ أيامَ محاولته لاطفاءِ نوري ، ومبادرتِهِ تقبيحِ الحَسَنِ

١ البيتان لحمزة بن بيض ، انظر الميداني ١ : ٣١١ والمثل « عل أهلها تجني براقش » .

من أموري ، أذكى أنواره ، وأطلع أقماره ، وأرفعُ للآري مناره ،
وهو يدبُّ الضراء ، ويسرُّ حسواً في ارتقاء ، ويمالئُ الحسدةَ والآعداء ،
ويحارب معهم الأولياء ، فجاهر بكتِّم ذكاء ، وخسَفِ نجوم السماء ،
ولم ينظرُ حتى يكونَ التقديم مع المشاهدة والحضور ، فيعذرَ في تقصير لو
كان أو تعذير ، على أن^١ الخلّة ، وشرطَ الأخوةِ والمروّة ، أن يناضلَ
بظهر الغيب ويُحامِل ، ويناصبَ دونَ الباطل ويجادل ، بحكمِ الأدب ،
الذي هو أَمَسُ رحمٍ وأوكَدُ نَسَب ، فكيف بتزييف^٢ المنتقد ، وتضعيفِ
القويّ ، وطَمَسِ الشمس ، وردَّ العيان ، والمجاهرةِ بالإفكِ والبهتان ،
وصدَّ ما تقوم به الحجة بما لا تقومُ له حُجّةٌ ولا برهان ، وما زلنا نشاهدُ
الشيوخ يُحسنون التأويلَ ، ويسترون الخللَ الجليل ، فلم يجرِ أبو الحسن
على سننهم ، ولا تادَّبَ بأدبهم ، وكم أعرضتُ عن تصانيفه ، وربأتُ بتواليه ،
كردّه على يعقوبَ في «إصلاح المنطق» بما هو المردودُ المحدود ، والمكروهُ
المنجوه^٣ ، وكخرافاتِهِ المضحكاتِ في «شرح الحماسة» وك«المحكم»
الذي ليس له معلّم ، و«المخصّص» [١٠٥ أ] الذي لو كتب بالسين
لكان أشبهَ بصفته ، وألتيقَ بحليته ، وأكثرَ هذا الكتاب «المخصّص»
مصحفٌ محرف ، وكنت شرعتُ في استخراج ما ضمه من الكلم المصحفاتِ
والحروفِ المحالات ، ولما أحسَّ بالملكوى :

والعتيرُ يضطرُّ والمكواةُ في النارُ^٤

١ د ط س : على رأي .

٢ د ط س : بتزيد . ٣ ط د س : والمحدود . . . والمنجوه .

٤ د ط س : في استخراج ذلك فأحسن بالملكواة .

٥ فصل المقال : ٣٢ «قد يضطر العير . . . » والميداني ٢ : ٢٨ والعسكري ٢ : ١١٧

لأذا^١ بأنه كان إذ ألفه^٢ محجوراً^٣ ، فإله عذراً يسمى تعذيراً ، وقد أتت عليه الدهور ، وأخذ عنه الفرض^٤ المشهور ، والجزاء المذكور ، كما أعطي القصب غير السائق ، وخلق غير الخلق ولا اللاحق ، وما أعظم منتشبهه ، وأشأم عليه نسبه !!

ولم آت أكثر مما لمحت له هذه الخطبة ، كما خطف البرق ، ورجع الطرف ، وكجلوة العروس ، وقعدة الخطيب ، فوقعت عيني منها على منكر^٥ مستشنع ، ومكروه مستبشع ، ومقطع مستضعف ، ومنزع مستخلف ، كلها زيوف^٦ فلا تنقذ ، وهراء فلا تحدّد ، رداءة أفسام ، ودناءة كلام ، وقعقة زخاريف ، وجعجة أراجيف ، وإجلاب^٧ بعساكر ، وركوب في مواكب^٨ وجماهير ، ومديح لنفسه ، وثناء على ذاته ، وتعظيم لشانه ، وتكبير^٩ لسلطانه ، وطاعة لشيطانه ، وذكر^{١٠} لشرح جالينوس ، ووصف^{١١} فرفوريوس ، وخطأ وضع^{١٢} ، وتحريف شعر^{١٣} ، ومردود لفظة ، وادعاء باطل^{١٤} وهجر^{١٥} ، وأسجاع كأنها قعقة القيراع ، وووعة المصاع ، مؤدبة^{١٦} المتزع ، قلقة^{١٧} الموضع ، خشنة^{١٨} الموقع ، ملأها خمسين ورقة بهذيان^{١٩}ات وترهات ، وتزويرات^{٢٠} وسخافات ، [من عراب^{٢١} ارتبطها ، وسيوف^{٢٢} اخترطها ، وجارية وصفها ، وريقة^{٢٣} رشفها] وفرية^{٢٤} قرطها وشفها ، وعظيمة^{٢٥} من

١ ط د س : فلاذ .

٢ ب م : محجوراً .

٣ ب م : القرض .

٤ ط د س : تلك .

٥ ط د س : وتكثير .

٦ يعني أنها تم عن أنها عمل مؤدب الصبيان .

٧ ب م : هديات ؛ وسقطت من ط د س .

المنكر. تسنمها واعتسفها ، وموبقات زيتف بها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ، وصنفها ، وآثر عليها آراء الفلاسفة وشرّفها ، ولم يأت فيها بكلمة من كتاب الله تعالى ، ولا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته . ونعوذُ بالله من الخذلان. ونزغاتِ الشيطان.

فصول من خطبة ابن سيده مما نقد ابن أرقم عليه^١

ذكر الخضاب فعابه ، وذكر مَنْ خَضَبَ فسفّفه وجانبه ، وقال : هذا خطيب^٢ اليونانية غليانثس ، وهو الذي يُوثّقُ بكلامه ويستانس ، قد قال : إن التسويدَ من الزينةِ الآثيثة . فلا يستعمله من الأنامِ إلاّ أهلُ الطينةِ الحبيثة .

الردّ : تأملُوا واعتبروا يا أولي الأبصار ، قد علم الكبيرُ والصغيرُ ، والخطيرُ والحقيرُ ، أنّ الشيبَ معيب . وأن السوادَ مرغوب ، وأن آدم عليه السلام لما رأى شيبَةً بلحيته فرعَ منها ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم روي عنه الخضاب ، وأما صحابته الأكرمون ، وعترته الطيبون ، فكلهم خضب شيبته وغيره وسَتَرَهُ ، ولما جيء [١٠٥ ب] بأبي قحافة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه كالثغامة قال عليه السلام : « هلا غيرتموه. » ؛ وكان معاويةُ حيث كان من الجلالة والأصالة ، له خاضبةٌ تخضبه بالسواد ، ولما فرغت مرةً من خضابه أنشدته :

هل عندك اليومَ شكرٌ لتي جعلتُ ما ابيضَّ من قادات الرأس كالحمم

١ لم يرد هذا القسم كله في د ط س .

٢ ب م : خضيب خطيب .

وفي السواد إغلاظٌ على العدو ، وتجملٌ للأهل ، وتسكينٌ للروعة من الشيب ، وتأنيسٌ للنفس ، وتعليلٌ للقلب ، وهل هذه النكتة من أبي الحسن تخفّسى ، أو هذه الزرعة يكتّم منها فحوى ، أو يستترُّ لها مغزى ؟ !

وقال في فصل منها : « والحسادُ في كلِّ ذلك تكسيرٌ عليّ أرعَظَها ^١ ، ولا تفتَرُ من النظرِ إليّ ألحَظَها ، وأنا أنشدَهم ما أنشدته عن أبي العلاء صاعد بن الحسن الربيعي عن أبي رجاء الضبعي :

حسودٌ كئيبُ القلبِ يُخفي أنينَهُ ويُضحّي كئيبَ البالِ عندي حزينَهُ
يلومُ عليّ أن ظلتُ للعلمِ طالباً أجمعُ من عند الرواةِ فنونه
وأكتبُ أبكارَ الكلامِ وعُونَهُ وأحفظُ مما أَسْتفيدُ عيونه
فيا حاسدي ^٢ دعني أغالِ بقيمتي فقيمةُ كلِّ الناسِ ما يحسنونه

الردّ : في هذا البرّسامِ غريبتان ، إحداهما مقالةُ الحاسدِ الذي يكسر عليه أرعَظُه ، قوله « دعني أغالِ بقيمتي » ، هذا جوابُ الأولياءِ ، لا جوابُ الحَسَدَةِ والأعداءِ ، والأخرى تحريفه الشعرَ عن وجهه ، وصَرَفَهُ عن كنهه ، ولو تبينَ وقرأ طرائقَ الشعراءِ ، ومذهبَ الفصحاءِ والخطباءِ ، لما استجازه ، ولأجادَ نَقْدَهُ وإحرازه ، فهذا الشعرُ لأحمد بن المعدل مشهورٌ مأثور :

غزالٌ سقيمٌ اللحظِ يُخفي أنينَـه ويضحّي كئيبَ القلبِ عندي حزينَه
وهنسي نفسَه أبو الحسن في تأمل البيت الأول : وكيف يجتمع فيه « كئيب

١ الارعاط : السهام ؛ وكسر عليه ارعاط النبل : اشتد غضبه عليه ، وهذا مثل ، انظر الميداني ١ : ٢٤ .

٢ كان حق هذه اللفظة أن تصيح « فيا عاذلي » أو « فيا لائمي » ليطرد ما يبنيه ابن ارقم في ما يلي .

القلبِ » « كَثِيبُ الْبَالِ » وكيف يكونُ حزينَ البالِ ، والشاعرُ مُنَزَّهٌ عن هذا السَّقَطِ ، مبرّأ من مثل هذا الغلط ، ولم ينظر بالعين الجليّة ، فيرى فسادَ القضية ، وأن الحسودَ ليس من رسمه ، ولا من رسم العرب في وصفه ، أن يلومَ على طَلَبِ العلم ، ولا يراجعَ بمثل هذا الرفق ، وإنما أراد أحمد ابن المعدل أن مَنْ هو إلْفُهُ وَأُنْسُهُ ، فتغرب عنه إلى طلبِ العلم نفسه ، يلومُهُ على تشاغله عنه ، وتباعده منه ، وأوماً إلى صبره وجده في طلب العلم وبحنه ؛ وقول أحمد ينظر إلى قول كثير^١ : [١٠٦ أ]

إذا ما أراد الغزو لم تثنِ همّةُ حصانٍ عليها نظمٌ درٌّ يزينها
وقال الحسن^٢ :

تقولُ التي من بيتها خَفَّ مركبي عزيزٌ علينا أن نـسـراكَ تسيرُ
أما دونَ مصرٍ للغنى مُتَطَلِّبٌ بلى إن أسبابَ الغنى لكثير
فقلت وعزَّتْها سوابقُ أدمـسـعٍ جَرَّتْ فجرى في جريهنَّ عـيـر
دعيني أكثرُ حاسديك برحلةٍ إلى بلدةٍ فيها الخصيبُ أمير
وقال^٣ :

لحافي لحافِ الضيفِ والبيتُ بيتُهُ ولم يُلْهني عنه غزالٌ مُقَنَّعُ
وقال أبو الحسن في فصل آخر منها : « يَرْهَبُ أَلَا تَرْجِحَ أَعْمَالُهُ
يوم القيامة قُسْطَاسَهُ ، وَأَلَا تَنْجَحَ آمَالُهُ فَيُؤْتَى غَيْرَ ذَاتِ الْيَمِينِ قُرْطَاسَهُ »

١ ديوانه : ٢٤٢ .

٢ ديوانه : ٩٩ .

٣ البيت في البيان ١ : ١٠ وهو لمروة بن الورد ، ديوانه : ١٠١ وورد في الحماسة : ١٧١٩
لعتبة بن بجير ، وقيل انه لمسكين الدارمي وفي الأغاني ١٣ : ٦٧ انه للعجير السلوي .

الردّ : ضمّ قاف قرطاس كما ضم قاف قسطاس للمشكلة ، على دناءة اللغة ، ووحاشة التقفية ، وفساد المقابلة ، وجور القسمة ، ولم يدر أن القسّطاس - بكسر القاف - لغة شائعة قرأتها بها القراء ، ونطقت بها الفصحاء ، ولو علمها لما احتاج إلى هذا المرمى البعيد ، والمنحى الزهيد ، والوجه الشميم ، والغرض الذميم .

وفي فصل منها : « وكذلك أنضيتُ عِرابَ الخيل ، فرميتُ بها حمامةَ النهارِ وعرابَ الليلِ » .
قال ابن أرقم : وليس من شأن العراب أن يُرمَى بها الحمامة ، والعرابُ هذه استعارةٌ غير متصلة ، وقلادةٌ غير منتظمة ، وفقرةٌ غيرُ مرتبطة ، ومن يقولُ رميتُ الحمامةَ بالعراب ، يازمه أن يقولَ : جاريْتُ الصِّبا بالسهام .

وقال في فصل آخر : « حين استقدحتُ سبائكها سبائكَ العِقيانِ »
قال ابن أرقم : يقال له مع تكرر سيناتك أَرِنَا استقدحت ، وأَرِنَا السبائكَ من نتائج الاستداح ، فإن تلك استعارةٌ لا تحسن ولا تتصل ، وقضية لا تتَمَعْنِي ولا تتحصّل ؛ ومثل تكرر هذه السينات ما يحملُ عن بعض المؤدّين بشرقِ الأندلس ، وكان يصفرُ في الصاد والسين صفيراً منكراً ، أنه قال : يا سادة ، يا جيرانَ المسجد ، سقط الطاووس من سقفِ موسى ابن أبي الغصن ، فكسرَ ساقَ صبيتنا ؛ انتهى ما اقتصصته من ردّة على ابن سيّدة .

جملة له من الانشاءات السلطانيات^١

فصل له من رقعة عن ابن مجاهد إلى صاحب مصر^٢ : وبعدما لزم الاستفتاح به وهي الإصباحُ شُهِبَ ، فإن مولى الحضرة الطاهرة - صلوات الله عليها - اعتمد قضاءَ حقِّها [١٠٦ ب] وإتيانَ وفقها . وعليه من حُلِّلَ النعمة أضفَّاها ، ومن حلل السعادة أبْنَهَاها ، ومن جُنِّنَ السلامة أوقَّاها ، وَمَنْ قَبِلَهُ مِنْ أوليائِ الحضرة وحذاها ، وعبيدِ دولتها ، وسهامِ كنانتها ، وشُهِبَ سَمَائِها ، ورقيقِ ملكها ، وشيعِ مَلِكِها ، المستنجحين بطائرها السَّانِح ، المتبركين بفضلها اللائح ، في كنفِ الله وعصمته ، وخفارةِ سَعْدِ أمير المؤمنين وذمَّتِهِ . وما ولاهُ اللهُ من البلاد . وخوَلَهُ من العتاد ، وأولاه من تالِدٍ وَمُسْتَفَادٍ ، على ما يرضي أمير المؤمنين وفورِ عدد ، وظهورَ يدٍ ، وانه سلف لمولى حضرته الطاهرة الاستثمارُ في تفيؤهِ لِبَرُودٍ^٣ ظلَّها ، والاستئذانُ في ادِّراعِهِ لِبَرُودِ أَفضَالِها . وارتضاعهِ لحلماتِ قَبُولِها وإقبالها ، وقَدَمَ عَقِيلَةٍ نَفْسِهِ ورائدِ قلبه ، ووصفِ مبادي نَزاعِهِ وطلائعِ انجذابه ، ودواعي مهاجرته ، وجواري مفاتيحه ، وأَعْلَمَ أَنَّهُ ذَخَرَهَا لِيَوْمِهِ وَغَدِهِ ، واعتدَّها لِنَفْسِهِ وولده ، فإنها الشمسُ بَعْدَ جِرْمِها وكَثَرِ ضَوْءِها . ونأى مَحَلَّتِها ودنا ظِلَّتِها ، فصدرت المراجعةُ الباهرةُ بما أضاءَ جوانحه . وَزَجَرَ سوانحه ،

١ د ط س : السلطانية .

٢ هي الرسالة التي تعقبه فيها ابن سيده ؛ ويقول ابن الأبار في التكملة إنها وجهت إلى صاحب

مصر سنة ٤٥٢ .

٣ د ط س : لبرد .

٤ د ط س : ادخرها .

وَأَمْرَعَ مَوَاطِنَهُ وَمَسَارِحَهُ ، وَتَبَيَّنَ السَّعْدَ مَعَانِقَهُ وَمَصَافِحَهُ ، وَصَادَفَ رَائِدُ قَلْبِهِ مَرَاداً خَصِيباً ، وَرِيحاً جَنُوباً ، وَتَقِيلَ الْمَوْلَى مِنْهَا مَرَاحاً مَرُوحاً وَمَقِيلًا ، وَتَتَوَجَّحَ رَسْمَ الْخِلَافَةِ الْمُسْتَنْصَرِيَّةِ إِكْلِيلًا ؛ وَإِنْ بَعْدَتْ أَقْطَارُهُ ، فَعَلَى مَقْدَارٍ بَعْدَ الْهَجْرَةِ إِثَارِهِ ، وَمَا تَتَأْتَى السَّبِيلَ ، وَمَتُونِ الرِّيحِ الْخَوَامِلِ وَالرَّسْلِ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ سَلِيمَانِيَّةَ النَّصْبَةِ ، فَإِنَّهَا عَلَوِيَّةُ النَّسَبَةِ ، فَالآنَ اسْتَمَرَ الْمَرِيرُ ، وَاسْتَقَرَّ الضَّمِيرُ ، وَاطْرَدَ الْأَمْرُ عَلَى بَصِيرٍ ، فَتَنَسَّمَ مَوْلَى الْخَضِرَةِ رِيَاها عَطْرًا ، وَرَادَ رَوْضَهَا زَهْرًا ، وَشَامَ بَرْقَهَا مُسْطَرًّا ، وَاسْتَوْضَحَ هَلَالَهَا مُبْدِرًا ، وَارْتَشَفَ مَاءَهَا خَصِيرًا ، فَمَا الشُّكْرُ وَإِنْ جَزَلَ ، يَرْقَى ثَنَاءِ ذَلِكَ الْإِفْضَالِ وَالْإِنْعَامِ ، وَلَا اللِّسَانُ وَإِنْ جَعَلَ يَتَعَاطَى ذَلِكَ الثَّنَاءَ^١ وَلَا الْأَقْلَامُ ، وَلَا الْجَهْدُ يَقْدِرُ قَدْرَ ذَلِكَ الْإِكْبَارِ وَالْإِعْظَامِ ، وَلَا الْوَجْدُ يَفِي بِتِلْكَ الْعَوَارِفِ الْجَسَامِ ، وَلَا الطُّوقُ يَقُومُ بِأَعْبَائِهَا حَقَّ الْقِيَامِ ، وَأَيُّ وَسْعٍ يَبَارِي الْبَحْرَ وَهُوَ طَامٌ ، وَأَيُّ طَوْقٍ يَطِيقُ رُكْنِي شَمَامٍ ؟! وَلَوْ كَانَتْ لِلْمَوْلَى بِالْقَدْرِ يَدَانِ ، وَسَاعِدَتُهُ إِمْكَانُ ، وَسَاعَفَتُهُ زَمَانُ ، لَأَتَمَّ شَخْصُهُ كَعْبَةَ الْأَمَالِ ، وَاسْتَقْبَلَ بِقَصْدِهِ قَبْلَةَ السَّعْدِ وَالْإِقْبَالِ ، وَاسْتَلَمَ بِيَدِهِ رُكْنَ الْإِنْعَامِ وَالْإِسْبَالِ^٢ ، فَإِذَا لَمْ يَنْسُكْ مُحَرِّمًا ، وَلَمْ يَقْرُبْ مُسْتَلَمًا ، وَلَمْ يَنْقُلْ إِلَيْهَا قَدَمًا ، فَحَسْبُهُ النِّيَّةُ الَّتِي هِيَ أَسْ^٣ الْبَنِيَّةِ وَالطَّوِيَّةِ ، عَلَى نَائِي الطَّبِئَةِ ، وَمَا تَيْسَّرَ مِنْ هَدْيٍ يُهْدِيهِ ، وَعُمُرَةٍ عَنْهُ تُجْزِيهِ ، وَإِنْ شَطَّ الْمَحَلَّ .

وَسَلَفَتْ السَّيْرُ ، وَاسْتَمَرَّتِ الْمَرَرُ ، بِإِطْرَافِ الْمَوَالِي [١٠٧ أ] سَادَتَهُمْ وَإِنْخَافِ الْأَوْلِيَاءِ ذَادَتَهُمْ ، وَإِلْطَافِ الْخُدَّامِ قَادَتَهُمْ ، عَلَى سَمَحِ الْأَوَانِ ،

١ ذ ط س : الشَّو .

٢ ذ ط س : والافضال .

٣ ذ ط س : أم .

لا على الخطر والشان ، وعلى حُكْمِ التَّخْدِمِ والاهْتِبَالِ ، لا على حُكْمِ
 الهممِ والآحوالِ ، فما النفوسُ : فكيف النفائسُ وحاملوها ، ولا الدنيا
 وأهلُها ، ولا الأرضُ وعامروها ، بكفاءٍ لبعضٍ واجباتِ الحضرةِ ،
 ولا بجزءٍ من أجزاءِ فرضها ، ولا لبذرةٍ^١ من جُمْلِ^٢ قرضها ، ما عدا
 أن الله سبحانه قَبِيلَ منّا اليسيرِ ، وصفَحَ عن التقصيرِ ، وتجاوزَ عن الحقيرِ .
 فآلَفَ المولى أشتاتاً ، ونظَّم أفراداً ، وجمع أصنافاً ، وهباً أطافاً ، من
 تُحَفِّ أفقه ، وخواصَّ أرضه ، وغرائب مغربه ، وطرائفِ ثَغْرِهِ ،
 شَرَحَ أنواعها ، وأفرادَ جماعها ، ونثر نظامها ، وفصلَ تَوَاقُفِها ، في
 ماطفٍ طيِّ مكاتبتِه هذه ، وأودَعَ ما نوَّعَ ، وضمَّن ما جمعه ، حَرْبِيّاً
 من أشدِّ نمطه^٣ حصانةً ، وأوقَرَه أمانةً ، وأكثرَه عدةً وَعِدَةً ، وأفضله
 جِدَّةً وجِدَةً ، وأبهجه حليةً وبُرْدَةً ، وتفاءَلَ المولى في اسمه وَوَسْمِيهِ ،
 فَخَرِقَ أديمَ البحرِ على اليُمنِ والطائِرِ السعدِ ، والفألِ الصدقِ ، كأنه
 هلالٌ سائرٌ ، أو عُقَابٌ كاسرٌ ، أو بازٌ مهابِدٌ^٤ ، أو شهابٌ ثاقبٌ ،
 أو سهمٌ نافذٌ ، ولحضرتِه الطاهرة - صلوات الله عليها - تأكيدُ العارفةِ ،
 وتأْيِيدُ الصنِيعَةِ ، وتشفيغُ الكرامةِ في حسنِ القبولِ ، والتجاوزِ عن خَلَلِ
 المعقولِ والمقولِ ، وتأوَّلَ أمرَ مولاها أحسنَ التأويلِ .

وله من أخرى مثل ذلك إلى الوزير هنالك : أطال الله البقاءَ ، وأدامَ
 العزَّةَ والعلاءَ ، والسَّعادةَ والنماءَ ، ورجبَ الفناءَ ، ونصارَةَ الأرجاءِ ،

١ ط س : لبيدة ؛ د : ابيد .

٢ ط د س : حمل .

٣ ب م : نظمه .

٤ هبذ وهابذ : أسرع في الطيران .

لحضرة سيدنا الوزير الأجلّ صفي أمير المؤمنين، ولا برحتُ القلوب حوائمَ
على شِرْعَتِهِ، كما زُيِّنَ نحرها بقلائد الخلافة، وحُلِّيَ جِيدُها بنظام الأمامة،
والشمسُ محلُّ السَّعدِ :

* وفي عُنُقِ الحسَاءِ يُسْتَحْسَنُ العقدُ *

فما أظلمَ ليلٌ كان سيدنا صُبْحَهُ، ولا أبهمَ معنىٌ كان شَرَحَهُ، ولا
أساءَ زمانٌ كان حُسْنُهُ، ولا بخلَ وقتٌ كان موهبته، ولا أذنبَ عصرٌ كان
عُذْرُهُ، ولا ذوى روضٌ كان زَهْرُهُ، ولا أوحشَ أمرٌ كان أنسه،
ولا أظلمَ أفقٌ كان شمسهُ، ولا عَطِلَ نحرٌ كان حليهِ، ولا ضلَّ مُلْكٌ
كان هديهِ .

وإني أطال الله بقاءَ حضرة سيدنا، وإن لم أحلَّ بمكاتبتِهِ تقليدًا، ولم
أحظَّ بمدخلتِهِ مستفيدًا، فبه أثمرَ غرسِي، وله انتظم غدي وأمسي،
وعليه تهَدَّلَ جنِّي نفسي، فمحاسنُهُ التي ملأتُ الملوين، ثنتني فانشئتُ،
وأنوارهُ التي طبقتِ الخافقين، هدتني فاهتديتُ، فسرتُ إليه مسيرَ السيل
إلى قرارهِ، وانجذبتُ نحوه انجذابَ النجمِ إلى مَدَارِهِ، وجريتُ على نهجِ
أبي رحمه الله - في خدمة [١٠٧ ب] الحضرةِ والمكاتبةِ لها والمهاجرةِ
إليها، وما نَدَيْتُ^٢ لي من ثراها، وتمهَّدَ لي من رضاها، وأحظاني من
سنيّ جوابها، وبهيّ تحليتها، والإقبالِ عليّ بقبولها، فذلك الفخرُ تاجٌ على
مفرقي، وذلك الفضلُ طَوْقٌ في عنقي، فحقٌّ أن تتأكد بصيرتي،
وتستمرَّ مريرتي، وأطرِدَ عليّ^٣ وتبرتي، فلا أزالُ مطالعًا وخادمًا لها .

١ م : جنبًا ؛ وهي غير واضحة في ب .

٢ م ب : لدن .

٣ د ط س : وتلرد علي .

وسبقت السَّيْرُ . واستمرت المراراً بأن يُطرف المولى سَيِّدَهُ ،
ويلطف الولي مُعْتَمِدَهُ ، وقلَّت الدنيا وصمتها^٢ ، والأرض ووفرها ،
لمستمسكٍ بجبلِ الحضرة ؛ ولا جَرَمَ أنها خدمةٌ تخبرُ عن همة ، وسيرةٌ
تنبئُ عن سريرة ، وقربةٌ يُتَقَبَّلُ [فيها] الوتح الحقيق ، ويتجاوزُ عن
القصورِ والتقصير ، علماً بأنها على الاختفاء لا على الاحتفال ، وعن الإخبار
عن الضمير لا على الأخطار ، فهيّا شيعَة سيدنا وصفوته ، سَمَحَ الأوان ،
وعجالةَ الإمكان ، على التوى القدوف ، والمنتأى^٣ الغروف ، أنداداً من
ألطف حوزته ، وأفراداً من خواصِّ عمله ، وأعداداً من تُحَفِّ جهته ،
يَشْرُفُ بعضها بحضرةِ الخلافة ، وبعضها بحضرةِ الوزارة ؛ وضمنها من
بياضِ خاصَّتهِ^٥ : [حربياً] حصينَ البنية^٦ ، أمينَ الطوية ، رائقَ البردة ،
وافرَ العدة ، تقلَّدهُ الأستاذُ أبو الحسن كوثر نعمته ، وعهدة الحضرة ، فنفذ
في حفظ الله وصحبته ، وفي كفالة سعد أمير المؤمنين ؛ وسلك^٧ البحرَ
كأنه في أديمه شامة ، بل في سمائه غمامة ، وحضرةُ الوزير — أعزه الله —
تسدُّ في الجهتين الخلل ، فتحملُ وتُجْمَلُ ، وتقبلُ وتتقبلُ ، وتغفرُ خطئاً
ما نقول ونفعل ، وتتاوَلُهُ^٨ إن شاء الله أحسنَ التأول ، وتكسوه المعروضَ
الآجمل ، فهي الهادية لضوال الآمال ، المحلية لعواطل الأعمال .

١ ط د س : الأدهر .

٢ ط د س : وقلدت . . . وضمنها .

٣ ب م : والمنتهى .

٤ د ط س : يتصرف .

٥ د ط : وضمن الحملة (د : الحملة) حديثاً ؛ س : وضمن الحملة حربياً ؛ وهو الصواب .

٦ د ط س : النية .

٧ م : وسط ؛ ب : وسك .

وله من أخرى : وقد علمت الحضرة - صلوات الله عليها - أنني مستمد^١ التعلق بجبلها من كتب ، ووارث^٢ التحقق بفضلها عن كلاله أدب ، على هذا المهاد نشأت ، وبهذا القرار^٣ ثويت^٤ ، ومن هذا الثمر اغتذيت^٥ ، وبهذه البصيرة تتوججت^٦ وارتديت ، وقد كان للموفق^٧ أبي^٨ ، مولى الحضرة ، منزع^٩ علق^{١٠} بسببه ، وأرب^{١١} وسم^{١٢} أجمل^{١٣} وسم^{١٤} به ، أن يثبت في ديوان مكاتبتها اسمه ، ويلحق^{١٥} في رسوم خدمتها رسمه^{١٦} ، ويجرز^{١٧} الحصل^{١٨} في ميدانه ، ويبرز^{١٩} في أفقه وزمانه ، ويحلي مغربنا بما لم يكن^{٢٠} حالياً به ، ويفض^{٢١} عذرة^{٢٢} أمر^{٢٣} لم يهتد^{٢٤} لجانبه ، فوافاه^{٢٥} حمامه - أكرم^{٢٦} الله نزل^{٢٧}ه - وهو في ذمائه يمهتد^{٢٨} أكناف^{٢٩} نيته ، ويقيم^{٣٠} شرفات^{٣١} بنيته ، فقضى ولم يسعد^{٣٢}ه القضاء ، ومضى ولم يكن^{٣٣} الأمضى ؛ ثم دفع^{٣٤} مولى الحضرة - أنا - إلى فتن^{٣٥} جدبته^{٣٦} عن تلك الفرائض ؛ وقبضته من تلك المعارض . ثم إن الله تعالى أبتد^{٣٧} مولى الحضرة فمهتد^{٣٨} له هنيئاً من الظفر ، ونتجت [١٠٨ أ] له سنياً^{٣٩} من الوطر ، فلما فرغ^{٤٠} لنيته التي كانت أمام ذكره ، وملء صدره ، أزمع^{٤١} الإيراد^{٤٢} لآماله^{٤٣} الحائث^{٤٤} ، والسفور^{٤٥} عن هممه المتقنعات ، والإنزال^{٤٦} لعزائمه^{٤٧} المرفرفات^{٤٨} ، فها نحن واردو تلك الحياض ، وخارقو ذلك^{٤٩} الوفاض ، ومنبضون^{٥٠} إلى تلك الأغراض ، فلسنا في تلك القوافي إقواء^{٥١} ،

١ ط د س : وقد كان لأبي .

٢ ط د س : شرافات .

٣ ط د : وفتحت . . . سبياً .

٤ ط د س : لايراد إهماله الحاجات .

٥ ط د س : لغزائمه .

٦ ط د س : ومنتهضون .

ولا في ذلك المضمار بطاء ، ولا سَهْمُنًا غِلاء . ومولى الحضرة مملأً من كرميه مؤيدٌ بجنوده . من كتاب^١ تملأُ الفضاء ، وتغشي الدأماء ، فتصدعُها بجمال كالرياح ، ورياح كالجمال ، ثانية الأقدار ، وثالثة الليل والنهار ، تحملُ من قد قامت^٢ من آسادٍ هي خدورها ، وصوارم هي غمودها ، وسهام هي كنانها ، وأفئدة هي جوانحها ، فلو لقوا المنايا لصرعوها ، أو ضربوا الجبال لصدعوها ، أو رموا الأوهام لقرعوها ، أو راموا النجوم لفرعوها^٣ .

وفي فصل منها^٤ : ولم يكن ليقدم إليها غير الإستثمار ، ولا ليقصد نحوها غير الإشعار ، لتكون بضائعه خوالص الإضمار والإظهار ، وطلائعه سوابق الإسناد والاستظهار ، فهي أعزُّ جناباً ، وأعظمُ مهابةً ، من أن يقرع إليها باباً إلاّ بإباحتها^٥ ، ويصل منها حجاباً إلاّ بسماحتها ؛ ولما جرّد مولى الحضرة هذا المذهب من البأو بمكاتبها ، ولخصّ^٦ هذا الأرب من التشرف بمراسلتها ، رأى من توقيرها وتكبيرها ، تقليدَها من يكون كفيلاً بها أو طيقاً لتحملها ، فندب لها من أبناء الوزراء ، وصفوة الظهراء ، من له السابقة المذكورة ، والعين المشهورة ، والأحوال الخطيرة ، والخلال المشكورة ، ودماثة الجانب وسكون الطائر ، مضمناً^٧ مركباً

١ ط د س : كتابه .

٢ ط د س : مات .

٣ د ط س : رمقوا النجوم لصرعوها .

٤ بداية هذه الفقرة في د ط : ولم يكن 'يقرع باباً' . . . الخ .

٥ ب : باناختها ؛ ط د س : باجابتها .

٦ د ط : وخص .

٧ د ط س : فندب . . . وصفوة الظهراء فلاناً مضمناً . . . الخ .

من مراكبه ، يدلُّ به مدل^١ الليل بالصباح . وينمُّ عليه كما نَمَتَ على
 الزهر الرياح ، خلا أنَّ مَنْ سكنَ المغربَ الأقصى ، وجاور الثغرَ الأعلى^٢ ،
 وجاذب اللسانَ الآجفي ، وارتضع الجعجعة^٣ الحشناء ، والعجرفة الصماء ،
 ثم حاول حرمةَ الخلافة العظمى ، والحضرةِ العليا ، وغشي مصرَ الإسلام ،
 وتُخِبَ^٤ الأنام ، ومحفلَ الجماهير العظام ، فمعدورٌ أن تُعْشِيَه أنوارها ،
 ويُغْشِيَه إكبارها^٥ ، وتُحْصِرُه مهابتها ، وتُخْرِسَه جلالتها ؛ ومن
 فواضلِ الحضرة وسرعانِ إنعامها ، وبواكرِ إكرامها ، إرقاؤه إلى البساطِ
 المعظم ليلثمه ، وإدناؤه [من] الحزمِ المكرَّم ليستليمه^٦ . ولو أن مولى
 الحضرة يستعيرُ الروضَ نَشْرَه^٧ ، والمسكَ عطره ، والبحرَ دُرَه^٨ ، والسحابَ
 قَطْرَه ، والزمانَ عُمُرَه^٩ ، وعطارِدَ نظمه ونثره ، فيسدَّ بها الأفقين ،
 ويملأ ما بين الخافقين ، ليوصلَ معتقده ، ويؤدي تعظيمه وحمده^{١٠} ،
 وينهي كُنْه^{١١} ما عنده ، لما استوفت عِدَّة^{١٢} ، ولا سبَّرت عِدَّة^{١٣} . [١٠٨ ب]

وله من أخرى إلى الوزير هنالك^{١٤} : فالحضرةُ العليةُ معنيٌّ هو شَرْحُهَا ،
 وشمسٌ وهو صَبْحُهَا ، وأذنٌ وهو قُرْطُهَا ، وجيدٌ وهو عقدها ، ومِعْصَمٌ

١ د : ينزل به منزلة ؛ ط : منزل به منزل ؛ س : مذل .

٢ ط د س : الأدنى .

٣ د ط س : العجمة .

٤ د ط س : وتخفة .

٥ د ط س : وتغشيه أقمارها .

٦ د ط س : والزمن .

٧ د ط س : كمية .

٨ ب : ولا سبَّرت غده ؛ د ط س : شربت .

٩ ط د س : الوزير بها .

وهو سيّارها ، وعينٌ وهو نورها ، ورأسٌ وهو عينها ، ومبسمٌ وهو
ثغرُها ، وكفٌ وهو بنانها ، ورمحٌ وهو سنانها ، وحسامٌ وهو غرارها ،
وسماءٌ وهو بدرها ، وروضٌ وهو زهرها ، وساقٌ وهو قدمها ، ذلّلَ
لها المستصعباتِ ، وفتح لها المبهماتِ ، وأوضح لها المشكلاتِ ، وأضاء لها
الظلماتِ ^١ ، وأن انتظامها به ، وكمالَ بهجتها بخدمته ، وتمامَ سعادتها
بولايته ، وأرجَ نَشْرِها بمظاهرتِه ، وبروزَ سَبْقِها بمؤازرتِه .

وكان للموفق أبي نهجٌ بمدخلتها ، ومفتتحٌ لمراسلتها ، لم يفارقهُ —
روضَ الله مثواه — إلى أن فارقَ دُنياه ، فكنتُ أبا عُدْرَتِها ، وفاتقَ أكتها ،
وفاتحَ مُرتَجِجِها ، وسالكَ منهجها ، فبرزتُ ^٢ بين أبناءِ مغربي في مدخلتها ^٣
وعَرَضَ صاغيتي وخدمتي عليها ، وتوفيدُ مكاتبتِي ومراسلتي إليها ،
في ^٤ مركبي الذي أعلمته خلااً في صفحةِ البحرِ ، وسويداءَ في مُقْلَةِ العصرِ ،
ووصلتُ بمكاتبتِي مَنْ هو لها كفؤٌ ، ولي ظهيرٌ ونشأٌ ، من أبناءِ أهلِ الخطرِ ،
وذوي الشرفِ والقدرِ ، ومن له الشيمُ الهادية ، والريحُ الساكنة ، والمناصحةُ
البالغة ، فلان ، [أحد أبناءِ الحضرة ، وذوي السُروِ والقدرة] ؛ إلاَّ
أنَّ أهلَ مغربنا مرتضعون العجمةَ ، مدَّرعون الحشمةَ ^٥ ، بمصابقةِ الثغورِ
الحشنة ، ومجادبةِ ^٦ الألسنِ الثقيلة ، وممازجةِ الأمزجةِ الكليلة ، فَمَنْ

١ ط د س : المظلمات .

٢ ط : فمررت .

٣ د ط س : بمدخلتها .

٤ ط د س : وتوفير .

٥ ب م : من .

٦ ط د س : الحشنة .

٧ ط د س : بمحادثة .

دُفِيعَ منهم بعدُ إلى خدمةِ الخلافةِ العلية، وجاورَ الألسنةَ العظيمةَ، وشافهَ
 النفوسَ الرطبةَ، وداخلَ الأمزجةَ العذبةَ، وارتقى إلى سماء تلك العزة،
 فعَظُرُهُ مقبول، وأمرُهُ على الاجتهادِ الأصيل والاعتقادِ النبيل محمول^١،
 وما الأقلام وإن مدَحَتْ، ولا الأقوالُ وإن جَمَحَتْ، ولا الأوصافُ
 وإن سَمَحَتْ، بمعبَراتٍ عما عنده من حُسْنِ الصاغية^٢، وخلوصِ الناحية،
 والممالةِ^٣ الصافية، والمناصحةِ الزاكية، والخدمةِ الوافية؛ وإن بَعُدَ
 مثواه فلم يبعدَ مَنْ كَانَتِ الضمائرُ وسائله، والرياحُ رسائله، ولا تَكْتَمُ
 النيرانُ عن حَدِّهِ، ولا تنحرفُ أفلاكها^٤ عن أفقه، ولا تتجافى [في] مسالكها عن طريقه.

وله من أخرى في مثله: وإن مَوَّلَى الحضرةِ العلية لما حَمَلَ من
 تأميلها ما أضاعَ جوانحه، وارتسمَ من خدمتها ما أراه سوانحه، فتعرف
 اليُمْنُ باكيره ورائحه^٥، وتبينَ السَّعدَ مُعانِقَه ومصافحه، تفتياً
 برُودَ ظلالها، ليدَرِّعَ برُودَ تشریفها وإفضالها، وارتضع حلماً
 جنبها، ليستدرَّ أخلافَ طلابها، واستأمرَ بخطابها، ليحظى
 بسنيّ جوابها [١٠٩ أ]، ووجهَ من صفوة نظرائه أبا مروان بن
 نجية، معلماً باستثماره، مستظهِراً باشعاره، بعد أن صَفَتْ نُطْفُ
 سرائره، وتبلَّجَتْ أزاهرُ ضمائره، وثريتْ أرضُ صاغيته، وتَدَيَّتْ^٦

١ ط د س : وأمره محمول على ... الخ .

٢ ط د س : الطاعة .

٣ ط د س : والمعاملة .

٤ ط د س : الأفلاك .

٥ ط د س : بما .

٦ س : ورويت ، د ط : ووريت .

روضُ طاعته ، وكادتُ تورقُ صَفَاةُ طَرَقه ، وَتُعْشِبُ حَصَى أَفْقِه ،
وتطلعُ من عَزِيمَتِه الشمس ، وتثمرُ آمالُهُ قَبْلَ الْغَرَسِ ، وكادُ الجِسمُ يُسْبِقُ
النفس ، والناظرُ يَقدِمُ الحسَّ ، بصَرمَةٍ تَخْلُجُ خِلاجَ المُنْتَوَى ، وتحتزُّ وداجَ
النوى ، عودُهَا نُضَارٌ لا عَرَار ، وسرُّهَا مُحْضٌ لا سَمَارٌ .

وفي فصل من أخرى : حَضْرَةُ سَيِّدِنَا - أَيْدِهَ اللَّهِ - قَلَائِدُ يَرَوِقُ
عَلَى نَحْرِ الخِلَافَةِ نِظَامِهَا ، وَتُحْفِقُ عَلَى عَاتِقِ الثَّرِيَا أَعْلَامُهَا ، تَبْرِيءُ
الْأَسْمَاعَ مِنْ صِمَمِهَا ، وَتُشْفِي الصُّدُورَ مِنْ وَحَرِهَا ، وَتُصَحِّحُ الْجِسْمَ مِنْ وَصْبِهَا ،
وَتُرِيحُ النُّفُوسَ مِنْ نَصَبِهَا ، كَمَا تُصَكُّ أَسْمَاعَ الْعِدَا ، وَتَخْلَعُ قُلُوبَ مَنْ
نَاوَا ، وَتَقْضِي جِسْمَ مَنْ عَصَى ، وَتَقْطَعُ وَرِيدَ مَنْ اعْتَدَى ،
فَهِيَ حَيَاةٌ وَرَدَى ، وَشَهَبٌ وَقُضْبٌ ، وَنَجْمٌ وَرَجُومٌ ، لَا بَرَحَ تَمْطُرُ
الْوَلِيَّ رِبْعاً ، وَالْعَدُوَّ نَجِيعاً ، وَلَا زَالَ سَيِّدِنَا حَسَامَ عَاتِقِ الْمَلِكِ ، وَوَاسِطَةَ
ذَلِكَ السَّلَكِ ، وَخَالِصَةَ ذَلِكَ السَّبَكِ ، فَإِنَّهُ سَرَى إِلَيَّ مِنْ مَآثِرِ حَضْرَتِهِ
مَا أَخْجَلَ الْمَسْكَ رِيَاهُ ، وَكَسَفَ الشَّمْسَ مَحْيَاهُ .

ولم يحضرنى من شعرِ أَبِي الْأَصْبَغِ حينَ تَحْرِيرِ هَذِهِ النُّسخَةِ إِلَّا هَذَانِ
الْبَيْتَانِ مِنْ مَرثِيَةِ فِي ابْنَتِهِ :

انكسفي ويحك يا شمسُ وَاذْهَبَا ضُمَّنْتَ يَا رَمْسُ
فِي سِرِّ أَجْفَانِكَ لِي مَقْلَةً وَبَيْنَ أَضْلَاعِكَ لِي نَفْسُ

وَابْنُهُ أَبُو عَامِرٍ ٣ : بُوَادِي آش مِنْ عَمَلِ المَرِيَّةِ ، نَاطِمٌ نَاطِرٌ ، وَلَمْ يَقْعِ

١ ط د س : وكادت تثمر . . . الشمس .

٢ السمار : اللبن المشوب .

٣ القلائد : ١٣٢ والنفح ٣ : ٤٩٩ والخريدة ٢ : ٣٩٨ ، وسقط هذا الفصل كله من د ط س ،
ولم يشر ابن بسام في فهرست كتابه الى انه سيترجم له ، وقد زاد ما هنا عما في القلائد ، =

إليّ من شعره ما أجعله سبباً إلى ذكره، إلاّ نفثُ يسيرة تدلُّ على انطباعه،
كدلالةِ الفجر على انصداعه ؛ له ١ :

سريتَ والليلُ من مَسْراكِ في وهلِ	مُبْرأُ العزمِ من أينِ ومن كسلِ
وسرتَ في جحفلٍ يهدي فوارسَهُ	سناكَ تحت الدجى والعارض الهطلِ
هوت أعاديك من سارٍ يؤرْقُهُ	ركضُ الجواد وحملُ الأُمة الفضلِ
إذ الملوكُ نيامٌ في مضاجعهم	مستحسنون بهاءَ الحلي والحللِ
لله صَوْمُكَ من أيامٍ ٢ فطرهمُ	وما توخيتَ من وجهٍ ومن عملِ
نحرتَ فيه الكُمة الصَّيدَ محتسباً	وحسبُ غيرك نحرَ الشاءِ والابلِ
إذا صريرُ المدارى هزَّهم طرباً	أهلكَ عنه صريرُ البيض والأسلِ
وإن تتهمُّ عن الإقدامِ عاذلةٌ	مضيتَ قدماً ولم تأذنْ إلى العذلِ
كم ضمَّ ذا العيدُ مِن لاهٍ به غزلِ	وأنت تشدُّ أهلَ اللهو والغزلِ :
« في الخيلِ والخافقاتِ البيضِ لي شغلِ	ليس الصبابةُ والصهباءُ من شغلي »
ظلتَ يَوْمُكَ لم تنقُ به ظمــــاً	وظلَّ رحك في علٍّ وفي نهلِ
وكلما رامتِ الرومُ الفرارَ أتتِ	من كلِّ أوبٍ وضمتها يدُ الأجلِ
فصار مقبلهم نهباً ومُدْبِرُهُمُ	وعاد غانمهم من جُمْلَةِ النفلِ
فكم فككتَ من الأغلالِ عن عنقِ	وكم سدَدْتَ بهذا الفتح من خللِ
أنت الأميرُ الذي للمجدِ همَّتُهُ	وللممالكِ يحميها وللهـدولِ
وللمواهبِ أو للخطِّ أنمــــه	ما لم تحنَّ إلى الخطيئة الذبـلِ

= فإذا حكمتنا أن هذه الترجمة دخيلة فمعنى ذلك ان الذي أدرجها هنا اعتمد على القلائد
ومصدر آخر؛ وفي ط د س : وابنه أبو عامر بجهة المرية ناظمٍ ناثِر ، ولم يقع إلي أيضاً ما
أجعله سبباً لذكره ؛ ١٥١ .

١ هذه القصيدة في مدح الامير المرابطي عبد الله بن مزدلي .

٢ القلائد والخريدة : برأ يوم .

لمزدليّ لواءٌ كان يرفعونه^١ مناسبٌ كالضحى والشمس في الحمل
 الجابرين صدوع المعتفي كرماء^٢ والكاسرين الظبا في هامة البطل
 والعادلين عن الدنيا وتضرّتها والسالكين على الأهدى من السبل
 خير التباع والأذواء من يمتنٍ الغالبيين على الآفاق والممل
 يسود في آخر الأعصارٍ آخرهم وساد أولهم في الأعصر الأول
 يا أيها المالكُ المرهوبُ صولتته المرتجى غوثه في الحادث الجلل
 من كابدة العدم لم يكمل له أملٌ والعدم من أقطع الأشياء بالأمل
 فاصفح لعبدك يا مولاه مغتفراً ما كان من خطأٍ أو منطقيّ خطل

وكتب شافعا^٣ : سيدي الأعلى ، وعلقي الأعلى ، وسراجي ، الآجلى ،
 ومن أبقاه الله والأمكنة بمساعيه فسيحة ، والألسنة بمعالیه فصيحة ،
 موصله^٤ - وصل الله جندك - حيوان ، يصفر كل أوان ، ويسفر
 بين الإخوان ، رقيق الحاشية ، يعتمد على كرواء ، ويستمع بخذواء^٥ ،
 وينظر من عين كأنها عين ، ويلفظ بمنقار كأنه من قار ، يسلي المحزون ،
 بالمقطع والموزون ، وينفّس عن المكظوم ، بالمشور والمنظوم ، مسكي الطياسان ، تولد
 بين الطائر والإنسان ، كما سمعت يسمع القلاة ، وعمرو بن السعلاة ،
 قطع من منابت الربيع ، إلى منازل الصقيع ، ومن مطالع الزيتون ، إلى

١ ب م : مردل ولى له كان تدفعه .

٢ ب م : لكما ؛ القلائد : لهم ، والتصويب عن الخريدة .

٣ القلائد والخريدة : وكتب شافعا لرجل يعرف بالزريزير .

٤ القلائد : وشهابي .

٥ ب م : موصله .

٦ الكرواء : الساق الدقيقة ؛ الخذواء : الأذن المسترخية ؛ ب م : كوراء . . . لحدود ؛

القلائد : كدواء . . . بجذواء .

مواقع [١١٠ أ] السحابِ الهتون ، فصادف من الجليد ، ما يُذهب قُوَى الجليد ، ومن البردِ ، ما لا يدفعه الريش والبرْد ، والحدائقُ قد غَمَضَتْ أحداقها ، وانحسرتُ أوراقها ، والبطاحُ قد بقيتِ الفور ، بحبال الكافور ، وأوقعتِ الصرد ، في حبالِ الصرد^١ ، فمنيّ البائسُ بما لم يعهده ، كما وُسِمَ بالزُّورِ مَنْ لم يشهده . ولما قال رأيه ، [وأخفق]^٢ أو كادَ سعيه ، التفتَ إلى عطفةٍ أشمط ، وإلى أديمةٍ أرقط ، فراح ، ثم سوَّى الجناح ، وقد أنكر مزاجه ، ونسي ألحانهُ وأهزاجه ، ولا شك أنه واقعٌ بفنائك ، راشفٌ من إنائك ، آملٌ حُسْنَ غنائك واعتنائك ، وأنتَ بارقٌ ذلك العارض ، ورائدٌ ذلك الأُسْفِ البارض ، تهيبُ له حبّاً ، يجزيك عليه ثناءٌ وحبّاً ، وقد تحفّظَ يا سيدي رسائلَ ، جُعِلَتْ له وسائل ، فسام بها أهلَ الآداب^٣ ، سوءَ العذاب ، ودعا البطيء منهم إلى الإهذاب^٤ :

* وابنُ اللَّبونِ إذا ما لُزَّ في قرْنٍ * .

لا زلتَ منافساً في العلوم ، آسياً للأحوالِ والكلوم ، إن شاء الله عز وجل .

وله في أبي محمد الزُّبير بن عمر^٥ ، مكنَ الله سعدَه ، وقد تقدّم

١ الفور : الأطباء ، والكافور هنا كناية عن الثلج ؛ والصرد : طائر فوق المصفور ، والصرد : البرد .

٢ زيادة من القلائد .

٣ ب م : الأدب .

٤ الإهذاب : الاسراع .

٥ عجز البيت : لم يستطع صولة البزل القناعيس ؛ وهو لحرير كما في اللسان (قنمس) وانظر ديوانه : ٢٥٠ (ط . صادر) .

٦ الزبير بن عمر احد ولاية المرابطين بالاندلس ، ولي قرطبة ، وفي سنة ٥٢٦ هـ امر علي بن يوسف باضافة ولاية قرطبة الى تاشفين وتحويل الزبير الى غرناطة (المغرب ٤ : ٨٧) =

أيا أيها الملكُ الأعظمُ أضاءَ بكَ الزمنُ المظلمُ
وزيته منك تلك العلا كما ازدانَ بالغُرَّةِ الأدهمُ
أدال الشقاءَ لنا بالنعيم فينعمُ مَنْ كان لا ينعمُ
وأقبلَ مستعباً مثلما تنصّلَ من جرّميهِ المجرمُ
فنشكرُ نعمي أنانا بها ولا بدّ أن يُشكّرَ المنعمُ
نهضتُ وحولك لمتونةٌ كما حفّ بالقمرِ الأنجمُ
بكلِّ أغرٍ طويلِ النجاد له المجدُ والشرفُ الأقدمُ
يلوذُ به البائسُ المعنفي ويرهبهُ الفارسُ المعلمُ
إذا سفروا فهمُ كالبدور وهمُ كالآهليّةِ إن لُثموا
فيا حُسْنَهُمْ إن تجلّوا ضحىً وقد ركبوا الخيلَ واستلّاموا
ومدّهم اللهُ من عندهِ بجندٍ من النصرِ لا يُهزَمُ
فحكّمهم في الذي أمّلوا وأظفرهم في الذي يمموا
وحلّوا بارضِ العدا فانبرتُ على كلِّ ناحيةٍ صيلمُ
فكلَّ رجالهم قتلوا وكلَّ معاقلهم هدموا
كأنَّ الجماجمَ بذرُّ لهم وسَقَى الذي بذروه الدمُ
فقلُّ لرئيسهم أين ما حكمتُ لقد ساء ما تحكمُ
تعاطى الثبوتَ على زعمه فلم يُغنِ عنه الذي يزعمُ
ورامَ الفرارَ فلا مَجْهَلُ يفرُّ إليه ولا معلَمُ
وأضحى ومركوبُهُ أبلقُ فأمسى ومركوبُهُ أدهمُ
أنى والبنودُ على رأسِهِ مهاناً ونحسبُهُ يُكرّمُ

= فكانت له معارك في الجهاد مشهورة ، ولما توفي أبوه سنة ٥٣٧ خلفه في امرة المسلمين ،
وقد خاض الحروب ضد الموحدين ، ولقي مصرعه سنة ٥٣٩ (انظر الاطاحة ١ : ٤٥٦
والقرب ٤ : ٧٩ وما بعدها) .

يصصر عقبائها فوقه^١ ويصفر من بينها الأرقم
 لتها هذي الفتوح التي تناسق كالدر إذ ينظم [١١١] أ
 على الشرق والغرب من عزها حفيظ ومن حسنها ميسم
 ولولاه كان السرور الذي أقر العيون بها مآتم
 رجوت الأمير لعلمي به وما جاهل مثل من يعلم
 وقلت عسى المحل أن ينجلي ويعقبنا الوابل المثجم
 فقد يقرب النازح المتأني وينفتح المغلق المبهم
 بني تاشفين سلمتم لنا فمهما سلمتم لنا نسلم
 وأنت لدين الهدى عصمة بها يحتمي وبها يعصم
 خلافتكم غير مجهولة وسير إمامتكم تعلم
 فلو ينطق الله فينا الجماد لناجتك - أعظم بها - زمزم

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي المطرف بن مثنى^١

وهو عبد الرحمن بن أحمد بن صبغون^٢ ، استوزره المأمون يحيى
 ابن ذي النون عدة سنين ، ورمى إليه بيده ، في تدبير بلده ، فاستقل بأعباء
 ما تقلد^٣ ، وغار ذكره وأنجد .

١ من أهل قرطبة وسكن ببلنسية ، انضم إلى المأمون صاحب طليطلة بعد انفصاله عن المنصور
 عبد العزيز بن أبي عامر ، وقد انتفع به الناس في وزارته لدينه وسكون طائره وسلامة
 باطنه وظاهره ، وكانت وفاته ببلنسية ليلة الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة ٤٥٨ ودفن
 يوم الثلاثاء بعده ، ذكره ابن حبان وأطال في الثناء عليه (انظر التكملة رقم : ١٥٥٥ وذكره
 صاحب النفح ٣ : ٥٥٩ ولكنه خلط بيته وبين أبي مروان عبد الملك بن مثنى ، وهذا
 الثاني ترجم له في المطمح : ٣٠) .

٢ د ط س : محمد بن صبغون .

٣ د ط س : قلد .

قال أبو مروان بن حيان^١ : وكان أبوه أحمد^٢ من أبناء أكابر الفقهاء بحضرة قرطبة^٣ بعهد الجماعة ؛ وكان أبوالمطرف عفيفاً دمثاً طاهر الأثواب ، حللوا الشمائل مُطْلَقَ البشر ، متحققاً بصناعة الكتابة ، بذاً أهل وقته في البيان والبلاغة ، وكان مع ذلك يحمل قطعةً وافرةً من علم الحديث وأنواع الفنون ، وتوفي رحمه الله سنة ثمان^٤ وخمسين وأربعمائة .

فصل من رقعة فيها طول لأبي الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي^٥ إليه منها : أطل الله بقاء سيدي ، وجعل درج^٦ المعالي مستقرةً تحت قدمه ، وسُرج المساعي مُسْفرةً عن بوارق هيمته ، وظامئات الأمانى رويةً من لُعَاب سن قلمه ، وعدّبات الإقبال منوطةً بالوَيَّة عزائم وآرائه ، وسطوات الأقدار مربوطةً بأروية^٧ مآربه وأنحائه ، وصبَّ نُوب^٨ الزمان على حسدته وأعدائه .

وفي فصل منها : وقد كانت - [أيدك الله]^٩ - رياض أخباره تزهّر عند بني بنوآر خلّاتقه الزكية التي هي أشهر من فلق الصباح ، وتعبق بمحاسنه^{١٠} الرضية التي هي أسير في الآفاق من هبوب الرياح ، [١١١ ب] فتلطف بنوافر الأرواح ، حتى كأنها المصافاة بين الماء والراح ، فترتعُ الأسماعُ

١ قال ... حيان : سقطت من ط د س .

٢ ط د س : محمد .

٣ ب م : بقرطبة .

٤ د ط س : ثلاث .

٥ ترجم له ابن بسام في القسم الرابع من الذخيرة (المطبوعة ٤ / ١ : ٦٧) .

٦ د ط س : درجة .

٧ الاروية : الحبال ، المفرد : رواء . ٨ د ط س : وصرف نوائب .

٩ لم ترد هذه الزيادة في س .

١٠ د ط س : محاسنه .

من نَضَارَتِهَا فِي مَرْتَعٍ خَصِيبٍ ، وَتَرْفُلٍ مِنْ غَضَارَتِهَا فِي ثَوْبٍ مِنَ الْأَنْسِ قَشِيبٍ ، فَلِلَّهِ هَذِهِ الْمُنَاقِبُ الَّتِي جَعَلَتْ الْعَيْنَ حَاسِدَةً لِلْأُذُنِ ، وَالْفَضَائِلُ الَّتِي حَاجَزَتْ^١ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ ، فَكَلَّمَا أَزْدَادَتْ بِالْأَخْبَارِ بَضَائِعُهَا أَرْبَاحاً ، أَزْدَادَتْ النُّفُوسَ إِلَى تَبَضُّعِهَا طَرَباً وَارْتِيَاخاً ، وَكَلَّمَا رَكَضَتْ دُهُمُهَا فِي مِيَادِينِ الْفَضَائِلِ مَرَاخاً^٢ ، اسْتَفَادَتْ بِالْإِحْمَادِ غُرُوراً وَأَوْضَاحاً .

ومنها : وَكُنْتُ مُرَرْتُ بِلَادِ شُمُوسِ الْفَضَائِلِ^٣ فِي آفَاقِهَا مَكْسُوفَةً ، وَعِيُونَ الْعِلْمِ وَالْآدَابِ^٤ فِي عَرَصَاتِهَا مَطْرُوفَةً ، وَسَائِرُ الْأَحْرَارِ بَيْنَ أَهْلِهَا مَهْتُوكَةً مَكْسُوفَةً ، وَجَنَبَاتُهَا بِأَنْوَاعِ الْبَلَاءِ مُحْفُوفَةً ، وَقَدْ نَضَبَتْ فِي رِبَاعِهَا مِيَاهُ الْأَمَانَةِ وَالْأَمَانِ ، وَتَبَعَتْ بَيْنَ أَهْلِهَا عِيُونَ الْخِيَانَةِ وَالْبَهْتَانِ ، وَضَعُفَ حَبْلُ الدِّيَانَةِ^٥ فِيهِمْ وَالْإِيمَانِ ، فَجَنَحُوا إِلَى جُحُودِ النِّعَمِ وَالْكُفْرَانِ ، وَتَوَسَّعُوا فِي مَطَاوِعِ^٦ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ ، فَأَبْدَلَهُمُ اللَّهُ مِنَ النُّورِ فِي أَحْوَالِهِمْ ظُلَاماً ، وَبِالْحُلَالِ فِي مَكَاسِبِهِمْ حَرَاماً ، وَخَصَّ أَسْعَارَهُمْ بِالْغَلَاءِ ، وَجَمَعَ لَهُمْ بِالْفَسَادِ ، وَلَفِيفَهُمْ بِالتَّشْتِ^٧ وَالْجَلَاءِ ، وَلِلْخِرَابِ مَا يَعْمُرُونَ ، وَلِلْقَتْلِ مَا يَلْدُونَ ، وَلِلنَّهْبِ مَا يَجْمَعُونَ ، وَلِغَيْرِهِمْ مَا يَكْسِبُونَ ، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الزمر : ٤٨) ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ﴾ شديد ﴿(هود : ١٠٢) .

١ ب م : فاخرت .

٢ ب م : فراحا .

٣ د ط س : الفضل .

٤ د ط س : والآداب .

٥ ط د : الأمانة .

٦ د ط س : مطالعة .

٧ د ط س : بالتشتيت .

ركبتُ جواداً من العزم قلتما امتطاه راكبٌ إلاّ فاز بمبتغاه^١ ، وشكرَ
دأبَ سَيْرِهِ^٢ وَسُرَاهِ ، ونثَلْتُ درعاً سابعةً من الحزم^٣ لم يندمُ على ادّراعها
لابس ، ولا استثقل^٤ حَمَلُهَا من الرجالِ أخو نَجْدَةٍ ممارس ، فكَتَّ
عني حَلَقَ الخُدَعِ مِنَ الأَعْدَاءِ والمكايدِ ، وحلَّتْ دُونِي عُقْدَ الحَبَائِلِ
منهم والمراصد ، فخلصتُ من دواعي احتفالهم خلوصَ الخمرِ من نسج
القدام^٥ ، والشمسِ من تحت الغمام ، ولم أزلْ أقطعُ المفاوزَ مسجورةً ،
وأجزعُ الطرقَ مشحونةً باللصوص والدعّار ، أخفي نفسي إخفاءَ القنفذِ
رأسه ، واكتمُ حِسِّي كتمانَ الغرابِ سفاده .

وفي فصل : وأكبرتُ أنْ أفارقَ بلدَ الأندلس وقد أظهرَ الله فيه^٦
إحدى آيَاتِهِ ، الدالّةِ على عظم^٧ معجزاته ، الناطقةِ بصحّةِ براهينه وبيّناتِهِ ،
بسيّدنا المأمونِ بنِ ذي النون — أطال الله بقاءَ سلطانيهِ ، وقوّى دعائمَ ملكهِ
وأركانهِ — الذي أيّده الله بعنايةٍ بسطتْ قدرته ، وأعلّنتْ كلمته ، فأضرمْتُ
شهابَ هيبتِهِ فمَلَأَتِ القلوبَ رغباً^٨ ، وأذكت^٩ بوارقَ سطوته فاخترطتِ
النفوسَ شرقاً وغرباً ، ومدّتْ بحارَ سحائبِهِ [١١٢ أ] فاستملك الرقابَ

١ ط س : بمبتغاه .

٢ د ط س : سهره .

٣ ب م : العزم .

٤ د ط : استقل .

٥ من قول المتنبي :

وضاقت خطّة فخلصت منها خلوص الخمر من نسج القدام

٦ ب م : فيها .

٧ د ط س : عظيم .

٨ ب م : رغباً .

٩ ط س : وأدجت .

عُجْماً وعرباً ، لأَجْلَوْ قذى ناظري ببهيّ طلعتة ، وأزینَ أصغريّ^١ بتحبيرٍ بدائعٍ مدحته ؛ وقد كاتبتُ الحضرةَ العالیةَ تلويحاً بما ذكرتهُ ، راجباً في ما اقترحته ، من تحسینِ عَرَضِهِ بالموقفِ الأشرفِ زاده الله شرافةً ، وتجديدِ المأثرةِ^٢ في النیابة عني به ، وسترِ عورةٍ إن مرّتْ ، وإقالةِ عثرةٍ إن خَطَرَتْ .

فأجابه ابنُ مثنى برقعةٍ أيضاً فيها طول يقول فيها^٣ : وافى كتابك ، فحين لحظتهُ تَلَقَّيْتُهُ بيدِ المقدم ، والتزمته التزامَ المحبِّ المكرم ، وقلتُ عندما استوعبتُ أنواعهُ وفنونه ، واستوضحتُ محاسنهُ وعيونه ، وقيّد نورَ لحظي عيانهُ ، وجلا صدأ فؤادي بيبانهُ : هذا السحرُ الحلالُ ، والعذبُ الزلال ، والدرُّ راقٍ في نظامه ، والنورُ تفتح عن أكامه ، والقطرُ انهلَّ مِن غمامه ، وهكذا تكونُ جزالةُ الأفاضل ، وصفاءُ المواردِ والمناهل ، وصحةُ الالتئامِ^٤ والاتفاق ، والاطرادِ والاتساق :

فكائنٌ فيه من معنىٍ خطيرٍ وكائنٌ فيه من لفظٍ بهيٍّ^٥

ففضوتُ^٦ عن منكبيّ رداءَ الوقار ، واهتززتُ اهتزاز [المهتد بيد] البطلِ المغوار ، ولما استقرتُ ما حواه ، واستوعبتُ ما طواه^٧ ، قلتُ : هذه مكارمُ الأخلاق ، وبدائعُ أنفاسِ العراق ، وأنحاءُ ذوي الأفهام والألباب ،

١ د ط س : وأقيم شعري . ٢ ب : المايابة .

٣ د ط س : برقعة منها .

٤ د ط س : الاقسام .

٥ البيت لابن أبي تمام ، ديوانه : ٣٥٥ .

٦ ط س : فتصوب .

٧ د ط س : وعاه .

وَمَاخِذُ أَهْلِ الْفَضْلِ^١ وَالْأَحْسَابِ ، وَقَدْ كَانَ أَدُهُشَنِي مَا اخْتَرَعْتَ ،
وَعَمْرٌ^٢ فِكْرِي مَا شَرَعْتَ ، فَنَادَيْتُ نَفْسِي وَقَدْ اسْتَشْرِفْتُ أَوْتَبُهَا ، وَنَازَعْتُهَا
وَقَدْ شَرَقْتَ^٣ أَوْدِيَهَا : حَذَارٍ مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ ، وَمَأْثُورِ الْكَلَمِ ، يَا نَفْسُ قَفِي عِنْدَ
مَقْدَارِكَ ، وَكُفِّي مِنْ غُلُوتَائِكَ ، وَأَعْلَمِي مُنْتَهَى خَطْوِكَ^٤ ، وَمَدَى شَأْوِكَ ،
فَقَدْ رَمَتْ بَغْدَادُ بِأَفْلَازِ كِبْدِهَا إِلَيْنَا ، وَأُطْلِعَتْ نَسِيجَ وَحْدِهِ عَلَيْنَا ، فَأَتَى لَكَ
بِمَعَارِضَتِهِ وَقَدْ بَاهَى بِهِ عَلَى أَبْنَائِهِ الزَّمَنُ ، وَخَرَسَتْ فِي أَوْصَافِهِ وَخِلَالِهِ^٥
الْأَلْسُنُ ، فَلَا تَتَمَرَّسِي لِهَذَا الْأَلْمَعِيِّ النَّقَّابِ ، دَاهِيَةِ الْغَبْرِ^٦ ، وَعَلَّمَ
الْبَشَرَ ، فَمَا أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْعُلُوِّ وَالْخَفْضِ ، وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَأَيْنَ النُّورُ
مِنَ الظُّلْمَةِ ، وَالْإِفْصَاحُ مِنَ الْعُجْمَةِ ، وَرَقَّةُ الطَّبَعِ مِنْ جَفَائِهِ ، وَكَبْدَرُ
الْجَوِّ مِنْ صَفَائِهِ ، وَكَيْفَ مَجَارَاةُ الْكُودِنِ لِلْعَتِيقِ ، وَمُقَارَنَةُ التَّشْبِيهِ بِالتَّحْقِيقِ ؟ !
وَكَيْفَ نُجَارِيهِمْ ، وَإِنَّمَا نُحْكِيهِمْ ، وَهَلْ نَحْنُ — أَهْلَ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ النَّائِيَةِ
عَنْ خِيَارِ الْأُمَمِ ، الْمَجَاوِرَةِ لِحَمَاهِيرِ الْعَجَمِ — إِلَّا أَجْدَرُ الْبَرِيَةِ بِاللَّكَنِ ،
وَأَوْلَاهَا بِعَدَمِ الْفُطْنِ ، وَأَخْلَقَهَا بِالْخَرَسِ ، وَأَحْقَقَهَا بِغُلْطِ الْحَسِّ ؟ !
فَلَمْ يَقَرَّرْ سَمْعُ ابْنٍ مِنْ أَبْنَاءِ خَاصَّتِنَا^٧ عِنْدَ مِيلَادِهِ ، وَلَا خَامِرُ طَبْعِ الرُّضِيعِ
مِنْهُمْ فِي مَهْدِهِ^٨ ، إِلَّا كَلَامُ أُمَةٍ وَكُنْعَاءُ^٩ ، أَعْجَمِيَّةٍ خَرَقَاءَ ، وَلَا

١ د ط س : وَمَاخِذُ الْفَضَائِلِ .

٢ ط : وَغَمْرُ . ٣ د ط س : نَزَقَتْ .

٤ د ط س : خَطْرُكَ . ٥ د ط : وَحِلَاةُ .

٦ مِنْ قَوْلِ الْخُرَمَازِيِّ : دَاهِيَةُ الدَّهْرِ وَصَمَاءُ الْغَبْرِ ؛ رَاجِعِ الْمَعَانِي الْكَبِيرَ : ٦٧١ وَاللَّسَانَ
(غَبْرٌ) وَفَصَلَ الْمَقَالَ : ١٤١ ؛ وَالْغَبْرُ : الْمَاءُ الَّذِي قَدْ غَبِرَ زَمَانُهُ غَيْرَ مُورُودٍ وَلَا يَقْرَبُهُ
أَحَدٌ مِنْ أَجْلِ تِلْكَ الصَّمَاءِ وَهِيَ الْحَيَّةُ .

٧ د ط س : سَمِعَ طِفْلٌ مِنْهَا .

٨ د ط س : وَلَا خَامِرُ رُضِيعَتِنَا فِي مَهْدِهِ ..

ارتضعَ إلّا ثديها ، ولا اكتسبَ إلّا عيها ، ولا سكن [١١٢ ب] إلّا في حِجْرها ، ولا مَرَنَ إلّا بتدبيرها ، حتى إذا صار في عديدِ الرجال ، وانتهى إلى حدودِ الكمال ، باشر طوائفَ النصرانية فخطبهم بألستهم ، وجدّ في حفظ لغتهم ، وعانى طباقهم^١ ، وكابد أخلاقهم ، أفليس الذكاء مع هذا أبعدَ من ذُكاء عنه^٢ ؟ وأما العامةُ منّا^٣ فقد انقطع فيها المقالُ ، وصححت المخيلةُ والحالُ^٤ ، فلما قرّعتُها^٥ هذا التفريع ، وروعتها هذا الترويع ، عادت إلى الحمد ، بعد الوقود ، وآلت إلى الفتور والحمول ، وعاذت بالنكوس^٦ والنزول ، قد انفلَّ حَدُّها ، وآل سكوناً تحريكُها وَجَدُّها ؛ ثم لم أستبدَّ أن أُجري في ميدانِ الرأي جوادَ نظري ، وأرسلَ في أرضِ الاختبار رائدَ فكري ، وأرفع عن النفسِ غطاءَ التَّركِ ، وأخلص الصوابَ عن الإبريز من السبِّك ، ورأيتُ ما في التوقفِ عن مطالعتك ، من الإخلال بمكارمتك ، فرشح جيبني عرقاً ، وانزعج قلبي تحرقاً ، فراجعتُ مخاطبةَ النفس ، ممسكاً من وحشتها بطرفٍ من الأُنسِ : إن أبا الفضل الفاضل سيدي — دامت حياته — ، قد ناداني^٧ بلسانِ وداده ، وأوماً إليّ ببنانِ اعتقاده ، وأطار نحوي طائرَ الارتياح ، فلم يقع مني إلّا على ثمرةِ الفؤاد ، وحنَّ إليّ حنينَ الألوِّف الأليف ، وواصلني مواصلةَ الحليم الحليف ، وأهدى إليّ نزاعه ، وألقى عليّ بَعَاعَهُ ،

١ د ط س : وعامل طبقاتهم .

٢ ط د س : فالذكاء مع هذا منه . . . الخ .

٣ د ط س : وأما عامتنا بعد .

٤ ب م د ط س : وصحت الحيلة والحال .

٥ ب م : أقرعتها ؛ د ط : فزعتنا هذا التفريع وروعتنا ؛ س : أفرعتها . . . التفريع .

٦ ب م : بالنكوس .

٧ ب م : قد نادى .

فكيف لي أن أعدلَ عن إليَّ أقبلَ ، وأصدفَ عن بي كلف ؟ فعارضتني
أشدَّ المعارضة ، وناقضتني أبلغ^١ المناقضة ، هيهات ! لا يُبلَّغُ الخَضْمُ
بالقَضْمِ ، ولا يَنْتَهِي منالُ الكفِّ إلى^٢ مباراة النجم ، فاسلكِ النهجَ القويم ،
فمنكَ مَنْ أَعْتَبَكَ ، وأخوكَ مَنْ صَدَقَكَ ، فوجدتني بين حالي
اضطرابٍ ، ليس فيهما حظ لمختار^٣ ، فيما أن أَعْتَمِدَ المخاطبةَ ، وألْزِمَ المكاتبةَ ،
على علاقي ، ونبوَ شَبَاتِي ، بطبعٍ كليلٍ ، وذهنٍ غيرٍ صَقِيلٍ ، ولما أن
أرفضَ المراجعةَ رفضَ المليم ، فأكونَ عَيْنَ الجاني^٤ الذميم ؛ فَأَنْفَذْتُ
كتابي مبتغياً وَجَهَ موافقتك وإرضائك ، ومتوخياً مضمونَ تغمدك وإغضائك ،
وأنتَ إن أَلْفَيْتَ حَسَنًا تَنَاهَيْتَ فِي نَشْرِهِ ، أو عَايَنْتَ قَبِيحًا طَوَيْتَهُ عَلَى
عَرِّهِ ، وبودِّي أنَّ معتمدي لا يَسْلُطُ عَلَيْهِ حَقِيقَةُ نَقْدِهِ ، ولا يَصْرِفُ إِلَيْهِ
مُرْهَفَ حَدِّهِ ، وأن يَلْمَحَهُ بِأَقْلٍ لَمَحَ ، وَيَسْمَحَ فِيهِ أَفْضَلَ سَمَحَ .

وأما ما أَرْجِعُ إِلَيْهِ وَيَنْطِقُ لِسَانِي بِهِ مِنَ الإِشَادَةِ بِالشُّكْرِ ، الَّذِي أَبْغِيهِ سَمَةً
فِي وَجْهِ الدَّهْرِ ، وَالْكُنَايَةَ عَنِ الْعَهْدِ الَّذِي هُوَ أَثْبَتُ مِنْ ثَبِيرٍ ، وَأَطْيَبُ مِنْ
الماءِ النَّمِيرِ ، فَلَوْ أَمَكَّنِي أَنْ أَوْصَلَهُ إِلَيْكَ عَلَى مَتُونِ الرِّيحِ لَأَوْصَلْتُ ، وَلَوْ
أَتَيْتُ لِي أَنْ أُمَثِّلَهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ لِمَثَلْتُ ، وَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ مَا جَالَ بِهِ بَيَانُكَ
الَّذِي عَذَّبَ مِنْهُلَهُ وَمَشْرَبَهُ ، وَشَفَّ جَوْهَرَهُ وَرَفَّ ذَهَبَهُ ، [١١٣ أ]
وَاصِفًا وَصَفَ الْمُسْتَكْمَلَ ، وَمَوْضِحًا إِضْصَاحَ الْمُحْتَفَلِ ، وَفَهَمْتُ مَا نَصَصْتَهُ

١ ط د س : أشد .

٢ ط د س : مقال إلى .

٣ من قول الأعشى :

فقال ثكل وغدر أنت بينهما فاختر وما فيهما حظ لمختار

٤ ب م : الجاني ؛ ط د س : الجاني .

فيما سنتُ لك عوائدُ الأيام ، من الانتباز^١ عن الطوائف اللثام ، الذين
ألبستهم ملابسَ الملام^٢ ، وحلّيتهم بحلى المدام^٣ ، حتى لشغلتَ بوصفهم
الأفكارَ ، فأوجبت الاستعاذة والاعتبار ، وأتيت بأغربِ الشنع ، في
ما أوردت من تلك اللمع ، وسردت القول الرفيع سرداً ، فكأنما نظمت به
في جيد الدهر^٣ عقداً .

وإنك — أعزك الله — لما نمي إليك ما تحملته الركائبُ، وأثنت به الحقائقُ،
وغمرَ المسامعَ ، وعمرَ المشاهد والمجامع ، وامتلاّت منه الآفاقُ ، ووقع
عليه الإصفاق ، من محاسن المأمونِ ذي المجدين التي هي كالنجوم اعتلاء ،
والصباح انجلاءً ، والروض بهاء ، وأُنك شِمتَ من كرم شيمته برقَ
النجاح ، وأملتُ أن تضربَ في خدمته بمعلّى القِداح ، أحببت أن ترميَ
إليه بعزمتك ، وتقذف نحوه بهمتك ، فتجلو ناظرك ، وترهف خاطركَ ،
بمجاورة بحرِ المنن ، وفخرِ الزّمن ، وزعيمِ الأَنام ، وكريمِ الأخوالِ
والأعمام ، وبديعِ الأوصاف ، وموطأ الأَكناف ، وأحلمَ من فرخِ الطائر ،
وأمضى من الحسام الباتر ، ومن سَجِيئَتِهِ الفضل ، وسيرته العدل ،
وقولُهُ الفصلُ ، وحبأوهُ الجزلُ ، تلوحُ على وجهه تباشيره ، وتتملى
الإمامة أساريه ، ملاه الله أطولَ الأَعمار ، كما حاز له أعظمَ الفخار ،
فأرجو أن قد أصبتَ ثمرةَ الغُرَابِ^٤ ، وارتدتَ أزهرَ الجَناب ، واجتنتِ

١ تلخصت هذه الفقرة من أولها في د ط س فجاءت: وقد وقفت على ما وصفته من الانتباز. . .
الخ ؛ وصدرت بـ «وفي فصل» .

٢ ب م : الأيام . ٣ د : الزمان .

٤ إذا أصاب الرجل عند صاحبه أفضل ما يريد من الخير والخصب قالوا : وجد ثمرة الغراب
وذلك ان الغراب إنما يبتغي من الثمر أجوده وأنضجه لقرب تناوله عليه في رموس
النخل (ثمار القلوب : ٤٦٣) .

خيار الجني ، ومهدت في موطن العلا ، فما أغبطني باختيارك ، وأبهجني^١
 بدنو مزارك ، فما كان سهمك ليمضي إلا بعيداً ، وليقع إلا سديداً ،
 وما كان ميمزك ليختل ، ولا سعيك ليضل ، فالمرء مستدل عليه
 بفعله ، واختياره قطعة من عقله ، وقد ناديتُهُ فأجاب ، واستمطرت سحب
 برة فصاب ، وتلقاك باليمين ، وأقرّك بالمكان المكين ، واستطال نحوك الزمان ،
 بل استكثر الساعات والأحيان ، وانتظرك^٢ غدواً ورواحاً ، وترقبك
 مساءً وصباحاً ، وأما الفؤاد فإليك منجذب ، وبودك مشرب ، ولو
 استطعت خفضت طرفي فلم أبصر به حتى أراك^٣ ، شرهاً إلى لحافك ،
 وتهالكاً على نفيس أخلاقك .

قال ابن بسام : ولأبي المطرف ، غير ما فصل مستطرف ، وقلتما
 يتعطل من حلتي البديع ، وانحفزت في تحرير هذه النسخة من هذا المجموع ،
 وفات [دركي] ، ولم يعلق منه إلا ما كتبت [بشركي] .

[فصل] في ذكر الوزير الكاتب أبي عمر بن القلاس^٤

من عليه كتاب الثغر الأعلى - كان ° - ، في ذلك الأوان ، [وهو على

١ د ط س : بما اغبطني . . . وأبهجني .

٢ ب م : وانتظرت .

٣ من قول المتنبي :

فلو أني استطعت خفضت طرفي فلم أبصر به حتى أراك

٤ ذكر ابن القلاس (بالفاء) عرضاً في المغرب ١ : ٣٦٣ والنفع ١ : ١٨٦ وقال المقرئ :

وبنو القلاس من أعيان حضرة بطليوس ؛ ولا لبس في قراءة القاف بحسب الكتابة المغربية

والاندلسية ، والقلاس هو صانع القلائس ، ولعل هذا هو الصواب في الاسم .

٥ ب م : وكان من عليه . . . أيضاً .

الجملة [نائراً مجيداً ، ومحسنٌ معدود ، في كتابِ بني [١١٣ ب] هود ، وله ترسيلٌ كثير ، مُعَرَّبٌ عن أدب غزير ، وإنشاءٌ ذهبَ فيه إلى التطويل اقتضبتُ منه بعضَ الفصول^١ ، تخفيفاً للتثقيب ، تليقُ بالكتابِ ، وتشرُّهُ إلى مطالعتها أنفُسُ الكتابِ .

جملة من رسائله في أوصاف شتى^٢

فصلٌ له من رقعة عن ابن هود إلى مجاهدٍ أبي الجيش الموفق : نحن وإن قصرنا بالمخاطبة ، وأغبينا بالمكاتبة ، محافظون على العهد القديم ، معترفون بالحقِّ الكريم ، معتقدون للفضلِ العظيم ، شاكرون لله تعالى على الهبة^٣ السنيةِ فيك ، والنعمةِ بك ، إلاَّ أنه كدَّرَ نعمتَنَا وصفوَ المعيشة عندنا ، وأقلقَ دعةَ النفوس ، وشرَّدَ وَسَنَ العيون ، ما تردُّ به الأنبياء من الوحشةِ الواقعة بينك وبين المنصور - أيدِّ كما الله - مما لو يستطيعُ الفداء له بكلِّ عِلْقٍ غَالٍ ، ومعالجةِ التباينةِ بكلِّ نفيسٍ عالٍ ، لما تأخَّرَ عن ذلك أحدٌ ، ولا قرَّ على غيره خَلَدٌ ، رغبةً في الألفةِ بينكما ، وحرصاً على تمام النعمة للمسلمين فيكما ، فأنتما فئةُ الإسلام ، وعمدةُ الأنام ، ومتى اضطربَ لكما حَبْلٌ ، وانصرم منكما وصل ، فَشَمِلَ الكلَّ شَتِيَّتٌ^٤ ، ووصلُ الجميع مبتوت ، فالله الله في الدين أن يألمَ بكما ، والحرمة أن تذهبَ بينكما ، فالعيون في الصلاح إنما كان سُمُوها إليكما ، فما ظنكما

١ د ط س : فصول .

٢ لم يرد هذا العنوان في د ط س .

٣ د ط س : المنة .

٤ د ط س : مشتوت .

بالمسلمين وقد أصيبوا في مستقر آمالهم ، وَجَدَتِ الاستحالةُ حيثُ كان
الرجاء في صلاح أحوالهم ؟ !

[وله] من أخرى [عنه إليه] : مَنْ استضاءَ بسراج رأيك المسدّد ،
واستنجحَ بِبَيْمَنْ سَعْدِكَ المؤيّد ، واستظهر بنافذِ عَزْمِكَ ، وتكثّر ببالغِ
حَزْمِكَ ، واعتضدَ بخالصِ إِيْثَاقِكَ ، وأسندَ إلى صدقِ وفائك ، كان
قميناً^١ أن تنجابَ عنه ظُلُمُ المُشْكِلَاتِ ، وتفرّجَ له قُحْمُ المعضلاتِ ،
وتستقلَّ به مراكبُ النجاح ، وتتطلعَ إليه عواقبُ الصّلاح ، ويذلَّ له الصّعبُ
الجامح ، ويسهلَ عليه الخطبُ الفادح ، فإنك — واللهُ يُبْقِيكَ — الميمونُ
النقيّة ، الكريمُ الصّريّة ، السعيدُ الجدّ ، المحمودُ العهد ، الذي إن اقتدح
زنلأ^٢ أورى ، وإن اعتمدَ حدّاً^٣ فرى ، وإن ودَّ صدقَ وحققَ .

. وفي فصل : واني منذ استنجحتُ فيما كنتُ أُحاولُهُ من ذلك الأمر ،
ببركة^٣ سفارتك ، واستظهرتُ عليه بسعادةٍ وساطتك ، وضربتُ مستصعبه
بجدٍّ ومؤازرتك ، واقتدتُ مُمْتَنِعَهُ بقوةٍ مظاهرتك ، لم أزلُ أشيمُ تباشيرَ
النّجحِ لائحة ، وأتبيّنُ مخايلَ الفلّجِ واضحة ، وأجدُّ شدةَ قيادةٍ تلينُ ،
وعزّ^٤ إيايةٍ يهون ، إلى أن تأتّى — بحول الله — الأملُ ، وأنجحَ العملَ ،
وأصحبَ ما كان أليماً ، وقَرُبَ ما كان قصيماً ؛ وكان للوزير الكاتب أبي
[١١٤ أ] فلان في ذلك المنابُ الحميد ، والسعيُّ الوكيد ، الذي سهّلَ به
الحَزْنَ وقَرَّبَ البعيد ، وكذا يكون [مَنْ] ثَقَفَهُ تَأْدِيبُكَ ، وأقامَ

١ د ط س : قمنأ .

٢ ب م : زنده ... حده .

٣ د ط س : استنجحت في الامر ببركة ... الخ .

أَوَدَّهٗ تَهْذِيكَ ، إِذَا سَفَرُ أَصْلَحَ ، وَإِذَا سَعَى أَنْجَحَ ، وَهَذِهِ الْحَالُ [لَكَ]
أُولَٰهَا وَآخِرُهَا ، وَبَاطِنُهَا وَظَاهِرُهَا ، فَبِكَ اتَّضَحَ مِنْهَا جُهَا ، وَأَضَاءُ سِرَاجِهَا ،
وَبَسْعِيكَ انْفَسَحَتْ سُبُلُهَا ، وَتَأْتَى مُؤَمَّلُهَا ، وَارْتَفَعَتْ أَعْلَامُهَا ، وَتَهَيَّأَ
تَمَلُّمُهَا ، وَأَنْتَ الْمُسْدِي لَهَا وَالْمُلْحِمُ ، وَالْعَاقِدُ لِأَسْبَابِهَا الْمَبْرَمِ .

وله من أخرى : إِنَّ أَحَقَّ الْأَخْبَارِ ، بِالتَّحَدُّثِ عَنْهَا وَالْإِخْبَارِ ،
وَأَوَّلَآهَا بِأَنْ تَثِيرَهَا أَلْسِنَةُ التَّهَادِي وَالتَّنَاقُلِ ، وَتَنْشُرَهَا أَيْدِي التَّكَاتِبِ
وَالرَّاسِلِ ، خَيْرٌ أَعْرَبَ عَنْ نِعْمَةٍ تَعْمُ الْمُسْلِمِينَ ، وَمِنَّةٍ يَنْظُمُ نَفْعُهَا
الدُّنْيَا وَالدِّينَ ، وَأَبَانَ عَنْ مَسْرَةٍ وَقَعَتْ وَالْآمَالُ دُونَ نَيْلِهَا وَاقِعَةٌ ، وَبَشَرَى
طَلَعَتْ وَالْأَحْوَالُ عَنْ مِثْلِهَا دَافِعَةٌ ، وَكَانَ لَهُ مِنْ ذَاتِهِ ^١ شَاهِدٌ يُصَدِّقُهُ ،
وَبِرْهَانٌ يُحَقِّقُهُ ، وَوَضُوحٌ يَحْمِيهِ عَنْ أَنْ تَعْتَرِضَ عَلَيْهِ شُبُهَةٌ الظُّنُونِ ،
وَجَمَالٌ يُغْنِيهِ عَنْ تَكَلِّفِ التَّحْلِيَةِ وَالتَّزْيِينِ ، وَتِلْكَ صِفَةٌ مَا أَقْصَدَ مُحَادَثَتَكَ
بِنِعْمٍ ^٢ اللَّهُ عَلَيْنَا فِيهِ ، وَأَعْتَمَدَ إِهْدَاءَهُ إِلَيْكَ مَشْرُوحَةً جُمْلَتُهُ مُوَفَّاةٌ
مَعَانِيهِ .

وفي فصل ^٣ : إِنْ أَوْلَى النِّعَمِ بِأَنْ يُتَحَدَّثَ عَنْهَا حَدِيثَ اعْتِمَادٍ
لشُكْرِهَا ، وَبَيِّنَةٍ عَلَيْهَا تَنْبِيهِ إِشَادَةٍ بِقَدْرِهَا ، نِعْمَةٌ خَصَّتِ الدِّينَ ،
وَعَمَّتِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَعْلَتْ لِلْإِسْلَامِ يَدًا ، وَفَتَتْ مِنَ الشَّرْكِ عِضْدًا ،
وَشَدَّتْ مِنَ الْإِيمَانِ سِنًّا ^٤ ، وَأَوْهَتْ مِنَ الْكُفَّارِ رُكْنًا ، فَلِذَا مَوْقِعَ الْعُمُومِ

١ د ط س : رَأْيُهُ .

٢ د ط س : بِنِعْمَةٍ .

٣ د ط : وَاهٍ مِنْ أُخْرَى .

٤ ب م : يَحْدُثُ ؛ ط د س : بِهَا .

٥ د ط س : مِثَاقًا .

٦ د ط س : وَهَدَتْ مِنَ الْكُفْرِ .

واقعة^٢ ، والقريبَ والبعيد^١ في نفعها جامعة^٣ .

وله^٢ : انه لما كان من شرطِ مَنْ ابتدأ أن يُتَمَمَّ ، وسُنَّةٍ من سَدَّيْ أن يُلْحَمَ ، وحُكْمٍ من نهجِ عملاً أن يُقْضَى به إلى غايته ، وسبيل مَنْ أَخَذَ في سعيٍ أن لا يرجعَ دونَ نَهايته ، وَجَبَ على فلان - أبقاه الله - أن يتلوَّم على الحال التي انفردَ بفخرِ تأسيسها وتشبيدها ، وفاز بحسن^٣ منابه في تقريرها وتمهيدها ، حتى يستوفي^٤ فيها حقائقَ العمل ، ويبري^٥ منها [جميعَ] العلل ، ويسدَّ من جوانبها دقائقَ الخلل ، إذ كان هو الذي شرَعَ مبادئها ، وبه انتظم متناثرُها ، وبلغفه^٥ سكنَ متناثرُها ، وما زال يسعى أفضلَ سعي ، ويصدعُ بأجملِ رأي ، حتى قرَّرَ الأمورَ على أثبتِ قواعدِها ، وشدَّ رباطَ معاقِدها ، فلما صحَّحها تصحيحاً أمينَ التياث ، وأبرمَها إبراماً لم يحذرِ انتكاثَها ، وجب عند ذلك أن يَقَعَ صدرُها ، ويحينَ مُنْصَرَفُه ، فصدرَ محتقِباً اليك من حقيقةٍ ودِّي ، وطيبَ ثنائي وحمدي ، ما إذا جلاه^٦ في مَعْرِضِهِ راقَكَ مُجْتَلَاهُ ، وإذا أجنَاه على حسبه عَدْبُ عندكَ جناه ، وبه اكتفيتُ عن مدِّ أطنابِ [١١٤ ب] القولِ^٧ في الإخبارِ عن هذا وسواه ، فهو بتفصيلِ جُمْلَتِهِ لديكَ جديرٌ ، وبها خير^٨ .

١ ب م : والغريب البعيد .

٢ ب م : وفي فصل منها .

٣ د ط س : وكان يحسن .

٤ ب م : تستوي .

٥ ط س : وبلغظه .

٦ ب م : أجلاه .

٧ د ط س : مد الأطناب .

٨ م : حذر وبها خير ، ب : جذر .. خير .

الخبر ببادرة أحمد بن سليمان بن هود فيما كان رامه من الفتك بأخيه^١

﴿قال﴾ أبو مروان: وفي رمضان من سنة خمسين وأربعمائة سقط الخبر إلينا بذلك ، وكانا اتفقا على الالتقاء طلباً للسلم والكف عن الفتنة ، فلما خرجا للمكان المتفق عليه ، تكارما في اللقاء وتدانيا دون أحد من أصحابهما ، وكلاهما حاسراً أعزل ، على ما تشارطاه ، تمكيناً لطمأنينتهما ، فتنازعا الكلام فيما جاءا إليه ، فلم يرعُ يوسف إلا إطلال فارس عليه من ناحية موقف معسكر أخيه أحمد ، شاكي السلاح ، يبرق سنان رمح ، وإذا بطريق من مستأمنة النصارى الحرييين الخادمين معه قد واطأه أحمد على الفتك بأخيه ، فانقضَّ على يوسف وهو يكلم أخاه ، وأحمد يصبح ، حتى خالط يوسف وطعنه ثلاث طعنات ، وتحت ثوب يوسف درع حصينة كان قد استظهر بلباسها خلال أثوابه أبداً بالحزم ، فردَّت سنان الرمح عنه ، وصاح يوسف نحو أصحابه : « غُدِرْتُ » ! ! فابتدروه وتَجَوَّأ به وقيداً بجراحه ، وقد ابتدر أحمد رجاله ، واختلط الفريقان اختلاطاً قبيحاً ، كادت تقع بينهم ملحمة ، أطفأها أحمد بالبرؤ من العليج لوقته والبدار إلى قتله ، ورَفَعَ رأسه والنداء عليه ، فسكن شَغْبُ الفريقين ، وانكفأ

١ هذا الفصل لم يرد في د ط س ؛ قلت : وكان لسليمان بن هود خمسة أبناء قسم عليهم بلاده في حياته فولى أحمد مدينة سرقسطة ويوسف لاردة ومحمداً قلعة أيوب ولباً مدينة وشقة والمنذر مدينة تطيلة ؛ فلم يزل أحمد يحتال على أخوته حتى أخرج بعضهم من مواضعهم وسجنهم وكحل بعضهم بالانار ؛ وامتنع منه يوسف حسام الدولة صاحب لاردة ، فكره أهل الثغر أحمد وصيروا أمرهم إلى أخيه يوسف ولم يبق لأحمد إلا سرقسطة ، ثم دارت الأيام وعاد أحمد فبسط سلطانه على عدة مدن وتضاءل شأن يوسف (البيان المغرب ٣ : ٢٢٢ وما بعدها) .

كلُّ إلى وطنه ، فعادت حالُ ابني هود كالذي كانت من التفرق .

ورد كتابُ يوسفَ على ابنِ جهور بقرطبةَ من إنشاء أبي عمر ، يقول فيه بعد الصدر : وبعد^١ ، باعدتْكَ الآسواءُ^٢ ، فإن حوادث الدهر وصروفه آياتٌ للمبصرين ، وفي أحوالِ ذوي الشرِّ والفسوقِ عبرةٌ للمعتبرين ، وإذا تصفحتُ منها القريبَ والبعيدَ ، والمنقضيَ والجديدَ ، لم أجدُ في جميعها حالاً توازي حالَ الحَبِّ الخبيثِ ، والغَدورِ النكوثِ ، علِمَ دهره فجوراً وخترأ ، ونسيجَ وحدهِ نفاقاً وغدراً ، القاطعِ مني بلؤمِ أفعالهِ وشيمه ، أسبابَ قُرْباه ورحمه ، والمتقدمِ بدميمِ بغيه وتعديه ، إلى صميمِ أسرته وأدانيه ، وهذه صفةٌ لا يَخْفَى مكانُ الموصوفِ بها وأنه صاحبُ سَرَقْسطَةٍ - قارضه الله بما هو أهلهُ ، وأبعدَ مثله وأينَ لا أينَ مثلهُ ؟ ! - . وقد كانت الأيامُ أبدتُ منه أفاعيلَ مستشعنةً شَرَقَ ذِكْرُهَا وغَرَبَ ، كما [١١٥ أ] أبدعَ وأغربَ ، وكادت تكونُ سمرأً للسامرين ، وقصصاً تُتلى في الغابرين ، وحاولُ أموراً مُسْتَفْظَعَةً مَقْتَهَ فيها الرشيدُ والغوي ، وتبرأ منه الداني والقصي ، لم تُفِدْهُ إِلَّا الخزيَ الذي لا يزالُ ناظراً من بقاءه ، ولم تَكْسُهُ إِلَّا العَارَ الذي لا يراهُ مبايناً باحتفائه ، وأبى على ذلك إِلَّا تمادياً فيها وإلخافاً ، وأبَتِ الأقدارُ عليه إِلَّا إعراضاً وإخلافاً ، فكلما مدَّ بالبغي يداً ، أوهنَ الله بطشها وأبدَها ، وكلما نَصَبَ للمكرِ حِيالةً هَوَّنَ الله ختلها^٣ وَكَيْدَها ، فضلاً من الله ونعمةً ، وكفايةً لمن توكلَ عليه وعصمةً ، وجزاءً للباغي بمكره ، وقرضاً للمتصدّي

١ من هنا تعود د ط س الاشتراك مع ب م ، وصدر الفقرة : « وله من أخرى عنه إلى

ابن جهور في خبر أخيه ، قال فيها : وبعد . . . الخ » .

٢ ب م : خلتها .

بغدره ، والله لا يَهْدِي كيدَ الخائنين ^١ ، ولا يصلحُ عملَ المفسدين .
 ٥ وكنتُ قد أبرمت معه بعد تلك الهنات التي جرّت ، والشدائد التي انقضت
 عقدة السلم ، فاعتزمَ صاحبُ برشلونة على حربه ، واستنهضني للدخولِ
 في حربه ، ففللتُ بعد جُهدٍ مني حدَّ غرْبِهِ ، واستمرتِ الحال على
 أعدلِ مناهجها ، ولم يتعذّر مني قطُّ عليه بُغية ، ولا أبطأتُ معونة ، ولم يزل
 يُقسِمُ لي بأيمانه التي تضحُّ إلى الله من فجوره فيها مشافهةً ومكاتبه ، بعدما
 أقسمَ من قبل به وأشهدَ أعلامَ المسلمين عليها ، بأنه لا يُضمرُّ لي بقيةَ
 الأيام غائلةً ، ولا يُدْخِلُ عليَّ داخلةً ، وطالتُ مصانعتي لي بِزُبْرَجٍ من
 نفاقِهِ وخداعه ، يرفّ على بهرَجٍ من أخلاقِهِ وطباعه ، وأنا على ذلك
 عالمٌ بدخائله وسرائره ، مستعيدٌ بالله من الانطواءِ على ضمائره ، فلما
 أراد الله أن يَفْضَحَهُ الفضيحةَ العظمى ، وَيُقْنَعَهُ بالخزية الكبرى ،
 تقدمتُ بيننا مقدّماتٌ اقتضتُ لنا الاجتماع ، فحركني إلى طَرْفِ عمله .
 وقد كنتُ آنستُ منه شرّاً بنى عليه معَ بعضِ علوجِ البشاكنة ^٢ في الفتك بي ،
 فأوصيتُ إليه ألاَّ يَحْضُرنا أحدٌ منهم ، فقلق قلقاً صرّح به ، وأقام متردداً
 بالثغر يزعمُ تلك البَغِيّة ^٣ ، إلى أن التقينا ، وكنت قد استشعرتُ من سوء الظنِّ
 بِمَن هو كصرفِ الدهر لا أمانَ منه ولا اغترارَ به ، فأوصيتُ إلى أصحابي
 باحتضارِ سيوفهم ، واطّراح ما عدّاهم من سلاحهم ، ولبستُ أنا [أيضاً]
 تحت ثيابي درعاً حصينةً ، والتقينا ، ثم تجارينا في فنونِ القول ، فإذا

١ ناظر الى الآية : ٥٢ من سورة يوسف .

٢ ط د س : البشاكسة ؛ وهم جماعة البشكنس .

٣ ب م : يريغ . . . البنية .

٤ ط د س : باحتضان .

بفارسين من عبيده قد جمعا رُمَحَيْهِمَا فِيَّ ، وثالثٌ قد سبق إليَّ ، بمسك^١ عنان فرسي ، إلّا [أني] ركضته ، فخرج بِعَيْتِقِهِ ، واستلَّ أصحابي عند ذلك سيوفَهُمْ ، وأدركَتَهُمْ حَفَائِظُهُمْ ، فحملوا إليَّ وفرَّ أولئك عني ، واكتنفي أصحابي ، فانصرفتُ وبني طعناتٌ قد واقعتني على الذراع لم يعظمُ بحمدِ الله كلّمها ، وانصرف الغادرُ قد أدحض الله سَعْيَهُ ، وأبطلَ بغيه ، يَعْصُ بنانه [١١٥ ب] أسفاً ، ويقرعُ سنّه ندماً ، ولا صفقة كصفقته الخاسرة ، ولا سُوءى كفعلته الفاجرة ، فلما وصل إلى بلده أراد سترَ الحال بزعمه ، وتوهيمها على ما جرى في وهمه ، فأشاع أن النصاري الذين كانوا معه أرادوا غدري وَغَدَرَهُ ، وخرقَ في ثيابه^٢ خرقاً زعم أنه أثرُ رمحٍ أشرع إليه ، فكان اعتذارُهُ بهذا العذر^٣ زائداً في ذنبه^٤ ، وإتيانُهُ بهذا البهتِ الظاهرِ مادةً لجرمه ، وهيهات أن يخفى ما شُهر ، أو يجوز ما زُور ، وما يومٌ حلّيمَة بستره^٥ ، ولا على وجه النهار من سِتر . فرأيتُ مساهمةَ الأولياءِ والحلفاء بصفة الحال ، وعرضها من المبدأ إلى المال ، فقدمتُ منها نحوك ما اقتضاه تقدّم حالك في نفسي وخلّدي ، لتعرضَ ما وصفته على حُسْنِ نظرك ، وتعتبره بصدقٍ تدبرك ، فترنّ مؤثراً هذه الحال بوزنه ، وتقدر محتقِب شرها بقدره ، والله قبلُ وبعد أعدلُ مَنْ قَضَى وحكم ، وأحقُّ من أثابَ وانتقم ، وهو تبارك اسمه المستعدّي على من اعتدّى وظلم^٦ .

١ ط د س : في رمحيهما . . . سبق إلى مسك .

٢ ط د س : ثوبه .

٣ ط د س : فكان عذره ذلك .

٤ ط د : لهما .

٥ انظر فصل المقال : ١٢٧ ، ٨٦ والميداني ٢ : ١٥٠ والمسكري ٢ : ١٩٤ .

٦ في د ط س هنا زيادة تتصل ببعض ما قاله ابن حيان حول الخلاف بين الاخوين ، وقد جاء فيها : « ووصف ابن حيان أيضاً ذلك ، وزاد في الحديث هناك انه اختلط الفريقان . . . كالتي كانت من قبل » . وقد تقدم هذا فلم أثبتة هنا .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي عبد الله محمد بن مسلم^١

آيةُ الزمن ، ونهايةُ الفطنةِ واللِّسَن ، نفثَ بالسحر ، واغترفَ من البحر ، ونظم الدرر بلألاءِ من الدرّ . ولم أظفرُ عند وضعي هذا الديوان ، بشيءٍ مما له من الاحسان ، إلاّ بفصولٍ من رسائل ، سمّاها « طيّ المراحل » سبق في ميدانها عفواً ، وتصرفَ بين حسناتها وإحسانها تصرفاً حلواً ، وقد اقتضبتُ من فصولها ما يشهدُ بتفضيلها ، وحذفتُ سائرَها لطولها ، دللتُ بها على فضل مُنْشئِها ، دلالةَ الشمس على ما يليها .

فصول له من تلك الرسائل خاطب بها أغلب

صاحب ميورقة^٢

فصل منها : إن أغبيتُ على بُعْدِ الديار مكاتبتك ، وأقللتُ مع شحطِ المزار مخاطبتك ، فإني أخطبك^٣ بلسانٍ وداد ، وأناجيك فؤاداً

١ داني ترجم له ابن سعيد ، انظر المغرب ٢ : ٤٠٥ والمسالك ٨ : ٣٤٢ ، والفصول التي اختارها ابن بسام من رسائله تدل على انه كان رسولا الى بعض ملوك الطوائف عن إقبال الدولة بن مجاهد حين نازعه المقتدر احد الحصون .

٢ د ط س : ابن أغلب صاحب (ط : حاجب) ميورقة ؛ ويذكر ابن خلدون ان مجاهداً وابنه علياً جعلاً أغلب على ميورقة ، وكان أغلب ولي مجاهد ، وكان صاحب غزو وجهاد في البحر ، ثم تخلّى عن ولايته ايام علي إقبال الدولة فولي الجزيرة سليمان بن مشكيان ثم بشر ابن سليمان الملقب ناصر الدولة (ابن خلدون ٤ : ١٦٤ - ١٦٥) ؛ وقد نقل ابن سعيد بعض هذه الرسالة في المغرب .

٣ ط د س : أكتبك .

لفؤاد، وإنما يتخاطبُ أهل بُعْدِ المكانِ ، ويتكاتبُ ذووا النَّأي عن العيان ، وأنت في الضمير جائل ، فما تزيد الرسائل ؟ وبين الجفون مائل ، فما تفيدُ الوسائل ؟ لكنَّ العينَ لا تبرأ من الأرق ، حتى تطبقَ مستقرها على الحدق ، والنفسُ لا تهدأ من القلق ، حتى تجمعَ شطريها إلى أفق ، فلهذا يجبُ على الصديق تأكيدُ العهد ، ولو باهداءِ السلام ، إذا لم يستطعْ على الإلمام ، وتجديدُ الودِّ بالكتاب ، إذا لم يُطيقِ المفاوضةَ على الخطاب ، لكن قد يأتي من عوائقِ الزمان ، وعوارضِ الحداث ، ما يحولُ [١١٦ أ] بين المرءِ وقلبه ، حتى يسهوَ في مثوله للصلاةِ بين يدي ربه ، فلا يدري اثنتين صلتى الضحى أم ثمانى ٢ ، وأياماً شهد التشريقَ أم ليالي .

وفي فصل ٣ : وليت زماناً ، فرغَ للقائك ، وأواناً بلغَ إلى تلقائك ، حتى أبرّدَ نفسي بمحاضرتك ، وأجدّدَ أنسي بمذاكرتك ، ولكني بين حلٍّ وترحال ، ورجوعٍ وإقبال ، لا يجعلان إلى أمنيّةٍ سبيلاً ، ولا يوجدان إلى مأربةٍ وصولاً ؛ ولعلّك - أيها الفاضلُ - ممن يظن هذه الأسفارَ فُرْجَةً ، ويخالُ لها بهجةً ، وكيف والسفرُ قطعةٌ من العذاب ، والمسافرُ ومتاعهٌ على فلتٍ ° الذهاب ، وإن اتفقتْ مع ذلك فترّةٌ تستدمن ، وبدرةٌ تستحسن ، فإنما هي كراحيةٍ المحتضر ، ودرةٍ المستبحر ، ولا بدّ مع الخواطي من سهمٍ صائبٍ ٦ ، وعند جفوفٍ جانبٍ من خُضرةٍ جانب ، ولي منذ أجولُ

١ ط د س : دون .

٢ من قول المجنون :

اصلي فما ادري اذا ما ذكرتها اثنتين صليت الضحى ام ثمانيا

٣ وفي فصل : لم ترد في ط د س .

٤ ب م : زمانى .

٥ ط د س : قلة .

٦ من المثل : مع الخواطي سهم صائب ، فصل المقال : ٤٣ والميداني ٢ : ١٥٥ والعسكري

٢ : ٢٢١ .

البلاد^١ ، وأجوبُ الصخر بالواد ، ما يزيدُ على عَشْرِ حِجَجٍ نصفُها^٢ ،
وعلى سبعةِ أعوامٍ ضعفُها^٣ ، لم ألقَ إلَّا يوماً يجعلُ الولدانَ شيباً^٤ ، والجبالَ
كثيباً مهيباً^٥ ، وإن شئتَ أن أقصصَ عليك من نبأِ قصصاً ، وأضربَ
لك من بعض أسفاري مثلاً ، ففرَّغ لي ذهنك ، وأصغِ^٦ إليَّ أذنك ،
حتى تسمعَ من أحوالِ صديقك ما يلفحُ ويثلجُ ، ويغمُ ثم يبهجُ ، فقد
أودعتُ كتابي هذا نبذاً مما لقيتهُ في سَفَرِي ، <و> كان من خبري :
لما صفا الحصنُ الفلانيُّ إلى مَنْ أيدَهُ الله أجلبَ عليه المقتدر بِخَيْلِهِ
وَرَجْلِهِ ، وأحْدَقَ حوله بِضَبْطِهِ ومنعه ، حتى صار كالسماءِ ملئت
حَرَساً شديداً وشهباً ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً﴾
(الجن : ٩) فدعا إقبالُ الدولةِ إخوانه لِإنجاده ، ونادى حلفاءَهُ لِإمدادِهِ ،
فاستغشَوْا بأردانِهِمْ ، وجعلوا أصابعَهُمْ في آذانِهِمْ^٧ ، وَعَوَّضُوا مِنْ
عَوْنِهِ فِي إِصْلَاحِ ذاتِ البينِ ، والحصنُ في أثناءِ ذلك قد اشتدَّ وثاقه ،
وضاق خناقهُ ، حتى أيقنَ أهلُهُ بالهَلَكَةِ ، وكادوا يُلْقُونَ
بأيديهِمْ إلى التَّهْلُكَةِ ، فلما رأى انه ربما أودى العليلُ قبل أن يُؤتَى الشفاءُ ،
ويهلكَ المريضُ قبل أن يُرَكَّبَ الدواءُ ، وعلم أن الليثَ لا يَقْتَبِسُ
إِلَّا زَنْدَهُ ، ولا يَفْتَرَسُ إِلَّا وَحْدَهُ ، وفي كَفِّهِ أنصارُهُ ، وفي شِدْقِهِ
شَفَرَتُهُ ونارُهُ ، أقامَ للزحفِ أعلامَهُ ، وجعل الحزمَ أمامَهُ ، فَتَنَصَّرَ
بالرعبِ ، وفرَّ عدوُّهُ قبلَ الحربِ .

١ نصفها : سقطت من ط د س .

٢ ط د : أو ضعفها .

٣ انظر الآية : ١٧ من سورة المزمل .

٤ ط د س : واصغ .

٥ ب م : يلهج .

٦ انظر الآية : ١٩ من سورة البقرة .

وفي فصل منها : وَحَسِبْنَا أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَشْئِمَةِ ، فتواصينا بالصَّبْرِ والمرحمة^١ ، وتذكرنا قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ (الواقعة : ٩٠ ، ٩١) فأخذنا يَمَنَةَ الطريق ، وتيممنا أَوْرِيُولَةَ على الفَجِّ العميق ، فإذا بصماء^٢ منه قد انكدرت فأمطرت عاينا حجارةً من سجيل ، كادت تجعلنا [١١٦ ب] كعصف مأكول^٣ ، فقومٌ شُدِخَتْ رؤوسهم ، وقومٌ ضُمَّتْ عليهم رُمُوسُهُمْ^٤ ، كأنهم كانوا بقيةً من أصحابِ الفيل ، أو نفايةً من قوم لوط .

فجئنا فلانةً ، وقد سُدَّ بابها ، ونام بَوَابُهَا ، والستيلُ قد طمى ، يحملُ غشاءً أحوى ، فلم تشكَّ القلوبُ^٥ أنْ نفوسنا ذائقةُ الموت ، حتى إذا بلغت النفوس التراق ، والتفت الساقُ بالساقِ ، وقيل من راق^٥ ، وأشعِرَ صاحبُ الحصنِ بمكاني ، وقُصَّ عليه شاني ، فأمر بفتح بابِ المدينة ، وآواني إلى دارِ حصينة ، وتقدّمَ بالضرام فأججَ ، وبالطعام فروجَ ، وبالمدام فشبَّ وأسرج ، وقلنا ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ (فاطر : ٣٤) وكفانا المحن .

وفي فصل منها : ثُمَّ نَفَذْتُ لِطَيْبَتِي ، وَقَرَنْتُ بِالْعَمَلِ نَيْتِي^٦ ، فِي هَوَاءٍ سَجَسَجَ ، وَأَفْقٍ مَبْلَجَ ، حَتَّى جِئْتُ الْمَرِيَّةَ^٧ ، وَكَانَ عَهْدِي بِهَا

١ انظر الآية : ١٧ من سورة البلد .

٢ ب م : بصمار .

٣ انظر الآية ٤ ، ٥ من سورة الفيل .

٤ ط د س : فلم تشك في .

٥ انظر الآيات ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ من سورة القيامة .

٦ ط س : العمل بنيتي .

٧ ب م : المدينة .

عهد طيف الكرى ، بما بين العقيق إلى الحمى ^١ ، إن سرى أصبح دونه
بمراحل ، أو هفا قطع ^٢ المدى المتطاوّل ^٣ ، فكأنّي كنت ماءً ، وافق
نفوساً ظمأً ، فكلّ فرج لي عن قلبه ، وعانقني بكبده وخلبه ؛ ولما
لقيت المعتصم بالله - فتح الله له في البلاد ، كما شرح بودّه قلوب العباد -
قال : مرحباً بالوليّ الحميم ، والصديق الحديث القديم ، أعنت لك عندنا
أسباباً أوجبّت إقبالاً ، أو نحتت بك ؛ نخونا ركابٌ طلبت فصلاً ؛ حلّ ^٤
عن ذاتك ، وأرخّ يعنّلاتك ، فقلت : أيد الله مولاي ، ما أجاؤني
حبّ الراحة ، ولا طلب الإراحة ، وإنما أنا في حكم شرع ،
وأداء فرض ، فهو كالحنج لا يحلّ فيه الصيد لا بالنص ولا بالقياس ،
والصلاة لا يصلح فيها شيء من أعمال الناس ، وأنا أتمثل في ذلك قول الله :
﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ (المائدة : ٢) ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ
فانتشروا في الأرض ﴾ (الجمعة : ١٠) ولا بدّ أن آخذ فيما فيه شخّصت ،
وله قصّدت ، وإنما هي كلمات مكدودة ، وألفاظ معدودة ، لا تورث
الناطق كلالاً ، ولا السامع ملالاً .

وفي فصل منها : حتى وصلنا إلى دار منفرجة ^٥ الأقطار ، مستوفزة
الأنوار ، [متدفقة الأنهار] ، هواؤها جلاء للغم ، وزيادة في العمر ،
وضياؤها شفاء للكظم ، وانشراح للصدر ؛ وكأن مياهاها تنبعث من بنان

١ د ط س : الكدا . ٢ ب م : قطعه .

٣ من قول المعري (شروح السقط ، ٧٣٤) من رواية البطلاني :

وسألت كم بين العقيق إلى الحمى فجزعت من بعد المدى المتطاوّل

وعذرت طيفك في الجفاء لأذه يسري فيصبح دوننا بمراحل

٤ ط د س : ولجت بك .

٥ ط س د : خل .

٦ د ط س : منفردة .

سيدها ، فصارت عيناً سلسيلاً ، وكان مزاجها^١ زنجيلاً ، أو كأنما مَسَّتْ
 عيناً حيواناً ، فأثبتت من الزبرجد ريجاناً ، ومن الزمرد شجراً فيناناً ، وجعلت
 من النارنج عقياناً ، ومن زهر الآس لؤلؤاً ومرجاناً . وميلَ بنا إلى « التاج »
 وهو مَصْنَعٌ على مفرقِ القصر ، من جانب البحر ، مُرَدٌّ من قوارير ،
 وألبسَ الصبحَ المستنير ، وَقَلَدَ قِلَادَةَ الطاووس ، وَتَقَطَّ بِقَطِّ العروس ،
 فممن يقولُ هو قُبَّةُ^٢ الفلك ، وممن يقولُ هو السماءُ ذات الحُبُكِ ،
 وانهم ﴿ لفي قَوْلٍ مختلفٍ ، يُؤفَّكُ عنه مَنْ أَفِيكَ ﴾ (الذاريات : ٨ ، ٩)
 [١١٧ أ] ونظرنا في صدره من الملكِ الهمام ، كالشمسِ تجلَّتْ من الغمام ،
 فقضينا فَرَضَ السلام ، وأخذنا مراتبَ القعودِ إلى الطعام ، يُطَافُ علينا
 بصحافٍ من فضةٍ وذهبٍ ، وجفانٍ كالجوابِ أُتْرِعَتْ من كلِّ أَرَبٍ ،
 فلما أتينا على الريِّ قمنا إلى الوضوء ، فجيءَ بِطِيسَاسٍ من التبر ، وأباريقَ
 رُصَعَتْ بالدرِّ ، ووضئنا بماءٍ قوامه بلور ، ومزاجه كافور ، ثم قمنا إلى
 المصنع « الزاهر » ، وهو نظيرُ « التاج » من الجانب الآخر ، لما أُعِدَّ فيه
 للشرب ، ما بهر الألباب ، فألفينا مورداً عذباً ، ومحلاً رحباً ، كأنَّ
 أطباقه مُقَلُّ الجفونِ ، مُلِثَتْ من قُرَّةِ العيون ، وأكواسه مُراشَلُ
 الحور ، تُعَلُّ بِنُطْفِ الثغورِ ، طَلَعَتْ منها شجرةٌ مباركةٌ النوى
 ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَقَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (إبراهيم : ٢٤) صَيَّغَ عُوْدُهَا
 من الحلي المنيل^٣ ، وقام عمودُها كأنبوبَ السَّقِيّ المذللِ^٤ ، والتفت بأغصانها

١ ب م : أو كان أمرها .

٢ د ط س : هيئة .

٣ ب م : الحيل المنيل ؛ والمنيل من اللاتينية nigellum أي المرصع أو المزخرف (انظر
 ملحق دوزي) ؛ أما « الحيل » حسب قراءة ب م فيمكن ربطها بلفظة « محيل » التي أوردها
 القلمي (الكالا) في معجمه بمعنى مصنوع أو صناعي (انظر ملحق دوزي ١ : ٣٤٢) .

٤ من قول امرئ القيس (ديوانه : ١٧)

التفاف الذوايب الجعدة ، والتقت أفنانها التقاء الصَّعدةِ بالصَّعدةِ ،
فبينما نحنُ نعجبُ من شأنها ، ونستغربُ مناظرَ زهرها وأفنانها ، إذ سطع من
جرثومتها دخانُ المجرم ، وارتفع من خلالِ لبسها^١ غبارُ العرفِ المعطر ،
من دونِ أن يبدوَ إلى العيانِ نارها ، ويُعلَمَ أين يوقدُ هندیها وغارها ،
فقلنا : تبارك الله كيف تحرقُ نارٌ تحاها هامة ، وتورقُ^٢ أشجار تحسبها
جامدة ، إن الذي أنطقَ الجذعَ والحصى^٣ ، وخلقَ الحيةَ من العصا ، والنارَ
بعد أن كانت ضراماً ، وقال : كوني على إبراهيمَ برداً وسلاماً^٤ ، لقادرٌ على
أن يورقَ الصلاد ، كما أنطقَ الجماد ، وعلى أنْ يُعملَ النارَ في الخمود ،
كما أبطلها عند الوقود . وقام بالجرىالِ ساقٍ جعل المنديل ، مكانَ حمائلِ
السيف الطويل ، وأدارَ نجوماً بروجها أيدينا ، وشموساً تطلعُ منه وتغربُ
فيها ، ولما [كنت] لا أشرب إلاَّ مشته^٥ الشراب ، كالزُر والدوشاب^٦ ،
قدَّم إليَّ قَعْبٌ من نبيذِ الأزاد ، ومصريِّ الداذ^٧ ، فرفع نديمي شهاباً ،
وأبرزتُ أنا غراباً :

[لو تراني وفي يدي قدحُ الدوشاب أبصرتَ بازيار غراب]^٨

- = وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كأنبوب السقي المذلل
والأنبوب هنا ساق البردي ، والسقي : البردي الناعم ، والمذلل : الذي جمعت اطرافه ليحني .
- ١ د ط : ملبسها .
٢ ب م : وتورق .
٣ د ط س : انطق الحصى .
٤ الأنبياء : ٦٩ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم .
٥ المشته : الذي لم يصح تحريمه بوجه قاطع ، ولكن يمكن فيه التأول .
٦ المزور : نبيذ الذرة ؛ الدوشاب : نبيذ التمر أو الدبس ، وقال السمعاني انه الدبس بالعربية ؛
(انظر شفاء الغليل : ٨٧) .
٧ الأزاد : نوع من التمر ، والداذ لعله الداذي أو الذاذي وهو نبت يعمل منه شراب مسكر .
٨ البيت لابن الرومي ، ديوانه ١ : ٥٧٦ (١ : ٣٤٠ تحقيق نصار) ، وفي ط د س :
بازياً وغراباً .

وفي فصل : وأوحى إلى المزمارة أن ينطق ، وإلى الأوتار أن تخفق ،
 وإلى الغناء أن يذيب القلوب ، ويشق الجيوب ، ويحث الشمول ، ويكفي
 الساقى أن يقول ، وقد أسبغت على بهو السماع وقبة الغناء قطعة من
 الخسروان^١ اللازوردية < الحرير >^٢ ، قد ألهب بالذهب نحرها
 وحواشيها ، وقرنت^٣ بالعسجد أسافلها وأعاليها ، وكحلت بأسلاك
 الجواهر خطوطها ورُسومها ، ووُصِلت بالياقوت الأحمر دوائرها
 ورقومها ، فجاءت كطرة الصباح نُقِطت [بالنجوم] ، ولَبَتِ الفجر
 رُصَعَت بغير كواكب الرجوم ، فاندفعت منها بلابلُ المداري تغرد ،
 وحمام^٤ الأوتار تصوب وتصعد ، وأطيأ المعازف تتجاوب ، وأصناف
 [١١٧ ب] الملاهي تتناوب ، وأقبلت نجوم الطاس تنكدر في الصدور ،
 وقلوب الناس تنتثر في الحجور ، وما بقي عقل لم يقع في شرك ، ولا جيب
 كان في شقه من درك .

وفي فصل : ثم خرَجْتُ بعدُ إلى المظفر [الرئيس] أبي مناد ، فكان
 أيام طريقي إليه ، كانت كفارة لما أضرت في المرية عليه ، وتمحيصاً
 لذنوب شرب^٥ المزر ، وتضييع حق^٦ الخمر ، ولم أر في التناقض عليّ عاراً ،

١ الخسروان : كذا هنا ، والمعروف الخسرواني وهو الحرير الرقيق الحسن الصنعة (المعرب

١٣٥) .

٢ د ط س : قطعة من الخسروان لازوردية الحرير ، أما لفظة الحرير فيبدو أنها مقحمة

لشرح لفظة « خسرواني » ، والأصوب حذفها .

٣ ط د : وقرن ؛ ب م : وقبب .

٤ ب م : وحمام .

٥ ط د : شربي .

٦ ص : وتضييعي ؛ ب م : الخمس .

ولا قنعتُ بابهام السرِّ حتى يكون^١ جهاراً ، فعوضني من وقودِ الراح ببرِدِ
الرياح . ومن ديبِ العقارِ بسكوبِ الأمطار ، ومن هديرِ الكيزان^٢ بنعيبِ
الغربان ، ومن أنسِ الخيماتِ بوحشِ الفلاة ، حتى أتيتُ حضرةَ الرئيسِ
الأجلَّ فألفيتهُ غائباً ، فكتبتُ إلى الوزيرِ أبي عثمان رقعةً أقول فيها :
إذا كانت بأساءُ إثرَ نعماء ، ومستَ ضراءُ بعدِ سراء ، وافقتُ كاهلاً^٣
لدناً فأثقلتُهُ ، وخاطراً رطباً فأوَحَلْتُهُ ، وإني فصلتُ عن تلكِ الحضرةِ
بعد أيامِ كأيامِ الشباب ، وليالِ كذوائبِ الكعاب ، سكنا منها في السوادِ من
القلوبِ ، وسلطنا بين المخائقِ^٤ والجيوبِ ، أنقلُ من يدٍ إلى يدٍ ، وأحملُ
بين جفنٍ وخلدٍ ، إن ظمئتُ سقيتُ بردَ السرورِ على الأكباد ، أو
طربتُ أطعمتُ حلاوةَ الودادِ في الاخلاذ ؛ ولله يومُ « التاج » و « الزاهر » ،
عند الملكِ الماجدِ الباهر ، فيا له من أنسٍ وطيبٍ ، بين الخورنقِ والكثيبِ ،
في مجلسٍ كأنما ألفتَ قواريره من خدودٍ وثغور ، وثمارُهُ من نهودٍ
ونخور ، صعدنا فيه إلى العلياء ، وصرنا كأننا من أهلِ^٥ السماء ، نشربُ
النجومَ بالأقداح ، ونحيي الجسومَ بالأرواح ، فبتنا فاكهين فرحين ،
نزمرُ بالكؤوس ، ونرقصُ بالربعوس ، ونثاقفُ الاخوان ، ونواقفُ الندمان ،
مواقفةَ الكرام ، بشربِ المدام ، لا بحدِّ^٦ الحسام^٧ ، نسقي ودَّ الصديق للصديق ،
ونطلبُ الصبوحَ بثارِ الغبوقِ ، حتى أخرجلنا الشمسَ بضياءِ الزاح ، وقمنا نقد^٨

١ ط د س : كان .

٢ ط د : مديد الكيزان ؛ ب م : غرير الكران .

٣ ب : فانقلبت .

٤ ط د : الترائب .

٥ ب م : كا .

٦ ب : اعل .

٧ ب م : نشرب . . . لا تجرب بالحسام . ٨ ط د س : نمد .

السراج من ضوء الصباح، وقلنا^١ : دينُ المسيح ، يعبدُهُ كلُّ مليح ، فطفنا حول
الذنان ، بمصاييح الرهبان ، وما زلنا نسمعُ باقتراح ، ونشربُ على ارتياح ،
ونصلُّ اغتباقاً باصطباح ، حتى شُبَّتْ مصاييحنا لقُفْأَل^٢ ، وحانَ
أوانُ ظعنٍ وارتحال ، فخرجتُ كالمقلة استلَّتْ من الأشفار ،
والنفسِ انتزَعَتْ من فلوذٍ أعشار ، ثم ارتحلتُ^٣ من الغدِ عن مقامٍ كريم ،
إلى عذابٍ أليم ، لا أملكُ فيه أدمعي ، ولا أجِدُ نفسي معي ، وسرنا بين
جبالٍ وحشة ، ومياهٍ دهشة ، فصَارَدَتْنا^٤ من ريحٍ عاد ، ذاتُ صرٍّ وأبراد ،
أضمرتُ نارَ البرحاء ، وكظمتُ أنفاسَ الصُّعْداء ، ومن أُخِذَ بكظمه
كيف يرجو الحياة ، ومن أطبقَ بغمّه أين يجدُ النجاة^٥ ؟ ! وما شكَّ غمامُ
الثلج^٦ المنشور ، أني من أصحاب [١١٨ أ] القبور ، فجعل يهدي إليَّ
حَسُوطاً وَذَرُوراً ، ويندفُ عليَّ قُطُنًا وينثرُ كافوراً ، فلما تَمَّتِ
الأكفانُ ، وصحَّ الاندفاع ، طلعتُ إليَّ غرّةُ الحاجب سيف الدولة أبي
الفتوح ، فقمْتُ وقد انجلتُ عني المحن ، وانتفضتُ فطارَ القبرُ والكفن^٧ ،
ومدَّ إليَّ يدَ الرضوان ، وغمسيني في نهر الحيوان ، فجعلتُ أطرفُ كما
يطرفُ الفجر في سُدفَةِ الليل ، وأنبتُ كما تنبتُ الحبّة في حَمِيلِ السيل ،

١ ط د : وقلت .

٢ يشير الى قول امرئ القيس : (ديوانه : ٣١) :

نظرت اليها والنجوم كأنها مصاييح رهبان تشب لقفال

٣ ط د س : رحلت .

٤ ط د س : فصادرتنا .

٥ ط د س : المنجاة .

٦ ط د س : الثلوج .

٧ يستعير بعض قول المتنبي :

كم قد دفنت وكم قدمت عنكم ثم انتفضت فزال القبر والكفن

ورأيتُ ملكاً تقرأ النفاسة بين عينيه ، وتبصر الرياسة طَوْعَ يديه ، حلَّتِي
السيفُ باسمه فرقتُ مضاربه ، وتَوَجَّحَ المُلْكُ مُنْقَرِقَهُ فَعَزَّتْ جوانبه ،
جوادٌ يندى في كفِّه الجُماد ، وتقذح بنبله الزناد ، ويُقَتَّبَسُ من وجهه
الكوكبُ الوقاد ، وعلى أعراقِها تجري الجِياد ؛ كيف يُعْجَبُ للسيف
أن يَقطَّعَ ، ومن حديد الهند طُبَّعَ ، وللبدرِ أن يُشرقَ ، ومن نور
الشمسِ استرقَ ، وللبحر أن يزخرَ ، وعن الريحِ المرسلةِ أخبرَ .

وفي فصل : فلما كمل المرادُ ، ووقفتُ حيثُ وقف الاجتهادُ ، كتبتُ
إلى ذي الوزارتين الكاتب أبي محمد بن عبد البر أستريحُ إليه بأنبائي ، وأصِفُ
ارتجاجَ الجوّ من بُرحائي ، رقعةً أقولُ فيها : سيدي وسندي ، وسُهْمَةٌ
يدي ، ونعمةٌ أبدي ، ومن أبواه الله معافى من النوب ، موقى من وعثاء
السفر وسوءِ المُنْقَلَبِ ، كم لله من مَنِّ جزيلة ، وأيادٍ جميلة ، وعوارفٍ
وكيدة ، وعواطفٍ حميدة ، وإن أولَى نعمةٍ بالشكر ، وأحجى قسمةٍ بالذكر ،
نعمةٌ صَرَفَتْ بِأساءَ ، ومسرَّةٌ دَفَعَتْ غَمَاءَ ، وإني كتبتُ بعد حالٍ متى
حوسبتُ بها فهي الموتةُ الأولى ، أو جوزيتُ عليها فلي النجاةُ الطولى ،
لأن الله أكرمُ من أن يميتَ أكثرَ من ميتين ، أو يعذبَ أحداً عذابِي^١
مرتين ، مع ما مُنِيتُ به من تطاولِ الآسفار ، ومقاساةِ الضَّرارِ ، ولو^٢
أن هذا يكون مع صدقٍ وأملٍ ، ونجحٍ وعملٍ ، لبرَدَ غليلاً ، وكان تعليلًا ،
فكيف وما هو إلّا رجاءُ سرابٍ ، ووجدانُ حسابٍ .

وإني فَصَلْتُ من أَلَشْ^٣ والشمسُ مجلوةُ الناظر ، والجوُّ كققلةِ الساهر ، فما

١ ط د س : عذاباً .

٢ ط د س : ولولا .

٣ ب م : الشيء ؛ ط د س : عن فلاة ؛ وألش : (بتسكين اللام) بينها بين أوريلة
خمسَ عشر ميلاً ، ومنها إلى لقنت مثل ذلك (الروض المعطار : ٣١) .

كان إلا^ك « ما » حتى التقت عليه أخفان الغمام ، ثم هلت إليه هل^ل الدموع
السجام ، وصرنا بين صعيد زلت^ي ، وسماء طبق^ي ، ينثر قطره نبالاً ،
ويمطر وبله وبالاً ، وما زال الرعد يقصف ، والمزن يكيف^ي ، حتى خلت
البحر صار سقفاً ، والسماء قد أسقطت علي^١ كسفاً ، واستنجز القضاء ،
والتقى الماء والماء ، فكلما أويينا إلى جدار كاد ينقض^ي ، أو لجأنا إلى قرار
خسفت به الأرض ، وقلنا : سنأوي إلى جبل يعصمنا من الماء^٢ ، وبقينا معرة
هذه البأساء ، فما كان إلا أن لُذنا بجانب الطور الغربي ، وأسندنا إلى
هضبة [١١٨ ب] الفسطاط الشرقي^٣ ، وهناك [من] يشرح لك سره ،
ويوضح عندك أمره ، فكان الله قد تجلّى للجبل فجعله دكا^٤ ، أو كاد موسى
ينتقه علينا نتقا ، فأنحدره هضاباً ، وتقطع آراباً ، وأهوى إلى الوهدة التي كنا
في طباقها ، والعقدة^٥ التي حصّلنا بين أطباقها ، فلم نشك في أننا من
أهل القبور ، قد صبت علينا أرازب منكر ونكير ، ولولا أن الله لقننا
الحجة ، وأوضح لنا المحجة ، وأعاننا على الحصين ، وعلمنا التخلص
من النكيرين ، لضغطنا ضغطة^٦ القبر ، ونالتنا معرة الفقر^٨ ، ثم
إننا أخذنا في الهرب ، وأخذت السيول والأمطار في الطلب ، فتارة نفع من

١ ط د س : علينا .

٢ ناظر الى الآية « قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء » (هود : ٤٣) .

٣ س : هدية ؛ ط د س : السري .

٤ انفار الآية : ١٤٣ من سورة الأعراف .

٥ ب م : فأنخر .

٦ ب م : والمعودة .

٧ ب م : لصمقنا صمقة ؛ ط د س : لضغطنا القبر

٨ ط د س : ونالتنا الفقر .

الوعر في شرك ، وأخرى نهفو من الوحل^١ في درك ، حتى وصلنا أوريولة ،
ولا نراها من تراكم الظلم ، واختلاط العشايا بالعم ، إلى أن ضربت
في أسوارها جباهنا ، فامتألت من غبارها أفواهنا ، والدجى يكفئنا بظلمائه ،
والثرى يدفئنا في طينه ومائه .

وفي فصل : ومَرَّتْ لَنَا الْأَيَّامُ لَا نَسْتَطِيعُ بَرَّاحًا ، وَلَا نَلْدُ
غُدُوًّا وَلَا رَوَاحًا ، فلما انقضت ليال خمس ، التفتنا الشمس التفات
البكر ، من خلال الستر ، وصمت الماء من خريره ، والهواء من صريه ،
فقلنا : قد يكون الرضى صُمَاتًا ، والإذنُ التفاتًا ، وأخذنا في التفويض ،
وأسرعنا بالنهوض ، وما زلنا في مسلكنا نموت ونحيا ، ونتقلب بين الآخرة
والأولى ، حتى اصطلينا بنار الحباحب سيف الدولة أبي الفتوح ، فقابل بوجه
طلق وخلق سمح ، فلما صرنا في ذراه ، وكففتنا نعماه ، أنشدنا :

فقل للسماء ارعدي وابريقي فأننا رجعنا إلى المنزل

وفي فصل : ثم لما حان إيابي ، وزُمت ركابي ، إذا بكتاب المعتم
بالله إلى المظفر يذكر وفاة خاله المنصور بن أبي عامر ، فلزمني الكتاب إليه ،
فكتبت ورجلي في غرز الواثب ، وهنا قبل سقط^٢ الراكب ، فإن كانت
سقطة في كلامي ، أو عشرة من أقلامي ، فإنما أوجبته حَقِّقَةً
السير ومسابقة السيل^٣ ؛ وكان كتابي :

يا مولاي وسيدي المنعم ، ومن لا زالت وجوه الكوارث عنه مصدودة ،
وأيلدي الحوادث دونه مسدودة ، بقاء المرء - أيتك الله - لفناء أسلافه ،

١ ط د س : الذعر .

٢ ط د س : وما سقط .

٣ ط د س : الخيل .

ونماء أخلافه ، كرامة للأدب ، وسعادة للعقب ، فما للإنسان يكون هلوفاً ، إذا مسّه الخيرُ منوعاً ، وإذا مسّه الشرُّ جزوعاً^١ وإن كان المنصور مات فقيداً ، فقد عاش حميداً ، أو أمسى ملحوداً ، فظالماً أصبح معموداً ، لبث في أهله سنيماً^٢ ، وأقام في سلطانه مكيناً ، بين شفاءٍ نفس ، واستيفاءٍ أنسٍ ، [١١٩ أ] وتوطيدٍ دولة ، وإقامةٍ سنّة ، وحماية أمة ، حتى كمل جدّه ، وأتاه بالموتِ وعدّه ، فذوى دوحه وقد أثمر غرسك ، وأقلّ يدره وقد بزغت شمسك ، فقال المجد : هذا ربّي هذا أكبر^٣ ، وصاح الملك : هذا ردئي ، هذا أكثر ، فهل هذه — أيدك الله — نعمة صغرى ، أم هي قسمة ضيزى ، وهل طفىء سراج ناب عنه صباح ، أو خفي منهاج دلّ عليه مصباح ، أو هلك هالك ، عقبه مالك .

وفي فصل : ثم توجهتُ لتلقاء مدّين^٤ الأصعد ، وموطن السؤدد ، حضرة المعتضد بالله ، وكان طريقي إليها على قرطبة ، وكثيراً ما كنتُ اقترح^٥ بإتيانها ، وإن كانت على هرّم ، وأتمنتى وقفةً فيها ولو على قدّم ، وأرغبُ زيارتها ولو لمامساً ، وأودُّ رؤيتها ولو مناماً ، لألمسح^٦ دار الخلافة ، وأرى بيتَ الرياسة^٧ ، فخرج إليّ أبو الحسن بن يحيى الوزير الجوهري^٧ ، فأراني بحسن سمّته وكلامه ، ورجاحة عقله وتماحه ،

١ انظر الآية : ٢٠ - ٢١ من سورة المعارج .

٢ ب م : هنيئاً .

٣ انظر الآية : ٧٨ من سورة الأنعام .

٤ ط د س : مدن .

٥ د : أفرح .

٦ ب م : بنت الرسالة .

٧ ب م : فخرج إليّ الأمير . . . والوزير ؛ ط س : فخرج إلي الوزير الجوهري .

مراتبَ الوزراء المتقدمين ، ومناصبَ الفضلاء السابقين ، فلما أُديتُ الرسالة جعلتُ أسلك في منازلِ المدينة ، وأنظرُ من تلك المشابه المبينة ، فإذا برسومها قائمة الأعلام ، ورموزها مفهومة الكلام ، وتُصْبِها ماثلة الشكل والقيام ، إلا أنها كرداح مستهها زمانة ، ورَبِحانة أدركتها من السن مهانة ، لم يبقَ فيها إلا رسومٌ من الحسن كانتشاء الطرف ، وإن مالت أجفان ، وخطوطٌ من الجمال كاعتدال الأنف ، وإن سَقَطَتْ أسنان ، لكنها لم تفارق عطرها ، وإن كانت بعدَ عروس^١ ، ولا تركت بزها^٢ وإن لم تطمع بمسيس^٣ ، ولا دنست ثيابها ، وإن كانت أسملاً ، ولا عقت^٤ شبابها ، وإن تجاوزت اكتهالاً ، فوقع بين قلبي ورونقها سيفاح ، لم يصدقه نكاح ، وأمتع شمي بمعتقها لصوق . لم يلحقه رفتٌ ولا فسوق ، ووقفت بالقصر المرواني ، وطفت على المصنع القحطاني ، وانتبذت إلى المنزه العبدى الرحماني^٥ ، فاذا الثلاث الأثافي والديارُ البلاقع ، فأخذتُ بالسنة^٦ في ديار ثمود ، أسكبُ الدموعَ وأجددُ المعبودَ ، فقال قريبتنا^٧ : هنا كانت قصورهم ، وهناك هي قبورهم ، قد صارت مفاصلهم تراباً ، ومساكنهم يباباً ، وقد عادوا يسكنون القبور ، وكانوا يستهجنون^٨ القصور ، وظلوا يعتنقون الجلمود ، وكانوا يسترهفون النهود ، وصاروا يلزمون

١ اشارة الى المثل « لا عطار بعد عروس » ، فصل المقال : ٤٢٧ والميداني ٢ : ١٠٨ .

٢ ب م : برها ، ولعلها « برها » أي بضاعتها وترارتها .

٣ المسيس : كناية عن النكاح .

٤ ط س : عفت .

٥ د ط س : المنزه العبد الرحماني .

٦ ط د س : بالشبه .

٧ ط د س : فقيل .

٨ ط د س : يسكنون .

الطينَ ، وكانوا يملّون حشايا اللين ، فقلت : أين مَنْ كان هنا من القبولِ
الأبية ، والملوكِ الأموية ، ذوي التيجانِ المنظومةِ بالمرجانِ ، والملابسِ
المرقومةِ بالعقيانِ ، والفرُشِ المرفوعةِ إلى السّكّاكِ ، والعُرُشِ الموضوعةِ
على السّمّاكِ ، وقد نُصّدتْ بالنمارقِ ، ومُهدتْ على الأرائكِ ، وحُفّتْ
بالجنودِ [١١٩ ب] عند القعودِ للسلام والأحكامِ ، وأين أسرابُ تلكِ
الجواري الكُنُسِ ، في مروطِ السّندسِ ، كأنها ما استعارت من الكُثبانِ
أكفالا ، ولا من الأغصانِ اعتدالا ، ولا من الروضِ أرداناً ، ولا من
الطبّاءِ أجفاناً ، ولا رنتُ إحداهنّ عن جفنِ همٍّ بالتهويمِ ، فنبتّه النديمِ ،
ونظرَ نظرةً في النجومِ فقال إني سقيم^١ ، والآن : قد كُحِلتْ تلكِ العيونُ
بالترابِ ، وكان كُحْلُها كَحَلًّا ، ولصقتْ تلكِ الحدودُ بالكُثبانِ ،
وكان تقبيلُها أملاً ، وانهالتْ تلكِ الأدعاصُ في الصعيدِ ، وكان التفاتُها
جدلاً^٢ ؛ فوفقتُ معتبراً ، وما أبقيتُ عبرةً إلّا أرسلتها ، ولا دمعاً إلّا^٣
أسبَلْتُها ، بكاءً على المآلِ ، لا على الأطلالِ ، وعلى المصارِ ، لا على
تلكِ الديارِ ، وعلى فَقْدِ الأحبابِ ، لا على ذلكِ الخرابِ .

وفي فصل منها : ثم جئنا إلى المسجد الجامع ، ونظرتُ من تلكِ المصانعِ ،
فرأيتُ بنياناً بديعاً ، وإيواناً رفيعاً ، شاده ذو عزمٍ وتأيبِد ، وبناه أولو قوةٍ
وأولو بأسٍ شديدٍ ، فكأنما أرسّتهُ عاد ، أو بنته ملائكة غلاظٌ شداد .
ومشينا من رتبة إلى رتبة ، ومن قُبّةٍ إلى قبةٍ ، حتى انتهينا إلى المقصورة فألقينا

١ انظر الآية : ٨٨ من سورة الصافات .

٢ ط س : خذلا .

٣ ب م : أرسلتها .

٤ س : ومراقبة إلى مرقبة .

سُقْفًا من فضةٍ ومعارجٍ إلى الجنة قد قُرِطَ سمكها بالذهب الأحمر ،
والفلز^١ الأخضر ، وبُلُطَ سَطْحُهَا بماءِ الجوهر ، وكافورِ المرمر ، فكأنَّ
قبابها [قد] عَقِدَتْ بالجفونِ الدُّعُج ، والحواجبِ البُلُج ، وكأنَّ درجاتٍ
منبرها تكاسيرُ^٢ الشعور ، مالتْ على متونِ الحور ، أو مناطقُ الأعكان^٣ ،
ضَمَّتْ على الخصورِ اللدان ، أَلَفَ من عاجِ كالمباسم ، نُقِشَ نَقِشَ
الدراهم ، وأبنوسِ كالعُدائِر ، طَبِيعَ طَبِيعِ الدنانير ، وصنَدِلَ كأطرافِ البنان ،
كُتِبَتْ بِهُدُوبِ الأَجْفَان ؛ ثم اعتمدنا إلى المحراب ، فكلُّ خَرٍّ رَاكِعًا
وأَنَاب ، وجيء بمصحفِ عثمان ذي النورين ، يُحْمَلُ على المَفرِقِ واليدين ،
فلما خُلِعَتْ مطارفه ، وفتحت صحائفه ، اذا بِمُدْرَجٍ من فردوسِ
الجنات أنبت نباتًا أخضر ، وطَرَزَ كخدودِ الولدان كما أطلعتِ الشجر ،
وكأنما خُطَّتْ بمجازسِ^٤ النحل ، ونُضِدَتْ من روادفِ النمل ، فاستمد
مدادُها من قلوب الكافرين ، وخُلِقَ خلوقها من عيونِ الشهداء والصديقين^٥ ،
فلذلك لم يحتجَ بيانهُ إلى ضَبْطٍ ونَقْطٍ ، ولا افتقر قرآنه إلى أكثر من ورقٍ
وخط ، جرى فيه كاتبه^٦ على سجيّة لسانه فأَمِنَ اللحن ، وأخذ بِسُنَّةِ
أهل زمانه فترك العَجْجَمَ والشكْلَ ، وأمر بقولِ ربِّ العالمين ﴿ إِنَّا نَحْنُ
نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَكَافِيُونَ ﴾ (الحجر : ٩) فألصقته بكبدي
ليبردَ ذلك الأَوَارَ ، وأمرغت فيه خدي عسى ألاَّ تمسه النار ، ولمحتُ

١ ب م : والعقر ؛ د س : والفلق .

٢ ط د س : مكاسير .

٣ ط د : مناطق ؛ ب م للأعكان .

٤ ب م : اطلقت .

٥ ط د : بمحارم .

٦ ط د س : والصالحين .

أثرَ دمِ الشهيد ، فجثتُ [١٢٠ أ] من دمعي بأربعة شهود ، وقلت :
 ألا فُضَّ قَمُ الحسام كيف قَصَفَ لحمه ^١ ، وأرغِمَ أنفُ السَّنانِ كيف
 استرعَفَ دمه ، وتباً لعبيد الدار كيف أغمدوا شفارهم ، وعجباً من بقيَّةِ
 الانتصارِ كيف ضيَّعوا انتصارهم ، و ﴿ لا أقسمُ بمواقعِ النجوم ، وإنه
 لقسمٌ لو تعلمونَ عظيمٌ ﴾ (الواقعة : ٧٥) لو شاهدتُ [يومَ] ذلك
 البرح ، لصار القلمُ في يدي كصدرِ الرمح ، وأضحى المقطعُ في يدي أبيضَ
 مثل السيف ، ولكانتُ سكينِي هنالك حساماً ، ويميني عمراً وصمَّصاماً ،
 وقلبي على لينه جماداً ، وسعيمي على ضعف حويله جهاداً ، حتى أرمي
 مَنْ رَمَى في المقتل ، وأقتلَ دونه قِتْلَةَ المكبِّ المقبل .

• ثم خرجنا وقد صدَّتْ نفوسنا ، ووَجِلَتْ قلوبنا ، وخلتُ من الدمعِ
 عيوننا ، ولم يتسعَ يومُ الإقامة ^٢ ، لأكثرَ من هذه المقامة . < ثم > باكرتُ
 الرحيل ، ويتمتُ في الغدِ الملكُ الجليل ، الذي ضارَعَ به المشرقَ المغرب ، وسادتُ
 لحم سائر العرب . فلما فصلتُ عنها ورأيتُ من حسنِها وجمالِها ، واتصالِ
 مساكنِها وظلالِها ، ما حُبِسَ عليه ناظري ، وجُدِبَ إليه خاطري ، فقلتُ ^٣ :

سقى جديداً من الأيامِ قرطبةً ماءُ الشبابِ وريقُ الباردِ الخصرِ
 وقفاً بمدّ الندى في روضه شرقاً من الغمامِ مع الآصالِ والبُكرِ
 كأنه فيه والإمساءُ يَبْسُطُهُ رداءُ إلفين قد صاراً إلى وطرِ
 حتى إذا شيبَ كافورُ الصباحِ به أضحتُ تصعده نارٌ من الزهرِ
 وبين هذين من لينٍ ومن لطفِ روحٍ يقيمُ سجودَ النجمِ والشجرِ

١ د : قصم ، ولعل الصواب : « قضب » ؛ ب م : لحنه .

٢ ب م : القيامة .

٣ باكرت الرحيل . . . فقلت : سقط كله من د ط س ، وجاء في موضعه : ومن شعره .

للليل فيه سواد يستهام به كأنه في سواد العين والشعر
وللنهار سناً يحكي تبلجسه نور البصيرة مقروناً مع البصر
كأنما شمسها تحت الغمام سنا وجه تنفس في مرآته نضير
والطل في غداة القطر تحسبه حلياً سقى زهر اللبّات بالدرر
وصفحة النهر الفضّي مبسمه^١ في روضها مثل خيط^٢ الفجر في السحر

ثم نفذت^٣ لطيفي ، وأخذت في وجهتي ، وكان لا عهد لي بلقاء المعتضد
بالله — تحوّل الله الدين والدنيا ببقاه ، وأدام به على الزمان بهاه — وله
من بُعد الصبب ورفع الشان ، وفخامة الذكر وعزة السلطان ، ما تهاب
النفوس سماعه ، كما تألف الجفون اطلاعه ، وتجلّ القلوب [١٢٠ ب]
مكانه ، كما تستلذّ العيون عيانه ، فأدركني من توهم لقياه ، وتخيل سناه ، ما يدرك
راكب البحر قبل نشر الرياح ، وشارب الخمر قبل امتزاج^٤ الراح بالراح .

وفي فصل : ثم لقيته من الغد فقابلت من وجهه بدمراً تأخذ منه
البدور ، وقبّلت من كفه بجرأ تغرف منه البحور ، ولا غرو أن تغترف
من بحر بحار ، وتستمدّ من نور أنوار ، فإن مادة البحور ، من البحر
المسجور ، وعلّة الأنوار ، شمس النهار ، وشاهدت منه منظراً استمال
عيني حتى عقّد به^٥ أطرافها ، ونخبراً استهوى نفسي حتى كره^٥ إليّ
انصرافها ، وظلّ ينفث من نبله سحراً أضبطه^٥ بذهني ، وينثر من
لفظه درأ^٥ ألقطه بأذني ، حتى صارت لي الثريا قرطاً ، والمجرة مِرطاً ،

١ ط د س : باسمه .

٢ ط د س : ارتحلت .

٣ ط د س : خط .

٤ ب م : بامتزاج .

٥ ب م : عقدته .

وأخذتُ في الرسالة ، فلما سامح الأدب ، وساعدَ المذهب ، قلت : أيدك الله ، إن مَنْ أرسل رسولاً في مهمٍّ تطلّع ، وَمَنْ رجا صديقاً لدفعٍ لملمٍّ توقع ^١ ، لا سيما إن رجاهُ شفاءً من الخطب ، واستهداهُ هِناءً لموضعِ النقب ، فقد تعلمُ كيف نظرُ السقيمِ إلى العائد ، وناهيك إن كان طبيباً ، والتفاتُ المقيمِ إلى الوارد ، ويكفيك إن أوردَ محبوباً ^٢ ، وإن رئيسي - معظّمك - أرسلني إليك وانتظر ، وأوفدني عليك ثم استمطر ، وقد رأى أن إسعادك مُرادُه ، وإنجادك ^٣ مرّاده ، فلوى عنك ما بطأ السبّاق ، وعاق دونك ما أخرّ اللحاق ، حتى تطاولَ الزمانُ ، وحالتِ الأحيان ، وفي ذلك من تعذيبِ نفسه ، وإرجاءِ أنسيهِ ، ما يدعو إلى إشفافك من شغلِ باله ، وارتماضك من نكدِ حاله ، إذ لا يلدّ بحالٍ حتى يدري ما له عندك ، في حلّوهِ ومُره ، ولا ينعمُ ببالٍ حتى يحتلي ما تنهيه إليه من جدك ، في يُسرهِ وعُسْرهِ ، فلك الفضلُ في إيشاكٍ إيابي ، وإراحةِ مآبي ، حتى أسرعَ بسرّائه ، وأقطعَ بما يزيدُ في مضائه . فعاطبتُ بما اقتضيته من إيجابي ، وألقيته من سريعِ اطلابي ، وكتبتُ إلى الوزير أبي الوليد بن زيدون ، برقة أقول فيها : لم أزل منذ فارقتُ الشرّقَ ، وتخلّفتُ ذلك الأفقَ ، أثقلُ بين ثلجٍ يكفّن ، ووحلٍ يدفّن ، وريحٍ تبعثُ مَنْ في القبور ، ورعدٍ ينفخُ في صُورِ النشور ، وبرقٍ يرمقُ ^٥ أصحابَ الجحيم ، ويريمهم صورةَ العذابِ الأليم ، إلى أن وصلتُ محلّ ^٦ العليا ، ومنتهى سِدْرةِ الدنيا ، حضرةَ

١ ط د : يتوقع .

٢ ط د س : حبيباً .

٣ د : وإنجارك ؛ ط س : وإنجازك .

٤ ب م : ريان .

٥ ط د س : محلة .

٦ ط س : يومن .

المعتضد بالله وقلتُ : ﴿فَنَعِمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد : ٢٤) ما يُنْكِرُ لأهل الجنة السلوكُ على متن النار ، وكنتُ أَسْمَعُ أنباءَهُ فاستغربُ ، وأنزعُ تلقاءَهُ [١٢١ أ] فاستدني واستقرب ، حتى رأيتُ عياناً ، واستوضحتُ بياناً ، فاذا الحُبْرُ أزرى بالخَبَرِ ، [والعيانُ أُرْبَى على الأثر] ، وقلتُ : بحقٍ سألَ الكليمُ رؤيةَ الربِّ ، وقالَ إبراهيمُ ﴿بلى ولكن ليطمئنَّ قلبي﴾ (البقرة : ٢٦٠) وإني رأيتُ ملكاً لا يَصْعَدُ الطرفُ إليه إجلالاً ، ولا تطيقُ النفوسُ^١ عنه انفصالاً ، قد جمعَ مهابةَ العَدَلِ ، إلى ودادةٍ^٢ الفضلِ ، وجلالةَ المنصبِ ، إلى لطافةِ الأدبِ ، وركانةَ القُعودِ ، إلى بشاشةِ التودُدِ ، وبرقَ الحسامِ ، إلى ودقِ الأيادي الحسامِ ، إن رمقَ الأعداءِ فأجفانُ نصاله طارقة^٣ الشفار ، أو وصلَ الأوداءَ فأنداءُ بنانه آلفة الأوطار ، ضالتهُ الحكمةُ ، وشريعتهُ الحجةُ ، وإن رأى حقيقةً أنصف ، وإن رمى بحجةٍ أهدف ، يصيبُ بذهنه حدَقَ الغيوبِ^٤ ، ويعلمُ بظنه خائنةَ الأعين والقلوب :

الآلعيُّ الذي يظنُّ لك الظنَّ كأنَّ قد رأى وقد سمعاً^٥

وفي فصل [منها] : والمعتضدُ بالله لا يَدْعُ في ذلك تأنيسي بكلِّ تحفة يُهديها مع الأحيان ، وطُرْفَةٍ يوليها^٦ مع كلِّ دقيقةٍ من الزمان ، ولقد

١ ط د س : النفس .

٢ ط د س : جزالة .

٣ ط د س : طارقة .

٤ ط س : حذق ؛ ب م د : الغيوب .

٥ البيت لأوس بن حجر ، ديوانه : ٥٣ .

٦ ط د س : خلال ذلك .

٧ ط د س : يواليها .

تاحفني يوماً عندما طرأت الأشابيل^١ في النهر ، وانسربت من البحر ، بعدة
أسماء^٢ مشنية^٣ الذوائب متمكنة الحياة ، لدنة^٤ النقل والحركات ،
فظلت في مائها تطير ساجحة ، وتسبح طائرة ، وأقبلت تأخذ مرة^٥ جائية^٦
وأخرى سائرة^٧ ، وقد تختمت بالعقيان في جفونها ، وتوجت بالجمان في
عرانيتها ، وتطوقت بالمرجان في عثانيتها ، وعذرت بالريحان فوق متونها ،
وشابت قبل الإنسان من بطونها ، وأربت على النشوان في اضطرابها ولينها ،
فأعملت فكري في شذوذ هذه الصفات ، وغرابة^٨ هذه الآيات ، حتى
عرفت تحليلها ، وفككت تأويلها ، فإذا بها قد شربت ماء نداء فلم يعدم^٩؛
حيوانها ، ورأت مجيئه^{١٠} فخصت^{١١} بالخلية أجفانها ، وقبلت بساط مشواه
فطوقت بالدر^{١٢} مراشفها .

[فصل] في ذكر الوزير الكاتب أبي جعفر بن جرج والإتيان بقطعة من محاسن نظمه ونثره^{١٣}

قال ابن بسام : وكان أبو جعفر وقتته أحد الأعلام ، وفرسان الكلام ،
وحل آخر أيام ملوك الطوائف بأفقنا من الدول ، محل الشمس من

١ الأشابيل : يبدو أن اللفظة بهذه الصورة تفيد أنواعاً من الشابل وهو السمك الذي يدعى
بالفرنسية : alose وبالاسبانية : Sabalo ويقول ابن هشام إن صواب الكلمة « اشبول »
(مجلة معهد المخطوطات ٣ : ٢٩٣) وعلى هذا تكون « أشابيل » صيغة منتهى الجموع
للمفرد « أشبول » .

٢ ط د : مشنية .

٣ ط د : وغرائب .

٤ ط س : تعدم .

٥ ط د س : فجلت .

٦ يذكر ابن الأبار (التحفة : ٦١) أن بيت بني جرج من بيوتات قرطبة النبيلة ، وأن أصلهم
من البيرة ؛ وقد ترجم لأبي جعفر عبد الله بن محمد منهم (- ٥٧٥) ؛ وهناك أبو جعفر =

الحَمَلِ ، فحملها على كاهله ، وصَرَفَ أَعْنَتَهَا بين أنامله ، حُسْنِ
شلاة ، وكرمَ إشارةٍ ، وعلوَّ همة ، وظهورَ نعمة ، وله رسائلُ مطبوعةٌ
ومنازعٌ إلى الأدب بعيدة^١ ، وقد كتبتُ في هذا الفصلِ من نظمه ونثره ،
ما يعربُ عن كُنْهِ قدره^٢ .

جملة من نثره [١٢١ ب]

لما حُلَّ ابنُ طاهرٍ أبو عبد الرحمن من وثاقِهِ ، وخرجَ خروجَ الزَّبَرقانِ
من محاقه ، خاطبه برقعةٍ قال فيها : ما أعجبَ الأيامَ—أعقبتَ منها السلامةَ
والسلامَ^٣ — فيما تقضي ، وكيف تمضي ، تتعاقبُ بتلوين ، وتترأى
بين تقبيحٍ وتحسين ، وهي تَعْتَبُ^٤ وتُعْتَبُ^٤ ، وتعتذرُ كما تذب ، وتصدعُ
وتشعب ، كما تجدد وتلعب ، وإن صنيعها عندنا فيك وإن كان ألام^٥ فقد
أحمد ، إذ أحمداً ما^٦ أوقد ، فعاد غيثٌ^٧ على ما أفسد ، وإن يكن^٨—حَمَى

= ثان اسمه أحمد بن عتيق بن جرج الذهبي ؛ وهو متأخر الوفاة (- ٦٠١) ؛ وأبو جعفر
المترجم به هنا ، كان وزيراً لابن عمار لما ثار بمروية ، انظر المغرب ٢ : ٣٠٥ والمسالك
١١ : ٤٤٩ (وكلاهما ينقل عن الذخيرة) .

١ ط د س : بديعة .

٢ ط د س : نثره ونظمه عن علمه .

٣ المغرب : اعقب الله منها السلامة والسلام .

٤ ب : تقيث ؛ م : تعيث ؛ د : تعنت .

٥ ط د : آلم .

٦ ط د س : وما .

٧ ط د س : عيث .

٨ ط د س : لم يكن .

اللهُ دَارَكَ^١ ، وأدنى أوطارك - كشفتُ إليك صفحة اعتراء^٢ ، ونخِطتُ
 حماكَ بقدَمِ اعتداء ، فقد تراجعتُ تمشي على استحياء ، متنصّلةً مما
 اجترمتُ ، متأسّفةً على ما اخترمتُ^٣ ، وعند مثلك للقدَرِ التسليم ،
 فأنت الخبيرُ العليم ، أنه ما اختلفَ الليلُ والنهار ، إلّا بِتَنَقُّضٍ وإمرار ،
 ولا دار الفلكُ المدارُ^٤ ، إلّا بطوالعٍ ومُغَارٍ^٥ ، وكنتَ في الأرضِ من
 أسنى مطالعها الباهرة الأنوارِ^٦ ، فلا غرو أن أدركك ما يدركها من الأُفولِ
 حيناً والسرار . فقد تُكسِفُ البدور ، ثم تعاودُها الاضاءةُ والنور ،
 والحمد لله الذي أخرجَكَ من ظلمات تلك الغمائمِ ، خروجَ السيفِ من
 الجلاء ، والبدْرِ بعد الانجلاء ، نقيَّ الثيابِ^٧ من تلك الطخياء ، وسترُ الله
 تعالى دونكَ ضافٍ مُنسدل ، وقِدْحُكَ في كلِّ حالٍ من بلاء وإعفاءٍ
 فائزٌ معتدل ، ولا تأسَ على أعراضِ الدنيا^٨ فهي رهينةٌ بزوالٍ وذهاب ،
 « وكلُّ الذي فوق الترابِ تراب »^٩ ، هناك الله وهنأ أهلَ الفضلِ فيك
 طراً هذا الصنعُ الأَجْمَل ، وجزى الله الوزيرَ الأَجَلَ [الأَكل] عمادَ الكلِّ
 جزاءَ السادةِ الزادةِ الأَحْرار ، ذوي الأنفةِ والانتصار ، فيا لها منقبة
 [تنقب] في البلاد ، ومكرمةٌ غراء تردُّ بهيماً كلَّ أغرٍّ جواد ، سرى لها

١ ط د س : ذمارك ، وكذلك في المغرب ؛ ب م : ذراك وحرس علاك .

٢ ب م : اغترار .

٣ المغرب : متنصلاً مما اقترَف ، متأسفاً على ما سلف ؛ ط س د : مبقية ؛ د : منفية على ما أجَرمَت .

٤ ط د : الدوار .

٥ المغرب : إلّا لأمر واختيار .

٦ المغرب : مشرق الانوار .

٧ د ط س : الأثواب .

٨ د ط س : ولا بؤس ولا عرض من أعراض الدنيا .

٩ عجز بيت للمثنبي ، وصدرة : إذا نلت منك الود فالمال هين .

وقد نامت عيون ، وتغاضت جفون ، فأحمدت به السرى ، حين نضا الصبح ثوب الدجى ، وانحسرت تلك الخطوب عن حياته دون^١ حسامه ، كما انصدع عن الصديق ممزق ظلامه ، ولقد رمى [فأصاب صواب سهامه ، « وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى »] (الانفال : ١٧) وهكذا يكون الرأي الأصيل ، والسعي الجليل ، والرعي الجميل ، والوفاء الذي قصّر عنه قصير^٢ ، أبقاء الله بقاء هذا الأثر ، الذي يبقى بعد فناء البشر .

ومن جواب أبي عبد الرحمن له على هذا الخطاب : وافى كتابك الكريم رائداً في جناب التسلية ، ومنيراً من أفق المشاركة والتهنية ، وأي أنس لم أجتز منه ، وكل فصل فيه أنا الشاكر عنه ، وللأيام - كما قلت - تلون بين الإساءة والاحسان معلوم ، وتقلب [١٢٢ أ] بالإنسان قديم ، تنقض غب ما تبهرم ، وتعترض على إثر ما تسلم ، فالتفويض إلى الله في خطبها أهدى ، والرغبة في ثوابه جلّ وتعالى أحرى ، وكان لها بحكمه^٣ [إيغال] في جانبي ، وإطلال علي بنواحي ، عبس لها الزمان إليّ وكان مبتسماً ، وتشعب وما زال منتظماً ، إلا أنه تعالى بلطفه الخفيّ ، وصنعه الخفيّ ، ألهم إلى الصبر ، ودلّ على ما يعود بالأجر ، فسأيرت الغمرة كما سائرني ، وتجلدت لها كما نالت مني ، وأتاح الله خلاها ذخراً كريماً انتضى لي حساماً من رأيه صقيلاً ، وبذل دوني مذهباً في سعيه جميلاً ،

١ د ط س : عن خطوبه عن .

٢ قصير بن سعد اللخمي الذي وفي بلذيمة وجدع أنفه واحتال على الزبا ، حتى أخذ بثأر بلذيمة مع عمرو بن عدي ؛ (انظر صفحات متفرقة من فصل المقال) .

٣ ب م : تحكما .

٤ ط د س : من الأجر .

٥ ط د س : كيف .

فابتزني من يد الدهر ، وخلطني بنفس الحلو والمر ، واحدي الوزير الأجل
أبا بكر بن عبد العزيز — أحسن الله ذكره ، وأدنى عني شكره — .
وبعد ، فحق مساهمتك جليل ، وثنائي على مبررتك موصول ،
ولا ارتياب عندي بانزعاجك أولاً ، وابتهاجك آخراً ، وصحة مودتك
باطناً وظاهراً .

ولأبي جعفر بن جرج من أخرى^١ : ورد كتابك [الكريم] حلوا المناسبة
جزل^٢ الضريم^٣ ، كما عصفت الريح وهب النسيم ، ومعلوم — أعزك الله ،
والعذر في ذلك قد قدمناه — أن الجذاع لها نشاط ، وأن القرع من الإعياء
على سقاط ، فكيف نذارعك^٣ هذا البساط ، وأنت تفتن من الكلام بين
المطبوع والمصنوع ، وتأخذ بطرفي الموصول والمقطوع ، فطوراً في سهول
الوهاد ، وطوراً على حزون النجاد ، فمن لي وكيف لي ، بمن سيّله
يحط الجندل من علي :

هو السيل إن واجهته انقدت طوعه
وتقتاده من جانبيه فيتبع
ومن شعره ، قال في النسيب^٤ :

وخذ تألق صباغـــــــــه قد اختلفت فيه أصباغه
فللدرّ والورد أبشاره وللمسك والآس أصداغه
بديع المحاسن قد صاغه فأبدع ما شاء صواغـــــــــه

- ١ ب م : فجأوبه أبو جعفر بن جرج ؛ قلت : وذلك قول غير دقيق .
٢ الضريم : الحريق أو كل شيء أضرمت به النار ؛ د ط س : الغريم ؛ ب م : العريم ؛ والجزل :
الغليظ الشديد .
٣ ب م : يدار على . ؛ منها بيتان في المسالك .

نتيـجٌ من الشـمس في قالبٍ من الصُّبحِ أُحْكِمَ لإفراغِهِ
حبيبٌ له مقلةٌ ، طرفها عدوٌّ فؤاديَ لدّاغِـسِهِ

وقال :

يا أـملحَ الناسِ بل [يا] فتنةَ الناسِ يا غصنِ آسٍ لآدِواءِ الهوى آسي
يا من أشبتها حسناً إذا طلعتُ بدرأً على غُصْنٍ يهتزُّ مياسِ
ما لي وما لك تجزيني قلبي بهوى كفى بهذا فـدتكِ النفس من باسِ [١٢٢ ب]

وقال ١ :

كم بالمواكبُ ٢ من زورٍ على رقبِ خطرأ ٣ على الهول في غاب القنا الأشبِ
أسمو إلى نيرٍ ، الأفلاكِ مرتقياً ٤ حتى خلوت بـشمسِ الخدر في الحجبِ
وأنجمُ الجوّ تبدو في حداثقها كالنور أزهـر في أحوى من العشبِ
ثم انشيتُ وقد رويت من غُلُلٍ هيمٍ ولم أنس بـقيا الدين والحسبِ

وقال :

هم صيتروني خيالاً غيرَ منتعشِ لا أستبينُ من الآسقام في فُرُشِ
ان الهوى كتبَ الآجالَ في مُقلِ ٥ آجال من أنسٍ عن وصلنا وحُشِ
بيض مناظرها سود غدائرها ٦ كما تلاقي جيوشُ الروم والحبشِ
كيف النجاةُ لقلبٍ بات منتهشاً ما بين عقرب ذاك الصُدغِ والحنشِ

١ وردت هذه الأبيات في المسالك .

٢ ط د س : بالمراقب .

٣ المسالك : خطوا .

٤ س والمسالك : منزل .

٥ ط د س : مرتفعاً .

أَفْلَنَ مِنْ كَلَلِ هَلْهَلَنَ فِي غَبَشٍ
وَلَا وَرُودَ وَقَدْ أَشْفَيْتُ مِنْ عَطَشٍ
رَحْمَاكِ لَوْلَا رَجَاكِ النَّفْسُ لَمْ تَعِشْ

أَهْلَةً فِي لَيْالِي السَّعْدِ ١ مَطْلَعُهَا
جَنَابٌ ٢ رُوحٌ أَرَى وَرَدَ النِّعِيمِ بِهِ
يَا عَيْشَةَ النَّفْسِ يَا رُوحَ الْحَيَاةِ لَهَا
وَقَالَ ٣ :

مُطَرَّرَ الصَّدْعِ لَمْ يُرْقَمَ ٤ بِتَطْرِيزِ
بَأَنَّهُ بَشَرٌ إِلَّا بِتَمْيِيزِ
مَعْجَزَاتٍ سِوَاهُ أَيَّ تَعْجِيزِ

وَمُذْهَبِ الْخَدِّ لَمْ يَذْهَبْ بِابْرِيزِ
قَدْ رَاقَ بِالنُّورِ حَتَّى مَا نَحْدَدُهُ
بِدَائِعِ بِكَمَالِ اللَّهِ شَاهِدُهُ
وَقَالَ ٥ :

قَلْبِي فَقَدْ بَعَدُوا عَنِّي وَلَا قُرْبُ ٦
فِي الْقَادِمِينَ وَفِي قَلْبِي إِذَا غَرَبُوا

سَارُوا فَوَدَّعَهُمْ طَرْفِي وَأَوْدَعَهُمْ
هَمُّ الشَّمْسِ فِي عَيْنِي إِذَا طَلَعُوا
وَلَهُ يَنْدُبُ أَطْلَالُ الزَّهْرَاءِ :

لَعَيْنِيكَ غِبْرَاءَ الدُّثُورِ حَيَا الْمَزْنِ
وَذَاكَ الْهُوَاءُ الْغَضُّ كَالْمَلْسِ اللَّدَنِ
سَنَاهَا غَدَتِ تَعْطِي النَّفُوسَ مِنَ الْحَزَنِ
فَأُضْحِتْ وَمَا غَيْرَ الْأَسَى رَائِدَ اللَّحَنِ

سَقَى اللَّهُ زَهْرَاءَ الْقُصُورِ وَإِنْ بَدَتْ
فَلَا جَوْ كَالْجَوْ الصَّقِيلِ بِأَفْقِنَا
عَلَى قَدَرٍ مَا أُعْطِيَ الْعَيُونَ مِنَ الْحَسَنِ
وَكَمْ قَدْ جَنَّتْ تِلْكَ الْمَنَى أَهْلَهَا الْمَنَى

-
- ١ ط د س : الشعر .
٢ ب م : حيات .
٣ منها بيتان في المسالك .
٤ ط د س : يرقع .
٥ وردا في المسالك والمغرب .
٦ المسالك : فما بعدوا عني ولا قربوا . في وقد قربوا المغرب : فما بعدوا . . . ولا قربوا ؛
ط د س : ولا قربوا .

عفا حسنُها إلاَّ أزهَرَ دمنةً وعَرَفَا كأنَّ المسكَ فيها من الدمن [١٢٣] أ
تذكّرنا تلكَ المباني بَعَرَفُها وبالزَّهر تلكَ الأوجه الزُّهر [في] الحسن
إذ الملكُ فيها والملوكُ أعزّةٌ وفيها الغنى لو كان ذاك الغنى يغني
ووقف أبو جعفر بن جرج على قبر أبي عامر بن شهيد فرأى شِعْرَه المنقوش
الذي يخاطبُ فيه صاحبه الزَّجالي^١ :

يا صاحبي قم فقد أطلنا أنحنُ طولَ المدى هجودُ
... الأبيات ؛ فقال أبو جعفر :

ماذا طوتُ وَيَبَّها اللحدُ من كرمٍ فرَعُهُ حصيدُ
هذا الشَّهيدِي رهنُ قبرٍ وشعرُهُ ناطقُ شهيد
بادرني في الصفيح منه محاورُ^٢ صحبُهُ مشيد
وأفصحَ القبرُ باعتبار^٣ وامتنعَ القولُ والنشيد
كيف يحيرُ الجوابَ قومُ كالتربِ في تربهم هجود
قد عفيتُ منهم جنوبُ وعُفِّرَتْ منهمُ خدود
ونحرتُ باللبى عظامُ وانتثرتُ في الثرى الجلود
كم شيدوا في الدنا قصوراً وقصرهم مَلَحَدُ مشيد
كم نعموا لذةً وكم قد غادتهمُ بالكؤوس غيد
ما منهم ان دعا ستولُ مبدىءُ قولٍ ولا معيد

[ومنها] :

١ انظر ديوان ابن شهيد : ٩٨ .

٢ ب م س : مجاور .

٣ ط د : في اعتبار .

٤ ط د : لحد .

أعززُ أبا عامرٍ علينا
لو كنت تُفدى فدتك نفسي
كم لك من منطقٍ صؤولٍ
أين غماماتك الغوادي
أين وزاراتك الهـواـدي
ولت كما أقشعتُ سحابُ
أودى عميد الورى فكلُّ الـ
ان تحنَّ تصدك المنونُ حصداً
ولو تُنبِلُ العلا خلـوداً
إليه أبا عامرٍ وأنت الـ
إنا أزرنا الركابَ قصداً
كالبيتِ تهوي إليه شعثُ
جاد بذاك الثرى ربيعُ
ليزهر النورُ في ذراه
يقولُ من جاءه أوشى^١

أنتك من دوننا الفقيدُ
وطارفُ المالِ والتليد
فصلٍ كما تزارُ الأسود
يرَوَى^١ بها الوهدُ والنجود
أين إماراتك أنصعـود
فلا بروقٌ ولا رعود
ورى لفرطِ الآسى عميد
فكلُّ زرع غداً حصيد
كان لتلك العلا خلـود
جوادُ بالقول لا تجود
قبرك حقٌ له القصود
ومُشعراتُ الهدى قود
كمثل ما جاد منك جود
بأنه لفظك البرود
أم ذلك المنطقُ السديد^٢

وقال أيضاً يرثي أبا بكر بن عمار من قصيد أوله^٣ :

قد طال ما عمّر المرءُ ابن عمار
يُمَلّى له وتملّى كلّ ما وطير
استدرجته لما قد أدرجته به
مُسْتَدْرَجاً بأمانٍ وأخطار
وللمقادير فيه أيّ أوطار [١٢٣ ب]
حتى أتى لمنايه بمقدار

١ ب م : تروي .

٢ ب م : المفيد .

٣ ورد بعضها في المغرب .

موارد^١ خَفِيَّتْ عنه مصادرها
 وهل مُعَمَّرُ قومٍ خالدٌ أبداً
 وهل ممتنعٌ حالٍ دائمٌ أبداً
 مستوزرٌ لم يثل منها إلى وزرٍ
 والمرءُ محتقَبٌ شراً وتحسبهُ
 تأتي الأمورُ إذا أقبلنَ مشكلسةً
 وليس مقتبلٌ أمراً^٣ كمدبرٍ
 ومن يَقْدَهُ الهوى أشفى به عَمَهاً
 وإن مضى فلقد جدَّ الردى فمضى^٥
 والحَيِّنُ ما بين إيراد وإصدار
 ولو غدا العمرُ موصولاً بأعمار
 والدهر رهنٌ باقبالٍ وإدبار
 كم قد تحملَ من أعباءٍ أوزار
 خيراً [لاشكال] إبطان وإظهار^٢
 لكن تفاسيرُها تُغري بادبار
 ما خابطُ الليلِ كالساري^٤ بأنوار
 على شفا جُرْفٍ يهوي به هار
 للمبطلين يبطلُ ونظار^٦

ومحاسنُ أبي جعفرٍ أشهرُ مما أثبتَ ، ولا يفني شرطُ الكتابِ بأكثرَ مما
 كتبت .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي الفضل بن حسداي الإسلامي وإيراد

جلة من نثره ونظمه^٧

كان أبوه يوسفُ بن حسداي بالأندلس من بيتٍ شرفِ اليهود ، فنجم

١ المغرب : مكاره .

٢ ب م : انظار واظفار .

٣ ب م : رأياً .

٤ ب م : للساري . ه ب م : حد . . . فصعى ؛ ط : جر .

٥ البطلان : البين البطولة ؛ النظار : الشهم الطامح الطرف ، يوصف به الفرس ؛ ط د س : وبطار .

٦ حسداي بن يوسف بن حسداي : له ترجمة في المغرب ٢ : ٤٤١ والمطرب : ١٩٦ والقلاند :

١٨٣ والخريدة ٢ : ٤٨٠ (٣ : ٤٦٠) وطبقات صاعد : ٧٧ وابن أبي أصيبعة ٢ :

٥٠ ونفح الطيب ١ : ٥٣٥ ، ٦٤٠ (نقلًا عن القلائد) ٣ : ٢٦٧ ، ٢٩٣ ، ٤٠١ وبدائع

البداية : ٣٦٧ .

بأفق سرقسطة في ذرا دولة ابن هود^١ ، وكان له في الأدب باع ، وبما حمل من أعباء تلك الدولة استقلال^٢ واضطلاع ، وقد رأيت له شعراً لم أروِه فأجتلبه ، ولا استجدته فأبحث عنه وأطلبه . ونشأ أبو الفضل ابنه هذا صفة^٣ احتملها ، وكناية^٤ اخترلها^٥ ، هضبة علاء ، وجدوة ذكاء . وذهبوا^٦ أن جارية ذهبت بلبه ، وغلبته على قلبه ، فجن بها جنونه ، وخلع اليها دينه ، وعلم بذلك صاحبها^٧ فزفها إليه ، ووضع زمامها بين يديه ، فتجافى عن موضعه من وصلها ، أضيع ما كان بين دلالها ودلتها ، أنفة^٨ من أن يظن الناس أن إسلامه كان من أجلها ، فحسن ذكره ، وخفي على كثير من الناس أمره .

وهو أحد من عني في هذا الاقليم ، بالنظر في أنواع التعاليم ، على مراتبها ، وتناول الفنون^٩ من طرقها ، وأحكام علم لسان العرب^{١٠} ، وبلغ الرتبة العليا من البلاغة في الشعر والأدب ، فطارت الكتابة باسمه ، وخلت بينه وبين حكمه ، ولم يكن له بالشعر [١٢٤ أ] فضل عناية ، فلم يجر منه إلى بعيد غاية ، وقد أثبت من كلامه ما تعلق^{١١} بحفظي ، ووقع في شَرط صدرى ؛ وكان بالحملة كما وصفه أبو عبد الرحمن بن طاهر في فصل من خطاب خاطب به المقتدر بن هود يقول فيه^{١٢} : « والوزير

١ ب م : ابن رزين .

٢ ب م : وكناية .

٣ س : صفة جملها وكناية حملها .

٤ انظر نفح الطيب ٣ : ٤٠١ .

٥ ب م : صاحبه .

٦ ب م : الميرون .

٧ ط د س : علم اللسان العربي .

٨ ط د س : علق .

٩ ط س د : في رقعة خاطب بها . . . قال فيها .

الكاتبُ أبو الفضل ، وحيدُ الفضلِ وينبوعُ النبل ، وما غداه قول القائل :
إن أبا الفضلِ له فَضْلُهُ وأين في الناسِ فَيَّ مِثْلُهُ

جمع الخلال الزكية فاحتواها ، ورأى تلك الجلالة فاحتذاها ، وحقَّ لمن
ربي في حجرها ، وارتضعَ بذرّها ، أن يتَّبِيتَنَ فيه رُجْحَانُهَا ، ويتنَسَّمَ
عليه ريحانها ، وأن يكونَ له الشفوفُ والتبريز ، ويتحلّى به الجانبُ العزيز .

جملة ما انتخبته له من ترسيله

فصل له من رقعة إلى ابن رزين^١ : كنتُ أرتاح إذا ومضَ من أفقه
البسام^٢ بارق ، أو ذرّاً من سمته الوضّاحِ شارق ، فأقتصر^٣ من تلقائه على
استنشاقِ نسيم ، وأتّى لي من عرارِ نجدٍ بشميم ، حتى ورد ما أمتعَ بوابلٍ
بعد طلّ ، وسقى نهلاً ووالى بعلّ ، واسترهب^٤ بمعجزتي سحرَ حرامٍ
وحلّ ، قد قصّرَ الله عليه الإبداع : [طوراً] في الندى ببراعةٍ خطيبٍ
وبلاغةٍ كاتب ، وطوراً في الوغى ببديهةٍ طاعنٍ ورويةٍ ضارب ، والربُّ
يديمُ إمتاعَ أشياعِهِ ببارعِ جلاله ، ويصون^٥ عيونَ الحوادثِ عن كماله ،
بمنه .

واستوضحتُ ما أوماً إليه من نشدِ العبدِ الآبق ، على التهدِ^٦ السابق ،

١ اورد بعضها صاحب المغرب .

٢ ب م : ابتسام .

٣ ط س : فأختص .

٤ ط د : واستوهب ؛ المغرب : وبهر .

٥ ب م : وقصور .

٦ ط د س : المهر .

وقد أعملتُ في بقاءه المكاييد ، وبشتتُ في اقتناصه الجبائلَ والمراصد ،
فكأنَّ الرياحَ تخطفتُهُ ، والبحارَ غمرته ، والبلادَ أخففته
وأضمَرتُهُ ، وكيف يُظفرُ بعبدٍ حوشِ الفؤاد ، شكسِ القياد ،
أرغب عن خضوعِ الممالك ، ولحقْ بذؤبانِ الصعاليك^١ ، يعتسفُ شتى
المسالك ، ويعروري ظهورَ المهالك^٢ ، فاتحُ كاسمه سائح^٣ ، على أجردِ
سابع :

كأنَّ على أعطافه ثوب ماتح^٤ ،

وعسى أن يعود هذا الذاهبُ وشيكاً إلى ملكه ، وينتظمَ المتبددُ
من سلكه ، وإن ندَّ هذا الشاردُ ، فما يأسى له الفاقد ، فلا حظَّ
في ارتباط غادر ، ولو أربى في البأس على أسدٍ خادر . وما أولاه
— أيده الله — أن يرتادَ لصنيعه طريقَ المصنع ، ويودِعَها خيرَ
المستودع ، وأن يرتابَ بالثقات ، ويسيءَ ظناً بالخدم^٥ تفرساً في السَّمات ،
وقد عري عن الخير مَنْ جمعَ تلك [١٢٤ ب] الصفات : من زُرْقَةٍ
مقلّة ، وصُفْرَةٍ بشرة ، وحُمْرَةٍ شَعرة ، لا جرمَ أنه نزع بدناءةِ الأروم^٦ ،
إلى أشباهه الروم ، فليبعدْ مثله ، فسيناله ما هو أهْلُهُ ، ويوبقُهُ^٧ غِيَه وجهله .

١ ب م : الممالك . . . الصعاليك .

٢ من قول تأبط شرا :

يظل بمومة ويممي بغيرها جحيشاً ويعروري ظهور المهالك

٣ ط س : سايح .

٤ ط س د : مايح .

٥ م ب : بالحزم .

٦ ط س : الأرومة .

٧ ب م : ويوقفه ؛ ط : ويوقفه .

وله من أخرى إلى المستعين يعتذر من خروجه عنه : الدهر — أيد الله مولاي^١ — منتقل^٢ متقلب^٣ ، والدنيا دول^٤ وعُقب^٥ ، ومقام القطان^٦ في الأوطان^٧ ، كمقام الأرواح في الأبدان^٨ ، تصحبها إلى آجال^٩ موفاة^{١٠} ، عند آما^{١١} مستوفاة^{١٢} ، فمدد^{١٣} الأحوال^{١٤} مناسبة^{١٥} للأعمار^{١٦} :

وإنما الناس^{١٧} نفوس^{١٨} الديار^{١٩}

وقد عَمَرْتُ ذلك الأفقَ ما امتدَّ المهَلُّ ، فلما نبا أجدَّ الظعن^{٢٠} والتحول^{٢١} ، وليس للمملوك على مولاه حق^{٢٢} يدعيه^{٢٣} ، ولا مطلب^{٢٤} يقتضيه^{٢٥} ، وإنما هو إحسان^{٢٦} يوثق^{٢٧} ويقيد^{٢٨} ، أو تسريح^{٢٩} يُطلق^{٣٠} فيشرد^{٣١} ، قال تعالى ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران : ١٥٩) وقال الحكيم : «مَنْ لَانَ تَأَلَّفَ ، وَمَنْ شَدَّ نَفَرَ» ؛ ولكل^{٣٢} مقام مقال^{٣٣} ، ولكل^{٣٤} زمان رجال^{٣٥} ، وفي كل^{٣٦} مضيق^{٣٧} مجال^{٣٨} ، وقلما اطردت الخطوة^{٣٩} في الدَّوَلِ ، لمن اختصَّ بالأسلاف^{٤٠} الأول^{٤١} ، ومن خدَمَ الآباء^{٤٢} لم يخدم^{٤٣} الأولاد^{٤٤} ، فضلاً عن مَنْ خدَمَ الأجداد^{٤٥} ، وأنا آية^{٤٦} تصرفت^{٤٧} ، وحيث^{٤٨} تقلبت^{٤٩} ، العبد^{٥٠} القين^{٥١} ، فليحسن^{٥٢} بي الظن^{٥٣} ، فإني لا أَلِمَ^{٥٤} بنقص^{٥٥} ولا ثلم^{٥٦} ، ولا أهما^{٥٧} ببغض^{٥٨} ولا وصم^{٥٩} . ومن أَمَلِي أن ألقى مولاي يوماً من الدهر^{٦٠} ، بوجه^{٦١} يُسْفِرُ عن أساريه الزُّهر^{٦٢} ، صافي^{٦٣} القِرْنِدِ من صدأ^{٦٤} [يعيب^{٦٥}] ، نقي^{٦٦} الأديم^{٦٧} من خجل^{٦٨} يريب^{٦٩} ، وله علي^{٧٠} من كرم^{٧١} العهد كالي^{٧٢} ورقيب^{٧٣} ،

١ ط د س : أيدك الله .

٢ ط د س : فمدود .

٣ ط د س : أنى .

٤ ب م : في أنى .

٥ ط د س : بعض ولا ثلم ؛ ب م : ببغض . . . بنقص .

وإن أضمرتني من جوانح البلاد^١ حُجُبٌ وَغُيُوبٌ :

فلو كنتُ بالعنقاء أربأ سومها لخلتُكَ إلا أن تصدَّ تراني^٢

وقد خاطبتُ من وثقتُ بودة ، وأنستُ إلى جدّه ، فإن جادَ مولاي بالصفح ،
وعاد بالخلقِ السَّمَح ، فهو الذي يَضْطَرُّهُ إليه عالي مَنْصِبِهِ ، وسامي
رُتَبِهِ ، وإن صرم الحبلَ ، وجذمَ الأَصْل ، فهو حكمُ الزمانِ الفاسد ،
ولا نَعْمَى^٣ للشامتِ الحاسد ، فليس بالباقي ولا الخالد ، فكلُّ عرضٍ ذاهبٌ
مع جسمه الفاني ، و « ذكرُ الفتي عُمُرُهُ الثاني »^٤ ، وإن استحلَّ حرامٌ ،
من دارٍ أورثها كرام ، فالعفاءُ على الجَفْنِ إذا سلم الحسام ، وقد صانتهُ
وأغمده ، من زانه إذا تَقَلَّدَه ، وإن تعدَّى إلى تغييرِ الرسوم ، فربما لُبِسَ
على الإقواء ثوبُ النعيم ، وقد قال سقراط^٥ : إذا انكسر الحبُّ لم ينكسر
المكان ، ولا يتسعُ في تغييره الامكان ، ولك في ما تراه المثلُّ الأعلى ، وفي
ما تتوخاه الشرفُ الأزكى^٦ .

قوله : « وإنما الناسُ نفوسُ الديار » لفظُ بيتِ علي بن محمد الإيادي ،

حيث [١٢٥ أ] يقول :

ماتوا فماتتْ أسفاً دارهُمُ وإنما الناسُ نفوسُ الديارِ

١ ط د س : البعد .

٢ العنقاء : أكمة فوق جبل مشرف ؛ وفي النسخ أو باسومها .

٣ ط س : معنى .

٤ من قول المتنبي :

ذكر الفتي عمره الثاني وحاجته ما قاته وفضول العيش أشغال

٥ ط د س : أبقراط .

٦ ب م : الأقصى .

وقوله : « فالفاء على الجفن إذا سلم الحسام » من قول المعري في مراثيه في أبيه ، ومن جملة شعرٍ يقول فيه ^١ :

ولإجلالٍ مغناكَ اجتهدُ مقصّرٍ إذا النّصلُ أودى فالفاء على الجفن
وقوله : « فربّما لبس مع الإقواء ثوب النعيم » من قول أبي نواس ^٢ :

لمن دِمنٌ تزدادُ طيبَ نسيمٍ على طولٍ ما أقوتُ وحسن رسومٍ
تجافى البلى عنهنّ حتى كأنما لبسنَ على الإقواء ثوبَ نعيمٍ

ولأنما أخذه أبو نواس ^٣ من قول أحد الأعراب :

شطّتْ بهم عنكَ نيّةٌ قدّفتْ غادرتِ الشّعْبُ غيرَ ملتئمٍ
واستودعتْ سرّها الرياض فما تزدادُ طيباً إلّا مع القدم

أو من قول الآخر :

ما غيرَ الدارَ بعدَ ساكنها ريحٌ ولا ديمةٌ ولا مطرٌ
كانتْها تُرْعَة ^٥ يمانيةٌ قد نُشِرتْ في عِراصِها الحَبِرُ

وقال الأخطل ^٦ :

لأسماءَ محتلٌ بناظرةَ البشرِ قديمٌ ولما يَعْفُهُ سالفُ الدهرِ
يكادُ من العرفانِ يضحكُ رسمه وكم من ليالٍ للديارِ ومن شهر

١ شروح السقط : ٩٣٠ .

٢ ديوان أبي نواس : ٨٨ ، وروايته : حسن رسوم . . . وطيب نسيم .

٣ س د ط : الحسن .

٤ ط د س : الشمل .

٥ ب م : جرعة .

٦ لم يردا في ديوانه ؛ والأول له في معجم البكري : ١٢٨٩ ؛ ط د : وقال الآخر .

وقال أبو صخر الهذلي^١ :

لليلي بذات الجيش دارٌ عرفتُها وأخرى بذاتِ البينِ آياتُها سَطُرُ
كأنهما مِـمَّ الآنِ لم يتغيّرا وقد مرَّ للدارين من بعدنا عصر

وقال مزاحم العقيلي :

تراها على طولِ القواءِ جديدةً وهددُ المغاني بالحلولِ قديمُ

وله من أخرى : إنَّاس - أيَّد الله مولاي - أطوار ، وللبصائر ظُلُمٌ
وأَنوار ، وأكثرهم ساعٍ لأمرٍ لا يدركه ، مراعي لرأيٍ^٢ لا يملكه ، والحقُّ
مستبهمٌ على من يتعسَّفُ المجهلَ فيما يسلكه ، ومن أبصرَ رُشدَهُ ،
واستوضحَ قصده ، أمضى عَزَمَهُ مُجِدَّاً في سعيه ، ولم يستشرْ غيرَ نفسه
[١٢٥ ب] في رأيه^٣ . وقد سدَّدَ الله تعالى وأنجحَ المسعى ، وقذفنا
غُرْبَةً النوى ، حين هوتْ بي حيثُ الإلف والهوى ، وله الطَّوْلُ في الإذنِ
والقَبولِ ، والتوطئةِ للحلولِ ، بتمهيدِ منزلٍ يتبوأ ، وبمديدٍ ظلٌّ يُتَفَيَّأ ،
لا زالَ فيناؤُهُ للقَصَادِ مألُفاً أهلاً ، وَحَرَمَآ آمناً .

وله من أخرى عن المؤمن إلى ابن طاهر : محلُّكَ - أعزَّكَ الله - في
طَيِّ الجوانحِ دانٍ وإن شطَّ المزار ، وعيانك في أحناء الضلوعِ بادٍ وإن
نزحت الديار ، فالنفسُ فائزةٌ منك بتمثيلِ الخاطرِ بأوفرِ الحظِّ ، والعين

١ ديوان الهذليين : ٩٥٦ .

٢ ب م : لأمر .

٣ ب م : غير رأيه في نفسه ؛ وهذا مأخوذ من قول سعد بن ناشب (شرح المرزوقي : ٧٤) :

ولم يستشر في أمره غير نفسه ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا

٤ ط : أحشاء .

نازعة^٢ إلى أن تُمتنع من لقائك^١ بظفر اللحظ ، فلا عائدة أسبغ^٣ برداً^٢ ،
ولا موهبة أسوغ^٣ ورداً^٣ ، من تفضلك بالخفوف واصلاً مسعداً ، إلى
مأنيس^٤ يتم بمشاهدتك الثنائه^٥ ، وشمل يتصل بمحاضرتك انتظامه^٥ ،
ولك فضل الإجمال ، في الامتناع [من ذلك] بأعظم الآمال ، والإعداد
على الأيام بقضاء دين^٦ مطول^٤ ، وإنجاز موعود^٦ لم أحل منه بغير تسويف
وتعليل ، وأنا على شرف سؤددك حاكم ، وعلى مشرع سنائك حاثم ،
وأنت - وصل الله سعدك - بسماح شيمك ، وسجاجة خلافتك وهمك ،
تنشي للمؤانسة وعداً ، وتوري بالمكارمة زنداً ، وتقتضي^٥ بالمشاركة
شكراً حافلاً وحمداً .

وله من أخرى عنه أيضاً ، وردني كتابك ، أحسن ما أملاه خاطر^٦ ،
واجتلاه ناظر^٦ ، من ألفاظ ومعان ، اطرَدت في سلك إبداع وبيان ،
فحيث^٦ بالروضة الأنف ، وعادت بعذاب النطف ، وهو المقال الصادر
عن كرم الطبع ، الدال^٦ على شرف الأصل والفرع ، الذي تفر^٦ عن
واضح الود مباسمه^٥ ، وتنشق عن ناضر العهد كئامه ، وتنهل^٦ بواكف
البر غمائم^٥ ، وقد وعيت منه ما توفّر به الحظ^٦ ، وتسوغه^٧ السمع واللحظ ،

١ ب م : بلقائك .

٢ ب م : جدا .

٣ ب م : مورداً .

٤ د ط : مطال .

٥ م : وتقتضي .

٦ ط س د : فجئت (اقرأ : فجاءت) .

٧ ب م : ويوسمه .

وإن كانت لك مزيةُ السبقِ بفضلِ البيان [الذي] يبذلُّ الجاهدين عَفْوُهُ ،
 ويفوتُ المجتهدين شأوه ، فالتكافؤُ واقعٌ بالتساوي ، والتوازي نازلٌ
 بمحضِ التجازي ، اكتفاءً بما تضمُّرُهُ القلوبُ ، وتستشفُّهُ الغيوبُ ،
 وهو اليقينُ الذي تجدُّ النفوسُ برَّدهُ ، وتقِفُ المعارفُ عنده .

وله عنه من أخرى : أنا على رسمي في الحظِّ الموفورِ منك منافسٌ ،
 وإلى عهدِكَ الكريمِ النصيرِ آنسُ ، ولما انتظم بيننا من موافيقِ
 الوفاءِ كالمِءِ حارس ، وإن سُدَّتْ دونَ اللقاءِ المطالع ، فما صُدَّتْ
 عن الصفاءِ المشارعُ ^٢ ، وإني لأدخِرُكَ للجلِّي ، وأجبلُ في الاعتدادِ بسنائكِ
 القِدَحِ المَعْلَى ، [١٢٦ أ] والله يديمُ للعصرِ التحلي بمحاسنك ، ويوضحُ
 سرَّوهُ ^٣ بسماتِ فضائلك :

وله من أخرى : إذا انتظمتِ القلوبُ — أعزَّكَ الله — بالودادِ المكين ،
 ووردتُ بصفائه في المشرعِ المعين ، تساوى البعادُ والاقتراب ، ولم يوحشِ
 التوقفُ والإغبابُ ، ولا مزيدَ على ما تحقَّقه من جنوحٍ إلى فضلك ،
 وتصريحٍ بأحسنِ الثناءِ على جلالِ محلتك ، واعلمُ أن عهدَكَ الناصرَ
 لا يذوى ، وبرَّكَ المستجدَّ لا يبلى .

وله من أخرى : المقدماتُ توطئُ في الكلامِ لإيضاحِ النتائجِ ،
 وإمرارِ الكلامِ على أطرادِ المناهج ، وأما إذا كان المطلوبُ جلياً متيناً ،
 والودادُ المرتادُ في النفوسِ زكياً متمكناً ، فتكلَّفُ ما يُستغنى عنه عيٌّ ،

١ ط د س : وهذا .

٢ د ط : صدرت ؛ س : الموانع .

٣ د ط : عذره ؛ س : غوره .

٤ د ط س : توطأ لاتضاح ؛ ب : توطأ ؛ ط : التناهج .

لا سيما إذا خوطبَ ذكيٌ أُلعي ، ومثلك الحميمُ الكريمُ الذي يُتَبَيَّنُ صفاؤه ، وَيُدْخَرُ وفاؤه ؛ وكنتُ قد خاطبتك مشعراً نيتي في التحول ، وعزمي في التجول ، حتى تُلْقَى العصا ، وتستقرَّ النوى ، حيثُ الصَّغُورُ والهوى ، وأومئُ في ذلك إلى البيت الذي يعرف ويروى ^١ :

تقولُ سليمى لو أقمتَ بأرضنا ولم تدرِ أني للمقامِ أطوفُ ^٢

وقد تفسَّحَ ^٣ المسلكُ بما يَسَّره الله من تملك تلك القاعدة ، وأنا بحولِ الله مزعجٌ للرحيل ^٤ ، إذا انفرجتِ ^٥ السبيل ، فَطَوَّلَكَ في إعلامي بحالِ المسالكِ من مُرْسِيَةِ إلى المغربِ المتياسرة والمتيامنة ، وكيف مكان التشيع ^٦ حتى يوصل إلى مأمنٍ بذهابٍ لا يَخْفَى وَعُرْفٍ لا ينكر ، فأمنجِدني ^٧ من ذلك بياناً ، كأني قد شاهدتهُ عياناً ، فالحازمُ الذي يسدُّ إلى الغرض قبل إرسال سهمه :

وله [من أخرى] إلى ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار عنايةً بآبن الحدَّاد : المحاسنُ التي تُؤثِّرُ عنك بالسَّروِ والسناء ، والمحامدُ التي تتلاقى عليك بها ألسنةُ الثناء ، تُمِيلُ إليك أحناءَ القلوب ، وتقفُ عليك نخائلُ

١ د ط : ويلوى ؛ س : يروى ويعرف .

٢ البيت في عيون الأخبار ١ : ٢٣٤ .

٣ ب م : يفصح .

٤ ط د س : الرحيل .

٥ د ط س : افرجت .

٦ د ط س : إمكان السمي .

٧ أجمده بياناً : أوسعهُ وأتى بما كفى وفضل ؛ ط د : فأمنجِدني (حيث وقعت) .

الصدور ، وقد أصبحت بفضل الله^١ حلية الزمان ، ومفخر الأوان ،
وَمَسْمَى عِيونِ الأفاضلِ والأغيان ، بما نَزَعَتْ به من كَرَمٍ^٢ الخلاق ،
وسموّ الهمم السَّوابق ؛ وما زِلْتَ - أدام الله عزَّكَ - تجلو على المتوسلين
إليك صَفَحَاتِ البشر ، وتترهّم في ذَرَاكِ عرصاتِ الإجمالِ والبرِّ ،
فتجني ثمراتِ المجد^٣ ، وتتنشقُ نفحاتِ الشكرِ [والحمد] .

ومن أولئك الأعيانِ الأكابرِ ، [بل] المُبِيرِ عليهم بخصائصِ المآثرِ ، فلان ،
فاني ما أفأوضُكَ في وَصْفِ مناقبه ، وأعلمك بكريمِ ضرائبه ، واعتلائه
[١٢٦ ب] في مراقي العلم^٤ وتستمه ، وشفوفه بالبراعة في الإبداع
وتقدّمه ، مفاوضة مَنْ يَسِمُ لديك غُفلاً ، وينبّه خاملاً ، ويذكرُ
ناسياً ، فإنك أعلى ملحظاً ، وأزكى تيقظاً ، من أن يغيبَ عليك مكانُ مثله ،
ولا يتقرّرَ لديك سموُّ محلّه ، في إحسانه وفضله ، وَحَسْبُكَ به جملةٌ
تُغْنِي عن التفصيل ، مع عالي نظركَ الجليل ، أني ما عاشرتُ أكبرَ منه
في البرِّ والصلّة ، ولا أقوّمَ بحقيقةِ الودِّ والخلة ، ولا ناسمتُ أطيبَ منه
نفساً ، ولا أمتع أنساً ، نفاسةَ خَيْمٍ ، صادرةً عن شرفِ أروم ، وأنت
خليقٌ بالاستكثارِ من جانبه ، والاجمالِ في معونةِ مطالبه .

وكتب^٥ عن المقتدر إلى أخيه صاحب لاردة : وصلتِ الهديةُ التي

١ ط د س : فقد بفضل الله أصبحت .

٢ ب م : برعت ... كريم .

٣ ب م : الحمد .

٤ ط د س : وتنشئ بنفحات ؛ ب : وتنشق .

٥ د : يدلّل السير ؛ ط : يريل السر (دون إعجام) ؛ س : تدليل البر .

٦ ط د س : العلى .

٧ ط د س : وله من أخرى .

أَصْدَرَتْهَا سَاحَةُ الْفَضْلِ ، وَتَضَمَّنَتْهَا^١ رَاحَةُ النَّبْلِ ، وَزَفَّهَا الْمَجْدُ زَفَافَ
الْهَدْيِ تَرْفُلًا فِي الْحَلِيِّ وَالْحُلْلِ ، وَتَقَدَّمَ سَفِيرُ الْآسِ ، فَأَذَاعَ مَا حَمَلَ مِنْ طِيبِ
الْأَنْفَاسِ ، وَتَلْقَيْتَهُ بِمَا يُتَلَقَّى مِثْلُهُ مِنْ كِرَامِ الزَّوَارِ ، إِذْ كَانَ بِحَكْمِ
الْإِجْمَاعِ سَيِّدَ الزَّهْرِ وَالنَّوَارِ ، بِدَوَامِ عُهُدَتِهِ^٢ ، وَبِقَاءِ جِدَّتِهِ ، وَتَمَادِي
نَضْرَتِهِ ، وَتَنَاوَلَتْ الظَّرْفَ الظَّرِيفَ الْوَاصِلَ مَعَهُ فَفَضَضْتُ خَتَامَهُ ،
وَتَرَشَّقْتُ مُسْتَوْدَعَهُ^٣ ، وَتَسَوَّغْتُ مِنْهُ شَمُولًا مَعْتَقَةً^٤ ، لَذَّةً^٥ عَبَقَةً ،
قَدْ تَنَاهَتْ رَقَّةً وَصَفَاءً ، وَلَمْ تُبْقِ الْأَيَّامُ مِنْهَا إِلَّا هَبَاءً وَلَأْلَاءً ، فَهِيَ تَمْنَعُ
الْكَفَّ ، مَا تَبِيحُ الطَّرْفِ ، وَأَدْرَتَهَا بِالْقَدَحِ الَّذِي أَجَلَّتْ بِهِ مُعَلَّى الْقَدَاحِ ،
قَائِمًا عَلَى قَدَمِ الْإِعْظَامِ أَهْزُ عَطْفَ الْارْتِيَاحِ ، وَتَحْيَلْتُ أَنِي فِي ذَلِكَ الْمَأْلَفِ
الْعَزِيزِ حَاصِلٌ ، وَفِي ذَلِكَ الْمَأْنَسِ الْجَلِيلِ مَائِلٌ ، فَنَحْنُ مُتَلَاقِيَانِ بَعِيَانِ
الْإِحْضَاضِ^٦ وَالْإِخْلَاصِ ، وَإِنْ تَنَاءَيْنَا بِالذَّوَاتِ وَالْأَشْخَاصِ ؛ وَوَصَلَ مَبَكْرُ
الْبَهَارِ الْجَنِيِّ ، مَمْتَعًا بِمَنْظَرِهِ الْبَهِيِّ^٧ ، وَعَرَفِهِ الذَّكِيِّ ، قَدْ شَخَصَتْ أَحْدَاقَهُ ،
وَرَأَقَتْ أَوْرَاقَهُ ، يَمْدُ بَنَانٍ لَهَبٍ^٨ ، وَيَرْنُو بِمَحْدَقِ حَمَرٍ [تَلْتَهَبُ] ، كَأَنَّهُ^٩
إِكْلِيلُ تَبَرٍ ، مُرْصَعٌ بِيَوَاقِيتِ صُفْرِ ، وَهُوَ شَبِيهُ الرَّاحِ لَوْنًا وَمَشْمَأً^{١٠} ،
قَدْ تَكَافَأَ بَيْنَهُمَا الْإِنْتِسَابُ ، يَحْكِيهِ مِنْهَا الْجَامِدُ ، وَيَحْكِيهَا مِنْهُ الْمَذَابُ ،

١ م : ونظمتها .

٢ ط د س : عهد .

٣ د ط س : لدنة .

٤ ط د س : الأشخاص .

٥ م : الهني ؛ ب : النهي .

٦ د ط س : ذهب .

٧ د ط : كأنها .

٨ ب : وممتعا .

وَأَسْفَرَ غُضَّ الْإِسْفَرَجِ^١ ، عَمَّا خُصَّ بِهِ ذَلِكَ الْأَفَقُ مِنَ التَّرَابِ^٢ الدَّمِثِ
وَالْهَوَاءِ السَّجْسَجِ ، فَسَقَاهُ اللَّهُ صَوْبَ السَّحَابِ ، وَلَا زَالَ نَخْضَرُ الرَّبِيِّ
خَضِيلَ الْجَنَابِ ، وَاقْتَضَى حَكْمُ الْأَدَبِ الْمُتَعَارِفِ فِي السَّلَامِ وَالْمُبَادَاةِ^٣ ،
رَدَّ التَّحِيَّةَ عَلَى سَبِيلِ الْمَنَاطِلِ وَالْمُعَاطَاةِ ، لَا عَلَى سَبِيلِ الْمَعَارِضَةِ^٤ وَالْمُبَارَاةِ ،
وَقَدْ أَنْفَذْتُ رِيحَانًا مَشْمُومًا ، وَرَحِيقًا مَخْتُومًا ، وَلَكَ الْفَضْلُ فِي تَسْوِغِ مَا
سَقَيْتَ ، وَتَنْشِيقِ مَا أَهْدَيْتَ [١٢٧ أ] .

وله من أخرى إلى المقتدر^٥ على لسان الرّجس : أنا - وصل الله بهجة
سلطانك ، ونفصرة أوطانك - إذا لحظتني بعين الاعتبار ، قائد النّوّار ،
ووافد الأزهار ، وأنا لها جالب^٦ وهي طاردة^٧ ، ومبشر^٨ بورودها وهي
مؤيسة متباعدة ، فاني^٩ غَلَبْتُ بما في طبعي من التيقّظ والذكاء ، خُلِدَ
التَّرَابُ^{١٠} وَصَرَدَ الْهَوَاءُ ، فَقَمْتُ عَنْ إِسَاءَةِ الْفَصْلِ عُدْرًا ، وَنَحَلْتُ
الشَّتَاءَ^{١١} عَلَى الرَّبِيعِ فخرًا ، وَفَضَلْتُ الْوَرْدَ سَيِّدَ الْأَزْهَارِ طَرًّا ، وَتَوَرَّدُهُ
شَاهِدُ خَجَلِهِ ، وَتَسْتَرُّهُ مِنَ الْحَيَاءِ فِي أَكْمَتِهِ وَكَلَمِهِ ، فلي عليه فَضْلُ الْعَيُونِ

١ الإسفرج (Esparrago) وهو الهليون ، ويقال له أيضاً بمعجمة الأندلس : الاسفراج ،
سفارج .

٢ ب م : التّرب .

٣ د ط : والمبادرة إلى .

٤ س : المقارضة .

٥ إلى المقتدر : سقطت من د ط س .

٦ ب م : طارية .

٧ د ط : فإنما .

٨ ط د س : جلد التّرب (اقرأ : جلد بمعنى جرد) .

٩ ط د س : ومحلت السنّا .

على الحدود^١ ، وشرفُ السيّد على المسود ، فبينما أنا سقيمُ الجفونِ من غيرِ سَقَمٍ ، مائلُ الجيدِ من دونِ^٢ ألمٍ ، حتى أُتيَنَحَ لي ظريفٌ من خواصِّك يقصِّدني ، ونبيلٌ من عبيدك يعتمدني ، فأوجستُ حَذَرًا وتشوفاً ، حتى أنسني بالكلامِ تَأَلِّفاً ، وقطفتني بغيرِ إيلاَمٍ تَلَطُّفاً ، وحاورني بلفظٍ يلفقه^٣ النوارُ عياناً ، وإن لم يحسنْ عنه بياناً^٤ : يا أيُّها الزهرُ الفاردُ ، والنَّورُ الشاردُ ، الساحرُ بحدقه وأجفانه ، الناظرُ بورقه وأغصانه ، الباهرُ بورقه وعَقيانه ، ما لي أرى قُضْبِكَ غبراً ذابلاً ، ومنايبتَكَ شعثاً ناحلةً ، وعهدي بك تمجُّ الأنواءُ^٥ ريقَها في ثغورك فتصبحُ حافلةً ، وترضع^٦ الأنداءُ أفنانَكَ فتغدو حاملةً ، فتنوءُ^٨ بجيدك مشنياً ، كأنك أصبحت مُنتَشِياً ، وقد ساءتني ما عاينتُ من ضناك ونحولك ، فبادرتُ جنّاك إشفاقاً من ذبولك ، لأنقلُكَ من جنّابِ النباتِ الهشيمِ ، إلى جنّابِ^٩ السُّرورِ المقيمِ ، وتسعدَ بالفوزِ العظيمِ ، باستلامِ^{١٠} راحةِ الملكِ الكريمِ . وفي فصل منها : فليت الرياضُ تعلمُ بمكاني فتدبلُ كمداً ، وتدوى^{١١}

١ ب م : العنوان على الحدود .

٢ ط د س : من غير .

٣ ط د س : بلغته .

٤ ط د س : تحسن . . . عنواناً .

٥ ط د س : والنوار .

٦ ط د : الأنوار .

٧ م : وترضع .

٨ ط د س : فتشني .

٩ ط د س : جنات . . . جنات .

١٠ د : في استلام ؛ ط س : في استلامه .

١١ ط د س : وتدوي .

حَسَدًا ، وتراني وقد أُنْزْتُ في أفقك البهيج ، وزهرتُ في روضيك الأرج ،
فكم تَمَنَّى الأزهار أن تضام لديك مطالبي ، وتكدّر في ذراك مشاربي ،
فأزِلْ عني حَسَدَهم بكتبهم ^١ ، فقد شجاهم تَقَدُّمي قَبْلَ وقتهم ،
وأَكْمِلْ مَسَرَّتِي وتمم أنسي ، بلقاء شقيقة نفسي ، فإني قسيمها وحميمها ،
ومني لونها وشميمها ، وأنا أشبهُ بها إذا شُجَّتْ وأدارتْ عيونَ حب ،
من حصباءٍ درّ في أرضٍ ذهب ^٢ ، وطبعي نظيرُ طبعها ، وما تقرأ عيني
إلاّ بدمعها ، فلا تحتقرُ أيها العزيزُ منابَ مثلي واعظاً مفصّحاً ، وهنا شفيعاً
منجّحاً ، فانّ الأزهارَ على العموم ، تجلو قذى العيونِ وتفضّ ختامَ الهموم ،
فهي كالثغور أَوْضَحَها ابتسام ، وكاللالِي زانها [١٢٧ ب] في الأجياد
انتظام . وما مثلتُ بينَ يديك إلاّ لأسمَ غُفْلَ العلم ، فالعصا قَرِعتْ
لذي الحلم ^٣ ، فلا تُضْعُ أيها الملكُ سَبْقَ تقدّمي ، وحقّ مقدّمي ،
فقد أشخصتُ طرفي إليك آميلاً ، وبسطتُ نحوكَ كفتي سائلاً ، وحسبي
أن تُلَاقِيَنِي بِبَشْرِكَ ، وتناجيني بفكرِكَ ، فتنبّه العزمَ من وَسَنِهِ ، وتنشرَ
الحزمَ من جَنَنِهِ ، فلك من براعةِ العلا ، وأصالةِ النُهي ، ذكاءٌ يَري
لأوّلِ اقتداحِ زَنَدُهُ ، ومضاءٌ يفري بأيسرِ هزٍّ حدُّهُ ، ولديك من مناهلِ
الكرم ، وفواضِلِ النعم ، ما يزري بالمُزَنِ ويوفي ^٤ على الذيم :

١ من قول المتنبي :

أزل حسد الحساد عني بكتبهم فأنت الذي صيرتهم لي حسدا

٢ من قول أبي نواس :

كان صغرى وكبرى من فواقمها حصباء در على أرض من الذهب

٣ من قول الحارث بن ودة (الحماسية : ٤٥ شرح المازني) :

وزعمت أن لا حلوم لنا إن العصا قرعت لذي الحلم

والشعر الثاني مثل ، انظر الميقاتي ١ : ٢٥ والسمط : ٥٨٤ .

٤ ط د س : ويربي .

فَانفَحْ لَنَا مِنْ طَيْبِ خُلُقِكَ شَيْمَةً ۚ إِنَّ كَانَتْ الْأَخْلَاقُ مِمَّا تُوْهَبُ
وَرَوْا^١ بَرَحَ ظُمَايَ ، وَانْقَعَ صَدَايَ ، وَلَا تَكُلْ إِلَى الْأَنْوَاءِ سَقِيَايَ .

وله عنه من أخرى إلى المظفر أخيه ، وقرن بالرقعة ظَرْفَ بَلَّورٍ
[أحمر] مملوءاً خمرًا مع باقة آس ، يسليه عن ابن توفى له ، واشتدَّ
حزنه عليه : لما كانت نفائسُ المواهب ، وخطيراتُ الرغائب ، مرتادةً
لأجلِ النفس ، التي بها مادةُ الحياة والحس ، وهي نورُ البدنِ المبصر^٢ ،
وسائسُهُ المدبِّر ، وَجَبَ بحكم العقلِ الذي أفاضَ عليها سناه ، وأفضى
إليها بهداه ، أن تكونَ العنايةُ بدوامِ صحتها ، موازيةً^٣ لتقدمها بالفضيلةِ
على البدنِ ومزيئتها ، إذ كان لها البقاءُ وله الفناءُ ، ولها الفوزُ في المعاد ،
وله الانتقاضُ إلى الأضداد ؛ وخاصةُ النفسِ التي تنفردُ بها ولا تشاركُ
فيها معنى السرورِ والجلد ، وغايةُ الرجاءِ والأمل ، وبه المتاعُ في الدنيا ،
والنعيمُ في الأخرى ، ونقيضُهُ الحزنُ ، وهو ألمٌ من آلامها يطمسُ نورَها
ويكدرُ صفاءَها ، وينقصُ نعمتها وهناءَها ، فإذا انجذبتُ مجيبةً لدواعي
الهمِّ منقادةً في زمامِهِ ، ولم تدافعهُ عند اعتراضِهِ وإلامِهِ ، اشتملت
على المضضِ والنكد ، وحصلتُ في غمرةِ الركودِ والتبَلَد . وبحكم ذلك
يحقُّ على الحازمِ اللبيب ، أن لا يتنَّي عن الأخذِ من أقسامِ المسرةِ بأوفى
النصيب ، فيستمتعَ بالمواهب أيامَ مصاحبتهما ، ولا يجزع عند ارتحالها

١ ط د س : وروح .

٢ ط د : والبصر .

٣ ط د س : موازنة .

٤ ب م : وينقص .

ومفارقتها ، ويستشعر أنها مُعاراة لتؤدّي ، مُودعةً لتقضى ، فلا يأسفُ
عند اقتضاها وارتجاعها ، ولا يأسى عند بَينها ووداعها ، ويجاهدُ الهَمَّ
إذا اعتلجَ في صدره ، بمضاءِ عزمِهِ وقوةِ صبره .

وقد ١ أسَمَى الله من مراقي شفوئِكَ وتقدّمِكَ ، وأوضَحَ من معالي
سجايك وشيمك ، بحيث يُفتنّدى بأثرك ، ويهتدى بعملك ، وحسبي
[١٢٨ أ] أن أومئَ بما عرضته مذكراً ، فتلحظه بنظرك الجليّ معتبراً ،
وتعرض ٢ عن نوازع الخطوبِ مُقصرأ ، وتستأنف مقتبلَ الزمان الأغرَّ
الجديد ، والدهر الميمون السعيد ، فتشرعُ لمطالعةِ الأنسِ باباً ، وتمهد
لمواصلته جناباً ، وقد تعرّضَ لي إلْفٌ كنتُ أصلُهُ وأدنيه ، فأنا الآنَ
أهجره وأقصيه ، فلقي منّي انزواءً عنه وانقباضاً ، وشكا مني جفاءً
وإعراضاً ، فتصدّى ضارعاً مُلحِفاً ، في أن أُرسلَهُ نحوكَ مُستعطفأ ،
فأسعفتهُ وأودعتهُ ، ما تحمّله وأزعجتهُ ، وهو - أنسَ الله مشاهدك ،
وأنضرَ معاهدك - زائرٌ مُلطفٌ يتقدُّ طبعُهُ ذكاءً ، ومؤنسٌ يستشفُّ
ظرفُهُ صفاءً ، عطرُ المذاكرة عبقُ المفاكهة ، يفضُّ ختامَ الهمومِ
بنفحِ المناسمة وطيبِ المفاوضة ، وقد زار متوصلاً برسالي ، متوسلاً
بشفاعتي ، وصار عن يدي وانتقل عن راحتي ، وهو المحفوُّ المهجورُ حتى
تأذنَ بتقريبه وإيثارِهِ ، والعاملُ المصروفُ حتى تمنَّ بتوليته وإقرارِهِ :
وكتب على لسان المنجم بلاردة ، الملقب بالعافية ٣ ، وقد أُصيبَتْ إحدى

١ افتتحت هذه الفقرة في د ط س بلفظي : وفي فصل .

٢ ط د س : وتعرض .

٣ ط : بالقائمة ؛ د : بالقائمة ؛ س : بالعافية .

عينيه ، إلى الطبيب بها الملقب^١ بالبرذقون^٢ ، وقد أصيبت إحدى^٣ خُصْيَيْهِ :
 أنا أدعو [لك] — يا سيدي ومولاي ومن أنا عبدهُ على العموم — بمجهودِ
 الدعاءِ بدوامِ النعمة ، وأقابلُه^٤ بعدُ بما يَخْصُه ، حَسْبَ^٥ ما عليَّ ينصّه :

فَوُقِّيتَ بقراطَ الطيورِ تطبِّباً إذا عالجَ البرسامَ أو أبرأَ البرصَ
 منَ المنسَرِ الأشغَى ومن حَزَّةِ المدى ومن بندقِ الرامي ومن قَصَّةِ المقص
 فهذهي دواهي الطيرِ وقُيَّتَ شرَّها إذا الدهرُ من أحداثه جرَّعَ الغُصَصِ

وقد جرَّعتني أحداثُ الدهرِ غُصَصاً ، وعدتُ مثلوماً منتقصاً^٦ ، مشوهاً
 بعدَ اقْتِبَالِ الجمالِ ، مؤنَّسُ اليمينِ مُوحشَ الشمالِ ، كأني شقٌّ^٧ في
 قَفَرٍ ، أو حوتُ موسى في بحرٍ ، وقد صُنَّتْها برقعة^٨ خِمارِ أسودٍ ،
 وأدعي أني أشكو^٩ الرَّمَدَ ، وربما سقط فأتبعه باليدِ ، وأنشدُ قبل
 أنْ^{١٠} أنشدَ :

سَقَطَ النَّصِيفُ ولم تُردِّ إسقاطَه فتناولته واتقتنا باليدِ^{١١}

١ ط د س : إلى طبيب يلقب (ط : يلعب) .

٢ البرذقون : لفظة تعني الفتى أو الشاب .

٣ ط د س : أصيب بأحدى .

٤ ط د س : وأقابل له .

٥ ب م : بعد ما . . . بحسب .

٦ ب م : منتقصاً .

٧ ط د س : نسناس .

٨ ط د س : بخرقعة .

٩ ب م : أشكو إلى .

١٠ ط د س : استنشد .

١١ البيت للنابغة الذبياني ، ديوانه : ٣٤ .

ومالي سلو عندما دهني الأيامُ بالنقص في أكرم^١ أعضائي وأشرفِ جوارحي
إلا بما أنسني به بعضُ إخواننا قائلاً : هاك حديثاً يسليك ويعزّيك ،
بمزيد حظٍّ وصلّ إلى الحكيم أخيك ، فقلت : هات حدثني^٢ بالحق عن
البرذقون ، فليست ممن يؤمن بالآغرِقون^٣ ، فقال : إني اختلستُ
منه في الحمام نظرةً فرأيتُ إحدى خُصّيه في قَدْرِ الدلاءِ^٤ العظيمة ،
[١٢٨ ب] والأخرى على الهيئة القديمة ، فقلتُ له : أراك أبرزتَ^٥
قثاة في عباءة^٦ ، قد ركبْتَ باذنجانةً وأردفتَ دباءة^٧ . فأطربني
طيبُ نادرته^٨ ، وأمتعني خبرُ إفادته ، وعدتُ إلى اللازم من مخاطبتك بالتهنئة
والإيناس ، وما علينا من كلام الناس ، وما تخطّطني نعمة وفدت عليك ،
ولا آلني نقصٌ مع مزيدٍ وصلّ إليك ، والعاقلُ لا يتكّد بما تراه^٩ العوامُ
قبيحاً مستحيلاً ، إذا كان في حكم الخواصّ حسناً جميلاً ؛ وفي عِظَم
إحدى خصيتيك^{١٠} — أنماهما^{١١} الله — فضائلُ يعرفها العلماء ، ولا يجهلها الحكماء ،
فقد قال الفيلسوف : إن البيضتين كالمعلقتين ، تعدّ لآلِ الجسم ، وتسوسان^{١٢}

١ ب م : أكثر .

٢ ط د : حدثنا .

٣ لعل المقصود العقار الذي يسمى : غاريقون أو أغاريقون (من اليونانية ؛ وباللاتينية Agaricum) وهو شيء أشهب يوجد في قلب شجرة الأرز (انظر تحفة الأحباب :

٤٥ ومفردات ابن البيطار : غاريقون) .

٤ الدلاء : البطيخة .

٥ ط د : أخفيت لنا ؛ س : أبرزت لنا ، وبالهامش خ : أخفيت .

٦ الدباءة : القرعة .

٧ ب م : بادرته .

٨ ط د س : ياء .

٩ ط د : خصييك .

١٠ ب م : أنماها .

١١ ب م : ويسوفان .

البدن ، وهما كالمادة^١ للقوة الطبيعية ، والمعونة للحرارة الغريزية ،
ويشبهان بالأنقال تعلق^٢ من السقاء^٣ فترم رحيته^٤ ، وتضم قصية^٥ ، وإذا
عظمت الواحدة^٦ ، بانث الحصلة الزائدة ، فان البناء إنما يزن^٧ برصاصة ،
والمهندس يرصد^٨ بشاقول^٩ ، وربما هجس^{١٠} في نفسك ، أنك تصير^{١١}
إلى الفرك^{١٢} من عرسك^{١٣} ، فتشذك^{١٤} ، وإنما تقصدك :

قد حلفت بالله لا أحبه^{١٥} أن طال خصياه وقصر زُبُه^{١٦}

وهذا الشيد^{١٧} ، في مثلك بعيد ، فان متاعك يطول للصغرى ، وتطواه
الكبرى ، فيتين^{١٨} اعتداله^{١٩} ، ويبدو كماله ، وقد سلمتا من التشبيه بفروجين
أو أترجتين ، ولا يسوغ^{٢٠} فيهما ولا يجوز ، أن يكونا كثنتي حنظل في ظرف
عجوز^{٢١} ؛ أستغفر الله ، وكيف تفركك غانية^{٢٢} ، أو تعنص^{٢٣} منك مخدرة^{٢٤} ،
وما على ظهرها خود^{٢٥} إلا^{٢٦} وهي إذا عثرت^{٢٧} في مِرطها أعيذت^{٢٨} باسمك ،

١ ب م : كالمبدأ .

٢ ط د س : والأنقال تعلق .

٣ ب م : السدا .

٤ ط د س : يوزن .

٥ س د : بسافوره ؛ ط : بساموره .

٦ ط د و خ بهامش س : زوجك .

٧ ط د س : فيسبق .

٨ فيه إشارة إلى قول الراجزة (الحماسية رقم : ٨٣٦) :

كان خصييه من التدليل سحق جراب فيه ثنتا حنظل

٩ ب م : مخدرة .

١٠ ب م : أغرت .

ولا فتاة عَرُوبٌ إِلَّا وهي تَسْتَغْثِي من غيرِ نَعْسَةٍ رجاء في لقاء خيالك ^١ ،
ولا محجوبةٌ مَصُونَةٌ إِلَّا وهي تَرْقَعُ الكُوى بالمحاجر لمرك ^٢ ، وهل في
تمامك ريبٌ فيعالج بحجة ، أو في فضلك ردٌ فيثبت بيينة ^٣ ، وقد استويت
الآن بأثقالك ، واعتدلت بأرطالك ، ولوددت أن الأيام أعطيني ما منحتك
زيادةً على ما نقصتني فكانت تكملُ صناعتي ، وتنفقُ بضاعتي ، ولاستغنيتُ
عن اسطربلاب كُرِّي ، وكرة ذات كرسى ، إذ كنت أعودُ من الأذرة ،
إلى أصح كُرّة ، قد ماسّها جرمُ أسطواني ، ومخروطُ عصباني ^٤ ، يكون
تارة عضادة اسطربلاب ، وتارة مقياس باب ^٥ . وما أنا وتمني ما لا أدرك ،
وحسد ما لا أبلغ ! ! الآن عدت فائقاً في الجماع ، وليس العيان كالسمع ،
فالحصية إذا عظم جرمُها ، وكبر حجمها ^٦ ، تضاعفت في التوليد
قوتها ، وتزايدت مادتها ، ولك المزية ، فإنك إنسانٌ حجلي ^٧ ، أو حجلي
إنسي ^٨ ، [١٢٩ أ] فقد ذكر صاحب كتاب الحيوان ^٩ أن إناث القبج

١ ناظر إلى قول المجنون (ديوانه : ٢٩٩) .

وإني لأستغثي وما بي نعسة لعل خيالا منك يلقي خياليا

٢ من قول عمر (ديوانه : ٢١١) :

وكن إذا أبصرني أو سمعني سعين فرقعن الكوى بالمحاجر

٣ ب م : فتعالج الحجة . . . فتثبت بيينة .

٤ ب م د ط س : عصياني .

٥ د ط : مكور .

٦ ب م : ظل .

٧ ط د : جسمها .

٨ ب م : إنسان .

٩ م : حياة الحيوان .

تستقبلُ الذكورة ، فتنسمُ الريحَ تهبَّ من تلقائها فتحبل^١ ، وتصيخ للصوت يصل من تلقائها^٢ فتحمل ، فاسحبُ أذيالكَ فاخراً ، فقد تقدمتَ أولاً^٣ وآخرأً ، فلك من جهةِ الإنسانية سَبَقُكَ في الفضائل^٤ ، وحلاوة الشمائل ، وحرارة النادرة ، وطيب الفكاهة ، مع شفوفاك في الصناعة ، فعلاجُك في الاصابة واللفظ ، كأنه وحيٌ أو أخذٌ بالكف ، إذ كنت تهزلُ بجالينوس ، وتلهو بلحية اسقليبيوس^٥ ، فإنك من فرقة أصحاب الحيل ، وهذا رأيٌ أُنَاكَ من جهةِ مزاجِ الحجل ، فنصرت تاسلاس^٦ ، على جميع الناس ، وغنيت بجنس^٧ الاسترسال والاحتباس ، عن هذيان أصحاب القياس ؛ وأما فضلك من جهةِ القبح فهناك الملاحة والحلاوة ، والرشاقة والطلاوة ، فلك من جمال الشفة ، ما يعرفه أهل النصفة ، فقد قبَّح كلُّ لُمى بالسُّمرة ، وحَسُنَ لَمَّاكَ بفضلِ الحمرة ، فالحسنُ أحمر^٨ ، وهذا حقٌّ لا ينكر ، ولك من جهة^٩ المشي ما جهدت الطيرُ في امتثاله ، كلفاً بجماله ، وربما

١ قال الجاحظ (الحيوان ٧ : ٢٤٨) : والحر والقبج ربما ألحقا الاناث إذا كانا على

علاوة الريح .

٢ ط د س : قبلها .

٣ ط د س : بالفضائل .

٤ م ب : اسقليبيوس ؛ وانظر ابن النديم : ٢٨٦ .

٥ كذا في ب م ؛ وفي ط د و خ بهامش س : فصرت به مملكا ؛ ولا ريب أن « تاسلاس » اسم لأحد أصحاب الحيل (علم الميكانيك) وأقرب الصور إليه « تاسلوس » وهو والد بقراط الرابع (الفهرست : ٢٩٣) ب م : فبصرت ؛ س : فنصر .

٦ ط د س : وغنيت بحمي .

٧ هذا مثل ؛ انظر فصل المقال : ٣٤٤ والميداني : ١٣٤ .

٨ ط د س : حسن .

تشبهت بمشي الحجل ، فينلن^١ الحُسنَ بالحيل :
 وكم من غرابٍ رام مشية^٢ قبجةٍ فأنسي ممشاهُ ولم يمشِ كالحجل^٣
 وما تفعلُ برقة ساقك مع عموم محاسنك وبراعة حلاك^٤ ، فلا تحفل^٥
 بقولِ الراجزِ الجلف ، فكلامه يخرجُ إلى الخلف^٦ :
 وهل علمتِ يا قفيّ التتفله ومرسِن العجلِ وساقَ الحجلة^٧
 وهذا الغزال ، وهو النهايةُ في الجمال ، له دقة الشوى ونشورُ القرن وصدع
 الظلف^٨ ؛ والطاووسُ - وهو الغايةُ في الحسن - له قبُحُ الرجلين وعُرْيُ
 الساقين ، وإنما يوصفُ الشيءُ بالأغلب عليه ، فيذكرُ به ويُنسبُ إليه ،
 فقد برعتَ وبهرت^٩ وقهرت ، فأنت كالشمسِ لا يتعلقُ بها دنسٌ ولا
 ثَلَبٌ ، وما يضرُّ القمرَ أن ينبحه كلب^٩ .

١ س : فنلن .

٢ ب م د ط س : في مشي .

٣ البيت في ثمار القلوب : ٤٨٩ دون نسبة ، وروايته : وكم عقق قد رام .

٤ د ط س : جلالك .

٥ من أرجوزة أوردتها القالي في أماليه ٢ : ٢٨٥ ونسبها لأعرابي وقال النجيري : الرجز
 للأصمعي (انظر السمط : ٩٣٠) ، وهي في الأصمعيات : لصخير بن عمير التميمي ،
 وسماه في الجمهرة ٣ : ١٣٠ صخر بن عمير ، وفي اللسان (مرطل ، ثمل ، ضلل) صخر
 ابن عميرة أو ابن عمير أو صخر النفي ؛ وزعم أبو حاتم أن الرجز ليس بقديم ، كأنه يقول
 هو من كلام المولدين (التاج : قفا) .

٦ قفي : تصغير قفا ، وقد حذفت منه التاء ؛ التتفلة : الأثني من ولد الثعالبي ؛ والمرسن من
 الأنف : موضع الرسن .

٧ ب م : وصدع الصلف .

٨ ط د و خ بهامش س : بهرت وبرعت .

٩ من الأقوال المشبهة لهذا : قد ينبح الكلب القمر فيلقم الحجر ؛ ومنه أيضاً : لا يضر السحاب
 نباح الكلاب (انظر التمثيل والمحاضرة : ٣٥٣ ، ٣٥٤) .

جوابها من إنشائه أيضاً على لسان الحكيم البرذوقون المذكور:
يا سيدي الذي أعترفُ بخصائصه التي انفردَ بجمالها ، وأقرُّ له بمحاسنه التي
استبدَّتْ^١ بكمالها ، وإن كانت قد دبَّتْ عقاربُ حسادته ، وما يستطيعُ
أن ينسلخَ عن ذميم عاداته ، ووجدتهُ قد نعى بصره ، وشكا عورَه ،
وأثني على شرعي ، ولم يحفل بعرجي^٢ :

إنَّ في الجسمِ دمايهِ لـ وَقُرُحاتٍ مُلِحَّةٌ
ليتها في عينٍ مَن يَزِ عمها مالا وصحه

وقبَّحَ الله النَّهَمَ فعنه تكونُ العِلَلُ المتولدة ، وكل داءٍ أصله البرْدَةُ^٣ ،
ومع ما رُكِّبَ في من الشرِّهِ [١٢٩ ب] إلى المأكَل ، فأني متطفلٌ على
استجازه أكلِ الحجل ، فأذهبَ الله نفسي ، يومَ أرومُ أكلَ أبناءِ جنسي ،
إذنُ أكونُ كالزنجِ الأنجاس ، الذين يستجيزونُ أكلَ لحومِ الناس ،
بل اني أطلبها من مظانِّها وأرتادُها ، وأنصبُ لها الحباثلَ واصطادها ،
ثم أرسلها أسراباً وأفواجاً ، وأسرحُها فرادى^٤ وأزواجاً ، وأنشد ممثلاً :
أيا شبهَ ليلى لا تراعي فإنتي لكِ اليومَ من وحشيةٍ لصديق^٥
وإن تكنْ - جُعِلَتْ فداك - قد أصابك عور ، ونالك منه ضعف^٦ وخور ،

١ ط د س : استبد .

٢ ب م : شرعي . . . بفرحي .

٣ البردة : التخمّة ؛ وهذا حديث ، انظر الفائق ١ : ٨٤ .

٤ ط د س : يستحلون .

٥ ط د س : أفراداً .

٦ البيت للمجنون ، ديوانه : ٢٠٦ وروايته : من بين الوحوش .

٧ م ب : ونالك مستضعف .

وهو نقصٌ في الظاهر ومزیدٌ في الباطن ، فقد حَبِيتَ باجتماع نورِ البصر
وكان متفرقاً ، واتحاده وكان مبدأً^١ ، فقد كان النورُ مرسلًا إلى
الحدقتين في العَصْبَتَيْنِ الجَوْفَاوَيْنِ ، فلما انسَدَّ ثَقْبُ الواحدة عاد إلى
الأخرى موفوراً ، وشفع بنورها نوراً ، كالحالِ في القمرِ يطلعُ في لياليه
البيض ، ساطعَ السناءِ باهرَ الوميض ، يحلو الدياجي ، فيهدي الساري ،
فإذا غَرَقَتْ أعقابُه^٢ ، وتكامل غيابه^٣ ، فَقَدَتْهُ النجومُ ، فاعترها
الوجوم ، ولفها الليلُ في ملاءةٍ دياجيهِ ، وأردفَ أعجازه ونأى بهواديهِ^٤ ،
فلو جُمِعَتِ الكواكبُ منتظمةً في القَدْرِ ، لكانت أضعافَ البدر ، وهي
على ما هي عليه من الانتثار ، لا تهدي الساري قَصْدَ الآثار ، فبصرُكَ
الآن بحمدِ الله أجمعُ نوراً ، وأضواءُ شعاعاً ، وأنفذُ نظراً وأبعدُ اطلاعاً ،
ولذلك قال القائل :

شمسُ الضحى يُعْشي العيونَ ضياؤها إلاَّ إذا نُظِرَتْ بعينٍ واحدةٍ
فلذلك تاهَ العورُ واحتقروا الوري فاعرفَ فضيلتهم وخذها فائده
نقصانُ جارحة أعانتُ أختها فكأنما قَوِيَتْ بعينٍ زائده
والعُقَابُ الكاسِرُ ، والنسرُ الطائرُ ، وابنُ الماءِ المخلِّقُ ، ، بالإضافةِ
إليك خفافيش ، وبالمقايسة بك أخلاَّد ، وقد أزرَيْتَ بزرقاءِ اليمامة ،

١ ط د : وبجذبه وكان ممدأ ؛ س : وانحيازَه ، خ بهامش س : وبجذره .

٢ ب م : عريت أعقاره ؛ ط س د : عرفت .

٣ ط د س : عيابه .

٤ د ط س : وأردفَ أعجازها بهواديهِ ؛ وفيه نظر إلى قول امرئ القيس : « وأردفَ
أعجازاً وناء بكلكل » .

وما يبعدُ أن تحسبَ في لحظةٍ ألفَ حمامة ، وترى حَضَنًا من أقصى تهامة ^١ ،
فحدثنا عن هَقْعَةِ الجوزاءِ أو نثرةِ السرطان : هل هي كواكبُ صغارٌ
منتظمة ، أو [لطخة] ^٢ سحابية مظلمة ؟ فإنَّ بصرك يَدْرِكُ حقيقةَ ذلك
ولا يكلُّ عن نيلِ مداه ، وبلوغِ أقصاه ؛ وأما رؤيتك الثريا سبعةَ أنجم
فهو ما لا يفخر به مثلك ، وإنما يُقاسُ به الحديدُ البصر ، وأنت في ذلك
أقوى البشر . وحدثنا عن كلف القمر ما هو ؟ واشرحْ لنا الحالَ في قَطْرِ
السحاب كيف هو ؟ فإنك تبصره مجتمعاً قبل ان يصيرَ بددا ، وتلاحظه
ذائباً [١٣٠ أ] قبل ان يجمدَ برداً ، وهذا كلهُ مما تراه عياناً ، فأُنجِدُنا
فيه بياناً ، ولولا أنك عند الفقهاءِ غيرُ مقبولٍ لما تدَّعيه من [علم] التأثير ،
إذ يرمون ^٣ أهلهُ بالتعثير ، لبشَّرتَ بهلالِ العيدِ بعد الاجتماعِ بساعتين ،
وبَعْدِهِ عن الشمسِ بدرجتين ، وقد كنتَ بالأمسِ ، عند رفعِ الأسطرلابِ
إلى الشمسِ ، تُعَمَّضُ إحدى عينيك لتعتدلَ لك رؤيةُ الشعاعِ ، وموضعُ
العضادةِ في أخذِ ^٤ الارتفاعِ ، وقد كُفِّيتَ ذلكَ بالعوَر ، مع زيادةِ
النظر ؛ ولأمرٍ ما تَلَطَّفَ أهلُ الثغرِ في عورك ، فليس عندك شيءٌ من
خبرك ، إذ صرتَ لهم رابثةً تنذرهم بالخيلِ على بعدِ مراحلٍ ومسافةٍ أيام ،
فأنت عندهم من أكرمِ البريةِ ، وأجْدَى من منارِ الاسكندرية ، لكنهم
لم يشعروا أنَّكَ الدجالُ المنتظر ، وقد خرجتَ عليهم بخروجِ عينك ،
وبرزتَ إليهم بيروزها عنك . فان اعترضَ معترضٌ وقال : إنَّ الدجالَ

١ يقال في المثل : « أنجد من رأى حَضَنًا » ، وهذا يعني أن من في تهامة لا يستطيع رؤيته .

٢ من : قتلعة . . . د ط : سحاب .

٣ د ط : يرمزون .

٤ د ط س : موضع .

يقدمهُ خروجُ الدابةِ ، فان يكن هذا هو الدجال فأين الدابة ؟ فالجواب :
 أَنْتَ كُنْتَ الدابةَ ثُمَّ صَرْتَ بِالْعَوْرِ دَجَالًا^١ . وقد جال الصدوق^١ في ذلك
 مجالًا ؛ وَأَنْتَ قَيْطُوسُ^٢ دَابَّةُ الْبَحْرِ تَعُومُ فِي حُبُكِ الْمَاءَ ، وَتَسْبَحُ [مِثْلًا] لَهَا
 فِي فَلَكِ السَّمَاءِ ، فَانْ صُورَةَ قَيْطُوسَ الَّتِي أَثْبَتَهَا جَالِينُوسُ جَمَاعَةُ كَوَاكِبِ
 تُعْرَفُ بِدَابَّةِ الْبَحْرِ ، وَبَطْنُهَا غَائِصٌ^٣ فِي كَوَاكِبِ النَّهْرِ^٣ ، فَذَنْبُهَا مِمَّا
 يَلِي الدَّلَّوْ حَيْثُ يَنْصَبُ مَآؤُهُ فِي فَمِ الْحَوْتِ الْجَنُوبِيَّةِ ، وَبِأَعْلَى عَرْفِهَا^٤ الْمَعْرُوجُ ،
 كَوَاكِبُ الْحَوْتِ مِنْ فَلَكَ الْبُرُوجِ ، فَهِيَ مَغْمُورَةٌ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِالْمِيَاهِ ، مَأْنُوسَةٌ^٥
 بِالْأَقَارِبِ وَالْأَشْيَاءِ ، وَقَدْ فَازَتْ بِالطَّبِيعِ الْمَعْتَدِلِ ، بِمَا حَازَتْ^٥ مِنْ مَجَاوِرَةٍ
 بَرَجِ الْحَمَلِ ، فَهَذَا الْمَجْدُ الْبَازِخُ ، وَالْأَصْلُ الرَّاسِخُ ، وَالْفَرْعُ^٦ الشَّامِخُ ؛
 فَأَنْتَ حَقًّا الدَّجَالُ الْأَعْوَرُ ، وَالْقَائِمُ الْمُنْتَظَرُ ، الَّذِي نَبَأْنَا^٧ بِهِ الْأَثَرُ ، نَسْأَلُ
 اللَّهَ أَنْ يَعِزَّنَا بِأَعْلَامِكَ ، وَيَنْصِرَنَا فِي أَيَّامِكَ ، وَنَبْتَهِلُ إِلَيْهِ فِي أَنْ يَكْفِينَا
 أَشْرَاطَكَ ، وَيُزَوِّيَ عَنَّا تَعْدِيكَ وَإِفْرَاطَكَ^٨ ، حَتَّى إِذَا ظَلَمْتَ وَجَرْتَ^٨ ،
 وَغَيَّرْتَ وَبَدَلْتَ ، قَذَفَ بِكَ فِي قَرَارِ الْيَمِّ الْعَظِيمِ ، وَالتَّقَمَّكَ الْحَوْتُ^٩
 وَأَنْتَ مُسْلِمٌ ، إِنْ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لِرَعُوفٍ رَحِيمٍ .

١ د ط س : الفكر الصدوق .

٢ قيطوس وتكتب أحياناً قيطس (Cetus) ، لفظة يونانية تعني الحوت أو البلينه ؛ وصورة
 قيطوس تشمل ٢٢ كوكباً منها كف الثريا الجذماء والضفدع الثاني (انظر : العلوم البحرية
 عند العرب ج ٣ / ١ : ٢٠٩) .

٣ ب م س : الشهر .

٤ ب م : عربها .

٥ بما حازت : سقطت من ط د ؛ وفي ب م : بما جاورت .

٦ د ط س : والجبل .

٧ د ط س : نبأ .

٨ د ط س : وتجهزت .

وله من رقعةٍ عن المقتدر عنايةً بالحصري : ما أثَّلَ الله من مَجْدِكَ
وَعَلَانِكَ ، وَأَكْمَلَ من سَرْوِكَ وَسَنَائِكَ ، وَأَصْدَرَ عنك من محاسن الشيم ،
وَقَصَرَ عليك من معالي الهمم ، يَقُودُ إِلَيْكَ الْأَهْوَاءُ تَتَحِيكَ بِصَفْوٍ وَدَادَهَا ،
وَتَعْتَفِيكَ بِصَدَقِ ارْتِيَادَهَا ، وَمَا زَالَ ذَرَاكَ الرَّفِيعُ سَابِغاً عَلَى ذَوِي الْأَخْطَارِ
ظِلُّهُ ، غَامِراً لَذَوِي الْأَدَابِ إِفْضَالُهُ بَاهِراً فَضْلُهُ ، وَأَحْقَقَهُم بِأَجْزَلِ
الْبِرِّ الْأَوْفَى ، مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ عَلَى بُعْدِ الْمَدَى ، [١٣٠ ب] مَهْتَلِماً
بِمَحَامِدِهِ وَمَدَائِحِهِ ، مُسْتَشِعِراً لِمَيَامِنِ قَصْدِهِ^٢ وَمُنَاجِحِجِهِ ، وَهُوَ الشَّيْخُ^٣
الْفَاضِلُ الْكَامِلُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ عَبْدِ الْغَنِيِّ ، أَلَمَّ بِجَهْتِي - جَهْتِكَ - فَوَفَدَ
عَلَيَّ مِنْهُ الْوَاغِدُ الْأَثِيرُ وَالزَّائِرُ الْكَرِيمُ^٤ ، وَأَتَسَّ بِذِكَاكِ مَنَاسِمَتِهِ ، وَأَمْتَعَ
بِجَمَالِ مُحَاضَرَتِهِ ، وَهُوَ الْبَارِعُ الْمُتَقَدِّمُ^٥ فِي إِحْسَانِهِ ، وَتَصَرُّفِهِ فِي الْإِبْدَاعِ
وِافْتِنَانِهِ ، وَرَبَّمَا تَقَوَّلَ كَاشِحٌ ، وَنَمَقَ كَادِحٌ ، وَزَوَّرَ حَاسِدٌ ، وَأَوْهَمَ
خَبٌ مُعَانِدٌ ، لِأَجْلِ اسْتِقْرَارِهِ فِي ذَلِكَ الْجَانِبِ ، وَاشْتِمَالِهِ بِظُلِّ الْمَجَافِبِ ،
أَنَّهُ انْحَرَفَ بِصَفْوٍ وَدَادٍ ، أَوْ حَرَّفَ بِقَوْلٍ وَاعْتِقَادٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ
شَرَّفَ رَتَبَتَكَ وَنَزَّهَ مَنَصِبَكَ عَنِ الْأَصْغَاءِ إِلَى تَنْمِيقِ الْوَشَاةِ ، وَالْإِجَازَةِ لِكَيْدِ
الْعُدَاةِ ، وَالْإِرْتِيَابِ بِعُهُودَةِ الْمُخْلِصِينَ الثَّقَاتِ ، وَعَصَمَ النَّبِيلَ النَّبِيَّةَ مِثْلَهُ ،
مِمَّنْ زَكَّى اللَّهُ [دِينَهُ] وَعَقَّلَهُ ، مِنْ الْعُدُولِ عَمَّا دَانَ بِهِ ، وَاعْتَلَقَ بِسَبَبِهِ ،
مِنَ الْإِعْتِرَاءِ إِلَى وَلَائِكَ ، [وَالتَّشْيِيعِ فِي عَلَيَّائِكَ] ، وَالتَّشْرِعِ بِمَدْحِكَ^٦
وثنائك .

١ د ط س : وأحقهم بالبر ؛ ب م : بأجر البر .

٢ س : مقاصده .

٣ د ط س : الأديب . ٤ د ط : المعظم . . . المكرم .

٥ د ط س : المقدم .

٦ د ط س : بصعر .

٧ م : والتسوغ ؛ ط : والتصرع ؛ ط د : في تمديحك ؛ س : في مدحك .

ومن شعر أبي الفضل

من ذلك أبياتٌ اندرجتُ له في تلك الرسالة المتقدمة على لسان الرّجس^١ :

تقضى زمانٌ، طائرُ الأُنسِ عنده	مدودٌ وسِرْبُ اللهوِ فيه مَرَوَعٌ
وطال انتظاري دولةَ الوصلِ بعدما	تصرَّمَ بالهجرانِ مَشْتَى ومربع
عرضتُ له حُبِّي فأعرضَ جانباً	ولكن رعى عهدي الذي لا يُضَيِّعُ
وأرسلني كيما أدِلَّ بِحُرْمَةٍ	لديكَ بها حقٌ كريم مشفع
فأقبلتُ أستجدي رضاكَ وان تَعُدْ	يُسَارِعُ إلى وصلي المحبِّونَ أجمع
وها فاعتبرُ في منبتي وتقلِّبي	فكلَّ لأصلٍ واحدٍ يتفرع
لأودى بِحُثماني البلى وأبادَه	وأثبت روحاً ^٢ نيراً يتطلع
يرى الوهمُ منه جوهرًا متضرماً	يروق ونشراً ساطعاً يتضوع
كذلك أجسامٌ تبيدُ وأنفسٌ	إلى الشَّرَفِ الأعلى تعودُ وترجع
وما العيشُ إلاَّ فرصةٌ يستديمها لا	يببُ بأثمارِ السرور فيمتنع
فبادرْ زمانَ الأُنسِ واعمرْ جَنَابَه	فزاهرُه رِيانٌ بالحسنِ يتزع
ولا تمطلِ اللذاتِ عمرك مثلاً	يسوفُ بالدَّينِ الغريمُ ويدفع

وكتب إليه ذو الوزارتين أبو عامر بن الفرّج^٣ : [١٣١ أ] .

إن كان عندكَ شيءٌ من الدِّياخيلونِ^٤

١ د ط س : من جملة ... في رسالة ...

٢ د ط س : وأثبت دوحاً .

٣ د ط س : وكتب إليه بعض إخوانه بهذه الأبيات .

٤ الدياخيلون : مرهم ينفع من الجراحات ويحلل السلع والصلابات ، ويتكون من نسب معلومة من لعاب بزر الكتان وبزر مر وبزر الخطمي وحلبة ومرداسنج (منهاج

الدكان : ٨٩) .

فابعثُ به تتعوّضُ منه بشكرٍ ثمين
فان عندي خُرَاجاً من بَابَةِ التّليين
ولا يكنُ^١ مثلَ شعري من الطرازِ الدُّون
قد قلتُ بالزح أجري بطبع دهرٍ خثون
فإن تزيدتَ زدنا من نوعِ هذا الجنون
عساه يجنح > للسهـ < لم بعد حربِ زَبُون
فالشبهُ يألَفُ شبهاً والمثلُ مثلُ القرين

فأجابه أبو الفضل :

يا آخذاً باليمين في المجد شتىِ الفنونِ
سلمٌ لعلمي في الطـ بـ والقرا باذنين
لا ينبغي أن يُدأوى الـ خُرَاجُ بالتسليين
[حتى يقومَ رَدْعُ الـ أخلاطِ بالتسكين]
وقد بعثتُ شراباً يُعزّي إلى الزَّرجون
يُغنيني إذا ذقتهُ عَنـ شرابِ الافستين^٢

ولأبي الفضل^٣ :

أيها الماءُ الذي لولاه ما بَرَحَ الإسلام يشكو الغصصاً

١ ب م : ولا يكون .

٢ الافستين (Absinthe) ويسمى أيضاً شبة العجوز والشيخ الرومي ، وقد أظن ابن البيطار في الحديث عن الشراب الذي يصنع منه (انظر المفردات ١ : ٤١ - ٤٤ وتحفة الأحباب : ٤ وشرح أسماء العقار : ٤) .

٣ لم ترد هذه القطعة والتي تليها في د ط س .

جملة مني^١ ولا حاجة لي
أبدًا تقصصُ أطيَّارَ العلا
في حديثي أن أطيلَ القصصا
مستفيداً^٢ فاتخذني قنصا
وانثرِ الحبَّ فإني طائرٌ
غَرِدٌ لا أتعدَّى القفصا

وله :

يا صاحبي سلا هل سالَ نَعمانُ
قالا نعم سالَ جرياً في مدائنه
أنتي ولم يسرِ طيفٌ للسحابِ به
بلى كفاه أبو^٣ عيسى وأحسبه
رأى الغمامَ في عُسْرٍ فأقرضها
سجيةً هو منها موسرٌ كرمًا
حيَّ الخيامِ فلي في الحيَّ آنسةً
تسيرُ نفسي اليهم والحدادةُ بها
أطوي المراحلَ لا ألوي على وطيرٍ
قد أنكر [. . .] من نفسي معالمها
أرضٌ بجلَّتْ والنهرينِ موفقةً
أمست ديارِي خلاءً في معاهدها
إذا نبا بلدٌ يوماً بساكنه
وفي جنابِ أبي عيسى لنا بدلٌ

بعدي وأورقَ فيه الطلحُ والبانُ
وأمرعتُ أظهرٌ منه وبُطنان
ولا تندتُ بدمعٍ منه أجفان
نداه فهو رويُّ الشربِ سيحان
إن الجزاءَ على الإحسانِ إحسان
حاز الكمالَ فما يعرّوه نقصان
واقرا السلامَ فلي بالجزعِ إخوان
هوىً وشوقٌ وتأميلٌ وإذعان
يُشجِي ولو ذَكَرَتْ بالعهدِ أوطان
وفي المجاهلِ لي أنسٌ وعرفان
أريضةً كلها قصرٌ وبستان [١٣١ ب]
وحلَّها ديسَمٌ بعدي وسرحان
ففي سواه له أهلٌ وجيران
إذ قُطِّعتْ من حبالِ الوصلِ أقران

١ ب م : لي .

٢ ب م : مستفيداً .

٣ ب م : كفى وأبو .

حتى يمهدي قطر قرارتهُ تيماءُ والهضبةُ العليا عمران
هو المجيرُ من الأيامِ إن غَدَرَتْ وهي وبعضُ من الإخوانِ خَوَّان

وأخبرني أبو عامر ابن الفرّج قال : كنت بحصن روضة^١ ضيفاً عند
ابن المرشاني ، واتصلت مجالس أنسنا بها صبوحاً وغبوقاً ، وأظننا العيدُ ،
وورد الوزيرُ أبو الفضل من سرقسطة ، فكتبَ إلى ابن المرشاني بشعريقول فيه^٢ :

العيدُ أَيْامُ أَكُلٍ وَمَشْرَبٍ وَبِعَالٍ
وقد أَكَلْنَا فَهَاتِ آسَ قَنَا مِنَ الْجُرْيَالِ
إِذْ لَا نَكَاحَ لَنَا فِي مُحَرَّمٍ أَوْ حَلَالٍ
إِلَّا مَا نَرْتَجِي مِنْ نِكَاحِ طَيْفِ الْخِيَالِ

قال أبو عامر : فكلفني فجوابته فقلت ، وبعث إليه بما رغب إليه^٣

زُفَّتْ إِلَيْكَ عَرُوسٌ بَكْرٌ مِنَ الْجُرْيَالِ
قَمِيصُهَا ذَهَبِيٌّ كَالشَّمْسِ فِي الْآصَالِ
وَحَلِيَّتُهَا فَضِيٌّ مَنْظَمٌ كَاللَّائِي
فَدُونِكَ اشْرَبْ هَنِيئاً لَا زِلْتَ نَاعِمَ بَالٍ
وَاجْمَعْ مِنَ الطَّيْفِ بَيْنَ الْـ شَنْوَفِ وَالْخَلْخَالِ

١ روضة : يطلق على غير موضع واحد بالأندلس ، والمقصود هنا روضة الواقعة في الثغر الأعلى

(Rueda) وكانت من أعمال سرقسطة وهي تابعة اليوم لوشقة .

٢ د ط س : وكان أبو الفضل يوماً في ضيافة بعض إخوانه ثالث عيد الأضحى ، وارتفع
الطعام ولم تحضر المدام ، فقال لرب المنزل . . .

٣ د ط س : فلما وصل أبو الفضل إلى منزله بعث إليه بما طلب وكتب معها .

ومعنى هذا البيت كقول الكاتب أبي الحسن^١ صالح الشتمري^٢ ،
وقد تقدم إنشاده :

أَسْنَى لِيَالِي الدَّهْرِ عِنْدِي لَيْلَةٌ لَمْ أُخْلِ فِيهَا الْكَاسَ مِنْ إِعْمَالِ
فَرَّقْتُ فِيهَا بَيْنَ جَفْنِي وَالْكَرَى وَجَمَعْتُ بَيْنَ الْقُرْطِ وَالْخُلْخَالِ
وَأَنْشَدْتُ لِأَبِي الْفَضْلِ^٣ :

وَأُطْرِبْنَا غَيْمٌ يَمَازِحُ شَمْسَهُ فَيَسْتَرُ طَوْرًا بِالسَّحَابِ وَيَكْشِفُ
تَرَى قَرْحًا فِي الْجَوْ يُفْتَحُ قَوْسَهُ مَكْبَأً عَلَى قَطْنٍ مِنَ الثَّلَجِ يَنْدِفُ

وذكرت بما وصفه من قوس قرح خبراً يُحكى عن أبي الطيب
المتنبي ، وإن ذهب في الغلو أبعدَ مذهب : نُدِفَ له قطنٌ في ثوبٍ أمر
بعمله ، فوجَّه لصانعه فيه درهماً فاستقلَّه وصرَّفه عليه ، فمثل الصانع
بين يديه ، وطلب منه فيه ديناراً ، فقال له المتنبي : والله لو ندفتَه بقوسٍ
[١٣٢ أ] قرح على أجنحة الملائكة ما أعطيتك عليه ديناراً .

ومن أملح ما جاء في صفة قوس قرح قول القائل^٤ :

-
- ١ د ط س : وهذا كقول بعض أهل عصرنا وهو أبو الحسن . . . الخ .
٢ ترجم له ابن بسام في القسم الثاني من الذخيرة ؛ وانظر المغرب ١ : ٣٩٧ ومسالك الأبصار
٨ : ٣٣٤ .
٣ ورد البيتان في المغرب ٢ : ٤٤١ .
٤ زاد في س : وهو سيف الدولة ؛ قلت : نسبها في اليتيمة ١ : ٨ لسيف الدولة بن حمدان ،
وانظر ابن خلكان ٣ : ٤٠٢ حيث ذكر أنها تنسب لأبي الصقر القبيسي ؛ ووردت في
غرائب التشبيهات ٧ : ٤٧ منسوبة لابن الرومي ، قال : وهو الصحيح ؛ وهي في ديوان
ابن الرومي ٣ : ٤٧٣ (ط . كامل كيلاني) .

كَأَنَّ السَّحَابَ الْجَوْنَ قَمَصٌ تَرَكَبْتُ عَلَى الْأَفْقِ دَكْنًا وَالْحَوَاشِي عَلَى الْأَرْضِ
يَطْرُزُهُ قُوسُ السَّمَاءِ بِأَحْمَرٍ عَلَى أَصْفَرٍ فِي أَخْضَرٍ فَوْقَ مَبْيُضٍ
كَأَذْيَالِ خُودٍ أَقْبَلْتُ فِي غَلَائِلِ مَصْبَغَةٍ وَالْبَعْضُ أَقْصَرُ مِنْ بَعْضٍ^١

وَأَنشَدْتُ لِعَزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صِمَادِحٍ فِي جَارِيَةٍ :

صَاغَتْ الْجُوزَاءُ قَرْطِينَ عَلَى مَسْمَعِيهَا وَالثَّرِيَا دُمْلُجَا
وَاسْتَجَادَتْ مِنْ سَمَاهَا حَلَلَا فَكَسَاهَا قَزَحٌ مِمَّا نَسَجَا

وَقَالَ الْأَسْعَدُ بْنُ بَلِيطَةَ^٢ :

مَحِيْرَةً الْعَيْنَيْنِ مِنْ غَيْرِ سَكْرَةٍ مَتَى شَرِبْتُ الْحَظْ أَعْيْنِكَ اسْفِنْطَا^٣
أَزَى صُفْرَةٍ الْمَسْوَكَ فِي حَوَّةِ اللَّمَى وَشَارِبَكَ الْمَخْضَرَّ بِالْمَسْكَ قَدْ خَطَا
عَسَى قَزَحٌ قَبْلَتَهُ فَاخَالَهُ عَلَى الشَّفَةِ اللَّامِيَاءِ قَسْدٌ جَاءَ مَخْتَطَا

وَأَكْثَرَ الشُّعْرَاءُ تَشْبِيهِهُمْ قُوسَ السَّمَاءِ السَّحَابِيَّ بِقَزَحٍ ، وَهُوَ مِنْهُيَّ
أَنْ يُسَمَّى قَزَحًا .

وَرَوَى الْإِخْبَارِيُّونَ أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا اسْتَقَرَّتِ السَّفِينَةُ عَلَى
الْجُودِيِّ سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُؤْمِنَ وَلَدَهُ مِنَ الْغُرُقِ . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : قَدْ
أَمْنَنْتُ وَلَدَكَ آخِرَ الدَّهْرِ . وَجَعَلْتُ لَهُمْ عَلَامَةً يَرَوْنَهَا فِي السَّمَاءِ : قُوسًا .

١ إلى هنا ينتهي ما ورد في د ط س من ترجمة ابن حسداي ومن التذييل عليها ببعض أخبار المتنبي.

٢ ترجم له ابن بسام في القسم الأول من الذخيرة (ط . مصر ١ - ٢ : ٢٩٠) والأبيات
هناك ص : ٢٩٧ ؛ وانظر المطمح : ٨٣ - ٨٤ والنفح ٤ : ٥١١ .

٣ الإسفنت : ضرب من الأشربة . وورد في شعر الأعشى :

وَكأنَّ الْحَمْرَ الْعَتِيقَ مِنَ الْإِسْفَنْطِ مَمْزُوجَةٌ بِمَاءِ زَلَالٍ

وقالوا : قُرَحُ من أسماء الشيطان فلا ينبغي أن ينسب إليه هذا القوس .
وقال أبو بكر بن الملح :

غُرَّتُهُ الشمسُ والحيا يَدُهُ بينهما للنجيعِ قَوْسُ قُرَحُ

وقد تقدمت هذه الأبيات ، ولكي استجزت تكرارها لأنسق الأعجاز
بالصدور ، وأضم الأول إلى الأخير .

وسمع القطعة التي تُعزَى للحكيم المصري ، وأولها : « توريد خدك
للأحداق لذات »^١ ، فقال أبو الفضل :

عهد للبنى تقاضتهُ الأماناتُ بانَتْ وما قُضِيَتْ منه لباناتُ
يُدْنِي التوهمُ للمشتاقِ ممتزجاً من الوصالِ وفي الأوهامِ راحتُ
تُقْضَى عداتُ إذا هبَّ الكرى وإذا هبَّ النسيمُ فقد تُهْدَى تحياتُ
لعلَّ عَتَبَ الليالي أن يعودَ إلى عَتْبِي فَتُبْلَغَ أوطارُ ولذات [١٣٢ب]
بشرى تحقّقُ ما زار الخيالُ به فربما صَدَقَتْ تلك المناماتُ

وله مراجعاً إلى الوزير أبي محمد بن سقبال^٢ :

قابلتُ بالعُتْبِي عتابكَ جاهداً للعهدِ حفظَ العينِ للأجفانِ
وبسطتُ أوضحَ من زياد^٣ عُذْرَه لو لم تكن أقسى من النعمانِ

١ في القلائد : ١٨٤ وفي المصادر التي نقلت عنه (انظر الخريدة ٢ : ٤٨٠ والنفع ١ : ٦٤٠ ،
٣ : ٢٩٤) أن هذا المطلع لابن حسداي نفسه ، ويبدو أن صاحب القلائد قد خلط بين
القصيدتين .

٢ القلائد : بن سفيان .

٣ زياد : النابغة الذبياني .

أَسْقِيكَ عَذْباً بَارِداً وَسَقَيْتَنِي إِذْ جَاشَ حَمِيمُكَ مِنْ حَمِيمِ آناً
 أَغْضَبْتَ جَهْلًا أَمْ نُسِبْتَ إِلَى الصَّبَا فَاْمَرَحُ فَإِنَّكَ مِنْهُ فِي رِبْعَانِ
 وَرَكَبَ ^١ الْمُسْتَعِينُ بِاللَّهِ يَوْمًا بِسَرَقِطَةٍ يَرِيدُ طِرَادَ لَذَّتِهِ ، وَارْتِيَادَ
 نَزْهَتِهِ ، وَافْتِقَادَ أَحَدِ حِصُونِهِ الْمُنْتَظِمَةِ <بَلْبَتَتِهِ> ^٢ وَاجْتِمَعَ لَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ،
 مَنْ اخْتَصَمَهُ لِاسْتِصْحَابِهِ ، وَفِيهِمْ أَبُو الْفَضْلِ ، مُشَاهِدًا لِانْفِرَاجِهِمْ ،
 سَالِكًا لِمُنْهَاجِهِمْ ، وَالزُّوَارِقُ قَدْ حَفَّتْ بِهِ ، وَالتَّفَتُّ بِجَوَانِبِهِ ، وَنَعْمَاتُ
 الْأَوْتَارِ تَجِسُّ ^٣ السَّائِرَ عَنْ عَدْوِهِ ، وَتُخْرَسُ الطَّائِرُ الْمَفْصَحَ بِشَدْوِهِ ،
 وَالسَّمَكُ تُثِيرُهَا الْمَكَائِدُ ، وَتَغْوِصُ إِلَيْهَا الْمَصَايِدُ ، فَتَبْرُزُ مِنْهَا قُضْبَانٌ دُرٌّ
 أَوْ سَبَائِكُ بَلَجِينَ ، فَقَالَ ^٤ :

لِلَّهِ يَوْمٌ أَتَيْقُ وَاضِحُ الْغُرْرِ مُفَضَّضٌ مُذْهَبُ الْأَصَالِ وَالْبُكْرِ
 كَأَنَّمَا الدَّهْرُ لَمَّا سَاءَ أَعْتَبْنَا فِيهِ بَعُتْبِي وَأَبْدَى صَفَحَ مَعْتَدِرِ
 نَسِيرُ فِي زُورِقٍ حَفَّ السَّفِينُ بِهِ مِنْ جَانِبِيهِ لِمَنْظُومٍ وَمُنْتَشِرِ
 مَدَّ الشَّرَاعُ بِهِ نَشْرًا عَلَى مَلِكٍ بَدَأَ الْأَوَائِلَ فِي أَيَّامِهِ الْأَخَرِ
 هُوَ الْهَمَامُ الْأَمَامُ الْمُسْتَعِينُ حَوَى عَلَيَاءَ مُؤْتَمِنٍ عَنْ هَدْيِ مَقْتَدِرِ
 تَحْوِي السَّفِينَةُ مِنْهُ آيَةً عَجَبًا بِحَرٍّ تَجْمَعُ حَتَّى صَارَ فِي نَهْرِ
 تُثَارُ مِنْ قَعْرِهِ النَّيْنَانُ مُصْعِدَةً صَيْدًا كَمَا ظَفَرَ الْغَوَاصُ بِالْدَرَرِ ^٥

١ ب م : وكتب ؛ والنص كما هو هنا ورد في القلائد ، مع بعض إيجاز في الذخيرة .

٢ زيادة من القلائد . ٣ ب م : تحسر .

٤ وردت الأبيات في القلائد والنفع ٣ : ٢٦٧ والخريدة وبدائع البدائنه : ٣٦٧ - ٣٦٨ .

٥ علق ابن ظافر على هذا البيت بقوله : قوله « نينان » غير معروف فإن توناً لم يحيى وجمعها على نينان ، وقد كان سيويوه خطأ بشار بن برد في قوله في وصف سفينة « تلاعب نينان

البحور . . . » فغيره بشار « تيار البحور » ؛ وفي بيت للمتنبى :

فهن مع السيدان في البر عسل وهن مع الحيتان في البحر عوم

جاءت لفظة « نينان » بدل « حيتان » في عدد من النسخ .

وللندامى به عبّ ومرتشف كالريق يعذب في ورد وفي صدر
والشرب في ودّ من لي خلقه زهر يذكو وغرته أبهى من القمر

جواب ابن هودٍ إلى أبي الفضل عند فِرارِهِ عنه : سيدي وأجلّ
عددي ، وأسنى الذخائر عندي ، وأزكى الفوائد بيدي ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللهُ
في أَمٍّ نعمة ، وأعمّ حرمة ؛ وردني كتابُكَ بما أودَعْتَهُ من صورةِ
وجهتك ومَمَرِكَ ، وصفةِ مستوطنك ومستقرّك ، وعرفت [١٣٣ أ]
حقيقة منزلك ، في تعجلك وتسرعك ، وما عَلِمْتُكَ - على معلومِ
ذكاكك - يذهبُ عليك السَّدَادُ في آرائك ، ولكنّ لا تملكِ عنانَكَ في
اعتسافِ طرقك ، وخالقِ خَلْقِكَ خالقُ خُلُقِكَ ، وكان الأشبهَ بالحميل ، أن
تُسْعِرَ بإزماعِ الرحيل ، فتوصلَ وتشيع ، ولا تصدّ عن غَرَضِكَ ولا تمنع ،
مُهتدٍ بك الحالُ هنالك فلم تبرح موضعَكَ ، ولا فارقتِ مَأْلَفَكَ ومجمعَكَ ،
بما يقتضيه انتظامُ الجانبيين ، والتفافُ الأفقيّين ، وكيفما تصرّفتِ فأنت الوليُّ
الحميم ، لا يُنكَرُ ودُّكَ ، ولا يُخَفَّرُ عهدُكَ ، والله يُلْقِيكَ كلَّ خير ،
ويُجَنِّيكَ ثمرَ الغبطة في كلِّ مقامٍ وسير .

قال أبو الحسن بن بسام : ورأيت هنا أن ألمعَ بيسير من أخبار أبي الطيب ،
سوقاً لفائدةٍ أدتْ إليها الخبر ، وإشارةً إلى بعضِ محاسنه التي عنه تؤثر ،
وإن كان خارجاً عن هذا الغرضِ الذي شرطته من حَذْفِ التطويل ،
والاجتزاءِ عن الكثير بالقليل . ولكنه سنح لي هنا فصلٌ من أخبارهِ وبديته ،
وتصرّفهِ البديع بين إشارتيهِ وفكرته ، ورويّته وبديته :

استنشده سيفُ الدولة قصيدته التي أولها ١ :

• على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائم •

وكان معجباً بها ، كثيرَ الاستعادة لها ، فاندفع أبو الطيّب يُشيدُها ، فلما وصل إلى قوله :

وقفتَ وما في الموتِ شكٌ لواقفٍ كأنك في جفنِ الردى وهو نائمٌ
تمرُّ بكِ الأبطالُ كلِّمى هزيمةً ووجهك وضّاحٌ وثمرُك باسم

قال له : قد انتقدنا عليك هذا البيت كما انتقدَ على امرئ القيس بيتاه :

كأنِّي لم أركبُ جواداً للذة ولم أبتطنُ كاعباً ذاتَ خلخال
ولم أسبأ الزقَّ الرويَّ ولم أقلَّ لخليِّ كُرِّي كرةً بعد إجحاف

وبيتاك لا يلتئم شطراهما ، كما لا يلتئم شطرا بيتي امرئ القيس ؛ كان ينبغي لامرئ القيس أن يقول :

كأنِّي لم أركبُ جواداً ولم أقلَّ لخليِّ كُرِّي كرةً بعد إجحاف
ولم أسبأ الزقَّ الرويَّ للذة ولم أبتطنُ كاعباً ذاتَ خلخال

ولك أن تقول :

وقفتَ وما في الموتِ شكٌ لواقفٍ ووجهُك وضّاحٌ وثمرُك باسم
تمرُّ بكِ الأبطالُ كلِّمى هزيمةً كأنك في جفنِ الردى وهو نائمٌ

فقال : أيّد الله مولانا ، إن صحَّ أن الذي استدركَ على امرئ القيس هذا

١ انفرد الواحدي : ٥٥٢ والمكبري ٣ : ٣٨٦ .

أعلمُ منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأتُ أنا ، ومولاي يعلم أن
 البزازَ لا يعرفُ الثوبَ معرفةَ الحائك ، لأن [١٣٣ ب] البزازَ لا يعرف
 إلا جملة ، والحائكُ يعرفُ جملة وتفريقه ، لأنه هو الذي أخرجه
 من الغزلية إلى الثوبية ؛ وإنما قرَنَ امرؤ القيس لذة النساءِ بلذة الركوب
 للصيد ، وقرَنَ السباحةَ في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلته
 الأعداء ؛ وأنا لما ذكرتُ الموتَ في أوّل البيت أتبعتهُ بذكر الردى وهو
 الموتُ ليجانسه ، ولما كان وجهُ الجريح المهزوم لا يخلو أن يكون عبوساً
 وعينه من أن تكون باكيةً قلت : « وَوَجْهُكَ وضاحٌ وثغرك باسم »
 لأجمع بين الأضداد في المعنى ، وإن لم يتسع اللفظ لجمعهما ، فأعجب
 سيفُ الدولة بقوله وبالغ في صلته .

ولما أنشد أبو الطيب سيف الدولة قصيدته التي يقول فيها ^١ :

يا أيها المحسنُ المشكورُ من جهتي والشكرُ من قبَلِ الإحسانِ لا قبلي
 أقل أنل أقطع أحمل علّ سل أعدّ زدّ هشّ بشّ تفضل أدن سرّ صل

وقع سيف الدولة تحت « أقل » أقلناك ، وتحت « أنل » : يحمل إليه من
 الدراهم كذا ، وتحت « أقطع » : قد أقطعناك الضيعة الفلانية ، ضيعة بباب
 حلب ، وتحت « احمل » : يقاد إليه الفرس الفلاني ، وتحت « علّ » :
 قد فعلنا ، وتحت « ادن » : ادنيناك ، وتحت « سرّ » : قد سرناك .

قال أبو الفتح : فبلغني أنّ أبا الطيب قال : إنما أردت « سرّ » من
 السرية ، فأمر له بجارية ، وتحت « صل » : قد فعلنا . .

١ الواحدى : ٩٣ ؛ والمكبرى ٣ : ٧٦ .

وكان المعقلي وهو شيخٌ بحضرة ظريفٌ قال له : وقد حسد أبا الطيب
على ما أمر له به : قد فعلتَ له من كلِّ ما سألك ، فهلا قلتَ لما قال هشَّ
بشٍّ : هـ هـ هـ ، يحكي الضحك ، فضحك سيف الدولة وقال له : ولك
أيضاً ما تحب ، وأمر له بصلة .

وسيف الدولة ، مع ما شهَرَ به من الكرم والسخاء ، وعرف به من
انفجار ينباع جوده على الشعراء ، قد قصَّر في توقيعه تحت « احمل » عن
غيره من الأمراء ، يحكى أن أبا القاسم الزعفراني لما أنشد الصاحب قصيدته
التي يقول فيها ^١ :

وحاشيةُ الدارِ يمَشونُ في صَنوفٍ من الخَزِّ إلَّا أنا

وقَعَ فيها الصاحب : قرأتُ في أخبارِ معن بن زائدة أن رجلاً قال له :
احمِلني أيها الأمير ، فأمر له بناقة و فرسٍ وبغلة و حمار وجارية ، ثم قال
له : لو علمتُ أنَّ الله خلَقَ مركوباً غيرَ هذه لحملناك عليه ، وقد أمرنا
لك من الخَزِّ بجبَّةٍ وقميصٍ ودُرّاعةٍ وسراويلٍ وعمامةٍ ومنديلٍ ومطرفٍ
ورداءٍ وكساءٍ وجَوَرَبٍ وكيسٍ ، ولو علمنا لباساً آخر يُتَّخَذَ من الخَزِّ
لأعطيناكهُ .

ومما يؤثر عنه من نفاذ خاطره وحضور جوابه أنه دخل على سيف
الدولة وأنشده بعضَ قلائده فيه ، وطار به السرور كلَّ مَطار ، فلما أراد
الانصرافَ إلى الدار [١٣٤ أ] ، قال له السيف ملغزاً على من حضر :

١ اليتيمة ٣ : ١٩٤ - ١٩٥ وترجمة الزعفراني أبي القاسم عمر بن ابراهيم في اليتيمة ٣ :

٣١١ - ٣١٨ ، وانظر رأي هذا الزعفراني في الصاحب ، في كتاب أخلاق الوزيرين :

١٠٥ ، ١٤١ ، ٢٩٥ .

تتبختر يا أبا الطيب ، فقال : نتيه أيها الأمير ، فضحك سيف الدولة وتعجب من غهم أبي الطيب وقال للحاضرين : أردت بـ « تتبختر » تصحيفه : « بت بخير » فقال : « نتيه » وتصحيفه : « بت به » .

ومن أظرف الجواب ، وأغرب مزاح الكتاب ، ما اتفق لي مع الوزير أبي محمد بن عبدون أول ما لقيته ، وسمع بعض الإخوان يدعوني باسمي ، فقال لي : أنت علي بن بسام حقاً ؟ ! قلت : نعم ، [قال] : وتهجو حتى الساعة أباك أبا جعفر وأخاك جعفرأ ، فقلت له : كلاك الله ، وأنت عبد المجيد ؟ ! قال : نعم ، قلت : ويتغزلُ فيك حتى الآن ابن مناذر ؟ ! فضحك من حصر لهذا الجواب الحاضر ؛ وعلي بن بسام باقعة زمانه ، لم يسلم من هجائه في زمانه أمير ولا وزير ، ولا من أهل بيته صغير ولا كبير ، وعبد المجيد كان أجمل أهل زمانه ، وكان ابن مناذر يعشقه ويتغزلُ فيه ^٢ . هذا وما أشبهه من المزاح المباح ، البعيد عن الجناح .

١ هو علي بن محمد بن منصور بن نصر بن بسام ويعرف بالبسامي (- ٣٠٢ أو ٣٠٣) ،

انظر ترجمته في ابن خلكان ٣ : ٣٦٣ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى .

٢ محمد بن مناذر شاعر فصيح عالم باللغة ، كان في أول أمره يتأله ثم عدل عن ذلك فهجا الناس

وتهتك ، فنفي من البصرة إلى الحجاز وهناك توفي ؛ انظر في أخباره وأخبار عبد المجيد

الثقفي : الأغاني ١٨ : ١٠٣ وطبقات ابن المعتز : ١١٩ والشعر والشعراء : ٧٤٧

ومعجم الأدباء ١٩ : ٥٥ .

فصل في ذكر الأديب الكاتب أبي الربيع سليمان بن أحمد القضاعي^١

من قدماء الأدباء — كان — بذلك الثغر ، ومن كتّاب العصر ، المتصرفين في النظم والنثر ، وكلامه يجمع بين الحلاوة والجزالة ، ويتصرّف في لطائف الصنعة ، و[كان] يعمد إلى خسيس المعاني فيقيم لها^٢ أوداً ، بسلاطة لسانه ، وقوة مادته وحسن بيانه ، فان كان في كلامه بعض الطول ، فهو غير مملول . لطريف ألفاظه واستعاراته التي يفخم بها التافه الحقيق ، ويقلّل المتزور الكثير . وفي ما أثبت هاهنا من فصول اقتضبتها من رسائله^٣ وإنشاءاته ، ما هو الشاهد العدل على ما أجرّيته^٤ من صفاته .

فصل له^٥ من رقعة خاطب بها يوسف الاسلامي وقد طلب منه آلة نجار ، خدّم عنده فوجّه بها حاشا المشار ، يقول^٦ فيها : مَنْ دخل في ملّة التزمها ، وليس من شريعة هذا الدين منَع الماعون ، ومن تمام الإسلام ، حفظ الجوار و [رعاية] الذمام ، ومن أحسن الإحسان ، قضاء لُبانات الإخوان ، وما تُعلّم العوانُ الخِمرة^٧ ، ولا نجد بك^٨ من وتيّة ،

١ انظر المغرب ٢ : ٤٢٣ .

٢ ط د س : له .

٣ ط د س : كتبه .

٤ ط د : ما يصدق ما أجرّيته ؛ س : ما يصدق على ما . . .

٥ ط د س : فصول له .

٦ ط د س : قال .

٧ من المثل : لا تعلم العوان الخمرة (اللسان : عون) .

٨ ب م : تجدي بك ؛ س : وما يجدي لك ؛ د : يجري لك .

فأنت المستولي على أمدِّ النهايات ، والمبرز في غِلابِ المذَكِّيات^١ ، والحاوي
قصبِ السبق إلى الغايات ، وإن كان قد قال الجهابذة أولاً :

• وأيُّ الجياد لا يُقالُ [له] هلا^٢ •

وما تُعزَى إلى بخلٍ وأنتَ أَسَمَحُ [من] لافِظَةٍ^٣ ، ولا تُبَصِّرُ من جهلٍ
وأنتَ قطبُ العلوم الثاقبة^٤ ، وقد أنكرتُ أشدَّ الإنكار ، بُخْلَكَ بالمشار ،
وأعملتُ الفكرة [١٣٤ ب] في النظر إلى بُعدِ مراميك ، والبحث عن
غموضِ معانيك ، فلاحَتْ لي دريئةُ مَرَمَاكَ ، وأشرفتُ مُطْلأً على
مَغْزَاكَ ، وحدثتُ بعد تسديدِ سهامِ التوهم ، ورميتُ عن قسيِّ التفهم ،
أن علّةَ ضنانتك به من أجلِّ ما مرَّ ببالك ذكرُ الشجرة التي أُشِرتَ وفيها
يحيى بن زكريا عليه السلام ، فتخرجتَ أن تُخْرِجَ من حريمك آلةً كانت
فيما مضى سبباً إلى حدّثٍ مشوم ، بِسَفْكِ دم [نبيٍّ] كريم ، ولو لمحت
وَجَنَةَ مطلي بناطرٍ تأمَّلَكَ لعلمتَ ، وما أظنك جهلتَ ، أن الخشبةَ

١ يشير إلى المثل : جري المذكيات غلاب ، انظر فصل المقال : ١٢٧ والميداني ١ : ١٠٦٠-١٠٦١ .
والعسكري ١ : ٢٠٣ .

٢ من قول ليل الأخيلية في الرد على النابغة الجعدي : وصدره (الشعر والشعراء : ٣٦٠
والخزاعة ٣ : ٣٣ والسمط : ٢٨٢) اعبرتني داء بأملك مثله ؛ ط : وأي جواد ؛ س :
وأي الجواد .

٣ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ٤٩٤ والميداني ١ : ٢٣٨ والعسكري ٢ : ٥ واللافتة
هي الرحي ويقال أيضاً هي العنز أو الحمامة أو الديك .

٤ ط د : الثاقبة .

٥ ط د س : بعض .

٦ ط د س : عليهما .

التي أحببتُ أن تُؤشَرَ عندي لم يكن فيها حيوانٌ غيرُ الأرضية^١ التي أكلت مِنسأةً سليمانَ عليه السلام ؛ وهلاّ إذ أسأتَ بي الظنَّ تيقنتَ على ما توجبه السنّة أنَّ العاريةَ مؤداة ، وقد كان لك في ارتهانٍ خطّ يدي لنجّارك مَقْنَع ، فقد قَبِلَ كِسْرَى ، وهو جاهليّ ، قوسَ حاجبِ بن زُرارة^٢ على نزارتيها ، رهناً عن جرائم^٣ العرب أن تعيثَ في السواد ، وانما كانت فاقمة عودٍ ووتر [مصير] . وقد علمتَ أن الربانيّ أجدرُ بالوفاء والائتمان^٤ من الجاهليّ ، وفي الاعتذار المتقدم عنك ما يقضي ببراءتِكَ ، هذا إلى ارتناء^٥ المشيخة وإيثارهم الروية على البدئية ، وحكمهم أن الرأيَ الفطيرَ ، وإن أُصِيبَ به التقدير ، من سوءِ التدبير ، والأناةُ عندهم محمودةٌ إلّا في ثلاث : العمل الصالح ، ونكاح الكفو ، ودفن الميت . وما قدَحَتْ في شرفِكَ هذه الوصمة وان كان ظاهرها بخلاً وطفاسةً ، إذ باطنها عقلٌ وسياسة ، فإن احتجَّ عليك بقولهم [ان] : أمُتَّتَ الأوثام [وأقبحه] ، وأجلبه للشينِ وأفضحه [بُخْلُ مَنْ بَخِلَ بالتافه اليسير ، والنزَرُ الحقيق ، وهو مع ذلك ليس في ملك يديه^٦ ، ولا طماعية له في المئثار أن يصير^٧ إليه ، فإن الأملَ لا يبعد ، أن يصيرَ إليه بعد ، فقد تنتقلُ دولات^٨ التأمير ، فكيف

١ م : الأرض .

٢ انظر الخبر عن قوس حاجب في ثمار القلوب : ٦٢٥ .

٣ ط د : كرائم .

٤ ط د س : الراي .

٥ ط د : والائتمان .

٦ س : ارتقاء .

٧ ب م : يده .

٨ ب م : ولا في طماعية المئثار أن يصير . . . ؛ د ط : أن يصل ؛ س : ولا طباعته .

٩ ط د : ينتقل دولاب

بآلاتِ المياشير^١ ، والأيامُ دول ، والدنيا جمّةُ التنقل ، تجمعُ وتبث ،
وتُسَمِّنُ وتُغَيِّثُ ، وربما تألفتِ الأضداد ، وتشتت الأنداد ، وأفادت
غيرَ المطلوب ، وحالت دونَ المرغوب ، ألم ترَ إلى موسى عليه السلام كيف
اقتبس ناراً ، فأقبسَ أنواراً ، ووافد البراجم كيف شمَّ القُتار ، وأمَّ^٢
قرماً^٣ إلى النار^٤ ، ألم تعين الكتابةَ التي أنت قُطْبُهَا ، وهي أجلُّ صناعة ،
ربّما عدِّلَ بها عن نبلاء المحسنين^٥ ، إلى الدخلاءِ الأُميين ، الذين لا
يعلمون الكتابَ إلّا أُمانيّ^٦ ، ولا يدركونَ بأفهامِهِمْ^٧ إلّا المرئي^٨ ،
فحدِثْهُمْ الطعنُ على أهلِ العلم ، والتنقُّصُ لذوي الفهم^٩ ، ولأمرٍ ما
ذمَّ الصبحَ المريبُ ، وعاب المتحملُ^٩ غيرَ المعيب ، وقد بصرت بما عليه
هذا الصنف الواغلي من العجز والتشغيب ، والحَيْدَةِ عن القياس المصيب ،
وأنهم إذا سمعوا بلاغةَ الصدر الأول ، من الجيل الأفضل ، قالوا : أمرٌ
ليس عليه العمل ، وإذا أصغوا إلى تحبير صالح الخلف [١٣٥ أ] ، المقتدي
بمحمود السلف ، قالوا : هذا التعقيبُ ، والتقوير المعيب ، فقلْ لهم :

١ ب م : المناشير .

٢ د : قدماً ؛ ط : قوماً .

٣ في قصة وافد البراجم انظر فصل المقال : ٥٤ ؛ والعسكري ١ : ٨١ وقد مرت الإشارة
إلى المثل « ان الشقي وافد البراجم » ص : ٣٦٧ من هذا الكتاب .

٤ ب م : النبلاء .

٥ الآية : ٧٨ من سورة البقرة « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلّا أُماني » .

٦ ط د س : يجهد أفهامهم .

٧ ب م : الرببي ؛ ط : الرمي .

٨ ب م : الهمم .

٩ ب س : المتجمل .

فافتقوا^١ بحوركُمُ الزاخرة بزعمكم ، وأدروا^٢ سحبكم الثرة بدعواكم ،
واحشدوا^٣ مدود أذهانكم ، واسردوا غرائب بيانكم ، - وخلاكم ذم - ؛
إذا والله أيتها العصابة تهب ریح احتفالكم رخاء لا تثير سحاباً ، ولا تسفي
هباءً ، إلا [ما] ينوءه بعد الریث وإدمان الإبسار من قُطارة المعاني المبتدلة
السوقية ، وعصارة الألفاظ الرذلة العامية ، التي يعافها الخاصي لسفالتها ،
ويجنبها العامي لخلاقتها ، ثم إذا رجعتكم البكاء^٤ إلى الاستعارة من كلام
البلغاء المتقدمين ، والاجلاء المحدثين ، وذهبتُم إلى أن تهتدوا بأنوارهم ،
وتقتلوا بأنارهم ، اعتسفتم الكلام وصحفتُموه ، وأحلتُم النظام
فأكرهتموه ، ورقعتُم خيش^٥ المروط الصوفية ، برقيق البرود الموشية ،
وقرنتُم دُر^٦ غيركم بأجرکم ، فامتازت مع تعديکم^٧ الآثار بتمويهكم
محاسنهم من قبائحكم ، وإذا حصّصت^٨ حقيقة فضائحكم ، لم تعتصموا
بعلق^٩ ، سوى الاضطغان والحنق :

غضبَ التیوس على سفارِ الجازرِ والمغرّقین على الأنيّ الزاخرِ
فقد اجتهد لنصرک ، من قام بعذرک . وحملتني لك العصبية ، واستدعني

١ ب م : فاتبعوا ؛ ولعلها « فائعوا » .

٢ ب م : وأمدوا ؛ لعل الصواب « وامروا » من المري .

٣ ط د س : واحضروا ؛ ب م : واحسروا .

٤ ط د : رجعت البكارة ؛ ب م : البكاوة .

٥ س : خشن .

٦ م ب : وقویم دار .

٧ ط د : مع نعتكم ؛ ب م : فأشارت مع تغويركم .

٨ ط د : صححت .

٩ ط د : تعتصموا بسوى .

فيك الحميَّةُ ، [إلى ما] ترى [من توبيخ] الكتبة^١ الذين ليس لهم
بَسْطَتُكَ في العلوم الديانيَّة^٢ ، ولا براعتُكَ في الفنون الأدبيَّة والرياضية ،
جلالاً بك أن ينتسبَ إلى حزبك ، مَنْ لا يُعَدِّلُ بك ، وكما لا يضرُّ
بالجوادِ^٣ السابق أن يكونَ في آريٍّ مع بطاءِ الأعيار ، كذلك ليس عليك
في اختلاطك بهم من كآبة^٤ ولا عار .

ثمَّ نعودُ إلى تفنيدِ المعارِضِ عليك باستثثار^٥ المشار : وكيف
يوسَمُ بالحقارة ، أو يُرَسَمُ بالنزارة ، وهو من الحديد ، الذي فيه بأسٌ
شديد ، ومنافعُ للنَّاسِ ، وهو من إرهافه ورقَّةِ غرارِهِ واضطرابِ مَتْنِهِ
مناسبٌ لحسامِ الكميِّ البطل ، وحاملُهُ غيرُ أعزَل ، وإن شئتَ استمجدتَ^٦
منه زناداً ، وشفاراً حدَّاداً ، ومن بدائعِ^٧ أعاجيبه أن المَدَى ما لم تكنْ
مفلولةً فهي أبرى ، والمشارُ لا يُحَسِّنُ قَضْبَهُ ، حتى يُفْلَتَلَ غِربَهُ ،
ومن آلاتِ المشارِ عصاه التي تُثَقِّفُهُ أن ينادَ ، وتسدِّده إذا حاد ، وإن
شئتَ صنعتَ منها مخاصراً لأربابِ المُلْكِ ، أو صلباناً [ومتكات] لطواغيتِ
الشرك ، مع ما فيها من المآربِ الجسيمة ، وقد اقتصرتُ على تصنيفها بما

١ ب م : لدى الكتبة .

٢ ط د س : الدينية .

٣ ط د س : الجواد .

٤ ب م : كانه .

٥ ط د س : وفي فصل ، ونعود

٦ ط د س : في استثثار .

٧ س : استجدت ، وكتب خ في الهامش : استمجدت ؛ ط : استمجت .

٨ ط د س : بديع .

ذكره الجاحظ في العصا ، فكثيراً ما كنت أسمعك تلهج بكتاب « البيان »^١ وتدعي حفظه .

ومن عجائب المشار إذا سمعَ جمعته رُئيَ^٢ طِحنُهُ^٣ ، ومن غرائبه شِكالُهُ ، واكثرُ ما يكونُ من الشعر والصوف والوبر ، وقد وصفها [١٣٥ ب] الله تعالى [في التنزيل] فقال ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ (النحل : ٨٠) فكيف لنا أن نستنزر^٤ ، ما نُبتهنا لنحمدَهُ ونَشْكُرَ ، فان اعترضَ عليك أن شِكالَهُ قد يُصنعُ من ليفٍ ودومٍ وشبهه ، فأقلُّ ما يوجبُه أن يُعقَلَ به بعير ، وقد قال الصديق^٥ : لو منعوني عقلاً لجاهدتهم عليه ، ذُكِرَ في التفسير أن معناه « ثمن عقال » إذ ذلك حزمٌ في الملة ، وابتداعٌ مُحَدَّثٌ في زكاةِ الأمة . ولولا خوفُ الطولِ^٦ باقامةِ معاذيرك لأمعنَّا في التوجيه ، ولكنَّ الإشارةَ كافيةٌ لمن عَقَلَ ، كما أن الإطالةَ غيرُ مقنعةٍ لمن ساءَ فهمه وجهل .

وله من رقعة^٨ خاطب بها الوزيرَ ابنَ محامسٍ عنايةً بالكاتبِ ابنِ أرقم : مكاسبُ الشعراءِ — أعزَّكَ الله — من مواهبِ^٩ الأمراءِ وعناياتِ الوزراءِ ؛ ومن شئنا الأدباءِ فأنما^{١٠} يُناقضُ أربابَ الرياسةِ، ويُعارضُ أقطابَ الوزارة ؛

١ ط د س : تلهج بكتابه . ٢ ب م : عجمجة ربي .

٣ هو من قولهم : اسمع جمعجة ولا أرى طحناً ، انظر فصل المقال : ٤٤٨ والعسكري ١ : ١٠٧ .

٤ ط د : فكيف يستنزر ؛ س : يستنزر .

٥ انظر تاريخ الطبري ١ : ١٨٧٣ .

٦ ط د س : وابتداع لحدث .

٧ ط د س : الاطالة .

٨ ط د س : أخرى .

٩ ط د : مراتب ؛ م : واهب .

١٠ ط د س : كأنما .

وكانتْ عندَ الأديبِ ابنِ أرقمِ المحتفلِ في شكرِكَ احتفالي ، والمطنبِ في
حَمْدِكَ إطنابي ، بضاعةٌ مُزجاةٌ أنفقَ في جمعها مُصاصةٌ أيتامَ العمر ،
وخلاصةٌ قوافي الشعر ، وقطعٌ في اكتسابها ظهري^١ البرِّ والبحر ، وصليّ
يجمرتي القرَّ والحَرَّ ، حتى إذا وفَتْ بثمرِ خادمٍ من الوَخشِ ، لم ينتظر
نماءَ المال ، إلى أن يفنيَ برأسٍ غالٍ ، لتوقعه أن ينقضيَ الزمان ، ولم يقصِّر
أرباباً من القيان^٢ ، وبصيرَ من كِبَرَةِ السنِّ ، إلى حيث لا يقدرُ على ذلك
الفنِّ ، فافتنى بوشقة^٣ صبيةٍ فيها بُلغةٌ لمن كان ذا عُرْبَةٍ ، وقَصَلَتْ
له خمسةٌ وعشرون ديناراً ، عددُ نصفِ سنيه الماضية ، وفشا في قومٍ هجاءٌ
ظنُّوه من شعره رَجُماً بالغيب ، وحاشا لأدبِهِ من السَّفَه ، واختلقوا أَنَّهُ
ابتاعَ بما بقي له مهرأً هجيناً ، وثورأً مربباً^٤ ، وتبنّى بنتاً^٥ ، ثم
تلا قوله تعالى : ﴿ زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ﴾^٦
ويشير إلى قينته^٧ ، ﴿ والبنين ﴾ ويشير إلى دعيته ﴿ والقناطير المقنطرة
من الذهب والفضة ﴾ وينظر إلى كفته^٨ منهما إلى أقل من ربع أوقية
﴿ والخليل المسومة ﴾ (آل عمران: ١٤) ويلاحظ إلى مُهرِهِ الذي لو بيعَ
بجحرٍ^٩ من حجارةِ القَدْفِ لربحَ البائعُ وخسرَ المشتري ، وكلّ هذا منهم

١ ب م : ظهر .

٢ م : العيال ؛ ب : العيان .

٣ س : بوسعه ؛ ط : برشقة .

٤ ط د س : ووصلت .

٥ ب م : مربباً ؛ ط د س : هزيلا .

٦ ط د س : وتبنّى (ط : وتبنا) بتينا ؛ وفي م ب بعدها : وزرع .

٧ ب م : غولة .

٨ ط د س : عفة .

٩ ط د س : بحجارة .

افتراءً عليه ، واغترأ به ، وأخافوه فلاذ بك ، واستجارَ بظلك :

ومن يستجرُ بالكاتبِ ابنِ مُحامِسٍ^١ فقد لاذ من رَيْبِ الزَّمانِ بحارسِ
وزيرُ التجيبيِّ ابنِ منذرٍ الذي تبوأ مجداً فات شأواً المقائسِ [١٣٦ أ]
ملكٌ متى يجلسُ يطلُّ كلَّ قائمٍ وكم من ملكٍ قائمٍ مثل جالسٍ

وله من أخرى : بعثتُ ابني وغلامي^٢ عشيّةَ العيدِ للسَّوقِ ، فأخطأ
أوجهَ النجاحِ ، وعاد مُثخناً [لي] بالجراحِ ، فبتَّ أثقلَبُ بين ألمِ العلةِ ،
ومَضضِ الدَّلةِ ، وبات مَنْ عندي طاوياً إلاّ من الكَرْبِ ، وصادياً
إلاّ من الدَّمْعِ ، نتجاذبُ أطنابَ الكمدِ ، وسرورُ العيدِ يقومُ بالناسِ
ويقعدُ ؛ وسيدنا الرئيسُ — أدام الله تأمينَ سيرِهِ ، وإعزازَ حزيهِ —
أجلُّ من أن يضامَ جاره ، أو يكدرَ جواره ، وحسبي بهذه الشرعةِ سبباً
إلى وُدّه ، فهي شرعتهُ ، وحاشا لشيمه الكريمة من المضارعةِ الكليّةِ ،
والمشاكهةِ الجُمليّةِ^٣ ، ولكنها — لسؤدده المثلُّ الأعلى — كما يقترنُ
عُطارد على خفائه ، بالشمسِ على ضيائها .

١ ط د : محاسن .

٢ وغلامي : سقطت من ط د ، وجاء النص على التنفية في ب م ، ولا ضرورة لذلك لأن الغلام
والابن يشيران إلى واحد .

٣ ط د س : والمشافهة ؛ ب م : الخلية .

وهذه أيضاً قطعة من شعره

[له من قصيدة] :

بِعَيْشِكَ إِلَّا مَا قَصَرْتَ لَنَا الدَّجَى فَقَدْ زِيدَ جَنَحُ اللَّيْلِ فِي طَوِيلِهِ ضَعُفَا
كَأَنَّ النُّجُومَ الزَّهْرَى فِي حَضْرَةِ الدَّجَى أَزَاهِيرُ نَوَّارٍ عَلَى رَوْضَةٍ خَفِيفَا
كَأَنَّ جَنَاحِي نَسَرَّهَا وَهوَ وَاقِعٌ مَهِيضَانِ لَمَّا يَسْتَقِلَّ بِهِ ضَعُفَا
كَأَنَّ أَخَاهُ قَدْ أَتَى مِنْ ثَنِيَّةٍ لَدَيْهِ فَوَلَّى حِينَ لَمْ يَرْضَهُ حَلْفَا
كَأَنَّ السَّهَاءَ مُصْبِحُ مَشْكَاءِ رَاهِبٍ تَشَبَّ لَهُ طَوْرًا وَأَوْنَةً تَطْفَا
كَأَنَّ عِرَاقِي الدَّلُو فِي كَفِّ مَائِحٍ مِيَاهُ جَفَارٍ تَجْذِبُ الْقَرَعَ وَالْعُرْفَا
كَأَنَّ بَنِي نَعَشٍ [طَلَائِعُ نَعِجَةٍ] يَرُودُونَ فِي دَيْعُومَةٍ عَشْبًا جَرَفَا
كَأَنَّ سَهِيلًا خَلْفَهُ مِنْ أَنَاتِهِ سَكَيْتُ عَلَى آثَارِ حَلَبَتَيْهِ قَفَى
كَأَنَّ ظِلَامَ اللَّيْلِ أَسْوَدُ مُطَرِّقٍ مِنْ الزَّنْجِ فِي لَبْسِ الْحَدِيدِ قَدْ التَفَا
كَأَنَّ ثَبَاتَ الْقُطْبِ فَوْقَ مَصَامِيهِ ثَبَاتُ لَبِيبٍ كُلَّمَا شَهِدَ الرِّحْفَا

ولمّا احتذى أبو الربيع في هذه التشبيهات^٢ طريقة محمد بن هانيء الأندلسي
وسلك سبيله فضل^٣ عنها ، وهي قصيدته التي أولها^٤ :

أَلَيْلَتَنَا إِذْ أُرْسِلَتْ وَارِدًا وَحَفَا وَبِتْنَا نَرَى الْجُوزَاءَ فِي قُرْطِهَا شِفَا
وَبَاتَ لَنَا سَاقٌ يَقُومُ عَلَى الدُّجَى بِشَمْعَةٍ صُبْحٍ لَا تَقْطُ وَلَا تَطْفَا
أَغْنُ غَضِيضٌ خَفَّفَ اللَّيْنَ قَدَّهُ وَأَثْقَلَتِ الصَّهْبَاءُ أَجْفَانَهُ الْوُطْفَا [١٣٦ ب]

١ س : نثير جمار ؛ ط س د : والعرفا .

٢ ب م : التشهيدات .

٣ ديوان ابن هانيء : ٢٣٨ وانظر النفع ٤ : ٤١ والمطعم : ٧٥ ونثار الأزهار : ١٢٩ ،

وفي ترتيب أبيات القصيدة في الديوان بعض اختلاف عما هنا .

نزيفٌ مضاه السكرُ إلاَّ ارتجاجةً
يقولون حَقِيفٌ فوقه خيزرانة
وقد فكت الظلماء بعض قيودها
وولتْ نجومٌ للثريا كأنها
ومرَّ على آثارها دبرانها
وأقبلتِ الشعري العبور ملبةً^٢
تخافُ زئيرَ الليثِ قدَّم^٣ نثرةً
كأنَّ سهيلاً في مطالع أفقه
كأن السماكين اللذين تظاهرا
فذا رامحٌ يهُوي إليه سنانهُ
كأن معلّى قطبها فارسٌ له
كأن قُدَّامى النسر والنسر واقعٌ
كأن أخاه حين دوّمَ طائراً
كأن بني نعشٍ ونعشاً مطافلاً
كأنَّ سهاها عاشقٌ بين عودٍ
كأنَّ ظلامَ الليل إذ مال ميلةً
كأن عمودَ الصبحِ^٥ خاقانٌ معشرٍ
كأنَّ لواءَ الشمسِ غرّةُ جعفرٍ

إذا كلَّ عنها الحصرُ حمّله الردفا
أما يعرفون الخيزرانةَ والحقفا
وقد قام جيشُ الصبحِ^١ [للليل] واصطفا
خواتمُ تبدو في بنانٍ يدٍ تخفى
كصاحبِ ردءٍ كُمنَّتْ خيله خلفا
بمرزمها اليعسوبِ تُجنِّبه طيرفا
وبربرٍ في الظلماءِ ينسفها نسفا
مُفارقُ ألفٍ لم يجدْ بعده ألفا
على لبدتيه ضامنان له الحتفا
وذا أعزلٌ قد عضَّ أَمَلَهُ لهما
لواء ان مركززان قد كره^٤ الزحفا
فُصِصْنَ فلم تسمُ الخوافي به ضَعفا
أتى دون نصفِ البدر فاخطف النصفا
بوجرةٍ قد أضللتْ في مهمه خشفا
فماؤنةٌ يبدو وآونةٌ يخفى
صريعُ مُدامٍ بات يشربها صرفا
من الترك نادى بالنجاشي^٦ فاستخفى
رأى القِرْنَ فازدادتْ طلاقته ضعفا

١ الديوان : وقد ولت الظلماء تقفو نجومها ... الفجر ؛ هامش س : جيش الليل للفجر .

٢ الديوان : مكبة ؛ ب م : ملية .

٣ الديوان : يقدم .

٤ ب م : كرها .

٥ الديوان : الفجر .

وقد تقدم قبل لهذه الصفة الجامعة في النجوم علي بن محمد الكوفي ، في قصيدة^١
يقول فيها^٢ :

متى أرتجي يوماً شفاءً من الضنى	إذا كان جانيه عليّ طيب
ولي عائداتٌ ضيفتهنّ فجئنَ في	لباسٍ سوادٍ في الظلام قشيب
نجومٌ أراعي طولَ ليلي بروجها	وهنّ لبعدي السير ذات لغوب
خوافقُ في جُحِ الظلام كأنها	قلوبٌ معنّاةٌ بطولٍ وجيب [١٣٧]
ترى حوتها في الشرق ذات سباحةٍ	وعقرها في الغرب ذات ديب
إذا ما هوى الاكليلُ منها حسبته	تهدلّ غصنٌ في الرياض رطيب ^٣
كأن التي حول المجرة أُوردتْ	لتكرعَ في ماءٍ هناك صبيب
كأنّ رسولَ الصبح يخلط في الدجى	شجاعةً مقدامٍ يجري هيوب
كأنّ أخضرارَ الصبح صرّح ممرّدٌ	وفيه لآلٍ لم تُشَنّ بثقوب
كأن سوادَ الليل في ضوءٍ صُبّحه	سوادُ شبابٍ في بياضٍ مشيب
كأنّ نذيرَ الشمس يحكي ببشره	عليّ بن داودَ أخِي ونسيبي
ولولا اتقائي عتبه قلتُ سيدي	ولكن يراها من أجلّ ذنوب
نسيبُ إخاءٍ وهو غيرُ مناسبٍ	قريبُ صفاءٍ وهو غيرُ قريب
ونسبةُ أجسامِ الأقاربِ وحشةٌ	إذا لم يؤنسها انتسابُ قلوب

١ ط د س : في قصيدته التي .

٢ وردت أبيات منها في نثار الأزهار : ١٢٨ .

٣ ما بعد هذا حتى «رجع» لم يرد في د ط س .

٤ نثار : الجو .

٥ نثار : علي بن هرون .

ولأبي الفضل البغدادي الدارمي^١ من قصيدة في ذلك :

وليل تجلّى الصبحُ في جنباتِهِ سنا بارق في لجّ بحرٍ تعبباً
أحاطت بأفاقِ السماءِ خيامُهُ وطبقَ شرقاً في البلادِ ومغرباً
نفى طولُهُ عني الرقادَ كأنما يغارُ على الحفنين أن يتركبا
تعانقَ كيوانٌ وبهرامٌ وسطه على الحقدِ في صدريهما وترحبا
غريبان خافا الضغنَ في دارٍ غربةٍ ورُبّتَ ناسٍ ضغنُهُ^٢ إذ تغرباً
فبتَ أُجبلُ الطرفِ أرتادُ فجَرَهُ كما ارتاد ذو الشوقِ الحبيبَ المحجبا
كأنّ النجومَ الزهرَ فيه خرائدُ تطالعُ من زهر الكواكب ربربا
تودّع مَنْ تهوى بكسرِ جفونها وتكثرُ من خوفِ الوشاةِ الترقبا
وإلاّ كغزلانِ النصارى تدرّعوا بسودٍ مسوحٍ للصلاةِ ترهباً
كأنّ ثريّاهُ أناملُ فضّةٍ تقلّبُ تُرساً من سنا الليلِ مذهباً

ومن أخرى :

كأنّ كواكبَ الجوزاءِ شَرِبُ تعاطيهم ولائدهم شراباً [١٣٧ ب]
كأنّ الفرقدين ذوا عتابٍ أجالاً طولَ ليلهما العتابا
كأنّ المشتري لما تعلّى^٣ طليعةُ معشرٍ خنَسُوا ارتقابا
كأنّ الأحمرَ المريخَ معدٍ على حنَقٍ يشبُّ بها شهابا
كأنّ سنا المجرةِ فيضُ نهرٍ جرى في الزهرِ وانسابِ انسيابا
كأنّ بقيّةَ القمرِ المولّي كتيبٌ مدنّفٌ يشكو اجتنبابا

١ ترجم له ابن بسام في القسم الرابع من الذخيرة (انظر ط . مصر ٤ / ١ : ٦٧) .

٢ ب م : صنعه .

٣ م : تمالا .

كَأَنّ الْفَجَرَ مَبْتَهَجٌ بِيَشْرَى تَلَأْلَأَ بَعْدَمَا ارْبَدَ اكْتِشَابَا
كَأَنّ اللَّيْلَ مَذْعُورًا^١ بِفَجَرٍ مَرِيبٌ رَاغٍ سَيْفٌ فَهَابَا

وله في مدح المنتصر بالله حسين^٢ بن يحيى المعتلي^٣ :

كَأَنّ السَّمَاءَ اللَّازُورْدِيَّ وَهْنَةً مَلَأَتْ عَلَى جِسْمِ الزَّمَانِ مِنْهُمْ
كَأَنّ الثَّرِيَا فِيهِ كَفٌّ خَرِيدَةٌ أُتِيطَ لَهُ إِذْ أَظْلَمَ اللَّيْلُ مَعَهُمْ
كَأَنِّي أَرَاهَا إِذْ بَدَا دَبْرَانَهَا رَقِيبٌ لَتَعْذِيبِ الْمَتِيمِ يَلْزَمُ
كَأَنّ السَّهْمَ صَبٌّ أَضْرَّ بِهِ الْهُوَى فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ فِيهِ لَحْمٌ وَلَا دَمُ
كَأَنّ بِهِ الْجُوزَاءَ حِينَ تَطْلَعَتْ أَمِيرٌ يَحْيِيهِ الدَّجَى وَيَعْظُمُ
كَأَنّ شَبِيهَ الْفَرْقَدِينَ مَتِيمٌ يَقْبَلُ مَعْشُوقًا جَفَاهُ وَيَلْثَمُ
كَأَنّ سَنَا الْمَرِيخِ فِي غَسَقِ الدَّجَى شَهَابٌ تَذَكِّيهِ الرِّيحُ مُضَرَّمُ
كَأَنّ ظِلَامَ اللَّيْلِ قَلْبٌ وَقَدْ هَوَى بِإِيْمَانِهِ نَسْرٌ مِنَ الشَّرْكِ قَشْعَمُ
كَأَنّ ابْتِسَامَ الصُّبْحِ فِي جَنَابَاتِهِ نَوَاجِذُ زَنْجِيٍّ غَدَا يَتَبَسَّمُ

وهذا يشبه قول ابن المعتز^٤ :

حَتَّى تَبْدَى تَحْتَ لَيْلٍ مَظْلَمٍ كَأَنَّهُ غُرَّةٌ طَرَفٍ أَدْهَمُ
أَوْ ثَغْرَ زَنْجِيٍّ لَدَى التَّبَسُّمِ

ومن أخرى في مدح ابن جهور :

١ ب م : مذعور .

٢ في الجمهرة : ٥١ ان ابن المعتلي اسمه الحسن .

٣ ب م : بن المعتلي .

٤ جاء في ديوان ابن المعتز ٣ : ١١١ .

أعلمتها في شفق لم يعم
والنجم في أديم ليل مظلم
تخاله طرة برد معلم
كأنه غرة طرف أدهم

في ليلة ليلاء أَلْقَتْ كلِّكلاً
طالت عليّ وطال بثي تحتها
والنجمُ في كبدِ السماءِ كأنه^١
وغدا سهيلٌ طاعناً بسماكه
وبناتُ نعشٍ تستديرُ كأنها
والجديُّ قد أسرتْ يداه قُطْبَهُ
والنسرُ قد ضمَّ الجناحَ كأنه
وكان مطلعها رياضُ جادَه
والبدرُ يحمي نوره وقد انطوى
والصبحُ منهزمٌ وقد رفع اللوا
حتى تلقى الفجرَ في حلل الضحى
فكانه لما استطال على الدجى
ولأبي عامر بن شهيد^٥ :

وارتكضنا وقد مضى الليلُ يسعى
وكان النجومَ عسكرُ خيلٍ
وكان الصباحَ قانصُ طيرٍ
[...]^٧ :

- ١ ب م : كليه .
٢ ب : وتعله .
٣ ب م : ظللن الكنسا .
٥ ديوان ابن شهيد : ٨٥ .
٦ الديوان : دخلوا .
٧ بياض في ب م .

٤ ب م : ليحبسا ؛ وخبس : أخذ الشيء غنيمة .

كأنتما الليلُ إذ تولّى لغرةِ الفجرِ إذ رآها
زنجيةٌ أسكّرتْ فأمنستْ تجرُّ من خلفها رداها

رجع :

ولما دخل هشام بن محمد الناصري المتلقب بالمعتد^١ قرطبة ، واستوثق له الأمر بها ، سفر عنه رسولا^٢ إلى مقاتل صاحب طرطوشة ، وزيره فائز بن المغيرة ، فاجتمع بها مع أبي الربيع القضاعي هذا فقال له [فائز] : لو لحقت بقرطبة إلى أمير المؤمنين المعتد بالله كنت تحصل بها على الوزارة معنا ، فأنشده أبو الربيع^٣ :

هَبْكَ كما تدّعي وزيراً وزيرُ مَنْ أنت يا وزيرُ
والله ما للأمير معنى فكيف مَنْ وزيرَ الأمير

وانما نظر أبو الربيع في معنى هذين البيتين إلى قول^٣ عمر بن إبراهيم في خبر أورده الصولي قال : لما رُدَّ^٤ المعتد إلى سرّ من رأى من طريقه إلى ابن طولون على يدي اسحاق بن كنداج وأحسن التدبير في ذلك ، وسمي ذا الوزارتين^٥ قال [١٣٨ ب] له عمر المذكور :

قل للمسمّى الوزيرَ ظلماً وزيرُ مَنْ أنت يا وزيرُ
أنت أسرتَ الإمام قهراً وكيف يستوزرُ الأسير

١ د ط : بالمعتد .

٢ انظر المغرب ٢ : ٤٢٤ والبيان المغرب ٣ : ١٤٧ .

٣ د ط س : وإنما بدل أبو الربيع في هذين البيتين قول . . . الخ .

٤ د ط س : ورد .

٥ تتفق المصادر التاريخية على أن صاعد بن مخلد الكاتب هو الذي لقب ذا الوزارتين في تلك

الحادثة وإن ابن كنداج لقب ذا السنين (انظر السموطي : ٣٩٤) .

جملة من أخبار هشام بن محمد الناصري أمير قرطبة
الملقب من الألقاب السلطانية بالمعتد ، نُقِلَتْ من أبي مروان ابن حيان^١

قال أبو مروان [ابن حيان]: وهشام بن محمد هو أخو المرتضى ، أخذت له البيعة بقرطبة^٢ سنة عشرين وأربعمائة ، وهو يومئذ مقيم بحصن البونت قبيل أميره محمد بن قاسم الفهري ، أبلأته إليه المخافة عند^٣ مهلك أخيه المرتضى ، فقلد هذا الأمر في سنّ الشيوخة ، ولا نعلم أميراً من أهل بيته ولي في مثل سنّه ، وقد كان معروفاً بالشطارة في شبابه ، فأقنع مع شبيهه ، فرجى فلاحه ، لصدق توبته ، وخلوص طاعته ، وتهديّه لما فرط من بطالته ، فجاء سكيناً لحابته ، متخلفاً عن جميع ما قدّر فيه وظنّ عنده ، وكانت بيعته في سهولة أسرع الناس إليها ، افتتحت باجماع وختمت بفرقة ، وعقدت برضى وحلت بكراهية^٤ ، وكان الوزراء قد نظروا في هيئة أمره^٥ ، وكيفية وروده ، فلم يفجأهم إلاّ وقد أشرف على البلد ، فانقلبت قرطبة أعلاها وأسفلها طرباً إليه وسروراً به ، فركب جيشها لاستقباله ، فدخل في زيّ تفتححه العين وهناً وقلة ، عديم رواء وبهجة ، وعدد وعدة ، فوق فرس دون مراكب الملوك ، بحلية مختصرة ، سادلاً ممل غفارة ،

١ سقط هذا العنوان من ط د ، وراجع في أخبار هشام المعتد كتاب المعجب : ١٠٩ والبيان المغرب ٣ : ١٤٥ (وفيه نقل عن ابن حيان) وأعمال الاعلام : ١٣٨ (وفيه تلخيص لما أورده ابن حيان) .

٢ ط د س : بويغ بقرطبة .

٣ ط د س : بلأ إليه عند .

٤ ط د : برضى . . . بكره ؛ البيان : بكره .

٥ ط د : نظروا في أمره .

ما على تحتها كسوة رثة ، قُدَّامَهُ سَبْعُ جَنَائِبَ من خيلِ الموالي [العامريين]
 سيروها معه للزينةِ دونَ عِلْمٍ ولا مِطْرَدٍ^١ ، يَسِيرُ هَوْنًا والناس يهشون
 له^٢ ، ويضجّون بالدعاءِ في وجهه ، لا يعلمون ما سيق^٣ لهم من المكروه
 به ، فدخل القصرَ ، وجاء معه في جملةِ الموالي العامريين حائكٌ من أبناء
 الزعانيفِ بقرطبة يسمّى حكَمَ بن سعيد ، الحائك المشهور ، حمل ابنه هذا
 السلاحَ ، وأطال السبالَ^٤ ، وخرَجَتْهُ الفتنةُ فصحبَ أمراءها ، وعَرَفَ
 هذا الخليفةَ عند ظهورِهِ بالثغر بصحبةِ جمعتهما بقرطبة في حال الصبا ،
 فسما إلى الغلبةِ ، واشتمل عمّا قليلٍ على تدبيرِ سلطانه فنقضَهُ سريعاً .

قال أبو مروان : ثم بات^٥ الناسُ ليلَتَهُمْ^٦ ، وغدا الملائُ عليه ، ووصلوا
 على مراتبهم إليه ، وهو بمجلسِ الخلافة ، فظهر منه لِيَوْمِهِ عِي في القول ،
 احتاج إلى عبارة بعض الأكابر عنه^٦ ، وأنشده مَن حَضَرَ من أدباءِ الوقتِ ،
 فلم يهزُهُ شيءٌ من ذلك لنبوّ طبعه . وحضره في ذلك اليوم [١٣٩ أ]
 محمدُ بن المظفر بن أبي عامر أميرُ بلنسية [فرفع مَرْتَبَتَهُ وسمّاه الحاجب
 وأثنى على سلفه ، يخادعُهُ وَقُوهُ يُتَحَلَّبُ لأكله ، ثم قرئتُ كتبٌ وردتُ
 معه من شرق الأندلس منها كتابُ عبد العزيز بن أبي عامر أميرِ بلنسية] وكتابُ

١ ط د س : وكيفية ورودهِ فبادر هو ووفد على البلد ، فسر الناس به وركب جيش قرطبة
 لاستقباله ... وقلة رواء وبهجة ... سادلا لأسمال غفارة إلى ما تحتها من كسوة ...
 سيرها (س : سيرت) ... مطرد .

٢ البيان : يهزونه .

٣ ب م : سبق .

٤ ط د : اللباس .

٥ ط د س : وبات ؛ والكلام متصل دون عبارة : « قال أبو مروان » .

٦ ب م : احتاج بعض الأكابر إلى عبارة عنه .

سليمان بن هود صاحب لاردة ، كلّمها في إطرأ الخليفة [المعتد] هشام المهندي للأمة رحمة ، ثم توالّت بعدُ كتبُ الرؤساء مسوقةً هذا المساق من غرور أهل قرطبة [فأصغوا من إفكهم إلى ما زادهم خيالاً ، وأوبقهم ورطاً] ونكالا ، وكانت تلك الكتبُ المزورةُ حظهم من هؤلاء الساخرين بهم ، أدّوا إليهم هذا المغرور بامارتهم عديماً لآلاتها ، ثم تركوه في أيديهم وصرموا حبْلَهُ ، ولم يتعهدوه فيما بعدُ بفارس ولا درهم .

وحكى لي بعضُ أصحابِ هذا الخليفة هشام أنه اجتاز^١ على جزيرة شقّر من عملِ الموالي العامرين بشاطبة^٢ وطمع^٣ أن يُدْخِلوه فلم يتفق له عندهم شيء ، وجعل يجوب الدوّ فالدوّ إلى قرطبة ، وأوّل ما أظهر من النوادر أن جلسَ بنفسه للمظالم ، وزاد في قُرَاءِ الجامع حين بلغه أن ما به غير مكّي^٤ وصاحبه ، وزاد في رزق مشيخة الشورى من مال العيّن ، ففرض لكل واحد خمسة عشر ديناراً مشاهرةً ، فقبلوا ذلك على خُبث أصله ، ونسأهوا في مأكّل لم يستطبه فقيه قبلهم ، على اختلاف السلف في قبول جوائز الأمراء الذين سبّكوا خبائث^٥ الضرائب والمكوس القبيحة ، فاستدرّ القوم ميريّةً هذه الطعنة الخبيثة ، وكنت أحسبُ فقهاء الشورى بعده^٦ أنهم يكتمون شأن ذلك الراتب^٨ ، حتى سمعتُ أبرّهم يلح في طلبه

١ ط د س : وكان اجتاز .

٢ ب م : وطعموا .

٣ س ط د : معهم .

٤ هو مكّي بن أبي طالب (غاية النهاية ٢ : ٣٠٩) وصاحبه هو أحمد بن مهدي .

٥ ط د : أخابث .

٦ ط د س : بمعهده .

٧ ط د س : المرتب .

وينتظرُ بلوغَ وقته^١ ، فانكشف لي شأنه^٢ ، والقومُ أعلم بما يأتونه ، وهو^٣ القدوة ، لا جعلهم الله لنا فتنه^٤ . وقد حدثتُ أن هشاماً أطلعهم من قمحٍ ولد القاضي ابن ذكوان أيامَ فرّ عنه ، وأخذ ماله ، فقبلوه قبولَ مالٍ الفبيء ؛ وهذه الأخبارُ تُكتبُ للغرائب^٥ ، والفتنةُ تنتجُ العجب ، والحلةُ تدعو إلى السلة^٥ .

قال : وقد هشام وزيره^٦ حكمَ بن القزاز جملةً [تلك] الأعمال ، وأطلقَ يده^٧ في المال ، وناطَ به الرجال ، فجرى مجرى أعظمِ الوزراء المستمرين على فتنه^٨ الملوك في سالفِ الأزمنة ، فحجرَ حجرَهم^٩ على هذا الخليفة هشام في سنّ الشيخوخه بطبقٍ ومائدة ، كانا طباق همتِه الكاسدة ، عكف عليهما راضياً بأدنى المعيشة ، وقعد في حجرِه^{١٠} ينظرُ بعينه ويسمعُ بأذنه ، يُدني من أدنائه ، ويبعدُ^{١١} من أقصاه ، وخلافةً ومعظم^{١٢} الأمور يدبّرها بجهله وخُرْفِه واعتسافه وتهوُّره ، فلم يلبث أن انتقضتْ به ، فأردته^{١٣} وصاحبه^{١٤} سريعاً . واحتاج حكمٌ إلى رجالٍ يستعينُ بهم في تدبيره ، فلم يهتدِ منهم

١ ط د س : حتى سمعت بعضهم يلح فيه بالطلب .

٢ ط د س : وهم .

٣ من ط د : فتنه .

٤ ط د س : لتستغرب .

٥ ط د : السلب ؛ س : الغلة ؛ ب : الصلة ؛ والمعنى أن الخصاصة تؤدي بصاحبها إلى المارقة ، وانظر اللسان (ملل) .

٦ البيان : المستمرين على فتية ؛ ولعل صواب العبارة : المستبددين على فتية . . .

٧ ط د والبيان : فحجرهم ؛ ب م : فجمد جحدهم .

٨ ب م : حجرة ؛ البيان : قصر .

٩ س : ويقصي .

١٠ ط د س والبيان : ومعظم .

إلا [إلى] نَغِلٍ دَغِيلٍ ، وماجنٍ سفيهٍ أو سوقيّ رذل ، سقطت به عليهم المشاكلة ، واتخذهم عَيْبَةً وبطانة ، [١٣٩ ب] فمدّوا له في الغواية ، وَجَرّوا في هواه طَلَقَ الجموح ، ما منهم حازمٌ ولا نصيح ، فهوى صريعاً ، وأصبح مثلاً وموعظة ، ووقع هشام على [خبر] ودائع ولد المظفر بن أبي عامر^١ ، وَبَعَثَ له عنها وزيره^٢ حكم ، فوصل إليه منها بعض أسباب من ذخائر وثياب ، وَجَرّت بأسبابها على الناس^٣ خطوب ، وجعلها على أهل اليسار وأعيان التجار بقيمة سَعَرَتْ مع حِمْلٍ من رصاص وحديد كان جُمِيعَ من خرابات^٤ القصور السلطانية^٥ ، عَجَّلَ عليهم في أثمانها ، فاستجحف^٦ الناس فيها واستعان عليهم بمن كان من الفقهاء رتب له فيها ، ولم يلبث أن ألهبها^٧ كلها شواظ النفقة ، وحال هشام في كلّ ذلك يزداد ضعفاً حتى^٨ انكشف ، واضطّر إلى طلب الأمتناء والأوصياء عن الأوقاف ومال الغيبة^٩ ، وشبه ذلك ، قَبُعُثِرَ عليها ، وانفتح بذلك على الأمة مكاره^{١٠} شديدة^{١١} ، وكان القيسم له بها مارد^{١٢} من المتفقهين يعرف بابن الجيّار ، ممن خدم^{١٣} الدولة الحمودية في

١ ط د س : ولدان أبي عامر ابن المظفر ؛ س : ولد ابن أبي عامر بن المظفر .

٢ ط د س : وجرت على الناس بها .

٣ ط د س : خزانات .

٤ ط د س : السلطانيات .

٥ ط د س : فأجحف .

٦ ط د س : التهبها .

٧ ط د س : إلى أن .

٨ ب م : أو يصيب (اقرأ : نصيب) غائب .

٩ ط د س : مكاره جمّة هنالك .

١٠ ب م : خرب .

مثل هذه الأخابث^١ ، فنكَبَ في ذلك ، فنعشه^٢ هشام^٣ من نكبتة ،
وَبَعَثَهُ على خِدْمَتِهِ ، فعمَّ أذاه ، وكثُرَ صرعاه ، وخُصَّ بوزيرِ الملك
أبي العاصي الخائف^٤ ، لمشاكلته إياه ، ففرى القريَّ ابتغاءَ رضاه ، فاعتَرَتْ^٥
الأمّة شِدَّةٌ^٦ مرت^٧ لهم أيامَ عليّ بن حمود جدّاعة ، فساءت أحوالهم^٨
لهذه السياسة المذمومة ، والوزارة المسخوطة ، وبلغت هشاماً فانزعج^٩
منها ، وأوعَدَ من أفساها ، وأمر بإنشاء كتابٍ شديدٍ عنه إلى الكافة
بما استكره من ذلك ، وأغلظَ [فيه] وعيدهم بما دلَّ على قِصَرِ المدة في ما أتاه ،
كتبه عنه أبو عامر بن شهيد وزيره ، وصاحبُ خالصتِهِ أبي العاصي الخائف ،
مطوّلاً^{١٠} مستكرهَ اللفظ ، عليلَ المعنى ، شديدَ القسوة ، خارجاً عن غرض
الكتاب ، لم يَصْحَبْهُ^{١١} فيه توفيقٌ ، فقام في جمادى الأخيرة سنة إحدى
وعشرين أبو عامر على كرسيّ ، وقرأه على الكافة والأعيان ، ثم قرأه
أيضاً بالمسجد الجامع على العامة فصكَّ^{١٢} الأسماعَ بأصلبَ من الجندلِ ،
وغشيَ وجوههم بأحرَّ من الرجل ، وانصرفوا يتدارسون نواذره .

قال أبو مروان : وكان أبو عامر بن شهيد قد اعتلق يومئذ بدولة هشام
المعتد^{١٣} ، واختصَّ بوزيره حكم النذل ، المرتقي ذروة الوزارة من الحياكة ،

١ ط د س : في مثل ذلك .

٢ ب م : فنشله .

٣ ط د س : فاعتورت .

٤ ط د س : فمرت .

٥ ب م : أحوالهم .

٦ ب م : فانزع .

٧ ط د س : لم يصحب أبا عامر .

٨ ط د : قد اعتلق به .

وانخرط في سِلْكٍ من [كان] يؤيد المعتدَّ على تلك الهنات الموبقات ،
ومن مآثور نظمته الشاهدِ بذلك ، قصيدته فيه ، وكانت من مكتوماته ،
أنشدها هذا الخليفة يومَ مهرجانِ العامِ المؤرَّخ ، لاثِرَ قتلِ عبد الرحمن^١ بن
محمد بن الحنّاط الوزير ، يحسِّنُ له سَطْوَتَهُ ، ويُبْغِريه بمن بقيَ من
أصحابه ، وهي قصيدةٌ ذميمة المعاني استهدفَ بها إلى سَفْكِ دماءِ المسلمين ،
[١٤٠ أ] وجسَّرَ هشاماً على الفتكِ بالعالمين ، يقول^٢ فيها^٣ :

أحللتني بمحلةِ الجوزاءِ ورويتُ عندك من دمِ الأعداءِ
وطعمتُ لحمَ المارقين فأخصّبتُ حالي وبلغني الزمانُ شفائي
ورأيتني كالصَّقرِ فوقَ معاشرٍ تحتي كأنهمُ بناتُ الماءِ
ولمحتُ لإخواني لديك كأنهمُ مما رفعتهمُ نجومُ السماءِ

ومنها :

لا يرحمُ الرحمنُ مَصْرَعَ مارقٍ عيشت بطاعته يدُ الأهواءِ
الحقُّ به لإخوانه فحياتهمُ نكدٌ وقد أودى أخو السفهاءِ
ساعدَ بذلكَ ودَعُ مقالَ معاشرٍ بخلوا فنالوا خُطَّةَ البخلاءِ
من لم يُفدك سوى الرماحِ فخلته للشمس يرقبها مع الحرياءِ
ودعِ القلائسَ في السحاب يشققها^٤ ومفاخرَ الآباءِ للأبناءِ

١ ط د س : قصيدة له من المكتومات قالها اثر قتله اميد الرحمن .

٢ ط د س : دماء جماعة قال . . . الخ .

٣ ديوان ابن شهيد : ٨١ .

٤ س د : الريح ؛ وفي متن الديوان : الزمان .

٥ س : الجوزاء .

٦ س : المصاب تشققها .

إنَّ الرجالَ إذا تأخَّرَ نفعهم في كلِّ معنى شُبِّهوا بنساء
أنا صلَّتهمُ عند الحِصامِ فخلَّتهمُ للسانِ هذي الحيَّةِ الرقشاءِ
في أبيات غير هذه ، ما أحسنَ فيها ولا أغرب ، بل أعربَ عن سُقْمِ
يقينه ورقةِ دينه .

قلت أنا صاحب الكتاب : أما الأبياتُ في أنفسها فدرُّ مكنون ، وسحرٌ
مبين ، وأبو عامرٍ كان أعجبَ وأنجبَ من أن يقالَ له ما أحسن وما
أغرب ، ولو قال : حضٌّ^١ على أهلِ بلده ، وأبانَ عن فسادِ معتقده ،
بعد أن يبرأ إليه من البيان ، ويسلِّمَ له غايةَ الإحسان ، لكان أوَّلُ بابنِ حيَّان .

ذكر الخبر عن مقتل الوزير الحائك المذكور وخلع هشام المعتد هنالك ،
وما انتظم من خبر مستطوف في سلك ذلك

قال أبو مروان^٢ [ابن حيَّان] : وضعف أمرُ هشامٍ ، لسوء تدبير وزيره حكمٍ
القزاز ، وبلغ من الظلم والجور أن كَسَدَتْ أسواقُ قرطبة ولم تُسَلِّكْ
سبلها ، وأسرَّ الناسُ الوثوبَ على وزيره هذا ، فسقط إليه ذرُّ^٣ من ذلك ،
فانزعجَ وخافَ على نفسه ، ورحل إلى قصرِ السلطانِ بأهله ورعيه^٤ ، وسكنه
مدةً مختلطاً به ، وأخذ في مداراةِ الناسِ ، وكفَّ عن الكلف ، وكتب إلى
الجماعة كتاباً طويلاً وضَّحَ فيه العذرَ في شأن تلك الكُلُفِ ، وحَمَلَ هشاماً

١ ط د : حرض .

٢ ورد هذا الفصل في ط د س كثير الحذف والايجاز ، فكأنه تلخيص لما هو عنا ، انظر البيان

المغرب ٣ : ١٤٨ ، فالنقل فيه أكثر مطابقة للنسخ ط د س .

٣ ط د س : ذرو خبر .

٤ ب م : ورعيه ، وسقطت من ط د س .

على [١٤٠ ب] الازورار عن بعض مشيخة الوزراء الأقدام ، وقصد منهم كبيرهم أبا الحزم بن جهنور ، وطلب تعثيرة فلم يستطعه ، وأمله يطمح لازالته ^١ ، ليتمكن بالناس بعده ، والله يستدرجه ، إلى أن أمكن الله من هذا الجائر حكم ^٢ ، وذلك أنه لما خرق في تدبير سلطانه ، واعتسف الأمور ، وأساء السيرة والتدبير ، واستفسد إلى الكافة ، وكان من مغرس دني ، ومهنة مردولة ، فأثره الخليفة ، وسما به إلى المحل الذي لا يستحقه ، وتبوا حجبته ، ورضي منه في حال الشيخوخة والحنكة ، بأهون ما رضىه أحداث الأمراء ، ففوض إليه ، وعول عليه ، ثم قعد ينظر بعينه ، وينطق بلسانه ، وألزم جللة الأمراء طاعة الفسك ^٣ ، وهو رجل من دخلاء الجند ما فيه شيء من خصال الرجال إلا ثقافة الركوب الساذج ^٤ ، دون غناء ولا شجاعة ، منتقلا من الحياكة إلى الذروة العليا من تقلد الوزارة ، فبدر لأول وقته بعداوة الأحرار ، وتنقص الفضلاء ، والميل على أولي البيوتات بالأذى والمطالبات ^٥ ، وصير صنائعه في أضدادهم من التوايع والحماكة ، فكانوا وزراءه وأنصاره ، فنالوا معه المنازل النبيلة ، وأكلوا الطعوم الرقيقة ^٦ ، أكثرهم صبية أغمار عيآرون من نمطه ، ممن دينه

١ ط د س : إلى ازالته .

٢ ط د س : إلى أن مكن منه .

٣ ط د س : جلة الوزراء طاعته .

٤ ب م : لباقة .

٥ ط د س : ركوب ساذج .

٦ ط د س والبيان : والمطالب .

٧ س : الرقيقة .

حثُّ الكاس ، وتنضيدُ الآس ، وطبخُ الترفاس^١ ، والتفكّة بأعراض الناس . إن ضيغَ مظلومٍ سخروا به^٢ وحاكوه^٣ ، فالناسُ منهم ومِن صاحبهم في بلاءٍ عظيم ، وتجهد^٤ مقعدٍ مقيم . وعندما سوّلتُ لهذا الحائك - حكّم - نفسه الحبيثةُ الاستيلاءَ على البلد ، واجتثأت^٥ مشيخةُ الوزراء ، بما زينَ له جاري القدر ، وسوءُ النظر ، ممّقتَ جُنْدَهُ البلديين لعلمه أنهم صنائعُ الوزراء قبله ، ورأى أنهم لا يصلحون له ، فأخّر أعطياتهم فاضطربوا ، فلما لاح له حركة الهمس والقول فيه ، بنى القصبة المطلّة^٦ على ساحة المدينة ، استظهاراً على ما خافه من تحركِ العامة ، فهُتِكَ بها عندهم سِتْرُهُ ، ودبّروا القيامَ عليه ، وهو على ذلك مُصِيرٌ في غيّه ، عمٍ في لججته ، آمنٌ مَكْرٌ خالقه ، عَهِرُ^٧ الخِلَواتِ ، صريعُ الشهوات^٨ ، لهجٌ بالفكاهات ، كلفٌ بالبطالات ، كثيرُ الكذبِ والأيمان ، شَنِيعُ الفجورِ والعدوان ، وصاحبُهُ أميرُ المؤمنين القائمُ بأمرِ الأمة عالمٌ بذلك راضٍ من وزيره هذا الحائك بإقامةِ وظائفه ليومِهِ وشهره ، من نشيله وحنّيده ، وشوائهِ وشرابه ونبيذه ، وملأ قلبَهُ وعينَهُ^٩ بالمطعم

١ الترفاس (وعند ابن البيطار : الترفاش) : الكماء ، بالبربرية ، وفي م ب : الرفاس .

٢ ط د س والبيان : منه .

٣ ط د : وتجهل ؛ البيان : وجهد ؛ س : ويجهد .

٤ ب م : واجتتاب .

٥ ط د س : بما زجر له (س : زجرته) زاجر القدر .

٦ ط د : قصبة منيفة ؛ س والبيان : قصبة منيفة .

٧ ط د س : مقيم .

٨ ط د س : النشوات .

٩ ط د س : وعينه .

الذي كان أثر الأشياء عنده ، فأكثر له من الأطعمة والشهوات ، وأعد له القينات والملهيات والمغنيات ، فوكّسه^١ في الصبا بعد المشيب ، وعرف شغفه بالبطالة فقصدها وأصاب الغرة [١٤١ أ] فنال عنده نهاية الخطوة ، إلى أن خلط أهله بأهله ، وأباحه سكنى داره ، قد وثق بحكم منه بذلك ، ففرّق عنه الأصحاب ، وسدّ^٢ دونه الحجاب ، وخلاّه وراء الستّر بين بسم وزير ، يطير بأجنحة السرور ، وقد شغل بكأس يمناه ، وبحر يسراه ، وأعرض عما أحاط به ، حتى أتاها من أمر الله ما أتاها ، وقصده في وزيره هذا ما أشجاه ؛ وأرسل [الله] على وزيره ودولته طائفة من فتاك الجند عرّقت مراد الوزراء ووجوه الجند^٣ في إزالة هذا الخائن الحائك ، فدبروا قتله تدبيراً محكماً ، خفي عن حكم مع كثرة عيونه ، وكان الناظم لهذه الجماعة ابن عم الخليفة هشام^٤ ، [واسمه] أميّة بن عبد العزيز العراقي ، من أبناء الناصر ، فتي شديد التهور والجهالة ، فانتظم في سلك هذه الجماعة ، وسوّت له نفسه نيل الخلافة ، وأطمعه في ذلك ، سخريّة به ، بعض من نظم التدبير من المشيخة ، علماً بأنه لا ينفذ في الوثوب على هشام إلاّ من ينازعه لبوسه^٥ ، ويساهمه قرباه ، فتهايا أمر القوم في ستر وخفيّة ، فرصدوا حكم الوزير في طريقه من القصر ، وقاموا عليه فقتلوه وصرعوه ركن الجامع الشرقي في شديد الوحل والقدر ، فكان من تمام محنته ، وطاقوا بالرأس^٥ وقد محا الطين رسمه ، فغسلوه

١ س والبيان : فركه .

٢ ط د : وضرب .

٣ ط د س والبيان : الناس .

٤ ط د س : ابن عم لهشام .

٥ ط د س : برأسه .

ب قصرية سمّاك بسوق الحوت ، ونصبوه تحت العلية التي [كان] أعدّها لدفاعه^١ ، فصار عبرة^٢ للمتأملين ، وأخذ القوم سلبه^٣ ، وغادروه عرياناً مكبواً لوجهه ، مضرجاً بدمائه ، وجروا جيفته إلى هوهاة القناة ، فألقوها^٤ وسطّ الحماة والأقدار ، ووافى قوم^٥ من أعدائه فقلّوه بأسيا فيهم . ووقعت الهبيعة في الناس ، وانقلب البلد أعلاه أسفله^٦ ، واجتمع العوامّ وطلاب الفتنة إلى جُنْدِ البلد للوقت ، ووافى إليهم أمية بن عبد العزيز العراقي ، قطب القضية ، فالتف الجناة به ، وتقدّم بهم إلى القصر لحينه ، وقد وقع الخبر على المخلوع هشام وهو آخذ في بطالته [مع نسائه] ، فبادروا الصعود إلى العلية الجديدة فوق سور القصر ، المدة لمثل هذه الحادثة^٥ ، فصار الاعتصام بها سبب حياته ، إذ لم يطق القوم التعلّق بها ، وقد قصدوا نفسه ، وأشرف للحين على من اجتمع تحتها داخل المدينة من الجند والعامّة ، وكلمهم^٦ بحمّل ، وولّى وزيره الملامة ، فاستقبله قوم^٧ من الجناة من أسفل القصر برأس وزيره حكم ، قد هُتّم شجاعاً ، ينادونه : هذا رأس وزيرك الذي أبلت به الأُمّة ، ويغلظون له القول وهو يستلطفهم ، وهم يسبّونه^٨ ، فتوصل الناس إلى حريمه فأباحوه ، ووضعوا أيديهم في نهب ما أصابوه من نسيبه ، وقد كان اجتمع عنده [١٤١ ب] من الأسلاب والغصوب التي استلبها حكم الحائك متاعاً فاخراً ورياشاً حسن ، من سائر من ظهر عليه من مال المنكوبين ، وانطلقت الأيدي على آلات القصر من السلاح وغيره ، ووجد

- ١ ب م : التي أعدت لرفعها .
٢ ط د س والبيان : عظة .
٣ ب م : فألقوها .
٤ ط د س : ووافى مع .
٥ زاد في النسخ هنا : مع نسائه .
٦ ب م : الخابط .

فيه أنواعٌ قيودٍ حديثة كان حكم أحكمها لمن يقيّد بها من الأعيان ، والجاهلُ أُمّية العراقي في كلّ ذلك يجرّصُ العامة على النهب ، والارتقاء إلى البائس هشام وطلب مهجته ، فلا يجدون مُطْلَعاً إليه لمنعة مكانه ، وهشامُ مُطْلِعُ رأسه إلى مَنْ تحته بداخل المدينة ينشدّهم ببيعته فلا يجيبه أحدٌ إلاّ بما يسوءه ، إلى أن تبينَ له خذلانهم إِيّاه ، فأنجحهم في وكّره إلى أن نزلَ بأمان ، ولم يبقَ معه إلاّ أربعة غلمان له ، أحدهم فحلّ والثلاثة صَقَلَب ، يرقون من دنا منهم ، ويستعينون الناسَ لاستنقاذهم . وكان منظراً عجيباً في سرعة استحالة حال الدنيا في نصف نهار من العزّ إلى الذلّة . واجتمع الوزراءُ إلى زعيمهم أبي الحزم بن جهور عظيم القرية ، فهتف على الناس بكف الأيدي ^١ ، وسمع هشام الهتفَ باسم الوزراء ، وقد ألغى ^٢ اسمه ، فأيسرَ عند ذلك من نفسه ، وكعّ فلم يُطْلِعْ بعدُ وجهه ، ولا تكلم بلفظة ، ودفع الوزراءُ بباب القصر النهايةَ والعامة ، فانتهوا ، وأُمّية العراقي في كلّ ذلك مقيم بداخل القصر في جمهور النهاية ، قد تبوأ مجلسَ البائسِ هشام ، واستوى على فراشه ، ورتّبَ وجوهَ النهاية مراتبهم في الخفوفِ به ، والنفاذِ في أمور الإمارة ، لا يشكّ في حصولها له ، محرّضاً على هشام ، مجتهداً في إتلافه . ثم اجتمع الوزراء ^٣ وانفقوا على خلع هشام ^٤ ، وهتفوا بإبطال الخلافة جملةً لعدم الشاكلة ، ونفوا عن المروانية والناصرية السداد ، ورجعت قرطبة إلى تدبير الوزراء ، وترك الدعاء

١ ط د س : بكف الأذى .

٢ ب م والبيان : ألقي .

٣ ط د س : المأ .

٤ ط د س : على خلعهم .

لأحد . ونزل هشام^١ إلى ساباط الجامع المفضي إلى المقصورة في من تألف إليه من ولده ونسائه ، فحصل في الساباط طارحاً نفسه على الجماعة ، مستغيثاً بهم ، وينشد^٢هم الله في مهجته ، فأعلم بكره الناس له ، فقال : ليت أني قرب البحر فترمون بي في بلته ، فتكون أخفى لسماتي ، وأروح لنفسي ، فافعلوا بي ما شئتم ، واحفظوني في ولدي وأهلي ، وبدا لهم من ضعف نفسه وغثائه قوله وإلقائه بيده ما كان مكتوماً عن الناس . وبقي بقية يومه وليلته من الساباط أسيراً^٣ ذليلاً خائفاً ، ونسوته حوله مولولات^٤ شعثات حاسرات لا يملك لنفسه ولا لهن صرفاً ولا نصراً ، شاخص البصر إلى حيث تهجم عليه المنية . ولقد حدث^٥ بعض سدة^٦ الجامع أن من أول ما سأل الشيوخ الداخلين إليه إحضار كيسة من خبز يسد بها [١٤٢ أ] جوع بنيته^٧ له ، لا ولد سواها ، لطيفة المكان من نفسه ، قد احتضنها ساتراً لها بكمة من قر ليلته ، يقول إنها لصباها تشكو من الجوع ذاهلة عما أحاط بها فتزید في همته . وسأل إلى ذلك سراجاً يأنس [هو ونساؤه] لضوئه ، فأبكى من كلمه اعتباراً بعادية الدهر ، وأحضر ما طلبه . وبات الوزراء والناس بالجامع ليلتهم غب الحادثة على هشام للفراغ من شأنه ، فأجمعوا على تعجيل إخراجه إلى صخرة محمود بن الشرف^٨ ، والثقة بحفظه ، فاقترضوا على ذلك ، دون

١ ط د س : فيكون أشقى لشاني ؛ البيان : فيكون أخف لشاني .

٢ ط د س : وبقي بمكانه من الساباط بقية . . . أسيراً .

٣ ط د س والبيان : وحدث .

٤ ط د س : صبية ؛ البيان : طفيلة ؛ اعمال الاعلام : طفلة صغيرة .

٥ ط د : حصن محمود بن الشرب ؛ س : حصن ابن الشرب .

أن يأخذوا خَطَّهُ بالخلع وَيُشْهِدُوا^١ عليه بعجزه عن تدبير الخلافة وتخليه الأمة مما له في أعناقهم من البيعة على السبيل المعهودة ، وأنساهم الله ذلك إما تهاوناً أو نسياناً ، فنفذ إلى حصن ابن الشرف وحبس فيه ، وأميه بن العراقي في كل ذلك لم يبرح من القصر ، قد سَوَّلَتْ له نفسهُ الخلافة ، واستدعى وجوهَ الجند للبيعة ، وفرغ له الوزراءُ بعدَ نفوذ هشام ، فوبَّخوا الجند على الدخول إلى أمية^٢ وحذَّروهم فتنَّتهُ ، وألزموا وجوههم إزعاجهُ عن القصر والقبضَ عليه ، فأطلق^٣ لسانهُ على الوزراء بالسبِّ ، فأخرجَ عن البلد .

[فصل في ذكر الأديب أبي عامر البماري]

نسب إلى بادية^٤ بمار ؛ شيخ ذلك الثغر أدباً وظرفاً - كان - في ذلك الزمان ، وكانت له رحلةٌ إلى المشرق ، وسكنَ مصرَ ، وقرأ على أبي جعفر الديباجي كتابهُ في العروض والقوافي وسائر كتبه ، ولقي شيخَ القيروان في العربية ، ابنَ القزاز ، وأبا إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الحصري . وأخبر عن نفسه أنه كان يؤدِّب بمصر بالقرآن ، وبين يديه تلميذٌ وسيم ، فمرَّ به أبو جعفر البجاني الأندلسي ، فألفاه يتناوم ، والتلميذُ قد قام عنه ، فأخذ البجاني سحابةً وكتب له فيها هذه الأبيات ، وخلَّاهما بين يديه^٥ :

-
- ١ ط د س : ولا شهد .
 ٢ ط د : فوبَّخوا على الاجتماع إليه .
 ٣ ط د س : فانطلق .
 ٤ ط د س : أبي عامر .
 ٥ انظر نفع الطيب ٢ : ١١٠ وفيه : التياري ؛ والبماري كتبت بفتحة هـ الباء في ب ، وبضمة في س .
 ٦ ب م : منسوب إلى باديته .
 ٧ وردت في النفع .

يا نائماً متعمداً إِبصارَ طيفٍ حبيبِهِ
هو جوهرٌ فائقه لِ نَّ الطَّيِّبِ في مثقوبه
أو ركبتيَّ ظهرَهُ إن لم تقلُّ بركوبه

فلما قرأها البماري علم أنها للبخاني ، فكتب تحتها :

يا طالباً أضحي حجا بٌ دونَ ما مطلوبه
لو لم يكنْ في ذاكِ إثمٌ لم أكنْ أسخو به [١٤٢ ب]
إني أغارُ عليه من أثوابه^١ ورقيبه

قال : وأنشدَ يوماً في حلقة قولُ ابن الرومي^٢ :

ما أنسَ لا أنسَ خبازاً مررتُ به يدحو الرقاقَ كوشكِ اللحمِ بالبصرِ
ما بين رؤيتها في كفه كرةٌ وبين رؤيتها قوراءٌ^٣ كالقمرِ
إلاَّ بمقدارٍ ما تنداحُ دائرةٌ في صفحةِ الماءِ يرمى فيه بالحجرِ

فقال بعضُ تلامذته : ما أظنُّ أنه يُقدَّر على الزيادة ، فقال البماري :

فكدتُ أضرطُ إعجاباً لرؤيتها ومن رأى مثلاً ما أبصرتُ منه خري

فضحك من حضر وقال : البيت لائقٌ بالقطعة لولا ما فيه من ذكر

الرجيع ، فقال :

إن كان بيتي هذا ليس يعجبكم فَعَجِّلُوا مَحْوَهُ أو فاعلقوه طري

وأنا مقلٌّ من أخبارِ هذا الرجل ، وما وجدتُ له أكثر مما أثبتُ وقتَ

الفراغِ من تحريرِ هذه النسخة .

٢ انظر ديوان المعاني ١ : ٢٩٢ ونفح الطيب .

١ د ط س : أترابه .

٣ ب م : دوراء .

فهرس المحتويات

•	مقدمة المحقق
٩	ذكر الجانب الشرقي من جزيرة الأندلس
١٣	جملة أخبار ونوادر ممن ثار بهذا القطر يومئذ من فتیان ابن أبي عامر
١٤	[مبارك ومظفر]
٢٢	[مجاهد صاحب دانية والجزائر]
	فصل في ذكر ذي الوزارتين الأجل الكاتب الماهر صاحب المظالم
٢٤	أبي عبد الرحمن بن طاهر
٢٨	نوادر رسائل ابن طاهر في أوصاف شتى
٢٨	فصول من رسائله السلطانيات
٤٠	طرف من أخبار الوزير الأجل أبي بكر بن عبد العزيز
٤٤	بقية رسائل ابن طاهر السلطانيات
٥١	ومن رسائل ابن طاهر الإخوانيات
٥٨	جملة من رسائله في الشفاعات والوسائل
٦٥	من رسائله في الدعابة والهزل
٧٥	من رسائله في التعازي وما يجانسها
٨٥	فصول من كلامه في وصف ثغور البلاد
٩٢	ذكر الخبر عن تغلب العدو على بلنسية وعودة المسلمين إليها
١٠٣	فصل في ذكر ذي الوزارتين أبي عامر بن الفرج
١٠٤	فصل في ذكر ذي الوزارتين القائد أبي عيسى بن لبون
١٠٩	فصل في ذكر ذي الرياستين أبي مروان عبد الملك بن رزين

- ١١٣ [جملة من رسائله]
- ١١٤ [جملة من شعره]
- ١١٧ من شعر ذي الرياستين في النسيب وما يناسبه
- فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي محمد عبد الله ابن الفقيه أبي عمر بن
- ١٢٥ عبد البر النمري
- ١٢٧ جملة من رسائله السلطانيات
- ١٣٢ [أخبار ونوادر عن ابن الجصاص]
- ١٣٤ رجع [إلى ابن عبد البر ورسائله]
- ١٤٣ إيجاز الخبر [عن قتل المعتضد لابنه اسماعيل]
- فصول من رقايع [لكتاب الأندلس يحاكون بها رسالة ابن
- ١٥٤ عبد البر في تلك الحادثة]
- ١٦٥ بقية رسائله السلطانيات
- ١٧٣ من رسائله في ذكر الجهاد واستنفار كواف البلاد
- ١٧٩ إيجاز الحادثة بخبر بربرشتر
- ١٩١ من رسائله الإخوانيات
- ٢٠٨ فصول من كلامه في رسائل الشفاعات والوسائل
- ٢١٣ من كلامه في ذكر التهنة وإقامة رسم الهدية
- ٢١٨ من رسائله في التعازي
- ٢٢٦ فصل في ذكر الوزير الكاتب الماهر أبي عامر بن التاكرفي
- ٢٢٧ فصول من رسائله السلطانيات
- إيجاز القول عن إمارة عبد العزيز بن أبي عامر وابنه ببلنسية
- ٢٤٩ وأعمالها
- فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي المطرف عبد الرحمن بن فاخر
- ٢٥١ المعروف بابن الدباغ

- ٢٥٤ جملة من رسائله في أوصاف شتى (فصول في ذم الزمان وبنيه)
- ٢٧٨ من رسائله الإخوانيات
- ٣٠٦ من كلامه في العتاب وما يجانسه
- ٣٠٩ وله فصول من رسائل في العناية والوسائل
- ٣١٤ من رسائله في التعازي
- ٣١٧ فصل في ذكر الأديب أبي الربيع سليمان بن مهران السرقسطي
- ٣١٩ [في ذكر محمد بن الكتاني المتطبب]
- ٣٢٢ فصل في ذكر الأديب الأستاذ النحوي أبي عبد الله بن خلصة الضرير
- ٣٢٢ فصول من كلامه في أوصاف شتى
- ٣٢٦ جملة من شعره في أوصاف شتى
- ٣٣١ فصل في ذكر الأديب أبي مروان بن غضن الحجاري
- ٣٣٦ فصل في ذكر الأديب ادريس بن اليماني العبدي اليباسي
- ٣٣٧ جملة من شعره في أوصاف شتى (في النسب)
- ٣٤١ (من شعره في المديح)
- ٣٤٥ [تباري الشعراء في وصف الحمامة]
- ٣٥٢ رجع إلى ادريس بن اليماني
- ٣٦٠ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي الاصبغ بن أرقم
- ٣٦١ فصول من رسائله السلطانيات
- ٣٨٩ فصول من خطبة ابن سيده مما نقد ابن أرقم عليه
- ٣٩٣ جملة له من الإنشاءات السلطانيات
- ٤٠٣ ابنه أبو عامر [ابن أرقم]
- ٤٠٩ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي المطرف بن مثنى
- ٤١٨ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي عمر بن القلاس

- ٤١٩ جملة من رسائله في أوصاف شتى
الخبر ببادرة أحمد بن سليمان بن هود فيما كان رامة من
٤٢٣ الفتك بأخيه
٤٢٤ [عود إلى رسائل ابن القلاس]
٤٢٧ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي عبد الله محمد بن مسلم
٤٢٧ فصول له خاطب بها أغلب صاحب ميورقة
٤٤٨ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي جعفر بن جرج
٤٤٩ جملة من نثره
٤٥٢ [من شعره]
٤٥٧ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي الفضل بن حسداي الإسلامي
٤٥٩ جملة من ترسيله
٤٨٦ ومن شعر أبي الفضل
٤٩٠ [أبيات للشعراء في وصف قوس قزح]
٤٩٢ [رجع إلى شعر ابن حسداي]
٤٩٤ [لمعة] بيسير من أخبار أبي الطيب
٤٩٨ [نادرة للمؤلف مع ابن عبدون]
٤٩٩ فصل في ذكر الأديب الكاتب أبي الربيع سليمان بن أحمد القضاعي
٤٩٩ [جملة من ترسله]
٥٠٨ قطعة من شعره
٥٠٨ [أشعار مختارة في التشبيه بالنجوم]
٥١٤ رجع [إلى ذكر أبي الربيع]
٥١٥ جملة من أخبار هشام المعتد
٥٢٢ ذكر الخبر عن مقتل الوزير الحائك وخلع هشام
٥٢٩ فصل في ذكر الأديب أبي عامر البماري

تم طبع هذا الجزء على مطابع

دار الثقافة

ص.ب ٥٤٣

بيروت - لبنان

الذخيرة في مجاسد اهل البحرزيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (- ٥٤٢هـ)

تحقيق

الدكتور إسماعيل عباس

القسم الثالث
المجلد الثاني

دار الثقافة

بيروت - لبنان

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

٣

في ذكر الأديب أبي إسحاق إبراهيم بن خفاجة^١

الناظم المطبوع^٢ ، الذي شهد^٣ بتقديمه الجميع ، المتصرف بين حكمه وتحكمه البديع . «تَصَرَّفَ فِي فنونِ الابداع كيف شاء ، وأَتْبَعَ دَلَوَه الرِّشَاء ، فشعشع القولَ وروَّقه^٤ ، ومدَّ في مِيدَانِ الاعجاز طَلَقَه^٥ ، فجاء نظامه أرق^٦ من النَّفْسِ العليل ، وآتقَ من الروضِ البليل ، يكادُ يمتزجُ بالروح ، وترتاحُ إليه النفسُ كالغُصْنِ المروح ، إن شئتَ فغمزاتِ الجفونِ الوُطفِ ، أو إشارةُ الأناملِ التي تُعَقِّدُ من اللطف ، وإن وصف سُرَّاهُ والليلُ بهيم^٧ ما له وُضُوح^٨ ، وخَدُّ الثرى بالندى منضوح ، فناهيكَ من غرضٍ انفرادَ بمضماره ، وتجرَّدَ لحمي ذماره ، وإن مدح فلا الأعشى للمحلق ، ولا حسانُ لأهلِ جِلَق^٩ ، وإن تصرفَ في فنونِ الأوصافِ ، فهو فيها كفارس خصاف^{١٠} ؛ وكان في شبيبته مخلوعَ الرَّسَنِ في ميدان مجونه ، كثيرَ الوَسَنِ ما بين صفا الانتهاكِ وَحَجَّوْنِهِ^{١١} ، لا يبالي بمن

١ توفي سنة ٥٣٣ ؛ راجع في ترجمته قلائد العقيان : ٢٣١ والمطمح : ٨٦ وبغية الملتبس : ٢٠٢ والمطرب : ١٠٩ والتكملة ومعجم أصحاب الصدقي : ٥٩ والمغرب ٢ : ٣٦٨ وابن خلكان ١ : ٥٦ والخريدة ٢ : ١٤٧ ، ٣ : ٥٤٨ (ط . تونس) والمسالك ١١ : ٢٥٥ وصفحات متفرقة من نفع الطيب ؛ وقد أثبت محقق ديوانه مصادر ترجمته (الديوان : ٤٣٧) ؛ وقد راجعت جميع ما أورده ابن بسام من قصائد ومقطعات على هذا الديوان ، ولكنني لم أثبت الصفحات لكثرة ما اختاره المؤلف من شعره .

٢ ط د س : يشهد .

٣ م ب : كما راض اخصاف ؛ وخصاف فرس مالك بن عمرو الغساني ، فارس يوم حليلة ؛ وقيل غيره .

التبس ، ولا بأيّ نارٍ اقتبس ، إلاّ أنه قد نسكّ اليومَ نسكَ ابنِ أذينة^١ ،
وأغضى عن إرسالِ نظره في أعقابِ الهوى عَيْنَه ؛ وقد أثبتُ له ما
يقفُ عليه اللواءُ ، وتُصرفُ إليه الأهواءُ^٢ .

نشأ ببلادِ الجانبِ الشرقيّ من الأندلس ، فلم يُذكرَ معَه هناك
مُحسِنٌ ، ولا لغيره [١٤٣ أ] فيه وقتٌ حسن ، ولا أعرُفه^٣ تعرّضَ
للملوكِ الطوائفِ بوقتنا ، على أنه نشأ في أيّامهم ، ونظرَ إلى تهافتهم في
الأدبِ وازدحامهم ، وهو اليومَ بمطلعه من ذلك الأفق ، يبلغني من
شعره ما يُبطلُ السحرَ ، ويعطلُ الزهرَ ، وقد أثبتُ بعضَ ما وقع
إليّ من كلامه ، فتصفّحه تعلمُ أنه بحرُ النظام ، وبقيّةُ الأعلام .

فصول من نثره في أوصاف شتى

١ - فصل في استدعاء مغنٍّ :

إِنَّ لِلطَّرَبِ ° - أَعَزَّكَ اللَّهُ - جِسْماً وَنَفْساً ، يُسَمِّيَانِ سَمَاعاً
وَكَأْساً . وقد حَضَرَتَا خَمْرَةً ، كَأْتَهَا جَمْرَةً ، قد تَنَاسَبَتِ سَوْرَتُهُمَا ،
كما تَضَارَعَتِ في الخطِّ صَوْرَتُهُمَا^٤ :

١ يريد عروة بن أذينة أحد نساك المدينة في القرن الأول .

٢ ما بين أقواس متفق مع القلائد ، ولم يرد في ط د س .

٣ ط د س : أعلمه .

٤ يختلف ترتيب هذه الرسائل في ط د س عما هي عليه في ب م ، فقد جاء في النسخ الثلاث

على النحو الآتي : ٢٤١ (٣) ٩ ، ٦ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٠ ، ١٢ ، ٢٤ ، ١١ ، ٥ ،

٤ ، ٧ ، ٨ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، وقد رقمها لضبط هذا

الاختلاف .

ه د : للظرف . ٦ د ط ب : سورتها . . . صورتها .

لو ترى الشَّرْبَ حَوْلَهَا^١ من بعيدٍ قُلْتَ قَوْمٌ مِنْ قِرَّةٍ يَصْطَلُونَا
فإنْ رَأَيْتَ أَنَّ تُوْنِسَ ، وَتُطْرُزَ^٢ الْمَجْلِسَ ، فَتَجُرِّيَ فِي ذَلِكَ
الْجِسْمِ الْكَرِيمِ رُوحَهُ ، وَتُحْضِرَهُ مِنْكَ مَسِيحَهُ ، وَصَلْتَ وَأَجَمَلْتَ .

٢ - فصل في ذكر منترّة :

ولَمَّا أَكْبَ الْغَمَامُ لِكِبَابًا ، لَمْ أَجِدْ مَعَهُ إِغْبَابًا ، وَاتَّصَلَ الْمَطَرُ
اتِّصَالًا ، لَمْ أَلَفْ^٣ مَعَهُ انْفِصَالًا ، أَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لِلصَّحْوِ أَنْ يُطْلَعَ
صَفْحَتُهُ ، وَيَنْشُرَ صَحِيفَتَهُ ، فَفَقَشَعَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ ، كَمَا طَوَى
السَّجِلُ الْكِتَابَ ، وَطَفِيقَتِ السَّمَاءُ تَخْلَعُ جِلْبَابَهَا ، وَالشَّمْسُ تَحُطُّ
نِقَابَهَا . وَتَطْلَعَتِ الدُّنْيَا تَبْتَهِجُ كَأَنَّهَا عُرُوسٌ تَجَلَّتْ ، وَقَدْ تَحَلَّتْ ،
ذَهَبَتْ فِي لُئْمَةٍ مِنَ الْإِخْوَانِ ، نَسْتَبِيقُ إِلَى الرَّاحَةِ رَكْضًا ، وَنَطْوِي
لِلتَّفَرُّجِ أَرْضًا وَنَنْشُرُ أَرْضًا ، فَلَا نُدْفَعُ إِلَّا إِلَى غَدِيرٍ نَمِيرٍ ، قَدْ
اسْتَدَارَ مِنْهُ فِي كُلِّ قَرَارَةٍ سَمَاءٌ ، سَحَابِيهِ عَمَاءٌ ، وَانْسَابُ
فِي كُلِّ تَلْعَةٍ حُبَابٌ ، جَلَدَتْهُ حَبَابٌ^٤ ، فَتَرَدَّدْنَا بِتِلْكَ الْأَبَاطِيحِ ،
نَتَهَادَى تَهَادِيْ أَغْصَانِهَا ، وَنَتَضَاحِكُ تَضَاحِكَ أَقْحُوَانِهَا ، وَلَنَنْسِيمَ
أَثْنَاءَ ذَلِكَ الْمُنْظَرِ الْوَسِيمِ ، تَرَأْسُلُ مَشْيِي ، عَلَى بَسَاطٍ وَشْيٍ ،
فَإِذَا مَرَّ بِغَدِيرٍ نَسَجَهُ دِرْعًا ، وَأَحْكَمَهُ صُنْعًا ، وَإِنْ عَثَرَ بِجَدْوَلٍ

١ ط د والمسالك : حولنا .

٢ د : وتطرب .

٣ د ط س : لم نجد . . . لم نلف .

٤ د ط : لمة اخواني ؛ س : لبة إخواني .

٥ العماء : السحاب المرتفع .

٦ ط س : حبا .

شَطَبَ مِنْهُ نَصْلًا ، وَأَخْلَصَهُ صَقْلًا ، فَلَا تَرَى إِلَّا بِطَاحًا ، مَمْلُوءَةً
سِلَاحًا ، كَأَنَّمَا انْهَزَمَتْ^١ هُنَالِكَ كَتَائِبُ ، فَأَلْقَتْ بِمَا لَبِستَهُ مِنْ
دِرْعٍ مَصْقُولٍ ، وَسَيْفٍ مَسْلُولٍ .

٣ - وفي فصل منها^٢ :

فاحتلَلْنَا قبة^٣ خضراءَ ، مَمْدُودَةَ أَشْطَانِ الْأَغْصَانِ ، سُنْدُوسِيَّةَ
رِوَاقِ الْأُورَاقِ . وما زِلْنَا نَلْتَحِفُ [منها] ببردِ ظِلِّ ظَلِيلٍ ، وَتَشْتَمِلُ
عليه برداءَ نَسِيمِ عَليْلِ ، وَنُجِيلُ النَّظَرِ فِي نَهْرِ [فسيح] ، صَافِي
لُجَيْنِ الْمَاءِ ، كَأَنَّهُ مَجَرَّةُ السَّمَاءِ ، مُؤْتَلِقِ جَوْهَرِ الْحَبَابِ ، كَأَنَّهُ
مِنْ نُغُورِ الْأَحْبَابِ ، وَقَدْ حَضَرْنَا مُسْمِعٌ يَجْرِي مَعَ النُّفُوسِ لَطَافَةً ،
فَهُوَ يَعْلَمُ غَرَضَهَا وَهَوَاهَا ، وَيُغْنِي لَهَا مُقَرَّحَهَا وَمُنَاهَا ، فَصِيحُ
لِسَانِ النَّقْرِ ، يَشْفِي مِنَ الْوَقْرِ ، كَأَنَّهُ كَاتِبٌ حَاسِبٌ [١٤٣ ب]
تَمَشُّقُ يُمْنَاهُ ، وَتَعْقِدُ يُسْرَاهُ :

يُحَرِّكُ حِينَ يَشْدُو سَاكِنَاتٍ وَيَبْتَغِي^٤ الطَّبَائِعَ لِلشُّكُونِ

٤ - فصل في إهداء تفاحة :

مِثْلُكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مِمَّنْ كَرُمَتْ سَجِيَّتُهُ فَرَقَّتْ ، وَحَسُنَتْ
جُمْلَتُهُ فَرَاقَتْ ، فَكَانَتْ كَلِيَّةٌ^٥ الظَّرْفِ مِنْهُ شُعْبَةً ، وَجُمْلَةً

١ م : انهمرت ؛ س : اهتزمت .

٢ بهذا العنوان تكون هذه الرسالة جزءاً من السابقة ، ولكن عنوانها في ط د س : فصل في مثله

٣ ط د س : فيه .

٤ ب م : وتنبعث .

٥ ط د س : كليلية .

الذِّكَاءِ شُعْلَةً ، عَلِمَ أَنَّ خَيْرَ الْهَدَايَا ، مَا جَرَى مَجْرَى التَّحَايَا ، وَأَنَّ
أَفْضَلَ سَفِيرٍ سَفَرٍ بَيْنَ صَدِيقَيْنِ ، وَتَرَدَّدَ بَيْنَ عَشِيقَيْنِ ، سَفِيرٌ أَشْبَهَ
الْمُحِبَّ خَفَةَ رُوحَ ، وَالْمَحْبُوبَ عَبَقَ رِيحٍ . وَلَمَّا طَالَ ، يَا سَيِّدِي ،
الْعَهْدُ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَجِدَّ دَهْ ، وَذَهَبْتُ أَنْ أُوَكِّدَهُ ، وَتَوَقَّيْتُ مِنْ
رَقِيبٍ يَرَعَى فَيَسْعَى ، وَيَشِي فَيُفْشِي ، لَمْ أَرَ أَنَّ أَجْعَلَ رَسُولِي ،
وَأَجْشَمَ فِي اقْتِضَاءِ سُوْلِي ، مِثْلَ حَمَرَاءَ عَاطِرَةٍ ، كَأَنَّهَا دَمْعَةٌ صَبَّ
قَاطِرَةً ، أَوْ جَمْرَةٌ تَصْطَلِي وَاقِدَةً ، أَوْ خَمْرَةٌ تُجْتَلِي جَامِدَةً ،
مُشْتَقٌّ مِنَ الْأَرْجِ اسْمُهَا ، حَمِيدٌ فِي السَّفَارَةِ بَيْنَ مُحِبِّينَ رَسْمُهَا ،
لَمْ أَرَ مِثْلَهَا ذَهَبًا يَنْفَحُ ، وَلَهَبًا لَا يَلْفَحُ ، قَدْ أَوْدَعَ حَشَاهَا الصُّبْحُ
فَلَقَّهَ ، وَخَلَعَ عَلَيْهَا اللَّيْلُ شَفَقَهَ ، فَهِيَ تَقْدُ كَأَنَّهَا نَشَاتُ فِي
تُرْبَةٍ مِنْ نَارِ ضُلُوعِي ، أَوْ سَقِيَّتُ بِجَدْوَلٍ مِنْ حُمُرٍ دُمُوعِي . وَلَمَّا
وَجَدْتُهَا فِي الْحُسْنِ حَيْثُ الْعَيُونُ تَرْمُقُهَا فَتَمِيقُهَا ، وَالنُّفُوسُ
تَنْشَقُهَا فَتَعَشَّقُهَا ، بَعَثْتُ بِهَا بَيْنَ تَحِيَّةِ لَكَ ، وَرَسُولٍ إِلَيْكَ ،
مُعْتَقِدًا أَنَّهَا سَتَقْبَلُ عِنْدَمَا تُقْبَلُ ، وَتُقَدِّى حِينَ تَتَصَدَّى ، فَوَدِدْتُ
أَنْ أَكُونَهَا ، وَأَحْظَى بِتِلْكَ الْحَالِ دُونَهَا .

٥ - وَكُتِبَ يَسْتَهْدِي ٢ مَاءَ وَرَدَ :

إِنَّ لِلْمَكَارِمِ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - شَرِيعَةً قَضَتْ أَنْ يَكُونَ الْبِرُّ عَلَيْكَ
فَرَضًا ، وَالشُّكْرُ عَلَيَّ قَرَضًا ، وَإِنِّي وَجَّهْتُ رُفْعَتِي هَذِهِ خَاطِبَةً
إِلَى صَفْوٍ وَدَّكَ ، كَرِيمَةٍ مِنْ [بَنَاتِ] مَاءِ وَرَدِكَ . وَقَدْ سُقْتُ

١ ط د س : ولا لهباً .

٢ ط د س : فصل في استهداء .

إليها الشكر مَهْرًا ، وأنفَذْتُ الإناءَ للزَّفافِ خِدْرًا . والطَّوْلُ لك
في قَبُولِ نَقْدِ الثَّنَاءِ ، وتعجيلِ الجلاءِ والهداءِ ، مُوَفَّقًا ، إن
شاء الله .

٦ - فصل من أخرى :

إنَّ النَّبِيذَ بِسَاطٍ ، موضوعه الرَّاحَةُ والانبساط ، وقلِّمًا يَطْيِبُ
رضاعُ الكَّاسِ إلَّا مع الصَّدِيقِ الشَّقِيقِ ، المُشْتَبِهِ^١ بالأخِ الشَّقِيقِ ،
فهو رضاعُ ثَانٍ تُرْعَى حُرْمَتُهُ ، وَتُحْفَظُ ذِمَّتُهُ . وهذا يومُ ضُرِبَتْ^٢
فيه أَرْوَقَةُ الأنواءِ ، وأُعْرِسَتْ^٣ الأرضُ فيه بالسَّماءِ ؛ فالغُصْنُ
يَتَلَوَّى وَيَتَشَنَّى ، والحمامةُ تُرْجَعُ وَتَتَغَنَّى ، والماءُ يَرْقُصُ مِنْ
طَرَبٍ وَيُصَفِّقُ ، والزَّهْرُ يَشُقُّ جَيْبَ كِمَامِهِ وَيُمَزِّقُ . فإنْ رَأَيْتَ
أنْ تَكُونَ في من شَهِدَ هذا الإِمْلَاكُ ، وَتَحْضُرَ في من حَضَرَ
هناك ، أَجَبْتَ مَنعَمًا .

٧ - وكانت بينه وبين [بعض] إخوانه مقاطعة ، فاتفق أن ولي ذلك
الصديق حصناً ، فخطبه أبو إسحاق برقة منها :

أطال الله بقاءَ سَيِّدِي [١٤٤ أ] ، النَّبِيَهَةَ أوصافُهُ النَّزِيَهَةَ
عَنِ الاستِثْنَاءِ ، المَرْفُوعَةَ قِيادَتَهُ الكَرِيمَةَ بالابتداءِ ، ما انْخَذَقَتْ
يَاءُ « يَرْمِي » للجزمِ ، وَاعْتَلَّتْ وَأَوْ « يَغْزُو » لمَوْضِعِ الضَّمِّ ؛ كَتَبْتُ

١ ب م : المشبه .

٢ ط د س : يومنا قد ضربت .

٣ ب م : واعترضت .

٤ الديوان : امارته .

عَنْ وَدَّ قَدَّمَ هُوَ الْحَالُ لَمْ يَلْحَقْهَا انْتِقَالَ ، وَعَهْدَ كَرَّمَ هُوَ الْفِعْلُ
لَمْ يَدْخُلْهُ اعْتِلَالٌ . وَاللَّهُ يَجْعَلُ هَاتِيكَ مِنْ الْأَحْوَالِ الثَّابِتَةِ
الْلاَزِمَةِ ، وَيَعْصِمُ هَذَا بَعْدُ مِنْ الْحُرُوفِ الْجَازِمَةِ ؛ وَأَنَا أَسْتَنْهِيضُ
طَوْلَكَ ، إِلَى تَجْدِيدِ عَهْدِكَ بِمُطَالَعَةِ أَلْفِ الْوَصْلِ ، وَتَعْدِيَةِ فِعْلِ
الْفَصْلِ ، وَإِلَى عُدُولِكَ عَنْ بَابِ أَلْفِ الْقَطْعِ ، إِلَى بَابِ [أَلْفِ]
الْوَصْلِ وَالْجَمْعِ ^١ ، حَتَّى تَسْقُطَ لِدَرَجِ الْكَلَامِ بَيْنَنَا هَاءُ السَّكَنِ ،
وَيَدْخُلُ ^٢ الْانْتِقَالَ حَالُ الصَّمْتِ . فَلَا تَتَخَيَّلُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - أَنْ
رَسَمَ إِخَائِكَ عِنْدِي ذُو حَسِيٍّ قَدْ دَرَسَ عَفَاءً ، وَلَا أَنْ صَدْرِي دَارُ
مَيَّةٍ أَمْسَى مِنْ وَدَّكَ خَلَاءً ، وَإِنَّمَا أَنَا فِعْلٌ إِذَا تُنِّيَ ظَهَرَ مِنْ ضَمِيرِ
وُدِّهِ مَا بَطَّنَ ، وَبَدَا مِنْهُ مَا [كَانَ] كَمَنْ . وَهَنِيئًا - أَعَزَّكَ اللَّهُ - أَنْ
فِعْلَ وَزَارَتِكَ حَاضِرٌ لَا يَلْحَقُ رَفْعُهُ تَغْيِيرٌ ، وَأَنْ فِعْلَ سَيْفِكَ
مَاضٍ مَا بِهِ لِلْعَوَامِلِ تَأْثِيرٌ ؛ وَأَنْتَ بِمَجْدِكَ ^٣ جَمَاعُ أَبْوَابِ الظَّرْفِ ،
تَأْخُذُ نَفْسَكَ الْعَلِيَّةَ بِمُطَالَعَةِ بَابِ الصَّرْفِ ، وَدَرَسَ حُرُوفِ
الْعَطْفِ ، وَتَدْخُلُ لَامَ التَّبَرُّثِ عَلَى مَا حَدَّثَ مِنْ عَتَبِكَ ، وَتَوْجِبُ
بَعْدَ النَّفْيِ مَا سَلَفَ مِنْ عَتَبِكَ ^٤ ، وَتَدْعُ أَلْفَ الْأَلْفَةِ أَنْ تَكُونَ
بَعْدُ مِنْ حُرُوفِ اللَّيْنِ ، وَتَرْفَعُ لِلْإِضَافَةِ ^٥ بَيْنَنَا وَجُودَ التَّنْوِينِ ،
وَتَسُومُ سَاكِنَ الْوُدِّ أَنْ يَتَحَرَّكَ ، وَمُعْتَلَّ الْإِخَاءِ أَنْ يَصِيحَ .

وكتابي [هذا] حَرْفُ صَلَةٍ فَلَا تَخْذِفُهُ [وَلَا تَدُلَّ فِي اسْمِ الْجَوَابِ]

١ د ط س : أَلْفِ الْجَمْعِ .

٢ ب م : وَلَا يَدْخُلُ .

٣ بِمَجْدِكَ : سَقَطَتْ مِنْ ط د .

٤ م : عَتَابِكَ ، وَمَوْضِعُهَا بَيَاضٌ فِي ط .

٥ الْإِضَافَةُ : بِالْإِضَافَةِ .

عَلَى سَرُّوكَ فَاصْرِفْهُ ، فِيهِ الْإِنْسُ وَالْإِنْسُ ثُلَاثِي فَلَا تُرَحِّمْنَهُ ، وَفَعَلَ
 مَاضٍ فَلَا تَجْزِمُهُ [حَتَّى تَعُودَ الْحَالُ الْأُولَى صِفَةً ، وَتَصِيرَ هَذِهِ
 النِّكَرَةُ مَعْرِفَةً ، فَأَنْتَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مَصْدَرُ فِعْلِ السَّرِّ وَالنَّبْلِ ،
 وَمِنْكَ اشْتِقَاقُ [اسْم] السُّودَدِ وَالْفَضْلِ . وَإِنَّكَ ، وَإِنْ تَأَخَّرَ الْعَصْرُ
 بِكَ ، كَالْفَاعِلِ وَقَعَ مُؤَخَّرًا ، وَعَدُّوكَ ، وَإِنْ تَكَبَّرَ ، كَالْكُمَيْتِ
 لَمْ يَقَعْ إِلَّا مُصَغَّرًا . وَلِلْأَيَّامِ عِلَلٌ تَبْسُطُ وَتَقْبِضُ ، وَعَوَامِلُ
 تَرْفَعُ وَتَخْفِضُ ، فَلَا دَخَلَ عَرُوضَكَ قَبْضٌ ، وَلَا عَاقِبَ رَفْعَكَ
 خَفْضٌ ؛ وَلَا زِلْتَ مُرْتَبِطًا بِالْفَضْلِ شَرْطُكَ وَجَزَاؤُكَ ، جَارِيًا
 عَلَى الرَّفْعِ سَرُّوكَ الْكَرِيمُ وَسَنَاؤُكَ ، حَتَّى يُخَفِّضَ الْفِعْلُ ، وَتُبْنَى
 عَلَى الْكَسْرِ قَبْلُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

٨ - وفي فصل من أخرى :

وَلَوْ أَنِّي شِئْتُ^٢ اسْتَدْرَارَ أَخْلَافِ الْعَيْشِ ، وَقَرَعْتُ أَبْوَابَ
 الرِّزْقِ ، لَكَدَدْتُ وَجَدَدْتُ ، وَحَشْتُ الرِّكْضَ وَجَهَدْتُ ، وَجُبْتُ
 السَّبَاسِبَ أُرْدِيَةً ، وَخُضْتُ النِّوَابِ أَوْدِيَةً ، وَرَعْتُ الْكَوَاكِبَ
 أُنْدِيَةً ، حَتَّى أُخَيِّمَ حَيْثُ السَّمَاءُ دَارٌ ، وَالسَّمَاءُ جَارٌ [وَأَرْفُلُ
 حَيْثُ الْعِزَّةُ حُلَّةٌ ، وَالثَّرْوَةُ حَلِيَّةٌ . وَلَكِنَّ بَيْنَ جَنْبِي قَلْبًا
 هَمِّتُهُ مَا هَمِّتُهُ] فَهُوَ يَرَى الصَّبْرَ أَيْمَنَ رَفِيقٍ يَصْحَبُهُ ، وَالْقَنَاعَةَ
 أَكْرَمَ ذَيْلٍ يَسْحَبُهُ . وَعَلَامٌ يَبْتَدِلُ الْوَجْهَ مَصُونٍ مَائِهِ ، وَيُلْقِي
 عَنْهُ قِنَاعَ حَيَاتِهِ ، وَإِنَّمَا [١٤٤ ب] الدُّنْيَا - وَبَنَسَ الطَّمَعُ - :

سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَرِيبٍ تَقَشَّعُ

٩ - وكتب يستدعي^١ عورد غناء :

انْتَظِمَ مِنْ إِخْوَانِكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - عِقْدُ شَرْبٍ يَتَساقُونَ فِي
وُدِّكَ ، وَيَتَعَاطَوْنَ رِيحَانَةَ شُكْرِكَ وَحَمْدِكَ . وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا شَرُّهُ
المَسَامِيعِ إِلَى رَنَّةِ حَمَامَةٍ نَادٍ ، لَا حَمَامَةَ بطن وادٍ . والطَّوْلُ لك
في صِلتنا بِجَمَادٍ ناطقٍ ، قد استعارَ من بنانٍ لِسَانًا ، وصار لضميرِ
صاحبه^٢ تَرْجُمانًا ، وهو على الإساءة والإحسان لا يَنْفَكُ من إيقاعٍ
به ، في غَيْرِ إِيْجَاعٍ لَهُ ، فإن هفا عُرِكَتْ أذُنُهُ وأدَبَ ، وإن تَأَتَّى
واستَوَى بُعِيجَ بَطْنُهُ وَضُرِبَ ؛ لا زِلْتُ مُنْتَظِمَ الجَذَلِ ، مُلْتَمِسَ الأَمَلِ .

١٠ - وفي فصل :

كُلُّ أَيَادِيكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - غَمَامٌ ، و [كُئِلٌ] النَّاسِ سَجَعًا
بِشُكْرِكَ وَطِيبَ ذِكْرِكَ حَمَامٌ ، قد لبسوا نِعَمَكَ أَطواقًا ، وتخلَّوا
بها أعناقًا ، فما يقرأونَ فيكَ إِلَّا سورةَ الحمدِ ، ولا يَتَطَلَّعونَ مِنْكَ
إِلَّا إلى سورةِ المجدِ ؛ وما مِنْهُمْ إِلَّا لِسَانُ شُكْرِ غَيْرِ أَنَّهُ فَصِيحٌ ،
وَعَبْدُ رِقٍّ إِلَّا أَنَّهُ نَصِيحٌ . وكفى بِحُسْنِ السَّيَرَةِ ، استِصْفَاءً لِلسَّرِيرَةِ ..
فلا زِلْتُ لِنَهْجِ الفضلِ سَالِكًا ، ولِسَمَاءِ المجدِ سَامِكًا ..

١١ - وفي فصل :

هو أَشْهَرُ غُرَّةِ مجدٍ وعلاءٍ ، وتَقَدَّمَ فَضْلُ وسناءٍ ، من أن

١ ط د س : فصل في استدعاء .

٢ الديوان : حامله .

٣ ب م : وعميد .

أوميّ إليه ، وأنبّه عليه ، وقد استظلّ من حرّ النّوائب ببردٍ ظلكَ ،
واستنارَ في ظلمِ المطالبِ^١ بسراجِ عدلِكَ ؛ لا زلتَ كعُبةَ فضلٍ ،
وقبلةَ عدلٍ .

هو نثرة^٢ أمجاد أفراد ، وأعلامٍ كرام ، ما منهم إلاّ مُشرفُ
العالمِ ، في الهمم ، متقدّم القدمِ ، في الكرم .

١٢ - وفي فصل [يشفع لرجل كحال] :

ومؤديه أبو فلان الكحالُ ، وهو وإن كرمّت أحواله^٣ ، وأحمِدَت
في الصنعة حاله^٤ ، لم تبْلُغْ قوّةُ كُحلهِ إلى أن تَجْلُوَ البصرَ ، حتّى
ترى الغيبَ وتُشاهدَ القَدَرَ . وقد وردك^٥ ، يخبِطُ من نهاره في ليلةٍ ظلماءَ ،
ويقلّبُ مقلّةً صحیحَةً عمياءَ . ولا غرّو ، فالعينُ هي العينُ ، ولعلّه^٦
وعساهُ ، أن يكونَ عيساهُ .

١٣ - [فصل في شفاعة : وما عرفته مذ كَوْنُه عندنا إلاّ على أقوم
طريقة ، وأحسن سجيّة وخليقة ، فاستدلّت بما علن على ما بطنَ ، وبما
بدا على ما انطوى ، ولله غيبُ السموات والأرض ، فمن أمكنه أن يضع
عارفةً عنده يجني ثمرتها ، فعَلَّ ، مأجوراً مشكوراً] .

١ الديوان : المصائب .

٢ يبدو أن هذه بداية قطعة جديدة ، وقد انفردت بهام ب ، ولم ترد في الديوان .

٣ د ط س : والكمال أبو فلان وإن كرمّت خلاله . . . الخ .

٤ د ط : ورد .

١٤ - وفي فصل :

للمتوسمين^١ - [أعزك الله] - منازل^٢ ، وفي الأيادي فروض^٣ ونوافل ،
وخير^٤ المعروف ، ما وُضِعَ عند الشريف لا المشروف . وإنَّ أبا فلان^٥
الهاشمي^٦ ، لَفَرَعُ من أشرف^٧ نَبْعَةٍ ، نَمَتَ في أَكْرَمِ بُقْعَةٍ .
وَمَنْ حَلَّ من الشرفِ محلَّتَهُ ، وَلَيْسَ من الفضلِ حليَّتَهُ ،
فقد غَنِيَ عن الإطراءِ والثناءِ ، غَنِيَ الغزَّالَةَ عن الذبالةِ . وَهُوَ مُجْتَازٌ
على أَفْئِدِكِ ، وَنَازِلٌ بك ضيفاً ، كَمَا تَتَغَشَّاءُ السَّحَابَةُ صَيْفاً ، وَهُوَ
رَاحِلٌ بَعْدُ ، تَخِيدُ بِهِ^٨ الرَّاكِبُ ، وَتُثْنِي عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ .
وَأَنْتَ أَجْدَرُ مَنْ تَلْقَاهُ بالبِشْرِ ، وَأَقْبَلُهُ وَجْهَ البرِّ ، فَعِنْدَ أَهْلِ
الْفَضْلِ يُوضَعُ الْفَضْلُ ، وفي مغارِسِهَا تُغْرَسُ النَّخْلُ^٩ ؛ لَا زِلْتَ
غَمَامَ نَعْمَى وَرُحْمَى ، وَلَا نَزَلْتَ إِلَّا بِمَنْزِلِ رُعيَا وَسُقْيَا .

١٥ - فصل في العتاب :

أطال الله بقاءَ الشَّيْخِ الْقَاضِي ، عَلِمَ عَصْرَهُ^{١٠} ، وَإِنْسانَ عَيْنِ
مِصْرِهِ ، في رُتْبَةٍ شَمَخَتْ فَكَأَنَّهُا كَوُكَبٌ ، وَرَسَخَتْ فَكَأَنَّهُا
كَبْكَبٌ ؛ الْفَضْلُ مَا قَدَّ عَلِمَهُ الشَّيْخُ الْقَاضِي ، جَبَلٌ وَعَرُ الْمُرتَقَى ،
وَجَمَلٌ صَعْبُ الْمُمتَطَى ، لَا يَتَسَنَّمُ كُلُّ فَارِعٍ ذِرْوَتَهُ^{١١} ، وَلَا يَمْتَسْطِي

١ د ط س : للمتوسلين .

٢ ب م : وإن فلاناً من أشرف . . . الخ .

٣ ب م : تحذو به .

٤ من قول زهير :

وهل ينبت الخطي إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل

٥ د ط س : دهره

كُلُّ رَاكِبٍ صَهْوَتُهُ ، وَشَجَرَةٌ بِاسِقَةِ الْأَفْنَانِ مُمْتَدَّةُ الْأَفْيَاءِ ،
أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ ، لَا يَطْمَئِنُّ كُلُّ جَنْبٍ فِي ظِلِّهَا ،
وَلَا تَجْتَنِّي كُلُّ يَدٍ مِنْ أَكْلِهَا . وَإِنِّي مَسَحْتُ الْأَرْضَ غَرْبًا وَشَرْقًا ،
وَلَقِيتُ الدَّهْرَ جَهْمًا وَطَلَقًا ، وَشَرِبْتُ الْعُمَرَ صَفْوًا^١ وَرَنْقًا ، وَحَلَلْتُ
أَنْدِيَةَ الْقَضَاةِ وَالْقَضَاءِ ، وَحَطَطْتُ بِأَوْدِيَةِ الْفَضْلِ وَالْفَضْلَاءِ ،
فَمَا وَطِئْتُ لِأَحَدِهِمْ سَاحَةً إِلَّا رَاقٍ نَشْرُهُ^٢ ، وَرَقَّ قِشْرُهُ ،
فَمَا الْفَضْلُ كُلُّهُ فِي الصَّمْتِ وَالْجُمُودِ ، حَتَّى يَلْتَبِيسَ الْإِنْسَانُ
بِالْجُلُودِ .

ومنها :

وَلَوْلَا أَنِّي نَزَّهْتُ سَمْعَهُ عَنْ الشَّعْرِ ، لَأَرَيْتُهُ كَيْفَ حَوَّكُ
الطَّبْعِ الْمُهْدَبِ ، لِلْيُوشِيِّ الْمُدَهَّبِ ، وَكَيْفَ لَقِظُ بَحْرِ الْفِكْرِ ،
لِلجَوْهَرِ الْبِكْرِ ، وَلَأَطْلَعْتُ مِنْهُ فِي سَمَاءٍ مَعَالِيهِ نُجُومًا تُنِيرُ ،
وَرُجُومًا تُبِيرُ^٣ ، وَآخِرُ مَا أَقُولُهُ ، بَعْدَ دُعَاءٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَرْفَعُهُ
فِي إِطَالَةِ بَقَائِهِ ، [وَتَمَكِينِ بَهْجَتِي بِوَفَائِهِ] :

أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُودُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مُحِبِّبٍ ،

١ ب م : صرفاً .

٢ الديوان : بشره .

٣ م : تنير ؛ ب : تنير .

٤ بيت شعر للمتنبى ، ديوانه : ٤٤٩ .

١٦ - فصل :

فما انبرت^١ النوائب إلا أرسل زمامها ، ولا برت^٢ الحوادث إلا أنصل سهامها ، ولا احتشدت الدواهي إلا كان من أعيانها ، ولا استنجدت الليالي إلا كان من أعوانها . وهيئات أن يظفر بالحر^٣ الشريف جوهره ، الكريم عنصره ، فالناس أخبر تقله ، وبالاحتبار يتبين الأوغاد من الأحرار ، وعلى النار يتميز الحبيث من النصار . وإن الدهر لماش بأهله القهقري في سماء الفضل والكرم ، ومنازل النبيل ومرآتي الهمم .

١٧ - فصل :

كتاب قد أظلم بياضه في عيني وسواده ، حتى تساوى طرسه ومداده . فيا له كتاباً ، ملئ اكتئاباً [وقِرطاساً ، لبس بدل الحداد أنقاساً ، فلو أن الحماد أمكنه البكاء لبكى ، وأعلن بالعويل وشكا] .

١٨ - فصل :

[فها أنا بين عيش قد ذهب حلوه ، ونضب صفوه ، وأمل

١ م ب : ابدت .

٢ م ب : بدت .

٣ م ب : بالخلق .

٤ من حديث للرسول (ص) : وجدت الناس أخبر تقله (انظر التاج : قلا) والهاء في « تقله » للسكت ، ولفظه لفظ الأمر ودمه الخبر أي من خبرهم أبغضهم وتركهم .

٥ م ب : يتبين .

أَخْلَقَتْ جِدَّتُهُ [وَذَبَلَتْ نَضْرَتُهُ ، مُتَلَدِّدٌ بَيْنَ عَبْرَةٍ أَبَدُودُهَا ،
وَزَفْرَةٍ أَرَدُودُهَا ، وَحَسْرَةٍ أَجَدُودُهَا ، وَطَرْفٍ أَقْلَبُهُ فِي الْكَوَائِبِ ،
كَأَنِّي أَلْتَمِسُهُ فِيهَا وَأَطْلُبُهُ ، وَأَمْلُ طُلُوعَهُ مَعَهَا فَأَرْقُبُهُ .

١٩ - وفي فصل :

ولقد اختُضِرَ^١ على حين تَطَلَّعٍ إِلَى الدُّنْيَا وَارْتِقَابٍ ، وَنَضْرَةٍ
فِي عُودِهِ لِمَاءِ الشَّبَابِ ، فَكَأَنَّهُ - [رَحِمَهُ اللَّهُ] - وَقَدْ افْتَرَشَ
بَطْنَ الثَّرَى ، وَخَيَّمَ بِمَنْزِلَةِ الْبَيْلِ ، مَا اشْتَمَلَ بِظِلٍّ مِنَ الْعَيْشِ
[مَدِيدٍ ، وَلَا رَفَلٍ فِي بُرْدٍ مِنَ الْأَمَلِ جَدِيدٍ ؛ وَمَا أَوْشَكَ لِحَاقِ
الْبَطَاءِ بِالْعِجَالِ] وَأَسْرَعَ طَيَّ اللَّيَالِي لِصُحُفِ الْأَجَالِ^٢ [١٤٥ ب]
فَأَفْ لِدَهْرٍ لَا يَزَالُ يَسْتَرْجِعُ مُعَارَهُ ، وَيَشُنُّ مُغَارَهُ ، وَيَقْوُضُ
مَا بَنَى ، وَيَنْقُضُ مَا سَنَى [وَمَا خَيْرُ دُنْيَا أَرَى كُلَّ يَوْمٍ ثَوْبَهَا
يُطْوَى ، وَوَجْهَهَا يُزَوَّى ، وَسِهَامَ الْأَمَلِ فِيهَا تُشْوِي ، وَنُجُومَ
الْإِخْوَانِ^٣ بِهَا تَتَكَدَّرُ فَتَهْوِي] وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَمْسَحَ عَنِ الْعَيْنِ
سِنَةَ الْكَرَى ، وَيَسْرِي بِنَا فَنَحْمَدَ عِنْدَ الصَّبَاحِ السَّرَى ، وَيَرْغَبَ
بِنَا عَمَّنْ تَنَاقَلَ فَأَلْقَى رَحْلَهُ وَحَطَّ ، وَنَامَ لَيْلَهُ فَعَطَّ .

٢٠ - وفي فصل :

وَمَا تَذَكَّرْتُ عَطَلَ نَحْرِ الزَّمَانِ ، مِنْ قَلَائِدِ الْإِخْوَانِ ، وَكَيْفَ
كَرَّ الدَّهْرُ فَمَحَا مُحَاسِنَ تِلْكَ الصَّحِيفَةِ ، وَطَوَى طَوَامِيرَ تِلْكَ

١ اختُضِرَ بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ : مَاتَ فَتَيًّا غَضًّا ؛ وَفِي النُّسخِ وَالْأَدْيَانِ : اخْتَضَرَ .

٢ م ب : الْأَعْمَالُ .

٣ د : الْأَحْوَالُ .

الشَّيْبِيَّةُ ، إِلَّا انْقَدَحَتْ بِصَدْرِي لَوَعَةٌ ، لو أَنَّهَا بِالْحَجَرِ لَانْفَطَرَ
فَانْفَجَرَ ، أو بالتَّجْمِ لَانْكَدَرَ فانتَثَرَ :

وما وَجَدُ أَعْرَابِيَّةً قَدَقَتْ بِهَا صُرُوفُ النَّوَى مِنْ حَيْثُ لَمْ تَكْ ظَنَنْتِ
تَمَنَّتْ أَحَالِيْبَ الرَّعَاءِ وَخَيْمَةً بِنَجْدٍ فَلَمْ يُقْدَرْ لَهَا مَا تَمَنَّتْ

بِأَعْظَمَ وَجْدًا مَنِي لَذَلِكَ الْعَصْرُ ٢ ، وقد انتَثَرَ عَقْدُ أَحْبَابِهِ
[وَأَقْفَرَ عَامِرُ جَنَابِهِ] ، وَأَنْسَلَخَ لَيْلُ شَبَابِهِ ، وَطَارَ ٣ وَأَقْبَعَ غُرَابِهِ ،
وَأَنْطَوَتْ لَهُ صَحَائِفُ أَيَّامٍ لَا تُنْشَرُ ، عَلَى سَطُورِ آثَامٍ ٤ لَا تُبْشَرُ ،
فَكَأَنَّمَا تَقْشَعُ مِنْهُ سَحَابٌ ، وَاضْمَحَلَّ بِقِيَعَتِهِ سَرَابٌ ، فَصِرْنَا
لَا نَتَلَقَى إِلَّا بِالذِّكْرِ ، وَلَا نَتَرَاءَى إِلَّا بِالْفِكْرِ .

٢١ - فصل في التهنة بالقضاء وتشية الوزارة :

بَدَأُ كَوْنِ الثَّمَرِ - [أَعَزَّكَ اللَّهُ] - زَهْرٌ ، وَأَوَّلُ مُتَوَعِ الضُّحَى
فَجْرٌ ٥ ، وَإِنَّمَا تَنْمِي الْأَشْيَاءُ عَلَى تَدْرِيجٍ وَتَرْتِيبٍ ، كَمَا نَشَأُ ٦ الْإِنْسَانُ ٧
مِنْ نُطْفَةٍ وَالِدَوْحَةٍ مِنْ قَضِيبٍ . وَمِثْلُكَ مَنْ شَهِدَتْ لَهُ مَخَايِلُ

١ البيتان في الحماسة البصرية ٢ : ١٤٣ لطارق بن نابي ، وقد ورد الأول مع أبيات أخرى
في الأغاني ٥ : ٣٢٧ - ٣٢٨ وفي مصادر أخرى ، وتنسب لأعرابي ، والشعر في ديوان
ابن الدميني : ٢٠٢ - ٢٠٣ .

٢ د : القصر .

٣ م ب : وأطار .

٤ م ب : سكون أنام .

٥ ب م : قمر .

٦ د : ينشأ .

٧ م : الأنس .

الولاية باكتمال السيادة ، واكتمال السعادة ^١ . وإنَّ القضاء ،
 وإنَّ شَرَفَ مَرْتَبَةٍ ، وَكَرُمَ مَأْثُرَةٍ [وَمَنْقَبَةٍ] ، لِيَضِيقُ عَنْ
 نَصْلِ فَضْلِكَ غِمْدُهُ ، وَيَغْرُقُ فِي بَحْرِ فَخْرِكَ مَدَّهُ ، ويزدانُ
 بِنَحْرِ مَجْدِكَ عِقْدُهُ ، وَيَبْتَهِجُ بِعِطْفِ سَرُوكَ بُرْدُهُ . فليهنه
 أَنْ تَسْرِبَلْتَ طَوْقَهُ ، وَتَحْمَلْتَ أَوْقَهُ ، وَلْيَهْتِئِ الزَّارَةُ أَنْ
 شُدَّتْ بِمِجْدِكَ عُرَاهَا ، وَتَبِطَّتْ بِنَحْرِكَ حُلَاهَا ، وَشَفَعَ لَهَا فَضْلُكَ
 فَأَصَارَ وَتَرَاهَا شَفْعًا ، وَجَمَعَ إِلَى بَصَرِهَا سَمْعًا . وَإِنْهُمَا فِي تَقَافُرِهِمَا ^٢
 لَكَ وَحُسْنُهُمَا بِكَ لَعِقْدٌ ثُنَيَّ بِعِقْدٍ ، وَعَلَمَانِ رُقِمَا فِي بُرْدٍ .
 وَإِنَّ الدِّينَ لَمْ يُشْتَدَّ بِكَ أَزْرُهُ ، فَعَيْنَانُهُ عَلَى الرَّائِضِ صَعْبٌ ،
 وَعُودُهُ عَلَى الْغَامِزِ صَلْبٌ . وَلَقَدْ كُنْتَ عَلَى تَقَارُبٍ مِنْ سِنِّكَ ،
 وَلِدُونَةٍ فِي غُصْنِكَ ، تُقَلِّبُ طَرْفَ الْجَارِحِ ^٣ ، وَتَجْرِي فِي عَيْنِ
 الْقَارِحِ ، فَضْلًا عَنْكَ ، وَقَدْ سَامَتْ اللَّيَالِي ذَاتَكَ تَجْرِيًا وَتَهْدِيًا ،
 وَقَوْمَتْ قَنَاتُكَ أَنْبُوبًا فَأَنْبُوبًا ، حَتَّى خَلَصَتْ خُلُوصَ الذَّهَبِ عَلَى
 اللَّهَبِ ، وَالْدَيْنَارِ عَلَى النَّارِ . وَإِنَّ أَفْقًا أَنْتَ بَدَرُ تَمَامِهِ لِيَنْطَحَ
 السَّمَاءَ مَنْكِبُهُ ، وَيَزْحَفَ [١٤٦] تَحْتَ رَايَةِ الْفَتْحِ وَالْقَلَجِ مَوْكِبُهُ ،
 فَلَا عَرِيَّ الْفَضْلِ مِنْ ظِلِّكَ ، وَلَا حَطَّ رِكَابُهُ الشُّكْرَ إِلَّا فِي مَحَلِّكَ ،
 وَلَا زِلْتَ تَتَقَلَّدُ الْحَمْدَ عِقْدًا ، وَتَلْبَسُ السَّعْدَ بُرْدًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ^٤ .

١ د : باكتمال السيادة والسعادة ؛ م ب : باكمال السيادة واكتمال السعادة .

٢ م ب : تقاصرهما .

٣ م ب : الجامع .

٤ د : خلوص الذهب النضار والدينار . . .

٥ م ب : مركب .

٦ د : . . .

٢٢ - فصل ١ : انَّ مَنْ شَهِدَهُ - أَدَامَ اللهَ رَفَعَتَهُ - يَشْهَدُ
القَمَرَ مُنِيرًا ، والسحابَ مَطِيرًا ، والماءَ نَمِيرًا ، والروضَ نَضِيرًا ؛ ولاذ به
فوجد الكهفَ مُنِيعًا ، والشَّرفَ رَفِيعًا ، والمرادَ مَرِيعًا ، والزَّمانَ رَبِيعًا ،
تعلَّقَ حَبْلَهُ قَاطِنًا دَانِيًا ، وتشوَّقَ فَضْلَهُ ظَاعِنًا نَائِيًا . ولما انتزحت الدَّارُ ،
وبَعُدَ المزارُ ، اعتضتُ بالكتابِ من الركابِ ، وإن لم يَنْسُبِ الطلُّ عن
الوَبْلِ ، وإني بحيثُ أَقمتُ أو خيَّمتُ لخادمِ مُلكٍ خاتمك ، طوعاً لديك ،
وجرياً على رَسْمِكَ وَحَدِّكَ ، لا زلتَ نظامَ الحمدِ ، وقَوَّامَ الفضلِ والمجدِ .

٢٣ - فصل : وما هو رهينُ قَيْدِ القبرِ ، سَلِيبُ ثوبِ اليُسْرِ ،
قد زَحَزَحَهُ الدَّهْرُ عن بَلَدِهِ وولده ، وأبانه مرتفقاً على يده ، مطويّاً
على كَمَدِهِ ، يطولُ عليه اللَّيْلُ وهو قصيرُ ، وَيُظْلَمُ عليه الصُّبْحُ وهو
بصيرُ ، والأجرُ نعم ما لَزَّهُ قَرَنُ ، وخيرُ الاطواقِ في الأعناقِ بيضُ الأيادي
والمننِ .

٢٤ - وفي فصل من تغزية :

وعند اللهِ يُحْتَسَبُ ذلكَ الفقيدُ الشَّهيدُ . قَمَرُ فَضْلٍ سارٍ
إلى سِرَارِهِ ، ووُسْطَى عِقْدِ إِخْوَانٍ ٢ أَخَذَ في انْتِثارِهِ ، وَمِصْبَاحُ
أَمَلٍ عَجَلٍ بانْطِفَائِهِ ، وصباحُ جَدَلٍ أَسْرَعَ في انْطِوَاءِهِ . فَتَقَبُّحاً
لِدُنْيَا قَصَفَتَهُ أَنْضَرَ ما كانَ غُصْنًا ، وَكَسَفَتَهُ أَقْمَرَ ما كانَ حُسْنًا ؛
وما كادَ أَنْ تَسْتَنِيرَ لِسَارِيهِ مَطَالِعُهُ ، وتمتدَّ لِرَاجِيهِ مَطَامِعُهُ ،
حَتَّى مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ الْبَدَارِ ، وَكَسَفَتَهُ عِنْدَ الْإِبْدَارِ ٣ . فإذا

١ هذا الفصل والذي يليه لم يردا في د ط س والديوان .

٢ م ب : إحسان . ٣ م ب : يد الأقدار .

تَصَوَّرْتُ مَا أَتَاهُ الدَّهْرُ مِنْ اجْتِرَامِهِ فِي اخْتِرَامِهِ ، وَأَذْهَبَهُ بِاعْتِبَاطِهِ
 مِنْ اغْتِبَاطِهِ ، وَتَأَمَّلْتُ كَيْفَ التَّقَمَّةُ^١ الْحِمَامُ ، وَاخْتَطَفْتُهُ
 الْإِيَّامُ ، وَصَارَ مَفْقُودًا ، كَانَ لَمْ يَكُنْ مَشْهُودًا ، وَمَنْشُودًا كَانَ
 لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا ، وَجَدْتُ لَذَلِكَ وَجَدًا لَا يَسَعُهُ الصَّدْرُ^٢ ، وَلَا
 يُقَاوِمُهُ الصَّبْرُ ، وَأَوَارًا لَا تَطْوِيهِ أَحْنَاءُ الضَّلُوعِ ، وَلَا تُطْفِئُهُ أَحْسَاءُ
 الدُّمُوعِ . فَكَأَنَّا وَقَدْ صَارَ حَبْلُ حَيَاتِهِ إِلَى بَتَات ، وَسَلَكُ مُوَاخَاتِهِ
 إِلَى شَتَاتٍ [لَمْ نَسْتَبْقِ يَوْمًا فِي مَيْدَانِ الصَّبَا ، وَلَمْ تَهَبْ بِنَا جَنُوبٌ
 وَصَبَا ، وَكَأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا انْقَضَى فَمَضَى ، خَيَالٌ أَلَمَ ثُمَّ تَوَلَّى ،
 وَغَمَامٌ أَظْلَمَ ثُمَّ تَجَلَّى] .

٢٥ - وفي فصل من أخرى^٣ :

مَحَارُ الْفَتَى شَيْخُوخَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ وَمَرْجُوعٌ وَهَاجِرُ الْمَصَابِيحِ رِمْدٌ^٤ ،
 أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارٌ كُونُ وَفَسَادُ ، وَسَوْقُ نَفَاقٍ وَكَسَادُ ، وَالْعَمْرُ بِالْإِنْسَانِ
 مُضْطَرَّبُ ، وَالْمَرْءُ مَوْجٌ مَعَ الْإِيَّامِ مُنْقَلَبُ ، وَإِنْ لِلشَّبِيبةِ صَبُوءَةٌ ، وَلِلْحَدَاثَةِ
 هَفُوءَةٌ ، وَقُصَارَى الطَّيْشِ رَكَانَةٌ وَوَقَارُ ، وَأَوَّلُ قَرْحِ الْخَيْلِ الْمَعَارُ ، وَلَمْ أَرِ
 [١٤٦ ب] كَالشَّبَابِ مَطِيَّةً لِلْجَهْلِ ، وَلَا كَالْمَشْيِ فُتْنَةً لِلْعَقْلِ :

وَأَنْ نَهَارَ الْمَرْءِ أَهْدَى لِرُشْدِهِ وَلَكِنْ ظِلُّ اللَّيْلِ أُنْدَى وَأَبْرَدُ ،
 فَإِنْ يَكُنِ الصَّبَا حَلِيَّةً تَرَوُعُ ، فَإِنَّ الْكَبَرَةَ عَطْلَةٌ أَوْ إِمْرَةٌ تَرُوقُ :
 صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَاهُ قَالِ لِلْبَاطِلِ ابْعُدْ^٥

١ م ب : التهمة . ٢ م دب : الدهر .

٣ هذا الفصل وما بعده (٢٥ - ٣٢) لم ترد في ط د س والديوان .

٤ لابن الرومي ، ديوانه : ٥٨٧ ، ٥٨٦ .

٥ البيت لدريد بن الصمة ، الأصمعيات : ١١٤ .

٢٦ - فصل : ها أنتم - أيّدكم الله - قد أظلمتكم الدولة الميمونة ، ووافتكم الإمرة المأمونة ، ولطالما وردتنا تسيرُ بها الرفاق ، فتطلّعتُ إليها النفوس وامتدت الأعناق ، وهذه كتائبُ النصر قد طلعت عليكم بشائرُ صباحها ، وأظلمتكم قادمةُ جناحها ، وإنَّ من ناصبها فحاول أن يدفعَ في صدرِها ، ويقصرَ من تطاولِ عِنانها عن شأنها :

كناطحِ صخرةً يوماً ليفلقها فلم يَضِرْها وأوهى قرْنه الوعل^١ هيهات ! توخى من الفلك ألاّ يستدير ، وابتغى من الشمس ألاّ تستنير ، واعترض في مطلع الليل يأمل ألاّ يُظِلّ ، ونصب راحته تلقاء الفجر يحاول ألاّ يُطِلّ .

٢٧ - وله من كتاب جابوب به العدو : فتخيّل حالك وقد أحاطت بك تلك الأجنادُ المتكاثفة ، والأعدادُ المترادفة ، بحرّ متلاطمٌ موجه ، بعيدٌ ساحله ، يرتمي من رعاله ، وكراديس أبطاله ، بموج لُجْجِيٍّ ، قد نُشِلَتْ عليه مضاعفة الأرزاد ، بدل الأرزاد ، فيغشاك منه ما يعيد بحرك وشلا ، وعزملك فشلا ، ويعيدُ بأسك خوراً ، فلا تزال غريقَ تلك البحار ، وحريقَ تلك النار ، ولو صدّقت في حال طيرك لأنبأتك أن جدّك ناب ، وحدك كاب ، وأنك عمّا قريب قد جدلت فقللت ، وأسلمت فاصطلمت ، وكأني بك في القيد ، ووثاق القيد ، قد خُيرت بين اثنين : إما أن تُسلم فتسلم ، أو تُشرك فتهلك ، ولم يكن الله عز وجل ليهديك سبيل من تاب وأتاب ، فيجمع لك بين العيْث في أمته ، والمنقلب إلى رحمته .

٢٨ - وفي فصل من أخرى : انه تأكد بإلحاح العدو على فلانة ما لم

١ البيت للأعشى ، ديوانه : ٤٦ .

تنفكَّ معه من مُغارِه ، واصطلاء ناره ، مع تداني داره ، واقتراب جواره ،
فما من غُدُوٍّ ، إلَّاَّ ومعه طلوعُ عدُوٍّ ، وما من رواح ، إلَّاَّ ومعه وقوعُ
اجتياح ، ولما علم اللعين من أخلاقها ما علم ، دنا فتدلى ، وكان قابَ
قوسين أو أدنى .

٢٩ - وله من أخرى : إن كان التنازع - أعزَّكَ الله - لم يمتدَّ بيننا
فيه يدٌ للتصافح [١٤٧ أ] إلَّاَّ من الجوانح ، ولا قام خطيبٌ للقرب ،
إلَّاَّ في نأي القلب ، ولا نطقَ لسان الودِّ ، إلَّاَّ دون سِتْرَ البعد ، ولا لمع
برقٌ للاستطلاع ، إلَّاَّ في حُجُبِ السماع ، فلا غرو أن يُعربَ ذلك النطق ،
ويستطيرَ ذلك البرق ، فقد تقوم البصيرة مقام البصر ، وتكون الأمانة أحلى
من الظفر ، وما أتتسمُّ دائباً من ثنائك العاطر ، وأرتعُ فيه سمعي من صفة
خلقك الظاهر الطاهر ، قمين أن يكون للمداخلة سبباً ، وخليقٌ أن يكشف
عن وجه المراسلة حججاً .

٣٠ - ومن أخرى : مثل الأمير - ممَّنِ المجدُّ من أعداده ، والبأس
من أجناده ، والفهم من طلائعه ، والحلم من طبائعه ، والكرم من حلاه ،
والشدد من علاه ، والعزم من خدمه ، والحزم من شيمه ، والإقدام والإكرام
والإنعام من صفاته ، والرياسة والنفاسة والسياسة من سماته ، والفضل من
أخلاقه ، والشرف من أعراقه ، والمحامد من أرديته ، والنصرُ معقود بألويته -
جديرٌ أن يُلبَّ نحوه الآمال ذوائبها ، وتحقيق أن تُعمل إليه الآمال ركائبها .

وما كنتُ - أيدك الله - كما ابتسم الصارم الذكّر ، وحللت كما وافى
النسيمُ ، فليكن لي همّة بالكون في جنابك ، وتحت ممطر سحابك ،
وأنا أريد أن يزيد أوضاحي امتداداً ، ويقدح من تنبيه زناداً ،
بأن يحميني بسلامة أحيي به معالم شرفي ، وأباهي بمحاسنه فارط سلفي ،

وَالْتَحِيفُ مِنْهُ رِداءُ العروس ، وَأَشْتَمِلُ مِنْ تَنْوِيهِهِ حُلَى الطاووس .

٣١ - ومن أخرى : ومن أَبْقاه الله كارعاً من القسم في حوض لا يَحْلُلُ الزمان نَميره ، ولا يَغْدِر الصفاء غديره ، راتعاً من النعم في روض تساجل النجومَ أَزهاره ، ويمجّ ندى السرور جَشْجاشُهُ وعرارُهُ ؛ كَتَبْتَهُ وودّي صدق الصَّفَاةِ ، نَبِيَّ القَنَاةِ ، لا يَهْزُهُ معَ تراخي العهد رِيحُ انْخِرافِ ، ولا يَرْضُهُ من الغضِّ غَضٌّ ثَقافٌ ؛ بعد أن وردني كتابك الأثيرُ يَدْهَلُ بنتائج طبعك الباهر ، وينثُ بعرف نفسك العاطر ، ويُعْجِزُ ببدیع نظامه فيؤنس ، ويُطْمَعُ بمطبوع كلامه فينفس ، فما حديقةٌ تَفْقاً فوقها القلع ، وشكلت عليها الرياح الأربع ، ديمةٌ يصلصل الرعدُ في أرجائها ، ويضحك البرقُ خلال بكائها ، أَلْطَطْتُ تَدْفِئُهَا بأدمع مشوق ، حتّى كسّتها لبسة معشوق . . . ١

٣٢ - فصل :

يُقاسُ المرءُ بالمرءِ إذا ما المرءُ ماشاهُ

وفي الشيء من الشيء علاماتٌ وأشباهُ [١٤٧ ب]

ما أنتَ والعترة الفلانية ؟ إنما هم أجناس ، كلهم أنجاس ، إلاّ الشاذ فيهم ، والنادر منهم ، وقليل ما هم ؛ وأما فلان منهم :

فهو الحبيثُ عَيْنُهُ فِرارُهُ

أُطْلِسُ يُخْفِي شَخْصَهُ غِبارُهُ في شِدْقِهِ شَفَرَتُهُ ونارُهُ

ما شَبَّ حتّى سَبَّ ، ولا نَفَثَ حتّى رَفَثَ ، ولا زُرَّ له جيبٌ إلاّ على عيب ، ولا نِيَطَتْ به تَمِيمةٌ إلاّ على نَمِيمة ، فهو إذا حضر أذن وعي ، وعين رعي ، وبظهر الغيب إنسان ظنة ، ولسان غيبةٍ ، لا يشتمل ثوبه إلاّ على شخص

١ كذا ورد غير تام .

نقص ، وجسد حسد، لا يهدأ شره ، ولا يُطفأ شراره ، ولا يغرنك لينُ
 أعطافه ، ولُدونةُ كلمته، فإن الحية لينة الملمس ، لَدُنَّةُ المجسّ ، فإن
 لحظته — عافاك الله — فلحظاً شزرأ ، أو جاذبته الحديث فقليلأ نزرأ ،
 * كما يمسّ بظهر الحية الفرق *

وانه ليحضر النديّ فيحفظ ما يلفظ، ويلتقط ما يسقط، فهو كاتب الشمال ،
 غير أنه إن مرّت به في صحيفة ذكرك حسنة سامها بشراً ، أو عثر بسيئة
 كتبها عَشْراً ، لا يعنى إلاّ بعرض غرض ، فاستعد بالله من شيطانه ، وتوقّ
 من موبقات أشطانه .

وهذه أيضاً جملة من شعره في اوصاف شتى

له من قصيدة يمدح بعض أهل الدولة لنهوضه بما يعنّ من أوطاره^١ :

وأسري فأستصفي من السيف صاحباً وأركبُ من ظَهْرِ الدُّجْنَةِ أدهما
 وأصدعُ أحشاءَ الظّلامِ بفتيةٍ تُوأكبُ مِنْهُمْ أنجمُ الليلِ أنجُما
 أذعْتُ بهم سِرَّ الصّباحِ وإنما سررتُ^٢ بهم ليلَ السّرى فبستما
 وقد كتمتْهُمْ أضلعُ البيدِ ضينةً ولم يكُ سِرُّ المجدِ إلاّ ليُكتما
 فبتنا وبجرُ اللَّيلِ مُلتطِمْ بنا نرى العيسَ غرقى والكواكبَ عوماً
 وقد وتّرتُ منها قسيّاً يدُ السّرى وفوقَ منا فوقها المجدُ أسهما

وهذا المعنى قد نبهنا عليه . [ومنها] :

وما هاجني إلاّ تألّقُ بارقٍ لبستُ به بُردَ الدُّجْنَةِ مُعلما

١ انفردت د فأوردت القصيدة كاملة كما هي في الديوان ، غير ان اتفاق ط س مع النسختين ب م يدل على أن هذا من عمل الناسخ ، ولذلك لم أثبت القصيدة حسبما جاءت في د .

٢ م : سردت .

تَلَوَى هُدُوءًا يَسْتَطِيرُ كَأَنَّمَا
فِيَا رَبَّ وَضَّاحِ الْحَاسِنِ أَشْقَرِ
وَبَحْرِ حَدِيدٍ قَدْ تَلَاظَمَ أَخْضَرِ
أَبَى عَزُّ نَفْسٍ أَنْ يَجُولَ فَيُجْتَلَى
جَرَى الْحُسْنُ مَاءً فَوْقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ
وَأَقْصَى مُنَى الْكَفِّ الْحَضْبِ لَوَأْتِي
ومن المدح أيضاً :

أُرُوعُ بِهِ فِي سُدْفَةِ اللَّيْلِ أَرْقَمَا
رَمِيتُ بِهِ الْهَيْجَا وَقَدْ فَعَّرَتْ فَمَا [١٤٨أ]
إِذَا عَصَفَتْ رِيحُ الْحَيَادِ بِهِ طَمَى
وِإِشْرَافُ هَادٍ أَنْ يُنَالَ فَيُلْجَمَا
إِذَا مَا جَرَى نَارُ الْغَضَا مُتَضَرَّمَا
وَصَلَتْ بِهَا ذَاكَ الْمُهَنْدَ مِعْصَمَا

فَبِينَا تَرَى رَضْوَى وَقَارَ جَزَالَةٍ
[تَبَيَّتُ تَرَى الشُّعْرَى جَلَالَةَ هِمَّةٍ
خِلَالٌ كَمَا مَرَّ الْغَمَامُ بِتَلْعَةٍ
وَقَلْدَ نَحْرِ الرُّوضِ عِقْدًا مُفْصَلًا
ومنها] :

فَشَاهَدْتُ مِنْهُ صَامِتًا مُتَكَلِّمًا
فَأَسْدَى يَدَ النِّعْمَى وَزَادَ عَنِ الْحَمَى
لَكَانَ عَلَى حُكْمِ السِّيَادَةِ ٢ لَهَذَا

وَقَدْ أَفْصَحَتْ أَعْطَافُهُ عَنْ سِيَادَةٍ
وَطَالَ رِجَالُ الْحَيِّ طَوْلًا وَنَجْدَةً
فَلَوْ وَصَلُوا يَوْمًا كَعُوبًا لِأَسْمَرٍ
وله من أخرى :

أَمْ قَلْبُ صَبٍّ قَدْ هَفَا مُرْتَاعُ
فَاتَتْ بِهِ كَفٌّ لَهُ وَذِرَاعُ

أَوْ مَيْضُ بَرْقٍ مَا سَرَى لَمَاعُ
جَلْدَ الدُّجَى وَهَنَا بِأَبْيَضٍ صَارِمِ

١ س : غدا .

٢ الديوان : السلامة .

سَايَرْتُهُ فِي حَيْثُ يَحْمِلُ لَأْمَتِي
 فِي ١ لَيْلَةٍ لِلرَّعْدِ فِيهَا صَرْخَةٌ
 خَلَعْتُ عَلَىٰ بِهَا رِدَاءَ غَمَامَةٍ
 وَالصُّبْحُ قَدْ صَدَعَ الظَّلَامَ كَأَنَّهُ
 فَرَقَلْتُ فِي سَمَلِ الدُّجَى وَكَأَنَّمَا
 وَدَعْتُ فِي صَدْرِ الرَّدَى عَنْ مَطْلَبٍ
 وَقَبَضْتُ ذَيْلِي عَنْ رِعَايَةِ مَعْشَرٍ
 يَرْمُونَ أَعْطَافِي بِنَظَرَةٍ لِحَنَةٍ
 أَفْرَغْتُ مِنْ كَلِمِي ٤ عَلَى أَكْبَادِهِمْ

وله من أخرى :

ومفازة لا نجمَ في ظِلْمَائِهَا
 تَتَلَهَّبُ الشَّعْرَى بِهَا فَكَأَنَّهَا
 تَرْمِي بِي ٥ الْغِيْطَانُ فِيهَا وَالرُّبَى
 وَالْقُطْبُ مُلْتَزِمٌ لِمَرْكَزِهِ بِهَا
 قَدْ لَفَّتِي فِيهَا الظَّلَامُ وَطَافَ بِي ٦
 طَرَّاقُ سَاحَاتِ الدِّيَارِ مُغَاوِرٌ

أَسَدٌ وَيَلْوِي مَعْطَفِيهِ شُجَاعُ
 لَا تُسْتَطَابُ وَلِلْحَيَا ١ لَيْقَاعُ
 رِيحٌ تَهْلِهْلُهُ هُنَاكَ صِنَاعُ
 وَجْهٌ وَضِيءٌ شَفَّ عَنْهُ قِنَاعُ
 قَزَعُ ٢ السَّحَابِ بِجَانِبِيهِ رِقَاعُ
 بَيْنِي وَبَيْنَ الدَّهْرِ فِيهِ قِرَاعُ ٣
 عُوجُ الطَّبَاعِ كَأَنَّهُمْ أَضْلَاعُ
 وَقَدَّتْ كَمَا تُدْكِ الْعُيُونُ سِبَاعُ
 قِطْرًا لَهُ أَسْمَاعُهُمْ ٤ أَقْمَاعُ [١٤٨ب]

يَسْرِي وَلَا فَلَكَ بِهَا دَوَّارُ
 فِي كَفِّ زَنْجِي الدُّجَى دِينَارُ
 دَوْلَا ٥ كَمَا يَتَمَوَّجُ التِّيَّارُ
 فَكَأَنَّهُ فِي سَاحَةِ مِسمَارِ
 ذِئْبٌ يُلِمُّ ٦ مَعَ الدُّجَى زَوَّارُ
 خَتَّالُ أَبْنَاءِ السَّرَى غَدَّارُ

١ ط د س والديوان : من .

٢ س : وقع .

٣ م ب : نزاع .

٤ س : كيدي .

٥ م ب ط د س : بها .

٦ س : وضافني .

يسري وقد نضح الندى وجه الصبا
 فعشوت في ظلماء لم يُقذح بها
 ورقلت في خلع علي من الدجى
 والليل يُقصر خطوه ولربما
 قد شاب من طوق المجرة مفرق
 فيها ومن خط الهلال عذار
 في فروة قد مسها اقشعرار
 إلا لمقلته وبأسي نار
 عقيدت لها من أنجم أزرار
 طالت ليالي الركب وهي قِصار

وكان له صديق قد نشأ معه ، فكانا بحيث لا يُريان ينفصلان ، كأنهما
 الدهر فرقدان ، فاخترمه الأجل إثر وفاة جملة من الإخوان ، فقال يتفجع
 ويتوجع :

شراب الأمان لو علمت^٢ سراب
 وهل مَهْجَةُ الإنسان إلا طريدة^١
 تحب^٣ بها من كل يوم ليلة
 وكيف يغيض الدمع أو يبرد الحشا
 أقلب طريقي لا أرى غير لَيْلَةٍ
 كأني وقد طار الصبح حمامة^٤
 وعُتْبِي اللَّيَالِي لو فَهَيْتَ عتاب
 تحوم عليها للحِمام عُقاب
 مطايا إلى دار البلى وركاب
 وقد باد أقران وفات شباب
 وقد حطَّ عن وجه الصبح نقاب
 يمد جناحيه علي غراب^٥

[ومنها] :

دعا بهم داعي الردى فكأنما
 فيها هم وسلم الدهر حرب كأنما
 تبارت بهم خيل هناك عراب
 جثا بهم^٥ طعن له وضراب

١ س : يتوجع ويتفجع .

٢ ب : عرفت .

٣ ب م : يحث ؛ س : يحب .

٤ س : السحاب ، وخ بهامشها : الصباح .

٥ ب م ط د س : جثا بهم .

هُجُودٌ وَلَا غَيْرَ التَّرَابِ حَشِيَّةٌ
فَلَسْتُ بِنَاسِي صَاحِبٍ مِنْ رَبِيعَةٍ
وَمِمَّا شَجَانِي أَنْ قَضَى حَتْفَ أَنْفِهِ
وَأَنَا تَجَارِينَا ثَلَاثِينَ حِقْبَةً^١
كَأَنَّمْ نَبْتُ فِي مَنْزِلِ الْقَصْفِ لَيْلَةً
إِذَا قَامَ مِنَّا قَائِمٌ هَزَزَ عَظْفَهُ
وَلَمَّا تَرَاءَتْ لِلْمَشِيبِ بُرَيْقَةً^٢
نَهَضْنَا بِأَعْبَاءِ اللَّيَالِي جَزَالَةً
فِيَا ظَاعِنًا قَدْ حُطَّ مِنْ سَاحَةِ الْبَلَى
كَفَى حَزَنًا أَنْ لَمْ يَرْدُنِي^٣ عَلَى النُّوَى
وَأَنِّي إِذَا يَمَمْتُ قَبْرَكَ زَائِرًا
وَلَوْ أَنَّ حَيًّا كَانَ حَاوِرًا^٤ مَيِّتًا
وَأَعْرَبَ عَمَّا عِنْدَهُ مِنْ جَلِيَّةٍ
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى فِي قَاضِي الْقَضَاةِ أَبِي أُمِيَّةَ بْنِ عَصَامٍ^٥ :

- ١ الديوان : حجة .
٢ م ب ط د س : فمات .
٣ ط : نصاب ؛ م ب : نصاب .
٤ ب م ط د س : بها .
٥ س : يزرني ، وخ في الهامش : يردني .
٦ ط د : إليه .
٧ ب م ط د س : جاور .
٨ هو أبو أمية إبراهيم بن عصام (٥١٦) ، انظر ترجمته في القلائد : ٢٠٣ ومجمع أصحاب الصدف : ٥٦ والمغرب : ١ و٢٥٨ والخريدة : ٣ : ٤٨٦ (ط . تونس) .

وَأَخْضَرَ عَجَاجٍ تُدْرِجُهُ الصَّبَا
كَأَنَّ فُؤَاداً بَيْنَ جَنِينِهِ رَاجِفاً
سَأَرَ كَبُّ مِنْهُ ظَهَرَ أَدْهَمَ رَيْتُضٍ
وَأَمْضَى فِإِمَّا بَيْتُ نَفْسٍ كَرِيمَةٍ
فَتَتَّهَمُ فِيهِ الْعَيْنُ طَوْرًا وَتَنْجَدُ
يَقُومُ بِهِ نَائِي الدِّيارِ وَيَقْعُدُ
مَرْزُوعٍ بِسُوطِ الرِّيحِ يَجْرِي فَيَزِيدُ
يُهْدَى وَإِمَّا بَيْتُ عَزٍّ يُشِيدُ
نَبْهَهُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى امْرُؤُ الْقَيْسِ بِقَوْلِهِ : [« نَحَاوِلُ مَلَكًا أَوْ نَمُوتُ فَنَعْذِرَا » ؛
وَمِنْ مَدَحِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ] :

فَلَا يَغْتَرِرُ بِالْحُلُمِ قَوْمٌ فَرُبَّمَا
وَلَا يَكْفُرُوا نَعْمَى الْغَمَامِ فَرُبَّمَا
فَقَصْرُ أُنَاةِ الْحُلُمِ عَصَّةٌ سَطَوَةٌ
فَمَنْ دَهَشَ يُلْذِنِي خُطَاهُ كَأَنَّهُ
وَمَنْ لَا ثَمَّ أَرْضَ الْخُضُوعِ كَأَنَّهُ
تَصَدَّعَ عَنْ سَقَطٍ مِنَ النَّارِ جَلَمَدٌ
تَدَلَّتْ عَلَيْهِمْ صَعْقَةٌ^١ تَتَوَقَّدُ
تُقِيمُ صِغَا تِلْكَ الْقَنَا وَتُسَدُّ
وَقَدْ هَالَهُ وَطْءُ الْبِسَاطِ مُقَيَّدُ
سَجُودِ أَعْلِيهَا لِلْمَهَابَةِ^٢ هَدَّهْدُ [١٤٩ ب]
وَمِنْهَا :

أَمَّا وَصْرَاطُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ لِلْهُدَى
[وَأَلْفَ أَشْتَاتِ الْفَضَائِلِ أَرْوَعٌ]
وَدَارَ بِهِ فِي مُقْلَةٍ الْمَجْدِ نَازِرٌ
وَسَارَ مَسِيرَ النُّجُومِ هَدِيًّا وَرَفْعَةً
تَدِيرُ الْمَعَالِي كُلَّمَا خَطَّ رَقْعَةً
تَبَرَّعَ لَمْ يَلْجَأْ إِلَى الْوَعْدِ ضَنْةً
لَهُ شِمَّةٌ تَنْدَى فَتَشْفِي مِنَ الصَّدَى
لَقَدْ شَادَ أَرْكَانَ الْعِلْمِ مِنْهُ سَيِّدُ
وَقَامَ بِأَعْبَاءِ الْمَكَارِمِ أَيْدُ [
وَأَشْرَفَ فِي حَلِيِّ الْمَسَاعِي مُقْلَدُ
فَغَارَ بِهِ رَأْيٌ وَأَنْجَدَ سُودَدُ
عَيُونًا لَهَا مِنْ حَالِكِ النَّفْسِ لِأَمْدِ
وَعَاقِبَ لَمْ يَقْعُدْهُ ضَعْفٌ فَيُوعَدُ
وَتَنْقَعُ أَحْشَاءَ الْمَجِيرِ فَيَبْرُدُ

١ ب م : ساقية .

٢ د ط س والديوان : كلما هاب .

فمن حُرِّ نِيلٍ قَدْ أَفَاضَتْهُ هَمَّةٌ
وقول له في مَقْعَدِ الحُكْمِ حِكْمَةٌ
وحلم له دُونَ الدِّيَانَةِ سَوْرَةٌ
[وما السيف لولا الخوف إلاَّ حديدة]
فساح به في رأس نُهْلانٍ مُورِدٍ
يَحُلُّ بها في الله طَوْرًا وَيَعْقِدُ
تُقْنِمٌ عَلَى جَمْرِ الْعِقَابِ وَتَقْعِدُ
وما الرمح إلاَّ خُوْطَةٌ تَتَأَوَّدُ]

وقال :

وَكَامَةً حَدَرَ الصَّبَاحُ قِنَاعَهَا
في أَبْطَحٍ رَضَعَتْ ثَغُورُ أَقَاحِهِ
نَثَرَتْ بِجَجْرِ الرَّوْضِ فِيهِ يَدُ الصَّبَا
وقد ارْتَدَى غُصْنُ النَّقَا وَتَقَلَّدَتْ
فَحَلَمَتْ حَيْثُ الْمَاءُ صَفْحَةً ضَاحِكٍ
والرَّيْحُ تَنْفُضُ بَكَرَةً لَمْ الرُّبَى
مُتَقَسِّمَ الْأَلْحَاطِ بَيْنَ مَحَاسِنٍ
وَأَرَاكَةَ سَجَعٍ^١ الْهَدِيلُ بَفَرْعِهَا
هَزَّتْ لَهُ أَعْطَافَهَا وَلَرُبَّمَا
عن صَفْحَةٍ تَنْدَى مِنْ الْأَزْهَارِ
أَخْلَافَ كُلِّ غَمَامَةٍ مَدْرَارٍ
دُرَّرَ النَّدَى وَدَرَاهِمُ النُّوَّارِ
حَلَّى الْحَبَابِ سَوَافٍ الْأَنْهَارِ
جَدَلٌ وَحَيْثُ الشَّطُّ بَدَأُ عَذَارِ
وَالطَّلُّ يَنْضَحُ أَوْجُهُ الْأَشْجَارِ
مِنْ رَدْفِ رَابِيَةٍ وَخَصَرٍ قَرَارِ
وَالصُّبْحُ يُسْفِرُ^٢ عَنْ جَبِينِ نَهَارِ
خَلَعَتْ عَلَيْهِ مَلَاءَةَ النُّوَّارِ

وقال في فتي نبيل حسن الصورة والصوت [يستعين به في أمر طواه
لعله] :

فَقَبِّلْتُ رَسْمَ الدَّارِ حُبًّا لِأَهْلِهَا
وَحَنَنْتُ قُلُوصِي وَالْهَوَى يَبْعَثُ الْهَوَى
فَهَا أَنَا وَالظُّلَمَاءُ وَالْعَيْسُ صُحْبَةٌ
وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً سَعَى^٢ فَتِيمًا
فَلَمْ أَرَ فِي تَيْمَاءَ إِلَّا مُتَيْمًا
تَرَامَى بِنَا أَيْدِي النَّوَى كُلَّ مَرْتَمَى

١ ب م : سمع ؛ د : سجد .

٢ د ط والديوان : إلا صعيداً تيمماً .

أَرَا عِي نَجُومَ اللَّيْلِ حُبًّا لِبَدْرِهٖ ١ وَلَسْتُ كَمَا ظَنَّ الْخَلِيَّ مِنْجَمًا [١٥٠] أ

منها :

تري يوسفًا في ثوبه حُسنَ صورة وتسمعُ داوداً به مترنماً
تقلدَ منه عاتقُ الملك مرهفًا إذا ما نبا العضبُ المهند صمماً

ومنها في التعريض بأمر طواه ٢ :

وربَّ معمًى قد تعاطيتُ فكبهُ فأرقني حتى الصباح وهو ما
أقلبُ منه ناظري في غيابة ٣ لو اعترضتُ دون الصباح لأظلمنا
ولو مثلتُ تحت العجاجة ثغرةً لأطرتُ؛ فيها السمهي المقوما
هزرتُ لها عطفَ الوزير وإنما هزرتُ على هادٍ حساماً مصمماً
وغيرَ بعيد أن أنال بك السها سمواً إذا كان اعتناؤك سلماً
وها أنا إن تمرض بأرضك حاجة فقد جئتُ ألقى منك عيسى بن مريما
وله من أخرى :

سقياً ليومٍ قد أنختُ بسرحةٍ ريتُ تُلَاعِبُهَا الرِّيحُ فتلعبُ
سكري يُغْنِيهَا الحَمَامُ فَتَتَشَنَّى طرباً وَيَسْقِيهَا الغمامُ فتشرب
نلَّهُوهُ فَتُزْفَعُ للشَّيْبَةِ رَايةً فيه ويطلع للبهارة كوكب ٦

١ ب م : لبدرها .

٢ ب م : بأمر هواه .

٣ س : غيابة .

٤ الديوان : لأطردت .

٥ ب م : تلهو .

٦ الديوان : ويسرج للتصابي مركب .

والرَّوضُ وَجْهٌ أَزْهَرُ وَالظَّلُّ فَرْجٌ
 فِي حَيْثُ أَطْرَبْنَا الْحَمَامُ عَشِيَّةً^١
 وَاهْتَزَّ عَطْفُ الْغَصَنِ مِنْ طَرَبٍ بِنَا
 فَكَأَنَّهُ وَالْحَسَنُ مَقْتَرَنٌ بِهِ^٢
 فِي فِتْيَةٍ تَسْرِي فَيَنْصَدِعُ الدُّجَى
 كَرُمُوا فَلَا غَيْثُ السَّمَاحَةِ مَخْلَفٌ
 مِنْ كُلِّ أَزْهَرٍ لِلنَّعِيمِ بَوَاجْهٍ
 عٌ أَسْوَدٌ وَالْمَاءُ ثَغَرٌ أَشْنَبُ
 فَشَدَا يُغْنِيْنَا الْحَمَامُ الْمُطْرِبُ
 وَافْتَرَّ عَنْ ثَغْرِ الْهَلَالِ الْمَغْرِبُ
 طَوَّقٌ عَلَى بُرْدِ الْغَمَامَةِ مُذْهَبُ
 عَنْهَا وَتَنْزِلُ بِالْجَدِيبِ فَيُخْصَبُ
 يَوْمًا وَلَا بَرَقُ اللَّطَافَةِ خُلْبُ
 مَاءٌ يَرْقِرُهُ الشَّبَابُ^٣ فَيُسْكَبُ

وله من أخرى يندب الشباب ، ويتوجع لوفاة الإخوان والأتراب :

أَلَا عَرَّسَ الْإِخْوَانُ فِي سَاحَةِ الْبَلَى
 فَدَمَعُ كَمَا سَحَّ الْغَمَامُ وَلَوْعَةٌ
 إِذَا اسْتَوْقَفْتَنِي فِي الدِّيَارِ عَشِيَّةً
 أَكْرُ بِطَرْفِي فِي مَعَاهِدِ فِتْيَةٍ
 فَطَالَ وَقُوفِي بَيْنَ وَجْدٍ وَزَفَرَةٍ
 وَأَمْحُو جَمِيلَ الصَّبْرِ طَوْرًا بِعَبْرَةٍ
 [وَقَدْ دَرَسْتُ أَجْسَامَهُمْ وَدِيَارَهُمْ
 وَحَسْبِي شَجَوًّا أَنْ أَرَى الدَّارَ بَلَقْعًا
 وَمَا رَفَعُوا غَيْرَ الْقُبُورِ قَبَابًا
 كَمَا ضَرَبَتْ رِيحُ الشَّمَالِ شَهَابًا] [١٥٠ ب]
 تَلَدَّدْتُ فِيهَا جِيئَةً وَذَهَابًا
 تَكَلِّمْتُهُمْ بِيضَ الْوُجُوهِ شَبَابًا
 أَنَادِي رَسُولًا لَا تَحِيرُ جَوَابًا
 أَخْطُ بِهَا فِي صَفْحَتِي كِتَابًا
 فَلَمْ أَرَ إِلَّا أَقْبَرًا وَيَبْسَابًا
 خَلَاءَ وَأَشْلَاءَ الصَّدِيقِ تَرَابًا]

[ومن شعره في الغزل وما يتعلق به]

وَأُعِيدَ أَهْدَى نَرَجَسًا مِنْ مُحَاجِرٍ وَثْنَى فَاتِلَى سَوْسَنًا مِنْ سَوَالِفِ

١ الديوان : حيث التقى نفس الخزامى والصبا .

٢ الديوان : فكأنه والغيم ثوب أدكن .

٣ ط د س : السحاب .

تطلع مثلَ الرمحِ بَسْطَةً قامةً وفتكةَ الحاظِ ولينَ معاطفِ
وقد ماج من عطفيه ماءٌ شبيبةً تعبٌ ولا أمواجَ غيرِ الروادفِ
فقبلَ طرني في محياه مبسماً شنيباً ومن صدغيه لُعسَ مراشفِ

وقال :

ما للعدارِ وكان وجهك قبلةً قد خطَّ فيه من الدجى محراباً
فإذا الشبابُ وكان ليس بخاشعٍ قد خرَّ فيه راكمًا وأنابا
فكأنَّ وجهك وهو يخبو نورهُ لم تلتمحُ منه العيونُ شهاباً
ولقد علمتُ بكونِ ثغرك بارقاً أن سوف يزجي للعدارِ سحاباً
وأقاحةً غازلتُها نفاحه في فرعِ إسحلةٍ تميدُ شباباً
وضحتُ سوافُ جيدها سوسانةً وتوردتُ أطرافها عُناباً
بيضاءُ فاض الحسنُ ماءً فوقها وطفأ بها الدرُّ النفيسُ حباباً
غازلتها ليلاً وقد طلعتُ به شمساً وقد رقَّ الشرابُ شراباً
وترنمتُ حتى سمعتُ حمامةً حتى إذا حسرتُ زجرتُ غراباً
بين النجومِ قلادةً تحتَ الظللا م غمامةً خلفَ الصباحِ نقاباً]

وله من أخرى يصف متزهاً :

يا ربَّ وضحَ الجبينِ كأنما رَسَمُ العذارِ بصَفْحَتَيْهِ كتابُ
تُغْرِى بِطَلْعَتِهِ الْعُيُونُ مَلَاَحَةً وتبيتُ تَعشَقُ عَقْلَهُ الْأَلْبَابُ
خُلِعَتْ عَلَيْهِ مِنَ الصَّبَاحِ غِلَالَةٌ تندى ومن شَفَقِ الْمَسَاءِ نِقَابُ
فَكَرَعَتْ مِنْ مَاءِ الصَّبَا فِي مَنْهَلٍ قد شَفَّ^١ عنه مِنَ الْقَمِيصِ سَرَابُ
فِي حَيْثُ لِلرَّيْحِ الرُّخَاءِ تَنْفَسُ أَرْجُ وَلِلْمَاءِ الْفُرَاتِ عُبَابُ

[ومنها] :

وَلَرُبَّ غَضٍّ الْجِسْمِ مَرَّ يَخُوضُهُ^١
ولقد أنختُ بِشَاطِئِهِ يَهْزُنِي
وعبرتُ دِجْلَتَهُ يُضَاحِكُنِي بِهَا
تُجَلِي من الدُّنْيَا عُرُوسُ^٢ بَيْنَنَا
ثُمَّ ارْتَحَلْتُ^٣ وَلِلنَّهَارِ ذُوَابَةٌ^٤
تَلْوِي مَعَاطِفِي الصَّبَابَةِ وَالصَّبَا
سَبَحًا كَمَا شَقَّ السَّمَاءَ شَهَابُ
طَرَبًا شَبَابُ رَاقِي وَشَرَابُ
فَرَحًا حَبِيبُ شَاقِي وَحَبَابُ
حَسَنَاءُ تُرْشِفُ^٥ وَالْمُدَامُ رُضَابُ
شِيَاءُ تُخَضِّبُ^٦ وَالظَّلَامُ^٧ خَضَابُ
وَاللَّيْلُ^٨ دُونَ الْكَاشِحِينَ حَجَابُ

وقال :

مَرَّ بَنَا وَهُوَ بَدْرٌ تَمَّ^١
[قد سأل في صفحته ماء^٢]
بِقَامَةٍ تَشْتِي قَضِييًّا
[كَأَنَّهُ مَوْجَةٌ تَهَادِي^٣]
تَقْرَأُ وَاللَّيْلُ^٤ مُدْلَهَمٌ^٥
وَرُبَّ لَيْلٍ سَهَرْتُ^٦ فِيهِ
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ مَالُ سُكْرًا^٧
وَحَامَ^٨ مِنْ سُدْفَةٍ غُرَابُ^٩
ازْدَدْتُ^{١٠} مِنْ لَوْعَتِي خَبَالًا^{١١}
يَسْحَبُ^{١٢} مِنْ ذَيْلِهِ سَحَابَا^{١٣}
يَعُودُ^{١٤} مِنْ خَجَلَتِهِ^{١٥} شَرَابَا^{١٦} [
وَعُرَّةٌ تَلْتَظِي^{١٧} شَهَابَا^{١٨}
تَلْبَسُ^{١٩} مِنْ وَشِيهِ حَبَابَا^{٢٠}]
لِنُورِ^{٢١} أَخْلَاقِهِ^{٢٢} ٣ كِتَابَا^{٢٣}
أَزْجَرُ^{٢٤} مِنْ جُنْحِهِ^{٢٥} غُرَابَا^{٢٦}
وَشَقَّ^{٢٧} سِرْبَالَهُ^{٢٨} وَجَابَا^{٢٩}
طَالَتْ^{٣٠} بِهِ سَنَةٌ^{٣١} فَشَابَا^{٣٢}
فَجِئْتُ^{٣٣} مِنْ غَلَّتِي^{٣٤} سَرَابَا^{٣٥} [١٥١ أ]

١ ب م : مد الخوضه .

٢ ب م : والنهار .

٣ م ب : اجلاته .

٤ م ب : شهدت .

٥ م : شراباً .

قد شب في وجهه شعاع
 [فملت من نعمة شقاء
 وما خطا قادماً فوافي
 وبين جفني^٢ بحر شوق
 وروضة طلقة جنبياً^٣
 ينجاب عن نورها كمام^٤
 بات بها مبسم الأفاحي
 ومن خفوق البروق فيها
 كأنها أنمل وراد^٥
 وشب عن قلبي التهابا
 وذقت من رحمة عذابا^٦
 حتى انشئ ناكصاً فأبا
 يعب في وجني عابا
 غناء مخضرة جنبابا
 تنحط عن وجهه نقابا
 يرشف من طلها رضباً
 ألوية حمّرت خضباً
 تحصره قطر الحيا حساباً

هذا أحسن من قول التميمي :

كأن تألقه في السما يدا حاسب أو يدا كاتب

وقوله : « يرشف من طلها رضباً » كقول أبي محمد الصقلي^٦ :

من قبل أن ترشف شمس الضحى ريق الغواصي من ثغور الأفاح

وله من أخرى :

يا رب بدر زارني منه الهلال وقد تلتئم

١ لم يرد في س .

٢ د : جنبي .

٣ ب م : حياء .

٤ ب م : جفون .

٥ ب م : مخضر .

٦ انظر ديوان ابن حمديس : ٨٩ .

فَرَشَفْتُ فَاهُ فِي اللَّثَا مِ أَظْنَهُ كَأَسَأُ تَفْدَمَ
وَكَاثَهُ دَرَّ تَحَلَّلَ فِي شَعَاعٍ قَدْ تَجَسَّمِ
وَشَتِ الْمَلَا حَةَ وَجْهَهُ وَجَرَى الْعِذَارُ بِهِ فَأَعْلَمِ
فَقَرَأْتُ سَطَرَ زُمْرُدٍ فِيهِ بِمَسْكِ الْخَالِ مُعْجَمِ
وَكَانَ جَوْهَرَ لَفْظِهِ نَظْمٌ بِفِيهِ إِذَا تَبَسَّمَ
وَكَانَ لَوْلُو ثَغْرِهِ نَثْرٌ بِفِيهِ إِذَا تَكَلَّمَ

بيته الأولان منها أحدهما^١ من قول الرضي لفظاً بلفظ ومعنى بمعنى

ولما وقفنا بالسراة غُدِيَّةً وقوفاً لتوديع وردٍ سلامِ
تلثم مرتاباً بفضل ردائه فقلتُ هلالٌ بعد بدر تمامِ
وقبلته فوق اللثامِ فقال لي هيَ الحمرُ إلا أنها بِفِيدامِ

وقال :

يَا بَانَةً تَهْتَزُّ فِينَانَةً^٢ وَرَوْضَةً تَنْفَحُ مِعْطَارَا
كَمْ دَمْعَ عَيْنٍ بِكَ قَدْ أَجْرَيْتَ وَقَلْبَ صَبِّ فَيْكِ قَدْ طَارَا
لِلَّهِ أَعْطَا فُكَّ مِنْ خُوْطَةٍ وَحَبَّذَا نُورُكِ نُوَارَا
عَلَيْقْتُ طَرْفًا فَاتِنًا فَاتِرًا^٣ فَيْكِ وَغِرًّا مِنْكَ غَرَّارَا
وَنَابِلًا مُسْتَوِطِنًا بَابِلًا نَفَّاثَ لَحْظِ الْعَيْنِ سَحَارَا
كُنِي فَسَمِّي قَوْسَهُ حَاجِبًا رَمْزًا وَسَمِّي النِّبْلَ أَشْفَارَا
إِذَا رَنَّا يَجْرَحُنِي طَرْفُهُ لَحْظَتُهُ أَجْرَحُهُ ثَارَا

١ م ب ط د س : أحدهما .

٢ م ط س : فتانة .

٣ ب م : فاطرأ .

٤ ط د : فإن رمى .

فيصبغُ الدرَّ عَقِيقاً به وأصبغُ النّوّارَ^١ أزهارا
 [في خده^٢ من بدعِ الحسن ما يقيمُ للعشّاقِ أعدارا]
 ينشر من صفحته رقعةً ويدمجُ الاصداعَ أسطارا
 من ياقَ من لاعج وجدٍ بهِ ربحاً فقد لاقيتُ إعصارا
 يُدِيرُ للأعْيُنِ من وجهه كعبةَ حُسْنٍ حيثما دارا
 فلي به عينٌ مجوسيةٌ تعبُدُ مِن وجتهِ نارا
 [قد طُبِعَ الحسن به درهماً تسبكُ^٣ منه العينُ ديناراً]
 كأنما قد خطَّ بالمسك في خديهِ للعدّالِ أعدارا]

وهذا كقول محمد بن هاني :

صفةٌ تزيدُ بعضها في بعضها حتى غدا التوريد فيها^٥ مذهبا

وقال عبد الجليل المرسى : [١٥١ ب]

بقلبٍ كحرباءِ الظهيرة [ترتمي^٦ إلى^٧ الشمس من ذاك الشعاع تدورُ

وقال ابن خفاجة :

رَحَلْتُ عَنْكُمْ^{*} ولي فؤادُ تَنْقَضُ أضلاعُهُ حيننا

١ ط د س : الأنوار .

٢ الديوان : وجه به .

٣ ط : تسبيك .

٤ ط د س : تزندق .

٥ ب م : فيه .

٦ د : دائماً .

٧ ب م : ترى .

أَجُودُ فِيكُمْ بِعَلَقِ دَمْعٍ كُنْتُ بِهِ قَبْلَكُمْ ضَمِينَا
يَثُورُ فِي وَجْتِي جَيْشاً وَكَانَ فِي جَفْنِهِ كَمِينَا
كَأَنْتِي بَعْدَكُمْ شِمَالٌ قَدْ فَارَقَتْ مِنْكُمْ يَمِينَا

وهذا البيت من قول ابن المعتز ، ولكنه محابشرة ، وأبطل سحره ، وأنشد
البيتين ليحسن حالهما ، ويروق اتصالهما :

أَقِيمُ وَتَرْحَلُ ذَا لَا يَكُونُ لَنْ صَحَّ هَذَا سَتَدَمَى عَيُونُ
وَإِنِّي وَإِيَّاكَ مِثْلُ الْيَدَيْنِ وَلَكِنْ لَكَ الْفَضْلُ أَنْتَ الْيَمِينُ

وقال :

وليلةً طَلَقْتَ قَضَنِي مِنْ مَوْعِدٍ بِاللِّقَاءِ دَيْنَا
بَتْنَا نَجْرُ الذُّيُولَ فِيهَا^٢ وَالْحَمْرُ تَمْشِي بِنَا الْهُوَيْنَا
[يُذِيرُ أَجْفَانَ مُسْتَمِيتَ يَوْسَعُ كُلَّ الْأَنَامِ حَيْنَا]
كَالسَّيْفِ تَلْقَى الْغَرَارَ عَضْباً يَمْضِي وَتَلْقَى الْمَجْسَ لَيْنَا
أُرْسِلُ فِي رَوْضِ وَجْتِيهِ لَحْظَةً عَيْنٍ تَفِيضُ عَيْنَا
كَأَنَّمَا اللَّحْظُ كِيمِيَاءُ^٣ تَذْهَبُ مِنْ وَجْهِهِ لُجَيْنَا
وَمَا تَوَهَّمْتُ أَنْ طَرَفًا يَنْقَلِبُ عَيْنَ اللَّجَيْنِ عَيْنَا

وقال يستقصر بعض إخوانه وقد كلفه حاجة فمطله بقضائها :

أَدْعُو فَلَا تُلَوِي وَأَنْتَ قَرِيبُ وَأَشْكُو فَلَا تُشْكِي وَأَنْتَ طَيِّبُ

١ م ب : حسناً .

٢ ط د : تيهياً .

٣ م ب : تذيب .

٤ م ب : المحب .

وما كنتُ أخشى أن أراني ضاحياً
 وهل يستجيزُ المجدُّ أن أشتكي الصدى
 وكيف بمطلوبي إذا شطَّت النوى
 فهل شيبَ من تلك المصفاة مشرعٌ
 سلامٌ على عهدِ الوفاءِ مودَّعاً
 سلامٌ له فوقَ المحاجرِ بلَّةٌ
 وقد كان يسري والتنائفُ بيننا
 وتفتَّرَ من بشرٍ هنالك زهرةٌ
 وأثلُّكَ مطلولُ الفروعِ رطيب
 وأنتَ رشاءٌ مُحصَّدٌ وقلب
 وقد صمَّ من قُربِ فليس يجب
 وهيلَ على ذاك الإخاءِ كثيب
 سلامِ فراقٍ ما أقام عسيب
 وطوراً بأحناءِ الضلوعِ هيب
 فتندى به ريحٌ وينفخُ طيب
 ويهفو له من معطفٍ قضيبي [١٥٢ أ]

وقال يتغزل في أمة صفراء^٢ تسمى عفراء :

أرقتُ لذكرى منزلٍ شطَّ نازح
 فقلتُ لبرقٍ يصدعُ الليلَ لائحٌ
 وبلغَ قطينَ الدَّارِ أني أحبهمُ
 وأقرىءُ عفيراءَ السلامِ وقُلْ لها
 وهل يتشنى ذلك الغصنُ نضرةً
 ومن لي بذاك الحشفِ من متقنصٍ
 ودونَ الصبا إحدى وخمسونَ حجةً
 فيا ليت طيرَ السعدِ يسنحُ بالئني
 ويا ليتني كنتُ ابنَ عشرٍ وأربعٍ
 كلفتُ^٣ بأنفاسِ الشمالِ له شماً
 ألا حي عني ذلك الربعَ والرَّسماً
 على النأيِ حبّاً لو جزوني به جمّاً
 ألا هل أرى ذاك السَّها قمرأَ تمّاً
 يجرعا وهل ألوي معاطفه ضمّاً
 فأكله عَضّاً وأشربه لثماً
 كأني وقد وكتُ أريتُ بها حلماً
 فأحظى بها سهماً وأبأى بها قسماً
 فلم أدعُها بنتاً ولم تدعني عمّاً

١ ب م : نشر .

٢ الديوان : صغيرة .

٣ ب م : ألفت .

٤ الديوان : لامح .

وقال في لزوم ما لا يلزم :

وَنَشْوَانَ غَنَّتَهُ حَمَامَةٌ أَيْكَةً
فَهَبَ وَرِيحُ الْفَجْرِ عَاطِرَةٌ الْجَنَى
وَطَافَ بِهَا وَاللَّيْلُ قَدْ رَثَّ بَرْدُهُ
وَأَصْغَى إِلَى لَحْنٍ فَصِيحٍ يَهْزُهُ
تَهَشُّ إِلَيْهِ النَّفْسُ حَتَّى كَأَنَّهُ
عَلَى حِينِ طَرَفِ النِّجَمِ قَدْ هَمَّ أَنْ يَكْرَى
لَطِيفَةً مَسَّ الْبَرْدِ طَيْبَةً الْمَسْرَى
وَالصُّبْحُ فِي أُخْرَى الدُّجَى مِنْكَبٌ يَعْرِى
كَمَا هَزَّ نَشْرُ الرِّيحِ رِيحَانَةً سَكْرَى
عَلَى كَبَدٍ نُعْمَى فِي أَذُنٍ بُشْرَى

ومن شعره في أوصاف شتى

يَا مَادِحَ الْبَحْرِ وَهُوَ يَجْهَلُهُ
فَائِدُهُ مِثْلُ قَعْرِهِ بَعْدًا
مَهْلًا فَإِنِّي خَبَرْتُهُ عِلْمًا
وَرِزْقُهُ مِثْلُ مَا بِهِ طَعْمًا
وقال :

لَتَنْ كُنَّا رَكْبَنَا ضَلَالًا
فَأَخْرَجْنَا عَلَى^٢ الْمَرْغُوبِ مِنْهَا
فِيَا لِلَّهِ إِنَّا تَائِبُونَ
فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ
وقال :

كَمْ تُمْلَأُ الْعَيْنُ مِنْ قَذَاهَا
بَحْرٌ وَنَوْءٌ^٣ وَطُولُ هَمٍّ
وَتَشْكِي النَّفْسُ مِنْ أَذَاهَا
فَلَوْ يَدُ الْمَرْءِ وَهِيَ مِنْهُ
ثَلَاثَةٌ أَطْبَقَتْ دُجَاهَا [١٥٢ ب]
أَخْرَجَهَا لَمْ يَكْدُ يَرَاهَا
وقال في وصف عارض برّد :

١ ب م : نسر .

٢ م ب : عن .

٣ ب م : وبعد .

ألا مسخ^١ الله القطارَ حجارةً
وكانت سماءُ الله لا تمطرُ الحصى
فلما تحوّلنا عفاريتَ شِرَّةٍ
تحوّلَ شؤبوبُ الغمامِ رجوماً^٢
لياليَ كُنّا لا نطيشُ حلوماً

وقال من قصيدة :

هل أنتَ ذاكِرُ عيشةٍ سَلَفَتْ نلذُّ بها وننعمُ
أيّامَ عِقْدُ الشَّمْلِ مُنْتَظِمٌ وَحَبْلُ الوَصْلِ مُبْرَمٌ
ما بين غُصْنِ نَضَارَةٍ أَنْقِ وَبَدْرِ مَلَاةٍ تَمِ
يغدو^٣ وكافورُ الجبينِ نَدِ وَمِسْكُ الشَّعْرِ أَسْحَمِ
[لأن لم يكنْ آسُ العِذارِ بدا بِرَوْضَتِهِ فَقَدْ هَمَّ
طَفْنَا بِكَعْبَةٍ فِتْنَةٍ ؛ مِنْهُ لَنَا مِنْ فِيهِ زَمْزَمِ
وإِلَيْكِهِمَا أَحْجِيَّةٌ رَمَزَ الْقَرِيضُ بِهَا فَجَمَعَمِ
ما سافَحُ العَبْرَاتِ لَمْ يَحْزَنَ وَنَضَوُ لَمْ يُتَمِّمْ
يفري^٤ ولا يدري ويعي لَمْ بِالْأُمُورِ وَلَيْسَ يَعْلَمِ
تَلْقَى سِنَانٌ^٥ رَبِيعَةٍ مِنْ صَدْرِهِ وَلِسَانٌ أَكْثَمِ
إنْ طَارَ بَارِقُهُ دَجَا وَجْهُ الصَّبَاحِ بِهِ وَغَيْمِ
يمشي ولا قَدَمٌ تُقِلُّ وَمَا مَشَى إِلَّا تَكَلَّمَ

١ م : سيج .

٢ م ب : غيوماً .

٣ ب م : نغدو .

٤ ب م : فتية .

٥ ب م : سائج .

٦ م ب : يغري ؛ وبهامش م : يجري .

٧ م ب : لسان .

وتراهُ سادِسَ خَمْسَةِ يُفَصِّحْنَ قولاً وهو أبكم
في حيثُ لا أذنُ تعيي قولاً ولا هوَ فاغِرُ فَم

ومن أجود ما قيل في صفة القلم قول أبي تمام ^١ :

فصيحٌ إذا استنطقتهُ وهو راكبٌ وأعجمٌ إن خاطبته وهو نازلٌ ^٢
إذا ما امتطى الحمسَ اللطافَ وأفرغتْ عليه شِعَابُ الفكرِ وهي حوافل
أطاعته أطرافُ القنا وتقوّضتْ ^٣ لنجواهُ تقويضَ الخيامِ الجحافل
إذا استغزَرَ الذهنَ الذكيَّ وأقبلتْ أعاليه في القرطاسِ وهي أسافل
وقد رَفَدَتْهُ الخِئْصِرانِ وسَدَدَتْ ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأنامل
رأيتَ جليلاً شأنهُ وهو مرهفٌ ضنىً وسميناً خطبُهُ وهو ناحل

وقال ابن المعتز [فيه] ^٤ :

ولطيفِ المعنى جليلٌ ^٥ نحيفٍ وكبيرِ الأفعال ^٦ وهو صغيرٌ
كم منايا وكم عطايا وكم حمة فِ وعيشٍ ^٧ تضمّ تلك السطور

وقال ابن الرومي ^٨ [١٥٣ أ] :

١ ديوان أبي تمام ٣ : ١٢٣٤ .

٢ الديوان : راجل .

٣ د ط : أطراف الرماح وقوضت .

٤ ديوان ابن المعتز ٤ : ٩٠ وزهر الآداب : ٣٠ .

٥ الديوان : وجليلى المعنى لطيف .

٦ الديوان : الفعّال .

٧ الديوان : وكم عيش وحتف .

٨ ديوان ابن الرومي ١ : ١٦٦ (١ : ١٩٣ تحقيق د. نصار) وزهر الآداب : ٤٣٢ .

لعمرك ما السيفُ سيفُ الكم يُّ بأخوفَ من قلم الكاتبِ
له شاهدٌ ان تأملتَه ظهرت على سرّه الغائب
أداةُ المنية في جانبيه فمن مثله رهبةُ الراهب
سنانُ المنية في جانب وحدٌ^١ المنية في جانب

وقال محمد بن أحمد الاصبهاني^٢ :

أخرسُ ينبيك بإطراقه عن كلِّ ما شئت من الأمرِ
يُنْدرِي على قرطاسِه دمةً يُبْدي بها السرَّ وما يدري
كعاشقٍ أخفى هواه وقد نمتُ عليه دمةً تجري
تبصره في كلِّ أحواله عُرْيَان يكسو الناسَ أو يُعْري
يُرَى أسيراً في دواةٍ وقد أطلقَ أقواماً من الأسرِ

وقال أحمد بن جدار^٣ :

أهيفُ ممشوقٌ بتحريكه يحلُّ عقد السرِّ إعلانُ
له لسانٌ مرهفٌ حدّه من ريقة الكرُسُفِ عريان
ترى بعينِ الفكرِ في نظمه شخصاً له حدٌّ وجثمان
كأنما يسحبُ في إثره ذيلًا من الحكمة سَحْبَان
لولاه ما قام منارُ الهدى ولا سما بالملك ديوان

حدث أبو عمر محمد بن عبد الواحد [الزاهد] قال : كنتُ جالساً

١ الديوان : وسيف .

٢ وردت الأبيات في زهر الآداب : ٤٣٣ ، والثلاثة الأولى في محاضرات الراغب ١ : ١١٣ .

٣ زهر الآداب : ٤٣٣ . ٤ ب م : يرى بسيط .

في مجلس ثعلب إذ وقف عليه غلام بدويّ فقال : أسألك أيها الشيخ ؟ قال :
قل ، فقال :

وعريانَ من حُلَّةٍ مكتسٍ يمسُ من الوشي في يَلْمَقِ
فأطرق ثعلب ، فقال الغلام :

يغوصُ في البحر مستأنساً فلم يَرِ بؤساً ولم يفرق
فقال ثعلب : [هذا سرطان ، فقال الغلام :

يلوّح للشمس وسَطَ الهجير فما لوّحته ولم يَعرَقِ
فقال ثعلب] : هذا شيطان ، فقال الغلام :

إذا أنت مَشَيْتَه في الركوبِ أذاك عَجُولاً ولم يُعْنَقِ
فقال ثعلب : هذا فرس ، فقال الغلام :

أقام بغربيّ غورِ العراقِ يَنْهَى ويأمرُ بالمشرقِ
فأمسك ثعلب ، فقال الغلام :

يسوقُ إلى المطبقِ الناكثين ومثواه في خَنْدَقِ المطبقِ

فقال ثعلب : هذا قلم ، وما سمعنا في صفته بأحسن من هذا [١٥٣ ب]

[وقال ابن خفاجة ملغزاً :

وخطيبِ قومٍ قام يخطبُ فيهمُ أبدأ مع الإصباح والإمساء
حملت عليه تنالُ منه لثيمةٌ فأجابها عنه أخو الخنساء]

وقال أيضاً ملغزاً :

يا راكضاً في شَوَطٍ كُلِّ فُضيلة^١ مُتَيْقِظاً^٢ تَنْدَى حواشي لَفْظِهِ
 ما حَامِلٌ خُطَطَ المَهَانَةِ خَامِلٌ^٣ مُتَعَذِّبٌ ما زال يَضْرِبُ يَوْمَهُ^٤
 ولربما نَحَلَ الأعْزَةَ نَحْوَةً^٥ ما إن يَسِيرُ^٦ مَعَ الصَّبَاحِ لَشَانِهِ^٧
 أعياء تَرَسَّلَهُ الرِّيحَ لَحاقاً سَلَساً وَيَلْفَحُ فَهْمُهُ إِحراقاً
 ما قام في عُلْيَاءَ يَنْقُلُ ساقاً كَدّاً وَيُحْنِقُ لَيْلَهُ إِحناقاً^٨
 وكساهم حُلَّ العِلا أَطواقاً حَتَّى يَشُدَّ إِلَى التَّفَوُّذِ نِطاقاً
 وقال^٩ :

وَأَقْبَّ وَرَدِيَّ القَمِيصِ بِمِثْلِهِ يَمْشِي العِرْضَةَ فِي الطَّرِيقِ كَأَنَّهُ
 فَبدا وقد مَلَأَ النَفُوسَ مَسْرَةً^{١٠} مُتَخَطِّفٌ ما شاءَهُ مُتَعَطِّفٌ^{١١}
 ولرُبَّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ قَدْ خَاضَهُ وَمِنَ الحَمِيمِ بِذَقَرَتِيهِ فِضَّةٌ^{١٢}
 والشَّهْبُ شُهْبٌ والعِجَاجَةُ سُدْفَةٌ^{١٣} والحَرْبُ رَوْضٌ فِيهِ مِنْ خِرْصَانِهَا
 خِيضَ الظَّلَامِ وَرَبَعَتِ الظُّلَمَانُ^{١٤} أَوْمِي الْجَذْبِ^{١٥} عَنانِهِ نَشْوَانٌ
 وَجَرَى فَمَا مَلِئَتْ بِهِ الْأَجْفَانُ فَكَأَنَّمَا هُوَ فِي العِيَانِ^{١٦} عِنَانٌ
 سَبَحاً وَبَيْضٌ سَيُوفِهِ غُدْرَانٌ وَمِنَ النَّجِيعِ بِصَدْرِهِ عَقِيَانٌ
 [وَالشَّقْرُ] جَمْرٌ وَالْقَتَامُ دُخَانٌ زَهْرٌ وَمِنَ سُمْرِ القَنَا أَغْصَانٌ

١ الديوان : سيادة .

٢ ب م : مستيقظاً .

٣ ب م : ويحْنِقُ . . . إْحْناقاً ؛ ط د س : ويحْنِقُ . . . إْشفاقاً .

٤ ط د س : يقوم .

٥ ب م : بشأنه .

٦ س : رجع وقال ابن خفاجة .

٧ ط د : يجذب .

٨ ب م : العنان .

ركبوا الجياد إلى الجلال وأوجفوا
فكأنهم^١ من فوقها أسدُ السرى
حتى كأنَّ وجيفهم طيران
وكانَّها من تحتهم عقبان

وقال :

كفى حزناً أن الديار قصيبة^٢
ولا رسل^٣ إلا الرياح عشيّة^٤
فأستودعُ الرّيحَ الشّمالَ تحيةً
وحسبي شجواً أن لي فيك أضلعاً
وطرفاً قريباً صام فيك عن^٥ الكرى
وما الدهرُ إلا صفحة^٦ بك طلقة^٧
[فما أنسه^٨ لا أنسَ ليلاً على الحمى
وزار به نجم السرى^٩ قمر الدجى
إذا ما هداني فيه بارق^{١٠} مبسم^{١١}
ولي نظر^{١٢} يرتدُّ فيك صباية^{١٣}
فجاد الحمى غاد^{١٤} من المزن رائح^{١٥}
وسارية^{١٦} دهماء^{١٧} جاد بها السرى^{١٨}

فلا زورَ إلا أن يكونَ خيالا
تكرُّ جنوباً بيننا وشمالا
وأستشيقُ الرّيحَ الجنوبَ سؤالا
حراراً وأرداناً عليك خيضالا
ولا فطرَ إلا أن تلوحَ هلالا
لثمتُ بهامن ليل وصلك خالا [١٥٤أ]
وقد راق أوضاحاً ورقّ جمالا [١٥٤ب]
فباتا^{١٩} بحال الفرقدين^{٢٠} وصالا
أجن دُجى فرع^{٢١} فحرت ضلالا
وقد فاض ماءُ الشّوق فيه وجالا
تهاداه^{٢٢} أعناق الرياح^{٢٣} كلالا
فشبَّ لها البرقُ المنيرُ ذبالا

١ ب م : وكانهم .

٢ م ب : بالرياح ؛ الديوان : ولا رسل إلا للرياح .

٣ م ب ط د س : من .

٤ الديوان : السهى .

٥ ط د : وباتا ؛ س : وفاتا .

٦ م ب : نفس .

٧ ط د س والديوان : الدجى .

[فلله ما أَشْجَى الحمامةَ غدوةً
وقد جاذبتُ رِيحَ الصَّبَا غُصْنَ النقا
وأيقظَ بَرْدُ^١ الصبحِ جفنَ عرارةٍ
وقال أيضاً :

فيا لشجا صدرٍ من الصَّبْرِ فارِغٍ
ونفسٍ إلى جوِّ الكنيسةِ صَبَّةً
تعوّضتُ من واهما بآهٍ ومن هوىً
وما كل بيضاء ترُوقُ بشحمةٍ
فيا ليت شعري هل لدهري عطفةٌ
ميادين أوطاري ومعهدُ^٢ لذتي^٣
كأن لم يصلني فيه ظبيٌ يقومُ لي
فسقياً لواديهـم وإن كنتُ إنـما
وكم يومٍ هو قد أدركنا بأفقهـ
وللقُصْبِ^٤ والأطيار ملهى يجزعهـ
ومنها :

وبالحضرة الغراءِ غِرَّ عَليقتهُ^٥ فأحبتُ حبّاً فيه قضبانَ نعمان

١ م ب : جفن .

٢ م ب : ولذة لذتي .

٣ م ب : براحي .

٤ ط د س : فكم .

٥ م ب : وللنصب .

وَمَنْطِقِهِ مَسْلَى قُلُوبٍ وَأَذَانِ
بَدَأَ وَلَعَطْفِيهِ عَلَى غُصْنِ الْبَانِ
فَمَنْ أَيْنَ لِي^٢ مِنْهُ بَتْفَاحِ لَبْنَانِ
خِيَالٌ لَهُ يُغْرِي بِمَطْلٍ وَلَيَّانِ
عَلَاهَا حَبَابٌ مِنْ أَسْنَةِ مَرَّانِ [١٥٤ ب]
تَرَاءَتْ لَنَا فِي مِثْلِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ
قَرَأْنَا لَهَا مِنْ وَجْهِهِ سَطَرَ عَنَوَانِ
وَرُؤْيَيْتُهُ حَجَجِي وَذِكْرَاهُ قُرْآنِي

رَقِيقُ الْخَوَاشِي فِي مُحَاسَنِ وَجْهِهِ
أَغَارُ لِحْدَيْهِ عَلَى الْوَرْدِ كُلَّمَا
وَهَبَنِي أَجْنِي وَرَدَّ خَدِي بِنَظَرِي^١
يُعَلِّلَنِي مِنْهُ بِمَوْعِدِ رَشْفَةِ
حَبِيبٍ عَلَيْهِ لُجَّةٌ مِنْ صَوَارِمِ
تَرَاءَتْ لَنَا فِي مِثْلِ صُورَةِ يَوْسُفَ
طَوَى بَرْدُهُ مِنْهُ صَحِيفَةٌ فَتْنَةٌ
مَحَبَّتُهُ دِينِي وَمُثْوَاهُ كَعْبَتِي

وله من أخرى في الاعتبار :

تَحُبُّ بِرَحْلِي أُمُّ ظَهْوَرُ النِّجَائِبِ
فَأُشْرَقَتْ حَتَّى جُبْتُ أُخْرَى الْمَغَارِبِ
وُجُوهَ الْمَنَايَا فِي قَنَاعِ الْغِيَاهِبِ
وَلَا دَارَ إِلَّا فِي قَتُودِ الرِّكَائِبِ
ثَغُورَ الْأَمَانِي فِي وَجْهِهِ الْمَطَالِبِ
تَكْشَفُ عَنْ وَعْدٍ مِنَ الظَّنِّ كَاذِبِ
لَأَعْتَقَ الْأَمَالَ بَيضَ تَرَائِبِ
تَطَلَّعَ وَضَّاحَ الْمَضَاحِكِ قَطَاطِبِ
تَأَمَّلَ عَنْ نَجْمٍ تَوَقَّدَ ثَاقِبِ

وَعِيشُكَ مَا أَدْرِي^٣ أَهْوَجُ الْجَنَائِبِ
فَمَا لُحْتُ فِي أُولَى الْمَشَارِقِ كَوَكْبًا
وَحِيدًا تَهَادَانِي الْفِيَا فِي فَاجِتَلِي
وَلَا جَارَ إِلَّا مِنْ حُسَامٍ مُصْتَمِ
وَلَا أُنْسَ إِلَّا أَنْ أَضَاحِكَ سَاعَةً
بَلِيلٍ إِذَا مَا قُلْتُ قَدْ بَادَ فَاَنْقَضَى
سَحَبْتُ الدِّيَاجِي فِيهِ سُدُودُ ذَوَائِبِ
فَمَزَقْتُ جَيْبَ اللَّيْلِ عَنْ شَخْصِ أَطْلَسِ
رَأَيْتُ بِهِ قِطْعًا مِنَ الْفَجْرِ أَغْبَشًا

١ س والديوان : يجني ورد خديه ناظري .

٢ ط د س والديوان : فمن لقمي .

٣ س والديوان : بعيشك هل تدري .

٤ ب م : فأشرق .

وَأَرَعَنَ طَمَاحِ الذُّؤَابَةِ بِادِخٍ
يَسْدُ مَهَبَ الرِّيحِ عَنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
وَقَوْرٍ عَلَى ظَهْرِ الْفَلَاةِ كَأَنَّهُ
يَلُوثُ عَلَيْهِ الْغَيْمُ^١ سَوْدَ عَمَائِمٍ
أَصَحَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ أَخْرَسُ صَامِتٌ
وَقَالَ أَلَا كَمْ كُنْتُ مَلْجَأَ فَاتِكِ
وَكَمْ مَرَّ بِي مِنْ مَدْلَجٍ وَمَوْبٍ
وَلَا طَمَ مِنْ نُكْبِ الرِّيحِ مَعَاطِفِي
وَكَمْ سَفَرْتُ لِي مِنْ شَمُوسٍ وَأَقْمَرٍ
فَمَا كَانَ^٣ إِلَّا أَنْ طَوَّهَتْ يَدُ الرَّدَى
فَمَا خَفَقُ أَيْكِي^٤ غَيْرَ رَجْفَةٍ أَضْلَعُ^٥
وَمَا غِيَضُ السَّلَوَانِ^٥ دَمْعِي وَإِنَّمَا
فَحَتْنِي مَتَى أَبْقَى وَيُظْعَنُ صَاحِبُ
وَحَتْنِي مَتَى أَرَعَى الْكَوَاكِبَ سَاهِرًا
فَرَحْمَاكَ يَا مَوْلَايَ دَعْوَةَ ضَارِعٍ
فَأَسْمَعْنِي مِنْ وَعْظِهِ كُلِّ عِبْرَةٍ
فَسَلَّنِي بِمَا أَبْكِي وَسَرَّنِي بِمَا شَجَا
وَقَلْتُ وَقَدْ نَكَّبْتُ عَنْهُ لَطِيفَةً

يُطَاوِلُ أَعْنَانَ السَّمَاءِ بِغَارِبٍ
وَيُزَحِّمُ لَيْلًا شُهْبَةً بِالْمَنَاكِبِ
طَوَالَ اللَّيَالِي مُطْرِقٌ فِي الْعَوَاقِبِ
لَهَا مِنْ وَمِيزِ الْبَرْقِ حَمَرُ ذَوَائِبِ
فَحَدَّثَنِي لَيْلَ السَّرَى بِالْعَجَائِبِ
وَمَوْطِنَ أَوَاهٍ تَبْتَلِ تَائِبِ
وَقَالَ بَظَلَّتِي مِنْ مَطِيٍّ وَرَاكِبِ
وَزَا حَمَ مِنْ خُضِرِ الْبَحَارِ جَوَانِبِ
وَبَاتَتْ تَرَاءَى^٢ مِنْ عَيُونِ كَوَاكِبِ
وَطَارَتْ بِهِمْ رِيحُ النُّوَى وَالنَّوَابِ [١٥٥أ]
وَلَا نُوْحُ وَرُقِي غَيْرَ صَرْخَةٍ نَادِبِ
نَزَفْتُ دَمُوعِي فِي فِرَاقِ الْأَصْحَابِ
أَوْدَعُ مِنْهُ رَا حِلًّا غَيْرَ آيِبِ
فَمَنْ طَالَعِ أُخْرَى اللَّيَالِي وَغَارِبِ
يَمْدُ إِلَى نَعْمَاكَ رَا حَةً رَاغِبِ
يُسْتَرْجَمُهَا عَنْهُ لِسَانُ التَّجَارِبِ
وَكَانَ عَلَى لَيْلِ السَّرَى خَيْرُ صَاحِبِ
سَلَامٌ فَإِنَّا مِنْ مُقِيمٍ وَذَاهِبِ

١ ب م : الليل .

٢ ط : ترائي .

٣ م ب : بما هو .

٤ ب م : فما كان طيري .

٥ م : أضلعي .

وقال في إهداء مُهر بهيم أدهم :

تَقْبَلِ المُهْرَ من أَخِي ثِقَةٍ أَرْسَلَ رِيحاً به إلى مطرٍ
مُشْتَمِلاً بِالظَّلَامِ من شَيْءٍ لم يَشْتَمَل ليلها على سحرٍ
مُنْتَسِباً لَوْنُهُ وَغَرَّتُهُ إلى سوادِ الفؤادِ والبصرِ
تَحْسِبُهُ مِنْ عُلَاكَ مُسْتَرْقَاً بِهِجَّةَ مَرَأَى وَحُسْنَ مُخْتَبَرِ
حَنٍّ إلى راحَةٍ تَفِيضُ نَدَى فمالَ ظِلٌّ به على نهرٍ
تَرى به والنَّشَاطُ يُلْهِيهِ ما شَتَّ من فحمةٍ ومن شرٍ
أَحْمَى من النّجْمِ يومَ مَعْرَكَةٍ ظهراً وأَجْرَى به من القَدَرِ
أَسْوَدَّ وَأَبْيَضَ فَعْلُهُ كَرَمًا فَالْتَفَتَ الحُسْنُ مِنْهُ عَن حَوَرِ
كَأَنَّهُ وَالنَّفُوسُ تَعَشِّقُهُ مُرَكَّبٌ مِنْ مُحَاسِنِ الصُّورِ
فازدَدَ سَنَا بِهِجَّةٍ بَدْهُمَّتِهِ فَالْلَبْلُ أَذْكَى لِغُرَّةِ القَمَرِ
وَمِثْلُ شُكْرِي عَلَى تَقْبَلِهِ يَجْمَعُ بَيْنَ النِّسِيمِ وَالزَّهَرِ

وقال أيضاً من أخرى :

وليلٍ تَعَاطِينَا المُدَامَ وَيِينَا حديثُ كما هَبَّ النِّسِيمُ عَنِ الوَرْدِ
نُعَاوِدُهُ والكَّاسُ تَعْبِقُ نَفْحَةً^١ وَأَطِيبُ مِنْهَا مَا نُعِيدُ وَمَا نُبْدي^٢
ونَقْلِي أَقَاحُ الثَّغْرِ أَوْ سَوْسَنُ الطَّلَى وَنَرْجَسَةُ الأَجْفَانِ أَوْ وَرْدَةُ الخَدِّ
إلى أَن سَرَتْ فِي جِسْمِهِ الكَّاسُ^٣ وَالكَرَى وَمَا لَا بَعْطْفِيهِ فَمَالَ عَلَى عَضْدي
فَأَقْبَلْتُ أَسْتَهْدِي لِمَا بَيْنَ أَضْلَعِي مِنْ الحَرِّ مَا بَيْنَ الثَّنَايَا مِنَ البَرْدِ

١ الديوان : مسكة .

٢ ط د س : ما تعيد وما تبدي .

٣ الديوان : الراح .

وعانقتهُ قد سلَّ من وشي برده^١
 ليانَ مجسِّ واستقامة^٢ . قامة
 أغازلُ منه الغصنَ في مغرس النقا
 فإن لم يَكُنْها أو تَكُنْهُ فَإِنَّهُ
 تُسافرُ كلّا^٣ راحتيَّ بجسمه
 فتَهبطُ من كُشحيه^٤ . كفُّ^٥ تهامة
 وإني وقد فارقته لمقبيل

وقال :

فعانقتُ منه السَّيْفَ سلَّ من الغمد
 وهَزَّةَ أعطافٍ ورونقٍ إفرند^٦ [ب
 وألثم وجهَ الشَّمْسِ في مطلع السعد
 أخوها كما قدَّ الشراكُ من الجلد
 فطوراً إلى خَصَرٍ وطوراً إلى نهد
 وتصدَّعُ من نهديه^٧ أخرى إلى نجد
 مواقع هاتيك السوالف من زندي^٨

ورداءٍ ليلٍ بات فيه مُعانقي
 فَجَمَعْتُ بين رُضابه وشرابه
 ولثمتُ في ظلماءِ ليلةٍ وفرةٍ
 [ثم استمرَّ كلمحة من بارق
 والليلُ مُشمطٌ الذؤابة كبرةً
 ثم انثنى والصُّبحُ يسحبُ فرعه
 تندى بفيه أفحوانةُ أجرع
 وتميسُ في أثوابه ريحانةُ

طيفُ أَلَمٍ لِطَبَّيَّةٍ الوعاء^٩
 وشربتُ من ريقٍ ومن صهباء
 شفقاً هناكَ لوجنةٍ حمراء^{١٠}
 أو نظرة من مقلة حوراء
 خرفُ يدبُّ على عصا الجوزاء
 ويَجُرُّ من طربِ فضولِ رداء
 قد غازلَتها الشَّمْسُ غيبَ سماء
 كَرَعَتْ على ظمأٍ بجداولِ ماء

١ م ب : وشي ملابس ؛ ط د : ثني برده .

٢ ط د : وألثم منه .

٣ م ب : كفي .

٤ م ب : زند ؛ ط د س والديوان : رند .

٥ ط د س : طيف تأوَّبني مع الاسراء .

٦ ط د س : فلثمت في ظلماء ليل ضفيرة

وفي د : زهراء .

نَفَاحَةُ الْأَنْفَاسِ إِلَّا أَنَّهَا حَذَرَ النَّوَى خَفَافَةً الْأَفْيَاءِ
فَلَوَيْتُ مَعْطَفَهَا اعْتِنَاقًا حَسْبُهَا^١ فِيهِ بَقَطِرِ الدَّمْعِ مِنْ أُنْدَاءِ

وله جواب عن شعر تضمن صفة عنب ؛ قال :

أما وابتسام النَّقْعِ عَنْ صَفْحَةِ النَّصْلِ
لَقَدْ طُلَّتْ أَعْنَاقَ الْهَضَابِ جَلَالَةً^٢
وَأَرْهَفَتْ مِنْ حَرٍّ الْقَرِيضَ مُهَنْدًا^٣
[وَأَبْدَعَتْ فِي تَقْرِيطِ أَيْ قِلَادَةٍ
رَضَعْنَا لَهَا أُمَّ الْمُدَامِ عَشِيَّةً^٤
وَأَسْوَدَ مَعْسُولِ الْمُجَاجِ^٥ لَوْ أَنَّهُ
حَكَى لَيْلَةَ الْهَجْرِ اسْوَدَادًا وَإِنَّهُ
فَلَلَهُ طَوْدٌ لِلْجِزَالَةِ رَاسِخٌ
يُنِيلُ عَلَى الْعَلَاتِ بَيْضَ مَكَارِمِ
وَيَطْلَعُ مُنْهَلًا^٦ النَّدَى مُتَهَلِّلًا^٦
[وَيَمْضِي إِذَا كَعَّ الشُّجَاعُ^٦ مَهَابَةً]
وَرَجَعَ صَلِيلَ السَّيْفِ مِنْ مَنْطِقِ فَصْلِ
وَحَزُنْتَ بِمِيدَانِ الْعَلَا قَصَبَ الْخَصْلِ
يَسِيلُ عَلَى إِفْرِ نَدِيهِ رَوْنَقُ الصَّقْلِ
يَشْدُ بِهَا الْحُرُّ الْكَرِيمُ يَدَ الْبُخْلِ [
وَيَا عَجَبًا مَا لِلرَّضَاعَةِ وَالْكَهْلِ
لَحَى شَفَةٍ لَمْ أَرَوْهُ يَوْمًا مِنْ الْقَبْلِ
لَأَشْهَى وَأُنْدَى مِنْ جَنَى لَيْلَةِ الْوَصْلِ
عَلَى الْجِدِّ يَهْتَزُّ ارْتِيَا حَا إِلَى هَزْلٍ
تُرِيكَ الْجِبَالَ الشَّمَّ فِي عَدَدِ الرَّمْلِ
[طُلُوعَ وَمِيزِ الْبَرْقِ فِي الْبَلَدِ الْمُحَلِّ]
مُضِي لِسَانِ النَّارِ فِي الْخَطْبِ الْجَزْلِ [١٥٦أ]

وله من أخرى يشفع لأحد إخوانه عند قاضي الجماعة ابن حمدين :

جَرَّرَ مَلَاءَةً كُلَّ يَوْمٍ شَامِسٍ
وَاسْحَبَ ذَوَابَّةَ كُلِّ لَيْلٍ دَامِسٍ

١ م ب : حسبنا .

٢ م ب : حد .

٣ ط : المزاج .

٤ م ب : على الهزل .

٥ د ط : السحاب .

٦ ط د س : لبعض .

واطلُّعْ بِكُلِّ فَلَاحٍ أَرْضِ غُرَّةً
وانزلْ بها ضَيْفًا لِّلَيْثِ خَادِرٍ
وَإِذَا طَعِمْتَ فَمَنْ قَنِيصٍ فَلَذَّةٌ
وَالرَّيْحُ تَلْوِي عِطْفَ كُلِّ أَرَاكَةِ
وَسَلَّ الْغِنَى مِنْ ظَهْرِ طِرْفٍ أَشْقَرٍ
وَازْحَمْ بِذَاتِكَ شِدْقَ لَيْثٍ ضَاغِمٍ
وَازْغَبْ بِنَفْسِكَ عَنْ مَقَامَةٍ فَاضِلٍ
فَالْحُرُّ مُفْتَقِرٌ إِلَى عِزِّ الْغِنَى
وَإِذَا عَثَرْتَ وَلَا عَثَرْتَ بِحَادِثٍ
فَافْزَعْ إِلَى قَاضِي الْجَمَاعَةِ رَهْبَةً
وَاسْتَسْقِ مِنْهُ إِنْ ظَمِئْتَ غَمَامَةً
وَإِذَا رَوَيْتَ بِمَاءِ ذَاكَ الْمُجْتَلَى
مِنْ آلِ حَمْدَيْنِ الْأُولَى حَلِيَّتَ بِهِمْ
مِنْ أَسْرَةٍ نَشَأُوا غَمَائِمَ أَزْمَةٍ
مُتَطَلِّعِينَ إِلَى الْحُرُوبِ كَأَنَّمَا
أَجْرُوا بِمِيدَانِ الْمَكَارِمِ وَالْعَلَا
وَجَنُوا ثَمَارَ النَّصْرِ مِنْ غَرَسِ الْقَنَا
فَهُمْ لُبَابُ الْمَجْدِ نَجْدَةٌ أَنْفُسٍ
وَهُمْ رِيَاضُ الْحَزَنِ نَضْرَةٌ أَوْجُهُ

[ومنها] :

غَرَاءَ فِي وَجْهِ الظَّلَامِ^١ الْعَابِسِ
يَقْرِيكَ أَوْ جَاراً لَطِيفٍ كَانِسِ
وَإِذَا شَرِبْتَ فَمِنْ غَمَامٍ رَاجِسِ
لِيَّ السُّرَى وَهَذَا لِعِطْفِ النَّاعِسِ
يَطَأُ الْقَتِيلَ وَصَدَّرَ رُوحَ دَاعِسِ
طَلَبَ الثَّرَاءَ وَنَابَ صِلَ نَاهِسِ
قَدْ قَامَ يَمْثُلُ فِي خِصَاصَةِ بَائِسِ
فَقَرَّ الْحُسَامُ إِلَى يَمِينِ الْفَارِسِ
فَرَكِبْتَ مِنْهُ ظَهَرَ صَعْبٍ شَامِسِ
تَضَعُ الْعَيْنَانِ بِخَيْرِ رَاحَةٍ سَائِسِ
يَخْضَرُ عَنْهَا كُلُّ عُودٍ يَابِسِ
فَحَذَارٍ مِنْ أَهْوَابِ ذَاكَ الْهَاجِسِ
قَدِمًا صُدُورُ كَتَائِبِ وَمَدَارِسِ
وَلَرُبَّمَا طَلَعُوا بُدُورَ حَنَادِسِ
يَتَطَلَّعُونَ بِهَا وَجْهَ عَرَائِسِ
فَكَأَنَّمَا رَكَبُوا ظُهُورَ رَوَامِسِ
بَأَكْفُهُمْ وَلَنِعْمَ غَرَسُ الْغَارِسِ
وَذَكَاءُ أَلْبَابٍ وَطِيبُ مَغَارِسِ
وَجَمَالُ آدَابٍ وَحُسْنُ مَجَالِسِ

سَلِسُ الْكَلَامِ عَلَى السَّمَاعِ كَأَنَّهُ سِنَةٌ تَرَقُّقُ بَيْنَ جَنَفِي نَاعِسٍ^٢

١ ط د س : الزمان .

ما إن يُمازُ من الشَّهابِ طَلاقَةً
 تركَ الأعاديَ بينَ طرفٍ خاشعٍ
 وذكاءِ فهمٍ لو تمثلَ صارماً
 وبراعةٍ سكنتُ لسانَ يراعةٍ
 ومقامٍ أحكمٍ عادلٍ لا يزْدري
 ومجالٍ حربٍ جرَّ فيه لأمةٍ
 يبطأُ العدى ما بَيْنَ نَصْلِ ضاحكٍ
 في حيثُ يلعبُ بالقناةِ شَهامةٍ
 فانْهَضْ أبا عبْدِ الإلهِ بِأَمَلٍ
 عاجِ الرِّجاءِ على عَلاكٍ بهِ فلمِ
 فاشفَعْ لِمُغْتَرِبٍ^٢ رجاكَ على النوى
 وامدُدْ إليه بِكَفٍّ جدٍّ قائِمٍ
 فكلُّربَّ يومٍ قد زففتَ^٣ بهِ المُنَى

حتى تُمدَّ إليه كَفُّ القابِسِ [١٥٦ ب]
 لا يَسْتَقِيلُ وِينَ رأسٍ ناكسٍ
 لم يَأْتَمَنَّ ظُبُتَيْهِ عاتقُ فارسٍ
 حَكَمَ البَيانُ لها بِحِكْمَةٍ فارسٍ
 فِيهِ المُعلَى حُظُوةٌ بالنَّافِسِ
 قد قامَ منها في غَدِيرِ جامِسِ
 تحتَ العِجاجِ وَوَجْهٍ طِرفِ عابِسِ
 لَعِبَ النُّعْامَى بالقَضِيبِ المائِسِ
 قد جابَ دونكَ كلَّ خرقٍ طامِسِ
 يُعْجِ المَطْيَ بِرَسْمِ رُبْعٍ دارِسِ
 يمدُّدُ إلى الخُضراءِ راحةَ لامِسِ
 تجذِبُ بهِ من ضَبْعٍ جدٍّ [جالِسِ]
 وَمَحَوْتَ فِيهِ سِوَادَ ظَنِّ البائِسِ

وقال من أخرى يمدح الأمير أبا يحيى بن ابراهيم^٤ :

سمَحَ الخَيالُ على النوى بمزارٍ والصُّبحُ يَمْسَحُ عن جبينِ نهارٍ

١ م ب : ومقال .

٢ ط د س : واشفع ؛ ب م : لمنصرف .

٣ م ب : رفعت .

٤ هو أبو بكر بن ابراهيم المعروف بابن تيفلويت ممدوح ابن باجة ، ولي غرناطة سنة ٤٩٩ فوصلها في ربيع الأول من العام التالي ، وفي رجب غادرها ، ثم ولي سرقسطة سنة ٥٠٩ وتوفي في السنة التالية (انظر ترجمته في الاحاطة ١ : ٤١٢ - ٤١٧ وصفحات متفرقة من البيان المغرب ج : ٤) .

فرفعتُ من ناري لضيْفٍ^١ طارقٍ
ركبَ الدُّجَى أخشِنُ^٢ بها من مركبٍ
وأناخ حيث دموعُ عيني منهلٌ
وسقى فأروى غلَّةً من ناهلٍ
يلوي الضُّلوعَ من الولوعِ لخطرةِ
والليلِ قد نَضَحَ الندى سِرْبَالَهُ
مُتَرْقِبُ رُسُلِ الرِّيحِ عشيَّةً
ومَجَرَّ ذَيْلِ غَمَامَةٍ لَبِستُ به
خَفَقَتْ ظِلَالُ^٣ الأيكِ فيه ذوائباً
ولوى القَضِيبُ هناك جيداً أتلعاً
باكراًته والغيمُ قطعةٌ عنبرٍ
والريحُ تلطِّمُ فيه أُرْدافَ الرُّبَى
ومنابرُ الأشجارِ قد قامتُ بها
في فتيمةِ جَنبِوا^٤ العَجاجةِ لَيْلَةً
ثارَ القَتَامُ بِهِمْ دُخَاناً وارتمى
شاهدتُ من هِمَاتِهِمْ وهَبَاتِهِمْ

يَعْشَو إليها من خيالٍ طار
وطوى السُّرَى أحسنَ به من سار
يُرْوِي وحيث حشايَ موقدُ نارٍ
أورَى بجَاحَتِيهِ زَنَدَ أوارٍ
مِنْ شِيمٍ بَرَقَ أَوْ شَمِيمٍ عَرَارٍ
فأنهلَ دَمْعُ الطَّلِّ فوق صِدارٍ
بِمَسَاقِطِ الأنواءِ والأنوارِ
وَشَيِّ الحَبَابِ مَعَاطِفِ الأنهارِ
وارتجَّ ردفا مائجُ التِّيَّارِ [١٥٧]
قد قَبَلَتَهُ مِبَاسِمُ النُّوَّارِ
مَشْبُوبَةً والبرقُ لَفْحَةٌ نارٍ
لَعِباً وَتَلَثَّمُ أَوْجُهُ الأزهارِ
خُطْبَاءُ مُفْصِحَةٍ مِنَ الأَطْيَارِ
وَلَرُبَّمَا سَفَرُوا عَنْ الأَقْمَارِ
زَنَدُ الحَقِيقَةِ مِنْهُمْ بِشَرَّارِ
إِشْرَافِ أَطْوَادِ^٥ وَفَيْضِ بَحَارِ

١ م ب : لطيف .

٢ م ب : أحسن .

٣ م ب : دلال .

٤ م ب : سائل .

٥ ط د : لمحة .

٦ ط : غلبوا .

٧ ط د : أسداً وأطواداً .

مِنْ كُلِّ مُسْتَقْبِ بَوْرْدَةٍ خَجَلَةٍ
 فِي عِمَّةٍ خُلِعَتْ عَلَيْهِ لِلِمَّةِ
 ضَافِي رِداءِ الْمَجْدِ طَمَاحِ الْعَلا
 جَرَّارِ أَذْيَالِ الْمُعَالِي وَالْقَنَا
 طَرَدَ الْقَنِيصَ بِكُلِّ قَيْدِ طَرِيدَةٍ
 مُلْتَفَّةٍ أَعْطَفَهُ بِحَبِيرَةٍ^٢
 يُرْمَى بِهِ الْأَمَلُ الْقَصِي فَيَبْشِي
 وَيَكُلُّ نَائِي الشَّأْوِ^٣ أَشْدَقَ أَخْزَرِ
 يَقْتَرُ عَنْ مِثْلِ النَّصَالِ وَإِنَّمَا
 مُسْتَقْرِباً أَثَرَ الْقَنِيصِ عَلَى الصَّفَا
 مِنْ كُلِّ مُسَوِّدٍ تَلْهَبَ طَرْفُهُ
 وَمُورَسِ السَّرْبَالِ يُخْلَعُ قِدَهُ
 يَسْتَنُّ فِي سَطْرِ الطَّرِيقِ وَقَدْ عَفَا
 عَطَفَ الضُّمُورُ سِرَاتَهُ^٤ فَكَأَنَّهُ
 فَلَرُبَّ رَوَّاعٍ هُنَالِكَ أَنْبَطِ
 يَجْرِي عَلَى حَذَرٍ فَيَجْمَعُ بَسْطَةً^٥

كَرَمًا وَمُسْتَمَلٍ بِثَوْبٍ وَقَارِ
 وَذُؤَابَةٍ قُرْنَتْ بِهَا لِعَذَارِ^٦
 طَامِي عُبَابِ الْجُودِ رَحْبِ الدَّارِ
 حَامِي الْحَقِيقَةِ وَالْحِمَى وَالْجَارِ
 زَجَلِ الْجَنَاحِ مُورَدِ الْأَظْفَارِ
 مَكْحُولَةٍ أَجْفَانُهُ بِنُضَارِ
 مَخْضُوبٍ رَأَى الظُّفْرِ وَالْمِنْقَارِ
 طَاوِي الْحِشَا حَالِي الْمُقْلَدِ ضَارِ
 يَمْشِي عَلَى مِثْلِ الْقَنَا الْخَطَّارِ
 وَاللَّيْلِ مُسْتَمَلٍ بِشِمْلَةٍ قَارِ
 فَرَمَتْكَ فَحَمَمَتْهُ بِشُعْلَةٍ نَارِ
 عَنْ نَجْمٍ رَجَمَ فِي سَمَاءِ غُبَارِ
 قِدَمًا فَيَقْرَأُ أَحْرَفَ الْآثَارِ
 وَالنَّقْعُ يَحْجُبُهُ هِلَالُ سَرَارِ^٧
 ذَلِكِ الْمَسَامِيعِ أَطْلَسِ الْأَطْمَارِ
 تَهْوِي^٧ فَيَنْعَطِفُ أَنْعَاطَ سَوَارِ [١٥٧ب]

١ ب م : بعذار .

٢ ط وهامش د : بوشيعه .

٣ م ب : الشوط .

٤ د ط س والديوان : ترميك .

٥ ط د س : شواته .

٦ ب م : هلال سار .

٧ الديوان : بسطه يهوي ؛ س : يهوي .

مُمْتَدَّ حَبْلِ الشَّأْوِ يَعْسِلُ رَائِغاً^١
مُتَرَدِّداً يَرْمِي بِهِ خَوْفُ الرَّدَى
وَلَرُبَّ طَيَّارٍ خَفِيفٍ قَدْ جَرَى
مِنْ كُلِّ قَاصِرَةٍ الْخُطَى مُخْتَالَةً
مَخْضُوبَةً الْمِنْقَارِ تَحْسَبُ أَنَّهَا
وَلَوْ اسْتَجَارَتْ مِنْهَا بِحِمَى أَبِي
خَدَمَ الْقَضَاءُ مُرَادَهُ فَكَأَنَّمَا
وَعَنَا الزَّمَانُ لِأَمْرِهِ فَكَأَنَّمَا
وَجَلَا الْإِمَارَةَ فِي رَفِيفِ نَضَارَةٍ
فِي حَيْثُ وَشَّحَ لَبَّةٌ بِقِلَادَةٍ
جَذْلَانُ يَمْلَأُ بِهِجَةً^٢ وَبَشَاشَةً
أَرْجَ النَّدَى بِذِكْرِهِ فَكَأَنَّهُ
بَطَلَ جَرَى الْفَلَكَ الْمُحِيطُ بِسَرَجِهِ
بِيَمِينِهِ يَوْمَ الْوَعَى وَشِمَالِهِ
وَالسُّمَرُ حُمُرٌ وَالْجِيَادُ عَوَابِسُ
وَالْخَيْلُ تَعْرُ فِي شِبَا شَوْكِ الْقَنَا
وَالْبَيْضُ تُحْنِي فِي الطَّلَى فَكَأَنَّمَا
وَالنَّقْعُ يَكْسِرُ مِنْ سَنَا شَمْسِ الضُّحَى
صَحْبَ الْحُسَامِ النَّصْرَ صُحْبَةَ غَبْطَةٍ
لَوْ أَنَّهُ أَوْحَى إِلَيْهِ بِنَظَرَةٍ

فِيكَادُ يُفْلِتُ أَيْدِي الْأَقْدَارِ
كُرَّةً تَهَادَاهَا أَكْفُ قِفَارِ
فَشَلَا بِجَارٍ خَلْفَهُ طَيَّارِ
مَشَى الْفَتَاةِ تَجُرُّ فَضْلَ إِزَارِ
كَرَعَتْ عَلَى ظَمَأٍ بِيكَاسٍ عُقَارِ
يَحْيَى لِأَمْنِهَا أَعَزَّ جَوَارِ
مَلَكَتْ يَدَاهُ أَعْنَةَ الْأَقْدَارِ
أَصْغَى الزَّمَانُ بِهِ إِلَى أَمَارِ
جَلَّتِ الدُّجَى فِي حُلَّةِ الْأَنْوَارِ
مِنْهَا وَحَلَّى مَعْصِماً بِسَوَارِ
أَيْدِي الْعَفَاةِ وَأَعَيْنَ الزُّوَارِ
مُتَنَفِّسٌ عَنْ رَوْضَةِ مَعْطَارِ
وَاسْتَلَّ صَارِمَهُ يَدُ الْمَقْدَارِ
مَا شَاءَ مِنْ نَارٍ وَمِنْ إِعْصَارِ
وَالْجَوُّ كَاسٍ وَالسُّيُوفُ عَوَارِ
قَصِداً وَتَسْبِخُ فِي الدَّمِ الْمَوَارِ
تُلَوِي عُرَى مِنْهَا عَلَى أَزْرَارِ
فَكَأَنَّهُ صَدَأُ عَلَى دِينَارِ
فِي كَفِّ صَوَالٍ بِهِ سَوَارِ
يَوْمًا لَثَارَ فَلَم يَنْمُ عَنْ ثَارِ

١ د : رائغاً ، والخاصية : رابعاً ؛ م : رايغاً .

٢ الديوان : نفحة .

ومضى وقد ملكته هزّة عزةٍ تحت العجاج وضحكةٍ استبشار

وقال :

وأراكة ضرّبت سماءً فوقنا
حقّت بدّ وحتّتها مجرّة جدّ ول
فكأنّها ١ وكأنّ جدول مائها
زفّ الرّجّاج بها عروس مدامة
في روضة جنّح الدّجى ظلاً ٢ بها
غنّاء ينشر وشيه البزّاز لي
نام ٣ الغبار بها وقد نضح النّدى
والماء في حلّي الحباب مقلّد

تندى وأفلاك الكؤوس تُدارُ
نثرت عليه نجومها الأزهارُ [١٥٨]
حسناء شدّ بنصرها زُتار
تُجلى وتوّار الغصون نثار
وتجسّمت نوراً بها الأنوار
فيها ويفتق مسكه العطار
وجه الثرى واستيقظ النّوار
زرّت عليه جيوبها الأشجار

وقال :

يا راكضاً يمشي الهوينا عزة
جمعت ذؤابته ونور جبينه
هل كان عندك أنّ عندي لوعة
طالت مراقبة الخيال ودونه
ما بين نحر بالدّموع مقلّد
ويهز أعطاف القصب المورق
بين الدّجنة والصّباح المشرق
ينبوا لها حدّ السّنان الأزرق
رعي الدّجى فمتى أنام فلتقي
فرحاً وجيد بالعناق مطوق

١ م ب : وكأنّها .

٢ ب م ط د : طلا .

٣ د ط : قام .

٤ الديوان : مترفاً .

٥ الديوان : طرف ؛ ب م : وخز .

وقال :

هَجَرْتُ لَبِيضَ الشَّيْبِ بِيضَ الْعِمَائِمِ هَجَرْتُ لَبِيضَ الشَّيْبِ بِيضَ الْعِمَائِمِ
فَلَوْ كُنْتُ أُسْتَسْقَى الْغَمَامَ لِعَلَّةٍ^١ فَلَوْ كُنْتُ أُسْتَسْقَى الْغَمَامَ لِعَلَّةٍ^١
فَمَا أُرْتَدِي إِلَّا بِأَحْمَرَ قَانِيءٍ فَمَا أُرْتَدِي إِلَّا بِأَحْمَرَ قَانِيءٍ
بِحَيْثُ يَهْزُ الْمَوْتُ مِنْ أَكْعُبِ الْقَنَا بِحَيْثُ يَهْزُ الْمَوْتُ مِنْ أَكْعُبِ الْقَنَا
وَيَنْظُرُ عَنْ طَرَفٍ مِنَ الرُّمَحِ أَزْرَقٍ وَيَنْظُرُ عَنْ طَرَفٍ مِنَ الرُّمَحِ أَزْرَقٍ
وَقَدْ فَاضَ بَحْرُ اللَّرْدَى^٢ مِنْ دَمِ الْعَدَا وَقَدْ فَاضَ بَحْرُ اللَّرْدَى^٢ مِنْ دَمِ الْعَدَا

وقال :

يَا نَشَرَ عَرَفَ الرَّوْضَةِ الْغَنَاءِ يَا نَشَرَ عَرَفَ الرَّوْضَةِ الْغَنَاءِ
هَذَا يَهْبُ مَعَ الْأَصِيلِ عَنِ الرَّبِيِّ هَذَا يَهْبُ مَعَ الْأَصِيلِ عَنِ الرَّبِيِّ
عَوَجًا عَلَى قَاضِي الْقُضَاةِ غُدِيَّةً عَوَجًا عَلَى قَاضِي الْقُضَاةِ غُدِيَّةً
وَتَحْتَلًا عَنِّي إِلَيْهِ أَمَانَةً وَتَحْتَلًا عَنِّي إِلَيْهِ أَمَانَةً
وَإِذَا رَمَى بِكَمَا الصَّبَاحُ دِيَارَهُ وَإِذَا رَمَى بِكَمَا الصَّبَاحُ دِيَارَهُ
فِي حَيْثُ جَرَّ الْمَجْدُ فَضْلَ إِزَارِهِ فِي حَيْثُ جَرَّ الْمَجْدُ فَضْلَ إِزَارِهِ

[ومتها] :

وَلَثَمْتُ ظَهَرَ يَدِي تَدْنَى حَرَّةٍ وَلَثَمْتُ ظَهَرَ يَدِي تَدْنَى حَرَّةٍ
وَمَلَأْتُ بَيْنَ جَبِينِهِ وَبِمِئِنِهِ وَمَلَأْتُ بَيْنَ جَبِينِهِ وَبِمِئِنِهِ
فَكَأَنِّي قَبَلْتُ وَجَهَ سَمَاءٍ فَكَأَنِّي قَبَلْتُ وَجَهَ سَمَاءٍ
جَفَنِي بِالْأَنْوَارِ وَالْأَنْوَاءِ^٣ جَفَنِي بِالْأَنْوَارِ وَالْأَنْوَاءِ^٣

١ الديوان : لغلة .

٢ ط د : للعدا .

٣ م ب ط د س : والأنداء .

قد راق بين فصاحة وصباحة^١
عَبَقُ الثَنَاءِ نَدَى الْجَنَابِ كَأَنَّهُ
أَبْدَأَ لَهُ فِي اللَّهِ وَجْهٌ بِشَاشَةٍ
وَكَأَنَّهُ مِنْ عِزْمَةٍ فِي رَحْمَةٍ
لَوْ شَاءَ نَسَخَ اللَّيْلُ صَبْحًا لَانْتَحَى
بَيْنَ الطَّلَاقَةِ وَالْمِضَاءِ كَأَنَّهُ
تَنَنَّى بِهِ رِيحُ الْمَكَارِمِ خُوطَةً
وَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّ رَجَعَ نَشِيدَهُ

سمع المصبيخ له وعين الرائي
رِيحَانَةٌ مَطْلُولَةٌ الْأَفْيَاءِ
وَوَرَاءَ سِتْرِ الْغَيْبِ عَيْنُ ذِكَاةٍ
مُتْرَكِّبٌ مِنْ جَذْوَةٍ فِي مَاءٍ
فَمَحَا سَوَادَ اللَّيْلَةِ اللَّيْلَاءِ
وَقَادُ نَصْلِ الصَّعْدَةِ السَّمَرَاءِ
فِي حَيْثُ تَسْجَعُ أَلْسُنُ الشَّعْرَاءِ
فَصَلُّ الرَّبِيعِ وَرَنَةُ الْمُكَّاءِ

وله من قصيدة في الوزير [المشرف] أبي محمد بن عامر ببلنسية^٢ :

حَدَرَ الْقَنَاعَ عَنِ الصَّبَاحِ الْمَسْفَرِ
وَتَمَلَّكَتُهُ هِزَّةٌ فِي عِزَّةٍ
مُتَنَفِّسًا عَنْ مِثْلِ نَفْحَةٍ مَسْكَةٍ
سَلَّتْ عَلَيَّ سَيُوفُهَا أَجْفَانَهُ
مَتَجَلِّدًا أَبَاى بِنَفْسِي أَنْ أَرَى
فَحْشًا بَطْعَتَهُ حَشًا مُتَنَفِّسٍ
يَغْشَى رِمَاحَ اللَّحْظِ^٣ أَوَّلَ مَقْبَلٍ
فَتَرَاهُ بَيْنَ جِرَاحَتَيْنِ لِلْحُظَّةِ
نَزَرَ الْكَرَى يَرْمِي الظَّلَامَ بِمُقْلَةٍ

ولوى القضيْبَ عَلَى الْكُثِيبِ الْأَعْفَرِ
فَارْتَجَّ فِي وَرَقِ الشَّبَابِ الْأَخْضَرِ
مُتَبَسِّمًا عَنْ مِثْلِ سَمْطِيْ جَوْهَرِ
فَلَقَيْتَهُنَّ مِنَ الْمَشِيبِ بِمَغْفَرِ
هَذَا الْهَزْبَرِ قَتِيلَ ذَاكَ الْجُوْذَرِ
تَحْتَ الدُّجَى عَنْ مَارِجِ مُتَسَعَّرِ
وَيَكْرُ يُومَ الْحَرْبِ آخِرَ مُدْبِرِ
مَكْسُورَةٍ وَلِعَامِلٍ مُتُكَسَّرِ
سَهَرَتْ لِأُخْرَى تَحْتَهُ لَمْ تَسْهَرِ

١ ط د س : سباحة وفصاحة .

٢ كان أبو محمد بن عامر صديقاً لابن خفاجة وكان مراعيّاً له فيما يختص بضيعته ببلنسية (الديوان : ٤٨) .

٣ ب م س : الخط .

من ليلة أرخى عليّ جناحه^١
لا يستقلُّ بها السُّرى فكأنّما^١
ولقد أقولُ لبرقِ ليلٍ هاجني
اقرأ على الجزعِ السَّلامَ وقلْ له^١
بيني وبينك ذِمَّةٌ مرَّعيةٌ^٢
وإذا غشيتَ ديارَ ليلي باللّوى
والمخِ صَحيفةَ صَفْحَتِي فاقرأ بها
كُتبتُهما^٣ تحتَ الظَّلامِ يدُ الضَّنى
ولئن جريتُ مع الصِّبا جري الصِّبا
ناجيتُ منه عطارِداً ولربُّما
تندى بفيه أقاحه^٤ نفّاحة^٥
شَهدتُ له فتَكَاتُهُ في مُهْجَتِي
[لقد اعتنقتُ القرنَ دونَ عناقِهِ
ولقد هُ خلوتُ به أَقسَمُ ناظري^٦
يثني معَاطِفَهُ وأذرفُ عبرتي
وأهابَ بي شَرخُ الشَّبابِ لريبتِهِ]

[ومنها] :

فيها غُرَابُ دُجْنَةٍ لم يُزَجَرَ
باتت تُسرّي عن صباحِ المحشرِ
فمسحتُ عن طرفِ بهمستعبرٍ [١٥٩أ]
سُقِّيتَ من سَبَلِ الغمامِ المُطرِ
فإذا تُنوسِيتَ المودّة^٢ فاذا ذكر
فاسألَ رياحَ الطَّيِّبِ عنها تُخبر
سُطرينِ من دَمْعٍ بها مُتحدِّر
خَوْفَ الوُشاةِ بأحمرٍ في أَصفر
وشربُها من كَفِّ أَحوى أَحور
قَبَلَتُهُ فَلَشِمْتُ وَجَهَ المُشْتري
شَرِبْتُ على ظمأٍ بماءِ الكوثرِ
يَوْمَ الغَمِيمِ بِنِسْبَةٍ في قَيْصَر
وحملتُ فيه^٣ الخنصر^٤
فإِخالُهُ غُصْنًا بِشاطيءٍ جَعْفَرِ
فرَمَيْتُ جانِبَهُ بِعِطْفٍ أُرْوَرِ

١ م : وكانها .

٢ الديوان : الأذمة .

٣ ب م : كُتبتُهما .

٤ زيادة من س وحدها .

٥ ب م ط : فلقد .

٦ ب م : منظري ؛ وبهامش د والديوان : نظرتي .

[وأخ زأرت له ولولا أنتي
أنشأت^٢ ما أنشأت من عتبي له^٣
ولو^٤ التقينا حيث يُصغي ساعة^٥
تهمي بماء الورد في أردانه
وعلاه لولا برق وعد شمتة^٦
لنسخت أسطار الكتاب كتاباً
ومقام بأس في الكربة قمته^٧
أضحكت نغراً النصر فيه من العدا
ورميت هبوته بهبة^٨ أشهب^٩

ومنها في الاستطراد :

ولقد خبطت الغاب أسأل ليله^١
وحططت عن بنت الزناد قناعها
ومسحت منها عن معاطف ماهرة^٢
وجرى الحديث بطيب^٣ ذكرى طاهر^٤
وظفقت أذكيتها وأذكر ذهنه^٥
وكأنها والريح عابثة بها

آنست^١ ما أنكرته لم أزار^٢
فأقام تحت غمامة^٣ لم تمطر^٤
لستته^٥ بين ملامة وتشكر^٦
وبلاً وتحصب سمعه^٧ بالجوهر
في عارض من بره^٨ مستمر^٩
مصطفة^{١٠} وطرقته^{١١} في عسكر^{١٢}
فسبحت في بحر الحديد الأخضر^{١٣}
ولربما أبكيت عين السهمري^{١٤}
فسفرت ليلاً عن صباح^{١٥} مسفر^{١٦}

عن صبح سر في حشاه^١ مضمير^٢
ليلاً لیسار تحته [متنور] [١٥٩ب]
شقراء تدعرو من شمال صرصر^٣
فجعلت جزل وقودها من عنبر^٤
فإخال ذلك وهذه من عنصر^٥
تزهي فترقص في قميص أحمر^٦

١ ط : أنسيت .

٢ ب م : أنشأت .

٣ ط س والديوان : أنشأته من عتبه ؛ د : آنسته من عتبه .

٤ ب م : عجاجة .

٥ ط : فلور .

٦ الديوان : هبته بلية ؛ د ط س : هبوته بلية .

٧ الديوان ، ط وهامش د : بيمضر .

وقال من قصيدة :

ألا ليت أنفاسَ الرياحِ النَّواسِمِ
وَيَرْمِينَ أَكْنافَ العقيقِ بنظرةٍ
ويلثمنَ ما بين الكثيبِ إلى الحمى
فهل ساءها أنا^١ كبرنا عن الصِّبا
صحونا وقد أصحتُ هناك سماؤنا
فما راعني إلا^٢ وميضٌ لشَّيْبَةٍ
ولا هالي إلا^٣ نَذِيرٌ بِرِحْلَةٍ
تولَّى الصِّبا إلا^٤ ادِّكارَ مَعَاهِدٍ
أُطلتْ له رَجَعَ الحنينِ ورُبَّما
فإن غاضتِ الأيامُ ماءً شيبتي
أسيرُ فتغشى بي دُجى الليلِ همّةٌ
فربُّ ظليمٍ قد ذعرتُ على السَّرى
فلم أدرِ أمَّ الرِّالِ من بنتِ أعوجٍ
وإن كنتُ حُرَّتِ العنانِ على الهوى
فيا عجباً أن أعطيَ الظَّبيَ مقوذي
وأدهمَ من ليلِ السَّرارِ ركبتهُ
على حينِ أرُخى الدِّجَنُ فَضُلَّ لثامه
وقد كَمَنْتُ^٥ بيضُ السِّيوفِ وأشرفت

يُحْيِينَ عَنِّي الوَاضِحَاتِ المَبَاسِمِ
تَرَدَّدُ في تِلْكَ الرُّبَى والمَعَالِمِ
مَوَاطِئَ أَخْفَافِ المَطِيِّ الرَّوَاسِمِ
ولثنا على الأحلامِ بيضَ العنائمِ
وكنا نشاوى تحتَ ظِلِّ النِّعَمِ
توقَّد في قِطْعٍ منَ اللَّيْلِ فاحمِ
مَسَحَتْ له من رَوْعَةٍ جفنَ نائمِ
له لذَّةٌ بين الحشا والحيازِمِ
بَكَيْتُ على عَهْدٍ مضى مُتَقَادِمِ
ومالت بغُصْنٍ من قوامي ناعم^٦
تَهْمُ فَأَعْرَوْرِي ظُهورَ العزائمِ
بجزوى وظبي قد طردتُ بِجَاسِمِ
ولا ظبيةَ الوعساءِ من أمَّ سالمِ
فإنِّي على الأعداءِ صعبُ الشِّكَايِمِ
وأدراً عنه في نخورِ الضَّرَاغِمِ
فأودَعْتُ أسرارَ السُّرى صدرَ كاتمِ
على كلِّ أَقْفَى من أنوفِ المَخَارِمِ
طلائعُ آذانِ الجيَادِ الصَّلَادِمِ [١٦٠]

١ الديوان : فهل ساء دعداً أن .

٢ بعد هذا البيت كتب في ب م « ومنها » .

٣ د ط س : حميت .

وكاثرت^١ أوضاع النجوم على السرى
 إذا ما تداعوا للكريهة حطّتموا
 وكروا وحده^٢ السيف يدمى فثلموا
 فمن مبلغ الحسناء عني أنني
 وكنت إذا ما أعضل الخطب لاجئاً
 فها أنا لا يسرى تناجي^٣ على السرى
 منيخ^٤ بمثوى المجد من ظل أروع
 جدير بإحراز العلا غير راكض
 تهز به ريح^٥ المكارم خوطة
 كأني وقد أسحبته الحمد^٦ ربطة
 فيا راكباً يزجي المطي على الوجي^٨
 كفأك بذاك الطول من وبل مزنة
 فإن قذفت يوماً إليك به النوى
 فعرّس من العلياء في رأس هضبة
 من القوم سادوا في المهود نجابة
 وقاموا لإقعاد الخطوب ودمثوا

بغرّ كيرام فوق غرّ كرائم
 صُدور العوالي في صُدور الملاحم
 رقاق^٣ الظُّبا بين الطُّلى والجماجم
 خلعت^٤ نجاد السيف خلع التّمائم
 إلى وزر^٥ من مضرب السيف عاصم
 عناناً ولا يُمنى تلوذ^٦ بقاءم
 جفا للمعالي دَارِسَاتِ المعاليم
 مُغذّ وإدراك السّها غير قائم
 تفضّ^٧ بها الآمال نور الدّراهم
 سننت^٨ على عطفه حلة راقم
 ويخبط^٩ أنفاس الرّياح النّواسيم
 وحسبك ذاك البشر من برق شائم
 وأدّت^{١٠} أيدي النّاجيات الرّواسيم
 تُزاحِم^{١١} أشباح النّجوم العواتم
 وطبّوا صغاراً من كلوم العظام
 جناب^{١٢} اللّياالي للملوك الخضارم

١ م : وكاثر .

٢ الديوان : ونصل .

٣ في ط د بعد هذا البيت : « ومنها » ، ولا حذف هنالك ، قارن بالديوان .

٤ الديوان : كالى .

٥ ط د س والديوان : تؤاخي .

٦ د ط س : السماحة .

٧ د ط س : المجد .

٨ ب م : الذوى .

فإن دَقَّتِ الهيجاءُ أَرْماحَ حلبةٍ
وإن هدَّتِ الأيامُ أَرْكانَ دَوْلَةٍ
ترى بهمُ مِنْ هَزَةٍ في طَلَاقَةٍ
وما شئتُ مِنْ آراءٍ نُججِ كِوالِيَّ
تُفْلِسُ أَظفارَ¹ المَكَارِهِ تارَةً
أَبَا حَسَنِ كَمْ مَنَّةً لَكَ حَرَّةً
[يرفُّ عليها الشكر في كلِّ محفلٍ
هَزَزْتُ لها عطفَ القُضيبِ² ورُبُّما
فما رَوْضَةٌ غناءٌ في رأسِ ربوةٍ
بأَحْسَنَ مَرَأَى مِنْ حُلَاكٍ لِنَاطِيرِ
] ودونكها تصبي الحليمَ فصاحَةً
تَغْنَى بها حُبًّا لها فكأنها
ولولا وقارُ الشيبِ خَفَّ به الهوى

فثمَّ مِنْ الآراءِ أَمْضى لَهَاذِمِ
فثمَّ مِنْ الأَقلامِ أَقوى دَعائِمِ
لِدانِ العوالي في بريقِ الصَّوَارِمِ
تُسَدُّ مِنْ أَطرافِ سَمَرِ كِوالمِ
وتمسَحُ طَوراً عن وجوهِ المَكَارِمِ
كما سَحَّ صوبُ العارضِ المُتراكِمِ
رَيفِ اللَّالِي في نَحورِ الكَرائِمِ
سَجَعْتُ أَبْثُ الشُّكْرَ سَجْعَ الحَمائِمِ [ب ١٦٠
تُعَلُّ بِمُنْهَلٍّ مِنْ المَزَنِ ساجِمِ
وأعطرَ نَشْراً مِنْ نِثاكٍ لِناسِمِ
فيرسلُ في أعطافِها طَرْفَ هائِمِ
تَفْضُ عن النَوَّارِ خُضْرَ الكَمائِمِ
فمدَّ إلى تَقْبيلِها فَمَ لاثِمِ

ومن مقطوعات قالها في زمن الصبا

قال يداعب :

[وفتاةٍ حَسَنِ كَلَّتْها أَعْجَازُ
لذَّتْ أَغانيها وخَفَّتْ مَوْعِياً
غنت غناءً كَلَّه إِعْجَازُ
فكأنما تَطوِيلُها [إيجاز]
] وقال :

لِللَّهِ نُورِيَّةٌ الْمُحْيَا تَحْمِلُ نارِيَّةَ الحُمَيَّا

١ ط د س : أطراف .

٢ ب م : الكتيب .

دَرْنَا بِهَا تَحْتَ ظِلِّ دَوْحٍ قَدْ رَاقَ زَهْرًا^١ وَطَابَ رِيًّا
تَجَسَّمُ النُّورُ فِيهِ نَوْرًا فَكَلُّ غُصْنٍ^٢ بِهِ ثُرِيًّا

وكتب إليه بعض الفتيان شعراً يعرض فيه بسبه، فوقع الخفاجي على ظهره
رقعته وقال :

وَمُعَرِّضٍ لِي بِالْهِجَاءِ وَهَجْرِهِ جَاوِبَتُهُ عَنْ شَعْرِهِ فِي ظَهْرِهِ
فَلَنْ نَكُنْ بِالْأَمْسِ قَدْ لُطْنَا بِهِ فَالْيَوْمَ أَشْعَارِي تَلُوطُ^٣ بِشَعْرِهِ

وهذا كقول البديع للخوارزمي :

وَمَتَى التَّقِينَا نَاكَ شَعْرِي شَعْرَهُ^٤ وَنَزَا عَلَى شَيْطَانِهِ شَيْطَانِي

وقال الخفاجي :

تَعَلَّقَتْهُ رِيَّانَ مِنْ خَمَرٍ رِيْقَةٍ لَهُ رَشَفَهَا دُونِي وَلِي دُونَهُ السُّكْرُ
تَرَقَّرَقُ مَاءٌ مُقْلَتَايَ وَوَجْهَهُ^١ وَيَذْكِي عَلَى قَلْبِي وَوَجْنَتِهِ الْجَمْرُ
فَلِي وَلَهُ مِنْ حُسْنِهِ وَمَدَامَعِي عَلَى وَجْهِهِ رَوْضٌ^٢ وَفِي وَجْنَتِي نَهْرُ
وَلَا عَجَبٌ أَنْ طَابَ نَشْرًا فَإِنَّمَا^٣ مُحَاسِنُهُ فِي غُصْنٍ قَامَتِهِ زَهْرُ
أَرَقَّ نَسِيْبِي فِيهِ رِقَّةٌ حُسْنِهِ^٤ فَلَمْ أَدْرِ أَيَّ قَبْلَهَا مِنْهُمَا السَّحَرُ
وَطَبْنَا مَعًا ثَغْرًا وَشَعْرًا^٥ كَأَنَّمَا لَهُ مَنَظَقِي ثَغْرٌ وَلِي ثَغْرُهُ شِعْرُ

وقال في ذم خط واستبراد لفظ :

١ الديوان : والدوح رطب المهز لدن ؛ قد رف ربا .

٢ الديوان : فهذه .

٣ ب م : نفسه .

٤ د ط س : شعراً وثغراً .

لحى الله أبياتاً بعثت ذميمةً
مُعَوَّجَةً أَسْطَرُّهَا، وَحَرُوفُهَا
وَلَا عَجَبٌ مِنْ سُخْفِيهِنَّ فَإِنَّهُ
فَلَوْ كُنَّ أَعْضَاءُ لَكُنَّ مَخَارِجاً
كَأَنَّ بَهَا مِنْ بَرْدٍ لَفْظِيكَ فَالْجَا
إِذَا سَاءَ فَعِلُ الْمَرْءِ سَاءَ نَتَائِجُهَا

وقال :

وَمُهَقِّهَفٍ طَاوِي الْحِشَا
مَلَأَ الْعَيُّونَ بِبِصُورَةٍ
فَإِذَا رَنَا وَإِذَا شَدَا
فَضَحَ الْمُدَامَةَ وَالْحَمَا
خَنَتْ الْمَعَاطِفَ وَالنَّظَرَ
تُلَيِّتُ مَحَاسِنَهَا سُورَ
وَإِذَا سَعَى وَإِذَا سَفَرَ
مَةَ وَالْغَمَامَةَ وَالْقَمَرَ [١٦٦]

وقال :

خُذْهَا وَقَدْ سَفَرَتْ إِلَيْكَ يَدُ الصَّبَا
وَاقْدَحْ بِهَا زَنْدَ السُّرُورِ وَقَدْ طَمَى
وَانْجَابَ نَقْعُ الْغَيْمِ مِنْ قَمَرِ الدُّجَى
وَتَعَثَّرَتْ قَدَمُ الثَّرِيَّا سُحْرَةً
وَافْتَرَّ مُبْتَسِمُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ
عَنْ وَجْهِ أَفَقٍ بِالْغَمَامِ مُلْتَمِسٌ
بِحَرِّ الدُّجَى وَطَفَا حَبَابُ الْأَنْجُمِ
عَنْ غُرَّةٍ وَضَحَتْ بِجِبْهَةِ أَدْهَمِ
فِي بُرْدٍ لَيْلٍ بِالْمَجْرَةِ مُعْلَمِ
وَضَحَّ بِقَادِمَةِ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ

وقال :

وَحُورَاءُ^٢ يَبْضَاءُ الْمَحَاسِنِ طَلْقَةً
يَزُرُّ عَلَيْهَا الصُّبْحُ^٣ جَيْبَ قَمِيصِهِ
لَبَسْتُ بِهَا اللَّيْلَ الْبَهِيمَ نَهَاراً
وَقَدْ لَبِيسَ الْجَوْ الظَّلَامَ صَدَاراً

١ ب م : نابت .

٢ الديوان : وفوراء .

٣ ب م : الليل .

هَزَزْتُ لِأَغْصَانِ الْقُدُودِ مَعَاظِفًا بِهَا وَلِرُمَّانِ النَّهْودِ ثَمَارًا
فَسَقِيًّا لِأَيَّامٍ هُنَاكَ سَجَبَتَهَا^٢ ذُيُولًا عَلَى حُكْمِ السَّرُورِ قَصَارًا
إِذَا شَتُّ غَنَائِي وَشَاخُ وَحَلِيَّةٍ^٣ لِحَسَنَاءَ غَصَّتْ دُمُجًا وَسَوَارًا
هِيَ الظَّيِّ^٤ طَرَفًا أَحُورًا وَمَلَا حِطًّا مِرَاضًا وَجِيدًا أَتْلَعًا وَنَفَارًا

وله من مرثية في ابن أخت له وقد ورد النعي من أغمات بموته :

أَرَقْتُ أَكْفُ الدَّمْعِ طُورًا وَأَسْفَحُ وَأَنْضَحُ خَدَّي تَارَةً ثُمَّ أَمْسَحُ^٥
وَدُونَكَ طَمَاحٌ مِنَ الْمَاءِ مَائِجٌ [يَعْبُ] وَمُغْبِرٌ مِنَ الْبَيْدِ أَفِيحُ
وَإِنِّي إِذَا مَا اللَّيْلُ جَاءَ بِفَحْمَةٍ^٦ لِأُورِي زِنَادَ الْهَمِّ فِيهَا فَأَقْدَحُ
وَأَتَبِعُ طَيْبَ الذِّكْرِ أَتَّةَ مَوْجَعٍ^٧ فَيَنْفَحُ هَذَا حَيْثُ هَاتِيكَ تَلْفَحُ
وَأَلْقَى بِيَاضَ الصُّبْحِ يَسُودُ وَحِشَةً^٨ فَأَحْسِبُنِي أَمْسِي عَلَى حَيْنٍ أَصْبَحُ
وَيُوحِشُنِي نَاعٍ مِنَ اللَّيْلِ نَاعِبٌ فَأَزْجُرُ مِنْهُ بَارِحًا لَيْسَ يَبْرَحُ
غَرِيقًا بِبَحْرِ الدَّمْعِ وَالْهَمِّ^٩ وَلَوْ كَانَ بَحْرًا وَاحِدًا كُنْتُ أُسْبَحُ
وَفِي^{١٠} نَازِرِي لِلَّيْلِ مَرْبُطُ أَدْهَمٍ وَفِي وَجَنَّتِي لِلدَّمْعِ أَشْهَبُ يَحْمَحُ

ومنها :

أَقُولُ^٧ وَقَدْ وَافَى كِتَابُ نَعِيهِ^٨ يُجَمِّجُ^٩ فِي أَلْفَاظِهِ وَيُصْرِّحُ^{١٠}

١ ب م : لأعطاف .

٢ الديوان : تقلصت .

٣ الديوان : الشباب .

٤ م : هو الطرف .

٥ م ب : الهم والدمع .

٦ د ط س والديوان : فني .

٧ د ط س : وقلت .

٨ الديوان : فيصرح .

غُلامٌ^١ كما استخسنتَ جانبَ هَضْبَةٍ
أرامٍ بأغْمامٍ يُسَدِّدُ سَهْمَهُ^٢
فيا لغريباً^١ فاجأتهُ مَنِيَّةٌ^٣
تري بي إذا أَعَوَلْتُ حُزْناً حَمَامَةً^٤
وَأَيَّاسْتُ قَلْباً كانَ يَخْشَعُ تَارَةً^٥
فَمَا أَتَلَقَى^٢ الرِّكْبَ أَرْجُو تَحِيَّةً^٦
وخادعتُ عنه النفسَ والنفسُ صَبَةً^٧
يَنُمُ بِأَسْرارِ الصَّبَابَةِ مَسْدمَعِي^٨
فلي نظرةٌ نحو الشمالِ ولوعةٌ^٩
فيا عارضاً يَسْتَقْبِلُ اللَّيْلَ وَالْفَلَا^{١٠}
تَحْمَلُ^{١١} إلى قلبِ الغريبِ مَسْدامِعاً^{١٢}
وأحْفَى سلامٍ يَعْبُرُ الْبَحَرَ دُونَهُ^{١٣}
وعرَّجَ على مَثْوَى الْحَبِيبِ بِنَظَرَةٍ^{١٤}

ولانَ على طشٍ [من] المزن أبطح
فيرمي وقلبٌ بالجزيرةِ يجرَحُ
أَتَمَّهُ على عَهْدِ الشَّبَابِ تُجْلَحُ
تُرْنُ وطوراً أَيْكَةً تَتَرَنِّحُ
وَتَنْزُو بِهِ الْأَمالُ طَوَّراً فَيَطْمَحُ
تُوَافِي لَهُ أَوْ رُقْعَةً تُتَصَفَّحُ
وراوغتُ حسنَ الصبرِ والصبرُ أَرْجَحُ
وكل إناءٍ بالذي فيه يرشح
تَلَدَّدُ [بي] نحو الجنوبِ فَأَجْنَحُ
ويسري فيطوي الأطولينِ ويمسحُ
تَكْبُ فَرَوِي أَوْ تَعْبُ فَتُطْفَحُ^٣
فِينْدِي وَأَزْهَارُ الْبَطَاحِ فَتَنْفَحُ
تَراهُ بها عَنِّي هُنَاكَ وَتَلْمَحُ

وله من مَرثِيَةٍ في صديق توفى باشبيلية ، فقال :

أَلَا لَيْتَ لَمَحَ الْبَارِقِ الْمُتَأَلَّقِ^{١٥}
وَيَرَكْبُ مِنْ رِيحِ الصَّبَا مَتَنَ سَابِحِ^{١٦}
فَيَهْدِي إِلَى قَبْرِ بِحْمَصٍ تَحِيَّةً^{١٧}
فَعِنْدِي لَحْمَصٍ أَيْ نَظَرَةٍ لَوْعَةٍ^{١٨}

يَلْكُفُ ذُيُولَ الْعَارِضِ الْمُتَدَفِّقِ^{١٩}
كَرِيمٍ وَمِنْ لَيْلِ السَّوْءِ ظَهَرَ أَبْلَقِ^{٢٠}
مَتَى تَحْتَمِلُهَا رَاةُ الرِّيحِ تَعْبِقُ^{٢١}
وَاللَّحْجَمِ وَهَنًا أَيْ نَظَرَةٍ مُطْرِقِ^{٢٢}

١ م ب : للغريب .

٢ م ب : فيها أنا ألقى .

٣ ب م : فتتصفح ؛ ط د س : مزادة من الدمع تندى حيث مرت وتتصفح .

٤ ب م : حملتها .

وَشَلَوِ عِثَا فِيهِ الْبَلَى مُتَمَرِّقٌ
 وَدُونَ التَّلَاقِي كُلُّ بَيْدَاءَ سَمَلَقِ
 عَلَيْهِ الْحَشَا مِنْ لَوْعَةٍ وَتَحَرِّقِ
 فَأَذْكَرْتُهَا نَوْحَ الْحَمَامِ الْمُطَوَّقِ
 حَدِيثٌ وَعَهْدٌ لِلشَّيْبَةِ مُخْلِقِ
 فَأَعْدَمُ فِيهَا طَيْبَ ذَاكَ التَّنَشُّقِ
 وَدَارَتْ بِهِ لِلشَّمْسِ نَظْرَةٌ مَشْفُوقِ [١٦٢أ]
 وَالْثَمُّ طَوْرًا تُرْبَهَا مِنْ تَشْوُقِ
 وَقَدْ بَيْتٌ مِنْ وَجْدٍ بَلِيلِ الْمُورَقِ
 فَهَلْ مِنْ تَلَاقٍ بَعْدَ هَذَا التَّفَرُّقِ
 فَيَا لَيْتَ شَعْرِي أَيْنَ أَوْ كَيْفَ نَلْتَقِي
 فَلَمْ يَنْدِرْ مَا أَلْقَى وَلَمْ أَذِرْ مَا لَقِي
 مَتَى أَتَذَكَّرُهُ بِهَا أَتَشْوُقِ
 بِأَفْصَحِ دَمْعٍ تَحْتَ أُخْرَسٍ مَنْطِقِ
 فَإِنْ أَخْلَقَ الصَّبْرُ الْجَمِيلُ فَأَخْلِقِ
 بِكَفِّي وَيَوْمَ الْفَخْرِ تَاجًا بِمَفْرِقِي
 وَلِلرَّعْدِ مِنْ جَيْبٍ عَلَيْهِ مُشَقَّقِ
 وَلِلنَّجْمِ مِنْ طَرْفٍ عَلَيْهِ مُؤَرَّقِ

حَنَّانًا إِلَى قَبْرِ هَنَالِكَ نَازِحِ
 وَكَيْفَ بِشَكْوَى سَاعَةٍ أَشْتَفِي بِهَا
 فَهَلْ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ مَا بَاتَ يَنْطَوِي
 وَقَدْ أَذْكَرْتَنِي الْعَهْدَ بِالْأُنْسِ أَيْكَةً
 وَأَكْبَبْتُ أَبْكِي بَيْنَ وَجْدٍ أَنَاخِ بِي^٢
 وَأَنْشَقُ أَنْفَاسَ الرِّيحِ تَعَلُّلًا
 وَلَمَّا عَلَتْ وَجْهَ النَّهَارِ كَآبَةً
 عَطَفْتُ عَلَى الْأَجْدَاثِ أَجْهَشُ تَارَةً
 وَقُلْتُ اإِمْغَفْ لَا يَهْبُ مِنَ الْكُرَى
 لَقَدْ صَدَعْتُ أَيْدِيَ الْحَوَادِثِ شَمَلْنَا
 وَإِنْ تَاكَ لِلْخَلَّيْنِ ثُمَّ التِّقَاءُ
 فَأَعَزَّزْ^٣ عَلَيْنَا أَنْ تَبَاعَدَ بَيْنَنَا
 فَسَقِيًّا لَتَرْبٍ بَيْنَ أَضْلُعِ تَرْبَةٍ
 وَأَلْوِي ضُلُوعِي أُنْدَبُ الْمَجْدِ وَالنَّدَى
 وَمِثْلِي يَبْكِي لِلْمُصَابِ بِمِثْلِهِ
 فَقَدْ كَانَ يَوْمَ الرُّوعِ أَيْضُ صَارِمًا
 فَكَمْ لِلْحَيَا مِنْ أَدْمَعٍ فِيهِ ثَرَّةٌ
 وَلِلْبَرْقِ مِنْ قَلْبٍ بِهِ مُتَمَكِّمِلِ

١ ب م : بالأمس .

٢ الديوان : أظنني .

٣ الديوان : وأعزز .

٤ ط د : والعلا .

[وفيها يقول] :

فما ابنُ شَمالٍ بات يهفو كأنما
سرى بين دَفَاعٍ من الودَقِ مُغْدِقٍ
بأندى ذيولاً من جُفُونِي موهناً

به خلف أَسْتارِ الدُّجَى [مسٌ أولق]
يَسُحُ وَلَمَاعٍ من البرقِ مُحْرِقٍ
وأهفي^١ جناحاً من ضلوعي وأخفق

وكتب^٢ إلى بعض إخوانه :

أورى بأفقيكَ بارقٌ يتألقُ
وتحملاً عني إليك تحيةً
وكان^٣ ماء الورد عنها ينهمي
ويهيجني نفسُ النسيمِ إذا سرى
فإذا تطأع من سمالكِ بارقٌ
خفقتُ لذكرِكَ أضلعي فكأن لي
وتملكتني لوعةٌ مشبوبةٌ
فابعث بطيفك باغثاً أو واعداً
وصلِ التحيةَ إنَّ عهدك زهرةٌ

وسقى ديارك وابلٌ يتدفقُ
تندى على نفسِ القبولِ وتعبق
عطراً ومسك الهند فيها يفتق
ويشوقني فيك الحمامُ الأورق
أو طاف زورٌ من خيالك يطرق
في كل جارحةٍ جناحاً يخفق
شوقاً إليك وعبرةٌ تترقق
إنني إليه كيف كان لشيقي
تندى وذكرك نفحةٌ تنشق [١٧٢ ب]

وقال وهو مضطجع :

الليلُ إلاَّ حيثُ كنتَ طويلُ
والصبرُ إلاَّ منذُ بنتِ جميلُ

١ ط د س : وأهفي .

٢ من هنا حتى آخر الترجمة سقط من ط د س ، سوى عبارة : « ومحاسن الخفاجي كثيرة . . .
الغاية » .

٣ الديوان : فكان .

٤ الديوان : جانحة .

٥ ب م : راضياً .

وَالنَّفْسُ مَا لَمْ تَرْتَقِبْكَ كَثِيبَةً
فَلَقَدْ خَلَعْتَ عَلَى الزَّمَانِ مُحَاسِنًا
فَالصُّبْحُ ثَغْرٌ فِي جَنَابِكَ ضَاحِكٌ
وَالطَّرْفُ مَا لَمْ يَلْتَمَحْكَ كَلِيلٌ
تُثْنِي بِهَا أَعْطَافُهُ^١ فَيُذِيلُ
وَاللَّيْلُ طَرْفٌ فِي ذَرَاكَ كَحِيلِ

ومنها :

وَوُثِي رِداءَ الْحَمْدِ^٢ بِاسْمِكَ خَاطِرٌ
فَسَجَعْتُ فِي قَيْدِ الشَّكَاةِ مُغَرِّدًا
وَلَوَى الْعِنَانَ عَنِ الْإِطَالَةِ أَنْتِي
مَادَ النُّحُولُ بِهِ فَلَاعَبَ شَخْصَهُ
فَبَعَثَهُ جَمَّ^٣ الْمُحَاسِنِ نَاقِيهَا
وَلَكُمْ قَصِيرٌ مِنْ يَسْرَاعِكَ شَاحِبٌ
قَدْ عَاثَ فِيهِ السَّقَمُ فَهُوَ عَلِيلٌ^٣
طَرْبًا وَلِلطَّرْفِ الرِّيبُ صَهِيلٌ
نَضُو [يَسْرٌ] بِي الْفِرَاشُ ضَيْلٌ
ظِلٌّ تَحْيِفُهُ السَّقَامُ نَحِيلٌ
قَدْ كَاثَرَ الْأَمْدَاحَ وَهُوَ قَلِيلٌ
قَدْ فَاتَ صَدْرَ الرَّمَحِ وَهُوَ طَوِيلٌ

وله من قصيد فريد :

حُتَّ الْمُدَامَةِ فَالْتَسِيمُ عَلِيلٌ
وَالنَّورُ طَرْفٌ قَدْ تَنَبَّهَ دَامِعٌ
وَقَدْ انْتَشَى عِطْفُ الْأَرَاكَةِ فَاثْنَى
وَتَطَلَّعَتْ مِنْ بَرْقَةٍ وَغَمَامَةٍ
حَتَّى تَهَادَى كُلُّ خُوطَةٍ أَيْكَةٍ
فَالرَّوْضُ مُهْتَزُّ الْمَعَاطِفِ نَيْمَةٍ
رَبَّانٌ فَضَضَهُ النَّدى ثُمَّ انْجَلَى
وَالظَّلُّ خَفَاقُ الرُّوْاقِ ظَلِيلٌ
وَالْمَاءُ مُبْتَسِمٌ يَرُوقُ صَقِيلٌ
سُكْرًا وَرَجَّعَ فِي الْغُصُونِ هَدِيلٌ
فِي كُلِّ أَفْقٍ رَايَةٌ وَرَعِيلٌ
رَبِيًّا وَغَصَّتْ تَلْعَةً وَمَسِيلٌ
نَشْوَانٌ تَعَطِفُهُ الصَّبَا فَيَمِيلُ
عَنْهُ فَذَهَبَ صَفْحَتِيهِ أَصِيلٌ

١ م : أَعْطَافُهَا .

٢ ب م : الْمَجْد .

٣ الدِّيْوَان : كَلِيل .

وارتدَّ ينظر من نِقَابِ غَمَامَةٍ
ساجٍ كما يَرْنُو إلى عَوَادِهِ
فالشَّمْسُ شاحِبَةٌ الجبينِ مَرِيضَةٌ
والزَّقُ مُنْجَدَلٌ يَكْبُ لَوَجْهِهِ
والكأسُ طَرْفُ أَشْقَرٍ قد جال في
يسعى بها قَمَرٌ له وَلِكَأْسِهِ
شاكِي السَّلَاحِ بِقَدِّهِ وبطَرْفِهِ
وأخٍ تَهْزُ له العلا أعطافها
راضعتهُ كَأْسَ المَدَامِ وبيننا
مَيَّاسٌ أُعْطِافَ السَّمَاحِ كَأَنَّهُ
تندى لهُيَّ وَرَدَّى أَسْرَةً كَفَّهُ
طَلَقُ الجَبِينِ وَلِلْحُسَامِ تَبَسُّمٌ

طَرْفٌ يَمْرُضُهُ العَشْيُ كَلِيلُ
شَاكٍ وَيَلْتَمِصُ العَزِيزُ ذَلِيلُ
وَالرَّيْحُ خَافِقَةٌ الجَنَاحِ بَلِيلُ
وَيَمِجُ رُوحُ الرَّاحِ مِنْهُ قَتِيلُ [١٦٣]

عَرَقَ عِلَاهُ مِنَ الحَبَابِ يَسِيلُ
وَجْهٌ أَغْرُ وَمَبْسِمٌ مَعْسُولُ
رُوحٌ أَصَمٌ وَصَارِمٌ مَسْلُولُ
فكَأَنَّهُ رِيحَانَةٌ وَشَمُولُ
لِجَنَى الحَدِيثِ حَدِيقَةٌ وَقَبُولُ
غُصْنٌ تَنْفَسُ نَوْرُهُ مَطْلُولُ
أَبْدَأُ فَبَطْنُ يَمِينِهِ مَبْلُولُ
طَاوَى المَصِيرِ وَبِالْقَنَاءِ ذَبُولُ

منها :

فِي حَيْثُ مِنْ حَرِّ الطَّعَانِ هَجِيرَةٌ
وَالنَّفْعُ أَدْهَمُ لِلرِّمَاحِ بِوَجْهِهِ
وَالْحَيْلُ سَطَرٌ بِالأَسِنَّةِ مُعْجَمٌ

تَحْمَى وَمِنْ ظِلِّ اللَّوَاءِ مَقِيلُ
غُرُرٌ تَلُوحُ وَلِلسَّيْفِ حُجُولُ
وَبُحْمَرِ أَلْسِنَةِ الظُّبَا مَشْكُولُ

ومن أخرى :

فِي مَوْقِفٍ أَفْصَحَتْ بَيضُ السَّيْفِ بِهِ
فَكَمْ أَنَابِيْبٍ خَطِيئِي بِهِ كَيْسَرُ
وَكَمْ كُثُوسٍ مِنَ البَأْسَاءِ دَائِرَةٌ

فَلَا هَوَادَةَ بَيْنَ السَّيْفِ وَالْعُنُقِ
تَدْمَى وَكَمْ سَلَخِ دَرْعٍ بَيْنَهَا مِزْقُ
عَلَى نَدِيمٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُغْتَبِقُ

١ م ب : يندى لها ورداً أسرة وجهه .

منها :

مِنْ أَشْهَبَ شَقَّ عَنْهُ الرَّكْضُ هَبْوَتَهُ كَمَا تَفَرَّى أَدِيمُ الدَّلِيلِ عَنْ فَلَقِ
وَأَدْهَمَ فَضْضَ التَّحْجِيلِ أَكْرُعَهُ كَمَا تَعَلَّقَ بَدْءُ الصُّبْحِ بِالْغَسَقِ
وَأَشْقَرِ سَائِلٍ فِي وَجْهِهِ وَضَحٌ كَمَا تَصَوَّبَ نَجْمُ الرَّجْمِ فِي شَقِّ

وقال يتفجعُ لفقد الشباب ، وَعَدَمِ العلية الأصحاب ، ويصف
فرساً أشهب :

أَلَا سَرَّتِ الْقَبُولُ وَلَوْ نَسِيمَا وَجَاذَبَنِي الشَّبَابُ وَلَوْ قَسِيمَا
وَطَالَعَتِي الظَّلَامُ بِهِ خِيَالًا فَأَقْبَلَ نَاطِرِي وَجْهًا وَسِيمَا
تَقَضَّى غَيْرَ لَيْلٍ مَا تَقَضَّى كَأَنَّ بَمَضْجَعِي فِيهِ سَلِيمَا
كَأَنِّي مَا أَلِفْتُ بِهِ شَفِيعًا هُنَاكَ وَلَا طَرَبْتُ لَهُ نَدِيمَا [١٦٣ ب]
وَأَسْأَلُ هَلْ سَقَى طَلَلًا بِخَزْوَى عَفَا قَدِمًا وَهَلْ جَادَ الْغَمِيمَا
وَأَنْشَقُّ لَوَعَةٍ بِعَرَارٍ نَجْدٍ صَبَا نَجْدٍ أَسَائِلُهَا شَمِيمَا
وَكُنْتُ رَجَوْتُ أَنْ أَعْتَاضَ مِنْهُ زَعِيمًا أَوْ عَلِيمًا أَوْ حَلِيمَا
وَمَطَرُورًا أَجْرَدُهُ^٢ صَفِيلًا وَيَعْبُوبًا أَكْرُ بِهِ كَرِيمَا
يَشِيمُ بِهِ وَرَاءَ النَّقْعِ بَرَقًا تَأَلَّقَ شُهْبَةً وَصَفَا أَدِيمَا
إِذَا أَوْطَأَ [تَهُ] أَعْقَابَ لَيْلٍ طَرَدْتُ مِنْ الظَّلَامِ بِهِ ظَلِيمَا

وقال يصف خيلاناً :

غَا [زَلَّتُهُ] مِنْ حَبِيبٍ وَجْهَهُ فَلَقُ فَمَا عَدَا أَنْ بَدَا فِي وَجْهِهِ شَفَقُ

١ الديوان : لعرار .

٢ ب م : أفرده .

وارتج يَعْرُ في أذيالِ خَجَلْتِه
تخالُ خَيْلَانَهُ في نُورِ صَفْحَتِه ٢
عَجِبْتُ والعَيْنُ ماءٌ والحشا لَهْبٌ
غُصْنٌ بِعُطْفِيهِ ١ من إستبرق ورق
كواكباً في شُعاعِ الشَّمْسِ تحترق
كيف التقتُ بهما في حُبِّ الطُّرُق

وقال يصفُ شجرَ النَّارَنِج :

ألا أَفْصَحَ الطَّيْرُ جَتَى ٣ خَطَبُ
فَمِلْ طَرَباً بينَ ظِلٍّ هفا
وَجُلْ في الحديقةِ أُنْجَتِ المُنَى
وَحَامِلَةٌ من بناتِ القَنَا
تَنُوبُ مَوْرَقَةٌ عن عذارٍ
وتَسْدِي بها في مَهَبِّ الصَّبَا
تُفَاوِحُ أنفاسها تارةً
فَتَبْسِمُ في حالةٍ عن رِضَى
وَحَفَّ له الغصنُ حتَّى ٤ اضطربُ
رطيبٌ وماءٌ هناك انثَعَبُ
وَدِنَ بالمُدَامَةِ أمَّ الطَّرَبِ
أماليدَهْ تَحْمِلُ خُضَرَ العَدَبِ
وتَضْحَكُ زَاهِرَةٌ عن شَنَبِ
زَبَرَجَدَةٍ ائْتَرَتْ بالذَّهَبِ
وطوراً تُغَازِلُها من كَثَبِ
وتَنْظُرُ آوِنَةً عن غَضَبِ

وقال يصفها :

وَمَيَّاسَةٌ تُزْهِى وقد خلع الحَيَا
يَذُوبُ لها ريقُ الغمامَةِ فَضَّةً
عليها حُلَى حُمْراً وأرْدِيَّةً خُضْراً
ويحمدُ في أغصانها ذهباً نضراً [أ١٦٤]

-
- ١ ب م : بكففيه .
٢ ب م : مهجته .
٣ ب م : حين .
٤ م : حين .
٥ ب م : أماله .
٦ الديوان : أعطافها .

وقال يصفها ، ويصف الشراب ملتزماً :

أُنْعِمَ فَقَدْ هَبَّتِ النُّعَامَى وَتَبَهَّتْ رِيحُهَا الْخُزَامَى
وَمَلْءَ إِلَى أَيْكَةِ بَلِيلٍ تَهْفُو اهْتِزَازاً بِهَا قُدَامَى
تَهْزُءُ أَعْطَافُهَا الْقَوَافِي لَهَا وَأَكْوَاسُهَا النَّدَامَى
كَأَنَّ أُمّاً بِهَا رَوْوَمَا تَحْضُنُ مِنْ شَرْبِهَا يَتَامَى

وقال يصفها ويصف الثمر في أغصانها :

عَاطٍ أَحْيَاءُكَ الْمُدَامَا وَاسْتَسْقِ لِلْأَيْكَةِ الْغَمَامَا
وَأَرْقِصِ الْغُصْنَ وَهُوَ رَطْبٌ يَقْطُرُ أَوْ طَارِحِ الْحَمَامَا
وَقَدْ تَهَادَى بِهَا نَسِيمٌ حَيَّتْ سُلَيْمَى بِهِ ٢ سَلَامَا
فَتَلِكْ أَفْنَانُهَا نَشَاوَى تَشْرَبُ أَكْوَاسُهَا قِيَامَا

وقال يصف ثمر النارنج ملتزماً :

وَمَحْمُولَةٌ فَوْقَ الْمَنَاكِبِ عِزَّةٌ لَهَا نَسَبٌ فِي رَوْضَةِ الْحَزَنِ مُعْرِقٌ
رَأَيْتُ بِمَرَّأَهَا الْمُنَى وَهِيَ تَلْتَقِي وَشَمْلَ رِيَّاحِ الطُّيْبِ وَهِيَ ٢ تَفَرِّقُ
يُضَاحِكُهَا ثَغْرٌ مِنَ الشَّمْسِ ضَاحِكٌ وَيُلْحِظُهَا طَرْفٌ مِنَ الْمَاءِ أَزْرَقُ
وَتُجَلَّى بِهَا لِلْمَاءِ وَالنَّارِ صُورَةٌ تَرُوقُ فُطْرِي حَيْثُ يَغْرُقُ يَحْرِقُ

وقال في ذلك ملتزماً :

١ الديوان : وراقص .

٢ م ب : حيسى . . . بها .

٣ الديوان : كيف . . . كيف .

٤ الديوان : واضح .

جُذِّدْهَا إِلَيْكَ وَإِنَّهَا لَنُضِيرَةُ
 حَمَلَتْ وَحَسْبُكَ نَفْحَةٌ فِي بَهْجَةٍ^١
 مِنْ كُلِّ وَا رَسَمَةِ الْقَمِيصِ كَأَنَّهَا
 نَجَمَتْ تَرَوْقُ بِهَا نَجُومٌ^٢ حَسْبُهَا
 وَأَتَتْكَ تُسْفَرُ عَنْ وَجْهِهِ طَلْقَةً
 يَنْدَى بِهَا وَجْهُ النَّدِيِّ وَرُبَّمَا
 فَاسْتَضَحَّكَتْ وَجْهَ الدُّجَى مَقْطُوعَةً
 طَرَأَتْ عَلَيْكَ قَلِيلَةَ النُّظَرَاءِ
 عَبَقَ الْعَرُوسِ وَخَجَلَةَ الْعَذْرَاءِ
 نَشَأَتْ تُعَلُّ بِرِيْقَةِ الصَّفْرَاءِ
 بِالْأَيْكَةِ الْخَضْرَاءِ مِنْ خَضْرَاءِ
 وَتَنُوبُ مِنْ لُطْفِ عَنِ السُّفْرَاءِ
 بَسَطَتْ هُنَاكَ أَسِيرَةَ السَّرَّاءِ
 حَمَلَتْ^٣ جَمَالَ الْغُرَّةِ الْغُرَّاءِ [١٦٤ ب]

وَقَالَ يَصِفُ أَحَدُ بَ أَسْوَدَ يَسْقِي :

رُبَّ ابْنٍ لَيْلٍ سَقَانَا
 فَظَلَّ يَسْوَدُ لَوْنًا
 وَلِلْمُسْدَامِ مُدِيرٌ
 تَضَا حَكَتْ عَنْ حَبَابِ
 فَظَلَّتْ أَخَذُ يَاقُو
 حَتَّى تَثْنَيْتُ غُصْنًا
 وَارْتَدَّ لِلشَّمْسِ طَرْفٌ
 يَجُولُ لِلْغَيْمِ كُحْلٌ
 وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ غُرَّةً
 وَالْكَأْسُ تَسْطَعُ حُمْرَةً
 يَشْبُ جَمْرَةً خُمْرُهُ
 يُقْبِلُ الْمَاءُ ثَغْرَهُ
 تَهَّ وَأَصْرَفُ دُرَّةً
 وَاصْفَرَّتِ الشَّمْسُ زَهْرَةً
 بِهِ مِنَ السُّقْمِ فَتَرَهُ
 فِيهِ وَلِلْقَطْرِ عَبْرَهُ

وَقَالَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَةِ نَارٍ :

وَمَعِينِ مَاءِ الْبِشْرِ أَبْرَقَ هَشَّةً^٤ فَكَّرَعْتُ مِنْ صَفْحَاتِهِ فِي مِشْرَبٍ

٢ ب م : نَجُومًا حَسْبُهَا .

١ الدِّيَوَانُ : لَفْحَةٌ .

٣ الدِّيَوَانُ : جَمَلَتْ .

٤ ب م : تَمَشَّيْتُ .

مُتَهَلِّلٌ يَنْدَى حَيَاءً وَجْهَهُ
أَضَى الحُسَامَ حَسَادَةً فَفَرِنْدُهُ
خَيَّمَتْ مِنْهُ بَيْنَ طَوْدٍ بِاذِحِ
حَمْرَاءُ نَازَعَتِ الرِّيحَ رِدَاءَهَا
وَتَنَفَّسَتْ عَنْ كُلِّ لَفْحَةٍ جَمْرَةً
قَدْ أَهْبَيْتْ فَتَنَدَهَبَتْ فَكَأَنَّهَا
تَذْكُو وَرَاءَ^٢ رَمَادِهَا فَكَأَنَّهَا
وَاللَّيْلُ قَدْ وَلَتْهُ يُقْلَصُّ بُرْدُهُ
وَكَأَنَّمَا نَجْمُ الثُّرَيَّا سَحْرَةٌ

ومن أخرى في صفتها :

لو جَاءَهُ^٣ مُتَنَقِّدٌ لَمَا دَرَى
تَلْتَمُ مِنْهُ الرِّيحُ خَدًّا خَجَلًا
فِي مَوْقِدٍ قَدْ رَفَرَقَ الصُّبْحُ بِهِ
مُنْقَسِمٍ^٤ بَيْنَ رَمَادٍ أَزْرَقٍ
كَأَنَّمَا خَرَتْ سَمَاءٌ فَوْقَهُ

أَهَبٌ مُتَنَقِّدٌ أَمْ ذَهَبُ
حَيْثُ الشَّرَارُ أَعْيُنُ تَرْتَقِبُ
مَاءٌ عَلَيْهِ مِنْ نَجُومٍ [حَبَب]
وَبَيْنَ جَمَرٍ خَلْفَهُ يَلْتَهَبُ
وَانْكَدَرَتْ لَيْلًا عَلَيْهِ شُهْبُ

وقال يصف البرد [١٦٥ أ] :

يَا رَبَّ قُطْرِ عَاطِلٍ حَلَى بِهِ نَحْرَ الثُّرَيَّا بَرْدٌ تَحْذَرُ صَائِبُ

١ م ب : نفحة .

٢ م ب : يذكو أوار .

٣ م ب : جاءها .

٤ م ب : خر .

حَصَبٌ^١ الْأَبَاطِيحَ مِنْهُ مَاءٌ جَامِدٌ
غَشَى الْبِلَادَ بِهِ عَذَابٌ ذَائِبٌ
فَالْأَرْضُ تَضْحَكُ عَنْ قَلَائِدِ أَنْجُمٍ
نُثِرَتْ بِهَا وَالْجَوُّ جَهْمٌ قَاطِبٌ
وَكَأَنَّمَا زَنْتِ الْبَسِيطَةُ تَحْتَهُ
فَأَكَبَّ يَرْجُمُهَا الْغَمَامُ الْحَاصِبُ

وقال يصف أسود ظلوماً حسوداً :

يَا جَامِعاً بِمِثَالِهِ وَطَلَعَتِهِ
بَيْنَ السَّوَادِينَ مِنْ ظُلْمٍ وَمِنْ ظَلَمٍ
أَمِثْلُهُ حَسِداً فِي مِثْلِهِ جَسِداً^٢
لَقَدْ تَأَلَّفَ بَيْنَ النَّارِ وَالْفَحَمِ

وقال :

وَمَعشوقِ الْحُسْنِ^٣ مَمشوقِ
يَهِيمُ [بِهَا] الطَّرْفُ وَالْمَعْطِيسُ
لَهَا نَضْرَةٌ سَمَتَهَا نَظْرَةٌ
وَتَكَلَّفُ بِالْأَنْفُسِ الْأَنْفُسُ
فَمِنْ مَاءٍ جَفَنِي لَهَا مَكْرَعٌ
يَسِيحُ وَمِنْ رَاحَتِي مَغْرَسُ

وقال يراجع عن شعر ورده :

أَطْرَسُكَ أَمْ ثَغَرُ تَبَسَّمَ وَأَضِيحُ
وَلَقَطُكَ أَمْ رَوْضُ تَنَفَّسَ نَافِيحُ
كَلَامٌ يَرِفُ النُّورُ فِي جَنَابِهِ
وَتَنْدَى بِهِ تَحْتَ الْهَجِيرِ الْجَوَانِحُ
تَنْصَلُ يَوْمَ الرُّوعِ سُمُرُ الْقَنَا بِهِ
وَتُطْبِعُ مِنْهُ لِلْجِلَادِ الصَّفَائِحُ
وَلَأَنِّي لَظْمَانٌ إِلَيْهِ عِلَاقَةٌ
وَهَا أَنَا فِي بَحْرِ الْبَلَغَةِ سَابِيحُ
بَعَثَ بِهِ يَنْدَى كَمَا طَشَّ عَارِضُ
وَيُطْرَبُنِي طَوْرًا كَمَا حَنَّ صَادِحُ
تَلُوحُ بِهِ فِي دُهِمَةِ الْحَبْرِ غُرَّةٌ
وَيَرْكُضُ فِي شَوَاطِ الْفَصَاحَةِ سَابِيحُ

١ م ب : خصب .

٢ م ب : جسداً . . . حسداً .

٣ م ب : العين .

وقال يصفُ مجلساً وإخواناً ، ونارنجاً وورداً خليطين :

وَنَدِيٍّ أَنَسٍ هَزَنِي هَزَّ الشَّرَابِ مِنَ الشَّبَابِ
وَاللَّيْلِ وَضَّاحُ الْجَبِيهِ نَ قَصِيرُ أَذْيَالِ الثِّيَابِ
فَقَنَصْتُ^١ مِنْهُ حَمَامَةً بَيْضَاءَ تُنْسَخُ^٢ مِنْ غُرَابِ
وَالنَّوْرِ مُبْتَسِمٌ وَخَدُّ الْوَرْدِ مَحْطُوطُ النَّقَابِ
وَكِلَاهُمَا نَثَرٌ^٣ كَمَا نَثَرُوا الْقَوَافِي فِي الْخَطَابِ
وَكَأَنَّ^٤ كَأْسَ سُلَافَةٍ ضَحِكَتْ إِلَيْهِمْ عَنْ حِجَابِ

وقال في ذلك المعنى :

وَصَدْرٍ نَادٍ نَظَمْنَا لَهُ الْقَوَافِي عَقْدَا
فِي مَنْزِلٍ قَدْ سَحَبْنَا بِظِلِّهِ الْعِزَّ بَرْدَا [١٦٥ ب]
تَذْكُو بِهِ الشَّهْبَ جَمْرًا وَيَعْبِقُ اللَّيْلُ نَدَاً
وَقَدْ تَأَرَّجَ نَوْرٌ غَضٌّ يَخَالِطُ وَرْدَا
كَمَا تَنْفَسُ ثَغْرَ عَذْبٍ يَقْبَسِلُ خُدا

وقال يصف خيريّة :

وْخَيْرِيَّةَ بَيْنَ النَّسِيمِ وَبَيْنَهَا
لَهَا نَفْسٌ يَسْرِي مَعَ اللَّيْلِ عَاطِرٌ
يَدْبُ مَعَ الْإِمَاءِ حَتَّى كَأَنَّمَا
حَدِيثٌ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ يُطِيبُ
كَأَنَّ لَهُ سِرّاً هُنَاكَ يَرِيبُ
لَهُ خَلْفٌ أَسْتَارِ الظَّلَامِ حَبِيبُ

١ م ب : فقبضت .

٢ م ب : تمسح .

٣ م : تبرز .

٤ الديوان : فكأن .

ويخفى مع الإصباح حتى كأنما يظل عليه للصباح رقيب

وله من أخرى يصف يوم أنس ويتغزل :

وأغيدَ في صدرِ النديِّ لحسنه
يرفَ برَوْضِ الحُسنِ من نورِ وجهه
جلاها وقد غتَّى الحمامُ عَشِيَّةً
وجاء بها حمراءَ أمّا زُجاجُها
على لُجّةٍ ترتجُ أمّا حبابُها
تجافَتُ بها عَنّا الحوادثُ بُرْهَةً
وغازَلنا جفنٌ هناكَ لَرَجِيسٍ
فللهِ ذيلٌ للتّصابي سَحْبَتُهُ
حُلِيٌّ وفي صدرِ القصيدِ نسيبُ
وقامتِه نَوَّارَةٌ وَقَضِيبُ
عَجُوزاً عليها للحَبَابِ مَشِيبُ
فماءٌ وأمّا مِلْؤُهُ فَلَهَيْبُ
فَنُورٌ وأمّا مَوْجُها فَكُثِيبُ
وقد ساعدَتنا قَهْوَةٌ وَحَبِيبُ
وَمُبْتَسَمٌ لِلأَفْحوانِ شَنِيبُ
وَعَيْشٌ بِأَكْنافِ الشَّبَابِ رَطِيبُ

وقال فيما يتعلق بصفة نار :

ومُفْتَنٌ بَخْلًا بنُصْرَةٍ حُسْنِهِ
قَبِلْتُ مِنْهُ أَقْحوانَةً مَبْسُومٍ
ولثمتُ جَمْرَةً ١ وَجَنَّةً تَنْدِي بِهِ
وَبِكُلِّ مَرْقَبَةٍ مُنَاخٍ غَمَامَةٍ
أَوْحَتْ هُنَاكَ إِلَى الرَّبِّى أَنْ بَشْرِي
وكفى بلمحِ البرقِ غَمَزَةً حَاجِبٍ
وأَحْمَ مُسَوِّدٌ الأَدِيمِ كَأَنَّمَا
ذَاكِي لِسَانِ النَّارِ تَحْسَبُ أَنَّهُ
أَمْسَى هِلَالًا وَهُوَ بَدْرٌ تَمَامٍ
رَفَّتْ وَراءَ كَمَامَةٍ لِلثَّامِ
فَكَرَعْتُ فِي بَرْدِهَا ٢ وَسَلَامٍ
مِثْلَ الضَّرِيبِ بِهَا مُجَاجَ لُغَامٍ
بِالرَّيِّ فَرَعَ أَرَاكَةَ وَبِشَامٍ
وبصوتِ ذاكِ الرَّعْدِ رَجَعَ كَلَامٍ [١٦٦أ]
خُلِعَتْ عَلَى عَطْفِيهِ جِلْدَةٌ حَامٍ
بَرَقَ تَمَزَّقَ عَنْهُ جَيْبُ غَمَامٍ

١ ب م : حمرة .

٢ م ب : به .

وَكأنَّ بَدءَ النَّارِ فِي أَطرافِهِ شَفَقٌ لَوِي [يَدُهُ] بِذَيْلِ ظَلامِ

وَقَالَ مِنْ أُخْرَى :

وَمَا شاقَّتِي إِلَّا وَمِيضُ غَمَامَةٍ تَطْلُعُ فِي نَجْدٍ فَحِيًّا اللَّوِي رَبِّعًا
فَقُلُّ فِي أَتَى قَدْ تَهَادَى كَأَنَّهُ إِذَا مَا ثَنَى أَعْطافَهُ حَيَّةٌ تَسْعَى
وَماءٍ مَسِيلٍ سائِلٍ لِقَرارَةٍ فَبَيْنما تَرى مِنْهُ حُسامًا تَرى دَرعا

وكتب إلى الأستاذ أبي محمد البطليوسي جواباً له عن شعر :

أَبْرُكَ أُمِّ ماءً^١ يَسِيحُ^١ وَبُسْتانُ
وَلَا فَمَا بِالِي وَقَوْدِي أَشْمَطُ^٢
وَهَلْ هِيَ إِلَّا جُمْلَةٌ مِنْ مُحاسِنِ
بَأْمثالِها مِنْ حِكْمَةٍ فِي بِلاغَةٍ^٣
وَتُنظَّمُ فِي نَحْرِ المَعالي قِلادَةٌ^٤
تَدْفُقُ ماءً الطَّبْعِ فِيهِ تَدَفَّقًا
أَتاني بِرِفِّ النُّورِ فِيهِ نَضارَةٌ^٥
وَتَأْخُذُ عَنْهُ صَنَعَةَ السَّحْرِ بِابِلٍ^٥
وَجَدْتُ بِهِ رِيحَ الشَّبَابِ لِدُونَةٍ^٥
وَشاقَ إِلَى تَفْراحِ لُبْنانٍ نَفْحَةً^٥
وَذَكَرُكَ أُمِّ راحٍ تَدَارُ^٢ وَرِيحانُ
تَلَوَيْتُ فِي بُرْدِي^٣ كَأَنِّي نَشْوانُ
تَغايِرُ أَبْصارُ عَلَيْها وَأَذانُ
تَحُلُّ أَضْغانُ^٣ وَتَرْحَلُ أَطْعانُ
وَتُسحَبُ فِي نادِي المَفْاخِرِ أُرْدانُ
فَجاءَ كَما يَصِفُو عَلى النَّارِ عِقيانُ
وَيَكْرَعُ مِنْهُ فِي الغِمامَةِ ظِمآنُ
وَتَلوِي إِلَيْهِ عِطْفَةٌ^٥ الصَّبِّ بَغدانُ
وَدونُ صَبّا رِيحِ الشَّيْبَةِ أُرْمانُ
وَهِيهاتَ مِنْ أَرْضِ الجَزيرةِ لَبْنانُ

١ الديوان : يسح .

٢ ب م : يراح .

٣ ب م : برد .

٤ ب م : وبلاغة .

٥ الديوان : أخدع .

فهل تَرِدُ الأُسْتَاذَ عَنِّي تَحِيَّةٌ
تَهْشُ إِلَيْهَا رَوْضَةُ الْحَزَنِ سُحْرَةٌ
تَسِيرُ كَمَا عَاطَى الرُّجَا جَعَةً نَدَمَانِ
وَيَثْنِي إِلَيْهَا مِنْ مَعَاطِفِهِ الْبَانِ
وقال :

نَبَّهٌ وَلَيْدَكَ مِنْ صِبَاهُ بَزَجَرَةٍ
وَأَنْهَرُهُ حَتَّى تَسْتَهِيلَ دُمُوعُهُ
فَلِلسَيْفِ لَا تَذْكُو بِكَفِّكَ نَارُهُ
فَلَرُبَّمَا أَغْفَى هُنَاكَ ذَكَاءُهُ
فِي وَجْنَتَيْهِ وَتَلْتَلِظِي أَحْشَاؤُهُ
حَتَّى يَسِيلَ بِصَفْحَتَيْهِ مَاؤُهُ [١٦٦ب]

وقال ابن الصائغ^١ يرثي الأمير الأجل أبا بكر بن ابراهيم^٢ :

يَا صَدَيَّ بِالثَّغْرِ جَاوَرَهُ
صَبَحْتَكَ الْخَيْلُ غَادِيَةً
قَدْ طَوَى ذَا الدَّهْرِ غُرَّتَهُ
رِمَمَ بُورِكَتٍ مِنْ رِمَمٍ
وَأَثَارَتِكَ فَلَمْ تَرَمِ
عَنْكَ فَالْبَسَ حُلَّةَ الْكَرَمِ

بقال فيها معارضاً :

يَا صَدَيَّ بِالثَّغْرِ مُرْتَهَنًا
لَا أَرَى إِلَّا أَخَا كَمَدٍ
كَمْ بِصَدْرِي فِيكَ مِنْ حُرْقٍ
بِمَمَرِّ الرِّيحِ وَالْدَّيَمِ
بَاكِيًا مِنْكَ^٣ أَخَا كَرَمٍ
وَبِكْفِي لَكَ مِنْ نِعَمِ

وقال :

لَا لَعَمْرُ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ
وَمَزَارِ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ

١ هو ابن باجة الفيلسوف .

٢ الأبيات في القلائد : ٣٠٤ والمغرب ٢ : ١١٩ .

٣ ب م : منه .

٤ ب م : ومدار .

لا سَلَوْتُ الدَّهْرَ عَنْ مَلِكٍ طَلَقَ وَجْهَ الْعُرْفِ وَالْكَرَمِ^١
هذه نِعْمَاهُ مِلءُ يَدَي وَنَا حُسْنَاهُ مِلءُ فَمِي

ومن قوله يصف خالاً :

أَلَمْ يُسَقِّني سُلَاقَةً رِيقَهُ وَطَوَّرَ يُحْيِيَنِي بَاسِ عِذارِهِ^٢
فَلْتِ مرادَ النَّفْسِ مِنْ أَقْحَوَانَةٍ شَمَمْتُ عَلَيْهَا نَفْحَةً لِعَرَارِهِ
وَوَجْهَ تَحَالِ الْحَالِ فِي صَحْنِ خَدَةٍ فُتَاتَةٍ مِسْكٍ فَوْقَ جَدْوَةِ نارِهِ

ومما يتعلق بصفة حية :

نَهْرٌ كَمَا سَاغَ اللَّمَى سَلْسَالُ وَصَبَأٌ بَلِيلُ ذَلِيلُهَا مِكَسَالُ^٣
وَمَهَبٌ نَفْحَةٍ رَوْضَةٍ مَطْلُولَةٍ فِي جَلْهَتَيْهَا^٤ لِلنَّسِيمِ مَجَالُ
غَازَلَتُهُ وَالْأَقْحَوَانَةُ مَبْسِمُ وَالْآسُ صُدُغٌ وَالْبَنَفْسُجُ خَالُ
وَوَرَاءَ خَفَاقِ النَّجَادِ ضَبَارِمُ يَسْرِي بِهِ خَلْفَ الظَّلَامِ خِيَالُ
أَلْقَى الْعَصَا فِي حَيْثُ يَعْتَرُ بِالْحَصَى نَهْرٌ وَتَلْعَبُ بِالْغُصُونِ شِمَالُ
وَكَأَنَّمَا بَيْنَ الْغُصُونِ تَنَازُعُ وَكَأَنَّمَا بَيْنَ الْمِيَاهِ جِدَالُ
فَكَأَنَّمَا أَلْقَى هُنَالِكَ دِرْعَهُ بَطْلُ وَجَرْدَ وَشِيَهُ مُخْتَالُ
بِيَدِ الْمَجِيرَةِ مِنْهُ سَوْطٌ خَافِقُ وَبِسَاقِ لَيْلَةٍ قِرَّةٍ خَلْخَالُ
فَتَوَعَّدَنِي نَظْرَةً وَقَسَادَةً يُذَكِّي بِهَا تَحْتَ الظَّلَامِ ذُبَالُ [١٦٧أ]

١ الديوان : والشيم .

٢ القافية في الديوان : عذار ، لعرار ، نار .

٣ ب م : حليتيها .

٤ الديوان : وتعبث .

٥ الديوان : فكأنما .

وهوى كما أهوى أتي مزبد
جمد الغدير بمنته ولربما
وجمعت بين المشرق وبينه
وتساورا يتكافحان كما التقى
رجمت به بعض التلال تلال
أعشاك إفرند له سيال
فتلاقت الأشباه والأشكال
يوماً أبو إسحاق والرئبال

وقال يتشوق إلى الوطن :

أجبت وقد نادى الغرام فأسمعا
فقلت ولي دم تفرق فانهي
ألا هل إلى أرض الجزيرة أوبة
وأغدو بواديها وقد نضح الندى
أغازل فيها للغزالة سنة
وقد فض عقد القطر في كل تلة
وبات سقيط الطل يضرب سرحة
فقد تركني بين جفن جفا الكرى
أقلب طرفي في السماء لعلني

وله :

إن للجنة بالأندلس
فسنا صبحتها من شنب
فاذا ما هبت الريح صبا
مجتلى حسن ورينا نفس
ودجى ليلتها من لعس
صحت واشوقا^٢ إلى الأندلس

ومما يشتمل على أوصاف :

١ م ب : فبات بها ضيفاً وناهيك مربعا .
٢ الديوان : واشوقى .

أَبَى الْبَرْقُ إِلَّا أَنْ يَحِينَ فُؤَادُ
فَبَتَّ وَلِيَّ مَنْ قَانَى الدَّمَعِ قَهْوَةً
تَنُوحُ لِيَ الْوَرَقَاءُ وَهِيَ خَلِيَّةٌ
وَلَيْلٍ كَمَا مَدَّ الْغُرَابُ جَنَاحَهُ
بِهِ مِنْ وَمِضِ الْبَرْقِ وَاللَّيْلِ^١ فَحِمَّةٌ
سَرَبْتُ بِهِ أَحْيِيهِ لَا حَيَّةَ السُّرَى
يُقَلِّبُ مِنِّي الْعِزْمُ إِنْسَانَ مُقَلَّةً
بَخْرُقٍ لِقَلْبِ الْبَرْقِ خَفِيفَةً رَوْعَةً
سَحِيقٍ فَلَا غَيْرَ الرِّيحِ رَكَائِبُ
كَأَنِّي وَأَحْشَاءُ الْبِلَادِ تُجَنِّئِي
أَجُوبُ جُيُوبَ الْبَيْدِ وَالصَّبْحُ صَارِمُ
وَفِي مُصْطَلَى الْآفَاقِ^٢ جَمْرُ كَوَاكِبِ
وَلَمَّا تَقَرَّرَى مِنْ دَجَى اللَّيْلِ طُحْلِبُ
حَنَنْتُ وَقَدْ نَاحَ الْحَمَامُ صَبَابَةً

ومنها :

وَيَكْحَلُ أَجْنَفَانِ الْمُحِبِّ سُهَادُ
تُدَارُ وَمِنْ إِحْدَى يَدَيَّ وَسَادُ
وَيَنْهَلُ دَمْعُ الْمُزْنِ وَهُوَ جَمَادُ
وَسَالَ عَلَى وَجْهِ السَّجَلِ مِيدَادُ
شَرَارُ تَرَامَى وَالْغَمَامُ زِنَادُ [١٦٧ب]
تَمُوتُ وَلَا مَيِّتُ الصَّبَاحِ يُعَادُ
لَهَا الْأُفُقُ جَفْنُ وَالظَّلَامُ سُودُ
بِهِ وَلِجَفْنِ النَّجْمِ فِيهِ سُهَادُ
هَنَّاكَ وَلَا غَيْرَ الْغَمَامِ مَزَادُ^٣
سَرِيرَةُ حُبِّ وَالظَّلَامُ فُؤَادُ
لَهُ اللَّيْلِ غِمْدُ وَالْمَجْرُ نَجَادُ
عَلَاهَا مِنْ الْفَجْرِ الْمُطِيلِ رَمَادُ
وَأَعْرَضَ مِنْ مَاءِ الصَّبَاحِ ثِمَادُ
وَشَقَّ مِنْ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ حَدَادُ

عَشِيَّةَ لَا مِثْلَ الْجَوَادِ ذَخِيرَةً
إِذَا رَابَ خَطْبُ خَفَرْتَنِي ثَلَاثَةً
فَبَتُّ وَنَصَلَ الْمَشْرِفُ^٤ مُضَاجِعُ

وَلَا مِثْلَ رَقَرَاكِ الْحَدِيدِ عَتَادُ
سَنَانُ وَعَضْبُ صَارِمُ وَجَوَادُ
وَلَا غَيْرَ ظَهْرِ الْأَعْوَجِيِّ مِهَادُ

١ الديوان : والجو .

٢ ب م : مراد .

٣ الديوان : الظلماء .

٤ الديوان : ولا غير الحسام .

مُعَانِقَ خِلٍ لَا يُخِلُّ وَإِنَّمَا مَكَانَ ذِرَاعِيهِ عَلَيَّ نَجَاد

وله في وصف نار :

وَمَوْقِدِ نَارٍ طَابَ حَتَّى كَسَانَتْهَا
فَأُطْلِعَ مِنْ دَاخِلِي دُخَانٌ بِنَفْسَجَا
وَضَاحِكٌ غُرّاً مِنْ وَجْهِهِ وَضِيَّةٌ
إِذَا بَسَطَتْ كَفُّهُ الْهِيَاجَ إِلَى الْعِدَا
أَرَى خَيْرَ نَارٍ حَوْلَهَا خَيْرُ فِتْيَةٍ
إِذَا الرِّيحُ مَاسَتْ^١ مِنْ سَوَادِ دُخَانِهَا
وَنَارَتْ قَتَاماً يَمْلَأُ الْعَيْنَ أَكْهَباً
رَأَيْتَ جُفُونِ الرِّيحِ وَاللَّيْلِ إِثْمِدُ
وَبِالْجَمْرِ فِي أَكْنَافِهَا مَسُّ رِعْدَةٍ
كَأَنَّ بَحَامِي الْجَمْرِ مِنْ شِدَّةِ بَرْدَا [١٦٨]

وقال يستهدي خمرآ في يوم برد :

كَتَبْتُ وَقَدْ خَصِرْتُ رَاحَتِي
وَقَدْ أَعْوَزْتُ نَارَهَا جُمْلَةً
فَهَلْ مِنْ حَرِيقٍ لِكَأْسِ الرَّحِيقِ
فَلَوْلَاكَ شَبَّهْتُهَا بِالصَّدِيقِ

وله في صفة رَمَح :

وَأَسْمَرٌ يَلْتَحِظُ عَنْ أَزْرَقٍ
يَضْحَكُ مِنْ بَيْضِ حَبَابِ طِفَا
حَيْثُ الْوَغَى بَحْرٌ وَبَيْضُ الظُّبَا
مَوْجٌ وَخِرِصَانُ الْعَوَالِي زَنَدُ

وفي صفة سفينة :

١ الديوان : باست .

وجارية رَكِبْتُ بها ظلاماً
إذا الماءُ اطمأنَّ فرقاً خَصِراً
وقد فغَرَ الحِمَامُ هناك فاهُ
فما أدري أَمَوْجُ أم قلوبُ
يطيرُ من الصَّبَاحِ بها جناحُ
علا من مَوْجِهِ رَدْفُ رَدَاحِ
وأَتَلَعَ جِيدَهُ الْأَجَلُ الْمُتَاحِ
وأنفاسُ تَصَعَّدُ أم رياحُ

وله :

نَدِيَّ النِّسِيمِ وما أَرَقَّ وأَعطرا
فَزَفَقْتُهَا بِكَرٍّ إذا أَقْبَلَتْهَا
وَرَفَلْتُ بَيْنَ قَمِيصٍ غِيَمٍ هَلْهَلِ
وَالرَّيْحُ تَنَخَّلُ من رذاذٍ لَوْلُؤٍ
وهذا الْقَضِيبُ وما أَغْضَى وأنضرا
أَلَقْتُ على وَجْهِ قَنَاعاً أَحْمرا
وَرِدَاءِ شَمْسٍ قد تَمَزَّقَ أَصْفرا
رَطْباً وَتَفَتَّقُ من غَمَامٍ عَنبرا

وله في الغضّ من معذّر :

وإني بنا وله صَحِيفَةٌ صَفْحَةٌ
مُتَجَهِّمًا ثَكِيلَ الشَّبَابِ وَإِنَّمَا
جَعَلَ الْعِذَارُ بها يَسِيلُ مِدَادًا
لِبَسَ الْعِذَارَ على الشَّبَابِ حِدَادًا

وله في الشقيق :

يا حَبِذاً وَالْبَرْدُ يَزْحَفُ بُكْرَةً
حَتَّى إِذَا اسْتَوَى وَأَسْلَمَ عَنُودَةً
أَخَذَ الرَّبِيعُ عَلَيْهِ كُلَّ ثَنِيَّةٍ
جَسَماً رَحِيقٍ دُونَهُ وَحَرِيقٍ
مَا شَتَّ من سَهْلٍ وَذُرُودَةٍ نَيْقٍ
فَبِكُلِّ مَرْقَبَةٍ لَوَاءُ شَقِيقٍ [١٦٨ ب]

وله في صفة كلب مطوق العنق بالبياض محجل الأربع ، وصفة أرنب :

وأَطْلَسَ مِلْءُ جَانِحَتَيْهِ خَوْفٌ
لَأَشْوَسَ مِلْءُ شِدْقَيْهِ سِلَاحُ

١ ب م : فرفتها .

نجا هَرَبًا يطيرُ حِذَارَ طاوٍ
فَطَوْرًا يَرْتَقِي حُدْبَ الرِّوَابِي
جَرَى شَدًّا وَلِلصُّبْحِ التِّمَاعُ
فَحَجَلَهُ^١ وَسَوَّرَهُ^٢ وَمَيِّضُ^٣
لَهُ رَكْضُ^٤ يَغْصُ^٥ بِهِ الْبَرَّاحُ
وَأَوْنَةٌ^٦ تَسِيلُ^٧ بِهِ الْبَطَّاحُ
بِمِثِّ جَرَى وَلِلْبَرْقِ التِّمَّاحُ
جَرَى مَعَهُ^٨ وَطَوَّقَهُ^٩ صَبَّاحُ

وقال في صفة خاتم سماوي الفص :

وَمُرْقَرَقِ الْإِفْرَنْدِ^١ أَبْدَى^٢ بِهِجَةً
وَتَخْتَمَتْ مِنْ^٣ فَصِّهِ^٤ بِغِمَامَةٍ
قَدْ صَبِغَ صِبْغَةً^٥ فِتْنَةً^٦ أَصْبَى^٧ لَهَا
مَا إِنْ تَرَفَ^٨ لَهَا بِنَفْسَجَةٍ^٩ بِهِ
فَكَأَنَّمَا نَظَرْتُ بِهِ يَوْمَ النَّوَى
وَذَاكَ فَأُطْلِعَ بِالظَّلَامِ ضِيَاءَ
كَفٌ تَكُونُ عَلَى السَّمَاحِ سَمَاءَ
نَفْسِ الْحَلِيمِ وَضَاجِعَ الْعِدْرَاءِ
حَتَّى تَرِقَ^{١٠} لَهَا فَتَجْرِيَ^{١١} مَاءَ
عَنْ مُقْلَةٍ^{١٢} بُهِتَتْ^{١٣} بِهِ كَحَلَاءِ

ومما تعلق بصفة جبل :

وَصَهْوَةٍ عَزَمَ^١ قَدْ تَمَطَّيْتُ^٢ وَالْدُّجَى
وَقَدْ أَحَقَّقْتَنِي شَمْلَةَ^٣ الطَّلِّ شَمَالُ^٤
وَشَقَّ^٥ الدُّجَى نَجْمٌ مِنَ النِّفْطِ مُرْسَلُ^٦
وَأَشْرَفَ^٧ طَمَّاحُ الدُّوَابَةِ شَامِخُ^٨
وَقَوْرٌ^٩ عَلَى مَرٍّ^{١٠} اللَّيَالِي كَأَنَّمَا
تَمَهَّدَ^{١١} مِنْهُ كُلُّ رُكْنٍ^{١٢} رَكَانَةٍ^{١٣}
مُكَبَّ كَأَنَّ الصُّبْحَ فِي صَدْرِهِ سِرُّ
يُقْلِقِلُ^{١٤} أَحْشَاءَ الْأَرَاكِ^{١٥} بِهَا ذُعْرُ^{١٦}
تَرَامِي مِنَ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ بِهِ فَجَرُ
تَنْطَقُ^{١٧} بِالْجَوَازِءِ لَيْلًا^{١٨} لَهُ خَصَرُ^{١٩}
يُصْبِخُ^{٢٠} إِلَى نَجْوَى^{٢١} وَفِي أُذُنِهِ وَقَرُ^{٢٢}
فَقَطَّبَ^{٢٣} إِطْرَاقًا^{٢٤} وَقَدْ ضَحِكَ^{٢٥} الْبَدْرُ

١ الديوان : فخلخله .

٢ الديوان : أبرق .

٣ ب م : فصة .

٤ الديوان : نقط من النجم .

ولاذ به نَسْرُ السَّمَاءِ كأنما يَحِنُّ إلى وكرٍ به ذلك النسر
 فلم أدرِ من صَمِتَ له وَسَكِينَةٍ أَكْبَرَةُ سن وَقَرَّتْ منه أم كبر
 وقال يداعب ويتغزل بنعجة سوداء :

وسوداء تَدْمَى به مَنَحَرًا كما اعترض اللَّيْلُ تحت الشَّفَقِ [١٦٩]
 وأقسِمُ لو مثَلْتُ لَيْلَةً لَعِفْتُ الكرى واستَطَبْتُ الأَرَقُ
 فإِذَا حُسْنٌ خَصِرٍ لها أَحْمَرٌ ومثَرَّر شَحْمٍ عليه يَفْقُ
 وما رَفَلْتُ في قَمِصٍ الدُّجَى ولا اشْتَمَلْتُ برداء الغَسَقِ
 ولكن تَسِيلُ عليها القُلُوبُ هَوًى وتَدُوبُ عليها الحَدَقُ
 وقال فيها وفي كبش أَمَلَح :

ألا حَبْدًا عِيدٌ تَلَاقتْ به المُنَى فَجَدَّدَ من عهدِ الشَّبَابِ مَشِيبُ
 وأَعْرَضَ في حُسْنِ المَلِيحَةِ أَمَلَحٌ يُلَاعِبُ رَبَاتِ الحِجَالِ رِيبُ
 تَهَادَّتْ تَشْنَى وهو يُدْعَرُ فالتوى قَضِيبٌ بها وارْتَجَّ منه كَثِيبُ
 وسوداء أَمَّا نِسْبَةٌ فهي نَعْجَةٌ تَرُوقُ وَأَمَّا نَصْبَةٌ فَتَنْجِيبُ
 أَقَا [م بها] ما بين ظِلٍّ^١ وَمَوْرِدٍ مَرَادٌ بِبَطْنِ الوادِيَيْنِ خَصِيبُ
 أَتَتَكَ وَأَفْيَاءُ الشَّبَابِ تُظِلُّهَا وهل زار إِلَّا في الظَّلَامِ حَبِيبُ
 فَطُفْتُ بها تَمَشِي الهَوَيْنَا وَإِنَّمَا تَمَشَى إِلَيْهَا وهي تَجْهَلُ ذِيبُ
 وله ، قال :

وَأَغَرَّ ضَا حَكَ وَجْهَهُ مُصْبَاحَهُ فَأَنَارَ ذَا قَمَرًا وَذَلِكَ فَرَقْدًا
 مَا إِنَّ خَبَا تِلْقَاءَ نُورٍ جَبِينِهِ حَتَّى ذَكَا بِذَكَائِهِ فَتَوَقَّدَا

١ م ب : صدر .

وقال يصف شجرة ، طرحت ظلها على نهر ، لم تكرر فيه ولا بعدت عنه :

وسرحة خاض ألمى ظلها نهر
كما تدانيت من ثغر لمرتشف
كأن أفياءها طيباً حمى ملك
أغضى وأعطى فلم يوعد ولم يعد

وله في معذر :

أطل وقد خط في خده
فقلت أرى الشمس مكسوفة
من الشعر سطر دقيق^١ الحروف
فقوموا فصلوا^٢ صلاة الكسوف

وله :

يا أيها الصب المعنى به
سود ما ورد من خده
ها هو لا خل ولا خمر
قال فحماً ذلك الجمر^[١٦٩ب]

وله :

هل ساءه أن عاد^٣ آسا ورده
وكان صفحته وبلد عذاره
وتعطلت من فيه كأس تشرب
ماء يثور بصفحتيه طحلب

وله في التحول :

بهت جمالا فرعت البصر
فصرت إذا أمكنت لقيّة
وذبت سقاماً ففت النظر
أريك السها وتريني القمر

١ ب م : رقيق .

٢ الديوان : نصل .

٣ الديوان : آل .

وفي جنى التين :

أما واهتِصارِ غُصُونِ الْبَلَسِ^١ وقد قلَّصَ الصَّبْحُ ذَيْلَ الْغَلَسِ^٢
وما لَ يَسِيلُ جَنَى شَهِدِهِ كما سَالَ رِيْقُ حَبِيبِ نَعَسِ
لَقَدْ شَاقَ مِنْ رَائِقِ الْمُجْتَلَى شَهِىَّ الْجَنَى مُسْتَطَابِ النَّقَسِ
فَهَيِّمْتُ لَهُ بِيَّيَاضِ الثَّغُورِ وَأَحْبَبْتُ فِيهِ سَوَادَ اللَّعَسِ

في صفة أسود يسبح :

وَأَسْوَدٍ عَنْ لَنَا سَابِحٍ فِي لُجَّةٍ تَطْفَحُ بِيضَاءِ
وَأِنَّمَا جَالَ بِهَا نَاطِرٌ فِي مُقْلَةٍ تَنْظُرُ زُرْقَاءِ

وفي صفة سحابة :

وغمامة لم يَسْتَقِيلَ^١ بِهَا السُّرَى فَمَشَتْ عَلَى الظَّلْمَاءِ مَشْيَ مُقَيَّدِ
حَمَلَتْ بِهَا^٢ رِيْحُ الْقَبُولِ سَحَابَةً سَحَابَةَ الْأَذْيَالِ تُلْمَسُ بِالْيَدِ
فِي لَيْلَةٍ لَيْلَاءٍ يَلْحَسُ^٣ حَبْرَهَا وَهَنًا لِسَانُ الْبَارِقِ الْمُتَوَقَّدِ
نَسَخَ الضَّرِيبُ^٤ بِهَا الظَّلَامَ حِمَامَةً فَايْبُضُ كُلُّ غُرَابٍ لَيْلٍ أَسْوَدِ
شَابَتْ وَرَاءَ قَنَاعِهَا لِمَمِ الرُّبَى وَاشْمَطَ مَفْرِقُ كُلِّ غُصْنٍ أَمْلَدِ

وقال يمدح ، ويسأل حاجة :

أَلَيْتَ إِلَّا أَنْ تَسِيرَ^١ مَعَ الْفَضْلِ وَأُزْمِعْتَ إِلَّا أَنْ تَصْمَ عَنِ الْعَدْلِ
فَنُبَّتَ مَتَابَ الْبَدْرِ فِي لَيْلَةِ السُّرَى وَقُمْتَ مَقَامَ الْوَبْلِ فِي الْبَلَدِ الْمَحَلِ

١ م ب : جيش .

٢ م ب : به .

٣ م ب : نسج . . . غمامة .

وَأَضْرَمْتَ نَارَ الطَّعْنِ فِي ثَغْرِ الْعِدَا
فَحَيَّتْ أَبَا يَحْيَى ذُرَّاكَ غَمَامَةً
تُجَرَّرُ أَذْيَالَ الرَّبَابِ عَلَى الرَّبِيِّ
فَطَلْ عُمَرُ الدُّنْيَا وَطَأْ قَمَمَ الْعِدَا
وَمَنْ بِهَا أُنْدَى نَسِيمًا مِنَ الصَّبَا
وَلَا تَحْتَقِرْهَا مِنْ نَوَالِكِ بَرَّةٍ
وَقَالَ فِي صِفَةِ فَرَسٍ أَشْقَرٍ :

وَمُطَهَّمٍ شَرِيقِ الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا
طَرَبَ إِذَا غَنَى الْحُسَامُ^١ مَمَزَقٍ
قَدَحَتْ يَدُ الْهِجَاءِ مِنْهُ بَارِقًا
وَرَمَى الْخِفَافُ بِهِ شَيَاطِينَ الْعِدَا
بَسَامُ ثَغْرِ الْحَلِي تَحْسَبُ أَنَّهُ
وَلَهُ :

وَحُسَامٍ بِكَفِّ أَشْوَسَ أَجْرَى
عَطَفَ الضَّرْبُ مِنْهُ عَارِضَ شَيْبٍ
فَوْقَ وَرْدٍ مُحَجَّلٍ مَزَجَ الْحُسْنَ
خَلَصَتَهُ نَارُ الطَّبِيعَةِ سَبْكَاً
قَدَحَ الرِّكْضُ زَنْدَهُ فَاسْتَطَارَتْ
يَضْحَكُ الْحَلِي فَوْقَهُ عَنْ أَفَاحٍ
فِي الطَّلَى مَاءَهُ وَأَضْرَمَ نَارَهُ
فَانْحَنَى يَخْضِبُ النَّجِيعُ عِذَارَهُ
بِمِرَّاهُ مَسَاءَهُ وَعُقَّارَهُ
وَأَسَالَتْ لُجَيْنُهُ وَنُضَارَهُ
فِي دُخَانِ الْعَجَاجِ مِنْهُ شَرَارَهُ
نَثَرَتْهَا^٢ الصَّبَا عَلَى جُلُنَارِهِ

١ ب م : الحمام .

٢ ب م : نشرتها .

وقال يصف شاباً حسن الصوت :

ومُغَرَّدٍ هَزَجِ الْغِنَاءِ مُطَرَّبٍ تلقى به ليلَ التَّامِّ فيقصرُ
سَفَرَ الشَّبَابِ لَنَا بِهِ^١ عَنْ غُرَّةٍ تَرْمِي بِهَا لَيْلَ السَّرَارِ فيُقَمِّرُ
غَاظَلَتْهُ حَيْثُ الْمُدَامَةُ وَالْحَبَا بَةِ وَجَنَّةٌ تَدْمَى وَعَيْنٌ تَنْظُرُ
وَالْمُزْنُ طَرْفُ جَالٍ يَصْهَلُ أَشْهَبُ والبرقُ بُرْدٌ قَدْ تَمَزَّقَ أَحْمَرُ
وَكَأَنَّهُ وَالسُّكْرُ يَلْوِي عِطْفَهُ غصنٌ تَعَانَقَهُ الرِّيحُ مِنْوَرٌ [١٧٠ ب]
مَلَأَ الْمَسَامِعَ وَالْعُيُونََ مَحَاسِنًا فَلَمْ آدِرْ هَلْ أُصْغِي إِلَيْهِ أَمْ أَنْظُرُ

وله من قصيدة^٢ يقول فيها :

هَذَا غُرَابٌ دُجَاكَ يَنْعَبُ فَازْجُرِ وَعُبابٌ لَيْلِكَ قَدْ تَلَاظَمَ فَاعْبِرِ
وَأَشْتَفَ مِنْ نُطْفِ النَّجُومِ عَلَى الشُّرَى وَالتَفَّ فِي وَرْقِ الظَّلَامِ الْأَخْضَرِ
وَالْبَسَ رِدَاءَ السَّيْفِ وَهُوَ مُطَرَّرٌ نَحْتَ الْعَجَاجَةِ بِالنَّجِيعِ الْأَحْمَرِ
وَارْمِ الْكَرِيمَةَ بِالْكَرِيمَةِ وَارْتَشِفِ صَفْوَةَ الْحَيَاةِ مِنَ الْعَجَاجِ الْأَكْدَرِ

وقال يتغزل في لابسَةِ ثوبٍ مَعْصُفَرٍ :

وَبَيْضَاءَ فِي صَفْرَاءَ تَحْمِلُ نَفْحَةَ تَنْفَسُ عَنْهَا الْمَدَلُّ الرُّطْبُ وَالْجَمْرُ
خَلَعَتْ رِدَاءَ الصَّبْرِ فِيهَا عِلَاقَةَ وَيَحْسُنُ إِلَّا فِي هَوَى مِثْلِهَا الصَّبْرُ
وَلَا غَرَوْ أَنْ تَرَوَى بِهَا عَيْنُ نَاطِرٍ وَبَاطِنُهَا مَاءٌ وَظَاهِرُهَا خَمْرُ

وقال يصف :

وَسَاقٍ لَخِيلٍ^٣ اللَّحْظِ فِي شَاوٍ حُسْنِهِ وَبِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ حِرَانُ

٢ ب م : قصيدة .

١ الديوان : به لنا .

٣ ب م : بخيل .

سَقَانَا^١ وَقَدْ لَاحَ الْهَلَالُ عَشِيَّةً
عُقَاراً نَمَاهَا الْكَرْمُ فَهِيَ كَرِيمَةٌ
وَقَدْ جَالَ مِنْ جَوْنِ الْغَمَامَةِ أَدْهَمُ
وَضَمَّخَ رَدْعُ الشَّمْسِ نَحْرَ حَدِيقَةٍ
وَنَمَتْ بِأَسْرَارِ الرِّيَاضِ خَمِيلَةٌ
كَمَا اعْوَجَّ فِي نَحْرِ^٢ الْكَمِيَّ سَنَانٌ
وَلَمْ تَزْنِ بَابِنِ قُطْ^٣ فَهِيَ حَصَانٌ
لَهُ الْبَرْقُ سَوَاطِئُ وَالشَّمَالُ عِنَانٌ
عَلَيْهِ مِنَ الطَّلِّ السَّقِيطُ جُمَانٌ
لَهَا النُّورُ ثَغَرٌ وَالنَّسِيمُ لِسَانٌ

وقال :

حَسَبُ الْفَتَى حَلِيلَةً أَنْ يَسْتَقِيلَ بِهِ
فَمَا احْتَمَى جَانِبُ لَمْ يَحْمِهِ مَلِكٌ
مَلِكٌ عَزِيزٌ فَلَا يَقْعُدُ بِكَ الْعَطَلُ
وَلَا مَضَى صَارِمٌ لَمْ يُمْضِهِ بَطَلٌ

وقال يصف سحابة :

وَحَمِيلَةٌ قَدْ أَخْمَلَتْ سِرْبَهَا
نَشَوَى تَهَادَى فِي وَشَاحٍ مُذْهَبٍ
طَبَعَتْ مِنَ النُّوَارِ بَيْضَ دَرَاهِمٍ
فَرَفَلَتْ حَيْثُ تَعَثَّرَتْ بِي نَشْوَةٍ
وَالْأَرْضُ تُتَسَفَّرُ عَنْ وُجُوهِ مُحَاسِنٍ
كَفًّا صِنَاعٍ تَسْتَهْلُ هَتُونٍ
قَلْبِي وَتَسْحَبُ مِنْ ذُبُولِ جُونٍ
مَدَّتْ إِلَيْكَ بِهَا بَنَانُ غُصُونِ [١٧١أ]
فِي ثَوْبٍ وَشِيٍّ لِلرَّبِّيعِ مَصُونٍ
بَيْضٍ وَتَنْظُرُ عَنْ عِيُونِ عِيُونٍ

وله :

وِظْلَامٍ لَيْلٍ لَا شِهَابٍ بِأَفْقِهِ
إِلَّا لِنَصْلِ مُهَنْدٍ أَوْ لِهَذَمٍ

١ ب م : سقاها .

٢ الديوان : درع .

٣ الديوان : المزن .

٤ ب م : شباب .

لَاظْمَتُ لُجَّتَهُ بِمَوْجَةِ أَشْهَبٍ يَرْمِي بِهَا بَحَرَ الظَّلَامِ فَتَرْتَمِي^١
 قَدْ سَالَ فِي وَجْهِ الدُّجْنَةِ غُرَّةٌ فَالْلَيْلُ فِي شَيْبَةِ الْأَغْرِ الْأَدْهَمِ
 أَطْلَعْتُ^٢ مِنْهُ وَمِنْ سِنَانٍ أَزْرَقٍ وَمَهْنَدٍ عَضْبٍ ثَلَاثَةَ أَنْجُمِ
 جَاذَبْتُهُ فَضَّلَ الْعَنَانَ وَقَدْ طَغَى فَانْسَاحَ يَنْسَلُ^٣ أَنْسَابَ الْأَرْقَمِ
 فِي خَصْرِ غَوْرٍ بِالْأَرَاكِ مُوَشَّحٍ أَوْ رَأْسِ طَوْدٍ بِالْغَمَامِ مُعَسَّمِ
 أَوْ نَحْرٍ نَهْرٍ بِالْحَبَابِ مُقَلَّدٍ أَوْ وَجْهِ خَرَقٍ بِالضَّرِيبِ مُلْتَمِّمِ
 حَتَّى تَهَادَى الْغُصْنُ بِأَطِيرُ مَتْنَهُ طَرَبًا لِشِدْوِ الطَّائِرِ الْمُتَرْتَمِ
 وَكَأَنَّ ضَوْءَ الصُّبْحِ رَايَةً ظَافِرٍ نَفَضْتُ بِهَا الْهَيْجَاءُ نَضْحًا مِنْ دَمِ

وكانت بينه وبين القاضي أبي اسحاق بن ميمون مداعبة ، فاستطعمه
 يوماً فراخ حمام وعنباً ، فكتب إليه يستدعيه :

بِمَا حُزَّتُهُ مِنْ شَرِيفِ النَّظَامِ وَأَرْهَفْتَهُ مِنْ حَوَاشِي الْكَلَامِ
 تَعَالَ إِلَى الْأُنْسِ فِي مَجْلِسِ يَهْزُ بِهِ الشَّيْخُ عِطْفِي غَلَامِ
 رَطِيبِ النَّسِيمِ كَأَنَّ الصَّبَا تُجَرَّرُ فِيهِ ذُبُولَ الْغَمَامِ
 وَعِنْدِي لِمِثْلِكَ مِنْ خَاطِبِ بَنَاتُ الْحَمَامِ وَأُمُّ الْمُدَامِ
 بَنَاتُ تَنَافَسُ فِيهَا الْمُلُوكُ وَتَلْهُو الْعَذَارَى بِهَا فِي الْمَنَامِ
 فَقَدْ كِدْنَ يَلْقُظْنَ حَبَّ الْقُلُوبِ وَيَشْرَبْنَ مَاءَ عَيْوُنِ الْكِرَامِ
 وَعَيْشُ تَتَنَتَّى انْتِثَاءَ الْقَضِيبِ سُرُورًا وَتَسْجَعُ سَجْعَ الْحَمَامِ
 وَتَحْمِلُ ثَوْبَكَ خَطِيئَةً وَيَنْطِقُ عَنْكَ لِسَانُ الْحُسَامِ

١ الديوان : فترتمي .

٢ ب م : أطلقت .

٣ الديوان : فانصاع ينساب .

٤ ب م : وأدم .

وقال :

ومَجَرَّ ذَيْلَ غِمَامَةٍ قَدْ نَمَنَمَتْ وَشِيَ الرَّبِيعَ بِهِ يَدُ الْأَنْوَاءِ
أَلْقَيْتُ أَرْحَلَنَا هُنَاكَ بِقُبَّةٍ مَضْرُوبَةٍ مِنْ سَرَحَةِ غَيْنَاءِ [١٧١ ب]
وَقَسَمْتُ طَرْفَ الْعَيْنِ بَيْنَ رَبَاوَةٍ مُخَضَّرَةٍ وَقَرَارَةٍ زَرْقَاءِ
وَشَرِبْتُهَا عَذْرَاءَ تَحْسَبُ أَنَّهَا مَعْصُورَةٌ مِنْ وَجْنِي عَذْرَاءَ

وقال يصف صفرة الشرابِ وبياضَ الحجاب :

خُذْهَا كَمَا اطَّلَعْتُ إِلَيْكَ عَرَارَةً مُفْتَرَّةً عَنْ لَوْلُؤِ الْأَنْدَاءِ
صَفْرَاءَ فِي بَيْضَاءَ تَحْسَبُ أَنَّهَا شَمْسُ الْعَشِيَّةِ فِي قَرَارِ الْمَاءِ
وفي صفة سيف :

وَمُرْهَفَ كَلِيسَانَ النَّارِ مُنْصَلَتِ يَشْفِي مِنَ الثَّارِ أَوْ يَنْفِي مِنَ الْعَارِ
تَخَالُ شُعْلَةً بَرَقَ مِنْهُ طَائِرَةٌ فِي عَارِضٍ مِنْ عَجَاجِ الْخَيْلِ مَوَّارِ
يَحْضِي فِيهِوِي وَرَاءَ النَّقْعِ مُلْتَهَبًا كَمَا تَصَوَّبَ يَجْرِي كَوْكَبٌ سَارِ

وذكر أن جارية للمعتمد - رحمه الله - تسمى جوهرة خاطبته وأثبتت اسمها تحت الختم ، فقال في ذلك :

قَالَتْ وَقَدْ حَطَّطَ الْعُنُوانَ جَوْهَرَةٌ عَنْ مُرْتَقَى رُبَّةٍ قَدْ سَنَّهَا الْأَوَّلُ
لَا غَرَوَ أَنْ صِرْتُ تَحْتَ الْخَتَمِ وَاقِعَةٌ إِنَّ الْجَوَاهِرَ تَحْتَ الْخَتَمِ تُحْتَمَلُ

وقال :

أَلَا مُبْلَغٌ عَنِّي تَحِيَّةَ وَامِقٍ لِأَحْوَرَ أَحْوَى الْمُقْلَتَيْنِ رَبِيبِ

١ ب م : النار .

أَبَيْتُ بِهِ مَا بَيْنَ نَهْرٍ لِمَدَمَعَ
وَمَهْمَا تَنَسَّمتُ الرِّيحَ عَشِيَّةً
وَحُضْتُ حشا الظُّلَماءِ فِيهِ صَبَابَةً
وَمَا ضَرَّهُ لَوْ كُنْتُ أَنْقَعُ غُلَّتِي
سَأَحْمِلُ وَخَزَ الشُّوكُ فِي الْحَبِّ لِلْجَنَى

يَفْقِضُ وَرَيْتَا رَوْضَةً لِنَسِيبِ
تَسَنَّمْتُ شَوْقًا ظَهَرَ كُلَّ كَثِيبِ
أُرِيغُ مَعَ الظُّلَماءِ خِلْسَةً ذِيبِ
بَرِيٍّ وَأَشْكُو عَلَّتِي لَطِيبِ
وَأَصْفَحُ عَنْ عَاصٍ لِفَضْلِ مُنِيبِ

ومما يشتمل على أوصاف :

ويومٍ تَرَى^١ بَرَقَهُ أَشْقَرًا
تَرَى الْأَرْضَ مِنْهُ^٢ وَقَدْ فُضْضَتْ
وَقَدْ أَطْلَعَ الرَّوْضُ مِنْ أَيْكَةٍ
وَطَرَّرَ أَثْوَابَ خُضْرِ الْغُصُونِ
وَقَدْ قَبَّلَ الْمَاءُ كَأْسَ الْمُدَامِ
وَشَبَّ الْمِزْاجُ بِهَا جَمْرَةً
عَرُوسًا تَرَى خَدَّهَا أَحْمَرًا

يُطَارِدُ مِنْ مُزْنَةٍ أَشْهَبَا
وَوَجْهَ السَّمَاءِ وَقَدْ ذُهِبَا
سَمَاءً وَمِنْ زَهْرَةٍ كَوَكْبَا [١٧٢أ]
وَرَصَّعَ تَيْجَانَهُ هَامِ الرَّبِّي
فَأَضْحَكَ ثَغْرًا لَهَا أَشْنَبَا
تَكَادُ بِهَا الْكَأْسُ أَنْ تُلْهَبَا
يَشُوقُ وَمَقْرِقَهَا أَشْيَبَا

وله :

أَلَا أَطْرَبْتَنِي وَالكَرِيمُ طَرُوبُ
لَهَا دُونَ أَسْتَارِ الظَّلَامِ مَا تَمَّ
سَجَعَنْ وَعَهْدِي بِالْهُوَى مُتَقَادِمُ
فِيَا رَشًا لِلْمَسْكَ فِي صَفْحَاتِهِ
أَلَا إِنَّ ثَغْرَ الدَّمْعِ فِيكَ لِبَاسُ

حَمَائِمُ تَبْكِي وَالْبَكَاءُ ضُرُوبُ
تَمَزَّقُ فِيهَا لِلْقُلُوبِ جُيُوبُ
فَعَاوَدْتُ شَجْوِي وَالْخُطُوبُ تَنُوبُ
سَوَادُ وَلِلْبَدْرِ الْمُنِيرِ شُحُوبُ
وَقَدْ طَالَ مِنْ وَجْهِ الظَّلَامِ قُطُوبُ

١ الديوان : جرى .

٢ الديوان : فيه .

وَمَنْ لِي بِطِيفٍ مِنْكَ يَطْرُقُ مُضْجَعِي
وإني . لمهتز للذكر الك . لوعة

وله :

ويوم صَقِيلٍ للشَّبابِ ظَلَلْتَهُ^١
تَوَضَّعَ فِي وَجْهِ الصَّبَا مِنْهُ مَبْسَمٌ
تَقَلَّبْتُ فِيهِ بَيْنَ أَعْطَافِ عَيْشَةٍ
وقد هَزَّ مِنْ عِطْفِي نَدِيمٍ وَخُوطَةٍ
وجَزَعٌ بِأَنْدَاءِ الْغَمَامِ مُفَضَّضٌ
وقد جال من كأسِ المدامة^٢ أَشْقَرُ
بزوضٍ كَأَنَّ الْغُصْنَ يَزْهِي فَيْشِنِي
قد ارتَجَزَ الرَّعْدُ الْمُرْنُ بِأَفْقِهِ
كَأَنَّ لِسَانَ الْبَرْقِ فِيهِ عَشِيَّةٌ

وقال يصف أثر سيل :

أما وَمَسِيلٍ سَائِلِ الْغَيْثِ كَالسَّطْرِ
وقد غَمَرَ الْقَيْعَانَ مَاءٌ مُصْنَدَلٌ
وها أنا مَبْسُلُولُ الْجَنَاحِ مِنَ الْحَيَا
بِدَارٍ سَقَتْهَا دَيْمَةٌ^٣ إِثْرَ دَيْمَةٍ
فمن عَارِضٍ يَسْقِي ، ومن سَقَفٍ مَجْلِسٍ

١ ب م : طلبته .

٢ ب م : الضيغ .

٣ الديوان : السلافة .

إذا ما وهى ركنٌ فأهوى فإني
فَضِّلْتِي بدارٍ من ديارِكَ مُجْمِلًا
لأشجى من الحسناءِ تبكي على صخر
فللنجم أن يحتلَّ منزلةَ البدر
ومن أخرى يتغزل :

وبدا هلالٌ في نِقَابِكَ طالِعٌ
فجئتُ رَوْضًا في قَنَاعِكَ زاهرًا
ولربُّما انحدرَ النَّقَابُ فَأَقْمَرَا
وقضيبَ بَانٍ في وشاحِكَ مُشْمَرَا
ثمَّ انثيتُ وقد لبستُ معصفرًا^١
والصبحُ محطوطُ القناع قد احتبي
وطويتُ من خِلعِ الظلامِ مُعْبِرَا
في شَمْلَةٍ ورَسِيَّةٍ وتأزرا

وقال يراجع ابن أبي الحِصَال^٢ :

أَمَقَامٌ وَصَلٍ أَم مَقَامٌ فِرَاقٍ
خَفَاقَةٌ مَا بَيْنَ نَوَاحِ حَمَامَةٍ
فَالْقُضْبُ بَيْنَ تَصَافُحٍ وَعِناقٍ
هَتَفَتْ وَدَمَعِ غَمَامَةٍ مُهْرَاقٍ
عَبَّتْ بِهِنَّ يَدُ النِّعَامِ سُحْرَةٍ
أَنْسَيْتِي خُلُقَ الْوَقَارِ وَرُبَّمَا
أَذْكَرْتَنِي بِمَوَاقِفِ^٣ الْعُشَاقِ
وَحُفُوقِ أَحْشَاءِ وَفَيْضِ مَاقٍ
ضَمًّا وَلِثْمًا وَاسْتِطَابَةِ نَفْحَةٍ
حَيَّيْتُهَا تُصْنِئُ إِلَى مُشْتَاقٍ
فَلَوْ أَنَّ سَرْحَةَ بَطْنٍ وَادٍ بِاللَّوَى
لَنَثَرْتُ بِالْجِرْعَاءِ عِقْدَ مَدَامِعِي
فَقَضَضْتُ حَتَمَ الصَّبْرِ عَنْ أَغْلَاقِي
قَالِيكَ يَا نَفْسَ الصَّبَا فَلَطَلَمَا
أَذْكَى نَدَاكَ حَرَارَةَ الْأَشْوَاقِ
هَإِنْ بِي لَمَّا يُؤَرِّقُ نَاطِرِي
أُسْفَا فَهَلْ مِنْ نَافِثٍ أَوْ رَاقٍ

١ الديوان : مصنلا .

٢ سترجم له ابن بسام في ما يلي من هذا القسم .

٣ ب م : بمواقف .

٤ الديوان : المأ .

سِرُّ وادِعاً لَا تَسْتَطِرُّ قَلْباً هَفَا
وإذا طَرَقَتْ جَنَابَ قُرْطُبَةٍ فَقِفْ
وَالْتَمِ يَدَ ابْنِ أَبِي الْخِصَالِ عَنِ الْعَلَا
وافتتقْ بِنَادِيهِ التَّحِيَّةَ زَهْرَةً
كَالشَّمْسِ يَوْمَ الدَّجَنِ تَنْدَى مُجْتَنِي
وَاهْزُزْ بِهَا مِنْ مَعْطَفِيهِ فَإِذَا مَا
وَالنُّورُ يَرْقُمُ مِنْ بَسَاطٍ بَسِيطَةً
يُزْهِمِي بِأَعْلَاقِ الْمَعَالِي حَلِيَّةً
طَالَتْ بِهِ رُمُوحُ السَّمَاءِ بَرَاعَةً
مَا خَطَّ فِي غُرْرِ الْحِسَانِ وَضَاعَةً
مُغَرَّمِي بِأَغْرَاضِ تَهْوُلٍ بَرَاعَةً
أَقْسَمْتُ لَوْ أَخَذَ الْهَلَالُ كَمَالَهُ
بِحَنَاحِ شَوْقٍ رَشْتَهُ خَفَاقٍ
وَكِفَاكٍ^١ مِنْ نَاسٍ وَمِنْ آفَاقٍ
مُتَشَكِّراً وَاضْمُغُهُ ضَمَّ عِنَاقٍ [١٧٣]
نَفَّاحَةً تُغْنِي عَنْ اسْتِنْشَاقِ
ظِلٍّ وَتُحَسِّنُ مُجْتَنِي إِشْرَاقِ
شَعَشَعَتِهَا كَأْساً بِيَمْنِي سَاقِ
وَالْغَيْمُ يَنْشُرُ مِنْ جَنَاحِ رِوَاقِ
إِنَّ الْمَعَالِي أَنْفَسُ الْأَعْلَاقِ
تَسْتَضَعِفُ الْجُوزَاءَ شَدَّ نِطَاقِ
حَتَّى اسْتَمَدَّ لَهَا مِنَ الْأَحْدَاقِ
وَرَفِيفِ الْأَفَاطِ تَشَوْقُ رِقَاقِ
عَنْ لَقَمٍ تَمَامَ غَيْرِ مُحَاقِ

ومن نثره :

ها هو - أدام الله عزَّ عمادي - قد تجافى له عن صدرِ ميدانه ،
وتَشَرَّفَ بِلِثَمِ أَرْدَانِهِ ، فَاسْتَقْبَلَ فُسْطَاطَهُ^٢ اسْتِقْبَالَ إِهْلَالٍ ، وَقَبَّلَ
بِسَاطِهِ تَقْبِيلَ إِجْلَالٍ ، وَأَقْسِمُ لَوْ تَحَمَّلَ حَجْماً ، وَتَمَثَّلَ نَجْماً ،
لَمْ أَرْضَهُ ، حَتَّى يَتَهَبَّطَ أَرْضَهُ ، وَيَقْضِي فَرَضَهُ ، جَوَاباً عَنْ نَثْرِ
تَرَدَّدَتْ فِيهِ بَيْنَ رَوْضَةٍ وَغَدِيرٍ ، وَتَلَدَّدَتْ مِنْهُ بَيْنَ أَرَاكَةِ وَغَدِيرٍ^٣ ،
لَا أَعْدَمُ هُنَاكَ نَسْماً رَطْباً ، وَمَوْرِداً عَذْباً ، وَحَدَائِقَ غُلْباً ، وَفَاكْهَةً

١ الديوان : فكفاك .

٢ ب م : بساطه .

٣ ب م : وغدير .

وأبناً ، ونظمٍ قد أخذ بمجاميعِ الأهواءِ ، وامتزج لطافةً بالهواءِ ،
وحسبكَ من شعيرٍ يَضاهي الشعريَّينِ^١ إشراقاً ، والشمسَ إبراقاً ، ويُباهي
القمرَ اتساقاً ، والجوزاءَ انتِساقاً ، يَتَغَنَّى بهِ الشَّربُ ، ويترنمُ الرِّكبُ ،
فَطَوَّراً يُنتَشِقُ مع العَرَّارِ بتلك الحمائلِ ، وتارةً يُعْتَنَقُ مع
الطَّيْفِ^٢ اعتناقَ الحمائلِ .

وأقرأ عليه سلاماً تَنَدَّى بهِ الرَّمْضاءُ ، وَتَتَنَافَسُ فيه الأعضاءُ ،
فَتَوَدُّ المعاطيسُ لو فُتِّقَ مِسْكَاً فَيُتَنَشَّقُ ، وَتَتَمَنَّى السَّوَالِفُ
لو نُسِقَ سِلْكَاً فَيُتَطَوَّقُ .

ومن أخرى :

أَوْجَهُكَ بَسَامٌ وَطَرَفِي بَاكِ وَعَدْلُكَ مَوْجُودٌ وَمِثْلِي شَاكِ
وَتَأْبَى اهْتِضَامِي فِي جَنَابِكَ هَمَّةٌ تَهْزُكَ هَزَّ الرِّيحِ فَرْعَ أَرَاكِ

وله في طريقة مهبّار :

وَيَا بَانَةَ الْوَادِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى أُتَصِفِي عَلَى شَحَطِ النَّوَى فَأَقُولُ
وَيَا نَفَحَاتِ الرِّيحِ مِنْ بَطْنِ لَعْلَعٍ أَلَا جَادَ مِنْ ذَاكَ النَّسِيمِ بِخَيْلٍ
وَيَا خَيْمَ نَجْدٍ دُونَ نَجْدِ تَهَامَةٍ وَنَجْدٌ وَوَحْدٌ لِلسُّرَى وَذَمِيلٌ
وَيَا رَيْمَ نَجْدٍ وَالْعَوَادِي كَثِيرَةٌ بِحُكْمِ اللَّيَالِي وَالْوَفَاءُ قَلِيلٌ
أَلَا رَجَعْتَ تِلْكَ^٣ الشَّمَالُ تَحِيَّةٌ تَمَشَّتْ بِهَا عَنِّي إِلَيْكَ قَبُولُ
وَجَاذِبِي رِيّاً الْعَرَارَةَ نَاسِمٌ يُجَاذِبُنِي فِيكَ النَّحُولَ عَلِيلُ

١ الديوان : الشعرى .

٣ الديوان : عنك .

٢ ب م : الطيب .

وهل بين هاتيك التلاع مُعرّسٌ
وهل يَلتقي عندي خيالك ليلةً
وفي مُلتقى تلك الظلالِ مَقبل
وريحٌ يَبْتَظِرُ الوادِيَيْنِ بَليل

وله :

وإني لأغشى مَوْقِفَ البينِ والوغي
وإلاّ فهذا جَيْبٌ صبري ممزقاً
فتندى جُفوني عَبرةً ويدي دما
بكفتي وهذا صدرُ رمحي محطماً

وقال من قصيد مطوّل :

أما والتفاتِ الرّوضِ عن زَرَقِ النّهرِ
وقد نَسَمَت رِيحُ النّعامِ فَنَبَهَتْ
وَحَدِرَ فتاةٌ قد طَرَقَتْ وإِنّما
لقد جُبْتُ دُونَ الحَيِّ كُلِّ ثَنِيَّةٍ
وَحُضَّتْ ظلامَ اللَّيْلِ يَسودُ فَحْمَةً
وجئتُ ديارَ الحَيِّ واللَّيْلِ مُطَرِّقٌ
أشيمُ بها بَرَقَ الحَديدِ وَرُبّما
فلم أَلْقَ إِلَّا صَعْدَةً فوقَ لَأْمَةٍ
ولا شِمتُ إِلَّا غُرَّةً فوقَ شُقْرَةٍ
ودونَ طُرُوقِ الحَيِّ خَوْضَةٌ فَتَكَّةٌ
تَطْلُعُ في فَرْعٍ مِنَ النَّقْعِ أَسودَ
فَسَرْتُ وَقَلْبُ البرقِ يَخْفِقُ غَيْرَةً
وطارَ إِلَيْهَا بي جَنَاحُ صَبَابَةٍ
فقلتُ رُوَيْدًا لا تُراعي فَإِنّا
وَسَكَنْتُ من نَفْسٍ تَجِيشُ مَرُوعَةً
وإشرافِ جَيدِ الغُصْنِ في حَلِيَةِ الزَّهْرِ
عُيُونَ التَّدَامِي تحتَ رِيحانةِ الفَجْرِ
أُبَحْتُ بِهِ وَكَرَّ الحَمَامَةِ لِلصِّقْرِ
يَحُومُ بِهَا نَسْرُ السَّمَاءِ على وَكْرٍ
وَدُسْتُ عَرِينَ اللَّيْلِ يَنْظُرُ عن جَمَرٍ
مُنْمَنَمٌ ثَوْبِ الأفقِ بِالأَنْجُمِ الزَّهَرِ
عَثَرْتُ بِأَطْرَافِ الرُّدَيْنِيَّةِ السَّمَرِ
فَقَلْتُ قَضِيبٌ قد أَطْلَأَ على نَهرٍ
فَقَلْتُ حَبَابٌ يَسْتَدِيرُ على خَمَرٍ
مورَّسَةِ السَّرْبَالِ دَامِيَةِ الظَّفَرِ
وَتُسْفِرُ عن خَدٍّ مِنَ السَّيْفِ مُحْمَرٍ
هناكَ وَعَيْنُ النّجْمِ تَنْظُرُ عن شُزْرِ
فطارَ بها عَنِّي جَنَاحٌ مِنَ الذُّعُرِ [١٧٤أ]
لَتُطْوَى ضُلُوعُ اللَّيْلِ مِنّا على سِرٍّ
وَمَسَحَتْ عَن عِطْفٍ تَمَائِلَ مُزَوَّرٍ

رَفَعَتْ جَنَاحَ السَّتْرِ عَنْ بَيْضَةِ الْخَدَرِ
وَعَانَقَتْ مَا تَحْتَ ١ التَّرَاقِي إِلَى الْخَصْرِ
تَمِيلُ بِهَا رِيحُ الشَّبِيبَةِ وَالسَّكْرِ
مُدَامِيَّةٌ أَلْمَى حَبَابِيَّةُ الشَّغْرِ
كَمَا اسْتَبَكَّتْ زُهْرُ النُّجُومِ عَلَى الْبَدْرِ
فَمِنْ لَوْلُوءِ نَظْمٍ وَمِنْ لَوْلُؤِ نَثَرٍ
رِدَاءَ عِنَاقٍ مَزَقَّتَهُ يَدُ الْفَجْرِ
مَشِيبٌ بِفُودِ اللَّيْلِ طَالَعَ مِنْ خَطَرٍ
وَتَمَّ عَلَى ذَيْلِ الدُّجَى نَفْسُ الزَّهْرِ
يَشْفُ كَمَا شَفَّ الرَّمَادُ عَنِ الْحَمْرِ

وَمَزَقَتْ جَيْبَ اللَّيْلِ عَنْهَا وَإِنَّمَا
وَقَبَلَتْ مَا بَيْنَ الْمُحْيَا إِلَى الطَّلَى
وَأَطْرَبَ سَجْعُ الْحَلِيِّ مِنْ خَيْرِ رَأْنَةٍ
غَزَالِيَّةُ الْأَلْحَاطِ رَيْمِيَّةُ الطَّلَى
تَرْتَجُ فِي مَوْشِيَّةٍ ذَهَبِيَّةٍ
تَلْقَى نَسِيبِي فِي هَوَاهَا وَأَدْمُعِي
وَقَدْ خَلَعْتَ لَيْلًا عَلَيْنَا يَدُ الْهَوَى
وَلَمَّا انْجَلَى ضَوْؤُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ
وَحُطَّ رِدَاءُ الْغَيْمِ عَنْ مَنْكَبِ الصَّبَا
صَدَدَتْ وَدُونِ النُّجُومِ سَتْرُ غَمَامَةٍ

ومنها :

وَأَلَا يَغُضُّ الْجَفْنَ جَفْنًا عَلَى وَتَرٍ
كَمَا شَفَّ رُقَاقُ الْغَمَامِ عَنِ الْبَدْرِ
حَدَادٍ وَأَوْرَاقٍ لِرَايَاتِهِ خُضْرِ
تَهْزُ عَلَيْهِ الْغُصْنُ فِي الْوَرَقِ النَّضْرِ
كَأَنَّ لُجَيْنًا سَالَ مِنْهُ عَلَى تَبَرٍ
وَيَزْخَرُ فِي لَبَدٍ بِهِ الْبَحْرُ فِي الْبَرِّ
مَنْ الْحُسْنِ لَمْ تَعْرِ بِهَا الْعَيْنُ فِي بَشَرٍ ٣
وَيُعْجِمُهَا وَخَزُ الْمُتَقَفَةِ السُّمْرِ

عَلَيْهِ يَمِينٌ أَنْ تَفِيضَ يَمِينُهُ
وَوَجْهٌ وَضِيءٌ شَفَّ عَنْهُ لِيَامُهُ
سَرَى بَيْنَ نَوَارٍ لِيَزُرُقِ أَسِنَّةُ
فَهَزَّتْ إِلَيْهِ عَظْفَهَا كُلُّ رَايَةٍ
وَحَنَّ إِلَيْهِ كَسَلٌ وَرَدٍ مَحْجَلٍ
يَجُولُ فَتَجْرِي فِي عِنَانٍ بِهِ الصَّبَا
وَأَشْهَبَ وَضَاحٌ تَحْمَلُ رُقْعَةً ٢
تَحُطُّ سَطُورُ الضَّرْبِ يَوْمًا بِهَا الظُّبَا

١ الديوان : بين .

٢ ب م : رفعة .

٣ ب م : يسر .

وتدرجُ منهُ السَّلمُ ما ينشرُ الوغى
وأدهمَ لولا أنه راق صورةٌ
طويلُ سببِ العرفِ والعنقِ والشَّوى
له غُرَّةٌ تستصحبُ النصرَ طارقةٌ
أما وانتشارِ النقعِ عنه صحيفةٌ
ونال تميمٌ سؤددَ الكهلِ في الصِّبا
وحلَّت بهِ الأملاكُ وهي شريفةٌ
تقسِّمهُ جودٌ يفيضُ وهمةٌ
فلو مسحَتْ يُمناه عن^٢ وجهِ ليلةٍ
رَميتُ بآمالِي إليه وإنما
ولا أملٌ إلاّ كتابُ شفاعَةِ
وبي [مس شكوى] لا أطيقُ لها السُّرى
أبا الطاهرِ اقبلها إليك تحيةً
خلعتُ قوافيها عليك وإنما
فسدَ وطأ التيجانَ عزاً وذُودُ وجدٍ
فصيح^٣ لسانِ السِّيفِ والضَّيفِ والنَّدَى

فطوراً إلى طيٍّ وطوراً إلى نشرٍ
لما عرَفتهُ العينُ من ليلةِ الهَجَرِ
قصيرُ عسيبِ الذَّيلِ والأذنِ والظَّهرِ [١٧٤ ب]
كفاك بها في سورةِ الحُسْنِ من بشرٍ
لقد راع في تلك الصَّحيفةِ من حبرٍ
فتمَّ تمامَ البدرِ في غُرَّةِ الشَّهرِ
محلَّ ليالي الصَّومِ من ليلةِ القدرِ
فَمِنْ منهلٍ غمرٍ ومن جبلٍ وعرٍ
لحطَّت قِناعَ اللَّيلِ عن قمرٍ يسري
حملتُ بهِ المرعى الجديبِ إلى القطرِ
إذا الخطبُ أعياءَ وزرهُ شدَّ من أزري
فإن لم أطأ بابَ الأميرِ فغن عذرٍ
أرقتُ عليها سُحرةً رونقَ السَّحرِ
نظمتُ بها عقداً نفيساً على نحرٍ
رحيبَ فناءِ المُلْكِ عالي يدِ الأمرِ
رَفيعَ منارِ القَدْرِ والذِّكرِ والفخرِ

ومما تصرَّف به القول فيه من غزل إلى رثاء من قصيد :

أفي ما تُؤدِّي الرِّيحُ عرفُ سلامٍ ومما يَشُبُّ البرقُ نارُ غرامٍ
وإلاّ فماذا أَرَجَ الرِّيحَ سُحرةً وأذكي على الأحشاءِ نارُ ضِرامٍ

٢ ب م : في .

١ الديوان : عشر .

٣ الديوان : طليق .

٤ الديوان : لفع .

أما وِجْمَان من حديثِ عَلاقَةٍ
لقد هَزَنِي في رِبْطَةِ الشَّيْبِ هَزَّةٌ
ورُبَّ لَيْالٍ بِالْغَمِيمِ أَرَقْتُهَا
يَطُولُ عَلَيَّ اللَّيْلُ يَا أُمَّ مَالِكٍ
ولم أَدِرْ ما أَشْجَى وأدعى إلى الهوى
فَقَضَيْتُهَا ما بَيْنَ رَشْفَةِ لَوْعَةٍ
وَأَحْسَنُ ما التَفَتَ عَلَيْهِ دُجْنَةٌ
فليت نَسِيمَ الرِّيحِ رَقْرَقَ أَدْمُعِي
وعاج على أَجْزاعِ وادٍ بِأَذِي الغُضا
مَسَحَتْ لَهُ عن ناظِرِي صَبَابَةٌ
فيا عَرَفَ رِيحٍ عَاجٍ عن بطنٍ لَعَلِ
بما بَيْننا بِالْحَقْفِ^١ من رَمَلٍ عَالِجٍ
تَلَدَّدَ بِيَدَارِ القَصْفِ عَنِّي سَاعَةٌ
وقل لِيْغَمَامٍ الحَفَّ الأَرْضَ ذَيْلُهُ
أما لك من ظِلٍّ يَبْرُدُ مَضْجَعِي
وَأَيُّ نَدَى أو بَرْدٍ ظِلٍّ لِمِزْنَةٍ
وَقَفْتُ وَقُوفَ الثَّكَلِ بَيْنَ قُبُورِهِمْ
وَأَنْدُبُ أَشْجَى رَنَّةً من حَمَامَةٍ
مَضُوا^٢ بَيْنَ وادٍ لِلسَّماحِ وَمَشْرَعٍ
وَمُتَتَّصِبٍ كالرُّمَحِ هِزَّةً عِزَّةً

يَهْزُ إِلَيْهِ الشَّيْخُ عِطْفَ غُلامٍ
أَرْتَنِي ورائي في الشَّبابِ أُمَامِي
لِمَرْضَى جَفُونٍ بِالْفِرَاتِ نِيامٍ
وَكُلُّ لَيْالِي الصَّبِّ لَيْلٌ تَمَامٍ
أُخَفِّقَةُ بَرَقٍ أُمُ غَناءُ حَمَامٍ
وَأَنَّهُ شَكوى وَاعْتِناقٍ غَرَامٍ
عِناقٌ حَبِيبٍ عن عِناقِ حُسَامٍ [١٧٥] أ
خِلالَ دِيَارٍ بِاللَّوَى وَخِيَامٍ
فَصَافَحَ عَنِّي فَرَعٌ كُلُّ بَشَامٍ
وَأَقْلِلْ بِيَدَمْعِي من قَضَاءِ ذِمَامٍ
يَسْجُرُّ على الأَنْدَاءِ فَضْلَ زِمَامٍ
وفي مُلْتَقَى الأَرْضِ يَسْفَحُ شَمَامٍ
وَأَبْلِغْ نَدَامَها أَعَزَّ سَلَامٍ
فَلَفَّ فِجَاجاً تَحْتَهُ بِإِكَامٍ
أما فيكَ من طَلٍّ يَبْلُ أُوَامِي
عَلَى عَقَبِ أَتْرَابٍ رُزْتُ كَرَامٍ
أَعْظَمُها من أَعْظَمٍ وَرِجَامٍ
وَأَبْكِ فَأَقْضِي من ذِمَامٍ رِمَامٍ
وَعَارِبٍ عِزٍّ في العُلا وَسَنَامٍ
وَفَتَكَةَ بَأْسٍ وَاسْتِواءَ قَوَامٍ

١ ب م : بالخيف .

٢ الديوان : قضوا .

وَمُنْصَلِتٍ كَالسَّيْفِ نُصْرَةً صَاحِبٍ وَضِحْكَةٍ بَشِيرٍ وَاعْتِرَازٍ مَقَامٍ
وَمُقْتَبِلٍ مُسْتَقْبَلٍ كَعَبَّةِ الْعُلَا يُصَلِّي بِأَهْلِهَا صَلَاةَ إِمَامٍ
نَهْلٌ لَهُ مِنْ عِفَّةٍ فِي طَلَاقَةٍ كَانَ بِبِرْدِيهِ هَلَالٌ صِيَامٍ
وَمَا ضَارَهُ أَنْ يَسْتَسِيرَ لِعَالَمٍ إِذَا مَا بَدَأَ فِي عَالَمٍ لِيَتِمَامٍ

وله يصف كلباً مطوق العنق بالبياض ، وصفة طائر :

وَأَخْطَلَ لَوْ تَعَاطَى سَبَقَ بَرَقٍ لَطَارَ مِنَ النِّجَاحِ بِهِ جَنَاحُ
يَسُوفُ الْأَرْضَ يَسْأَلُ عَنْ بَنِيهَا فَتُخْبِرُ أَنْفَهُ عَنْهَا الرِّيحُ
أَقْبُ إِذَا طَرَدَتْ بِهِ قَنِصاً تَنْكَبُ قَوْسَهُ الْأَجَلُ الْمُتَاحُ
أَضَلَّ بِرَأْسِهِ ١ لَيْلٌ بِهَيْمٍ فَشَدَّ عَلَى مُخَنَّقِهِ صَبَاحُ
وَلَمَّا عَلِمَتْ رَغْبَتَهُ - فِي التَّمَاسِ الطُّيُورِ اللَّبْلِيَّةِ ٢ وَاقْتِنَائِهَا ، وَتَحَقَّقَتْ
هَيْمَتُهُ فِي انْتِخَابِهَا [١٧٥ ب] وَانْتِقَائِهَا ، تَهَمَّتُ بِالْفَحْصِ عَنْ
أَفْرَهِهَا ، وَأَشْرَفَهَا صِفَةً وَأَشْرَهَهَا ، فَسَنَحَ مِنْهَا طَائِرٌ يُسْتَدَلُّ
بِظَاهِرِ صِفَاتِهِ ، عَلَى كَرَمِ ذَاتِهِ ، طَوْرًا يَنْظُرُ نَظَرَ الْخَيْلَاءِ فِي عِطْفِهِ ،
كَأَنَّمَا يَزْهِي بِهِ مِنْهُ جَبَّارٌ ، وَطَوْرًا يَرْمِي نَحْوَ السَّمَاءِ بِطَرْفِهِ ، كَأَنَّمَا
لَهُ هُنَالِكَ اعْتِبَارٌ . وَأَخْلَقَ بِهِ أَنْ يَنْقُضَ عَلَى قَنْصِهِ شَهَابًا ، وَيَلْوِي
بِهِ ذَهَابًا ، وَيَجْرُقُهُ تَوَقُّدًا وَالتَّهَابًا . وَقَدْ بَعَثَ بِهِ سَابِغَ الذَّنَابِ وَالْجَنَاحِ ،
كَفِيلًا فِي مَطَالِبِهِ بِالنِّجَاحِ ، حَمِيدَ الْعَيْنِ وَالْأَثَرِ ، حَدِيدَ السَّمْعِ
وَالْبَصَرِ ، يَكَادُ يُحَسُّ بِمَا يَجْرِي بِبَالٍ ، وَيَسْرِي مِنْ خَيَالٍ ، قَدْ
جَمَعَ بَيْنَ عِزَّةٍ مُلْكٍ ، وَطَاعَةِ مَمْلُوكٍ ، لَوْ سَبَكَ لَهُ النِّجْمُ قَنْصًا ، أَوْ
جَرَى بِذِكْرِهِ الْبَرْقُ قَنْصًا ، لَأَخْتَطَفَهُ أَسْرَعَ مِنْ لَحْظَةٍ ، وَأَطْوَعَ

١ ب م : به ابته .

٢ اللَّبْلِيَّةُ : المنسوبة إلى مدينة لباة (Niebla) وفي الديوان والمسالك : اللَّبْلِيَّةُ .

من لَفْظَةِ ١ ، وَاثْتَسَفَهُ أَمْضَى مِنْ سَهْمٍ ، وَأَجْرَى مِنْ وَهْمٍ ، قَدْ
 أَقْسَمَ بِشَرْفِ جَوْهَرِهِ ، وَكَرَمِ عُنْصَرِهِ ، لَا تَوَجَّهَ مُسْفِراً ، إِلَّا
 غَادَرَ قَنِصَهُ مُعَفِّراً ، وَآبَ إِلَى مُرْسِلِهِ مُظْفِراً ، مُورِّدَ الْمِخْلَبِ
 وَالْمِنْقَارِ ، كَأَنَّمَا اخْتَضَبَ بِحَنَاءٍ وَكَرَعَ فِي عُقَارٍ .

وله في صفة محك :

ومخطوط السَّوَادِ كَأَنَّ دَمْعاً جَرَى وَدَمّاً هُنَاكَ عَلَى حِدَادِ
 إِذَا التَّبَسَّتْ وَجْوهُ الْحُكَمِ يَوْمَ قَضَى فَمَضَى عَلَى وَجْهِ ٢ السَّدَادِ
 فَأَيُّ بَيَاضٍ نَعْمَى لَيْسَ يُعْزَى لِمَسْتَمَلٍ بِسِرْبَالِ السَّوَادِ
 تَلَوْنَ فَالْتَمَسَتْ بِهِ ضَمِيرَ دَخِيلِ السَّرِّ مَمْدُوقِ الْوَدَادِ
 يُجِيبُ وَمَا سَأَلْتُ بِهِ سَمِيعاً ٣ فَيَا عَجَباً لِإِفْصَاحِ الْجَمَادِ

وله في معذّر :

أَقْوَى مَحَلٍّ مِنْ شَبَابِكَ أَهْلٌ فَوَقَفْتُ أُنْدُبُ مِنْهُ رَسْماً عَافِياً
 مِثْلَ الْعِذَارُ هُنَاكَ نُؤْيَا دَائِراً وَاسْوَدَّتِ الْخِيْلَانُ فِيهِ أَثَافِياً

وَقَالَ نَظْماً وَنَثْراً ، يَدَاعِبُ غَلاماً قَدْ بَقِلَ عِذَارُهُ :

أَيُّهَا التَّائِهُ ٤ مَهْلاً سَاءَ لِي أَنْ تَهْتَ جَهْلاً
 هَلْ تَرَى فِيمَا تَرَى إِلَّا مَ شَبَاباً قَدْ تَوَلَّى

١ ب م : لفظة . . . لحظة .

٢ الديوان : نهج .

٣ الديوان : مجيباً .

٤ م ب : السائل .

وغراماً قد تَسَرَّى وفؤاداً قد تَسَلَّى
 أين دَمَعٌ فيك يجري أين جَنَبٌ يَتَقَلَّى
 أين نَفْسٌ بك تَهْذِي وَضُلُوعٌ فيك تَصَلَّى
 أيُّ مُلْكٍ كان لولا عارضٌ وافى فَوَلَّى
 وانطوى الحُسْنُ فَهَلَا أَجْمَلَ الحُسْنُ وهلا [١٧٦]

أما بعدُ ، أيها النَبِيلُ النَّبِيهُ ، فإنه لا يَجْتَمِعُ العِذارُ والتَّيهُ ؛
 كان ذلك وغُصْنُ الشَّبِيبةِ رَطْبٌ ، وَمَنْهَلُ ذلك المُقْبِلِ عَذْبٌ ،
 وأما والعِذارُ قد بَقِلَ ، والزَّمانُ قد انْتَقَلَ ٢ ، والصَّبُّ قد صحا فَعَقَلَ ،
 فقد رَكَدَتْ رياحُ الأشواقِ ، وَرَقَدَتْ عَيُونُ العُشاقِ ، فَدَعَّ عَنْكَ
 مِنْ نَظَرَةِ التَّجَنِّي ، وَمِشِيَةِ التَّثَنِّي ، وَغُصَّ مِنْ عِنانِكَ ، وَخُذْ فِي
 تَرَضِّي إِخوانِكَ ، وَهَشَّ عِنْدَ اللِّقاءِ هَشَّةَ أُرَيْحِيَّةٍ ، واقنعْ بالإيماءِ
 رَجْعَ تَحِيَّةٍ ، فَكأنِّي بِفنائِكَ مَهْجُوراً ، وَبِزائِرِكَ مَأْجُوراً .

وقال وقد طلع عليه القمر في بعض ليالي أسفاره ، فجعل يطرق في
 معنى كسوفه وإقاماره ، وعلة إهلاله تارة وسراره :

لقد أَصَحْتُ إلى نَجْوَكَ مِنْ قَمَرٍ وَبَيْتٌ أَدْلِجُ بَيْنَ الرَّعْيِ ٣ والنَّظَرِ
 لا أَجْتَلِي لِمَحاً حَتَّى أَعِيَ مُلْحاً عَدِلاً مِنَ الحُكْمِ بَيْنَ السَّمْعِ والبَصَرِ
 وقد مَلَأَتْ سَوَادَ العَيْنِ مِنْ وَضَحٍ فَقَرَطِ السَّمْعِ قُرْطَ الأُنْسِ مِنْ سَمَرِ
 فلو جَمَعْتَ إلى حُسْنِ مُجَاوَرَةٍ حُزْنَ الجَمالَيْنِ مِنْ خُبْرٍ وَمِنْ خُبَرِ
 وإن صَمَتَ فَنِي مَرَّأَكَ لِي عِظَةٌ قد أَفْصَحَتْ لِي عَنْهَا أَلْسُنُ العِبرِ

١ ب م : وولى .

٣ الديوان : الوعي .

٢ م ب : ابتهل .

تَمَرُّ من ناقصٍ حوراً وَمُكْتَمِلٍ كوراً ومن مُرْتَقٍ طوراً وَمُنْحَدِرٍ
فإن بكيتُ فقد يبكي الجليدُ فَعَنٌ شجورٍ يفجر عَيْنَ الماءِ في الحجرِ
ومحاسن الخفاجي كثيرة ، وفي ما مرَّ منها كفاية ، إذ لا يتسع هذا المجموع
لاستقصاء الغاية ^١ .

أخبرني أنه لما أقلع من صبوته ، وطلع ثنية سلوته ، والكهولة قد حنكته ، وأسلكته من
الارعواء حيث أسلكته ، رأى ^٢ أنه مستيقظ ، وجعل يفكر في ما مرَّ من شبابه ، وفي من
ذهب من أحبابه ، ويبكي على أيام لهوه ، وأوان غفلته وسهوه ، ويتوجع لسالف ذلك
الزمان ، ويتبع الذكر دمعاً كواهي الجمان ، ثم جعل يقول ^٣ :

ألا ساجلٌ دموعي يا غمامُ وطارحنِي بشجوكِ يا حمامُ

وأخبرني أنه لقي عبد الجليل ^٤ الشاعر بين لورقة والمرية ، والعدو بليط ^٥ لا يريم ،
يفرع تلك الربي ، ويروع حتى مهب الصبا ، فباتا ليلتهما بلورقة يتعاطيان أحاديث حلوة
المساق ، ويواليان أناشيد بديعة الاتساق ، إلى أن طلع لهما الصباح أو كاد ، وخوفهم تلك
الأنكاد ، فقام الناس إلى رحالهم فشدوها ، وافتقدوا أسلحتهم وأعدوها ، وساروا يطيطون

١ هذه جملة ختائية ، ولا أدري كيف استمرت الترجمة بعد ذلك ، ومما يبعث على الظن
بأن ما سيحيي إنما هو من زيادات بعض المعلقين أو النساخ ذلك الاتفاق مع قلائد العقيان نصاً .

٢ القلائد : نام فرأى .

٣ القلائد : ثم استيقظ وهو يقول .

٤ يعني عبد الجليل بن وهبون وقد ترجم له ابن بسام في القسم الثاني من الذخيرة .

٥ م ب : بليط ؛ القلائد : يلبط ؛ ولييط أو ألييط (Aledo) حصن يقع بين لورقة
ومرسية ، وهو الذي أطال حصاره يوسف بن تاشفين في جوازه الثاني فأعجزه ، وكان
ذلك من أسباب حنقه على ملوك الطوائف ، انظر الحلل المشوية : ٤٩ وما بعدها .

وجلاً > وان رأوا غير شيء ظنوه رجلاً < ١ فمال إليه عبد الجليل وفؤاده يطير، وهو كالطائر في اليوم العاصف المطير ، فجعل يؤمّنه فلا يسكنُ فَرَقُهُ ، ويؤنسه فيتنفس صعداء تثيرها حرّقه ، إلى أن مرّاً بمشهدين عليهما رأسان باديان ، وكأنهما بالتحذير لهما مناديان ، فقال أبو اسحاق :

ألا ربّ رأسٍ لا تزاوَرَ بينه وبين أخيه والمزارُ . قريبُ
أنافَ به صلدُ الصّفا فهو منبرٌ وقام على أعلاه فهو خطيبُ

فقال عبد الجليل :

يقول حذاراً لا اغتراراً ٢ فطلما أناخَ قتيلٌ بي ومرّ سليبُ
فما أتمّ قوله حتى لاح لهما قتام فانقشع عن سرية خيل ، كقطع الليل ، فما انجلت إلاّ وعبد
الجليل قتيل وابن خفاجة سليب ، وهذا من أغرب تقول ، وأصدق نقول .
وله ٣ :

خذها يرنّ بها الجوادُ صهيلاً وتسيلُ ماءٌ في الحسامِ صقيلاً
بَسَامَةً تُصْبِي الحليمَ ، وسَامَةً لَوَلا المشيبُ لَسَمْتُهَا تَقْبِيلاً
مِنْ كُلِّ بَيْتٍ لَوَ تَدْفَقَ طبعُهُ ماءٌ لَعَضَّ بِهِ الفِضَاءُ مَسِيلاً
إِيهِ وَمَلْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ غَلَّةٌ لو كُنْتُ أَنْفَعُ بِالْعِتَابِ غَلِيلاً
مَا لِلصِّدِّيقِ وَقَيْتَ تَأْكُلُ لَحْمَهُ حَيًّا وَتَجْعَلُ عِرْضَهُ مِندِيلاً
أَقْبَلْتَهُ صَدَرَ الحُسامِ وطلما أَضْفَيْتَهُ دُرْعاً عَلَيْهِ طَوِيلاً

١ زيادة من القلائد .

٢ ب م : اغتراراً .

٣ . كتب بها الشاعر إلى الفتح بن خاقان يعاتبه لأنه بلغه أن الفتح ذكره في كتابه بقبيح ووصف أيام فتوته بشيء من التنديد .

٤ الديوان : الأريب .

٥ الديوان : عليك .

ماذا ثَنَّاكَ عَنِ الثَّنَاءِ وَنَسْنِسُهُ بِرُدِّهِ عَلَى الرَّسْمِ الْجَمِيلِ جَمِيلًا

ومنها :

واصحب وذِهنُك من هَجِيرٍ لا فِجْ ذِكرًا كما سَرَتِ القَبُولُ بليلا
فلقد حللتَ مَعَ الشَّبَابِ بِمَنْزِلٍ يَرْتَدُّ طَرْفُ النَجْمِ عنه كليلا
وبدعت لا نزر المحاسنِ مَجْلا ومضيت لا قصم الغرارِ قليلا
متدفقا أعيَا العقولَ طَريقَةً فكأنما ركبَ المجرَّ سبيلا
يستوقفُ العليا جلالًا سجد اليراعُ بكفه تقبيلًا
وسواي ينشد في سواكَ ندامةً « يا ليتني لم أُنْخِذْ خليلًا »

وله ٢ :

خليليَّ عُوْجا خبّراني فُديتما على الحلِّ والترحالِ ما صنعتُ ريًا
أجدَّ كما هل بالعقيقين منزلٌ لمهضومةِ الكشحينِ عاطرةِ ريا
بعيشكما قولًا لنجدٍ وأهله غدرتم وفيًا ردًّا حبكم فيا
فيا صدَّهم هل من معينٍ على الجوى وبأبعدهم هل من سبيلٍ إلى اللقيا

وله في وصف ورد نثر عليه نوار نارنج ٣ :

يوندي أنس هزني (الآبيات)

وله فصل من كتاب ٤ :

وإنَّ كتابكَ الكَرِيمَ وافى ، فأهدى تَحِيَّةً ، هَزَّتْني أُرَيْحِيَّةٌ ، هَزَّ المُدَامَةُ

١ ب م : واصفح وذكركَ ؛ القلائد : وذكركَ .

٢ هذه الآبيات لم ترد في الديوان أو القلائد .

٣ قد مضت الآبيات ص : ٦١٨ وهذا التكرار متابع للقلائد .

٤ القلائد : ٢٣٥ وهي موجهة إلى الفتح .

٥ القلائد : وفاني تحية .

تَتَمَشَّى^١ ، والحمامة تَتَغَنَّى ، فلولا أن يُقال صبا ، لالتزمت^٢ سَطُورَه ،
ولتَمتُ مَسْطوره^٣ ؛ وما أنطقتني صَوَة^٤ استَفَزَّتني ، فهِزَّتني ، ولكن فضلة راح^٥
فضل في كأسِ العلا تناولتها^٦ ، فكلما شربتُ طَرِبْتُ . فلولا تَوَقَّع غمرات^٧
الشَّيبِ ، لابتَدَرْتُ شَقَّ الجَيْبِ ، ثُمَّ صَحْتُ وَاطْرَبَاهُ ، وَنَادَيْتُ واحِرَّ قلباهُ .

وبعد ، فَإِنِّي من جُمْلَتِهِ على ما وقع مَوْقع القَطْرِ ، وَحَسْبُكَ ثَلَجاً ، وطلع
طُلُوعَ هَيْلالِ الفِطْرِ ، وَكَفَاكَ مَبْتَهَجاً . وما أَغْرَبَ [فيما أَغْرَب] عَنْهُ من تَفْسِيرِ
حَالِكَ ، وَتَفْصِيلِ حِلِّكَ وَتَرْحَالِكَ . ولا غَرَوُ أن تجدَ بك^٨ الرواحِلُ ، وتتهاداك^٩
الْمَرَّاحِلُ ، فَمَا لِلنَّجْمِ أَخِيكَ مِنْ دَارٍ ، ولا في غير الشرفِ من مَدَارٍ ، فقع أنَّى شئتَ
وارتَع ، وطَرَّ حيثُ أَحْبَبْتَ أَوْ قَع ، فما انتضتكَ يدُ المِغْرَبِ ، إِلَّا ماضِي المَضْرَبِ ، ولا
تعاطنكَ أَقْطَارُ البِلَادِ ، إِلَّا طَيِّبُ المِيلَادِ ، وما ضارَ أن نَعقَ بِسَيْبِنِكَ غَرَابَ ، وخَفَقَ^{١٠}
برحلك سَرَابَ ، إذ لم يَغْضُ من فَضْلِكَ اغْتَرَابَ ، ولم يَحُلْ بِنَصْلِكَ ضَرَابَ ، لا زلتَ
خَيْمًا بِمِزْلَةٍ عَزِي^{١١} ، تجمع من امتناع^{١٢} في ارتفاع ، وامتناع في امتناع > بين إمرة
بغدان ومنعة غمدان < .

وله :

يا نُزْهَةً^{١٣} النَّفْسِ يا مُنَاهَا يا قُرَّةَ العَيْنِ يا كَرَاهَا

-
- ١ القلائد : تَتَمَشَّى .
 - ٢ القلائد : للزمت .
 - ٣ ب م : راح فضله ؛ الديوان : سؤر .
 - ٤ الديوان : الشباب تناولته .
 - ٥ الديوان : تغامز .
 - ٦ ب م والقلائد : تجذبك ، الديوان : تتجاذبك .
 - ٧ ب م : وتنتهي تلك .
 - ٨ ب م : ويخفق .
 - ٩ القلائد : يجد .
 - ١٠ القلائد والديوان : اتساع .
 - ١١ ب م : منية .

أما ترى لي رضاك أهلاً وهذه حالتي تراها
 فاستدرك الفضل يا أباه في رمق النفس يا أخاها
 فسوت قلباً ولنت عطفاً وعفت من تمرّة نواها

وله :

وأهيف قام يسقي والسكر يعطف قدّة
 وقد ترنح غصناً واحمرت الكأس ورده
 وألب السكر خدّاً أوزى به الوجد زنده
 فكاد يشرب نفسي وكدت أشرب خدّه

وله :

يا ليل وجدي بينجد أما لطيفك مسرى
 وما لدمعي طليقاً وأنجم الجوّ أسرى [١٧٧ب]
 وقد طمى بحر ليل لم يعقب المدّ حسراً
 لا يعبر الطرف فيه [غير] المجرة جسراً

فصل في ذكر الأديب أبي حاتم الحجاري^٢

من وادي الحجارة ، فردّ من أفراد العصر ، شاعر متصرف في النظم والنثر ، ولما انقرضت أيام ملوك الطوائف بالجزيرة ، وتسلبت الكساد على أعلاق الشعر الخطيرة ، خلع أبو حاتم بردّته ، وسلخ جلده ، وأصبح

١ ب م : كسراً .

٢ قد جمته في المغرب ٢ : ٣٦ وهو يقل عن المسود بحرف ذكر أن أبا حاتم كان مثلاً في

شاعر مخطئ . وابن أبي حاتم في كتابه ١ : ٢٧٦ ويصح التليق .

بمحاضرة قرطبة صاحب [طَوْلَق] وَحَنْبِل^١ ، وجلس بين هاونٍ وَمَنْخُلٍ ،
يَأْخُذُ لِلصَّحَةِ مِنَ الْمَرَضِ ، وَيَتَكَلَّمُ عَلَى الْجَوْهَرِ وَالْعَرَضِ ، فَقُلَّ فِي حُنَيْنٍ ،
تَكَلَّمَ^٢ بِلِسَانِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَانْظُرْ إِلَى الْبَدِيعِ ، فِي مَسْلَاخِ جَبْرِيلَ بْنِ
بُخْتِشُوعٍ ، كُلُّ ذَلِكَ حَرَصاً عَلَى الْحَيَاةِ ، وَاحْتِيالاً لِهَذِهِ الْمَلَابِسِ وَالْأَقْوَاتِ ،
وَخَوْفُ الرَّدَى آوَى إِلَى الْكَهْفِ أَهْلُهُ وَكَالَّفَ نُوْحًا وَابْنَهُ عَمَلَ السَّفَنِ^٣
وفي ذلك يقول :

أَقَمْتُ بِأَرْضِ قَرْطَبَةٍ كَأَنِّي أَمِيرُ جَبَايَةٍ أَوْ قَهْرْمَانِي
فَمَا لِي ضَيْعَةٌ إِلَّا ضَيْعَاعِي وَتَصْرِيفِي لَهَاوُونِ الْهَوَانِ
وَدَقِي شَحْمَ حَنْظَلَةٍ وَعَصْرِي حَشِيشَةَ غَاثٍ أَوْ أَنْجِدَانٍ^٤

١ الطولق : وضع في Vocabulisto : ١٧٣ مقابل « طولقة » اللفظتين اللاتينيتين Invercundia (Vituperare) وقال في تفسير الثانية منهما (ص ٤٣٩) : وقبح ، وقاح ، مطولق ؛ والمعنى الأصلي للفظتين يوحى بعدم الاكتراث فيما يتصل بالسلوك العام ، وربما كان في ذلك إشارة إلى الشعوذة والمجاداة على العقاقير ، أو تشهير النفس بالجلوس على دكة .
والحنبل : نوع من البسط أو الحصر تطرح على مقعد أو على دكة (انظر ملحق دوزي)
وقال ابن هشام في لحن العامة : ويقولون (أي عامة المغرب) لبعض البسط حنبيل . . .
ووردت اللفظة في الزجل رقم : ١٣٧ من ديوان ابن قزمان (انظر مجلة معهد المخطوطات
٣ : ١٥٥) وانظر Vocabulisto : ٩٠ حيث وضع مقابلها لفظة Tapet .

٢ ط د س : يتكلم .

٣ البيت للمعري ، شروح السقط : ٩٢٢ .

٤ غاث : نبات يخرج قصبياً واحداً أسود صلباً وعليه ورق متفرق مشرف ، وقال ابن البيطار :
قد كثر الاختلاف في هذا النبات بين الأطباء شرقاً وغرباً . . . وأهل أطباء شرق الأندلس
يسمونه الزيمند بعجمية الأندلس ؛ أما الانجيدان فهو ورق شجرة الحلتيت ، والحلتيت صمغه
ومنه نوعان أبيض ويسمى المرخمي ، وأسود منتن يخلط مع بعض الأدوية .

وشمّي وهي تملأ كل أنف^١ قوارير المياه من الصنّان
تجارة ذلة قرّنت بنحس ونجم الشؤم متّصل القرآن
لقد أضللت يا بقراط قوماً على بُعد الأوان من الأوان

وقوله : « قهرماني » [أراه] مما وهم فيه حين خاله منسوباً^٢ ، إنما هو
قهرمان ، يقال للوكيل ؛ وهو يجري بوجوه الإعراب .

ولما ابتدأتُ بتحرير هذا الكتاب^٣ ، وأنا يومئذ بقرطبة [سنة ثلاث
وتسعين] نظرت في مُبَيَّضَات كانت عندي لأهل هذا الاقليم ، فلم أجد
لأبي حاتم فيها شيئاً من منشور ولا منظوم ، فاستهديتُ قطعةً من أشعاره وما
عسى أن يتعلقَ^٤ بها من ملح أخباره ، وتكرّر عليه رسولي هنالك ، فمطلني
في ذلك ، فكتبتُ إليه رقعةً أقولُ في فصل منها :

وقد تواترَ عليك النبا أني جمعتُ من الرسائل الأندلسيّة ، والأشعار
العصريّة ، جملةً موفورة ، لطوائف كثيرة ، ممن تحقق عندي أن حليته^٥
التي تحلّى بها من صوغ طبعه ، وحلله [التي] نشرها^٦ من نسج فكره ،
وأضربتُ ، عن من ارتبتُ ، إذ باعة الشعراء^٧ أكثر من عدد الشعّر ؛
ولما كنتُ أبا حاتم خاتمة أئمة هذا [١٧٨ أ] الشأن ، أحببتُ أن أجعلَ

١ ط د س : بطن كفي .

٢ ط د س : إذ أجراه على الانتساب .

٣ ط د س : في تصنيف هذا التأليف .

٤ ط د س : ونظرت ... لم .

٥ ط د س : يتشبّه .

٦ ب م : يتحلّى ... ينشرها .

٧ ط د س : إبداعه للشعر .

كلامك واسطة هذا الديوان ، إلا أني رأيت لك من الامتناع ، بتلك الرقاع ، ما حدست عليك أنك قلت : هذا ابن بسام كما أخرجته الروم من بلاده ، وصفرت يده من طارفه وتلاهده ، وقدم^١ قرطبة بقدم الضرورة ، على تلك^٢ الصورة ، يريد أن يشحذ^٣ المديّة ، في أبواب الكدّيّة ، فاتخذ تأليف^٤ هذه الشذور القلائد ، سبباً أن يسبي عذارى القصائد ، في حجر أربابها ، ويسلبها عن أصحابها ، حتى إذا قيد لفظها ومعناها ، وجليّت عنده اتاها ، وقد أبعدت مرمالك ، إن كنت ظننت بي ذاك ، وكلاً أبا حاتم ، فإنك لي لعين الظالم ، إن نسبني لهذا العجز ، وأني أحق أن أظيل لسيف غيري الهز ، وقد شهدت الأشهداء ، بتلك البلاد ، أن لي بديهة قوية ، تؤني على الرويّة ، إلا أني أبا حاتم لا أجري في ميدانك ، ولا أعدّ من أقرانك ، فسقى الله بلاداً أنجبتك وإن كانت حجازيّة ، فإن معانيك عراقية ، وألفاظك حجازية ؛ والله مدينة الفرج ، فلقد تتحدث منك عن أنموذج بيان ، مخلص الطريق للجريان .

فلما وردته الرقعة ، زمّ عن الجواب قلمه ، وكلّف الإيجاب قدّمه ، وورد من حينه عليّ^٥ ، ونثر مبيّضاته بين يديّ ، [يقيمه الخجل ويقعد ، وقد صبغه كما صبغ اللجين العسجد] ، فمما تخيرت منها قوله يستهدي نبذاً^٦ :

١ ب م : وقدم من .

٢ ط د س : على قدم . . . بتلك .

٣ ط س : ربما شحذ .

٤ ط د س : تقييد .

٥ ب م : علي من حينه .

٦ الأبيات في المغرب ٢ : ٣٦ .

يا سيدي والنهار تبصره^١ منسجم الدمع مطبق^١ الأفق
وعندي البدر قد خلوت به فوق خديه حمرة الشفق
جاذبته الحبل فاستقاد وكم جريت جري الحموح في الطلق
والحمر نعم القياد^٢ ، طائعة^٢ لشاربيها مسكية العبق
وقد هز زناك كي توجهها^٣ في الشعر هز القضيبي في الورق

وكان أبو الأصغ البلنسي المتطبب ربما قام في مجالس الأنس ويخطب
بكلام غث يضحك به من حضر^٤ ، فخطبه أبو حاتم بهذه الأبيات :

قل للحكيم وقد هزرت مهنداً وجذبت عطفاً للندی هزاًزا
يا نفحة الزهر الأنيقة سُحرةً أحرزت كل فضيلة إحراراً
هل تشينك رقة شاكتها فتفارق الهماز واللماز
أمتلي رضاك فهل سمعت بشاعر قطع الصراط إلى رضاك وجازا [١٧٨ ب]
[يا ليت شعري والجوائح كاسمها هل ترجعن بياذقي أفرازا]
حتى أراك وأنت حامل قالس^٥ وأرى يمينك حاملاً عكازاً
وتقوم في نادي النديم منادياً فعل الخطيب تعمد الإيجازاً
عمري لقد أنسيت يوم نثرتها ونظمتها الخطباء والرجازا
وأنشدني لنفسه :

١ ب م : مطلق .

٢ ط د س : العتاد سائفة ؛ المغرب : جامعة .

٣ المغرب : تجود بها .

٤ ط د س : يضحك به ويضطرب .

٥ القالس : القلنسوة ، ويلبسها الفقيه في الأندلس إذا بلغ مرحلة الفتوى ، ويبدو أن أبا الأصغ المتطبب كان يحاكي بعض الفقهاء متندراً فيضحك من حوله .

وزائري زارني وقد هَجَعْتُ عيناىَ حَتَّى تَبْلَجَ الفجرُ
 بكيتُ للقربِ ثم قلتُ له من ثمرِ الوصلِ يُجْتَنَى الهجرُ
 وهذا يناسب قول القائل^١ ، وتنشد الأبيات لحسناها ، ولكون هذا المعنى
 فرعاً عن^٢ غصنها ، وهي :

وما في الأرضِ أشقى من محبٍّ وإن وجد الهوى حُلُوَ المذاقِ
 تراه باكياً في كلِّ حالٍ مخافةَ فُرْقَةٍ أو لاشتياقِ
 فتسخنُ عينُهُ عند التئاني وتسخنُ عينه عند التلاقي
 فيبكي ان نأوا حَذَرًا عليهم ويبكي إن دَنَوْا خوفَ الفراقِ
 وقال سعيد بن حميد لفضل الشاعرة^٣ :

ما كنتُ أيامَ كنتِ راضيةً عني بذاك الرضى بمغتبطِ
 علماً بأن الرضى سيعقبُهُ منكِ التجني وكثرةُ السَّخَطِ
 فكلُّ ما ساءني فعنْ خُلُقِ منكِ وما سرَّني فعن غلطِ
 وقال العباس بن الأحنف^٤ :

قد كنتُ أبكي وأنتِ راضيةٌ حذارَ هذا الصدودِ والغضبِ
 ان تمَّ ذا الهجرُ يا ظلومُ — ولا تمَّ^٥ — فمالي في العيشِ من أرب

١ ط د س : الآخر .

٢ ط د س : من .

٣ أخبار سعيد بن حميد وفضل الشاعرة في الأغاني ١٨ : ٨٩ ، ١٩ : ٢٥٧ وطبقات ابن

المعز : ٤٢٦ .

٤ د ط : سيبته .

٥ ديوان العباس : ٣٣ .

٦ الديوان : إن دام . . . ولا دام .

وأنشدني له من قصيدة أولها :

أرقتُ للامع^١ البرقِ اليماني
هلمّا نكتنفُ أكثافَ ليلٍ
ونركضُ في جوانبه فإني
خذنا بي مأخذاً^٢ يُسلي وإن لم
وقولا في حديثكما لقلبي
رويدك إنها أنفاسُ نفسٍ
وقيتكما وهذا السهمُ يدمي^٣
سلاه لم أهلٌ يجمعُ خيفَ
لقد بلغ الزبى هذا التصابي
بعيني منه بدرٌ تحتَ ليلٍ
ووجهٌ ياسميني^٤ وصدغٌ
عداني أن أُجِيلَ إليه خطوي
وسمرُ أسنةٍ في نقعٍ ليلٍ
عليك به وفي يسرى يديه
يقلّبُ خيزرانتَه بكفّي

فيا أخويّ من عبدِ المدانِ
وساعِ الجيبِ فضفاضِ اللَّبانِ
أراه باركاً ملقى الجرانِ
تكن إلاّ أباطيلَ الأماني [١٧٩أ]
أما تنفكُ من حربٍ عوانِ
تصعدُ بين أحناءِ حواني
برامٍ من بني ثعلٍ رمانِ
بنبلٍ جفونه حول الجمانِ
بقلبي والتقتُ حلقُ البطانِ
أتت ستّ عليه إلى ثمانِ
خالوقي وثغرُ أقحواني
مجالٌ للضّرابِ وللطعانِ
بدتُ كالنارِ في طُررِ الدخانِ
كليثُ ثنيةٍ ثنيا عنانِ
غلامٍ قدّه من خيزرانِ

ومنها في المدح :

بناني والضياعُ^٤ يهدُّ مني ويهدمُ مذ بسطتُ له بناني

١ ط د س : لبارق .

٢ ب م : ماجدأ .

٣ د ط س : يرمى .

٤ ب م : والصباح .

إلى ذي صفحة كالماء رَقَّتْ وراقتُ فهي كالسيفِ اليماني
إذا لم استبدَّ به فيني كمن حَمَلَ القناةَ بلا سنان

وله من أخرى في القاضي أبي عبد الله بن حمدين^١ وقد قُفِلَ من غزاة^٢ :

تراك غداةً عاقدتَ الزَّمانا أخذتَ عليه بالبُشرى ضمانا
بلى قد كان ذلك فاستقادتُ لياليه وعادتُ مهرجانا
حشدتَ محاسنَ الدنيا ليومٍ وجدناه^٣ كوجهك^٤ أضحيانا
أردتَ إشادةً العليا فكانتَ ورُمْتُ تجددَ النعمى فكانا
وما حَسُنْتُ سجايا الدهرِ حتى قرَّنتَ بها سجاياك الحسنانا
لبانَ الحليمِ أَرْضِعتَ الليالي فكيف تضيقُ ذرعاً أو لبانا
أخذتَ على الكماةِ الكرَّ حتى لكدتَ تُعلمُ الكرَّ الجبانا [١٧٩ب]
وأشرعتَ الأسنةَ وهي تحدو رعالَ سوابقٍ حكَّتِ الرعانا
تُفَحِّمُها شذاتكَ وهي بكرٌ فكيف لقيتها حرباً عوانا
أتوا والجيشُ يقدمه فلانٌ فلا والله ما حمدوا فلانا
فديتُك من أخي دنيا ودينٍ أَبَتَ أحنأؤه إلاَّ حنانا
تحمِّلَ وهو يلعبُ حدَّ؛ قلب كما حملتُ مثقفةً سنانا
أخطبه فيُمتعني بلحظٍ يرى سرَّ القلوب به عيانا

١ أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدين (٤٣٩ - ٥٠٨) ولي قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٤٩٠
وكان من أهل الجزالة والصرامة ، ولم يزل على القضاء إلى أن توفي (انظر الصلة : ٥٣٩
وبغية الملتبس رقم : ٢٣٠ وقلاند العقيان : ١٩٢ وأزهار الرياض ٣ : ٩٥) .

٢ منها بيتان في المسالك .

٣ ط د س : كيومك .

٤ د ط س : حر .

وأجذبه إليّ ولست أدري أعطفاً عطفه أو خيزرانا

وله فيه من أخرى [أولها] ١ :

أنت تختالُ عاطرةً الذبولِ وشمسُ الأفق تجنحُ للأفولِ

يقول فيها :

أموقفتنا بتوضح غبَّ يومٍ	على أكناف حوملٍ والدَّخولِ
وليلتنا وقد نشرت علينا	ذوائبَ حالكٍ مُرخي السدولِ
لبسنا سَمَلْ شملته ٢ وبتنا	نجوبُ اللهو من عَرَضٍ وطولِ
وعهدي بالرقيب وقد غَنِينَا	بغمزِ الحاجبين عن الرسولِ
مضتْ بشبابها الدنيا فمالي	أقيمُ على رسومٍ من طولِ
أقولُ لمهجتي وعليَّ منها	سرايلُ المذلةِ والحمولِ
ردي دارَ الخلافةِ تستدرِّي	مواهبَ مثلَ حملاتِ السيولِ
وسيري ما استطعت إلى سميعٍ	مُطيعٍ للاله وللرسولِ
إلى مَنْ بين فكّيه لسانٌ	وشقشقةٌ كشقشقةِ الفحولِ
هجرتُ جنابَ قرطبةٍ ولكنْ	جعلتُ إلى ابنِ حمدين قُنْفولي
فقيهُ ديانةٍ وسراجُ دنيا	عليمٌ بالفروع وبالأصولِ
ألانَ المشكلاتِ وراضٍ منها	فردٌ حَزُونُها مثلَ السهولِ
أبا عبدِ الإلهِ إليك منِّي	جوانحَ جانحاتٍ للوصولِ
بعثتُ إليك عن سحر حلالٍ	وبعضُ السحر من ثمرِ العقولِ [١٨٠أ]

١ أورد منها في المسالك أربعة أبيات .

٢ ب م : شمل سملته ؛ د ط : شمل شملتنا ؛ س : شمل شملته .

٣ ب م والمسالك : جمات .

أنجعة رائد الآمال هب لي رضاك ولقني وجه القبول
تطالعي الحوادث عن حدود مصعرة وعن أجفان غول
وها أنا والمحل جديب أرض وعندك ثرة الديم الهمول
وقد سمرت لسان الحال عنها كما سفر الخضاب عن النصول

ومن شعره في الرثاء^١ : له [من قصيدة] في القاضي ابن أدهم ، أولها :

أما الأسى فعلي منه مخايلُ نفسُ أصعده ودمعُ سائلُ
من ناظري علي أعظمُ شاهدُ ومن العيون على القلوب دلائلُ
في كل آونة إلى أفق الثرى شمسُ مغورة^٢ وبدرُ آفلُ
خفضُ عليك فللحياة تقلصُ هي نومة^٣ والعمر طيفُ راحلُ^٤
مُزجت لنا الدنيا بشهدٍ ظاهر وبظهر ذاك دمُ الأفاعي القاتلُ
أقسمتُ بالحدث الذي أنا واقفُ أرنو إليه ودمعُ جفني هاملُ
لو يعلمُ البشرُ المطيفُ بأنه جبلُ على كبد المكارم نازلُ
لثموا جوانبه وقد أرجَ الهدى وتضوَع العلياء وفاحِ النَّائلُ
قلبُ جفونك في حدائق زهره فمن الغمام على الرياض شمائلُ
كالبحر كان فنهنته منية فغَطَّتْ به ولكل بحر ساحلُ
عَصَدَ الهدى وسعى إلى تأييده والزغفُ نهرُ والسيوفُ جداولُ
وهدى الأميرَ إلى مناهج قصده ومع الدلاء على الميساهِ حبائلُ

١ ومن شعره في الرثاء ، وقع هذا عنواناً كبيراً في ط د س ، وأدرجت تحته مرثية في ابن أدهم ومرثية في ابن عبد الصمد ، وبذلك تنتهي الترجمة ؛ ولهذا تقع قصيدته في مدح ابن أبي سابعة لباب الرثاء في تلك النسخ .

٢ ط د س : مقورة .

٣ ط د س : زائل . ٤ ط د س : قطعت .

لم تُلْهِهِ الدُّنْيَا فَأَعْرَضَ دُونَهَا وَبِتَرَكٍ عَاجِلَهَا يُنَالُ الْآجِلُ

ومن أخرى في الفقيه عبد الصمد :

الآنَ أُدْرِجَتِ الْأَمَالُ فِي كَفَنٍ وَالْيَوْمَ فَفُرِّقَ بَيْنَ الْهَفَنِ وَالْوَسَنِ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ جَلَّ الْخَطْبُ فِي رَجُلٍ مَلَأَ الزَّمَانَ وَمَلَأَ الْعَيْنَ وَالْأَذْنَ
أَمَا وَقَدْ طُرِبَتْ تِلْكَ الْمَحَاسِنُ لَا وَاللَّهِ لَا وَقَعَتْ عَيْنِي عَلَى حَسَنِ
مَالِي كَرَعْتُ مِنَ الْبُلُوَى وَبِي ظَمَأٌ إِلَى مَحْيَاكَ بَيْنَ الْأَجْرِ وَالْأَسَنِ [١٨٠ ب]
أَصْبَحْتُ بَعْدَكَ وَالْأَيَّامُ مُعْرِضَةٌ مُعْرِضًا لَزَمَانَاتٍ مِنَ الزَّمَنِ
يَا مُخْرِسِي وَقَدِيمًا كَانَ يُنْطَقُنِي قَلَّدَ حَسَامَ [لِسَانِي] حَلِيَّةَ اللَّسَنِ
أَمَا السَّمَاءُ عَلَى أَرْضِي فَمُطَبَقَةٌ تَشَابَهَ الضِّيقُ^١ فِي سَرْبٍ وَفِي عَطَنِ
وَقَدْ تَبَلَّدْتُ لَا أُدْرِي وَكَانَ مَعِيَ رَأْيِي يُخْلَصُ بَيْنَ الْمَاءِ وَاللَبَنِ
هَادَنْتُ فِيكَ هُمُومَ النَّفْسِ أَصْحَبَهَا لَعَلَّهَا هَدَنَةٌ تُبْنَى عَلَى دَخَنِ
هِيَهَاتَ لَا أَنْتَ إِلَّا وَاضِعًا لِيَدِي أَا يَمْنَى عَلَى الْقَلْبِ وَالْيَسْرَى عَلَى الدَّفَنِ
أَنْهَيْتَ مَالَكَ فِي تَقْوَى ذَخَرْتَ بِهَا أُخْرَى بِأَجْرِ وَمُخْزُونًا بِمُخْتَرَنِ
يُنَايَ الثَّنَاءُ فَتَسْتَدْنِيهِ مَرْتَحَصًا لَجَوْهَرِ الْحَمْدِ بِالْغَالِي مِنَ الثَّمَنِ
تُعْطِي وَتَمْنَعُ فِي حَالٍ فَيَا عَجَبًا عَرَضُ مَصُونٍ^٢ وَمَالٌ غَيْرُ مُحْتَجَنِ

ومن مديحه من قصيدة في ذي الوزارتين أبي جعفر بن أبي :

كَمْ بِالْظُعَانِ مِنْ ذَوَاتِ حِجَالٍ هَيْئَتِ الْخُصُوفِ رَوَاجِحِ الْأَكْفَالِ
عَهْدِي بَهْنٍ وَهَنْ يَطْوِينَ الْمَلَا طَيِّبِينَ بَيْنَ النَّصِّ وَالْإِرْقَالِ
وَاللَّيْلُ كَالزَّنَجِيِّ تَحْسَبُ أَنَّهُ كَرَةٌ تَثَارُ بِصُوبِ الْجَانِ هَلَالِ
أُسْفَى لِأَيَّامِي^٢ بِمَنْزِلَةِ اللَّوَى وَزَمَانِنَا الْحَالِي بِذَاتِ الْحَالِ

١ ط د س : حشابه الضير .

٢ ط د س : لأيام .

أَيَّامٌ نَمْرُحٌ تَحْتَ ظِلِّ شَبِيئَةٍ
وَالدَّهْرُ يَمْزِجُ بِاتِّصَالِ حَدِيثِنَا
مَالِي سِوَى كَنْفِ الصَّبَابَةِ بَعْدَهُمْ
لَا هُمْ إِلَّا أَنِّي عَفْتُ النَّوَى
ظَفَرْتُ يَدَايَ وَقَدْ يَشْتُ بِمَاجِدِ
يَا مَنْ نَحَاذِرُهُ وَنَرْجُو عَفْوَهُ
هُوَ كَالْغَمَامَةِ أَوْ كَبَحْرِ سَاكِنِ
وَالْأَرْضُ تَحْمِلُ أَهْلَهَا وَلِرَبِّمَا
قُسِمَ الزَّمَانُ بِصَوْلِهِ وَبِقَوْلِهِ
حَمَلْتُ حَمَائِلَهُ فُضَاضَةً بِأَسِهِ

ومنها :

يَا مُنْجِدِي وَالدَّهْرُ يَغْمِزُ جَانِبِي
كَيْفَ الْإِقَامَةُ بَيْنَ حَالِي ذَلَّةٍ
مَاذَا^١ تَرَاهِ وَأَنْتَ مَالِكُ عِزِّمِي
أَسَلَمْتُ نَحْوَكَ وَجْهَ آمَالِي فَهَلْ
إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ شُغْلَكَ بِالْعَلَا

وله من أخرى :

وَأَبَايَ مِنْ شَادِنٍ جَمٍّ الدَّلَالِ خَرِقٍ
رَمَى بِقَوْسِي حَاجِبٍ قَلْبِي وَسَهْمٍ مَذَقٍ

١ ب م : دمع سال .

٢ ط د س : مالي .

من لي به كعهدنا يوم الحمى بالأبرق
وركضنا في ليلة تفتق مسك الأفق
ونارنا قد نُشِرتْ طيَّ لسواء الأفق
وابتسمت ضاحكة عن شفق في غسق
يا ابن أبي الفتح وهل مفتاح باب الغلق
الا يسداً تخطها عن ورق من ورق

منها :

ردت جناحي ضافياً وطوّقت من عنقي
مثلك لا يلقى امرؤ مؤمل ولا لقي
غريبة في مغرب وآية في مشرق
بيت قريش بيته وأي شيء يتقي

ومن أخرى :

وابأبي من لحظ ذي غنة شخبت الحشا أهيف أملود
طرز فوق الورد من خده بالمسك من خيلانه السود
مستمح علواً ومستحسن سفلاً بتصويب وتصعيد
ردف كحقف الرمل يرتج في قد كغصن البان مقدود
بي ظمأ برح إلى صرفة تمطرها ماء العناقيد

ومنها :

رضيع درّ المجد في أسرة من معشر غر صناديد
ما أحسن الدنيا وقد حليت منهم بحلي القادة الرؤد

وما ألدَّ العيشَ في ظلهم ما بين مخضودٍ ومنضود
وهاكبا والسحرُ حليُّ لها وليدةٌ في بُزْدٍ توليد [١٨١ب]
ذاتَ قوافٍ شُرِّدَ ما بَدَتْ إلَّا وصادتْ مُهَجَّ الصيد
حالي وان لآحَ [لها] رونقُ حالُ شريدِ الدارِ مطرود
وربما يبيضُ وجهُ امرئٍ والنارُ في أحشائه السود
ويكتسي من وَرَمٍ حُمرةً ما كلُّ توريدٍ بتوريسد

نظر فيه إلى قول القائل :

وقد يكتسي المرءُ حرَّ الثيابِ ومن تحتها حالةٌ مضنيه
كمن يكتسي خدَّه حُمرةً وعلتهُ وَرَمٌ في الرِّية

وله من أخرى في القاضي ابن حمدين^١ :

هجعوا وقد سَرَّتِ القِلاصُ الوخد والليلُ كالزنجي أسحمُ أسودُ
والخاطفاتُ من البروقِ كأنها بيضٌ مؤلِّلةٌ تُسَلِّ وتغمد

ومنها :

يا صاحبيَّ وشدَّ ما علَّلتما ووعدتما لو صحَّ ذاك الموعد
ما يصنعُ الصنُّ الشقيقُ بصنوه ما يصنعُ القاضي الأجلُّ محمد
هذا الذي لولاه أجذبُ مُخْصِبُ وتجللَ البطحاءَ ليلُ أربد
يبنى العلا ويهدُّ ركنَ عدوه فهو الزَّمانَ مهدَّمٌ ومُشيد
إنَّ العيونَ وقد قَرَرْنَ بعدله لتنامُ وهو القائمُ المتهجِد
ينأى ويُدنيه التواضعُ منزلاً فمقربٌ في حاله ومبعد

١ أورد العمري منها ٤ أبيات في المسالك .

فَرَجَّتْ يَا قَاضِيَ الْقَضَاةِ بِهَمَّةٍ أَدْنَى مَرَاتِبِهَا السَّهَا وَالْفَرْقَدِ
لَوْلَاكَ وَهِيَ مِنَ الذَّوَابِلِ هَزَّةٌ كَانَتْ قَنَاءُ قَصَائِدِي تَتَقَصَّدُ
هِيَهَاتَ ، يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِكَ شَاعِرٌ وَلَوْ أَنَّهُ الْمَتَكَوِّفُ الْمَتَبَعْدُ
خَذَهَا إِلَيْكَ وَقَدْ قَعَدْتَ بِمِرْصَدٍ وَالذُّ شَيْءٌ مَوْعَاً مَا يُرْصَدُ
رِشْتَ الْقَرِيضَ وَقَدْ أَخْلَ بِأَهْلِهِ عَدَمُ السَّمَاخِ وَخُطْبُ دَهْرٍ أَنْكَدُ
دَامَتْ لَكَ النِّعْمَى الَّتِي أَلْبَسَتْهَا تَبْلِي وَتُخْلِقُ بَرْدَهَا وَتَجِدُّ
وَجَمِيلَ ذِكْرِكَ يَا ابْنَ حَمْدِينَ عَلَى صُحُفِ الْمُحَامِدِ بِالثَّنَاءِ مُحَمَّدٌ [١٨٢]

في ذكر الأديب أبي بكر محمد بن عيسى الداني وسياقة جملة من متخير شعره^١

كان أبو بكر شاعراً يتصرف ، وقادراً لا يتكلف ، مرصوصاً المباني ،
ممتزجاً^٢ الألفاظ والمعاني ، وكان من امتدادِ الباع ، والانفرادِ بالانطباع ،
كسيفِ الصَّيْقَلِ الفرد ، توحدَ بالابداع وانفرد ، لو كانت له مادة^٣ نفي

١ ترجمته في بغية الملتبس رقم : ٢١٣ والقلائد ٢ : ٢٤٥ - ٢٥٢ والمغرب ٢ : ٤٠٩ - ٤١٦
والمعجب : ٢٠٨ - ٢٢٤ والتكملة : ١٠ : ١٠٧ - ١٤٧ (ط .
تونس) والمطرب : ١٧٨ والوافي بالوفيات ٤ : ٢٩٧ والفوات ٤ : ٢٧ (ط . بيروت)
والزركشي : ٣٠٦ والمسالك ١١ : ٢٧٠ وصفحات متفرقة من نفع الطيب و Hist.
Abbadid. جمع دوزي ، وله موشحات في دار الأتراز وجيش التوشيح : ٥٩ - ٧٢ ؛
وقد ذكر ابن الأبار في التكملة أنه توفي بميوزقة سنة ٥٠٧ ودفن إلى جانب أبي العرب
الصقلي ، وعدّ من مؤلفاته : مناقب الفتنه وكتاب نظم السلوك في وعظ الملوك وكتاب سقيط
الدرر ولقيط الزهر .

٢ المغرب : منق . ٣ ط د س : مدة .

ببيانه ، لكان أشعر أهل زمانه ، وكانت أمه امرأة برزة فارسة دكان ، وصاحبة مكيال وميزان ، وعلى ذلك فقد كانت امرأة صدق ، وفي حرفتها - على ما بلغني - صاحبة حق ، مشغلة ببيع لبنها ، مقبلة على ما يعينها من حال زمنها ، حتى غلب اسم اللبن عليها ، ونُسب أولادها به إليها ، وكانت لأبي بكر وأخيه [عبد العزيز] همة تعرضهما للصدور ، وترامى بهما إلى معالي الأمور ، إلا أن أبا بكر كان أوسعهما في الأدب مجالا ، وأكثرهما على صنعة الشعر إقبالا ، ومال عبد العزيز إلى التجارة فحسنت طريقته ، وحمدت خليفته ، وكان له مع ذلك أدب دل على نبلة ، وشعر يستحسن من مثله ؛ إلا أنه لم يرضه مكسبا ، ولا اتخذهُ إلى أحدٍ من الملوك سببا ، فذهب عن أكثر الناس ذكره ، ومات قبل موته شعره .

وأما أبو بكر فردد على ملوك الطوائف بجزيرة الأندلس^١ تردد القمر في المنازل ، وحل من ملوكها محل الحلي من صدور العقائل ، يسحب على دولهم ، ويقلب الطرف بين خيلهم وخولهم ، وخيم أخيرا^٢ في ذرى المعتمد بن عباد إذ كان أصدقهم نوءا ، وأبرهم^٣ في مطالع السؤدد ضوئا « فلما نبت صيادته ، وأعوزته من دهره اسعاده ، وصار إلى المغرب ، وحل فيه محل < النازح > المغرب^٣ ، وغدرته الأيام غدر أهل خراسان لقتيبة ، وفى له بالرحلة إليه وفاء الظعينة لعتيبة^٤ ؛ فلما

١ ط د س : الطوائف بأفقتنا .

٢ ط د س : آخرأ .

٣ ب م : المضطرب .

٤ قتيبة بن مسلم الذي فتح مناطق ما وراء النهر ثم قتلته تميم عندما تولى سليمان بن عبد الملك =

زال مُلكُهُ ، وانتثر سِلْكُهُ ، وتقلّصَتْ حواشي ظِلِّهِ ، وأنكره أَكْثَرُ أَهْلِهِ ،
وَقَدَّعَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ وَفَادَةً دَلَّتْ [١٨٢ ب] عَلَى أَنَّ كَرَمَ الْعَهْدِ كَمَا
كَانَ ، وَأَنَّ الْوَفَاءَ لَمْ يَدْرَسْ رَسْمُهُ حَتَّى الْآنَ ، فَنَازَعَهُ بُوسَتُهَا ، وَعَاطَاهُ
كُؤُوسَتَهَا ، وَمَدَحَهُ لِلْوَفَاءِ ، بِأَحْسَنَ مِمَّا مَدَحَهُ لِلْغَنَاءِ ، حَتَّى كَأَنَّ عَبْدَ
الْجَلِيلِ إِنَّمَا نَطَقَ بِلِسَانِهِ ، وَأَعْرَبَ عَنْ شَانِهِ ، حَيْثُ يَقُولُ :

قَضَى اللَّهُ أَنِي فِي الثَّنَاءِ عَلَيْكُمْ زِيَادٌ وَأَنِي فِي الْوَفَاءِ قَصِيرٌ^١
وقد أشار إلى ذلك هو من مذهبه ، حَيْثُ يَقُولُ فِي شَعْرِ مَدَحِهِ بِهِ ، وَقَدْ
تَقَدَّمَ لِنَشَادِهِ فِي أَخْبَارِ ابْنِ عَبَّادَ :

جَذِيمَةٌ أَنْتَ وَالزَّبَاءُ خَانَتْ وَمَا أَنَا مَن يَقْصِرُ عَنْ قَصِيرٍ
وقد جمعتُ من أشعاره ، وَمُسْتَظَرَفٍ أَخْبَارِهِ ، وَأَضْفْتُ إِلَيْهَا مِنْ
سَائِرِ مَلَحِهِ^٢ ، وَأَوْصَافِهِ وَمِدَحِهِ ، مَا يَدُلُّ عَلَى وَفَائِهِ ، وَيَشْهَدُ بِبِرَاعَةِ
ذِكَاثِهِ .

= الخِلافة سنة ٩٧ ؛ أَمَّا عَتِيبَةُ فَلَعَلَّهُ عَتِيبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابٍ فَارِسٌ بَنِي يَرْبُوعَ ؛ وَمَا
بَيْنَ أَقْوَاسٍ هُوَ نَصُّ الْقَلَائِدِ .

١ زياد : النابغة الذبياني ، ووفاء قصير بلخيمة مشهور .

٢ د ط س : وقد أثبت من سائر ملحه .

جملة من شعره في أوصاف شتى

قال ينغزل^١ :

بدا على خدّه عذارٌ في مثله يُعذّرُ الكئيبُ
وليس ذاك العذارُ شعراً لكنما سرُّه غريب
لما أراق الدماءَ ظلماً بدتْ على خدّه الذنوبُ

وهذا كقول عبد الجليل المرسى من شعر تقدم إنشاده :

فطوّقهُ الزمانُ بما جناهُ وعلّق من عذاريه الذنوبا

وقال^٢ :

يا شادناً حلّ بالسواد من لحظ عيني ومن فؤادي
وكعبةً للجمال طافت من حولها أنفُسُ العباد
ما زدّني في الوصال حظاً إلاّ غدا الشوقُ في ازدياد
أعشى سنا ناظرٍ بك طرفي فليس يلتدُّ بالرقاد

وقال^٣ :

بدا على خدّه خالٌ يزيّنه فزادني شغفاً فيه إلى شغفٍ
كأن حبة قلبي حين رؤيته طارت فقال لها في الخدّ منه قفي

١ وردت الأبيات في المغرب والمسالك .

٢ انظر المغرب ٢ : ٤٠٩ - ٤١٠ .

٣ ورد البيتان في المغرب والمعجب .

وقال ^١ :

يروقك في أهل الجمال ابنُ سيّد كترجمة راقٍ وليس لها معنى
حكى شجر الدّلاءِ حسناً ومنظراً فما أحسنَ المجلى وما أقبح المجنى

وقال ^٢ من قصيدة في المتوكل عند قدومه من بلادِ الجوّفِ ، وقد
أوقع بقومٍ بها من الجنّة ، أولها ^٣ :

مضيتَ حساماً لا يُفلُّ له غَرْبُ وأُبتَ غماماً لا يُحدُّ له سَكْبُ
وأصبحتَ من حالِكِ تقسم في الورى هباتٍ وهباتٍ هي الأمن والرعب [١٨٣]
وقد كان جوفُ القُطر كالجوفِ يشتكي سقاماً فلما زرتَهُ زارهُ الطبُّ
رغا فوقهم ° سقبُ العقابِ فأصبحوا نشاوى من البلوى كأنهم شَرَبُ
ويا لَجِيادٍ تحتهم ° مستقرةٍ من الدُّهمِ لا جردٌ حكَّتْها ولا قُبُ
إذا أمسكوا منها الأعنةَ خلَّتْهم يُكَبِّونَ خوفاً أنها بهم تُكَبُّ
وصيابةٍ لما عَصوكَ بينهم دماؤهم حِلٌّ وأموالهم نهبُ
ملأتَ جذوعَ النخلِ منهم فأصبحتُ بهم كرحالٍ شُدَّ من فوقها قتبُ
فلا مقلّةٌ إلّا° وأنتَ لها سنا ولا كبدٌ إلّا° وأنتَ لها خِلبُ
ولله يومُ الأوبِ منك كأنه وحيدٌ من الأيام ليس له صحبُ
ولما زأوكَ استقبلوكَ بأوجهٍ عليها سِماتٌ من ودادك لا تحبو

١ انظر المغرب .

٢ ط د س : وله .

٣ من هذه القصيدة ستة أبيات في المغرب وبيتان في النفع ٤ : ١٥٦ .

٤ ب م : جذب .

٥ ط د س : فيهم .

٦ ط د س : أنهم بهم ركب .

ومالوا^١ إلى التسليم فوقَ جيادهم
فقضَّوكَ ما قضَّوا وهم للعلا ردا
كتائبُ نصرٍ لو رميتَ ببعضها
وما هي إلاَّ دولةٌ مسلميَّة^٢
كزمتَ ولا بحرٌ حكاك ولا حيا
وأوليتني منك الحميلَ فواله
وله من أخرى فيه يعاتبه :

نبا بيدي حسامٌ من رضاكا
فيا صرَّفَ الزمانَ ويا دُجَاه
يقينُ رضاكَ لم ألبسُهُ حتى
وكيف يقيمُ عندك مَنْ رَمَتَهُ
فلا ناديكَ يحضرُهُ لأُنسٍ
وما قلقتُ ركابي عنك إلاَّ
وما ذنبُ الفراقِ على محبٍّ
تجاوزَ فيك ودِّي كلَّ حدٍّ
ولو جازيتني قدَّرَ اعتقادي
ولو يؤتني مناه نورُ طرقي
فوافيتني النوائبُ عند ذاك^٤
وقد صرِفْتُ جفوني عن سناكا
أفضتَ عليَّ من شكٍّ شكاكا
خطوبُ الدهرِ في أعلى ذراكا
ولا في وقتِ تأميلٍ يراكا
وقد حلَّأت رائدها حِمَاكا^٥
حويتَ وداده وطوى^٦ فلاكا [١٨٣ب]
ولكنَّ التجاوزَ مسَا طبَّكا
لنلتُ بكَ المجرَّةَ والسماكا
لما أوَّما إلى أحدٍ سواكا

١ ط د س : فمالوا .

٢ مسلمية : نسبة إلى جد بني الأفلح عبد الله بن مسلمة .

٣ ط د س : وفئت .

٤ بعد هذا البيت في ط د س : يقول فيها ، مع حذف البيت الثاني .

٥ ط د س : حباكا .

٦ ط د س : وحوى .

ثناك عن القبول عليّ واشٍ
وأعجبُ كيفَ حالتُ منك حالي
فكيف أثمتَ في تعذيب قلبي
أطعتَ عليّ من لا ميتٌ حتى
محا حسناتِ قصدي وانقطاعي
فجنّبَ ماءً^١ بشرك عن جنابي
ووفّرَ راتبي قبلَ ارتحالي
ولكنْ عن هباتِكَ ما ثناكا
ولم تدرِ السّامةَ من حلاكا
وما عُقِدَتْ على حُوبٍ حُبّاكا
أرى مثواه مَثْوَى من عصاكا
ببيّنة أقامَ لها دراكا
ونفّرَ طيرَ حظّي من رباكا
كأنَّ به استدلَّ على غناكا

عرّضَ في هذه القصيدة بأبي الحسن بن الأستاذ ، وكان ولاء عمر بن محمد ببطلينوس^٢ خطّة الاشراف ، فقطعَ جرایةَ جملة من الأضياف ، وكان يلقّب بالمتنبّي ، ويغضبُ إذا سمعَ هذا اللقب ، فقال فيه أبو بكر الداني :

معشرَ الأضياف ضجّوا قد أتى الدهرُ بآيه
قد أتاكم بنبيٌّ شرَّعهُ قَطْعُ الجرايه
فطار هذان البيتان فيه ، وكانا السبب في أن نكب .

وقال فيه أبو محمد بن عبدون :

يا أيها المتنبّي من أرضِ وادي الحجارة
وعِرْضُهُ من زجاجٍ ووَجْهُهُ مِن حجاره
وفيه يقول أيضاً من أبيات :

أيا نبيَّ الكفرِ خفْ سطوةً تأتيكَ من فِرْعَوْنِكَ المُسلمِ

١ ب م : من .

٢ ط د س : ولاء المتوكل ببطلينوس .

ومن قصيدة أبي بكر المتقدمة الذكر :

وَهَبَهُ أَطَاقَ عَنْ مِثْوَاكَ صَرَفِي أَيْقَدِرُ صَرَفَ قَلْبِي عَنْ هَوَاكَ
وَأَنْ تَكُ مَرَّةً عَثَرْتُ جِيَادِي فَمَا قَدِمْتُ مِنْ سَبَقِي كَفَسَاكَ
وَلَوْ كُلَّ السَّهَامِ أَصَابَ قَصْدِي لَمَا كَلْنَا إِلَى الْأَقْدَارِ ذَاكَ
وَقَالُوا لَيْسَ لِي أَدَبٌ سَنِيٌّ لَقَدْ زَعَمُوا مَعَ الْغَيْبِ اشْرَاكَ
وَهَلْ قَذَفَ الْجَوَاهِرَ غَيْرُ بَحْرِي فَحَتَّى كَمْ يُطَبِّقُونَ ابْنِشَاكَ [١٨٤أ]
سَتَعْلَمُ بَعْدَ سِيرِي أَيْ عِلْقِي لِأَجْيَادِ الْعَلَا نَبَذَتْ يَدَاكَ
وَأَيُّ شَذَا أَبَيْتَ لَهُ انْتِشَاقًا وَكَانَ نَسِيمُهُ بِالْحَمْدِ صَاكَ

وكان أبو بكر هذا قد رَحِبَ ببطيوس مثواه ، وأجزل صاحبها قراه ،
إلى أن ملَّ وارتحل ؛ واجتمعتُ به بعدُ بقرطبة ، فأُنشدني لنفسه وقد ندم
على فراق بطليوس^١ :

رَضِيَ الْمُتَوَكِّلُ فَارَقْتُهُ فَلَمْ يُرْضِنِي بَعْدَهُ الْعَالَمُ
وَكَانَتْ بَطْلَيْوُسُ لِي جَنَّةً فَجِئْتُ بِمَا جَاءَهُ آدَمُ
ثُمَّ وَجَدْتُ أَبَا عَامِرَ بْنِ الْأَصِيلِي قَدْ أَثْبَتَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي شَعْرِهِ بِخَطِّهِ ،
وَقَدْ بَدَّلَ بَعْضَ اللَّفْظِ فَقَالَ فِي صَاحِبِ الْمَرِيَّةِ^٢ :

جَنَابُ ابْنِ مَعْنٍ تَجَنَّبَتْهُ فَلَمْ يُرْضِنِي بَعْدَهُ الْعَالَمُ
وَكَانَتْ مَرِيَّةً^٣ جَنَّتِي فَجِئْتُ بِمَا جَاءَهُ آدَمُ

وهذا المعنى قد تقدم للقائل قبلهما من شعراء الدولة العامرية :

١ البيتان في الخريدة والبغية .

٢ انظر نفح الطيب ٤ : ٩ حيث ورد البيتان منسوبين للنحلي البطليوسي .

٣ ب م : بمريسة .

عَوَّضْتُ مِنْ قَرُوبَةٍ يَابُرُهُ تِلْكَ لِعَمْرِي كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ
كَأَدَمٍ حِينَ عَصَى رَبَّهُ عَوَّضَ بِالْدُنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ
وَقَالَ الْفُكَيْكِيُّ فِي مِثْلِهِ :

لَهْفِي عَلَى بَغْدَادَ مِنْ بَلَدَةٍ كَانَتْ مِنَ الْإِسْقَامِ لِي جُنَّةٌ
كَأَنِّي عِنْدَ فِرَاقِي لَهْأًا لَمَّا فَارَقَ الْجَنَّةَ

[رَجَع]

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي آلِ عِبَادٍ :

وَقَفَ الْفِرَاقُ أَمَامَ عَيْنِي غَيْهَبًا فَقَعَدْتُ لَا أُدْرِي لِنَفْسِي مَذْهَبًا
يَا مُوقِدًا بِجَوَانِحِي نَارَ الْأَسَى رِفْقًا فَمَاءُ الدَّمْعِ قَدْ بَلَغَ الزُّبَى
نَبَتَ الصَّبَا فِي صَحْنٍ خَدَّكَ رَوْضَةٌ لَوْ لَمْ يَدْبُ الصَّدْعُ فِيهَا عَقْرَبَا
وَكِفَاكَ حَبْسُ الْحَسَنِ نَوْعِيهِ فَمَنْ بَرَدٍ أَذِيبَ وَمَنْ عَقِيقٍ أَهْبَا

[وَمِنْهَا] :

أَعْدَدْتُ مِنْ جُنُحِ الدَّجَنَةِ جُنَّةً وَتَخَذْتُ مِنْ خَطْفِ الْبَوَارِقِ مَرْكَبَا
وَذَهَبْتُ أَطْلُبُ حَيْثُ يَنْبَعُ النَّدَى فَوَجَدْتُ فِي كَفِّ الرَّشِيدِ الْمَطْلَبَا [١٨٤ ب]
مَلِكٌ غَدَا مَعْنَى غَرِيبًا فِي الْعِلَا وَغَدْتُ بِهِ الْأَيَّامَ لَفْظًا مُعْرَبَا
أَجْلَى مِنَ السَّيْفِ الصَّقِيلِ الْمُنْتَضَى صَفْحًا ، وَأَمْضَى مِنْ ظُبَاهُ مَضْرَبَا
حَاوَرْتُهُ فَلَقَطْتُ مِنْهُ جَوْهَرًا وَنَظَرْتُهُ فَرَأَيْتُ مِنْهُ كَوْكَبَا
رَطْبُ اللِّسَانِ كَأَنَّ فِي الْفَاطِهَةِ رَاحًا مَعْتَقَةً وَشِدْوًا مَطْرَبَا

١ ط د س : مِنْ قَصِيدَةِ أُولَاهَا .

يَلْقَى الكِـمَاءَ فَتَنِّتِي مَدْعُورَةً فَكَأَنَّهُ أُسْدٌ يَمُرُّ عَلَى هَبَا
 رَاقَتْ عَلَى عَلَيَّائِهِ آدَابُهُ فَكَأَنَهَا زَهْرٌ تَفْتَحُ فِي رَبِي
 تَلْقَى بِكُلِّ مَكَانَةٍ يَسْعَى بِهَا عَيْنًا مَفْجَرَةً وَمَرَعَى مُخْصَبَا
 يَهْبُ الدِيَارَ الْمُسْتَقَرَّةَ ، وَالْهَضَا بَ الْمُسْتَقَلَّةَ ، وَالْبَسِيطَ الْمَعْشَا
 وَالسَّابِرِيَّ مَضَاعِفًا ، وَالسَّمْهَرِيَّ مَثْقَفًا ، وَالْمَشْرِفِيَّ مَشْطَبَا
 وَالْجَيْشَ فِي ظِلِّ اللِّوَاءِ مَوْيَسِدًا وَالْخَيْلَ فِي وَهَجِ الْكَرِيمَةِ شَرْبَا

وهذا كقول أبي بكر بن عمار من شعر تقدم لإنشاده :

يَخْتَارُ إِذْ يَهْبُ الْخَرِيدَةَ كَاعِبًا وَالطَّرْفَ أَجْرَدَ وَالْحَسَامَ مُجَوِّهَرَا
 [وله من أخرى في المعتمد^١ :

يَا رَبَّ رَبَّةٍ خِدِرٍ زَرْتُ مُضْجِعَهَا مِنْ مَكْنِيٍّ وَالدَّجَى الْغَرِيبُ مُعْتَكِرُ
 ضَمَمْتُهَا ضَمَّ مُشْتَاقٍ إِلَى كَبْدِي حَتَّى تَوَهَّمْتُ أَنَّ الْحَيَّ مِنْكَسِرُ
 تَعَجَّبْتُ مِنْ ضَنَى جَسْمِي فَقُلْتُ لَهَا : عَلَى هَوَاكِ ، فَقَالَتْ : عِنْدِي الْخَبِيرُ
 ومنها :

لَا غُرُو أَنْ يَتَسَمَّى غَيْرُهُ بِعُلَاٍّ وَمَا لَهُ فِي الْعَلَا رَأْيٌ وَلَا نَظَرُ
 وَقَدْ يُسَمَّى سَمَاءً كُلُّ مُرْتَفِعٍ وَإِنَّمَا الْفَضْلُ حَيْثُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 ومنها :

كَمْ جَاعِلٍ قَصْرِي عَيْبًا أَعَابُ بِهِ وَهَلْ يَضِيرُ طَوِيلَ السَّاعِدِ الْقَصْرُ
 لَمَّا تَنَاهَيْتُ عِلْمًا ظِلًّا يَنْقُصُنِي عِنْدَ الْكَمَالِ يَصِيبُ النِّيْزَ السَّرْرُ

١ . ورد بعض أبياتها في المغرب والمسالك والخريدة .

وفي الغراب إذا فكرت مُغْرِبَةً
ان ضَعْتُ والشعر مما قد علمت به
فالجودُ كالمزنِ قد يسقى بصيِّبه
أبثك البثَّ عن قلبٍ به حُرِّقُ
ان لم اكنَ أهلَ نَعْمى أرتجيك لها
كلني إلى أحدِ الابناءِ يُنْعِشْنِي
قد طال بي أقطعُ البِداءِ متصلاً
كأنما الأرضُ مني غيرُ راضية
إن الهمومَ مع الأعمارِ ماشية
جُدُّ بالقليلِ وما نزرُ تجودُ به

من فرطِ إِبصاره يُعْزَى له العور
ونال جودَكَ أقوام وما شعروا
شوكُ القتادِ ولا يُسْقَى به الزهر
وليس عن غيرِ نارٍ يرتمي الشرر
فالسلكُ خيطٌ وفيه تنظم الدرر
ما لم يكنْ لي بحرٌ فليكنْ نهر
وليس يُسْفِرُ عن وَجْهِ المني سَفَر
فليس لي وطنٌ فيها ولا وطر
لا ينقضي الهمُّ حتى ينقضي العمر
يا ماجداً يهبُ الدنيسا ويعتذر

قوله : « وفي الغراب إذا فكرت مغربة » - أذكرك به بيتين لبشار أدق
معناهما ، وألغز سيماهما ٢ ، وهما :

تُخَبِّرُنِي طَيْرُ الْفِرَاقِ بِسِيرَةٍ أُبَارِكُ يَا طَيْرَ الْفِرَاقِ مَبِيرُ
تَسْمِيَتِ عَوْرَاءٍ وَأَنْتِ بَصِيرَةٌ أَلَا لَيْتَنِي أَعْمَى وَأَنْتِ بَصِيرُ

قوله : « ولا يُسْقَى به الزهر » . . . البيت ، كقول الخليل بن أحمد ٣ :

١ المغرب : إن لم يكن منك بحر .

٢ ط : مسماها .

٣ ظنه من أبيات للخليل كتبها إلى سلمان بن علي (أو سليمان بن حبيب) حين أرسل إليه يستدعيه لتأديب أولاده ، وهي تتردد في مصادر كثيرة ، انظر مثلاً أخبار النحويين البصريين : ٣١ وابن خلكان ٢ : ٢٤٦ وانباه الرواة ١ : ٣٤٤ ؛ وفي اللسان (طبخ ، دندن) أن البيت لحسان بن ثابت ، وهو من قصيدة في ديوانه ١ : ٣١٤ وروايته « لا طبخ لهم » .

والمال يَغْشَى أناساً لا خلاقَ لهم كالسيلِ يَغْشَى أصولَ الدندنِ الباني^١
وأخذه أبو تمام فقال^٢ :

لا تنكري عطلَ الكريمِ من الغنى فالسَّيْلُ حَرْبٌ للمكانِ العاليِ
وكرَّره في موضع آخر فقال^٣ :

نزلوا منزلَ^٤ الندى وذراه وعَدَّتْنا عن مثلِ ذاكِ العوادي
غيرَ أنَّ الرُّبى إلى سَبَلِ الأذى واءِ أدنى والحظُّ حظُّ الوهاد
وقلب بعض أهل عصرنا هذا المعنى فقال :

حسبي من المالِ أغراهم وغيرهم علمٌ تتيهُ به الأقلامُ والصحفُ
والحزنُ إلاَّ يكنُ والأمرُ مشتبهُ فيه الغديرُ فمَّ الروضةُ الأنفُ
وقوله : « فالسلك خيط وفيه تنظم الدرر » يشبه قول بعضهم :

وإن لم أكن أهلاً لما قد سألته فقد عطَّلوا اليمنى وقد حلَّوا اليسرى
ويتعلق بذيل هذا المعنى قول الجزيري^٥ :

ان البنانَ الخمسَ أكفاءٌ معاً والحليُّ دونَ جميعها للخنصرِ

١ الدندن : ما يلي واسود من الثبات والشجر .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٧٧ .

٣ ديوان أبي تمام ١ : ٣٦٤ .

٤ الديوان : مركز .

٥ يعني عبد الملك بن ادريس الجزيري ، وبيته هذا من قصيدة له في الآداب والسنة كتب بها إلى
بنيه وهو مسجون (انظر الجذوة : ٢٦٢) .

وقال أبو العلاء^١ :

ومن فضلِ ذي كُسيِّتٍ خاتماً يروقُ^٢ وعُرِّيَّتِ البينصرُ

وقوله « كم جاعل قصري » . . . البيت ، كقول الآخر :

لا يقتضي بي صغاراً عندكم صِغري فإلسهمُ يصنعُ ما لا تصنعُ الخدُمُ

وقال الداني من أخرى^٣ :

ألقاهمُ والظبا ما دونهمُ فأرى
جاروا على الريح فاستعلتُ رماحهمُ
وضاعفوا حلق الماذي فوقهمُ
بدائعُ الحسنِ لم تُؤتَي حقيقتُها
ويحَ المحبين مما بالهوى فتَنوا
لا تؤت نصحك مفتوناً بمذهبه
لم آت من جهة النعمى إلى أحدٍ
ولا لمحتُ ابنَ عبادٍ بناحية
ملكٍ يُضيءُ ويبيدي منظرأً وندى
عذبُ المناجاة ما في نطقه خطَلُ
يُعِدُّ للأمر قبل الأمر واجبه

أني على صُورٍ في الماء أطلعُ
دونَ المهبِّ فما للريح متسع
ألا ترى من سناهم بيننا لمع
لغيرهم فلذا أفعالهم بدع
ظنوا النصائح فيها أنها خدع
فما لأعمى بضوءِ الصبح منتفع
إلاّ تمكّن لي في قلبه ولع
إلاّ حسبتُ عمودَ الصبح ينصدعُ
والجوُّ محلوليكُ والغيثُ منقشع
وطاهرُ الذاتِ ما في طبعه طبَّع
كأنه كاهنٌ فيه لما يقع

١ شروح السقط : ١٠٩٢ .

٢ السقط : يزين .

٣ وردت منها أبيات ستة في المسالك .

٤ ب م : أوت .

٥ قبل هذا البيت في د ط : ومنها .

ولن^١ يضيقَ له ذَرَعٌ بِمُعْضِلَةٍ . فالبرّ والبحرَ في حوْبائه يسع
من سرّ لحمٍ ولحمٍ حيث ما شهدت . تقدّمت وبنو العليا لها تبع
قومٌ يوالفُ سيماهم^٢ طهارتهم . كأنهم بطباع المزن قد طبعوا
يا وارثَ المجد عن شمّ غطارفةٍ . بهم أنوفُ الخطوب الشمّ تجتدع
ان كان مجدك شعراً في نفاسته . فإنما أنت بيتٌ فيه مخترع
وهذا كقول أبي الطيب^٣ :

ذُكِرَ الأَنَامُ لنا فكانَ قصيدةٌ . كنتَ البديعَ الفردَ من أبياتها
وكذلك بيته المتقدم حيث قال « فما لأعمى بضوء الصبح^٤ مستفَع » ،
من قوله^٥ :

وما انتفاعُ أخي الدنيا بناظره . إذا استوتَ عنده الأنوارُ والظلمُ
وكرر أبو بكر هذا المعنى وتصرّف فيه ، وكثيراً ما يولع بترديد ألفاظه
ومعانيه ، كقوله :

ومن يسدّ عليه الضوءَ باصره^٦ . فليس ينفعه أن الضحى بادِ
وكان أبو بكر قد حضر في غزاة يوم الجمعة^٧ المتقدمة^٨ الذكر^٩ فلما

١ ب م : ولم . ٢ ط د س : نعماهم .

٣ ديوان المتنبي : ١٧٤ من قصيدته في مدح أبي أيوب أحمد بن صمران .

٤ ب م : الشمس . ٥ ديوان المتنبي : ٣٢٣ .

٦ ط د س : ناظره . ٧ يعني غزوة الزلاّقة .

٨ ط د : المتقدم .

٩ ط : المذكور .

ورد حضرة اشبيلية وتعذر عليه رؤية^١ المعتمد كتب إليه شعراً قال فيه :

يا مَنْ عليه من المكارم والعلا بُرْدٌ بتطريزِ المحامدِ مُعَلَّمٌ^١
هل نظرةٌ تُوحِي إليَّ ، وعطفةٌ تَنْدِي عليَّ ، ورأفةٌ ترحم
وعسى أراكَ بِحَيْثُ يَنْبَعُ^٢ الندى ولقد رأيتك حيثُ يَنْبَعُ^٣ الدم
قد كنتُ في أرضِ الوغى أجني الردى وأنا بروضِ^٣ الجودِ لا أَتَسَمُّ^٤
ما كان بينَ يديكَ غيري والظبا متلفعاتٌ والقنا متحطَّمٌ
قد رِشْتَنِي سَهْماً فَرِشْنِي طائراً وكما نفذتُ فإني أترنم

وكتب أيضاً إليه [في ذلك] بشعر قال فيه^٥ :

أُحَدِّثُ عن يومِ الوغى ملءَ منطقي وأسأل عن يومِ النّوالِ فأُسْكُتُ^٥
وأراه أَلَمٌ في هذا المعنى ، وإن لم يكن به ، بقول أبي العتاهية في عمر بن
العلاء^٥ :

يا ابنَ العلاءِ ويا ابنَ القرمِ مرداسِ إني امتدحتك في صحيبي وجلاسي
أُفْنِي عليك ولي حالٌ تَكْذِبُنِي في ما أقولُ فأستحيي من الناس
حتى إذا قيلَ ما أعطاك من صَفَدٍ طأطأتُ من سوءِ حالٍ^٦ عندها راسي

وقال الآخر :

١ ورد هذا البيت في المغرب .

٢ د : يبعث .

٣ ط : بأرض .

٤ انظر البيت في المغرب ٢ : ٤١١ .

٥ ديوان أبي العتاهية : ٥٦٨ .

٦ د : حالي .

فاختر لنفسك ما أقولُ فإنني لا بدّ أن أخبرهم وإن لم أسألِ

وقال ابن زيدون من شعر قد تقدم إنشاده^١ :

وأيّ جوابٍ منك ترضى به العلا إذا سألتني عنك السنةُ الحفل [١٨٥ ب]

وقوله : « قد رشتني سهماً . . . » البيت ، معنى مشهورٌ موضعه ،
باهرٌ مطلعُه ، فأخذه أبو بكر فنقله نقلاً مليحاً ، وزاد فيه إحساناً صريحاً ،
والذي نبهه عليه قول المعري^٢ :

وحالاً كريش النسر بينا رأيته جناحاً لشهمٍ آضٍ ريشاً على سَهْمٍ^٣

ومن شعر أبي بكر في صاحب ميورقة قصيدة أولها :

خلعتُ عذارِي في عذارٍ على خدٍّ حكى خُضْرَةَ الرِيحانِ في حمرةِ الوردِ
صقيلٌ كمثلِ السيفِ أخضرٌ مثله يبيتُ ولكن من فؤادي في غمدِ
ومما شجاني شكلُ شاربِهِ الذي تمثّلَ قوساً مثل مَبْسِمِهِ البردِ
كفاني أنّي بالزبرجدِ أَشْكِي فقد صار لي قُفْلاً على الدُرِّ والشهدِ
يقرّ بعيني أن أزورَ كناسه^٤ ولو كان مخفوفاً بضارية الأسدِ
ويُقنّعي سعدي^٥ لدى ناظرِ العلا وإن كان لي في كل وادٍ بنو سعدِ

ومنها في المدح :

١ ديوان ابن زيدون : ٢٧٣ وفيه « وأين جواب » .

٢ شروح السقط : ٩٤٩ .

٣ حالا : منصوبة بفعل « شكوت » في بيت سابق ؛ والشهم : الطائر للشهم الفؤاد .

٤ ط د : من

٥ ب : شعدي ؛ م : شعري .

هو الدهرُ في تصرّيفه لصروفه
 خصيب نواحي^١ الفضل يضحك كله
 فقل في أيّاديه رياضية^٢ الذرى^٣
 إليه ، وإلاّ قيّدوا قدم السرى
 يطالعُ عن صبح ، وينهلُ عن حياً
 وعنه أفيضوا إنه مشعرُ العلا
 وألغوا حديثَ البحر عند حديثه
 يؤثر في الأفلاك من بُعد غوره
 تخصصت أحياناً بلخم ويعرب
 ولما حلت الناصرية أقبلت
 وثقت^٤ به ضيفاً على رغم حاسدي
 سكنت له حتى أرقّت^٥ وإنما
 تقيّسني الأعداء في مهجاتها
 وتحسب في عودي لياناً وإنسه
 عهدت مع الفتخ الكواسر طائراً
 ويا عجباً من جهل كلّ فراشة
 وأيقظ من صلّ خلقتُ وها أنا
 فمن جهة يحبي ومن جهة يبردي
 عن المكرمات السُّبُط والحسب الجعد
 وقل في معاليه هضابية المجد
 وفيه ، وإلاّ أخرسوا منطق الحمد
 ويخطف عن برق ، ويقصف عن رعد
 وحوليه طوفوا إنه كعبة القصد
 فكم بين ذي جزر وكم بين ذي مدّ
 كتأثير نور الشمس في الأعين الرمد
 وظهرت أحياناً بغسان والأزد^٦
 إليك وفود الشعر وفداً على وفد
 كأني وقف ضاق منه على زند [١٨٦أ]
 كنتُ كمون النار في حاجر الزند
 كمن قاس في أوداجه ظُبة الهند
 لفي السرّ من نبع وفي الجهر من رند
 وها أنا مشاء مع النعم الرُبد
 تُعارض مصباحي لبحرقها وقدي
 يسامرنى^٦ من ظلّ أنوم من فهد

١ ط د س : نوال .

٢ د ط س : الندى .

٣ سقط هذا البيت في د ط س وجاء في موضعه : ومنها .

٤ ط د : ربت .

٥ ط د س : أريت .

٦ ط س : يسامرنى .

شكرتك عن ودّ وليس مركباً من الشكر إلاّ من بسسيطٍ من الحمد
وفيك جرعتُ الذلّ ، والعزّ عاذني فلي شيمَةُ المولى ولي شيمَةُ العبد

وله فيه وقد طاف به ألم :

شكا لشكواكَ حتّى الشمسُ والقمرُ وبات دُرُّ الدراري الزُّهرِ ينتثرُ
وراحتِ الرّيحُ لا يذكوا لها عبقُّ وأصبحَ الروضُ لا يندى له زهر
وقلّصَ الظلُّ في فصلِ الرّبيعِ لنا فكادتِ الأرضُ بالرمضاء تستعر
والماءُ غاصَ لنا غيضاً فما نبعتُ عينٌ ولا سال في بطحائها نهر
والسحبُ صاحبَها دُعرٌ فما نشأتُ ولا استهلّ لها فوق الرُّبى مطر
ومعدنُ الدرِّ والياقوتِ غيضُ به فلم يُصَبِّ فيه من أحجاره حجر
وحلّ بالطيبِ في دارين دائرةً فظلّ يُمسكُ عنها مِسْكُها الذّفر
يومان غبتَ فغاب الأُنسُ أجمعهُ وأيّ أنسٍ إذا ما غبتَ يُنتظر
يا ناصرَ الملكِ إن الملكَ وجّههُ علا وليس غيرك فيه السمعُ والبصر
إبلالُ جسمِكَ أهدانا بَلِيلَ صبا فعاد عهدُ الصّبا واستبشرَ البشر

وسُعي^٢ به إلى ناصر الدولة وبُغي ، وتُبَيّدَ حقُّ نباهته وألغي ، فلم يَرَعْ انقطاعه ،
ولا جازى إحسانه وإبداعه ، وكانت عادته في غير ما طارء ولا ضيف ، النفى أو
السيف ، فلم يُفْتَحْ مع أبي بكر في إحداهما باب ، ولا أغبّه جزع وارتياب ، فكتب
إليه يستصرّحه^٣ ، فقال^٤ :

عسى رافقه في سراح كريمٍ أبُلُّ ببرد نداءه الغليلا [١٨٦ ب]

١ ط د : يدري .

٢ من هنا يتفق النص مع القلائد : ٢٤٩ ، ولم يرد في د ط س .

٣ القلائد : يستصرّحه .

٤ انظر القلائد والمغرب ٢ : ٤١٣ .

وعليّ أراحُ من الطالبين فأسكنَ للأمنِ ظلاً ظليلاً
ومن بله الغيثُ في بطنِ وادٍ وبات فلا يأمنُ السيولا
أفرُ بنفسِي وإن أصبحتُ ميورقةُ مصرأُ وجدواك نيلاً
وله بمدحه^١ :

عرجٌ بمنعرجاتِ واديهِم عسى تلقاهمُ نزلوا الكئيبَ الأوعسا
اطلبهمُ حيثُ الرياضُ تفتحتُ والريحُ فاحتُ والصبحُ تنفسا
مثلُ وجوههمُ نجوماً^٢ طلعا وإذا أردتَ تنعماً بقدودهم
بأبي غزالٍ منهمُ لم يتخذُ إلاّ القنا من بعد قلبي مكنا
لبس الحديدَ على لجين^٣ أديمه فعجبتُ من صبحٍ توشحَ حندسا
وأنى يجرُ ذوائباً وذوابلاً فرأيتُ روضاً بالصلالِ تحرسا
لا ترهبُ السيفَ الصقيلَ بكفه وارهبُ لعاذله العذارَ الأملسا
رام العدا عدلي عليه ففتهم والنجمُ ليس بممكن أن يُلمسا
وفككتُ بغيهمُ ففزتُ وهكذا فكُ الصحيفةِ خلص المتلمسا
وإذا وصلتَ إلى الأميرِ مبشراً فاجعلُ بساطك في ثراه السندسا

وكان^٤ بينه وبين الوزير أبي القاسم زمام ائتلاف ، ومعاطاة سلاف ، فلما دخل ميورقة تجدد دارسه ، وعادت آجاماً مكانسه ، وكان أبو بكر يظن أن هذه الموات تنفقه وإن كسد ، وتخلصه ولو حصل في لهوات الأسد ، ولم يعلم أن لا جديد لمن لم تخلقه الأيام ولم تبله ، ولم يسمع : « وجدت الناس أخبر تَقْلُهُ » ؛ فلما تغير له ناصر الدولة وتنكر ، ورأى من قعود أبي القاسم عنه ما أنكر ، هب من غفلته ، واحتال في تفلته ، فلاذ بالفرار ،

١ القلائد والمغرب والحريفة : ١٣٤ .

٢ المغرب : بدوراً .

٣ ب م : الحديد ، والتصويب عن القلائد والمغرب .

٤ القلائد : ٢٤٩ - ٢٥٠ .

وعاذبني حماد بحكم الاضطرار ، وجعل يستتر له من هناك ويستعطفه ، ويداريه ويستلطفه ،
ليمنّ باعادته ، وصرفه إلى عادته.. ، فمن ذلك :

نسيمك حتام لا ينبري وطيفك حتام لا يعترني [١٨٧أ]
أعيذك من عرض أن تكون وأنت الذي كنت من جوهر
أتذكر أيامنا بالحمى وأيامنا بذوي^١ الأعصر
ألا رافة من وفيّ كريم ألا عطفة من سنيّ^٢ سري
رمى زحل فيّ أظفاره وحل فداعيني^٣ المشتري
عطارد هل لك من عودة فأرجع منك إلى عنصر
سيشتاقني الملك مهما أراد لباس نسيج من المفخر
ولو أن كلّ حصاة تزين ما جعل الفضل للجوهر

ولمّا نوى الانفصال ، خاف الانتهاب والاستئصال ، فأراد أن يكتم ذلك الفرار ،
ويطوي إعلانه في الاسرار ، وخشي أن يفطن لخروجه^٤ ، ويطلع عليه من خلال فروجه،
فغزّم على موادة بعض الإخوان ، ومطالعة < ما > في ذلك الإخوان ، فكتب إليهم :

أقول تحية وهي الوداع خداعاً لي وما يغني الخداعُ
أعلل بلمني قلباً شعاعاً وهل يتعلل القلب الشعاع
وأترك جيرة جاروا وأشدو « أضاعوني وأي فتى أضاعوا »^٦
إذا لم يرع لي أدب وبأس فلا طال الحسام ولا اليراع
لقد باعنيّ الأيام^٧ بخساً وعهدي بالذخائر لا تباع

١ كذا هي أيضاً في القلائد ولعل الصواب : بلوى .

٢ ب م : سري .

٣ ب : يداعيني .

٤ القلائد : ٢٥١ .

٥ ب : بخروجه .

٦ صدر بيت للعرجي ، وعجزه « ليوم كريمة وسداد ثغر » .

٧ ب م : العلماء .

أجفتني^١ فلم ينبت ربيعٌ وحطتني فلم يثبت يفاع
ومكّنت العدا مني فعائت . بلحمي ضعف ماعاث السباع

وقال يخاطب ناصر الدولة مودعاً وعاتباً :

سلام على المجد يندى بليلا كنشر الربى بكرة وأصيلا
سلام وكنت أقول الوداع ولكن أدرج قلبي قليلا

وله عند خلع المعتمد^٢ :

أستودع الله أرضاً عنلما وضحت بشائر الصبح فيها بدلت حلكا
كان المؤيد بستاناً بساحتها يُعجني النعيم وفي حافاتهما فلكا [١٨٧ب]
في أمره للموك الأرض^٣ معتبر فليس يغتر ذو ملك بما ملكا
نبكيه من جبل خرّت قواعده فكلّ من كان في بطحائه هلكا
ما سدّ موضعه^٤ ، ألرزق^٥ سدّ به طوبى لمن كان يدري أية سلكا

وله فيه من أخرى :

أخذت عليك مسالك السلوانِ حدّقُ المها وسوالفُ الغزلانِ

يقول فيها :

زمنُ المشيبِ زمانة^٥ ولربّما زادتك فيه خيانةُ الإخوانِ

١ ب م : أخافتني .

٢ انظر القلائد : ٢٤ والنفح : ٤ : ٢٧٤ .

٣ القلائد والنفح : الدهر .

٤ هذه القصيدة في مدح مبشر صاحب ميورقة ، وهذا يدل على أن الاقتباس من القلائد قد فصل بين نصين متصلين في الذخيرة ، راجع قصيدته السابقة « خلعت عذارى في عذار على خد » أما هذه القصيدة النونية فقد وردت منها أبيات في المغرب والمسالك .

٥ ط : زيادة .

زادوا جفاءً فانتقصت مودةً ومن الزيادة موجبُ النقصان
أنا مثلُ مرآةٍ صقيلٍ صفحُها ألقى الوجوهَ بمثلٍ ما تلقاني
كلما ليس يُربك من لونٍ سوى ما تحته من صبغةِ الألوان
وهذا مثل قول الآخر^١ :

أنا كالمرآةِ ألقى كلَّ وجهٍ بمثاليه

ومن المدح :

ملك إذا عقد الغفائر^٢ للوغي حلَّ الملوكُ معاهدَ التيجان
وإذا غدت رايته منشورةً فالخافقان لهنَّ في خفقان
ضبطَ الأمورَ ثقافةً فأعادها في شدَّ أسنانٍ على أسنان
عضتْ على الأملاك دولته به عضَّ الثقاف على قنا المران
ولقلما يقرى الحسامُ ضريبةً إلّا وحامله حسامٌ ثان
والدرعُ ليست جنةً ما لم يكن طيَّ الحديد [به] حديدُ جنان
عن ناصر الأملاك حدثٌ واطرحُ ما قيل عن كسرى وعن ساسان
من قومهِ العربُ الأولى خيماتهمُ لم تُبقِ^٣ آونةً على الإيوان
حدّتْ إلى أرماحهم مُهَجُ العدا وكذا الطيورُ تحنُّ للأوكان
يمنيّةً حُجزاتهمُ فلذلكم لم تخلُ من ماضي الغرارِ يمانٍ
يخفي المكارمَ وهو يوقدُ نارها فكأنها نارٌ بغيرِ دخان
ويجيءُ نوءُ بنائه بغريبةٍ تروي الربى والشمسُ في السرطان [١٨٨]

١ البيت لابن الرومي كما في التثيل والمحاضرة : ٣٠١ .

٢ ب م : العقائد ؛ ط د س : المغافر .

٣ ط : تبين .

فعلت بآمالي عوارفُ كفه
أسدى إليّ من الصنائع مثلما
يا منشيءَ العلياءِ بعد مماتها
الأرضُ حاجتُها إليك بطبعها
عالج بسيفك ما وراءَ بحورها
لا تشغلنك خدعةٌ فلربما
والخبيرُ يخلو كلَّ شيءٍ مثلما
ثُرَّ ثورةَ السفاحِ^٢ تصفرُّ بالعدا
عجباً لأعيادٍ أمتلك ثلاثة
الفتحُ عيدٌ والعروبةُ مثله
فكأنَّ نجمَ المشتري في سَعده
ملاً البسيطةَ فيه جُنْدُكَ كثرةً
هَلَلَتْ صُبْحَتَهُ بنيةٍ مخلصٍ
خذها إليك نسيجَ شكرٍ حاكه^٣
كلمٌ هو السحرُ الحلالُ وما أرى
يا حاقراً قَدري وقَدري فَوْقَهُ
عَبْتُم رطوبةَ منطقي فكأنكم
وجهلتم أن القلادةَ لؤلؤ
أنا شمسكم، إن لَحْتُ غبتم، أو أغب
ووردت على الأمير مبشر بن سليمان بميورقة قصيدة من نظم أبي المظفر

٢ ب م : الصفاح .

١ ط د س : أصعب .

٣ ط د : حاكها .

البغدادي ، أولها ١ :

هو طيفُها وطروقُه تعليلُ فمتى يفي لك والوفاءُ قليلُ
وكانَ زورَتَه تخیلُ بارق فتقت به النكباءُ وهي بلیل
فالقدُّ من مَرَح الصِّبا متأوِّدٌ واللحظُ من تَرَفِ النعيمِ علیل [١٨٨ب]
والخصرُ مما خفَّ جال وشاحُه قلقاً وما واری الإزارُ ثقیل
أقصرُ من الإدلال فهو على النوى ما دام یجلبُه الدلال دلیل
ودع الوشاة فكلُّ ما یحكونه عند اللقاء یزیلُه التأویل
ووراءَ وصلکم القصیرُ زمانُه هجرٌ كما شاء الغیورُ طویل
لو دام قبلکم اجتماعٌ لم یذقُ ألم < التفرُّق > مالکٌ وعقیل ٢
ومنها :

فرحلتُ والنفسُ الأبیةُ حرّةٌ والعزمُ ماضٍ والحسامُ صقیل
بقصائدٍ قستِ اللیالی واكتست منها فرقتُ بكرةٌ وأصیل
خصلتُ بدجلةَ والعراقَ ذیولها فاهتزَّ من طربٍ إليها النیل
فأقمتُ حیث العزُّ أبلغُ والندی جمٌ وظلُّ المکرّماتِ ظلیل
سمحٌ وإن کثر العفاةُ بماله وبماءٍ أوجُه سائلیه بنیل
ومسدّد العزّاماتِ لا یغتالها خطبٌ كما اعتکر الظلامُ جلیل
ویصیبُ أعقابَ الأمور إذا ارتأی عفواً ، وآراءُ الرجالِ تَقیل
ولذا الوغی حدَرَ الکماةُ لثامُه ومشی بسرّ المشرفی صلیل ٣

١ د ط س : قصيدة من مصر لبعض أهل العصر أولها ؛ ولم ترد هذه القصيدة في د ط س .

٢ مالک وعقیل ندیما جذیمة الأبرش ، وكان یضرب بهما المثل فی التلازم ، وقد ذکرتهما الشعرا کثیراً ، فمن ذلك قول أبی خراش الهذلي :

ألم تعلمی أن قد تفرق قبلنا خلیلا صفاء مالک وعقیل
٣ لم یحی جواب « إذا » فی ما یلي من أبيات .

ورماحه تُوجِّنَ من هام العدا
من معشرٍ لهم السماحةُ شيمةُ
نَفَضَتْ إلى أكنافهم لمَ الرُّبى
شرقتُ بنغمةِ شاعرٍ أو زائرٍ
لكم الملقى والرقيبُ من العلا
وسعتِ للعلياء حتى أيقنتُ
واهاً لعصرِكَ وهو يقطرُ نَضْرَةً
فكأنه وردُ الحدودِ إذا اكتست
أين المدى ولقد بلغت من العلا

فكلف أبا بكر الداني معارضتها فقال ^١ : [١٨٩ أ]

في الطيف لو سمح الكرى تعليلُ
وينوبُ عن شخصٍ الحبيب خيالهُ
برقُ السماءِ على الغمام علامةُ
والروضُ إن بَعُدَتْ عليك قطوفهُ
حَسَبُ النسيم من اللطافة ^٣ أنه
وبمهجتي نجمٌ له في مهجتي
حوَلْتُ عهدَ مُناخه بمناخه
يكفي المحبَّ من الوفاءِ قليلُ
إن لم يكنهُ فإنه تمثيلُ
وسنا الصباح على النهار دليلُ
وَقَدَّتْكَ ^٢ عنه الريح وهي بليل
صَحَّتْ به الأجسامُ وهو عليل
مسرَّى ولي في قربه ^٤ تعديلُ
فَقَضَى بتحويلي ^٦ لي التحويل

١ وردت بعض أبيات منها في المغرب والمسالك .

٢ د : وافتك .

٣ ط د س : الطلاقة .

٤ ط د س : نوره .

٥ ب م : تمويل .

٦ ب م : بتحويل .

في مثل لَمَّتِهِ سريتُ وفي يدي
 شفقٌ وشارقةٌ لديه ورقةٌ
 وتنوفةٌ واصلتها بتنوفةٌ
 تقفُ الرياحُ بها مقيّدةَ الخطى
 لا يلتقي طرفٌ إلى طرفٍ بها
 وركبتُ ما ترك الوجيهُ ولا حقٌ
 ورميت عن قوسٍ تنيرُ لي الدجى
 وكأنه قَزَحٌ^١ على أفق الضحى
 ملكٌ كما اتقد الصباحُ وراءه
 جاورتُ منه البحرَ إلا أنه
 وصبوتُ حيث تغالزتُ هممُ^٢ العلا
 كنفٌ يرودُ الغيثُ خصبَ جنباهِ
 قرمٌ له فللكُ البروجُ محلةٌ^٣
 وإذا رنا للرمح طرفٌ شاخص
 وشدا صهيلٌ مطربٌ فأجابه
 وقف الوغى منه على ذي هيبةٍ

سيفٌ كطرةٍ عارِضيه صقيل
 فكأنما هو بكرةٌ وأصيل
 لا يستبينُ بها إليك سبيل
 ويظلُّ طَرْفُ النجمِ وهو كليل
 فالباعُ فيها واحدٌ والميل
 لا ما تخلف شدقمٌ وجديل
 مما يخولني القنا ويُنيل
 وعلى جبين مبشِّرٍ إكليل
 ظلٌّ كما بَرَدَ المساءُ ظليل
 عذبٌ كما رشف اللمي تقبيل
 فلها إليَّ من السماك رسيل
 ويبيتُ فيه الدهرُ وهو نزيل
 والبدرُ جارٌ والشموسُ^٣ قبيل
 واحمرَّ خدَّ للحسام أسيل
 من نحو السنة الغمودِ صهيل
 يقفُ العزيزُ لديه وهو ذليل [١٨٩ب]

ومنها :

وأنتك من بغدادَ بكرٌ ما لها غيري وان كثر الرجالُ كفيل

١ ب م : قدح .

٢ ب م : مع .

٣ ب م : والشمس .

عُذِيَّتْ^١ بماءِ الرافدين وربما قد بلَّ عطفها بمصرَ النيل
جُمِعَتْ وشعري في بساطك مثلما جُمِعَتْ بثينة في الهوى وجميل
ان لم يفتها أو تفته^٢ به فلا تفصيلَ بينهما ولا تفضيل
انا ذاك لو أني أكونُ لكندة ما فاتني فيها الفتى الضَّليل
لا عيبَ لي إلَّا النحولُ رضىتهُ إن المهندَ قاطعٌ ونحيل

وكان أبو بكر الداني مع جودة شعره يخلط أمره كله من أوله إلى آخره
عُجِبُ يُخِلُّ به وبأدبه ، فلا تزال عُقْدُهُ تنحلُّ عند من يحتلُّ به ،
حتى يرجع على عقبه ، إذ كان أعجبَ الناس تهاقناً ما بين قوله وفعله ،
وأحطَهُمْ في هوى نفسه ، وأهتكهم لعرضه ، وأجرأهم على ربِّه ، له
في هذا الباب أخبارٌ مشهورة ، وأغراضٌ مذكورة ، وكان خروجه عن
صاحب ميورقة^٣ على هذه السبيل ، بعد أن ساء فيه القال والقال ، فاعتذر
إليه بهذه القصيدة ، وهي آخر شعر قاله فيه ، أولها^٤ :

[سلامٌ على المجد يندى قليلاً كنشر الربى بكرةً وأصيلاً]
سلام وكنت أقول الوداعَ ولكن ادرج قلبي قليلاً
ومنها :

جُرْحَتْ لَدَيْكَ وَكُنْتُ الْبَرِيءَ كَمَا يَجْرَحُ اللَّحْظُ خَدَّآ أُسَيْلَا
[أخاف عليه انصداع الصفاة ألا يكون زجاجاً عليلاً]

١ ب م : عذبت .

٢ ط د س : يعيها أو تعيه .

٣ زاد في ط س : المذكور .

٤ وردت أبيات منها في القطعة التي قدرت أنها دخيلة من القلائد ، ص : ٦٨٣ ، ٦٨٦ وهذا
مثال على مقدار الخلط الذي اعتمد في المزج بين الكتابين : القلائد والذخيرة .

ولو لم أكن ماضيَ الشفرتين
[تسرُّ ضالتيَ الشامتين
أت ذلةً منك محبوبةً
تكلفتُ فيها سوادَ الخطوب
ولولا مقاميَ بين العُدّةِ
ومن بلّةُ الغيثُ في بطن وادٍ
عسى رافةً في سراحٍ كريمٍ
لعلّي أراحُ من الطالبين
لقد أوقسدوا ليَ نيرانهم
يميناً بكمُ وهو أزكى يمينٍ
سَعَوْا ليَ عندك في عثرةٍ
أفرُّ بنفسِي وإن أصبحت
وله أيضاً من قصيد طويل ٣ :

هلا ثناك عليَّ قلبٌ يخفقُ
وغرقتُ في دمعِي عليك وعقَّتِي
هل خدعةً بتحيةٍ مخفيةٍ
أنت المنية والمنى ، فيك استوى
لك قد ذابله الوشيح ولونها
يا من رشقتُ إلى السلو فردّني
فترى فراشاً في فراشٍ يحرقُ
طرفي فهل سببٌ به أتعلقُ
في جنبِ موعذك الذي لا يصدّقُ
ظلُّ الغمامة والهجير المحرق
لكن سنانك أكحلُّ لا أزرق
سبقتُ جفونك كلَّ سهمٍ يرشقُ

١ س : حلة منك محبوبة . . . بالغير ؛ ط : محبوبة .

٢ هنا تنتهي ترجمة ابن اللبانة في د ط س .

٣ راجع القلائد : ٢٤٧ والمغرب والخريدة والقوات والوافي والمعجب : ٢١٤ والمسالك : ووضح أنها ليست نقلا عن القلائد .

ويقال إنك أبكة حتى إذا
لو في يدي سحرٌ وعندي أخذة
جسدي من الأعداء فيك لأنه
لم يدر طيفك موضعي من مضجعي

- ومنها في المدح :

وكانَ أعلامَ الأميرِ مبشِرِ
ملكٌ - بفتح اللام - جوهرُ هديهِ
الخيزرانةُ تلتظي في كفه
فكانَ صوبَ حياً وصعقةَ بارقٍ
بأسٍ كما جمد الحديدُ ، وراءه
ضدَّ أن فيه لمعتد ولمعتف
عبرتْ بنارِ الحربِ نفحةُ عوده
وانهلَّ من كفيه نوءٌ مغربٌ
تلقى العفاةُ يمينهُ وكأنها
يا أولَ الأعدادِ في أهلِ الندى
شهرتْ علاك فما يُشارُ لغيرها
بشرى بيومِ المهرجانِ فإنه
وعلى الخليجِ كتيبةٌ جرّارةٌ
وبنو الحروبِ على الحرابي التي
خاضت غديرَ المساءِ سابحةً به

تُشِرتْ على قلبي فأصبحَ يخفق
من جوهر الشمس المنيرةِ أشرق
والتأجُّ فوق جبينه يتألق
ما ضمَّ منه نديتهُ والمأزق
كرمٌ يسيلُ كما يسيلُ الزئبق
السيفُ يجمعُ والعطاءُ يفرق
ما كلُّ عودٍ في وقود يعبق
سيّان فيه مغربٌ ومشرق [١٩٠ب]
قلبٌ إلى لقياء الأحبّةِ شيق
ولأنت في جَمِّ الكريمةِ فيلق
والخيلُ أشهرها الجوادُ الأبلق
يومٌ عليه من احتفالك رونق
مثلُ الخليجِ كلاهما متدفق
تجري كما تجري الجيادُ السبق
فكانها هيَ في سرابٍ أيق

١ المعجب والقلائد والخريدة : يمشق .

٢ المعجب والقلائد : لا يستبين . ٣ القلائد : ترددي كما ترددي .

هزّت مجاذيفاً إليك كأنها
وكأنها أقلامُ كاتبِ دولة
يا ناصرَ العلياءِ دونك من فمي
ويقلُّ فيك الشهبُ لو هيَ أحرفُ
شكراً لأنعمك التي ألْبستني
فيأتني ظلّ الندى وأشدت لي
تباً لمحطوط يروحُ مكائبي
من كان يُسْفِقُ من سوادِ كتابه

وله ٢ :

يا ذا الذي حجّ في عهد الصبا فمضى
أما الجمارُ فمن قلبي رميت بها
صفِ المنازلَ لي كيف انتقلت بها
عن بئرٍ زمزمَ حدثني في ظمأٍ
وشفعَ الحجّةَ الأولى بثانيةٍ

وله :

وابأبي ذلك من حاسب
لما رآني في الهوى واحداً
يقرأ بابَ الضربِ في مهجتي
ويلزم الطرحَ لوصلي فلا
خُطّ استواءُ الحسنِ في خدّه
أسقطني للأُس من عدّه
ولا يسمّي لي سوى بعده [١٩١أ]
أنفك طولَ السدھر من صدّه

١ المعجب : أهداب .

٢ انظرها في مسالك الأبصار .

معاملاتٌ ليتها لم تكن أو ليت ما أبداه لم يُبدِه
وله ^١ :

والدهرُ في صبغة الحرباء منغمسٌ ألوانُ حالاته فيه استحالاتُ
ونحن من لُعَبِ الشطرنج في يده وربما قُمرت بالبيدِ الشاة
وله ^٢ :

نعمتُ ^٣ به والليلُ مدةٌ ناظرٍ فصار من السراء غمزةً حاجبٍ
كأنني شربتُ الليلَ في كاسٍ ذكره فلم أُبقِ فيه فضلةً للكواكب
وهذه كقول الآخر ^٤ :

عهدي بها ورداءُ الوصلِ يجمعنا والليلُ أطوله كاللمح بالبصرِ
فالآن ليليَ مسد غابوا فديتهمُ ليلُ الضرير ، فصبحي غيرُ منتظر
وهذا الباب فيه طول ، وقد شرطت أن اجتزىء عن الكثير بالقليل .
ومن كلمة له :

نتيجةٌ عقلٍ الفتي فِعْلُهُ بما عنده يقذفُ المعدنُ
وله من أخرى :

قدمتَ ربيعاً والربيعُ كأنما تأخر وترأ إذ تقدمته شَفْعاً

١ البيتان في المسالك ، وهما من قصيدة طويلة في القلائد : ٢٩ يتفجع فيها على زوال مجد ابن عباد .

٢ البيتان في المسالك .

٤ كتاب المعاني : ٣٤٨ .

٣ ب م : سمعت .

على نَسَقٍ وافيتما ووفيتما
صباحُ الأمانِي أنت أطلعتَه ضحىً
أيا ضيفُ لم تنزلَ فِئاءَكَ وحده
إليك ودادي ان تشهيتَه قِرَى
ودونك خدي فانتعلهُ ومهجتي
وهبني شفاءَ النفسِ منك فطالما
ذكرتك والآمالُ نحوكَ عَطَشُ
وكم ذرّ لي من أفقِ بشرِكَ شارقُ
صغرتُ مكاناً إذ كبرتُ درايةً
كتبتُ أهرُ المجدَ في حالِ حيرةٍ
ودونكها رقت وراقت محاسناً

وله :

وعَلِقْتُهُ في الحبّ علقَ مَضْنَةٍ
بعتُ الحياةَ بنظرةٍ من حسنه
ولقد يلوحُ كما تَكشَفَ مِعْصَمُ
أرْخَصْتُ فيه العمرَ وهو ثمينُ
وبدا إليّ بأنّه المغبون
فترى الوشاةَ كما استدار بُرَيْنُ

وكتب إلى أبي الفضل بن شرف مشيراً عليه بمدح ابن مهلهل من وادي آش^٢ :

يا روضةً أضحى النسيمُ لسانها
ومن اغتدى وقد اهتدى لطريقةٍ
طافت بكعبتك المعالي إذ رأت
يصفُ الذي تخفيه من آراجها
ما ضلَّ مَنْ يسعى على منهاجها
أن النجومَ الزُّهرَ من حجّاجها

١ ب م : واليك القطع ما (م : من) أونه .

٢ انظر القلائد : ٢٥٨ .

شَغَلَتْ قَضَيْتِكَ النُّفُوسَ فَأَصْبَحَتْ
هَلَاً كَتَبْتَ إِلَى الْوَزِيرِ بِقِطْعَةٍ^١
يَجِدُ السَّبِيلَ بِهَا وَلَا تُكَ عِنْدَهُ
أَنْتَ السَّمَاءُ فَبَانَتْهَا نَكْ رَفْعَةٍ
وَضَحَتْ مَفَارِقُ كُلِّ فَضْلٍ عِنْدَهُ
فَأَجَابَهُ فَقَالَ :

يَا مَنُجِدِي وَالْدهْرُ يَبْعَثُ حَرْبَهُ
لِلَّهِ دَرْكٌ إِذْ بَسَطَتْ إِلَى الرُّضَى
وَأَرْقَتْ مَاءَ الْوَدِّ فِي نَارِ الْأَسَى
فَيَأْتِنِي تِلْكَ الْغَمَامُ فَبَرَدَتْ
فَأَوَيْتُ تَحْتَ ظِلَالِهَا وَوَجَدْتُ بَرّاً
هِيَ هَاتِ أَنْ تُشْنِي النُّفُوسُ لَوَجْهَهُ
مَنْ ذَا يَرُدُّ الْعَصْمَ عَنْ غُلْدَوَائِهَا
أَأَزِيدُ فِي أَمْرِي وَضُوحاً بَعْدَمَا
فَأَكُونُ أَنْ زِدْتُ الصَّبَاحَ أَدْلَةً
دَعْنِي أَبْرِدُ بِالْقَنَاعَةِ غُلَّةً
بَكْرٌ بَخَلْتُ عَلَى الزَّمَانِ^٣ بَوَجْهَهَا
وَضَرَبْتُهَا مَحْجُوبَةً بِصَوَانِهَا
فَالنَّفْسُ إِنْ ثَبَتَتْ عَلَى أَخْلَاقِهَا
وَلَهُ :

١ القلائد : برقعة .

٢ القلائد : قريفسك .

٣ القلائد : الأناام .

تذكرتُ عهداً للصبا لو سَقَيْتُهُ حيا المزنِ ما أروته تلك الماطرُ
 زمان لياليه تكتنفها الصبا بسترٍ وهن الواضحاتُ الزواهر
 ولي في التصابي والركونِ إلى الهوى عواذلُ إلاَّ أنهن عسواذر
 رأين هوىً ملء العنان يهزه من العيش غصنٌ قاطرُ الماءِ ناضر
 فأقبلن ينهين الفؤادَ عن الهوى وهن بما مرَّضنَ مني أوامر
 وله :

في القيظ ما يدعو البياضَ للابس يكونُ به برْدٌ له وسلامُ
 لبستُ سواداً والجميعُ مبيّضٌ كأني غرابٌ والأنامُ حمام
 ألا يا ابن معنٍ ما لمجدك غايةٌ ولا لمكانٍ أنت فيه مرام
 قد اتفقت فيك المذاهبُ كلها فلم يبقَ في شرعِ الكرامِ خصام
 وله ١ :

غناءٌ يلدُّ ولا أكؤسٌ تسكُنُ من أنفَسٍ طائشةٌ
 وأعجبُ كيف شدا طائرٌ بروضٍ منابته عاطشه

وله من قصيد مطوّل ٢ :

عاوده الشوقُ وكان استراحَ وانبرتِ الطير تغني فصاحُ
 ذكّرني عهدَ اللوى ساجعُ مدَّ جناحاً والتوى في جناح

١ انظرهما في الخريدة والبنية .

٢ ورد بعض أبياتها في الخريدة والمسالك .

٣ الخريدة : فتاح .

٤ الخريدة : ذكره عهد الصبا .

بَلَّهٗ قَطْرُ النَّدى فاغتندى
أورقُ قد أورقَ من تحته
وإن سَقَتَهُ الرِّيحُ^١ راحاً لها
أعطافُهُ تشبه أعطافَ من
سقانيَ الحمرةَ من ريقه^٢
يا طاعنَ الخيلِ غداةَ الوغى
والحدقُ السودُ إليك ارتمتُ
ما بَقِيَتْ فيَّ سوى نظرة
الحمد لله فإني امرؤٌ

يَنْفُضُ ريشاً سُندسيَّ الشَّاحِ
غصنُ رطيبٌ فوق حِقْفِ رَداحِ
مال وقام <وهو> نشوانٌ صاح
راح فؤادي مَعَهُ حيثُ راح
وقام لي من بَرَدِ الأَقاحِ [١٩٢ب]
طاعنك النهدُ فألقِ الرماح
فما عسى تُغْنِيكَ بِيضُ الصِّفاحِ
فاسقة باطنها من صلاح
قد تُبَّتْ إلَّا من وجوهِ الملاحِ

ومنها في المدح :

تُبْصِرُهُ إن حاجَهُ صارخُ
يُجَلِّي الوغى منه ومن طرفه
موطأً الأكنافِ رَحْبُ الذرى
ولم يضقْ دهرٌ على أُمَّةٍ
تحكي ليا ليه بأيامه
ينشرُ يومَ الفخر من نفسه
لو أنَّ لي قوةَ عهد الصبا
يومٌ رقيقٌ ناثرٌ ناظم
تلعبُ فيه كلُّ مَيَّاسةٍ

كالحية انسابَ وكالماءِ ساح
عن قمرٍ لاح وبرقٍ ألاح
مقدَّمُ السَّبْقِ مُعَلَّى القداحِ
إلَّا أصابوا بِذَرَاهُ انفساحِ
خيلاًنَ مسكٍ في خدودِ صباحِ
عِرْضاً مصوناً طيَّ مالٍ مباحِ
لم أتركِ الزُّيروزَ دون اصطباحِ
كافورُهُ فوق الرُّبى والبطاحِ
مَيَّسَ غصونٍ تحتَ رَوْحِ الرواحِ^٣

١ ب م : البرح ، وأثبت ما في الخريدة .

٢ ب م : خمرة ؛ والتصويب عن الخريدة .

٣ المسالك : الرياح .

إن قعدتُ قلتَ ربِّي في ثرى
 غَيْدَاءُ جَيْدَاءُ لها معطفُ
 إنسيةٌ وحشيةٌ ركبتُ
 ساكنةٌ في جوفها ناطقُ
 يخدمها كلُّ كميٍّ لسه
 يجرحُ رُوحَ الرُوعِ صمصامه
 مرهفه نارُ وفضفاضه
 وإن مشتُ قلتَ مهأً في مزاح
 يرفلُ من ديباجه في اتشاح
 من صورةِ الحدِّ وشكلِ المزاح
 ينطقُ عنها بمعان فصاح
 وجّهٌ حيٌّ وفؤادٌ وقاح
 ووجهه يجرّحه الإلتماح
 ماءٌ وبين الحاليتين اصطلاح

وله :

تذكّر الدارَ فحنّ اشتياقُ
 أرقّه جُنَحَ الدجى أورق
 مُفَسِّتَقُ الطوقِ أحمُّ القرا
 بات بأعلى غصنه نائحا
 والقُصْبُ تشيها الصبّا مثلما
 واحسرتا ماذا ابتلينا به
 مهفهفِ الكشحِ قريبِ الخطا
 تروقُ لي في خدّه حمرة
 واعتاده الحبُّ وكان استفاقُ
 قام على ساقٍ وقد ضمَّ ساقُ [١٩٣]
 أحوى الخوافي ذهبيّ المآق
 يبكي على ألّافه باحتراق
 تعانقَ الأحبابُ يومَ الفراق
 من كاملِ الذرّعِ قصيرِ النطاق
 بعيدِ مهوى القُرطِ طَوْعِ العناق
 تشهدُ لي أن دماً قد أراق
 ومن بديع قوله يتغزل ٢ :

تولّى السّرْبُ خيفةً ما يليه
 على شرفِ الحميلة كان حتى
 وأفلتَ من حبائلِ قانصيه
 توجّسَ نبأه من خاتليه

١ ب م : العرى .

٢ انظر الأبيات في مسالك الأبصار .

فمرَّ على مهبِّ الريح يعدو بأسرعَ من مدامع عاشقيه
 وصادف عنده مرعىً مريعاً فأصبح يسترث ويرتعيه
 توجهَ حيثُ لم تُعقلْ خطاه بمنسوبٍ إلى آل الوجيه
 بمِيعِ الأديم يكادُ يُعشي بنُقبته^١ لوحظَ مبصريه

ودخل^٢ ميورقة في زمنِ ناصرها ، وسلامةٍ مقاصرها ، وهي باهيةُ الجمال ، عاطرةُ
 الصَّبَا والشمال ، تقيدُ النواظرَ بيهجتها ، وتنبه بندى ملكها على بلحتها ، فتلقاه ناصر الدولة
 بمجهودٍ لإجلاله ، وصدقَ له طيرَ آماله ، فقال يمدح :

حُنَيْتُ جوانِحُه على جَمَرِ الغَصَا لما رأى برقاً أضاء بذى الأضا
 واشتمَّ في رُوحِ الصَّبَا رُوحَ الصَّبَا ففضى حقوقَ الشوقِ فيه بأن قضى
 والتفَّ في حبراته فحسبتها من فوق عطفه رداءً ففضفا
 أَلِفَ السَّرى فكانَ نجماً ثاقباً صدَعَ الدجى منه وبرقاً أومضا
 مهما بدت شمسٌ يكونُ مذهباً وإذا بدا بدرٌ يكونُ مفضفا
 ملكٌ سمتَ عليه حتى دوَّحت وستى ثرى نعماه حتى روضا
 ماءُ الغمامةِ جرعةً مما سقى وسنا الأهلةَ خلعةً مما نضا[١٩٣ب]
 خفقت عليه رايةٌ وذؤابةٌ فكانَ صِلاً نحو صِلٍ نَضْنَضاً

وقال يرثي أخت المرتضى :

أبنتَ الهدى جددتَ منعى على منعى مضى المرتضى أصلاً وأتبعته فرعاً
 جرى الموتُ جرَّيَ الريح في منبتكما فأذواكٍ ريحاناً وقصَّفه نبعاً

١ ب : بنفثته ؛ ب م : يغشى لنفثته .

٢ هذه القطعة من القلائد ، وأعدّها دخيلة على نص الذخيرة ؛ وانظر المغرب والمسالك والخريدة .

فصل في ذكر الأديب

أبي جعفر أحمد بن الدودين البلنسي^١

هو أحدُ مَنْ لَقِيَتْهُ وشافهته ، وأملَى عليَّ نظمه ونثره بالأشْهُونة ،
سنة سبعٍ وسبعين ، ومما أنشدني [من شعره] في الغزل قوله^٢ :

عَلَّمَنِي فِي الْهُوَى عَلِيٌّ كَيْفَ التَّصَابِي عَلَى وَقَارِي
أَطْلَعَ لِي مِنْ دَجَاهُ بَدْرًا لَمْ يَدِرْ مَا لَيْلَةُ السَّرَارِ
فَحَادِي^٣ عَنْ طَرِيقِ نَسْكِ وَظَلْتُ مُسْتَأْهِلاً لِنَارِ^٤
وَأُنْشَدَنِي أَيْضاً لِنَفْسِهِ :

يَا عَلَّمَ الْحُسْنَ يَا عَلِيٌّ دَلَّهَنِي حَسَنُكَ الْعَلِيُّ
لَوْ قُلَّدَ اللَّحْظُ مِنْكَ عَمْرًا قَصَّرَ عَنْ شَأْوِهِ عَلِيٌّ
وَأُنْشَدَنِي أَيْضاً لَهُ :

يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الَّذِي يَهْدِي الْوَرَى بَضِيائِهِ
صَيَّرَ قَلْبِي مَطْلَعًا وَأَفْلَتَ فِي سُدَائِهِ

١ انظر ترجمته في المغرب ٢ : ٣٢٢ والمسالك ١١ : ٤٤٩ .

٢ وردت هذه القطعة في المغرب .

٣ ط د : فحادي .

٤ ب م : وصلت مستهلاً بناري .

وأنشدني أيضاً له^١ :

خطَّ العِذارُ بصفحتيه كتاباً مَشَقَّتْ به أيدي المشيب جواباً
فغدتْ غواني الحيَّ عنك غوانياً وأسلنَ الحَاظَ الربابَ رباباً
من بعد ما بوأني وطنَ الجوى يرشفنَ من رشف الثغور رضاباً
فلأبكينَ على الشبابِ مُلاوةً^٢ ولأجعلنَ دمَ الفؤادِ خضاباً

وأخبرني برسالته التي ردَّ فيها على أبي عامر بن غرسية^٣ [وكان]
هذا - لحاه الله وأبعده - قد استقرَّ بمدينة دانية ، في كَنَفِ مجاهد ، فخطب
الأديبَ أبا جعفر [ابن] الخراز^٤ معاتباً له لتركه مدحَ مجاهد ، واقتصاره
على مدائح ابن صمادح التجيبي ، وهي رسالةٌ ذميمة غرَّبَ في تسطيرها ، فلم
يسبق لكثرة غلطه^٥ [فيها] وزلله إلى نظيرها ، وذمَّ فيها العرب ، وفخر

١ ط د س : له أيضاً ، وانظر المغرب والمسالك .

٢ في النسخ : ملاءة ؛ المغرب : وطيبه .

٣ أبو عامر أحمد بن غرسية ، قال فيه صاحب المسهب : « من عجائب دهره ، وغرائب
عصره ، وهو من أبنا نصارى البشكنس ، سبي صغيراً وأدب به مجاهد مولاه ملك الجزر ودانية
(المغرب ٢ : ٤٠٦) .

٤ ب م : الخراز ، وكذلك في المغرب (٢ : ٤٠٧) وترجم ابن الأبار لابنه في التكملة :
٤٢٣ وسماه محمد بن أحمد بن محمد الأنصاري الأوسي من أهل سرقسطة وسكن بلنسية يكنى
أبا عبد الله ويعرف بابن الخراز ، وكان أديباً شاعراً راوية مكثرت الخط . ثم قال : وكان
أبوه أبو جعفر (أحمد بن محمد) أيضاً شاعراً وهو الذي خاطبه أبو عامر بن غرسية بالرسالة
المشهورة . وفي نص الاسكوريال الذي اعتمده الأستاذ عبد السلام هارون في نشر رسالة
ابن غرسية والردود عليها ورد اسمه « ابن الحداد » (انظر نوادر المخطوطات ١ : ٢٣٤ -
٢٣٥) هذا وقد جاءت الرسالة في ط د س مختلفة كثيراً عما هي في ب م بين حذف وتقديم
وتأخير . وقد ترجم الأستاذ جيمس منرو هذه الرسالة والردود عليها في كتاب بعنوان
The Shuubiyya in Andalus ، (كاليفورنيا ١٩٧٠) .

٥ ط د : خطله .

بقومه العجم ، وأراد أن يُعَرِّبَ فأعجم ، وإذ قد أفضى بنا القولُ إلى ذكرها ، فأنا أثبتُها هاهنا بأسرها ، وأجتلِبُ [١٩٤أ] فصولاً من رسائلَ جلائلَ لبعض أهل العصر ردُّوا عليه وبكَّتوه ، حتى أسكَّتوه ، وإن كانت طويلةً ، فهي غير مملولة ، لما تشتملُ عليه من المآثرِ العربية ، والمفاخرِ الإسلامية .

[وهذه] نسخة رسالة ابن غرسية

يخاطب الشاعر ابن الخراز المذكور^١

سلامٌ عليك ذا الرويِّ المرويِّ ، الموقفِ قريضُهُ على [حلَّة]
بجَانَةِ أرشِ اليمنِ^٢ ، بزهدٍ [من] الثمن ، كأنَّ ما في الأرض إنساناً
إلاَّ من غسَّان ، أو من آل ذي حَسَّان ، وإن كان القومُ أَقْنَوْكَ ، وعن
العالم أَغْنَوْكَ ، على حَسَبِ المذكور ، فما هذا الإعمالُ للكور ، وتركُ
الوكور^٣ ؟ وقلما تأخذُ الشَّعْرَةَ^٤ في الرحيل ، إلاَّ عن الرِّبْعِ المَحِيل ،
ولو أنَّ القومَ خلطوك بالآل ، لما ألبأوك^٥ إلى الخَبَطِ في الآل . مَهْ مَهْ !

١ لقد تبين لي أن ابن بسام لم يورد الرسالة كاملة ، وبعض الردود عليها تشير إلى أمور قد حذفت منها ، ولهذا أبحث لنفسي تكملة ما ينقصها .

٢ أرش اليمن : إقليم في شرق الأندلس أنزل الأمويون فيه بني سراج القضاعيين وجعلوا إليهم حراسة ما يليهم من البحر وحفظ الساحل ، فكان ما ضمنوا حفظه يسمى أرش اليمن (أي عطيتهم ونخلتهم) وكانت بجانة أبرز قرى ذلك الإقليم (الروض المطار : ٣٧) .

٣ ب م : المذكور .

٤ الشعرة : الشعراء .

٥ ط : أجاموك .

مَنْ أَحْوَجَكَ إِلَى رُكُوبِ الْمَهْمَةِ ، وَتَقِفْ ، وَوَدَّكَ أَلَا^١ تَقِفْ ، عَلَى مِنْ
اضْطَرَّكَ إِلَى الْإِغَالِ ، وَبَاعَكَ بَيْعَ الْمُسَامَحِ بِكَ لَا الْمَغَالِ ، وَبَعَثَكَ عَلَى
مُخَالَفَةِ الْحَصَانِ ، وَمُخَالَفَةِ الْحَصَانِ^٢ ، وَعَوَّضَكَ مِنْ [قَطْع]^٣ الْأَنْدِيَةِ ،
بِجَوِّبِ^٤ الْأَوْدِيَةِ ، وَمِنْ الْمَالْفِ بِخَوْضِ^٥ الْمُتَالِفِ ، وَوَكَّلَكَ بِمَسْحِ الْأَرْضِ ،
ذَاتِ الطُولِ وَالْعَرْضِ ، فَإِذَا يَمْتَ بَطْنُ تِبَالَةٍ^٦ [تَبَالِهِ] ، وَصَرَتْ ضِغْنًا
عَلَى لِبَالِهِ ، تَتَعَلَّقُ بِالْيَمِينِ ، ضَنْئًا بِالْعِلْقِ الثَّمِينِ ؛ أَحْسَبُكَ أَنْ أَزْرِيَتْ ، وَبِهَذَا
الْحِيلِ النَّجِيبِ^٧ أَزْدَرِيَتْ^٨ ، وَمَا ذَرِيَتْ أَنَّهُمُ الصُّهْبُ الشُّهْبُ ، لَيْسُوا
بِعُرْبٍ ، ذَوِي أَيْشَقٍ جُرْبٍ ، [بَلْ هُمْ] الْقِيَاصَةُ الْأَكَاسِرَةُ :
مُجْدُّ نَجْدُ : بِهِمْ^٩ لَا رَعَاةَ شَوِيَهَاتٍ وَلَا بِهِمْ ، شَغَلُوا بِالْمَازِي
وَالْمَرَّانِ ، عَنْ رَعِي الْبُعْرَانِ ، وَبِجَلْبِ الْعَزِّ ، عَنْ حَمَلِ الْمَعَزِ ؛ جَبَابِرَةُ
قِيَاصِرَةُ ، ذَوُو الْمَغَافِرِ وَالْدُرُوعِ ، لِلتَّنْفِيسِ عَنْ رَوْعِ الْمَرُوعِ ، حُمَاةُ
السُّرُوحِ ، نَمَاةُ الصُّرُوحِ ، صَقُورَةُ^{١٠} ، غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ شَقُورَةُ ، وَصَقُورَةُ
الْخُرْسَانِ^{١١} ، لَكُنْهُمْ خَطْبَةٌ بِالْخُرْصَانِ^{١٢} :

١ ط د س : لَا .

٢ ط د س : الْحَصَانِ .

٣ زيادة من ط د لم ترد في س .

٤ ط د س : بِجَوْفِ .

٥ ط د س : بِقَطْعِ .

٦ تِبَالَةٌ : فِي تَهَامَةٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَيْشَةِ يَوْمٍ وَاحِدٍ ، وَفِيهَا ضَرْبُ الْمُثَلِّ « أَهْوَنُ مِنْ تِبَالَةٍ عَلَى الْحِجَابِ »
لَأَنَّهُ حِينَ وَلِيَ عَلَيْهَا ، وَوَجَدَ الْأَكْمَةَ تَحْجِبُهَا ، احْتَقَرَ ذَلِكَ وَكَرَّرَ رَاجِعًا .

٧ هَارُونُ : الْبَجِيلُ .

٨ ط د : أَحْسَبُكَ أَنْ ذَرِيَتْ وَمَا ذَرِيَتْ . . . الْخِ ؛ س : أَبَارِبَابِ الْمُلُوكِ أَزْدَرِيَتْ وَعَلَى وَعِنْدِي
الْحِيلِ أَزْرِيَتْ وَمَا ذَرِيَتْ هَذَا أَحْسَبُكَ أَزْدَرِيَتْ وَمَا ذَرِيَتْ .

٩ هَارُونُ : وَشَقُورَةُ الْخُرْصَانِ .

١٠ أَيُّ أَنْ فِيهِمْ صَقُورَةُ الْخُرْسَانِ ، وَهِيَ الصَّقَالِبَةُ مِنْ حُرْسِ الْقَصْرِ وَكَانُوا يَلْقَبُونَ الْخُرْسَ ، وَإِنَّمَا
يُظَاهَرُونَ فَصَاحَتَهُمْ بِالْخُرْصَانِ أَيُّ الرِّمَاحِ .

ما ضرَّهمُ أنْ شهدوا مِجَاداً^١ ألاَّ يكونَ لونهُمُ سواداً
أرومةً روميّةً ، وجرثومةً أصفريّةً :

نمتهم ذوو الأحسابِ والمجدِ والعلا من الصُّهْبِ لا راعو غضاً وأفانٍ^٢
من القُدُم ، المُلْسِ الأدُم ، لم يُعْرِقْ فيهم الأقباطُ ، ولا الأنباطُ ،
حَسَبَ حريّ ، ونَسَبَ سَريّ ،

➤ أُمُكُمْ لَأُمُّنَا كانت أمه إن تنكروا ذلك تُلْفَوْا ظَلَمَهُ

ولا تهايلَ ، في التكايل^٣ ، فما سُسُنَا قطّ قرودا ، ولا حِكُنَا برودا ،
ولا لُكُنَا عروداً^٤ ، فلا تهاجرَ ، بني هاجر ، أنتم أرقاؤنا وَعَبَدَتْنَا ،
وَعَتَقَاؤُنَا وَحَفَدَتْنَا ، مننّا عليكم بالعِتقِ ، وأخرجناكم من رَبِقِ الرِقّ ،
وألحقناكم بالأحرار ، فغمطم النعمة ، فصفعناكم صفعاً ، يشارك سفعاً ،
اضطركم إلى سُكُنَى الحجاز ، وألجأكم إلى ذاتِ المجاز .
رُزْنُ رُصْنُ :

جمالَ ذي الأرضِ كانوا في الحياة وهم بعدَ المماتِ جمالُ الكتبِ والسَّيرِ^٥
إذا قامتِ الحربُ على ساق ، وأخذت في اتساق ، وقُرِعَتِ الظنابيبُ ،

١ المجاد : المضاهاة بالمجد .

٢ الأفاني : نبتة غبراء لها زهرة حمراء مجتمع ورقها كالكمة .

٣ الهيل : صب الطعام دون كيل ، وإذا كان القوم يهيلون فمعنى ذلك أنهم لا يلجأون إلى الكيل ؛ والتكايل : التوازي والتنافس في الكيل ، وإذا تم لم تعد حاجة إلى التهايل ، يقول :
إذا نحونا نحو الدقة فلا مجال لتجاوزها .

٤ العرود : جمع عرد ، وهو الذكر الصلب .

٥ البيت لأبي العلاء المعري ، شروح السقط : ١٤١ .

وأُشرعت الأنابيب ، وَقَلَّصَتِ الشفاه ، وفغر الهدان^١ فاه ، وولَّى قفاه ،
ألفيتهم ذمّرة^٢ الناس ، عند احمرار الباسِ ؛ الطعنُ بالأسلِ ، أحلى
عندهم من العسلِ :

مستسلمين إلى الختوف كأنما بين الختوفِ وبينهم أرحام^٣
من أمنيّاتهم ، حلولُ ميّاتهم < لهم على القدمة^٤ ، اليدانِ ، على النأيِ
والتدانِ :

من الألى غيرَ زجرِ الخيلِ ما عرفوا إذ تعرّفُ العُربُ زجرَ الشاء والعكرِ^٥
بُصْرُ صُبْرُ : تزدانُ بهم المحافلُ والجحافلُ ، كواكبُ المواكب ،
قيولُ على خيول ، كأنهم فيول ، نجومُ الرجوم < من العجم ضراغمة الأجم >
بنو غاب ، منتفونَ من كلِّ عاب ، لم تلدهمُ صواحبُ الرايات^٦ ، بل
تَبَحَّحَتْ عنهم سارةُ الجمالِ والكمالِ ربةُ الإيالة^٧ ؛ شُمُخُ بُدُخُ :
بَرَرَّةُ أقيال ، جَرَرَّةُ أذيال^٨ ؛ بخِ بخِ : أَحَلَّتْهُمْ [١٩٤ ب] سيوفُهُمْ
سِطَّةُ الأرضين ، فما قنعوا بذلك ولا رضىين ، حتى دَوَّخوا المشارِقَ

١ الهدان : الثقيل في الحرب .

٢ ذمّرة : جمع ذامر ، وهو من يحضض الناس على القتال .

٣ البيت لأبي تمام ، ديوانه ٣ : ١٣٦ وروايته : مسترسلين .

٤ القدمة : الإقدام .

٥ البيت لأبي العلاء المعري ، شروح السقط : ١٤٠ وروايته يا ابن الألى ؛ والعكر : القطعة
من الإبل .

٦ صواحب الرايات : البغايا في الجاهلية ، لأنهن كن يرفعن فوق بيوتهن رايات يميزنها بها .

٧ في النسخ : الآيات ؛ والايالة هنا بمعنى الحسن .

٨ ط د سر : من الأقيال جررة الأذيال .

والمغارب ، فاستوطنوا من المجد الذرّوة والغارب ، وألجأوكم^١ إلى سكنى
الحجاز ، ذاتِ المجاز :

بضربٍ يزِيلُ الهامَ عن سكناته وطعنٍ كَتَشَهاقِ العفا همَّ بالَنْهَقِ^٢
شُدُّهوا برناتِ السيوفِ ، عن ربّاتِ الشنوفِ ، وبركوبِ السّروجِ ،
عن الكوبِ^٣ والفُروُجِ ، وبالنّفيرِ عن النقييرِ^٤ ، وبالجناثِ عن الحباثِ ،
وبالْحَبِّ^٥ عن الحبِّ^٥ ، وبالشَّلِيلِ عن السليلِ^٦ ، وبالأُمْرِ والذَّمْرِ عن
معاقرِ الحمرِ والزمرِ ، > وباللقيانِ عن العقيانِ وعن قنيانِ القيانِ < طبّاتهم^٧
خطّياتهم ، وعلاّتهم^٨ آلاتهم ، > وحصونهم حُصْنُهم ، أقيالُ^٩ ، آباؤهم
من بين الأنامِ أَقْتالُ^٩ :

أولئك قَومِي إن بَنَوْا أحسنوا البنا وإن حاربوا جَدُّوا وإن عقدوا شدُّوا^{١٠}
وَضُحُّ رُجُحٌ : لا حَفْزَةُ عَكَّرَ ، ولا حَقَرَةُ أَكَّرَ^{١١} > ملوكُ جِلَّةٍ ،

١ ط د س : اضطروكم .

٢ السكنات : جمع سَكَنَة وهي مقر الرأس من العنق ؛ العفا : الجحش ؛ والبيت لأبي الطمحان
القيسي حنظلة بن الشرقي (السان : سكن ، عفا) ..

٣ هلرون : الكلب ؛ والكوب : الكوز ، ولعل صوابه « الكحوب » أي الأديار .

٤ النقيير : الخفوف إلى الحرب ؛ النقيير : الوعاء الذي يتخذ فيه التبيذ ، يريد به هنا التبيذ
نفسه ، أو هو صيغة مناسبة للفظ « نقيير » يعني بها النقر الموسيقي ؛ والمعنى أنهم يفضلون
إجابة الداعي إلى الحرب على الذات .

٥ الحب : ضرب من السير ؛ وفي ب م : عن الحب ، وكذلك عند هارون ، ولا أراه صواباً .

٦ الشليل : الدرع ؛ السليل : لحم المتن أو السنام .

٧ طبّاتهم : جمع طبة وهي الشقة الطويلة من الثوب ؛ وعند هارون : طبّاتهم .

٨ هارون : وغلّاتهم .

٩ أَقْتال : أشباه ، والمفرد : قتل ، وهو القرن في الحرب .

١٠ البيت للحظيعة ، ديوانه : ١٤٠ ، وروايته : أولئك قوم ، وإن عاهدوا أوفوا .

١١ الأكر : الحفر .

لا محرقو جِلَّةٌ^١ ، نُدُسُ^٢، غنوا بالاستبرق والسندس ، عن البتِّ المقيظ
المشتِّ ، المجموع من النعيجات الست^٣ ؛ بُسْلُ : لا حُرَّاسُ مُسْلُ^٤ ،
ولا غُرَّاسُ فُسْلُ < مُلْكُ لَقَاحُ^٥ ، ليس منه^٦ في وِرْدٍ ولا صَدَرٍ
شرابُ دَرِّ اللَّقَاحِ . [جُمُحُ طُمُحُ^٧ طَعَامُهُمُ الحنيد ، وشرابهم النبيد ،
لا زهيدُ الهبيد^٨ ، في البيد ، ولا مُكونُ^٩ الوكون ، ولا أوطنوا بيوتَ
الشَّعَرِ ، ولا غَنَوُوا عن الحطبِ بِالْحِلَّةِ والبَعَرِ [ولا منهم من احتشى ،
مذ نشا ، بمذموم الكشي^{١٠}] ولا منهم وليدٌ ولا ناشٍ ، ممن اغتذى
بالأحناش ، فلا [يَقَعَقَعُ لهم بالشَّنان^{١١} ، ولا يوعوعُ^{١٢} لهم باللسان ،
فكفَّ أيها الشان^{١٣} ، فلهم عظيم الشان ، واليدُ الطُّولى إذ تَخَلَّصُوكُم
من أكفَّ الحُبْشان ، صنعٌ منيعٌ ، ومُنَّةٌ ، لا يشوبها منة^{١٤}] ، > فيا

١ الخلة : البحر .

٢ ندس : جمع ندس وهو الفطن .

٣ البت : الطيلسان من خز ونحوه ، وهذا من قول الراجز :

من يك ذا بت فهذا بتي مقيظ مصيف مشقي

تخذته من نعجات ست

٤ المسل : جمع مسيل ، وهو الجريد الرطب .

٥ لقاح : لا يدينون للملوك .

٦ هارون : منهم . ٧ زيادة من س وحدها .

٨ الهبيد : حب الحنظل . ٩ المكون : بيض الضب .

١٠ الكشي : جمع كشية ، وهي شحمة بطن الضب ؛ وهذه زيادة من س وحدها .

١١ الشنان : القرب الصغيرة الخلق ؛ ولا يقعقع له بالشنان : مثل ، أي هو لا يخدع ولا يروع ،

وأصله من تحريك الجلد اليابس للبعير ليفزع .

١٢ ط د س : يززعز ، ولعله يدعدع ، أي يقال دع دع وهو صوت التمييق بالغنم أو

زجرها ؛ وعند هارون : ولا يوعوع لهم بالشنان .

١٣ الشان : الشانيء أي المبغض . ١٤ زيادة من س وحدها .

لها منحة ، لكنها أعقبت محنة ، إذ صادفت كفرّة لا شكرّة . ليها ،
 إذ تأبطتم تيهاً ، معشر البداة العداة ، اعتقدتم غيلاً ، فاسترتم صيلاً <
 أما علمتم أنّ المملكة النُوشِروانية والدولة الأزدشيرية بتقرّوا أجوافكم ،
 وخلعوا أكتافكم ؟ ثم عطفوا ورأفوا ، وملّكوكُم الحيرة ، بعد عظيم
 الحيرة > قللاً ذللاً ، تتخيرون البنات عند البيات ، مبهورات لا ممهورات ،
 فبرم من ذلك غسانكم ونعمانكم ، وكان برّمهُ سبباً لدرء أمانكم ، فأصبح
 بعد جرّ الذبول ، مدوساً بأخفاف الفيول < والكرامُ بنو الأصفر ، الأظهر
 الأظهر ، عطفتهم [عليكم] الرّحيمُ الإبراهيمية ، والعمومةُ الاسماعيلية ،
 وسمحوا لكم من الشام بأقصى مكان ، بعد أن كان من سيل العرم ما كان .
 [سرج وهج] قروم الأعاجم ، يؤدّي إليهم نعمانكم وغسانكم الاتاوة
 على الجماجم :

* هذي المفاخرُ لا قعبانٍ من لبنٍ ١ *

> مهلاًبني الإماء ، عن الغمز والإيماء ، فنحن عُرقُ ، غرق ، في
 الأنساب الصحيحة ، والأحساب العقيمة ، فمن يهْولنا أو يروعنا ؟ ! قد
 رسخت في المجدِ أصولنا وفروعنا ، ومن يطولنا ، وكلّ الوري قد شمله
 فضلنا وطولنا ؟ !

شرف ينطح النجوم بروقيه وعزٌّ يقلقلُ الأجبالا < ٢

حُلُمٌ عُلُمٌ : ذوو الآراء الفلسفية الأريضية ، والعلوم المنطقية الرياضية ،
 حَمَلَةٌ الاسترلوميقي [والجومطريقي ، والعلمة بالارتماطيقى وأنولوطيقا]

١ صدر بيت لأمية بن أبي الصلت (ديوانه : ٤٥٩) وعجزه : شيبا بماء فعادا بعد أبوالا .

٢ البيت للمتنبّي ، ديوانه : ٤٠٣ .

والقَوَمَةُ بالموسيقى [والفُوطيقا ^١ ، والنَهَضَةُ بعلوم الشرائع والطبائع ،
 والمهرة في علوم الأديان والأبدان] ما شئت من تدقيقٍ وتحقيقٍ ، حبسوا
 أنفسهم على العلوم الدينية والبدنية ، لا على وصفِ الناقةِ الفدنية ^٢ :

همُ ملكوا شرقَ البلادِ وغربها وهمُ منحوكم بعدَ ذلكِ سؤددا
 فِعْلُهُمْ ليسَ بالسَّفاسف ، كفعلِ نائلة وإساف ^٣ ؛ أصْغِرُ بشانكم ،
 إذ بزق خمرٍ باع الكعبةَ أبو غبشانكم ^٤ ، وإذ أبو رغالكم ^٥ ، قاد فيلَ
 الحبشة إلى حرَمِ الله [لاستئصالكم] ؛ غَضُّوا الأبصارَ ، فهذا الذكر إلى
 الفحش أصار . فلا فخر معشرَ العُربان الغربان ، بالقديم المفرى ^٦ الأديم ،
 لكن الفخرُ بابنِ عمنا ، الذي بالبركة عَمَّنَا ، الاسماعيليُّ الحَسَب ،
 الابراهيميُّ النسب ، الذي به إنما انتشلنا الله تعالى وإياكم من الغواية والعماية ،
 ولا غرو أن كان منكم حبرُهُ وسيرُهُ ، ففي الرغام يلفى تبرُهُ ، والمسكُ
 بعضُ دم الغزال ^٧ ، والنطافُ العذابُ مستودعاتُ مَسْكِ العَزال ^٨ :

لله مما قد برا صفوةٌ وصفوةُ الخلقِ بنو هاشم ^٩

١ الاسترلوميقي : (Astronomy) علم الفلك ؛ الجومطريقى : (Geometry) الهندسة ؛
 الارتماطيقى (Arithmetic) : الحساب ؛ أنولوطيقا : (Analytics) تحليل
 القياس ؛ الفوطيقا أو البوطيقا (Poetics) : الشعر . وفي ط دس : الاسترلوقيقا ،
 الجومطيقا ، الموطيقا .

٢ الفدنية : الضخمة ، شبهها بالقصر وهو الفدن .

٣ نائلة وإساف فجرا في الكعبة فمسخا حجرين ، انظر كتاب الاصنام والسيرة ومعجم البلدان .

٤ أبو غبشان : باع مفاتيح الكعبة من قصي بزق خمر .

٥ عمل أبو رغال دليلا لابرهة عندما أراد غزو مكة .

٦ ط دس : فعلي فري . ٧ ناظر إلى قول المتنبي :

فان تفق الأنام وأنت منهم فان المسك بعض دم الغزال

٨ المسك : الجلد ، والعزال أي العزالي وهي القرب .

٩ وردا غير منسوبين في مروج الذهب ٤ : ١١٩ .

وصفوة الصفوة من بينهم^١ محمدُ النور أبو القاسم [١٩٥]

بهذا النبي الأُمِّيُّ أفاخر مَنْ يفخر ، وأكاثِر [جميع] من تقدّم وتأخر ،
المنيف الطرفين ، الشريف السلفين ، المتلقّى بالرسالة ، والمنتقى للأداءِ
والدلالة ، أصلي عليه عدَدَ الرَّمْلِ ، ومدَدَ النملِ ، وكذلك أصلي
على واصلي جناحه ، سيوفه ورماحه ، صحابته الكرام ، عليهم من الله
أفضلُ السلام :

> يا ابن الأعراب ما علينا باس لم أحك إلا ما حكاه الناسُ
هذا :

ولم أشتم لكم عرضاً ولكن حدوثٌ بحيثُ يُستَمَعُ الخداءُ^٢

ثم أحنجُ بشاعرٍ غسانَ لا ساسان ، في هذا العيد ، بالوعيد ، وأحرِ
في هذا الفصلِ بعدم الوصل > لقد غم آخرك ، لكن بالرغم آخرك < ،
إذا أضربتَ عن مديح هذا^٣ العَلِقِ الربيع ، سهمنا النفيس ، وشهمنا
الرئيس ، معزُّ الدولة ، [المولى الأعظم ، والموئل الأعصم] قَبِيلِ الأُمَم ،
وسيل العرم ، مغنى المغاني ، ومعنى المعاني ، ذي النفاسة النفسانية ، والرياسة
الساسانية^٤ ؛ فاذهب يا غثّ المذهب ، وابتغ في الأرض نفقاً أو في السماء
مرتقى ، أو حُكْ^٥ من المديد والبسيط ، في الملك ذي الخلق البسيط ، ما

١ المروج : من هاشم .

٢ البيت للحطّية ، ديوانه : ٩٨ وفيه : لكم حسباً .

٣ طدس : المديح لهذا .

٤ طدس : ذي الرياسة . . . والنفاسة . . .

٥ ب : خذ .

تستجيرُ به من بطشنا^١ ، إذ نحن معشرَ الموالي لانوالي ، إلاَّ من هو لعظيمنا
مُوَالِي ، فاستأخِرَ أو تقدّمُ ، وحذارِ أن تفرعَ سنَّ الندم^٢ ، قبل أن تجمع
ذُنُوبَكَ في ذُنُوبِكَ^٣ ، < وكُربك في كُربك >^٤ فمن أبصرَ أقصرَ :

فلا تتبشعُ^٥ ممضً العتابِ يلقاك يوماً بلفياه لاقِ
فإن الدواءَ حميدُ الفعّالِ وإن كان مرّاً كريحه المذاقِ

[يا مُعْتَقِلَ عِلْمِ الشعرِ ، والمستقلَّ بقلمِ النظم والنثر] :

قد استحييتُ منك فلا تكلمي إلى شيءٍ سوى عُدْرِ جميلٍ^٦
وقد أنفدتُ ما حقّي عليه قبيحُ الهجوِّ أو شتمَ الرسول
وذاك على انفرادِكَ قوتُ يومٍ إذا أنفقتَ إنفاقَ البخيل
وكيف وأنت علويُّ السجايا وليس إلى اقتصادك من سبيل
وقد يقوي الفصيحُ فلا تقابلُ ضعيفَ البرِّ إلاَّ بالقَبُولِ
وإن الوزنَ وهو أصحُّ^٧ وزنٍ يقامُ صَغَاهُ^٨ بالحرفِ العليل
فإن يكُ ما بعثُ به قليلاً فلي حالٌ أقلُّ من القليل
فختمَ رقعته كما تراه بأبيات المعري .

١ هارون : من البسيط والمديد ما تستجير . . . الشديد .

٢ زاد بعدها عند هارون : ولات حين مندم .

٣ الذنوب : الدلو .

٤ الكرب : الحبل الذي يشد على عراقي الدلو .

٥ طدس : تتبّع .

٦ الأبيات للمعري ، شروح السقط : ١١٤٤ وما بعدها ، من قصيدة مطلعها :

تعلم يا صريع البين بشري أتت من مستقل مستقيل

وقد ذكر ابن خلكان (٣ : ٣٨٤) أنه خاطب بها صريع الدلاء علي بن عبد الواحد البغدادي ،
وكان طلب من المعري شراً فسير له قليل نفقة ، واعتذر بهذه الأبيات .

٧ شروح السقط : أتم . ٨ الصفا : الميل .

فمن رسالة أبي جعفر [بن] الدودين يردّ عليه

فصل^١ يقول فيه :

اخسأ أيّها الجهول المارق ، والمردول المنافق ، أين أمّك [١٩٥ ب]
ثكلتك أمّك . أو ما علمت أنّك [إنما] سُنِيت^٢ من عِقالك لعقّالك^٣ ،
وقدّمتَ أوّل قدمك لسفكِ دمك ، وبسطتَ مكفوف كَفّك لسلطان حتّفك ،
فقلّمتَ شبا أقدامك لاصطلامك ، وحبرّتَ بحبرك لذهاب خبرك ، ومشقّت
في قرطاسك لمشقّ راسك ، فما حقيقة جوابك على خطّل خطابك ،
إلاّ سلبك عن إهابك ، وصلّبك على بابك ، لو كان بالحضرة أقيال ،
وحضرك رجال ، لكنّك بين همّج هامج ورعاع مائج ، مذبذبين بين
ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء (النساء : ١٤٣) . فأقسم ببارئ النسم ،
وناشر الأمم من رفات الرّم ، لأصيرنّ عليك أيها السّخيف المضعوف ،
— على نذالتك وفسالتك — عرض البساط ، أضيق من سمّ الخياط ، ولأخلطن
قِصْبك بعصبك ، ولأجمعن بين سحرّك ونحرّك ، ولأخلدك سمرّاً غابراً ،
ومثلاً سائراً [أو نُشوّه بحيّاك ، ونخلق سبالك من قفاك ، وتحتزّم بزُتارك ،
وتلحق بأديارك] مآلك ومترّآك ، أسرتك الأرذلين ، وعِرتك الأنذلين ،
الصّهب السّبال ، من ولغ الدم وشرب الأبال ، أكلة الجيف ، وحلة
الكنف ، الوضّح الرّجّج : رُجّج الأكفال ، وضّح كذوات الأحجال ، فليله
أبولك لقد أجدت في قومك الوصف ، وبسطت لنا منهم النّصف^٤ ، وأنا

١ ط د س : فرد عليه أبو جعفر برقعة قال فيها .

٢ ط د س : سمحت .

٣ العقال : الحبل يعقل به البعير ؛ وفي س : لاعتقالك .

٤ ب م : الرصف .

الآن أنصف ، وفقارك أقصف .

عُلِّمَ حِلْمٌ : عُلِّمَ بالتَّداوي من القَرَمِ وَمَنَافِعِ الْعُلَمِ ، حُلْمٌ عَنْ كُلِّ مُجَاوِزِ الْحُمِّ ذِي طَعْنٍ سَدِيدٍ بَعْدَ سَدِيدٍ .

جُمُحٌ طُمُحٌ : الْآنَ صَدَقْتَ ، وَغَلَطْتَكَ يَا فُظْنَ اسْتَدْرَكْتَ : جُمُحٌ فِي الْإِحْجَامِ عَنِ الْإِقْدَامِ ، طَلَبَ الْفِرَارَ يَوْمَ الْإِنْتِصَارِ وَإِدْرَاكَ الثَّارِ ، طُمُحٌ إِلَى كُلِّ رَمُوحٍ طَمُوحٍ ، يَطُولُ الشَّبْرَ وَيُطِيلُ الشَّبْرَ ، مَعْلَبٌ مَغْلَبٌ^٢ ، ذِي خَلْقٍ^٣ مَرصُوصٍ وَهَامَةٍ كَالْفَصُوصِ ، إِيَّاكَ وَلُعَابِكَ أَنْ يَمْحُوَ كِتَابَكَ .

حِمَاةُ السُّرُوحِ بِنَاةُ الصُّرُوحِ : النِّصْفَةُ^٥ يَا كُشَاجِمُ لَا الْأَنْفَةُ ، غُضٌّ قَلِيلًا مِنْ طَرَفِكَ ، وَأَمْسِكْ بَعْضَ عَنَانِ طَرَفِكَ ، وَلِنَتَحَاكَمْ فِي ذَلِكَ إِلَى ظَرْفِكَ ، هَلْ يَجُوزُ فِي التَّحْصِيلِ ، أَوْ يَصُحُّ فِي الْعُقُولِ ، أَنْ يَحْمِيَ قَوْمُكَ سُرُوحَ شَائِهِمْ ، وَقَدْ أَبَاحُوا فُرُوجَ نِسَائِهِمْ ؟ أَلَيْسَ هَذَا عَيْنَ الْمَحَالِ وَمِغَالِطَةِ الْجُهَّالِ ؟ فَهَلَا تَوَهَّمْتَ يَا فُتَى الْجَوَابَ قَبْلَ الْخُطَابِ ، وَأَبْصَرْتَ الْوَرِطَةَ قَبْلَ السَّقْطَةِ ؟ !

وَأَمَّا مَا قَعَقَعْتَ بِهِ وَوَعَوَعْتَ مِنْ صَوَاحِبِ الرَّأْيَاتِ ، فَهِنَّ وَأَبْيَاكِ

١ الشبر : الجماع .

٢ المقلب : الصلب الغليظ ؛ المقلب : الغليظ أيضاً ؛ وعند هارون : المقلب المقلب : بمعنى المسمن ذو الغلظة ؛ ولو قرئت اللفظة الثانية « المقلب » لكان أصوب ، وهو الذي نزعته قلفته .

٣ ط د س : خلوص .

٤ ط د س : نمة .

٥ ب م : القصعة .

بعضُ بنات ربة الإيابة^١ ، إماننا المسيبات الممتهنتات ، ملكتناهنَّ ظبا البيض الهندية ، وشبّا السُّمر الرُّدينية ، فما عَجنا بهنَّ عما عودتموهنَّ من البيغاء للاسترضاء ، فكثّر معشر العُربان من ولد سارتكم الإماوان^٢ والعبدان ، وفيك وأبيك من ذلك أصحُّ دليل وأوضح برهان . فهلاًَّ يا فتى ثَقِفْتَ ، ودونَ هذا الفصل وقفت ؟ !

رجع^٣

بُصْرٌ صُبْرٌ : <بُصْر> بتركيب عُصَب [١٩٦ أ] أنابيب السُّرر ، ومنافعها [بزعمهم] للجِسم والبصر ، صبر على إيغال الغراميل الطَّوال .
سُرْجٌ وهُجٌ : سُرْج المَضاجع ، وهج تحت المَضاجع ، لا يُطفأ وهَجَانُ ذلك السُّعر^٤ ، إلّا بدافقِ ماء الكَمَر .

مُلْسُ الأَدُم ما حاكوا قَطُّ بُرودا ولا لاکوا عُرودا : هذا وأبيك من التعريض الرقيق في مقالك وآلك ، وذلك أنك وصفتهم بأمّلاس الجلود ، وقفيت بنتي لوك العُرود ، فهذا لعمرك من بديع التحقيق ، فافخرْ فهاتان صفتان سلّمتا لأجلك لقومك . وأما لوكهم^٥ العُرود فأوضح من السّراج الوهّاج في اللّيل الدّاج ، لكن ألمع بذلك لمعة تشهد بذاتها على ذواتها وذلك أن قد تحدّث أن ولدانكم عطّلوا في بعض أعوامكم سُوقَ نساءكم ،

١ ط د س : ربات ؛ ب م ط د س : الآيات .

٢ الاموان : جمع أمة .

٣ ب م : رجع الحديث إلى ابن اسحاق .

٤ في النسخ : صبر بصر ، ورددته ليتفق مع ما ورد في رسالة ابن غرسية .

٥ ط د : السعير .

٦ ط د س : لوك .

فَنُصِي ذلك إلى المليك^١ العظيم ، فحَكَمَ أَكْرَمَ به من حَكَمَ^٢ أن يبيع النِّسوانُ
من أنفسهنَّ ما أَباحَ الولدانُ ، فامتثلن ذلك ، فاتَّسَقَت الحالان ونَفَقَت
السُّوقان ، وما سُمِّعَ في الأزمان بأغربَ من هذا الشَّان ، فاشمَخَ بأنفك ،
وافخرَ بِنَصْفِكَ^٣ .

وأما حَوْكُكُمْ^٤ البرود ، فناهيك من الغِفارة الإفرنجية إلى الديباجة
الرومية ، والنَّسبتان بذلك تشهدان .

وأما فخركَ برَبَّة الإيالة^٥ فيا ليتَها حين ولدتكم ثَكَلتكم ، فلقد
سريلتموها عاراً مجدداً ، وعصَبتم بها شئناً مخلداً ، حين خِمتُم عن الكفاح ،
حذَرَ الصَّوَارِم والرِّماح ، فأسلمتم لعدائِها من بناتها ، كل طَفاة رَدَّاح ،
جائلة الرِّشاح ، ذات ثغرٍ كالآفاق ، وغُرَّة كالصباح ، أعجِلن عن لَبَوث
أزُرهن واعتجار خُمُرهنَّ ، فعوَّضن من الإذلال [بالإذلال] ومن
الحِجَال بالرجال :

خلفَ العَضاريط لا يوقينَ فاحشةً [مستمسكاتٍ بأقناب وأكوار]^٦

وأما ما عيَّرت به العرب من الاعتداء بالحيات ، فكتفذيكم^٧ بالدِّماء

١ ط د س : مليككم .

٢ ط د س : محكم .

٣ ط د : بيضك .

٤ ب م : حوكهم .

٥ في النسخ : الآيات .

٦ البيت للناطقة الذبياني ، ديوانه : ٨٢ وروايته :

خلف العَضاريط من عوذى ومن عمم مردفات على أحناء اكوار

والعَضاريط : الأجراء والتباع ، وعوذى وعمم من لحم ؛ والأكوار : الرجال .

٧ ط د س : وعيرت العرب بالاعتداء . . . لتغذيكم .

والمَيْتَات ، فيمتاز الضدّ ويقع الحدّ ، بين من تناهت جرّأته وماتت همّته . على أن لا افتخارَ في مشربٍ ولا مطعم ، لعرب ولا لعجم ^١ . وكذلك ما عيّرتهم به من حرق الجِلّة والبعر ، غُرُوا بإضرار النّيران ، وانضاج سدف الثّنيان من البعران ، لإكرام الضّيفان ، ولإطعام المقرور الجّوعان ، إلى أن عَدِموا الأرطى والغضا ، وموجودَ السّحر ، وسائر أنواع الشّجر ، فلجأوا إلى الجِلّة والبعر ، فهل تقدّم لأحد من الأمم مثل هذا القدم في الكرم ، يا قذار العجم ؟ !

وكذلك وصفك قومك بأن ليسوا حفرةً أكر ، ولا حفرةً عكّر : اللهُ أجلُّ الأكر أن يحفروها ، والعكّر أن يحفروها ، لكنّهم حفرة جحشان ، وحفرة كُهوف وغيران ، اتخذوها مخبأً عن حبائل ^٢ العُربان ، وملجأً من وقع الصّوارم والمُرائن ، فعِل الحِزَّان ^٣ واليرابيع والجُرذان ، وشبه ذلك من أنواع الحيوان . [١٩٦ ب]

وأما فخرك بعلمهم الشرائع ، فمن أبداع البدائع ، استنّت الفِصَالُ حتّى القَرَعي ^٤ ، وجهلهم بذلك أوضح من أن يُشرَح ، وأبين من أن يبيّن ، لكن أنكُت من ذلك نُكُتة ، وأنبذُ منه نبذة تصفعهم صفعاً ، وتردُّ صُهبَ أدُمهم سُفْعاً ؛ وأنتى يكون ذلك كذلك ، هُبِلتَ لآلِكَ ، ولم يأخذوه عن بيّ ، ولا نَقَلوه عن حواريّ ، ولم يزالوا يتعاورون أصلهم الإنجيلَ بالزيادة والنّقصان ، إلى أن أصاروه في حَيَزِ الهذيان . وحسبك بهم جهلاً

١ ط د : مطعم ولا مشرب لعجم ولا لعرب ؛ س : مطعم ولا مشرب لعرب ولا لعجم .

٢ هـ : حبال .

٣ الخبر : جمع خرز وهو ولد الأرنب .

٤ : هذا صريح يصرح لرجل يدخل نفسه في قوم ليس منهم ، انظر فصل المقال : ٤٠٢ ؛ والجمهرة

٣ : ٨٢ : ٣٠ : ٧١ .

أنهم يعتقدون إلهاً نبيهم ، فوسموه^١ بالرب المعبود ، وصيروه بعد مصابوب اليهود ، فاعجب لجهل يجمع بين هذين الطرفين . وأعجب من ذلك أنهم مُجمعون أن عيسى ينزل إلى الأرض لحساب الخلائق يوم العرض ، فما ظنك يفعل اليهودية على ما قدّموه على زعمهم من صلبه إذا ناقشهم الحساب ؟ فهل يصحُّ بهذه الآراء الضعيفة والعقول السخيفة دين أو يثبت [لهم معه] يقين ؟ ولولا أنني أجلُّ قلبي وأنزّه قلبي عن سخافاتهم في دياناتهم ، وبرساميهم^٢ في أحكامهم ، لأوردت من ذلك ما لا يستجيزه إلاّ مثال قومك العجَم ، عقول البُوم والرخم .

وأما علم الطبائع فسلم بعضها لهم ، لما تقدّم في أثناء الرسالة ، من علمهم بخواص تلك الآلة ، والصدقُ أزين ما به نطق وإليه سبق .

وما ذكرته من أبي رغال ، فذلك جيدٌ محتال^٣ ، قاد أعداءه^٤ علماً منه باستئصالهم على اختيارهم إلى بوارهم ، فعجل الله بأرواحهم إلى نارهم .

والآن تذكرت مساق أبي غبشان ، وما أنسانيه إلاّ الشيطان ، ذلك الذي به ظننت ومن قضيته عظمت^٥ ، وليس الأمر كما توهمت ، لأن الكعبة بيت الله وملكه لا شريك له وضعه الله تعالى للعباد ، وسوّى بين العاكف فيه والباد ، وأبو غبشان إنما باع خِدْمَتَه في البيت [وهبها وصمة سفينة العري^٦ ، أين تقع من قضية إمامكم يهوذا الحواري] إذ باع نبيّه روح

١ ط د س : فسموه .

٢ البرسام : علة تسبب الهذيان .

٣ ب م : مختار .

٤ ط د : باد وأعداه .

٥ ط د س : وقضية أبي غبشان التي عظمت .

٦ هارون : قضية . . . الغوي .

الْقُدُس من اليهود أعدائه بالأفلس ، فكذَّب الله ظنَّه وأنجى نبيَّه ، فدونك
ضَعَّ قضية سفيهنًا في كذَّة وفي أخرى قضيةَ إمامك ، ورجَّح بينهما بفصَّ
خيتامك^١ .

وأما وصفك قومك أنَّهم مُجْدُّ نُجْدُ ، شَمْخُ بُذْخ ، [عرقُ غرقُ :
فهيهات هيهات ذلك منهم !! تلك صفات قومنا العرب ذوي الأنساب
والأحساب ، والعلوم والحلوم ، أولي اللِّسَن والبيان واللَّحَن ، والإسهاب
في الصواب ، والحكمة وفصل الخطاب ، فرسانِ العرب^٢ وأرباب القِيَاب ،
ومُعَمِّلِي الصوارم والحِرَاب ، أنديتهم عراضُ المنيَّة ، وأرديتهم بيض
المشرفيَّة ، ولبوسهم مُضَاعَفَةُ المأذية^٣ :

سَهَكِن من صدل الحديد كأنَّهم تحت السَّنَوْر جِنَّة البَقَّارِ^٤

مجالسهم الشُّرُوج ، وريحانهم الوشيج [١٩٧ أ] ومُوسِيقاهم^٥ رَنَات
الرُّدِينِيَّات ، وطُوبِيقاهم^٦ نغمات الشَّرِيجِيَّات ، لم تكن قادتُهم النِّسَاء ،
ولا إرادتُهم في آجالهم النِّسَاء^٧ ، مناهم تعجيل مناياهم :

يَسْتَعْذِرُونَ مناياهم كأنَّهم^٨ لا ييأسون من الدنيا إذا قَتَلُوا^٩

١ س : يبعض ختامك ؛ ب م : بفص .

٢ العرب : الخليل العرب ؛ هارون : الأعراب .

٣ المأذية : الدروع اللينة ؛ المضاعفة : التي نسجت حلقتين حلقتين .

٤ البيت للنابغة ، ديوانه : ١٠٠ ، والسهكة : خبث الرائحة ؛ السنور : الدروع أو السلاح
كله ؛ البقار : موضع برمل عالج ؛ يقول كأنهم في سلاحهم جن . من جن ذلك المكان .

٥ ب م : وموسيقاتهم .

٦ ب م : وطريقاتهم ؛ وطوبيقا تعني العبارة .

٧ ب م : أراد بهم ؛ هارون : رادتهم ؛ النساء : التأجيل ، والمعنى أن التأخير في الأجل
لم يكن من همهم ، وفسر ذلك بقوله : « مناهم تعجيل مناياهم » .

٨ البيت لأبي تمام ، ديوانه ٣ : ١٧ .

عُنُوا بِمَدِّ أَطْنَابِ الْأَفْنِيَةِ ، عَزَّةٌ وَأَنْفَةٌ عَنْ تَشْيِيدِ الْأَبْنِيَةِ ، مُحَالِفِي
الصَّحَاحِ وَالْبِيدِ ، فَعِلَ الْأَسَاوِدُ وَالْأَسُودُ ، قُصُورُهُمُ الْمَنَاهِلُ ، وَمَعَاقِلُهُمُ
الذَّوَابِلُ . صُبْرٌ وَقُرٌّ : إِذَا ثَارَ الْغُبَارُ ، وَاسْوَدَّ النَّهَارُ ، وَحَسُنَ الْفِرَارُ ،
وَذُهِلَتِ الْأُذْهَانُ ، وَأَبْهَمَ الْعِيَانُ ، وَتَلَجَّلَجَ اللِّسَانُ ، وَتَلَاطَمَتِ السِّيُوفُ ،
وَحَمِيَتِ الْحَتُوفُ ، وَقَلَصَتِ الشَّفَاهُ وَخَنَسَتِ الْأَنْوُفُ ، وَعَصَبَ الرَّيْقُ
<بِالْأَفْوَاهِ> وَتَعَانَقَتِ الشُّجْعَانُ ، وَتَشَاجَرَ الْمُتْرَانُ ، وَبَرَحَ الْحَمَامُ ، وَفُلَّ
الْحَسَامُ ، وَحَمِيَّ الْوُطَيْسُ ، وَتَفَتَّتِ الْأَقْدَامُ وَالرَّعُوسُ ، فَلَا تَرَى إِلَّا حَزَّ
الْغَلَاصِمِ ، وَشَيْمَ الصَّمَامِ فِي الْجَمَاجِمِ ، فَهَنَالِكَ تَلْقَاهُمْ ، لَا دَهْمَكَ
لِقَاهُمْ ، أَقْبَالَ الْأَقْبَالَ ، شَمَرَةُ الْأَذْيَالِ ، أَسُودَ الْأَغْيَالِ ، حُمَاةَ الْأَشْبَالِ ،
لَا مُلْسَ أُدُمٍ وَلَا جَرَّةَ الْأَذْيَالِ ، وَهَكَذَا فَلْيَكُنْ أَقْبَالُ الرِّجَالِ ، يَا مَسْلُوبَ
الْحِجَالِ .

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَزُّ الذُّيُولِ^٢

وَمَا كَانَ أَغْنَاكَ يَا كُشَاجِمُ ، عَنْ كَشَفِ عَوْرَاتِ آلِكَ الْأَعَاجِمُ ،
لَكِنْ ضَعُفَ نَظْرُكَ ، حَدَاثَكَ إِلَى هَذَرِكَ ، وَسُوءُ أَدَبِكَ ، وَافِي بَكَ عَلَى
عَطَبِكَ ، نَسْأَلُ اللَّهَ سِتْرًا يَمْتَدَّ ، وَوَجْهًا لَا يَسُودُ .

قال أبو الحسن : وممن ردَّ أيضاً على ابن غرسية^٣ وأجاد ما أراد أبو
الطيب عبد المنعم القروي^٤ ، برسالة أثبت أكثر فصولها ، على طولها ،

١ ط د : وأم ؛ س : وترنم .

٢ البيت لعمر بن أبي ربيعة ، ديوانه : ٣٣٨ .

٣ ط د س : أيضاً عليه .

٤ ط د س : عبد المنعم بن . من الله القروي ؛ قلت : كنيته أبو الطيب دخل الأندلس وحدث
في شريقها عن ابن البر الصقلي ، وكان أديباً شاعراً ، توفي سنة ٩٣ هـ (الصلة : ٣٧١) =

لاشتمالها على المآثر العربية ، والمفاخر الإسلامية ، قال في أولها مفتتحاً :

وذي خطل في القول يحسب أنه مُصِيبٌ فما يُلَمِّمُ به فهو قائلُه^١
نهدتُ له حتى ثنيتُ عنانَه عن الجهل واستولتُ عليه معاقلُه
تعالَ فخبّرني علامَ تشدّدت قُوى العير حتى أحرزتك مجاهله .

وفي فصل منها: أيُّها الفاخر بزعمه ، بل الفاجر برُغمه ، ما هذه البسالة في الفسالة ،
ما هذه الجسارة على الخسارة ، لقد تجرأت ومن المِلَّة تبرأت ، وكيف جهلت
حتى وهلت ، وكيف زلت حتى ضللت ؟! أباالعرب تمرّست وفي مجدها
تفرّست ، وعلى شرفها [١٩٧ ب] تمطّيت ، وإلى سُودَدها تخطّيت ،
أما تهدّيت لما تعدّيت ، أما وجمت مما هجمت ، أما اتقيت مما ارتقيت ؟ !

إنا إذا ما فئتُ ناقاها^٢ نردُّ أولاهها على أخرها
نردُّها داميةً كلاها قد أنصف القارة من رامها

وفي فصل : فأخبرني عنك أما كانت للعرب يدٌ تشكرها ، ومِنَّةٌ
تذكرها ؟ أما جبرّت نقيصتك ، أما رفعت خسيستك ؟ أما استنهضتكَ
من وهلتك ، أما أيقظتكَ من [غفائك و] رقدتك ؟ ألم تُربِّك فينا وليدا ، ألم
تتخذك لها تليداً ؟ ألم تُعْنِ بتخريجك وتدريجك ؟ أما أنطقتك بعد العجّة ،
أما أسلقتك^٣ عقب اللكنة ؟ حتى إذا اشتد كاهلك وعلم جاهلك ، وقوي

= وقد ذكر البلوى رسالته ، وكذلك صاحب كشف الظنون بعنوان « حديقة البلاغة ودوحة
البراعة ... الخ » .

١ البيت لزهير بن أبي سلمى ، ديوانه : ١٣٩ .

٢ انظر الميادي ٢ : ٣١ في المثل « قد أنصف القارة من رامها » .

٣ أسلقتك : جعلتك ذا سليقة ؛ وفي ب م : أما بلغتك عيب اللكنة .

ساعدك ورقّي ضاعدك ، كفرت نعمتها لديك ، ونثرت عصمتها من بين يديك ، وأخذت تطاولها^١ بأرسانها ، وتقاولها بأسانها ، وتناضلها بسهامها ، وتهاطلها برهامها^٢ ، أحين فكّت أسرك من أقذورة القلف ، وأخذت بضبعيك من أهوية التلف ، وشدتّ ظهرك للمتان^٣ ، واعتمدت طهرك بالختان ، ناهضتها بحسامها ، وجاهضتها بكلامها ، ورميتها [بسهامها] ، عن قوسٍ هي نبعثها ، ومن هضبةٍ هي قلعتهُ ؟ !

أعلمه الرماية كلّ يوم فلما اشتدّ ساعده رماني^٤

وفي فصل : وهاتِ أرنا مفاخرَك ، نُرِكَ مَسَاخِرَك . أنت صاحب الشُّهْب الصُّهْب ، والسَّنَةُ شُهْبَاء ، والجَهَامُ صِهْبَاء . كذلك أنتم لا خير ولا مِير ، ولا عَمْرُو ولا عُمَيْر ، ليس للسَّخَاء بالرومية اسم ، ولا للوفاء في العَجْمِيَّة رسم . أين أنت عن السُّمْرِ القُدْر ، البيض غُرُراً وصفاحاً ، السُّود طُرُراً وأوضاحاً ، الدُّعْج عيوناً ورماحاً ، البُلْجُ وجوهاً وسماحاً ، قِمَمٌ في العِمَائِم ، وَهَمَمٌ في الغِمَائِم ، سَعَرُوا عليكم نارَ الحرب ، بتلك الأيُنُقُ الجُرُب ، فكسروا أكاسرتكم ، وقصّروا قياصرتكم ، فسفكوا دماءهم ، وأباحوا أحماؤهم ، وأحمدوا نارَ صولتكم ، ونحوا آثارَ دولتهم^٥ ، وطهّروا

١ ط د : تسايروها .

٢ الرهام : جمع رهمة وهي المطرة تكون أشد من الديمة .

٣ ط د : بالبيان ؛ س : بالإيمان ، خ بهامش س : بالمتان ، والمتان أو الماتنة : المباراة في الجري إلى الغاية .

٤ البيت لمعن بن أوس ، انظر اللسان (سدد) وفيه : فلما استد .

٥ ط د س : كياسرتكم .

٦ ط د س : صولتكم . . . دولتكم .

الأرض المقدسة من أنجاسكم ، والمسجد الأقصى من أرجاسكم ، الذين يَنجُونَ ولا يستنجون ، ويُجَنَّبُونَ ولا يتطهَّرون ، رعاة الخنازير ، وأكلة السنانير ، وطهارة التناير ؛ أمّا رجالكم فقلُّفٌ غُلْفٌ ، وأمّا نساؤكم فقُدْرٌ بُظُرٌ ، لا يعرفون الخفاض ولا الختان ، ولا يَأْلِفُونَ السَّنَانَ ولا العنان . ويحك ما^١ آثرت وبمن كاثرت ، أما استحييت مما انتحيت ؟ ! هل كانت العربُ إلّا كَتَرُ عَزٍّ وذُخْرُ فَخْرٍ ، وخبيثةٌ ذخرها الله إلى الوقت المحتوم ، وأسكنها أرضاً يرغب عنها أولو البطنة ، ويرغب [١٩٨ أ] فيها ذوو الفطنة ، حفظ فيها أحسابها ، وطهَّرَ بها أنسابها ، واختارها ليختار منها صفيَّه ، وميَّزها ليميز منها حقيَّه ، ثم اختصَّها بالأحلام الزكية ، والأفهام الذكيَّة ، [إن جاورتهم نصَّروك ، وإن حاورتهم مضروك] وإن فاضلتهم فضلوكم ، وإن ناضلتهم فضلوكم ، وإن طاولتَّهم طالوكم ، وإن استتلتهم أنالوكم ، بالكرم يلهجون ، وبحسن الشيم يبهجون ، يمشي أحدهم إلى الموت ثابتةً وطأته ، فسيحةً خطوته ، شديدة سطوته ، جرياً على الكُماة جَنَانُه ، لبقاً^٢ بتصريف القناة بنائه^٣ ، بصيراً بمهج الدَّارعين سنانه ، وأنتم كما وصفت^٤ مُلْسٌ لِمُسٍّ ، لا تُغيرون ولا تغارون ، ولا تمنعون ولا تمتنعون ، قُلُوبكم قَوَاءٌ ، وأفندتكم هَوَاءٌ ، وعقولكم سواءٌ ، قد لانت جلودُكم ، ونهدت نهودكم ، واحمرتْ خدودكم ، تحلِقون اللَّحَى والشَّوَارِبَ ، وتتهادَوْنَ القُبُلَ في المشارب ، وتعفون اللحم ، وتوفررون اللحم :

١ ط د س : بما .

٢ ط د : لقناً .

٣ من قول عبد يغوث بن وقاص الحارثي :

وكننت إذا ما الخيل شمصها القنا ليبيقاً بتصريف القناة بنانيا

٤ ب م : وصفتهم .

والحرب^١ لا يبقى لصا حبها^٢ التخيل^٣ والمراح^٤
الا الفتى الصبار في الن^٥ جدات^٦ والفرس^٧ الوقاح^٨
يا بؤس^٩ للحرب^{١٠} التي وضعت^{١١} أراھط فاستراحوا

والعرب تدم^{١٢} بالدعة^{١٣} ، وتهجو بالسعة^{١٤} ، وتفخر بالجلادة^{١٥} ، وتتجشع^{١٦}
بالصلادة^{١٧} ، فإن فاخرتها بغير الطعام والشراب^{١٨} ، ولكن بالطعان والضراب^{١٩} ،
وما عليك من لوك العرود^{٢٠} ، أخيفت إعجازها^{٢١} ، وخشيت إعوازها^{٢٢} ؟ أليك^{٢٣}
حاجة إليها^{٢٤} ؟ ألك حرص^{٢٥} عليها^{٢٦} ؟ لشد^{٢٧} ما أدركتك الحمية فيها^{٢٨} ، وحركتك^{٢٩}
العصبية لها^{٣٠} ! هذه نادرة لم تحرد لها وبادرة لم تقصد قصدها^{٣١} ، وأنت إن شاء
الله بعيد منها^{٣٢} . ومن الآيات ذكر صواحب الرايات^{٣٣} ، والمباضعة^{٣٤} عندكم
كالمراضعة^{٣٥} ، مافي الشكر عندكم نكر^{٣٦} ، [تبيحون^{٣٧}] ولوج العلوج^{٣٨} ، على
بدور الحدوج^{٣٩} ؛ الزنا عندكم سنا^{٤٠} ، والفجار بينكم فخار^{٤١} ، تقتادونهن^{٤٢}
وتستأدونهن^{٤٣} ، فكيف أنكرت ما ذكرت^{٤٤} ، وسرفت ما عرفت^{٤٥} ، وأنت على
سنن تلك السنن^{٤٦} ، الحال قائمة والقصة دائمة :

* وأول راض^{٤٧} سنة^{٤٨} من^{٤٩} يسيرها^{٥٠} *

ومتى كنتم تصبرون ولا تصبّرون^{٥١} ، وفي أي المواطن تظفرون ولا

١ الأبيات لسعد بن مالك من قصيدة حماسية رقم : ١٦٧ (المرزوقي : ٥٠٢) مع اختلاف في ترتيبها .

٢ الحماسة : إلحاحها .

٣ النجدات : الشدائد ؛ الوقاح : الجريء الصلب .

٤ طدس : الحدود .

٥ من قول خالد بن زهير ابن أخت أبي ذؤيب الهذلي ؛ وصدر البيت : فلا تجزعن من سنة أنت سرتها (ديوان الهذليين ١ : ٢١٣) .

تُظَنَّفَرُونَ ؟ أليس شعاركم : الهَرَبَ الهَرَبَ ، هذه العرب ! ! أليس قد دفعوكم بكفاحكم وصفعوكم^١ بصفاحكم ؟ أليس الذين قَوَّموا أَلَسْنَتَهُمْ ، وأرسلوا أَعْنَتَهُمْ ، من أعالي نجدٍ وأسافل تهامة ، وضواحي طَيِّبَةِ ونواحي اليمامة ، ومما بين مدين إلى عدن ، لا يردُّهم رادَّةً^٢ ، ولا تصدهم صادة ، حتى أهلكوا ساسان وكاسان ، وملكوا خراسان وماسان [١٩٨ ب] ، وسلَكُوا بالقَهْر ما وراء النهر ، فأدخلوكم الدُّرُوب وألزموكم الكُرُوب ، بجريدة خَيْلٍ وطريدة وِيلٍ ، وأمضوا فيكم العزائم ، وأرضوا منكم الهزائم ، حتَّى أجحروكم روميَّة الدِّفْءاء ، والقسطنطينيَّة البخراء ، لا تاوون على تريك ، ولا تعوجون على ضريك^٣ ، ونازلوكم منها على ذراعَيْن ، وصرعوكم بين المِصرَاعَيْن ؟ ! ألم تبلغك ضربةُ يزيدَ بعموده^٤ ، وخبرَ خالد بن يزيد في أخدوده ؛ والرَّايَةُ المعلمة والآية المحكمة ، مسجد مَسْلَمَةَ^٥ ؟ [ثم كم قَائِظَةٌ غائِظَةٌ ، وصائِفَةٌ عليكم طائِفَةٌ^٦] ؛ ثم عَطَفُوا مغرِبِينَ ، وللأَرْضِ مَجْرِبِينَ ، فما تركوا من الأعاجم عاجماً ولا ناجماً ، ولا أبقوا من البرابر عابراً ولا غابراً [وساروا قدماً يذبجون البرَّ ذَبْجاً ، ويسبجون البحر سَبْجاً] حتى طَرَقَكُمْ طارِقُهُمْ في هذا الطَّرَفِ ، ورشَقَكُمْ راشِقُهُمْ في هذا المَهِدَفِ ، واقتحموا عليكم هذه البلاد فأوطئوها ، وكأَنما رموها بالحجارة فما أخطأوها ،

١ ب م : وصفوفكم .

٢ ط س د : فصاروا معرقين وعلوا مشرقين لا تردهم رادة .

٣ التريك : البيضة أو العنقود إذا أكل ما عليه ؛ الضريك : الفقير السيء الحال .

٤ ط د س : أما بلغك . . . بعموده .

٥ ط د س : وقبر .

٦ س : ثم مسجد مسلمة .

٧ ط د : ماقطة غابطة وطايعة عليكم طالمة .

فملكوا أرضكم بساحتَيْها ، وأحاطوا بها من ناحيتَيْها ، سلبوها بأقطارها ،
وحلبوها من أشطارها :

وضمُّوا جناحيكم إلى القلبِ ضمةً^١ تموت الخوافي تحتها والقوادم^٢

[فما تعرَّضك لقومٍ سلَكوا بلادَكم ، وملكوا تِلادَكم ، واستعبدوا أولادَكم .
ثم إنَّهم حينَ قدَّروا غفروا ، ووضعوا الإتاوة على جماجمِ الأعاجم ، والوشوم^٣
في براجمِ العلاجم^٤ ، فلا يحضرون العَشَّارَ إلَّا بالغيار^٥ ، ولا يشهدون الأسواقَ
إلَّا بالأطواق ، فإن دخلتم في الدِّينِ قُطِيعت أستاذُهم ، وإن خرجتم منه
أُخِذت التي فيها شفاهُم^٦ ، وكنت أنت من رذايا تلك السَّبَّايَا ، ومن عبايا
تلك الخبايا ، ومن خطايا تلك العطايا ، فلا تحرِّدُ حرِّدُ المَقهور ، ولا تضجِّرُ
ضجِّرُ المَبهور ، ولا تحنِّقُ حنِّقُ الأسير على القيد^٧ ، ولا تغضبُ غَضَبَ
المستقي على العيد^٨] ولا بأس عليك فقبلك ما قصرُوا الأُمم ، وهَصَرُوا القمم^٩ ،
وهم أبكار الزمان وأفكار الأوان^{١٠} ، لهم العرب العاربة ، ومنهم عادُ الغالبة ،
ذات^{١١} الأحلام السِّداد ، والأجسامِ الشِّداد ، وإرم ذاتِ العماد التي لم يخلق
مثلها في البلاد ، ومنهم لقمانُ صاحب النُور وباني القُصور ، ومنهم

١ البيت للمتنبى ، ديوانه : ٣٧٨ ، وغير في الرواية تعمداً .

٢ ط د : والوجوم ؛ وأثبت رواية س ، وعند هارون : والمرسوم .

٣ هارون : السلاجم ؛ والعلاجم : جماعات الناس ، والمعنى أنهم وشموهم على أيديهم ،
لكي يعرفوا إلى أي قرية ينتمون ، كما يزوى من فعل الحجاج .

٤ العشار : قابض العشر ؛ الغيار : علامة أهل النمة ؛ ط د س : العيار .

٥ التي فيها شفاهُم : كناية عن الرؤوس ؛ س : أخذ فيه شفاهُم .

٦ ب م : وصهروا بالقسم ؛ ط : القسم .

٧ ط د س : الأمان .

٨ ط د : ذوات .

ثمودُ الذين جابوا الصَّخْرَ بالواد ، ونحتوا البيوتَ في الأطواد ، يتخذون السهولَ قصوراً آمنين ، ويعمرون الأرضَ ساكنين ، لهم القَضْبُ والحُضِيمُ ، والنخل التي طَلَعُها هَضِيمٌ^١ ، ومنهم العمالقةُ والجبَّارون ، والفراعنة القهَّارون ، أنتم لهم أكارون ، [وحرية عكَّارون]^٢ ، اتخذوكم أكساباً ، واتخذتموهم أرباباً ، ومنهم التَّبابعةُ الأكملون ، والمرابعةُ^٣ الأفضلون ، ومنهم ذو القرنين صاحبُ السدِّ ، وَشِمْرٌ مخرَّبٌ سمرقند ، قال تعالى ﴿أَهْمٌ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ﴾ (الدخان : ٣٧) ، فضرِبهم مثلاً في الجلالة ، وغايةً في شرفِ الحالة . ولهم الملوكُ من حميرَ والمقاولُ من كهلان :

كانوا سماءَ الورى قبل النبيِّ وهم لما أتى الحقُّ فيهم أنجمٌ زهُرُ
سموا بملكهم قبلَ الهدى وسمَّوْا معَ الهدى فهم آوُوا وهمُ نصرُوا
ولاةٌ علاةٌ ، وسُماةٌ حماةٌ ، لهم العلُوُّ والعلاءُ ، وفيهم العباهلةُ والأذواء :

وما حمير في الناس إلا كباذخ يعيش الورى في ظله المتمدد
هم الأنفُ في وجه الزَّمان ومجدهم على صفحات الدَّهر ليس بجلمد
همُ ملكوا شرق البلاد وغربها وعلَّوا جياذ الخيل في كلِّ مورد [١٩٩أ]
وسدُّوا على يأجوج لما تتابعت على العَيْنِ في قِطْرِ من العين مبعد
ترى كلَّ معطوفٍ الوشاحين أحمص على كلِّ مخطوفٍ الجناحين أجرد
فمن أمردٍ في السلم في حلِّم أشيب ومن أشيب في الحرب في جهل أمرد
بأيديهمُ البَيْضُ الرِّقاقُ كأنها جداولُ ماءٍ الموتِ قيل لها اجمدي

١ القضب : الرطبة ؛ الحَضِيمَةُ : الحنطة ؛ هَضِيم : لين مري .

٢ الحرية : المحاربون ؛ العكار : الذي يولي في الحرب ثم يكر راجعاً ؛ طد : خزنة .

٣ المرابعة : لعله يعني من يكونون على ربيعة قومهم أي الرؤساء .

[فأين حصّاتك من جبالهم ، أم أين سفّاتك من نبالهم] .
وفي فصل منها^١ : وعلامَ جثّت أصلك من الأنباط ، وأزحت فصّلك^٢
عن الأقباط^٣ ، ما كان ذنبهم إليك وجنايتهم عليك ، حتى أخرجتهم عن
جملة الأعاجم [ونفيتهم] عن جنّة أصحاب التراجم^٤ ، بسبب كرميتهم ،
ومن أجل شريفتهم ، لتسبّ^٥ العربَ بولادةٍ من تعلق بك ، وتشبّت
بنسبك . أما علمت أنّ أحمقَ أفعالك ، وأخرقَ أقوالك ، سبّك عدوك
بولادةٍ امرأةٍ من أهلك ؟ أمّا هذا من جهّلك ؟ !
ولما قال ابن فضالة في ابن الزبير^٦ :

ومالي حين أقطع ذاتَ عِرقٍ إلى ابن الكاهليّة من مَعَادٍ^٧
قال عبد الله بن الزبير : لو علم لي أمّا هي شرٌّ من عمّته لسبّتي بها ونسبني
إليها ؛ أفلا ترى^٨ كيف غلب عليه حتى سقط شعره فيه ؟ ! وحاشا لمن

١ وفي فصل منها : سقطت من ط د س .

٢ ط د س : فضلك ؛ ب م : نصلك .

٣ ط : الأقباط .

٤ ب م : البراجم .

٥ ب : ينسب ؛ د : يسب .

٦ ابن فضالة : عبد الله بن فضالة بن شريك الأسدي ، وكان أبوه فضالة شاعراً فاتكاً صلوكاً
مخضرمّاً أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان له ابنان شاعران أحدهما عبد الله الوافد على ابن
الزبير والقائل له : إن ناقتي قد نقبت ودبرت ، فقال له : ارقمها بجلد واخصفها بهلب . الخ .
فهجاء بأبيات منها هذا البيت (انظر الأغاني ١٢ : ٦٥) وينسب البيت أيضاً لغيره ،
(انظر الخزنة ٢ : ١٠٠) .

٧ الكاهلية : أم خويلد بن أسد بن عبد العزى .

٨ ب م : ترون .

كنّا في ذِكْرِهِ، بل لها الشَّرَفُ الأرفعُ، والسَّناءُ الأمتعُ^١. هذا على اتّصال
نسبك بُرومان، [فإن كنت] من ولد كَتَعان فما أبعدَ دارك، وأشحطَ
مزارَكَ، وأطمسَ آثارَكَ!! وأمّا الخيلُ فسامِسِحِ العربَ بركوبها ووثوبها،
وخلّ بينهم وبين عيوبها، فلا حظّاً لك ولا لأصحابكَ فيها. عليكم بالبراذين
المحدّقة، والكوادين الموكّفة^٢؛ الخيلُ حَرِثُ العربِ وحَصَادُها،
وعُدَّتْها وأرصادها، ليست أمة من سائر الأمم الأعجمية تنازعها ذلك ولا
تدافعها عنه، تسميها بأسمائها، وتنسبها إلى آبائها، وتعرفها بأصواتها،
وتؤثرها بأقواتها، وإنّك لتعلم أنّ خيلَهم أشهر من ملوككم^٣ أسماء
وألقاباً، وأظهر من نسوانكم^٤ أنساباً وأعقاباً. قالوا: بنات أعوج وآل
الوجيه ولاحق، وبناتُ العسجدي وآل ذي العُقّال، وداحس والغبراء،
والجرادة والحنّفاء، والنّعامه والشمّاء، وحافل والشقراء، والزّعفران
والحرون، ومكنوم^٥ والبطين، وقُرْزُل والصريح^٦، [والعصا] والربذ
والوحيف، وأسماءها كثيرة، وألقابها شهيرة، ولعلّك أن تذكر لنا من
خيل آبائك الأوّلين، وأفراس أسلافك الأقدمين، فرساً مشهوراً، وفارساً
مذكوراً، فإن أتيت بذلك شهدنا وآمنا. ولو كنت فاخرت العرب بنصب
الدّواليب [١٩٩ ب] وعطف^٧ الكلايب، وغرس الأشجار، في الأحجار،

١ في النسخ: الأمتع، والتصويب عن هارون.

٢ ط د: والكوادين؛ المحدقة: التي قصرت أذنانها؛ الموكّفة: التي وضع عليها الاكاف
أو الوكاف.

٣ ط س د: من أسماء ملوككم.

٤ ط د: نسولكم؛ س: أنسالكم.

٥ هارون: ومكنون.

٦ ط د: والصريح وقُرْزُل.

٧ ط د: ونصب.

وقطع ما عظم من العيدان ، وعمَل العَلَاة والسَّنْدان ، رضيْنَا وسلَّمنا .
فأما نحر الليل بأذان الحيل ، وطَيُّ الفلاة بأيدي اليعمَلات ، وشنُّ الغارات
وطلب الثارات ، فلا عليكَ أن تخلِّي بينهم وبين شصائصهم^١ ، وألاً
تنازعهم في خصائصهم ، فإنَّها إليهم أقرب ، وهم بها أدرب ، وهي بهم^٢
أليق وأعلق ، [وهم إليها أسبق] وهم بها أصب وأملق . يركبون إلى
الحرب في ثياب الشرب . ويعتنقون الزوارس كما تعتنقون الأوانس :

لو كان في الألف منهم واحد ودعوا من فارس^٣ خالهم إياه يعنوننا^٤

وفي فصل : وما عبت من قوم ينزلون البَرَاح ويشربون القَرَاح ،
ويرفعون العِماد ويُعْظِمون الرَّماد :

الموقدون بنجد نارَ بادية لا يحضرون وفقد العزَّ في الحضر^٥
إذا همسى القطرُ شبتها عبيدُهم^٦ تحت الغمام للسايرين بالقطر

وقائلهم الذي يقول لغيره :

أوقدْ فإنَّ الليلَ ليلٌ قرَّه^٧ والريحُ فيها برَدٌ وصرُّ^٨
عسى يرى نارَكَ منْ يمرَّ إن جلبتْ ضيفاً فأنت حر

١ الشصائص : الشدائد .

٢ ب م : وهم بها .

٣ البيت من الحماسة : ١٤ (شرح المرزوقي : ١٠٧) لبعض بني قيس بن ثعلبة أو لبشامة بن
جزء (أو حزن) النهشل أو لشهشل بن حري ؛ وروايته : منا واحد فدعوا .

٤ البيتان للمعري . شروح السقط : ١٤٢ .

٥ الرجز لحاتم الطائي . وقيل إنه لأبي التقيار الراجز ، بحر بن خلف (الوافي : ١٠
الورقة ٣١ - أ) .

وفي فصل : وما أدري من أين كان فَقَدُ الأحطاب لو فقدوها مَثَلَبَةً
وليسَت راجعة إلى خَلْق ولا خُلِق ، ولا معدودةٌ في نسب ولا حسب ،
ولقد اهتديتَ إلى طريفة ، وانتهيتَ إلى لطيفة ، فسبحان الله ما أَصْدَقَ
حِسِّكَ وأسبقَ حَدْسَكَ!! تدفقت^١ وترققت . حتى توثقت وتحققت ،
لا، ولكنك تعمقتَ حتى تحمقتَ ؛ فإن كان الأمرُ كما ذكرت ، فأين
غَضًا نجد قُلَامَهُ ، وأين رَنَدُهُ وبَشَامُهُ ، وأين غَرَبَهُ ونَبْعُهُ ، وأين
سَلَمَهُ وسَلَمُهُ ، وأين العَتمَ والعَلَجَان ، وأين السَّاسِمَ والبَان ، وأين الشَّيزَى
والاثَاب ، وأين الرَّنَفَ والشَّوْحَط^٢ ، وكيف عَرَفُوا دوحَ الكَنهَبِل^٣ ،
ومساويكَ الإسحَل ؟ وكتابُ النِّبَات يشهد عليك . بما فيه من الأيكَ .
وقد عنفتَ على العرب وعَسَفْتَ . ارفقُ بهم رَفَقَ الله بك . اخفضُ
لها من جناحك ، عُد عليها بعطفٍ من جماحك :

لا تملأِ الدلو وعرقُ فيها أما ترى حبار من يسقيها^٤

وفي فصل : وكيف استجزت على فَضْلِكَ الباهر . وشَرَفِكَ -
[بزعمك] - الظاهر ، أن تستعينَ على فخرك بخلاف الحق ، وتلجأ في
تَهْوُرك^٥ إلى غير الصَّدق ؛ هل كان النُّعْمَانُ إِلَّا مَلِكَ أَمْلَاك ، وشمسَ

١ ب م : تدفقت .

٢ الرنف : من شجر الجبال ينضم ورقه إلى قضبانه ليلاً ويتفتح نهاراً ؛ الشوْحَط : ضرب
من النبع .

٣ الكنهبل : ما عظم من شجر العَصاة .

٤ الرجز في اللسان (عرق) ؛ وعرق في الدلو : جعل فيها ماء قليلاً . وحبر : اسم ناقته ،
وقيل هو الأثر أو الهيئة .

٥ ب م : قهرك ؛ س : بهرك .

أفلاك ، أصله عريق ، وفرعه وَرِيق ، اتخذتموه جباراً ودون العرب حجازاً ،
نزل الحيرة ، وأنتم له جيرة ، ملكٌ شهم من لدن مالك [٢٠٠ أ] بن فهم ،
له سَقْيُ الفرات بقضه وقضيضه ، يجبي خراجته ، ويستعبد أعلاجته ، قد
كفاكم ^١ العرب جمعاء ، من جَلَّقَ إلى صنعاء ، يذبُّ عنكم بماله واحتماله ،
بوضائعه وصنائه ، بعد عَقْدٍ مؤكَّدٍ ، وعهد منكم مؤبَّدٍ ، وأجارتِ العربُ
من أجار ، وأغارَتِ على ما أغار ، وحسُنَتْ حال الفُرسِ بمكانه ، وعزَّتْ
بسُلْطانه ، فلمَّا شَمَخَ على أعلاجكم ، وامتنع من زواجكم ، ولم تكن
العربُ تزوِّجُ احفائها ، أو يكون من اكفائها ؛ فقال لبأغي السَّواد ، عليك
ببقر السَّواد ، استزرتموه فغَدَرْتموه وغررتموه ، فكيف رأيتم غضبَ
العرب لثارها وطلبَها لأوتارها ؟ ألم تصدمكم بندي قار صدمة ذِي احتقار ،
فأدرَكْتُ فيكم رضى الرحمن وأخذتِ بئار النُّعمان ، وطحطحتِ بني
ساسبان وآل كاسان ^٢ ؟ ! ولم تَقْمِ للفُرسِ بعدها قائمة ، ولا رَعَتْ لها سائمة ،
ولم تنزل في قواصف تتقاذف ، وعواصف تترادف ، حتى تتم الله آفتها ،
واستأصل الإسلام شأفتها .

وأما آل غَسَّان فالشرفُ الأقدم ، والبناء الذي لا يُهدَمُ ، سالت
من بلادها حينَ سال سيل العرم جائلة ، وساحت ^٣ من أرضها حافلة ،
هاجرةً لأعطائها ، نافرة عن أوطانها ، وجاوزت ^٤ الحجاز وهبطت الشَّامَ ،
فوجدت بلاداً ريفاً خريفاً ، ورجالاً جُوفاً عُجوفاً ^٥ ، لا يحمون ولا يحتمون ،

١ ط د س : فكفاكم .

٢ ب : كلسان .

٣ ب م : وصارت .

٤ ط د س : وجاورت .

٥ ب : عوفا .

فَقَالَتْ : غَنِيمَةٌ بَارِدَةٌ ، وَبَهِيمَةٌ فَارِدَةٌ ، فَتَزَلَّتِ الزُّورَاءُ وَالْغُوطَةُ الزَّهْرَاءُ :

وَجَالَتْ عَلَى الْجَوْلَانِ ثُمَّ تَصَيَّدَتْ مُنَاهَا بِصَيْدَاءَ الَّذِي عِنْدَ حَارِبٍ

فَأَلَقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ^١ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ مَسَافِرُ^٢

عَلَى رَغَمِ أَنْوَفِكُمْ ، وَقَطَعَ شُنُوفِكُمْ ، وَوَلَجُّوا خَدُورَكُمْ ، عَلَى غِيظِ صَدُورِكُمْ :

وَمَا بُقِيَا عَلَيَّ تَرَكَتْمَانِي وَلَكِنْ خَفْتُمَا صَرَدَ^٣ النَّبَالَ

[فَقَلْتُمْ قَضِيَّةَ كَرِيمَةٍ ، وَنِعْمَةَ عَمِيمَةٍ ، وَسُورٌ لَهُ بَابٌ ، بَاطِنُهُ فِيهِ
الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ ، لَا يُسْتَكْفَى الْعَرَبُ ، إِلَّا بِالْعَرَبِ ،
وَلَا يَقْطَعُ الْحَدِيدَ إِلَّا بِالْحَدِيدِ ، وَدَفَعَ الشَّرَّ بِالشَّرِّ أَحْزَمُ] فَتَنَى أَدَوَا
إِلَيْكُمْ الْإِتَاوَةَ ، وَأَمْلَوْا^٤ لَكُمْ الْإِدَاوَةَ ؟ وَهُمْ يَحْمُونَكُمْ حَمَيَّ الْقُرُومِ
أَشْوَاهَا ، وَيَمْنَعُونَكُمْ مَنَعَ الْأَسْوَدِ أَشْبَالَهَا ، أَمْ تَرَاكُمْ تَرَكَتُمْ لَهُمُ الشَّامَ
رَعِيًّا لَدِمَامِهِمْ ، وَصَلَةً لِأَرْحَامِهِمْ ؟ !

وَفِي فَصْلٍ : وَفَخَرْتُ بِالرِّيَاضِيَّةِ وَالْأَرِيضِيَّةِ ، صَدَقْتَ وَنُبُتَ عَنِّي
فِي الْجَوَابِ ، هِيَ كَالرِّيَاضِ سَرِيعَةُ الذَّبُولِ كَثِيرَةُ الْجَبُولِ^٥ ، زَهْرٌ مَشْرِقٌ
وَنُورٌ مَطَرِيْقٌ ، لَا ثَمْرٌ وَلَا كَثْرٌ^٦ :

١ ط د : واستقر .

٢ البيت لمعمر بن حمار البارقى (اللسان : عصا) ونسب أيضاً لغيره ، ونسبه الجاحظ في
البيان (٣ : ٤٠) إلى مضر الأسدي ؛ ب : المسافر .

٣ البيت للعين المنقرى يهجو جريراً والفرزدق (اللسان : صرد) ؛ والصرد : نفاذ النبل .

٤ ط : واملؤوا ؛ هارون : وحملوا .

٥ ط : الجبول ؛ د : الجمول ؛ س : الحمول .

٦ الكثر : طلع النخيل .

وهل في الرياض مستمتعٍ سيوى أن يرى حُسنَ أزهارها^١

وكالأرض الأريضة ، ذات العَرصة العريضة ، لا بناءَ فيُحَلّ ،
ولا فناءَ فيُظِلّ ، [يُدفن فيها الأموات ، وتُخمد فيها الأصوات] .

وأما الاسترلوميكا وهو علم الهندسة فعلم عمليّ مبنيّ على التقاسيم
والتراسيم . والنواظر والمناظر [٢٠٠ ب] وكله آلات للحالات ، وأدوات
للذّوات ، ومساحات للساحات . وأمداد للأعداد ، وفي أفانين القوانين ،
ليس فيها معنى من تحصيل دقائق الفصول . ولا تفصيل حقائق المحصول ،
فأهلها عُمّالٌ ممتنون . وبأشكالها مرتَهَنون . والعرب بعيدةٌ من المهنة ،
نافرةٌ من الخدمة . ومن قولكم : إنّ قسم العلم أفضل من قسم العمل ،
فهي إذن أرذلُ القِسمين . وأسقطُ العِلمين .

والجومطريقا^٢ وهو علم الهيئات ودورها ، والطّوالع وكورها ، [وجنسها
ذو] نوعين ، وبابه على مصراعين : القضايا ، وليست برضايا^٣ . أما الأول^٤
فيثبتونها على أنّ الطّوالع مدبرة مقبلة . وهي أصولٌ فاسدة وسوق كاسدة .
وقال آخرون : هي كالحيافة والزّجر والقيافة . وهذا باب مسلمٌ للعرب
لا ينازعون فيه ولا يدافعون عنه ، لهم فيه اليدُ الطولى ، والمنزلة الأولى ، لهم
السّوانحُ والبوارحُ ، والقوّاعد والنّواطح ، وعندهم الأيامن والأشائم ،
والأواقي والحواثم ، وغير ذلك من التّمائم والرتائم ، وفيهم من لا يعتمد
ولا يرتصده كالقائل :

١ ط د : آثارها .

٢ عكس هنا ، فالجومطريقا هو علم الهندسة ، والاسترلوميكا هو علم الهيئة .

٣ ط د : وصايا .

٤ ط د س : الأولون .

لا يَمْنَعُكَ مِنْ بَغَاءِ الْحَيِّ رِ تَعْقَادُ الرِّثَائِمِ^١
 ولا التَّشَاؤُمُ بِالْعَطَا سِ وَلَا التَّيْمَنُ بِالْمَقَاسِمِ
 فَلَقَدْ غَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَغْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمٍ^٢
 فَإِذَا الْأَشَائِمُ كَالْأَيَا مِنْ وَالْأَيَامُ كَالْأَشَائِمِ
 فَكَذَلِكَ لَا خَيْرَ وَلَا شَرَّ عَلَى أَحَدٍ بِدَائِمِ

وفي فصل : وأما الكهانة فكانت فيهم فاشية ولهم غاشية ، وقد سمعتَ
 بِشِقِّ وَسَطِيحٍ ، وزرقاءَ اليمامة وطليحة الأسدي ، ومُسيَلمة الحنفي ،
 والأسود العنسي ، وزهير بن جناب الكلبي ، وأفعى نَجْران ، وحازي^٣
 غَطَفان ، فلما جاءت الديانة بطلت الكهانة ، ولما نزل القرآن زُجِرَ الشَّيْطَانُ .
 وكذلك الدَّرَجَةُ الأخرى ، فالعربُ بها أحقُّ وأحرى ، وهي معرفةُ
 الشهور والأَيَّامِ ، وحسابُ الدُّهُورِ والأَعْوَامِ ، والأَفْلاكُ وأدراكها ،
 والأَبْرَاجِ وأدراجها ، والنَّيِّرَاتِ وتعاونرها ، والدَّرَارِي [وتغاورها] ،
 والعربُ أدرى بها ، عرفوا السَّمَاءَ ومعايشها ، والأَرْضَ وحشائشها ،
 ووعدها المُنْزَالِ والغَرَابِ ، [ورتبوا الثوابت وأنواعها ، والنَّوَابِ
 وأدواعها] والأَزْمَنَةَ وأهواءها ، والأَوْدِيَةَ وأنداءها ، فلا يَنجُمُ نَجْمٌ إِلَّا سَمَّيْتَهُ ،
 ولا يَنْبُتُ نَبْتُ إِلَّا وَسَمَّيْتَهُ ، [ولا عِشْرَ في سائِرِ الأَقْطَارِ ، إِلَّا بِعَابِرِ

١ الأبيات للمرقش السدوسي في الحيوان ٣ : ٤٣٦ ، ٤٤٩ وعيون الاخبار ١ : ١٤٥ ، وهي
 منسوبة للمرقم الذهلي (خرز بن لوزان) في حماسة البحري : ١٦٣ والمؤتلف للآمدي :
 ١٤٣ ، وجاءت دون نسبة في أمالي القالي ٣ : ١٠٦ ، والرتائم : أن يعقد الرجل خيطاً في
 شجرة إذا أراد سفرًا فإذا وجد الخيط في مكانه عند عودته عرف أن صاحبه لم تخنه .

٢ الواقي : الصرد ؛ الحاتم : الغراب .

٣ الحازي : الكاهن .

٤ ط د : الأعراب .

الأمطار ، كما لا ثبات للحيوان إلاّ بالنبات ، فقد عرفوا إذن طريقي الحياة ، ووصفوا فريقي النّجاة] ، وما سوى ذلك فضلٌ ليس فيه فضل ، وتكلف لا يفيد فائدة ، ولا يعيد عائدة .

وأما أقسام الطبّ للأجسام فقد جمعته^١ العرب في كلمتين معلومتين ، ولفظتين محفوظتين ، على رأيها في الاختصار ، ومذهبها في الاختصار ، فقالت : « المعدة بيت الداء [٢٠١ أ] والحمية رأسُ الدواء » ، وقال عليه السلام : « أصل كلّ داء البرّدة »^٢ ، وقالوا : « كلّ وأنت تشتهي ، ودعّ وأنت تشتهي » . وكانوا يَطمعون ليعيشوا ، وينعمون ليريشوا ، فقد جمعوا الطبّ بأظافيره ، والصّلاح بحذافيره ، [وإذا فتشت أصولَ سُقراط ، ونبشت فصول بقراط ، لم تجد مُستزاداً مستجاداً ، ولا مستراداً مستفاداً] . وليست هذه الأمور مما يخص به آحادهم ، أو ينفرد به أفرادهم ، بل ينطبق به صغارهم وكبارهم ، ويعرفه نساؤهم ، ويهتف به إماءهم ، ورعاتهم وعبدانهم ؛ أشعارهم بذلك ناطقة ، وأخبارهم عنه صادقة ، ما تلووا فيه متلوّاً ، ولا قرؤوا^٣ به مقرأّاً ، ولكنها الطبّاع الصافية ، والقرائح الكافية ، والغرائز السليمة ، والتّحازن الكريمة ، تلتقط الحكَمُ من مخاطباتهم ، وتسير الأمثال من مجاوباتهم ، على منهاج واحدٍ من الفصاحة في المشاورة ، وفي المحاوراة ، وعلى طريقةٍ واحدة من البلاغة في المسألة والمراغمة ، [والمواجهة] مع المناجزة ، [ولا يتعلّمون ولا يتأملّون ، بل] يرسلون الحكَمَ إرسالاً ، ويبعثون الفطن إرسالاً .

١ ط د س : وأما الطب فجمعه .

٢ البردة : التخمة .

٣ ط د س : قرءوا .

والموسيقى وهو علم فنون اللّحون ، بالعَجَم^١ إليه حاجة مُجَحِّفة ،
 وضرورة مُعْجَفة ، لِمَجْز^٢ طباعهم عن الأوزان ، وقلة اتّساعهم في
 الميدان ، لأنّ لغاتهم قليلة^٣ ، وقواهم كليلة^٤ ، لا تستجيب إلّا بوسائط ،
 ولا تستقلّ إلّا ببسائط ، ليس عندهم شعرٌ موزون ، ولا كلامٌ مرصون ،
 ولغةُ العربِ واسعةُ العباراتِ ، ناصعة^٥ الإشارات ، لها الشعرُ الموزون ،
 والنظمُ المكنون ، والكلامُ المنشور ، والسجعُ المأثور ، والرجزُ المشطور ،
 والمزدوجُ المبتور ، والموشحُ والأطواق ، والقلائدُ في الأعناق ، والمخمّسات
 والمربعات ، والكواملُ والمقطوعات ، ولعبيدها في كلّ ذلك اللّحونُ
 الشجيات المطربات والمشوقات ، والتغايل والتقايل^٦ ، [والأهزاج والأرمال ،
 وغير ذلك من الأعمال ، كالركباني والأعرابي ، والنصبي^٧ والمدني ،
 والثقل الثاني ، وعمود المدني^٨ ، والماخوري^٩ والسريجي ، وخفيف المدني ،
 وهي كثيرة أثيرة ، نسي معها الأرغن والسلياق^{١٠} والصنج^{١١} والكنكلة^{١٢}]
 والقندورة^{١٣} ، فلا يعرفن ولا يولفن .

وما أظنّ معبداً والغريض وأشعب وطويساً وابن سريج وابن محرز

١ ط د س : والموسيقا علم اللّحون فمّا للعجم .

٢ ط د : لنبو ؛ س : لغمر .

٣ ب م : ناطقة .

٤ ط : والتهايل والتعايل ؛ س : والتهايل والتعليل .

٥ س : المنصبي ؛ ط : والنصبي .

٦ ط د : المدى . ٧ د ط : والماجوري .

٨ سقطت من ط ؛ د : والسلمان ؛ ب م : والسليمان ؛ وأثبت رواية س .

٩ د ط : والصنج ؛ س : والصليج .

١٠ د ط : والكنكلة .

١١ د ط : والفيذورة ؛ س : والقندورة (وبالفاء أيضاً) .

١٢ د ط : والفشاوة ؛ وتقرأ بالقاف والفاء في س .

والميلاء وبصبصاً قرأوا^١ قط موسيقى ، ولا سمعوا بيطيقياً^٢ ، فاعرض إن شئت ألحانهم المطبوعة على أوزانكم المصنوعة، فأظهر غلطهم في التنغم ، وخطأهم في الترثم . على أنه من العلم المذموم [روي في الحديث : أن أول من غتّى وناح إبليس حين أكل آدم من الشجرة ؛ قيل وهو أول من عمل الطنبور ؛ فلا مرحباً بعلم الأستاذ فيه إبليس اللعين^٣ ؛] وقد كان منهم من إذا غتّى ثنّت الوحش أجياها وفارقت اعتيادها ، وعطفت خدودها وتركت شرودها ، مصغية إليه مقبلة عليه ، فإذا قطع عاودت نفارها وطلبت أوكارها ، هذا فعل الأوابد والوحوش الشوارد ، فما ظنك بالقلوب الرقيقة ، والفيطن الرشيقه؟! ولقد ألفت الإسلاميون في الأغاني ، وما يتصل بها من المعاني ، ما إن نظرت بهـيّز وحكمت بعدل . وقفت على الفضل في هذا الفصل ، ولم تحوجك العصبية والنفس الغضبية ، إلى شهادة الزور والجور المأزور .

وأما الأناطوطيكا والطوبيقا^٤ فهنالك جاءت الاحموقى والأخروقى . [٢٠١ ب] وظهر عجز القوم وتبدلت أفهامهم وركدت ريحهم ، وكثر تريحهم ، وبان أنهم أغمار ، ليس فيهم إلا حمار ، وضل سعيهم في الحياة الدنيا لما وصلوا إلى حيث تنفرد العقول بنظرها ، والبصائر بفكرها ، والأفهام باستنباطها ، هنالك تاه المحزون ، وخسر المبطلون ، وتفرقوا شذر مذر وعباديد أباديد ، فمنهم الدهرية القائلون ليس للعالم ابتداء ولا انتهاء ، لا نثبت إلا بما شهدناه ، ولا نعلم إلا ما عهدناه ، فأنكروا حجج العقول والعلم

١ ط د س : وما أظن معبداً والغريض وأصحابهما قرأوا .

٢ ط د : منطيقا ؛ ب : سطيعا .

٣ ط د س : إبليس اللعين فيه الأستاذ .

٤ ط د : والطوميكا ؛ ب : والطرنيقا .

المنقول ، والدليل والمدلول ، وهم يُبصِّرون تعاقب الأضداد وتعاوُر الكون والفساد . ومنهم الطبيعيون وهم أيادي سبا وفِرَق شتى ، قوم يقولون العالم من أصلين : هوائي وأرضي ، فجمعوا بين الرأس والطاني ، والكدر والصافي ، وعلى هذا الرأي قال المتنبي ^١ :

تبخلُ أيدينا بأرواحنا على زمانٍ هي من كسبه
فهذه الأرواحُ من جوّه وهذه الأجسادُ من تربه

ومنهم القائلون ^٢ : العناصرُ أربعةٌ هي بسائطُ للمركبات ، ففضوا بائتلاف المتضادات ، وتركيب المتحدّات ، فجمعوا بين النار والماء ، والأرض والهواء .

فإن قيل : كيف صارت متظافرة وهي متنافرة ، وغدت متجاورة وهي متعاورة ، وإذا كانت تتهارج ، كيف تتمازج ، أم كيف يمتزج الصاعد بالراكد ويلتبس الحارُّ بالبارد ؟ قالوا : جمّعها جامع ، وقمّصها قاصع ، بطبعه لا باختياره ، وبفعله لا باقتداره ، وهذا غايةُ المحال ، ونهاية الاختلال ، لأنّه لا بد أن يكون الخامس مثلها أو مثل بعضها ، أو مخالفاً لكلّها . فإن كان مثلها أو مثل بعضها فلا حاجة بها إليه مع وجود مثله ، وإن كان مخالفاً لسائرهما فلا بد من سادسٍ لتغايرها [ثم كذلك إلى غير غاية] ولم قالوا أربعاً ؟ فإن قيل أيها أقدم ولمركزه ألزم ؟ ...

[قال صاحب الكتاب : ويسنّ أبو الطيب بطلان قولهم في احتجاج طويل ، أضربنا عنه تركاً وتخفيفاً ^٣ للتثقيل] .

١ ط د س : ذهب بقوله أبو الطيب ؛ وانظر ديوانه : ٥٧٣ .

٢ ط د س : ومنهم من قال إن .

٣ س : حذفته تخفيفاً .

[ثم قال] : وأما أصحاب الطوالع ، وعُباد المطالع ، فقد اختلفوا في الهيئة [أيضاً] على جهات ، ووصفوها بصفات ، فقالوا كالدائرة تتساوى أبعادها ، ويتعدل اطرادها ، وقالوا : كالبيضة وكالقلادة . والمنجمون^١ ، وهم فنون^٢ في الجنون ، يقولون فللك^٣ الأفلاك ، ودرك^٤ الإدراك ، والفلك الأثير ، وهذيان كثير ، يعبدون الشمس ، ويسجدون^٥ للنار ، ويعبدون زحل والمريخ والزهرة والشعري العبور وغير ذلك ، وهم يرون آثار النقص فيها ، ودلائل الحدث تعترئها ، من طلوع^٦ وأفول ، وقدم وقفول ، ويزعمون أنها تتغير [٢٠٢ أ] وتتنازع^٧ ، وتتكاسف وتتخاسف ، وكيل^٨ بصاع هذا التخليط من هذه الأغاليط ، لا يعرفون رُشدًا ، ولا يهتدون قَصْدًا . هذا مقدارُ عقولِ حكمائك ، ونهاية آراءِ علمائك ، [وهذا قليل^٩ من كثير هذيانهم ، وأوار^{١٠} من عوارِ غَلِيَانهم] .

وفي فصل منها : وأما أنتم مَعَشَرَ النصارى الخسارى ، فقد اتخذتم المسيح وأمه إلهين من دون الله ، وقلتم بالمحال ، في قضايا العقول والاستدلال ، قلتم : إله واحد^{١١} وأب^{١٢} وابن وروح^{١٣} قدس ، فهو إذن ابن نفسه وأبو نفسه وروح روحه ، وقلتم : امتزج اللاهوت^{١٤} بالناسوت في بطن أمه امتزاج^{١٥} الحمر بالماء ، وقلتم : تحوَّلت الكلمة^{١٦} في الرحم لحمًا ودمًا ، وقلتم : لا كما يظهر^{١٧} الوجه في الجسم الصقيل ، والطابع في الشيء البليل ، وقال آخرون : بل كما يمتزج^{١٨} العقل بالنفس من غير مماسة ، فكيف يتمازج^{١٩} ما لا يتماس ؟ وكلكم مطبقون على أن المسيح ابن^{٢٠} الله ، تعالى الله عما تقولون ، وضللتم وخسرتم ، ثم أقررتم طائعين وأذعنتم خاضعين أن اليهود قتلته قتلاً وصلبته

١ ط د س : لا سيما المنجمين .

٢ ط د : وعبدوا . . . وسجدوا .

٣ ب : وتناييع .

صلباً ، فأين ما ادّعيتم مما نعيم ، وأين ما استرېتم مما اقترفتُم ، لا ترعوون ولا تستحيون ، ولا تبالون ما خرجتْ بكم الحالُ إليه ، ولا ما وقفكم الشقاءُ عليه ، أربُّ معبودٍ يُقتل ويُصلَّبُ ويقهر ؟ !

* لقد ذلَّ من بالتَّ عليه الثعلبُ^١ *

فكيف لم يدفع عن نفسه ؟ وكيف لم يخسف بهم الأرض جميعاً أو يرسل السماء عليهم كسفاً ؟ ! بالأمسِ إله ترقبون جنته ونارَه ، واليومَ قتيلٌ صليبٌ لا تُدركون ثاره ! !

وزعمتْ طائفةٌ منكم أن اللاهوتَ فارق النَّاسُوتَ عند ذلك ، وخلّى بينه وبين اليهود ، فهلاًّ حماهُ منهم أو نصره عليهم ؟ ! هذه إشارةٌ إلى تناقضكم ، ولمحةٌ دالةٌ على تعارضكم ، ولو أحصيناه وتقصّيناه لاتسع مجاله ، وامتنع مقاله .

فإن قلت : إنَّ العرب [أيضاً] كانت تعبد الأصنام وتستقسم بالأزلام ، فنحن ما أحمدُنا لك دينها ، ولا رضينا يقينها ، بل نعلم أنَّ من قال منها بالإشراك ، فقد قصّر في الإدراك . وهي على كلّ حال تذكُرُ الله تعالى ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلئن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾ (لقمان : ٢٥) ؛ وقال ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى ﴾ (الزمر : ٣) . وكثيرٌ منهم يقرُّ بالبعث والجزاء ، ويعترف بالحشر واللقاء ، وكان منهم من رغب عن عبادة الأوثان ، وتفرَّقوا في الأديان ، فكانت حِميرٌ على

١ عجزيت ، وصدّره : أرب يبول الثعلبان برأسه ، وهو لغاوي بن ظالم السلمي وكان سادناً لصنم فرأى ثعلباناً يبول عليه ؛ انظر الإصابة ٢ : ١٨٥ وشرح العيون : ٣٣٧ والميداني ٢ : ٨٦ .

دين موسى ، وكان بنو الدِّيَّانِ وأهلُ نَجْرانٍ وتغلب وغبَّسان على دين عيسى ، وكانت فيهم الملة الحنيفة الإسلامية والشريعة الإبراهيمية ، ومن أهلها كان قسُّ بن ساعدة الإيادي ، وورقة بن نوفل [٢٠٢ ب] الأسدي ، وزيد بن عمرو من بني عدي ، وقتلته الرومُ لذلك ، وقد قيل في خالد بن سنان ما قيل . وكان أسعد أبو كرب الحميري أحدُ التبابعة قد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل مبعثه بسبعمئة عام وقال :

شهدتُ على أحمدٍ أنه رسولٌ من الله باري النَّسمِ
فلو مُدَّ عُمري إلى عمره لكنتُ وزيراً لسه وابن عم

وذكر الله تعالى كثير في أخبارهم وأشعارهم. وقد ذكر بعضُ أصحاب المقالات أن عبد المطلب بن هاشم كان من المهتمدين في الدين ، واستدلَّ بأنه أُجيب لما سأل ، وسُقِّيَ حين ابتهل ، وذكر النبي عليه السلام لعبد المطلب سيفُ بن ذي يزن ، وحزنَ على فوته أشدَّ الحزن ، وأكد له العهود ، وحذَّره عليه اليهود . ولما دُعوا دخلوا في الدين أفواجاً ، وأتوه أزواجاً ، إلاَّ من أدركته النفاسة وحبُّ الرياسة ، وسبقت عليه الشَّقوة ، وورمَ أنفه من النخوة ، كأبي جهل بن هشام وعامر بن الطفيل وأمِّية بن أبي الصلت ومن كان من ضربائهم وقرنائهم .

وقال معاوية في كلام له مشهور : « فما كان إلاَّ كغيرار العين حتى جاء نبيُّ لم يسمع الأولون بمثله ، ولم يسمع الآخرون به ^٢ ، ولقد كنَّا نفخر بذكره على من نظرأ عليه أو يطرأ علينا وإنا لنكذِّبه ، ونتبجح ^٣ بذكره [وإنا لنحاربه] » .

١ التيجان : ٤٥٥ . ٢ س : بشكله .

٣ ط د : ونبتجج ؛ س : ونبتجج .

هذه لمع^١ من أمور الجاهلية ، وطُرف من مفاخر الأوليّة ، إن أنصفت نفسك ، أو صدقت حسك ، عرفت أين يقع منها مُفَاخِرُوها ، وهل يشقُّ غبارها مُسْجَارُوها .

وفي فصل منها : [وما تصنع إذا نُشِرتِ الكمائن ، ونُشِرتِ الكنائن ، وقرعتك القوارع ، وفرعتك الفوارع ، وماست راياتُ السّيادة ، وخفقت ألوية السّعادة ، وطلعت عليك طوالعُ النّبوة في أبهة الجلال والجمال ، وسماحة العزّ والكمال ، وقيل لك : هذا سيّدُ وَلَدِ آدَمَ أَوَّلُهم وآخرهم ، خاتم الأنبياء ، وقاتل الأَغبياء] . وأشهدُ أنّ الله لم يجعل محمداً صلى الله عليه وسلم هاشمياً إلاّ وهاشمٌ خيرُ قريش ، ولا قرشياً إلاّ وهم خيرُ مُضر ، ولا مضرباً إلاّ وهم خيرُ العرب ، ولا عربياً إلاّ وهم خيرُ الأمم . لهم كعبةُ الله وولادةُ إسماعيل ودعوة إبراهيم ، وإليهم مُهاجرُ هودٍ وصالح وشُعيب وأتباعهم من المؤمنين ، وأشياعهم من المُوقنين [فيهم كان حمامُهم ، وعندهم دُفِنت رِماثُهم] لا كُثَنائِكَ الذي أسررت فيه حسواً في ارتغاء ، ودفعاً في ابتغاء ، وكشفت فيه ضِبابك عن ضِبابك^٢ ، وهتكت أستارك من اهتارك^٣ ، وظننت أنّ مخالطتك تُخفي مغالطتك ، وأنّ مدحك يستر قدحك [حين مدحت مدحاً بجلياً^٤ ، وأثنت ثناءً دَحَلِياً^٥ ، ولم يُمدَح من ذُمّت قبائله ، ولم يثب من جدّت حباله]

١ ط د س : لمعة .

٢ الضباب : كناية عن الحقد والصفينة .

٣ س : اختبارك .

٤ ط د : جلياً ، وأثبت قراءة س ، وفيها إشارة إلى مدح الرجل وهجاء قبيلته ، كما قال عوف القوافي في مدح جرير بن عبد الله البجلي « لولا جرير هلكت بجيله » .

٥ ط د س : وجلياً ؛ والدخلي : المدخول الفاسد .

أَجَعَلْتَ وَيْحَكَ تَبْرَهُ فِي الرَّغَامِ ؟ بَلِ الرَّغَامُ لَأَنْفَكَ ، وَالرَّغَامُ^١ لَوْجْهَكَ .
لَقَدْ أَخْلَلْتَ بِنَفْسِكَ وَزَلْتَ قَدَمُكَ ، وَأَحْلَلْتَ بِعَقْدِكَ وَقَدْ حَلَّ دَمُكَ .
وَلَوْ صَحَّ اعْتِقَادُكَ لَصَحَّ اعْتِقَادُكَ ، وَلَوْ خَلَصَ بَاطِنُكَ لَأَقْصَرَ بَاطِلُكَ ،
وَلَوْ اصْطَلَمْتَ مَا ظَلَمْتَ ، وَلَوْ اخْتَرْتَ مَا وَفَى بِمَا اجْتَرْتَ .

سمع عمر بن عبد العزيز رضي الله بعض كاتبه ، وقد عيّر بنصرانية
أبيه ، فضرب لذلك^٢ مثلاً يحلُّ عنه ويرتفع عن قدره [٢٠٣ أ] فقال له
عمر : أَوَقَدْ قَلَبْتَهَا ؟ وَاللَّهِ لَا تَشْرَبُ الْبَارِدَ بَعْدَهَا ؛ وَأَمْرٌ بِهِ فَضَرِبْتَ عُنُقَهُ .
فَأَمَّا إِذَا أَغْفَلَ وَلَاةُ الْأَمْرِ تَأْدِيبَكَ ، وَتَأْدِيبَ الْكَافَّةِ بِكَ ، فَأَهْمَلُوا
تَأْنِيكَ وَتَأْنِيبَ السَّفْهَاءِ مِثْلَكَ ، فَتُتَبَّ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً تَهْدِيكَ وَتُنْجِيكَ .
وَعَلَى أَنْكَ خَلَفٌ مِنْ ذَلِكَ السَّلَفِ ، رَأْيُكَ فِيهِ رَأْيُ أَهْلِكَ ، وَفِرْعُوكَ
جَارٌ عَلَى أَصْلِكَ ، إِلَّا أَنْ السَّيْفَ قَهَرَكَ وَالدِّينَ قَسَرَكَ ، وَأَخَذَكَ حُكْمُ
الدَّارِ وَخَوْفُ الْبِدَارِ ، فَأَنْتَ تَشْرِقُ بِرَيْقِكَ ، وَتَغْصُ بِرَحِيقِكَ ، وَلَا بَدْءَ
لِلْمَصْدُورِ أَنْ يَنْفُثَ ، وَلِلْمَبْهُورِ أَنْ يَغْرُثَ :

وَلَا بَدْءَ لِلْمَاءِ فِي مِرْجَلٍ عَلَى النَّارِ مُسْتَعْرَةً^٣ أَنْ يَفُورَا

وَمِنْ^٤ كِتَابِ لَابْنِ عَبَّاسٍ يَرُدُّ فِيهِ عَلَى ابْنِ غَرْسِيَّةَ : عَلَيْكَ السَّلَامُ
لَا السَّلَامَ ، تَحِيَّةَ آلِكَ ، لَا هَدِيَّةَ آلِكَ ، يَا ذَا الْوَسْنِ لَا اللَّسْنَ ، وَاللَّكْنَ^٥
لَا الرُّكْنَ ، وَابْنَ الْمَرَاغَةِ لَا الْبَلَاغَةَ ، الْمَزْرِيَّ بَوْلَاءِ مَوَالِيهِ ، الْمَغْرِيَّ بِهَاجَرِ

١ الرغام : المخاط .

٢ ط د : بنفسه ؛ س : لنفسه .

٣ هارون : موقدة .

٤ من هنا حتى آخر الترجمة لم يرد في ط د س ، والنص قلبي في مواضع .

٥ ب م : ولاكن .

ونسي أرقاء مواليه ، الجاني لهم شرّ ما يجني :

* وعلى أهلها براقشُ تجني *^١

المفاخر بالعبيد ، على أملاكها الصيد ، مالك لا أبالك ، تنهانسفُ وتتهالك ،
أما هالك ما أضناك ، وأمالك عن اللّهج بآل ذي حسان ، وحلّة الماء من غسان ، أو ما أجزّ منك اللسان ، ما في عنقك من المنّ والإحسان ؟
على أنك استغنيت بنعماك حين أبقيت ، فاقطعتهم ملكة البلاد ، والحسب التّلاذ ، وموارد الشرف الأعداد ، السامين على الأنداد ، النامين بالآباء والأجداد ، من عيدان عاد ، وعاد شداد ، الضاريين الأرض بالأسداد ،
النازلين القصر ذا الشرفات من سنداد^٢ ، تداعوا من أعالي الحجاز ، وحيث اضطرتهم - بزعمك - من أسفل ذي المجاز ، سامية الهوادي والأعجاز ،
عرباً لا تني ادّراباً ، وغضاباً لا ترتدي الاعضاباً ، فأداروا الأمر مداره ، وأقروه بعد الزلزال قراره ، وأوطنوا من حلال الملوك دارة ، وعفوا لك بأخيرة عن أبادره^٣ فهي عليك دارة ، فولجت كما ولج الثعلب وجاره ،
وإياك أعني واسمعي يا جاره^٤ ، سما لك من قومهم قبل جذام ، فقضى لدولتك المقرفة بالجذام ، وذلّت ذلّ الحليّة للبعّل ، وزلّت كما زلّت

١ من المثل : على أهلها دلت (أو جنت ، أو تجني) براقش ، انظر فصل المقال : ٤٥٩ والميداني ١ : ٣١٠ والعسكري ٢ : ٧٥ والجمهرة ٣ : ٣٠٦ وأمثال الضبي : ٦٩ ؛ وهذا الذي أورده هنا عجز بيت لحمزة بن بيض ، صدره : بل جناها أخ علي كريم . وقد مر البيت مع آخر في ما تقدم ص : ٣٨٦ .

٢ من قول الأسود بن يعفر :

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

٣ لعلها جمع بدره ؛ وربما رجحت أن تقرأ «أنادره» أي «بيادره» .

٤ انظر المثل في فصل المقال : ٧٦ ، ٧٧ والميداني ١ : ٣٢ والعسكري ١ : ١٦ .

زليلةُ النعلِ ، وأصبحتَ للسبَاءِ بعد الإباءِ ، كعادةِ أَعلاجِكَ الأبناءِ
والآباءِ ، وعوليتَ وما عاليتَ صهوةَ الأفتابِ والعمدِ ، هذا وأبيكَ الحديثِ ،
وعن القديمِ فإليكِ يساق الحديثُ ^١ : اقد نُبِتَ في الجوابِ عني ، وربَّ
كلمةٍ تقولُ دعني ^٢ ، أجلُّ هي ^٣ مثلها في الهُونِ والدونِ ، لا الخصبِ
ولا الهدونِ ^٤ ، حتَّى ثنى عنها الثَّقَفِيَّ إِيالَه ^٥ ، وأشرفَ فلم يبالِ بها إِيالَه ،
ولا رضي أن يكونَ له عليها إِيالَه ^٦ ، فمن الضَّغْثُ الآنَ ومن الإِبالةِ ؟
[٢٠٣ ب] .

وفي فصل : ولا غرو ، فالرودُ لكَتَفِهَا ^٧ ، والأسودُ لأَسْلِيهَا ، والحجالُ
لرَبَاتِهِ ، والمجالُ لمن تَنَوَّرَ على الخيلِ في سِرواته ؛ خامرُ أبا عامرٍ ، كخليلتكِ
أمَّ عامرٍ ^٨ :

خلُّ الجِراحِ ^٩ لمن يَبْنِي المنارَ به واحلِّ بُوْهْدَكَ حيثُ احتلَّكَ القدرُ
مَهْ ! أَلَا تُقْصِرُ عن عَمِّهِ ، انتبه لما أنتَ به ؛ إلى مَنْ وِيْلَكَ أَسَلْتَ

١ إِيْلِكَ يساق الحديثُ : مثل ، انظر فصل المقال : ٥٠ والميداني ١ : ٣١ والعسكري ١ : ١٤ .
والضبي : ٨٠ .

٢ في المثل : رب كلمة تقول لصاحبها دعني ، الميداني ١ : ٢٠٦ .

٣ غير واضح إلى أي شيء يشير بالضمير « هي » ، وإن كان الحديث متصلاً بما قاله ابن
غرسية عن تباله التي هانت على الحجاج « الثَّقَفِيَّ » ففنى عنها إِيالَه ؛ راجع ما تقدم ص : ٧٠٦ .

٤ الهدون : الدعة والسكون .

٥ الإيال : الولاية والسياسة .

٦ الإِبالة - مثل الإيالة - الولاية . ٧ ب م : يكشفها ؛ والكثف : المشي الرويد .

٨ أم عامر : الضمير ، وفي المثل : « خامري أم عامر » ، انظر فصل المقال : ١٨٧ والميداني
١ : ١٦٠ والعسكري ١ : ٢٧٦ .

٩ الجراح : لعله من الجرجة : معظم الطريق أو الجرج : الأرض ذات الحجارة . وفي ب م :
الجراح ؛ وبهامش م لفظة « الطريق » ، كأنه شرح للكلمة .

سَيْلِكَ ، وشمّرتَ عن السير ذَيْلِكَ ؟ وأجلّبتَ رَجُلَ سَفَهِيكَ
 وخَيْلِكَ ^١ ، ما انتفخ سَحْرُكَ ، حتى نفخ بما نفخ وَشَلُّكَ لا بَحْرُكَ ؛
 لقد دانيتَ ما ليس بالمتدان ، وعاليتَ ما ليس لك به يدان : المعاطس ^٢
 السمر القُمر ، لا الزُّعز المعر ^٣ ، الصُّبُر الخبر ، العُقُر الوقر ، إذا ركبوا :
 * تحرّقت الأرضُ واليومُ قرّاً * .

طالوا أمما ، وأدركوا الطوائلَ أمماً ، وفَضّأوا أحساباً وإمماً ، وشَرُّفوا
 أنفساً وهمماً :

* لهم شِمةٌ لم يُعْطِها اللهُ غيرَهُمَّ °° *

ليسوا بناتجي عفاء ، ولا ناسجي مِسْح عِفَاء ^٤ ، ولا من استنفرَ بقرَدَة ^٥ ،
 ولا استحلَّ خنازيرَ وقِرَدَة ، ولا من اغتذى الجريث ^٦ ، ولا من اشتوى
 جُرذ اللغيث ^٧ ، ولا من قارن بين ثيرة ^٨ ، ولا من امتطى ظهرَ عِيرة ^٩ ،

١ ب : وحملك ؛ م : وجملك ، وفوقها « وخيلك » بخط دقيق .

٢ ب م : المعاطس .

٣ المعر : جمع أمعر ، وهو الذي ذهب شعره كله .

٤ عجز بيت لامرئ القيس (ديوانه : ١٥٤) وصدره : إذا ركبوا الخيل واستلأموا .

٥ صدر بيت للناطقة الذبياني (ديوانه : ٥٦) عجزه : من الناس والاحلام غير عواذب .

٦ العفاء : جمع عفو ، وهو الجحش ؛ العفاء : الوبر .

٧ استنفرت المرأة : شدت فرجها بخرقه إذا غلبها سيلان الدم ؛ القردة : نفاية الصوف أو الكتان وما شابههما . ب م : استنفر .

٨ ب م : اغتذى الجريث . والجريث : ضرب من السمك يقال له أيضاً الجري ، وقيل إن علياً نهى عنه .

٩ ب م : استوى حرد اللهيبي ، واللغيث : الطعام المخلوط بالشعير .

١٠ الثيرة : جمع ثور .

١١ العيرة : جمع عير ، وهو هنا الحمار الأهلي .

ولا من أثارَ عن النقع المثار، ولا من شدَّ الحلبة، ليشرب الحفنة والعلبة ،
 بل يشدُّونَ العمائمَ ، وينجَعُونَ الغمائمَ ، ويرتدونَ الرُّدَيْنِيَّاتِ ، ويستجيدونَ
 اليزنِيَّاتِ ، ويفتلونَ الربذيَّاتِ ^١ ، ویتقلِّدونَ الهنديَّاتِ ، ويُظَاهرونَ
 التبعِيَّاتِ ، ويغزونَ الرُّبْعِيَّاتِ ، ويتوشَّحونَ المُعلَمَاتِ ، والموشِيَّةَ المنمنماتِ ،
 يجرُّونَ أهدابَهَا ، ويأْخِضُونَ الأرضَ هُدَّابَهَا ، ويابسونَ للحال لبوسَهَا ،
 إما نعيمَهَا وإما بُوسَهَا ،

* رفاق النعالِ طيِّبٌ [حُجْزَاتِهِمْ] ^٢ *

ذوو الفطنِ والهممِ ، والآراءِ والمجدِ العممِ ، والعلمِ بالأفلاكِ ، والرَّصْدِ
 في الأحلاكِ ، وأخذِ الأهواءِ في الأنواءِ ، والاهتداءِ في الجدَّاءِ ^٣ ، بالساقطِ
 والطارعِ ، والمساقطِ والمطالعِ ، هم زهروا منها الزُّهْرُ ، وشافوا صَفْحَ
 الجوزهرِ ، حتى بهَرَ زهرِ ، وأخذوا على البدرِ ثنانيا سفره ، ونفضوا
 عن مكامين سرره ، وقدَّوا قُلامَتَهُ من ظُفْرِهِ ، وأدلو الدِّكْلُو بالرشاءِ ،
 وخلَّوا للحوتِ سربَهُ حيثُ شاء ، وقلَّدوا العقربَ لِبَرَّتِهِ ، والاسدَ
 زُبُرَّتَهُ ، وراشوا من الطائرِ قوادِمَهُ ، وقصَّوا من الواقعِ مقادِمَهُ ،
 واقتحموا على العذراءِ رواقَهَا ، وفصموا عن الجوزاءِ نطاقيها ، وطوقوا
 الزهرةَ في خِدْرِها ، بيدٍ من الفكرِ لم تدرها ، وأجرَّوا لبناتِ نعشٍ ذيلًا ،
 ونحاوا الغَزَلَ سهيلًا ، وتركوا الثريَّا وكفَّها لِنابهِ فريَّا ، بعد أن
 صَغَتْ [٢٠٤ أ] إليه بزعمهم مليًّا ، ومدَّتْ كفَّها الخضيبَ وقالتِ إليَّا ،

١ ب م : الرانديَّاتِ ؛ والربذيَّاتِ : نوع من السياط .

٢ صدر بيت للشاذليّ الديبانيّ (ديوانه : ٦٣) وعجزه : يحيون بالريحان يوم السبابس .

٣ الجدَّاء : المفازة اليابسة .

وأعلوا لأتَيَّ المجرَّة ، طريقه ومجرَّة ، وأذنوا للعبور^١ ، في الإجازة والعبور ،
وتخلفت أختها الغميصة ، فلذلك لا تطرف إلاَّ عن الغميصة^٢ ، وأخفروا
الرواكِدَ فلم تَسِرْ مع السيَّارة في خفارة ، وأضرَموا للمريخ مَرَّخَه
وَعَفَّارَه^٣ ، ولم يفتهم زُحَلُ ، وإن نأى وَرَحَلَ ، بل حصروه في
ساحته ، وقصروه عن مساحته ، وقبضوا بيد الفهم لا العمل ، على رَوْقِي^٤ ،
الثورِ وذَنَبِ الحمل ، وشروا المشتري بالأوزان من غير موج ولا أوج ،
ولا أخذ ارتفاع ، ولا تقويم ساع ، ولا دقائق ولا درج ، ولا حساب
تلقوه^٥ عمَّن درج ، بل بإفهام أفهام ، وإلهام أوهام ؛ مع معرفتهم
بالحشائش ، ولسانهم بكتلها جائش^٦ ، وطبيبتهم الحارث بن كَلَدَة ،
فهل كان منكم له في عصره لِدَة ؛ ولهم اللحنُ باللحنِ ونسب النغم ،
والزيرُ والبم ، والمثلث والمثاني ، والثقلُ الأوَّلُ والثاني ، وما أحسبك
سمعت جرادَتَيَّ عاد ، وكيف ألهمتا وفدها بصوتها المعاد ؛ وفيهم العيافة^٧
والقيافة ، والكهانة والعرافة ، وحديثُ خرافة ، وابنا عيان^٨ ، لما استخبرتموه
من البيان ، والرقى والتمائم ، والزجر بالأيامين والأشائم .

وفي فصل : حائوا من الأرضِ سِطَّتها ، ومن قلادة الدنيا واسطتها ،

١ يريد الشعرى العبور وهي اليمانية .

٢ الغميصة : هي الشعرى التي تخلفت بعد أختها العبور التي عبرت البحر لاحقة بسهيل أخيها .
وبقيت الغميصة تبكي حتى غمست عينها ، والغمص في العين كالرمص .

٣ المرخ والعفار : نوعان من الشجر ، سريعا الايزاء ، وفيهما يضرب المثل : « في كل
شجر نار واستمجد المرخ والعفار » .

٤ الروق : القرن .

٥ ب م : حائش .

٦ ابنا عيان : طائران يزجر بهما العرب ، وقيل هما خطان يخطان في الأرض يزجر بهما
الطير ؛ ويقول الذي يخطهما : ابني عيان أسرعا البيان .

وبين سَمْع الأرض وبصرها ، وفي جفن كسراها وقصرها ، ينزلون
الدهناء ، ويرتحلون الوجناء ، ويستبطنون الحسناء :

يتقيّلون ظلال كل مطهّم^١ أجلّ الظليم وربقة السرحان^١

لَقَاحٌ لا يدينون ، وبإلقاح الحروب يدينون ، يستأدونكم الإناوة ، في
كل وهدٍ ورُباوة ، أفبهذا اخدتم نعماننا وغساننا ، أم بعطية جذعٍ ازدرى
ثم ابن عمك أماننا^٢ ؟ ! أم يومٍ ذي قارٍ ، وهو أشهر في بادٍ وقارٍ ، إذ
أسروا أساورتكَ ، وكسروا أكاسرتكَ ، وقصروا عن العامة قياصرتكَ ؟ !
أم العجبُ العاجبُ ، وقد رهنكم حاجبٌ من النبع فليقه^٣ ، ليكفّ عنكم
من غواثرنا فلقه ، فوفينا برهنه وما غلقا ، وغدرتم على العهد ينسعيتم^٤
وساء خلُقًا ، ثم تحيرت منا بهيرة^٥ ، وقد تبغّاها شيروانك مهيرة ،
فقدح أنفَه ببقر السواد ، وهو منك خيرُ مالٍ وأكرمُ سِواد . وإذا سببت
فأصدق ولا فريّة ، فهذه زفراءٌ وسمية ، وعلى ذكر البغاء فأنتم له بُغاء ،
نساؤكم عليه حباثس^٥ ، وكوانس في الكنائس ، يترافعن في الشبر والشكر^٥ ،
ولا تروُنَ ذلك من النُكر ، ونساؤنا للطرفِ قواصر ، وعلى بني العم^٥
قواصر ، لم يحتضن بغية^٥ ، ولا حصن قطّ لبغية^٥ ، ولا إقراف ، بل عن

١ البيت للمتنبي ، ديوانه : ٤١٤ .

٢ هو جذع بن عمرو الغساني ، وكانت غسان تؤدي كل سنة إلى ملك سليج دينارين من كل
رجل ، وكان الذي يلي ذلك سبطة بن المنذر السليحي ، فجاء إلى جذع يسأله الدينارين ،
فقتله جذع وقال : خذ من جذع ما أعطاك ، وامتنعت غسان عن أداء الاتاوة (الميдавي : ١ : ١٥٦) .

٣ ب م : المنع ؛ والفلق : القوس ؛ وحاجب بن زرارة هو الذي رهن قوسه .

٤ تحيرت : سكنت الحيرة ؛ ب م : تحجرت .

٥ الشبر : النكاح ؛ الشكر : الفرج .

[٢٠٤ ب] اشراف فاشراف ، وعن كل أنوف ، ترغنم بمجده الأنوف ،
وعن سابق فسابق يعبوب :

* كالرمح أنبوباً على أنبوب *

ما تستطيع بأن تحاول عزنا حتى تحاول ذا الهضاب يسوما^١

فخل عن العذنية واليزنية لا الرسبية ، فنفاستهم نفسانية ، وسياستهم
إنسانية . أقليل بكم وأقليل بغربكم ، إذ فتكت يهود بكم ، وكشفت
أستاهكم - بزعمكم - ، إذ قد صلبتكم إلهكم ، وإذ ليست لكم
أصرة ، تجمعكم غير ناصرة ، وإذ قد أضرتكم بقدسكم ، فطهر من
رجسكم ونجسكم ، ولئن أهجرتم بهاجر ، ما جدنا بها هاجر ، وأحلتم
من الخليل ، حرمة الخليل ، فمن قبل ما قلتم في سارة ، ما أبقي لكم عاره
واساره ، وقرتم ابن الحالة ، فإنما أزرتم بالصدیق يوسف ابن نبي الله
الذبيح ، بل اختصها بالولادة ، وخصها باسماعيل وولاده ، وبوأها حرمة ،
وأحظاهها بسقي بثر زمزم والمقام .

وفي فصل منها : فخف لا أم لك على قبة المال ، فما علونا عن سفال ،
ولا وسمننا عن أغفال ، بل من عال إلى عال ، كما المزن يحدر من عال ،
أو كما توسطت الأقمار هالاتها ، وسطعت الشمس عن إياتها ، فقد أعذرنا
وما عذرنا ، ولا نذرنا وما أنظرنا ، فالعصا للعبد إن عصا ، ومثلك من بني
سهوان لا يؤصى ؛ ولا يقبل ولا كرامة ، ما رأيت به في سيد المرسلين
من الكرامة :

١ البيت لليلي الأخيلية (معجم البلدان : يسوم) وروايته: لن تستطيع بأن تحول عزهم حتى
تحول . . . ؛ ويسوم : جبل في بلاد هذيل وقيل قرب مكة .

من قبلها طابَ في الظلالِ وفي مستحصفٍ حيثُ تُخَصِّفُ الورقُ^١
ثم تخطى البلادَ لا بشرًا^٢ كان ولا مضغةً ولا علق
[و] يركبُ الموجَ والسفينَ^٣ وقد أُلجمَ نسرًا وآلهُ الغرق
يُنْقَلُ^٤ من صالبٍ إلى رحمٍ إذا مضى عالمٌ بدا طبق
حتى احتوى بيته المهيمنُ من خندفٍ علياءَ تحتها النطق
فنحن في ذلك الضياءِ وفي النورِ وسبيلَ الرشادِ نخترق
يا <أيها> المحتمي بلواء الغي ، والمشتعلُ برداءِ العيِّ ، لا دواليك ،
فقد نبذنا عن سؤاليك ، ونجوتَ مَنجَى الذبابِ لا لك ولا عليك :

عذرتك يا أخا الذهنِ العليلِ فأنت أقلُّ عندي من قليلِ
وفتً على التهاجي والتلاحي بعرض الواهنِ النكسِ الذليلِ [٢٠٥أ]
وكيف أسلُّ غضباً ذا غرارٍ على من سُلَّ من غاوٍ سليل
وأنت كما علمت تدقَّ غياً [كما] عيِّ الدقيقُ عن الجليل
وقد أهديتَ من لؤمٍ هدياً تحمدى للخليلةِ والخليل
فسوف أبثُّ نبلاً عاثراتٍ تهدى للثيم بلا دليل
وكلَّ شريدةٍ حذاءَ تقضي وان راقِ بويلك والأليل

١ الأبيات في أمالي الزجاجي : ٦٥ وتأويل مختلف الحديث : ١٠٦ وشروح السقط : ٣٥٣
وابن كثير ٢ : ٢٥٨ ، ٢٥٩ وديوان حسان ١ : ٩٨ ، والبيت الأول في اللسان (خصف)
والرابع في اللسان (حلب) وتنسب للعباس بن عبد المطلب كما تنسب إلى حسان بن ثابت ؛
ورواية البيت الأول : طبت ؛ مستودع .

٢ ب م : لا نطفة ، والتصويب عن المصادر ، وفيها : ثم سكنت ، ثم هبطت .

٣ في المصادر : مطهر يركب السفين ، بل نطفة تركب السفين .

٤ المصادر : تنقل .

وأضربُ رأسَ شكتك غيرَ شكٍّ بمرهفٍ ما وعيت من الصليل
 وأنفقُ ما أنلتَ بلا اقتصادٍ بما يشفي ويُروي من غليل
 ومن يفللُ بروقيه صفاةً أليس شباه ذا غرْبٍ فلسيل
 فكيف يحيكُ في حصداءَ زَغَفٍ مضاربُ بُطْلِكِ النَّائي الكليل
 وفعلك في تجاوزه ثوابٌ فقد يقضي الخليل من الخليل

هذه سلم الله غيرك، ولا جزاك إلا خيرك، مرداة ضنك، بل مرداة صك، والسلام على من سلم من الهجر لسانه، وسلم من الكفر قلبه وجنانه.

ومن فصل في ذكر الوزير أبي جعفر بن أحمد^١

> قال الفتح < : حللت حامة بجاة ليلاً وجفونها بالظلام مكتحلة ، فتشوفت مستوحشاً ، ووقفت منكشاً ، لا أجد أين أريح ، ولا أرى مع من أستريح ، إلى أن لقيني من أنزلني في منية نائية عن الديار ، خالية من العمار ، فما حططت حتى وافاني رسوله ، يتحمل رغبته في الانتقال إليه ، والتزول عليه ، فاعتذرت له ، وشكرت تفضله ، > فما كان غير بعيد حتى وافاني مسلياً لي ومؤنساً ، وأعاد لي المكان مكنساً ، وبتنا ليلة لم أجد للدهر غيرها ، ولم أحمد إلا طيرها ، ولما كان الغلس تركني مزماً ، وانفصل غني مودعاً ، فلما حل بموضعه كتب إلي < : أستكمل الله تعالى > لمثنى الوزارة < سعادة ، وأستوصله من سموها عادة ، كيف لا أراقب مراقي النجوم ، وأطالب مآقي العيون

١ هذا النص من القلائد : ١٦٥ ويبدو في موضعه دخيلاً على الذخيرة ؛ وقد أورد ابن سعيد في المغرب ٢ : ٣٠٧ ترجمة الكاتب أبي جعفر أحمد بن أحمد ، وذكر نقلاً عن المسهب أنه من أعيان كتاب بلنسية ، ثم ترجم (المغرب ٢ : ٤٠٤) للكاتب أبي جعفر أحمد بن أحمد الداني الذي ستأتي ترجمته هنا ، وهو يعتمد في ما أوردته على الذخيرة ؛ فهل هناك كاتبان بهذه الكنية والاسم واسم الأب ، وأحدهما من بلنسية والآخر من دانية ؟ أو أنهما شخص واحد ؟

بالسجوم ، وقد أندر بالفراق منذر ، وحذر من لحاق البين محذر ، ويا ليت لي لنا غير
محجوب ، وشمسنا لا تطلع < بعد وجوب > فلا نروّع بانصداع ، ولا نفجع بوداع .

وكتب إليّ : ومن لا عدت من أمره إنصافاً ، ومن بره إسعافاً ، ودنا كالسراب
بُعْدُهُ أنس ، وقربه بأس ، وعهدنا كالشباب حظه مبخوس ، وفقده تتوجع منه النفوس ،
فنحن نقنع بالسؤال ، ونتمتع بالخيال ، ونلتقي على النأي تمثلاً ، ولا نبتغي في الجدد تأملاً ،
وما كذا ألفت الحميم ، ولا على هذا خلفت الرأي الكريم ، ولا أدري [٢٠٥ ب] لعل
للأقطار خواص تغيره ، وللأحرار أخلاق تسيره ، وحبذا فعل الصديق كيف تغلب ،
ومذهبه حيث ذهب ، وأكرم بقدره ما أنجب ، وبذكرة ما أطيب وأعذب ، لا زلت أمتع
ببقائه ، ولا أمتع من لقائه .

وكتب إلى الرئيس أبي عبد الرحمن < بن طاهر : لا أشتكي من الليل طويلاً ،
ولا أذم جنحه موصولاً ، وقد زادت بي حال صباحه ، وكافحني أشد من كفاحه ،
ووصلت البارحة على حين هجع السمير ، وامتنع إلى حضرة المجد المسير ، وفي يومنا للرجاء
امتداد ، وللوفاء ميعاد ، ولديّ شوق يطير بي إليه مطاراً ، ولا يوجد دونه استقراراً ،
فسكنت من لاعجه قليلاً ، وبردت من برحائه غليلاً ، وعمرت في مبادرة الحق
ومواصلة البر سبيلاً ، إن شاء الله ، والله تعالى يعيد إلى أفقنا حسن ضيائه ، ويعيني في المنعم
على قضائه .

وكتب وقد أهدي ورداً : زارنا الورد بالفاسك ، وسقانا مدامة الأنس من كاسك ،
وأعاد لنا معاهد الأنس جديدة ، وزفّ إلينا من بنات البر خريدة ، فاحمرّ حتى خلته شفقاً ،
وابيض حتى أبصرته من النور فلحاً ، وأرج حتى كأن المسك من ذكائه ، وتضاعف حتى
قلت الورد من حياته ، فليتصور شكري في مرآه ، وليتخيل ذكرري في بهجته ورياه ،
إن شاء الله .

فصل في ذكر ثلاثة من رجال الأندلس جمعهم وقت
 وزمان ، واشتمل عليهم شان وأوان ، ونسقهم شبه ،
 وكلهم وان كان جاهر بالنفار غزاله ، وجذبت البطالة
 والاستهتار أذياله ، واستفرص بلسانه ، أعيان أهل زمانه ،
 حتى تحاماه الناس ، وانحرف عنه التقليد والقياس ، فله
 من الإحسان مكان لا يجهل ، ومن التقدم في هذا الميدان
 حكم لا يمدل ، ولأمر ما أطلعتهم في أفق ، ووضعتهم
 على نسق ، والمرء المشبهه ، دون قرابته وذويه ، وسأثر ما
 نظمت ، وأوضح ما أبهمت ، وأذكرهم رجلاً رجلاً ،
 وأسرد من قصصهم تفاصيل وجملاً ، وأكتب من أشعارهم
 ونوادر أخبارهم ، بما يقفك على إحسانهم ، ويعجبك
 من اشتباههم واقترانهم ، فمنهم ^١ :

الكاتب أبو جعفر بن أحمد^٢

من [مدينة] دانية [٢٠٦ أ] ؛ قدّمته إذ كان أنبّههم موضعاً ،
 وأوسعهم عند ملوك الطوائف بأفقنا مطاراً وموقعاً ، وله إحسان كثير ،
 منظوم ومنثور ، بين قلب ذكيّ ، ولسان غير بكيّ ، شهدا له بفضل براعة ،
 وتقدّم في هذه الصناعة ، وتفاوت هو وأخوه تفاوتاً عظيماً فيه الشأن ،

١ هذه المقدمة لم ترد في د ط س ؛ وقد ميز ابن بسام أحد هؤلاء الثلاثة وهو أبو جعفر بن أحمد
 الداني ، ولم يميز الاثنين الآخرين فهل نعد الاثنين التاليين وهما عمر بن عطيون التجيبي
 وابن أبي الحصال من ضمن الثلاثة الذين عناهم المؤلف ؟ وهل كان هذان ممن « جذبت
 البطالة والاستهتار أذياله ، واستفرص بلسانه أعيان أهل زمانه » ؟ ليس في أخبارهما التي
 أثبتتها ابن بسام ما يشير إلى ذلك .

٢ ترجمته في المغرب ٢ : ٤٠٤ ، وانظر ما تقدم ص ٧٥٥ .

وأعرب به عن ذات نفسه الزمان : كانا ابني رجلٍ من شَرَطِ ابنِ مجاهدٍ بدانية . مشهورٍ بلؤم المكسب ، وضعة المركب ، صاحب عصاً شوهاء ، ودعوةٍ غير ذات سناء ، و [نشأ] ابناه هذان ولهما همة في الأدب ، وحرصٌ على الطلب فقُسِّمَتَ بينهما العلياء . قسمةٌ مثلاً يُشَقُّ^١ الرداء ، فتقدم أبو جعفر هذا بالإحسان في النظم وانثر ، وذهب عليه أخوه بالمكان من النهي والأمر . فحمل تلك الدولة على كاهله ، وصرف الملوك بين حقّه وباطله ، ووقع معه أخوه أبو جعفر تحت المثل : « أوسعتهم سبياً وأودوا بالإبل »^٢ . فله فيه من ذلك غرائب تجاوز فيها ملح العتاب ، إلى قذع السباب . فمما له فيه ، يشير إلى ضعة أبيه ، قوله^٣ :

وعصا أيينا إنها لأليّة شوهاء إنك شوهة الوزراء

وقوله :

جار ذا الدهرُ علينا وكذا الدهرُ يجورُ
كان شرطياً أبونا وأخي اليوم وزير
أنا مأبونٌ صغيرٌ وهو مأبونٌ كبير

إلى غير ذلك من مقطوعات ، فيها هنات ، صنتُ الكتاب عنها . وفي ما أجريتُ من ذكره ، وأثبتُ في هذا الفصل من نظمه ونثره ، ما يدلّك على عجيب أمره .

١ ط د س : انشق .

٢ انظر المثل في الميبداني ٢ : ٢١٤ .

٣ ورد هذا البيت والأبيات الثلاثة التالية في المغرب .

فصول له من رقعة أنشأها على لسان القصر المبارك ، إذ^١ انتقل عنه
المعتمد [بن عباد]^٢ إلى القصر المكرم من قصور اشبيلية ، قال في فصل منها :
نحن أيها المحلُّ السعيدُ ، والقصرُ القديمُ^٣ الحديد ، وإن نبضتُ فينا للنفاسة
عروقٌ ، نعلمُ أنه لبعضنا ، على بعضِ حقوقٍ ، فما أحقُّنا بحقِّ المشايعة
والمتابعة ، لما نظمنا من سناء الدولة اللخمية ، وتشرفنا^٤ به من ولاءِ المملكةِ
المعتمديةِ — عقدَ الله لنا أسبابها ، ومدَّ علينا أطنائها — وحقاً أقولُ أيتها
القصرُ المكرَّمُ ، لا جرمَ أنه لك السبقُ والتقدم ، فإنك أَسُّ^٥ الخلافةِ ،
وقرارةُ الرئاسةِ ، ومركزُ الدَّولِ المتداوِلَةِ ، شهدتُ الأَشهادُ ، أنه بك
مُهدَّتِ البلادُ ، وعنك انبثَّتْ^٦ أجيادُ ، كأنها الجرادُ ، على حين اشتدت
شوكَةُ المارقين ، وحميتُ جمرةُ المعاندين ، فالظَّطوا بهم مجلَّحين ، وشنَّوا
[٢٠٦ ب] عليهم الغارةَ مُمَسِّين ومُصَبِّحين ، وأذلُّوا كلَّ جبار
عنيد ، وقطعوا دابر كل ختارٍ مريد ، حتى خضدوا تلك الشوكَةَ ، واطفأوا
تلك النَّائرةَ ، فانبجلتِ الغمَّاءُ ، وسكنتِ الدهماءُ ، بتدبير قاضي^٨ العدل ،
وحكم عبادِ البأسِ^٩ والفضل ، فمرتْ لك كذلك بُرْهَةٌ ، وتراختْ
بكَ على تلك الحال مدَّة ، آمناً سِرْبُكَ ، صافياً سِرْبُكَ ، لا يُطارُ

١ س : حين .

٢ زيادة من س وحدها .

٣ ط د : الكريم .

٤ ط د : للبعض .

٥ ط د : وشرفنا .

٦ ط د س : أثر ؛ ب م : أسى .

٧ د : ابلت ؛ ب م : اثنت .

٨ ط د : بتدبير حكم قاضي .

٩ س : عتاد الناس .

غرابك ، ولا يُضار بسوءِ جَنَابِكَ ، فهنيئاً لك النعمى أُولى وهذه أُخرى .
ولما ثاب من سَعْدِي ثابٌ ، وأسعدَ جدِّي قَدَرٌ غالبٌ ، درج عنك
إليّ ، وطلع من تِلْقَائِكَ بطالع الإقبالِ عليّ ، المولى المعتمدُ الذي أحياكَ
رفاتاً قَدُمَ ، وأشبَّ منك كبيراً قد هَرَمَ^١ ، كما أحيا ذِكرِي ، ونوّة
من قدرِي ، إذ حَطَّ اسمي عن عَرَضِ الدور ، وأثبتته في ديوانِ سامياتِ
القصور ، فمن رأى من قبلي الوهادَ ، تُطاولُ الأطوادُ ؟ ! فأصبحتُ
- واللهُ وليُّ الإحساد - هضبةَ القصادِ ، ونُجعةَ الروادِ ، وكعبة بني
الأملِ ، وعصمةَ كلِّ خائفٍ وجَلِ :

في كلِّ شارقِ الزوَارُ تكتنفي وبعد حولٍ يزار الركنُ والحجرُ
لو أن إيوان كسرى كان عاصرني لكان لي دونَه عزٌ ومفتخر
بساحتي تُعقَدُ الراياتُ يتبعها جيشٌ يسايره أو يقدمُ الظفر
بسعدٍ محتسبٍ في الله معتمدٍ عليه أفعاله في دهره غر
وكم له في الورى من فتكةٍ قُرِئتُ فينا كما تُقرأ الآياتُ والسور

وفي فصل منها : ومعلوم أيها القصرُ ، الذي يَزْدانُ^٢ به العصرُ ، أنْ
لكلِّ أجلٍ كتابٌ ، وللنفوسِ علائقُ وأسبابٌ ، وأغراضٌ وآرابٌ ،
فاللبيبُ من قدرَ الأشياءَ بمقدارها ، واعتبرَ الأمورَ حقَّ اعتبارها ، فعلم
أنَّ لها [عوارض من سأم يلحقها ، وكسل يطرقها ، فتستريح بالانتقال من
حال إلى حال ، ليعود ذلك الانقباضُ] انبساطاً ، ويؤول ذلك الكسل نشاطاً ؛
ولا عجب من غضارة بساتيني ، ونَضارةِ رياحيني ، فإنَّما كان ذلك في

١ ب م : انهرم .

٢ ط س د : المزدان .

مُدَدٍ مَرَاخِيَةٍ ، وَأَيَّامٍ وَلِيَالٍ [علي^١] متعاقبة ، وإنما العجبُ
 الأعجبُ ما نُسِيَّ إليَّ عنك ، مما تكاملَ فيكَ واجتمعَ لك ، من حداثٍ
 بواسقٍ ، في أيسرَ من رَجْعَةِ الطَّرْفِ ، وأسرعَ من قبضة الكف^٢ ، إلى
 أنوار أُنِيعت^٣ ، وأزهارٍ تنوَّعتْ : فمن وردٍ كتوريد الحدود ، ونرجسٍ
 كمَقْلٍ الغيد ، وسوسنٍ كأنه راحةٌ ثنت البنانَ ، على قُرَاضَةٍ من العقيان ،
 وآذريون كمداهن عسجديةٍ ، على قُصْبٍ زبرجديةٍ ، وخيريٍّ كأنما
 استعار شَكْلَةَ العيون ، أو اختار بذلةً^٤ المحزون ، وبنفسٍ حكي زُرُقِ
 البواقيت ، وبقيَّةِ النارِ في أطراف كبريت^٥ ، وياسمين يذكر بالحدودِ
 البيض [٢٠٧ أ] ويعطلُ كلَّ نسرٍ ولاغريض .

وفي فصل : وإن الخجلَ منك ليكسوني أثواباً ، والمعرفةَ بحقك تقتضي^٦
 اعترافاً لك واستعتاباً ، على ما ضيَّعتهُ قبلُ من مداخلتك ، وفرطتُ قديماً
 فيه من مواصلتك ، فأني كنت آنفأً في نحو ما أنت فيه اليومَ زاهياً ، هنأكَ
 الله المنحة^٧ منه ، وسوَّغَكَ النعمةَ الجسيمةَ به ، من الشُّغْلِ المطَّرد ،
 بخدمة المولى المعتمد ؛ ولما انتقل إليك وجبَ أن أخاطبكَ معذراً مستغفراً ،
 وأُكاتبكَ مهنئاً لك مستكثراً منك ، وما اتفق لي من ينوب في ذلك منابي^٨ ،

١ لم ترد في س أيضاً .

٢ ب م : وأيسر . . . بالكف .

٣ ب م : أنيعت .

٤ ط د س : لبسة .

٥ من بيت ينسب لابن المعتز أو لغيره (انظر تخريج بهامش أسرار البلاغة : ١١٧) :

كانها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت

٦ ب م : تقتضي .

٧ ط د : المحبة .

٨ ط د : ينوب عني في ذلك ؛ س : ينوب في ذلك عني .

وما زلتُ أطلبُ مَنْ يُجيدُ ما يكتبُ ، حتى تُقبضَ منشيءُ هذه الرقعة ، وحليّ لديّ بالبلاغة ، فخاطبكَ غني بما تراه^١ ، وتستوضح مغزاه ، وقد استوجبَ باتصاله بي واعتلاقه بسببي حقوقاً عندي ، وحظاً وافراً من اعتنائي وودّي ، وأسألكَ فَضْلَ العناية به دوني ، وصدقَ الشفاعة له عنّي عند المولى المنعم ، ولا أقلّ من أن يبلّوه وَيُخْبِرَهُ ، فإن استحقَّ بالإحسان إحساناً ، أوُسَعَه وأوسعني عنه إنعاماً وامتناناً ، وإن كانت الدولة السعيدة غنية عنه فما أخلقَ مكارمه بأن يلحفه ظلّها ، ويبوّثه فضلها ، فيكونَ في خباياها ، وقيم في ذراها ، ليعلم من علمَ بقصده لها ، أنه قد حليّ بباطلٍ منها ، وعسى أن يظهرَ بعد حينٍ رأيي في تشريفه بتصرفه .

الجواب عن ذلك من إنشائه [أيضاً]^٢ : أحسنتَ أيها القصرُ المباركُ
أَحْسَنْتَ ، شدّاً ما بيّنتَ^٣ ، وسرعة ما لقيتَ ، وأصبحتَ - والله يُسمِّ
سناكَ ، ويُسمي بهاءك - بهذه الطبايع ، محبّ المقاطعِ والمنازع :

ومن يكُ عبداً للمؤيد لا يزَلْ [حميداً] مساعيه سديداً سهامه
ملكٌ إذا ما همَّ أمراً فإنما ذريعتُهُ خطيئته وحسامه
لقد هيأتُ لك الهيئَةَ العلويّة ، مراتبَ سنيّة ، وأطلعتُ لك النصبَةَ
الفلكيّة مطالع من السعودِ ، سمّتْ بك صُعُداً من الصعید ، ومنحتك من
عِزّة السلطان ، ما أنافَ بك على الأقران إلى العنان ، فأين منك الجوزاءُ ،
وقليلٌ لك أن أقولَ الأبلقُ الفرْدُ وتيماء ؟ أنت فلانُ نجومِ الملوكِ ،
وسماءُ رُجومِ الشرك .

١ ط د ب م : على ما تراه .

٢ ط د س : وفي فصل من الجواب على ذلك من إنشائه أيضاً .

٣ ب م : بثت .

وفي فصل منها : والله يا سيّد القصور ، وبهجة الدهور ، [ما تقرّر لك لديّ] ، وقصّ عنك إليّ ، من محاسن أحرزتها صفتك ، وفسرتها [جمّلتك ، من تحليك] بوجهين على منصبين ، مفضيين إلى مجلس بين حيرين^١ ، كلاهما محاسنهُ فائقة ، وبساتينهُ رائقة ، ذواتُ أفنان متعانقة ، تعانقُ الخلّان ، تلهيك عن قدودِ العذارى ، وتُنسِيكَ معاطفَ [٢٠٧ ب] النواعم السّكّارى ، قد أقامت من الأوراق ، شكّلَ الرّواق ، فيمرّ النسيمُ بها عليلًا ، وتلاحظُ^٢ طَرْفَ الشمسِ أثناءها كليلًا ، فأنت منها في ظلٍّ ممدودٍ ، وطلحٍ مخضودٍ ، وطلعٍ منضودٍ^٣ ، لتساقطُ ؛ ذلك الثمر ، وإن كان لا يُهْتَصَر ، إلى آسٍ عَبِيقِ الأنفاسِ ، حكى سلاسلَ الذّوائب من أصداغ الكواكب ، وأنوارِ أشتاتٍ ، وأزهارِ ملوناتٍ ، فمن أبيضٍ ناصع ، وأصفرٍ فاقع ، [وقانيءِ حمرة ، وباقلِ خضرته]^٤ ومن أقحوان كنغور الحسان ، وشقائق كالشقيق ، أو مذابِ العقيق ، كلّ ذلك بهجٌ متبرّج ، بين يدي ذلك المجلس الرفيع البديع ، صدّفة الدرة اللّخمية ، ومقرّ^٥ الدولة المعتمدية ، [تروق النظر ، وتستوقف الأبصار ، بمصانع شاكّته الوشائع ، ومحاسن عطلت البساتين ، لم تعرف تلك أرضُ صنعاء ، ولا حاكت هذه أيدي السماء ، قد مازجها النصار سائلًا ، وترقرق بها ماء

١ الخير أو الحائر : المكان المظلم من الأرض يجتمع فيه الماء ، ويطلق على البستان .

٢ س : وتلاحظك (صوابه : ويلاحظك) .

٣ انظر الآية : ٣٠ من سورة الواقعة .

٤ ب م : تساقط ؛ س : يتساقط .

٥ هذه الزيادة من س وحدها ؛ وفي د ط في موضعها : وأحمر قان .

٦ ب م : ثمرات .

٧ س : وهم .

الحسن مقيماً وجائلاً^١ ، فلتماثيله^١ صور يسحر منها النظر ، من ناطق لبق
الحركات ، وصامت مألوفِ النزعات [:

قد فات حُسْنُكَ كلَّ قصرٍ مثلما فات المؤيدُ كلَّ مَلَكٍ في الورى
ملكٌ إذا وقفَ الملوكُ ببابه عاد المعظمُ منهمُ متصغراً
طلب المعالي بالعوالي واللها فاحتازها والطالبوها بالعرأ
إيقادُهُ نارَ الحروبِ فخارُهُ وفخارُ قومٍ يوقدون العبرا
في حين تلمحُ السيوفُ بوارقاً والزَّغفُ ليلاً والحيادُ كنهوراً
وبودِّي أيها القصرُ المألوفُ جَنَابُهُ ، المنيفُ نِصَابُهُ ، لو أمكننا اللقاءُ ،
حتى يقعَ الشفاءُ ، ويتمكنَ الإخاءُ :

ولو كان يمكنُ سَعْيُ الجُمادِ سعى بيَ نحوكَ فرطُ الودادِ
وشخصكُ إلّا أطلِعهُ لحظاً فإني أطلِعهُ بالفؤادِ
ولله مَلَكٌ ظللنا بهه مليكي قصورِ جميعِ البلادِ
لقد جمع اللهُ فيه خلالاً جلائلَ ما اجتمعت في العبادِ
[إذا ما انتمى فابن ماء السماء ولما اعتزى فابن حر الجلالِ]
حمى عندها النومَ أجفانه فيكحلهنَّ بميلِ السهادِ

جمل لا يفصلها^٢ إلّا العيان ، ومحاسنُ يَصْدُقُ فيها اللسانُ والبرهان ،
ومكارم لا تحتويها^٣ الغمائم ، وأدبٌ كما تفتحتُ الكمائمُ ، تُسْمِعُ
الصمَّ ، وتَسْتَنْزِلُ العُصَمَ ، وتُرْهِفُ طباعَ الغبيِّ ، وتحثُّ قريحةَ البكيِّ ،

١ س : تقابله .

٢ د ط : يفصلهن .

٣ س ط : تحذيها .

بأدنى لحظة ، وأيسر نكتة ، في أقرب مدّة ، فناهيك بمن أسعدته قريحة ،
وعضدته لودعيّة صريحة ، إياك أعني أيها النشأة المباركية ، والجملةُ
المستجادةُ المرّضية .

وفي فصل [منها] : ولقد أثقلَ ظهري ، وأعيا^١ [٢٠٨ أ] ناهضَ
حمدي وشكري ، [إذ أخذتَ بطرفي الفضلِ ، وسيمّتي خُطتي العجز
في القولِ والفعل] ، ما^٢ تبرعت به - ولك أتمُّ الطولِ فيه - من مبادَهةِ
المخاطبةِ ، ومفاتيحِ بابِ المكاتبةِ ، بعاطرِ ثناءٍ ، كأرجِ الكباءِ ، [وبارعِ
إحمادٍ ، كأزهارِ الربى غبَّ العهادِ] ؛ فلولا ما اتّصلَ بي عنك ، وتقرّرَ
لديّ من لدنك ، من صحّةِ طويّتك ، وسلامةِ دخليّتك ، لقلتُ : هذا
الجفاءُ مجاوّ في صورةِ الثناءِ ، والازدراءُ مخبوءٌ تحتَ لسانِ الإطراءِ ،
وإنكَ أمعنتَ في كتابك في التصريحِ ، وجريتَ فيه طلقَ الجُموحِ ، وما
اجتليتُ له فصلاً ، إلّا استربتُ فيه فضلاً ، ولا مررتُ منه بفقرة ، إلّا
صرّحتَ لي عن ندرةِ ، وكلما أعدتَ طرفي فيه ، راعني حُسْنُ ما تُعيدُه
وتُبدِيه ، فطففتُ تارة [به] أعجَبُ ، وأخذتُ طوراً منه أعجَبُ ،
وقلتُ : لله كاتبُهُ ، لقد أوجزَ فأعجزَ ، واقتضبَ فكأنما^٣ أسهبَ ، ثم
عدتُ أقولُ : لا عجبَ ، استملى من محاسنِ [القصرِ المباركِ] فكتبَ ،
وهل هو إلّا البحرُ يقذفُ بالدرِّ ، والروضُ يبسمُ عن يانعِ الزهرِ .
وفي فصل منها : وقد تعقبتُ على الكاتبِ نكتةً ، إلّا تكنُ هناةً ،
لم تبعدُ^٤ أن تكونَ غفلةً ، من أن يرى العجبَ الأعجبَ ، والغريبَ الأغربَ ،

١ ط د س : أثقلت . . . أعييت (س : وأعيا فأنهض) .

٢ ط د س : بما .

٣ ط د : وكأنه .

٤ س : لم تعد .

ما اتفق لي مما تكاملَ فيّ ، ونمي إليك عني ، في قِصَرٍ من الزمان^١ ،
 كابهام الحُبَارَى^٢ في العيان ، فما رثتُ^٣ أن تخلتُ ، حالياً زاهياً ، مفوّفاً
 مُزَخرفاً . مُقَرَّطاً مُسْتَفّاً ، لا ترى إلّا روضةً غناء ، وحديقةً خضراء^٤ ،
 وبهجةً زهراء . محاسن تأخذُ بمجامع القلوب . وتحير صفاتها البعيدَ
 < فضلاً > عن القريب . أشجارٌ نجمتُ لحينها . وتفتقت أثناء^٥ رياحينها .
 نُقِلتْ عن ريّ إلى ريّ . فتمجلتُ في أحسن^٦ زي ، قيد القدود ، وأشباه
 الهَيْبِ الغيد : [ريتاً ناضرات ، أترابٌ أيدأت ، ليست بالثُّمام الضعاف ،
 ولا الأدواح القفاف^٧] ، فللرياحين أريجٌ ، ولحرير الماء ضجيجٌ ، كلما
 تجلت عن خرطوم أقودٍ أغلب^٨ ، صحرائي النسبة . آدمي الصنعة ، إنسي
 الحضرة . شبح ممثّل ، وجماد لا يهرول .

[قال ابن بسام] : وفي صفة [هذا] الفيل يقول عبد الجليل ، من
 قصيدٍ طويل ، هو ثابت في موضع أخباره من هذا المجموع :

ويُفرغُ فيه مثلَ النَّصْلِ بدعٌ من الأفيال لا يشكو ملالا
 رعى رطبَ اللجين فجاء صلداً وقاحاً قلماً يخشى هزالا
 كأنَّ به على الحيوان عتياً فلم يرفع لرؤيتها قذالا

١ ط د : وفي فصل مر الزمان . ٢ انظر الحاشية : ١ ، ص ٧٦٨ .

٣ ب : ريت ؛ م : رأيت .

٤ ب م : تحليه .

٥ ب م : غصراء .

٦ ب م : وبسقت .

٧ د ط س : عن أحسن .

٨ القفاف : اليابسة ؛ وهي زيادة من س وحدها .

٩ أقود : سلس ؛ أغلب : ضخم ؛ ط س د : أغلب .

ومنها في وصف ثمار هذا الغصن ^١ :

وأوصى بالرياحين اغتراساً همامٌ طالما اغترسَ الرجالا [٢٠٨ب]
وكان الغرسُ والإثمارُ وَقْفًا لمن جعل الندى والوعدَ حالا
وقامت يوم قمنا منشدات فغضت من رويتنا ارتجالا -

ولابن أحمدَ فصلٌ من رقعة : إذا تُدبِّرَتْ - أعزَّكَ الله - معاليك
حقيقة التدبر ، ومُنِحَتْ فَضْلَ النظر ، تجلَّتْ من الكمالِ في أحسن
الصور ، وراقت العيونَ ، وفانت الظنون ، فانك اتخذت إلى العلا طريقاً
مختصراً ، خفِيَّ عن غيرك فلا يَرَى له أثراً ، فكلُّ يرى أساس المجد
سَعِيَهُ لنفسه ، واستنفادَ وَسْعِهِ لذاته ، فيكون كما جرى به المثل :
« سَمْنُكُمْ هُرِيْقٌ في أديمكم » ^٢ أو كما قيل : « لنفسه بغى ثُعالة » ؛
وأنت - أعزك الله - إنما تشيدُ مجدَكَ ، بأن تبدلَ لغيرك [جهدك] ،
وتنفقَ في ذلك ما عندك ، وهذا طريقٌ لا يهتدي إليه إلاَّ عيونُ آرائك ،
وغرضٌ بعيدٌ لا تُصمِّيه إلاَّ سهامُ إنحائك ، والله يُبقيك للأفاضلِ إماماً ،
وللفضائلِ نِظاماً ، بعزته .

وله من أخرى مما كتب به عن بعض أمراء الثغور ^٣ إلى قوم من النصارى:
أيتها الشرذمةُ الطاغية ، إنكم لنا لغائظون ، وإنكم لتُفسِدُونَ في الأرضِ
ولا تصلحون ، ناشدتمونا الله في عَقْدِ السِّلَم أن تكفوا عن المسلمين عاديةً
الأذى والاستطالة ، فحملتموهم ضِغْناً على إِيَّالِهِ ، وانتسفتم النِّعَم ، وهتكتم
الحُرَمَ ، وبيتم سكون الدهماء ، واستبيتم الحرائر في رَبَقِ الإمام ، وتوغلتم

١ ط د س : في صفة هذه الرياحين .

٢ انظر فصل المقال : ٤٣٦ ؛ والميداني ١ : ٢٢٧ والعسكري ١ : ٣٣٣ ؛ وجاء المثل في

ط د : سمنهم هريق في أديمهم . ٣ ط س د : الثغر .

البسيطات ، وتسمنم القلاع الممتنعات ، ولم تَرْقُبُوا فينا إلاّ ولا ذمةً ،
ولا رعيتم لنا سَلَكَنّاً ولا حُرْمَةً ، وليس إلاّ حكمُ الله بيننا وبينكم ، وهو
بعزته يُحْيِي قُ دَائِرَةَ السَّوْءِ بكم ، ويستأصلُ شأفتكم ، [ويصرفُ مَعَرَّتْكُمْ] .
وانا لَنرجو أنها علةٌ قد نضجت ، وكأنّ بالكُربةِ عناً قد تفرجت ، فلتستشعروا
حلولَ النّقمةِ بكم ، وإنّاخَتَهَا عليكم ، وتخطَّفَ المنايا لكم ، وقَطَعَهَا
لدابركم ، وان الذي بينكم وبين الهلكةِ لأقصرُ من إيهام الحبارى^١ ، في
يومٍ تُرَوْنَ فيه سَكَارَى ، وما أنتم بسَكَارَى ، ولكنّ عذابُ الله الواقعُ ،
وسخطُهُ الذي ما لكم عنه دافع ، ولسنا نحاكمكم إلى غير المهتد ، ولا
نماتلكم ذلك وكأنّ قد^٢ ، فإن الله لكم بالمرصادِ ، ولن يتولّى كِبَرَكُمُ
إلاّ أقلُّ الأعدادِ ، من أنجادِ الأجنادِ^٣ ، فتصبحوا كأن لم تكونوا شيئاً
مذكوراً ، وتصيروا إلى جهنّمِ وساءتْ مصيراً . [والسلام على من اتبعَ
الهدى ، وخشيَ عواقبَ الردى] .

[وهذه أيضاً] جملة من شعره

من ذلك ما أنشدني لنفسه مما خاطب به^٤ الوزيرَ الأجلَّ أبا بكر بن
زيدون :

لا تمنعنكمُ الدنيا وزخرفها بيري فقد كنتُ منها في زخاريفِ

١ انظر الميداني ٢ : ٥٠ ويقال أيضاً : أقصر من إيهام قطاة ومن إيهام الضب .

٢ س : إلى الغد .

٣ ب م ط : الأنجاد .

٤ ب م : قال يخاطب . . . الخ .

أسماء أعلامٍ أنتم ظلت بينكم [٢٠٩] حرفاً وما أبتغيكم غيرَ تصريحٍ

وهذا المعنى ينظر إلى قول اللجام^١ ، مما أنشده الثعالبي^٢ :

أنا من وجوه النحرِ فيكم أفعُلُ ومن اللغاتِ إذا تُعدُّ^٣ المهملُ

وقال اللجام أيضاً^٤ :

ونُعِتْنَا^٥ بشاعِرٍ نَعْتُهُ ليس ينصرفُ

وحدثني أبو حاتم الحجاري قال : كتب إليّ ابن أحمد بهذه الأبيات^٦ :

قالوا الحجاري وظنّي أنه حجرٌ والدُّرّ ليس بمنحوتٍ من الحجرِ
عني إليك من أشعارٍ لها غُرَرٌ غيري يباحثُ بالتحجيل والغررِ
بيتٌ ببيتٍ ومصرعٌ بمشبهٍ حتى يصدقُ خبري ذائعُ الخبرِ

قال أبو حاتم : فأجبتُه^٧ :

قف يا ابنَ أحمدَ لا تجمعْ على غَرَرٍ كوقفة العيرِ بين الوردِ والصَّدَرِ
ولا تعرّضْ فعندي كلُّ شاردة كالنارِ تلقي إلى الأشرارِ بالشرِ
إن شئتَ سلماً فسلماً أو محاربةً عندي أناةٌ وعندي بطشةُ القدرِ

١ اليتيمة ٤ : ١٠٢ وفيها « اللجام » وهو علي بن الحسن الحراني .

٢ اليتيمة ٤ : ١٠٣ .

٣ ب م : تمدى .

٤ اليتيمة ٤ : ١٠٣ .

٥ اليتيمة : وصرفنا .

٦ ب م : وكتب إلى أبي حاتم الحجاري .

٧ ب م : فأجابه أبو حاتم .

أنا سواد^١ وآياتي مبيّنة فما يخصّك من خبري ومن خبري
قال أبو حاتم : فكتب إليّ ثانية^٢ بقوله :

أمرت مني جفاءً غير مؤتمر كالذئب نهنه عدوّ الضيغم الهصير
والعير مستوقف الأفراس سابقة كوقفة العير بين الورد والصدر
إن كنت مستأخراً يوماً فلا عجب فوائد الكتب قد أثبتن في الطرر
وبين فكري ونفسي كل صائبة كالسهم ينفذ بين القوس والوتر

قال أبو حاتم : فراجعت هذه الأبيات^٣ :

أنا الحجاري والياقوت من حجر والماء ينبع سلسالاً من الحجر
وركن مكة فيه ما سمعت به تراك تجحد أو تعمى عن النظر
لا تحسب الشعر إلاّ دوح باسقة أصبحت أقطف منها يانع الثمر
لي المحاسن وانظر قلما خفيت أخفى عليك ولكن سوف تعرف بي^٤
وقد أتتني وبعد البطء ما وردت صحيفة لم أنم منها على غرر
ثقف كعوب قناة أنت تحملها واضرب بمن كتبت الصارم الذكر
ماذا تريد بنسج هلهلته يد أخشى عليك هجوم القر في صفر
وقد نصحتك الأيام واعظة وأنت تجنح^٥ أحياناً إلى السفر

قال أبو حاتم : فلم يراجعني بعد ، فكتبت إليه آخراً بقولي^٦ :

١ ط د س : سواك .

٢ ب م : فأجابه أبو حاتم .

٣ ب م : فكتب إليه أبو حاتم .

٤ ط د س : تعرفني .

٥ ب م : فكتبت إليه أخرى .

٥ ط د س : تذهب .

ما لابن أحمدَ لم تُبَصِّرْ بصيرتُهُ هيهات تضعفُ أحياناً عن النظرِ
 يظنُّ بي قِصراً والطولُ يعجبني إني لأعجبُ من طولِ ومن قصرِ
 إذا استرابَ بمثلي في بديهته وقال ما يملأُ الأسماعَ من هذرِ
 فخله يخبِطِ العشواءَ في رجلِ يسري فيمرحُ بين الشمس والقمرِ

ولابن أحمد مما خاطب به أبا بكر الداني المعروف بابن اللبانة^١ :

هبِ السحرَ يُملي والمعالِي تَدَقُّ هل الكلُّ إلّا من صفاتك يُشْرِقُ
 وهبنا شدونا كالبلابل إنّه جميعُ الملاهي من قريضك ينطقُ
 جمعتَ معاني الحسن في طيِّ مُهْرَقٍ ولم أحتسب أن يجمعَ الحسنَ مهْرَقُ
 ولا فضل لي إلّا النظامُ وإنّها إماؤك تجلوها كواكبُ تعشقُ
 وماذا عسى نُهدي إليك وإننا^٢ جداولُ في أدنى بحارك تغرقُ
 وما زلتَ تهدي كلَّ حينٍ جواهرًا فتخزنُ منها ما تشاءُ وتنفقُ
 أرى شعراءَ الوقتِ دونك قصّرتُ إلى عفوك الأدنى تحبُّ وتُعْنِقُ
 وجدتك شمسَ الفهمِ أشرقَ نورُها فلستُ أراعي كوكباً يتألقُ

فأجابه^٣ أبو بكر الداني [بقوله] :

سبقتَ إلى العليا وما زلتَ تسبقُ فأرسلتَ ما يندى عليّ ويعبقُ
 كتابٌ كما يُتلى الكتابُ وراءَهُ حديثٌ كما يُروى الحديثُ المصدقُ
 أضواءُ الهوى في صَفْحٍ ما قد خططته كما ضاءَ في وجهِ الحقيقةِ رونقُ
 أعدتَ لي الدنيا فتاةً وربما غلاماً، كلا الوجهين في الحسن ريتُ [٢١٠أ]

١ د ط س : وكتب ابن أحمد إلى أبي بكر . . . هذه الأبيات .

٢ ب م : وإنها .

٣ ط د س : فراجعهُ .

وَأَنْتَسْتَنِي مِنْ وَحْشَةٍ فَكُنَّا مَدَدْتَ عَلَيَّ الظِّلَّ وَالشَّمْسُ تَحْرَقُ
أَخَذْتَ بِأَطْرَافِ الْكَلَامِ فَحَزَنَتْهُ فَحَظُّ الْوَرَى مِنْهُ الَّذِي تَتَصَدَّقُ

وَمِنْ شَعْرِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ يَسْتَنْجِزُ^١ بَعْضَ الْوُزَرَاءِ :

عِدَاتٌ مِثْلُ مَا ابْتَسَمَ الْحَسَانُ وَتَسْوِيفٌ كَمَا عَبَسَ الزَّمَانُ
وَقَدْ خَبَّرْتُ نَفْسِي عَنْكَ خَيْرًا وَأَحْرَبُ أَنَّ يَصْدَقَنِي الْعِيَانُ
وَهَا مِدْحِي سَوَابِقُ مَلْجَمَاتٍ لِأَرْسَلَهَا وَفِي يَدِكَ الْعَنَانُ

وَمِمَّا قَالَ فِي الْغَزْلِ وَسَمِيَ هَذِهِ الْقِطْعَةُ بِالْصَفْقَةِ :

سُمْتُ الْحَبِيبَ وَصَالًا قَالَ لِي نَعَمْ وَلَا أُبِيعُكَ إِلَّا يَدًا بِيدٍ
فَقُلْتُ هَاكَ فَوَادِي قَالَ تَبْخُسْنِي حَقِي فَزِدْنِي عَلَيْهِ فَلَذَّةَ الْكَبِيدِ
فَقُلْتُ هَاكُهُمَا فَافْتَرَّ مِنْ عَجَبٍ وَقَالَ لِي إِنَّ هَذَا غَايَةُ الْجِلْدِ
فَقُلْتُ لَا تَعْجَبَنَّ فَالْوَجْدُ يَقْتُلُنِي^٢ فَقَالَ مَا لَقَتِيلُ الْحَبِّ مِنْ قُودِ

وَهُوَ الْقَائِلُ مِنْ أَيْبَاتِ أَنْدَرَجَتْ لَهُ فِي أَثْنَاءِ رِسَالَةٍ^٣ :

وَلَمْ يُرَ مِثْلُ الْجُودِ لِلْمَرْءِ حُلَّةً وَهَلْ يَسْتَوِي قَدْرًا جَوَادٌ وَبَاخِلٌ
يَذْمَمُ بِالْبَخْلِ الشَّرِيفُ انْتِسَابُهُ وَتَحْمَدُ بِالْجُودِ الْخَسَّاسُ الْأَرَاذِلُ
وَمَا لَكَ فِي الدُّنْيَا سِوَى مَلْبَسٍ يُرَى عَلَيْكَ وَمَا تَعْطِي وَمَا أَنْتَ آكِلُ
يَطِيلُ حَيَاةَ الْمَرْءِ طَيِّبُ ثَنَائِهِ وَالْأَفْأَيَامُ الْحَيَاةِ قَلَائِلُ

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : فَاعْجَبْ لِهَذِهِ الْمُنْقَبَةِ النَّبِيلَةِ ، وَالْحُلَّةِ الْوَسِيمَةِ الْجَمِيلَةِ ،

١ ب م : يَسْتَحْث .

٢ ب م : فَقَالَ لِي يَدُكَ لِي قَالَ تَقْتُلُنِي ؛ س : فَقَالَ لِي نُوبَةٌ إِلَى قُلْتِ تَقْتُلُنِي .

٣ ب م : فِي اثْبَاتِ جُودِهِ .

تُكْسِبُ المرءَ خُلْدًا مع الزمنِ ، وإن كان الخلدُ غيرَ ممكنٍ ، وبالكرم
استدلَّ على كثيرٍ ممن كان في سالف الأُمم ، لاسيما إن أَلَفَ شعراً ،
أو صنف نثراً ، وبه عرف هَرَمُ بن سنانِ المرِّي وحاتم الطائي ، وَمَنُ
سواهما من الأجوادِ والأصفاد .
وله ^١ :

قم فاسقني ^٢ والرياضُ لابسَةٌ وشيأ من النور حاكهُ القَطْرُ
والشمسُ قد عَصَفَرَتْ غلائلها والأرضُ تندى ثيابها الخضر
في مجلسٍ كالسمااء لاحَ به من وجه من قد هويته ^٣ بدر [٢١٠ ب]
والنهرُ مثل المجرِّ حَفَّ به من الندامي ^٤ كواكبُ زهر

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي الخطاب

عمر بن أحمد بن عبد الله بن عطيون التجيبي الطليطلي ^٥

أحدُ بحورِ البراعة ، ورؤوسِ الصناعة ، نفثَ هاروتُ على لسانه
بسحرٍ ، إلاَّ أنه حلَّو حلال ، وتَفَجَّرتِ البلاغةُ من جَنَانِهِ ببَحْرِ ، إلاَّ أنه

١ هذه القطعة لم ترد في د ط س ؛ وهي في المغرب ٢ : ٣٨ في ترجمة الوزير الكاتب أبي جعفر
ابن أحمد ؛ وقد مر القول بأن ابن سعيد ترجم لاثنتين بهذا الاسم ، فهل يمكن أن نستنتج
من هذه القطعة أنهما شخص واحد ؟ كان ذلك ممكناً لو أن النسخ جميعاً اشتركت في إيرادها .
والأبيات في وصف منية المنصور بن أبي عامر ببلنسية ، حسب قول الحجاري .

٢ المغرب : سقني .

٣ ب م : من قد هو المنى ، وآثرت ما في المغرب . ٤ المغرب : الزواحي .

٥ ترجم له ابن سعيد في المغرب ٢ : ١٦ وفيه « عيطون » بتقديم الياء على الطاء ، وانظر
المسالك ١١ : ٤٥٠ .

عذبٌ زلال ، فأتى ثانياً من عِنايه ، وسبق على تأخُرِ زمانه ، على أنه لم يشرحَ قطُّ بحبِّ الشعرِ صدرًا . ولا أبلى في طلبه عذراً ، وإنما قاله متحجباً لا متكسباً ، ولمَّ به متمرناً لا متزیناً . وقد أثبت من كلامه ما يُزري بالدرِّ في السلك ، ويخلُّ بالكافورِ والمسك .

جملة من شعره في أوصاف شتى

له من قصيدة في المتوكل بن المظفر صاحب بطليوس المعروف بابن الأفطس :

عاكف ^١ جفني على سَهَرِهِ	سيفُ جفني سُلَّ من حَوَرِهِ
نفحتُ بالسحر هبَّتُهُ ^٢	فانثني والصبرُ من جَزَرِهِ
قَدَرُ ما قد أُتِيحَ له	لا يفرُّ المرءُ من قسدره
إنَّ ليلَ الصبِّ أولسه	في تمادي الشوق من سحره
روَّعتُ أسماءُ أنْ طلعتُ	رائعاتُ الشيب من شعره
لا تراعي يا أُسِيمَ لها	إن حُسْنَ الروضِ في زهره
واخضرارُ الليلِ أحسنُهُ	ما تلوحُ الشهب في خُدره
ليس شيباً ما لمحت به	جمرُ قلبي طارَ من شره
إن تَرَيَ رأسي به قَزَعُ	لستُ بالبাকِي لمنحصره
قد حلبتُ الدهرَ أشطره	ومريتُ السحبَ من درره
ربَّ وادٍ قد هبطتُ به	فبهرتُ الوحشَ في نفره ^٣

١ ب م : عاط .

٢ د : مقلته . ٣ ط د س : بهر .

بممرٌ عَقْدُهُ أَشْرُ ضاعفَ التضميرُ من أشره
سبقتُ منه مَسَامِعُهُ رجعةً بالطَّرْفِ من حذره
بارقٌ جالتُ حوافره معَ جَوْلِ الملح من بصره ^١ [٢١١أ]
لو تعاطى البرقُ غايتهُ لأنني يكبو على أثره
مثله أدنى إلى ملك نامَ طرفُ الملك عن سهره
جاعلٌ سُمَرَ القنا شجراً يجتني التأييدَ من ثمره
ما قضى من لذةٍ وطراً منذ لاح الملكُ من وطره
[وفيها يقول] :

قد بنى مُلْكاً مُظَفَّرُهُ باسمه المشتق ^٢ من ظفره
ثم سماه له عمراً كي يكونَ الدهرُ من عمره
يا مليكاً كلُّ شاردةٍ سَقَتْهُا في الشعر من فقره
ليس لي فضلٌ بمدحته سَلَكَهُ أدرجتُ في درره
إنني في ما أجيءُ به جالبٌ تمرّاً إلى هَجَرِهِ
وله من أخرى أولها :

غدوُّ لنا في حِكْمٍ وَرَوَاحٍ وليس على حُكْمٍ الغرام ^٣ بَرَّاحُ
تنكرتِ لما خالط الشيبُ لَمَتِي وأسفرَ في ليلِ الشبابِ صباحُ

ومنها ٤ :

١ ب م : نظره .

٢ ب م : المبيض .

٣ ط د س : الزمان .

٤ ورد البيتان في المسالك .

إلى كم نوى تتلو نوىً وتغرب^١ كأنني بأيدي الياسرين قِداحُ
تعاورُنا أيدي الفياثي كأننا^٢ هشيم^٣ ذرَّتْهُ بالفضاء رياح

وفيها يقول في مدح المتوكل على الله :

إذا كنتُ قد أمسكتُ من عمر الرضى بجبلٍ فعِلّاتي به ستُراحُ
هو الصارمُ الهندي أمضاه عزمه ولألاء متّسّيه عليّ وشاح
من القوم تسخو بالبلاد نفوسهم وأما على أعراضهم فشاح

وله فيه من قصيدة أنشدها إياه^٢ في محرم سنة أربع وسبعين^٣، صدره
من التطوّف ببلاد الثغر ، يدعو أهلها إلى الدخول في طاعته ، فأجابته^٤
حاشا أهل وادي الحجارة فإنهم رجموه بها ، وحاربوه على بابها ، وكان
زعيمها يومئذ والقائم بأمرها من أهلها ، حامدُ بن مسرّة الفقيه ، أولها :

بمثلِكَ مِن مّوَلَى ومثليّ من عبدٍ يرى الناس كيف المجد أو صفة المجد^٥ [١١]
رمى قصي الثغر بالخيّل شُزْباً هبطنَ على غورٍ فأصعدن^٦ في نجد
فما شنته من لاحقٍ بطنه طوى وأقربيه نيطتْ إلى كفلٍ نهّد
وأقبلتها مجرّطة شعثاً كأنها كواسرُ عقبانٍ تقضّين من فند
تدوسُ الإكّامَ الجردَ منها فترتمي سجوداً إلى أيدي سوابقك الجرد

١ ط د : تعاورني . . . الفلاة كأنما .

٢ ط د س : أنشده إياه .

٣ ب م : وتسعين ؛ وهو خطأ لأن المتوكل قتل سنة ٤٨٧ .

٤ ب م : فأجابه .

٥ بعد هذا البيت في س : ومنها .

٦ ط د س : وأصعدن .

فلما رأْتَ مجرِيطُ وجْهَكَ أَقبلْتُ لغزّتْكَ القعساءُ في ذلّةِ العبدِ
ومدّوا يدَ السلمِ الذي أنتَ ربُّهُ إليك ولاذوا بالمواثيقِ والعهدِ
فأوسَعَتْهُم مَنّاً بأمنهمُ تطلّعَ سيفُ الإنتقامِ من الغمدِ
وما حامدٌ من ذا الورى فعلَ حامدٍ وقد أبرزَ البهَمُ الضعافَ إلى الأسدِ
كأنّني أرى وادي الحجارةِ قد جرى دماً بهمُ جتى يُعافَ عن الوردِ

واعتلَّ المتوكّلُ وأرجفَ به ثم اضمحلَّ سَقامه ، واستهلَّ بالبرءِ
غَمامه ، فجلسَ بمجلسه للسلام ، ورُفِعتْ إليه من بطائقِ النُظامِ ^١ ، نيّفٌ
على عشرين قصيدة ^٢ ، فمن شعر أبي الخطابِ فيه يومئذٍ من قصيدة أولها :

نهنيكمُ بل نحن فيكم نهناً فباسمك يرعانا الإلهُ ويكلأُ
وأنت الذي أحللتنا جنةَ المنى فنحن كما شئنا بها نتبوأُ

وفي خلال مرضه خرجتْ صِلاتٌ لأولئك الأدباءِ الشعراءِ فقال فيها ^٣ :

وما اعتلَّ عناً جودُهُ باعتلاله ولكنْ وجدنا غبّهُ ليس يهنأُ
ينغص ^٤ شكواه لجدواه عندنا كأنا عطاشُ البحرِ في الماءِ نظماً
وله من أخرى :

أمينُ كيوانَ أطلبُ أن أقادا لقد أعظمتُ شأوي ^٥ ذا بعادا
وفي الأرضين أعجزُ عن مداه فكيف أرومُها سبعا شدادا

١ د : الشعراء .

٢ ط د : بطاقة .

٣ ورد البيتان في المغرب والمسالك .

٤ ب م ط : يبغيض ؛ د : تنغص .

٥ س : شأني .

ومقصودٍ على الآفاقِ أمسى
ألوف للفيافي لا يبالي
سهامٌ في قسيّ العيس ترمي
وريشٌ في جناح البين يهفو
كأن عليه للأيام عهداً
لعل نذورها حلت بحمصٍ^٣
ونكرعٌ في نميرٍ طالما قد
وكم مستعرضٍ أعرضتُ عنه
أرانا خيرَه وعداً جهاماً
كلاماً^٥ أحرقته منه القوافي
ولو عمروٌ يجاذبه ذهاءٌ
يراعُ الدهرُ من عزَماتِ شهمٍ
وتُمضي حُكْمُهُ الأيامِ قسراً
عزوفُ النفسِ يكلّفُ بالمعالي

يرأوح بالبرى^١ إن لم يغادى^٢
قتوداً أوطأته أم قَتادا
بأنصلها التهائم والنجادا [٢١٢أ]
مع الأيام لا يألُو اجتهدا
موفى أن تعم به البلادا
فنبلغ^٤ من أمانينا المرادا
رشفنا دون جَمَتِهِ ثَمادا
ولم ألم^٥ به إلا انتقادا
وبشراً خلباً وندي جمادا
تركناه لسافية رمادا
لأصعبَ مُلْكُ مصرٍ أن يقادا
يعفني ما أفات بما أفادا
فتترك ما تريد لما أرادا
إذا كلّفوا بسعدى أو سعادا

ومنها :

عليّ أليّة^٦ ما دمت حياً
فلم نلق^٦ الكرامَ سواك إلا^٧
أخصّ بمدحتي إلا جوادا
كما^٧ ألفت من عيوزٍ سدادا

١ ط د : بالندى ؛ س : بالنوى .

٢ ب م ط د : يقادا .

٣ ب م : لعل تزورها حلباً وحمصاً .

٤ د : فبلغ ؛ ب م : فنبلغ .

٥ س : فلما .

٦ ب م : يلق .

٧ ط د : وما .

ألوذُ بعطفِ مجدك من خطوبِ تخوّنتِ الطوارفَ والتلادا
 وأنفذتِ التجمّلَ وهو زَغَفٌ يفلّ قَتِيرُها الأسَلُ الحدادا
 فأبقاك الذي أعطاك مجداً أبى لك حُكْمُهُ إلاّ انفرادا
 فصيّرَ ذكركَ السّمَارُ أنساً وأحقبَ مدحَكَ الركبَانُ زادا

وله من أخرى في أبي عبد الله بن أبي حمّامة :

أعَنَ برقي تَلْأَلًا في غمامهُ بكت عيناكَ أن شمتَ ابتسامهُ
 أضاءَ لعينك الأثلثَ وهنا برامةَ لا تَعَدّى السقي رامة
 ذكرتُ به زماناً قد تفضّى وولّى أنسه رتكَ^١ النعامة
 وأخضرَ جُبْتُ فحمتَه مُطِلاً على الأخطار^٢ لم أرهب ظلامه
 بأهدى في سُرَاهُ من قطاةٍ وأقدمَ في دجَاه من أسامه^[٢١٢ب]
 كأن نجومهُ في الأفقِ ظَلَّتْ حيارى لا تَهْدَى لاستقامه
 كأن الليثَ لما همَّ يعدو على الجبّار شدَّ له حزامه
 وسدّد قوسَ هَنَعَتِهِ^٣ إليه فأثبتَ في لهيَاهُ سهامه
 وقد أكل المحاقُ البدرَ حتى تحيّفَ نورَهُ إلاّ قُلامه

وهذا التشبيه كثير ، ومنه قول ابن المعتز :

* مثل القلامِ قد قُدَّتْ من الظُفْرِ *

١ الرتك : الاهتزاز في المشي ومقاربة الخطو .

٢ ب م : الأقطار .

٣ الهنعة : قوس الجوزاء يرمي بها ذراع الأسد .

٤ ديوان ابن المعتز ٣ : ٥٠ ، صدره : ولاح ضوء هلال كاد يفضحه .

وفيها يقول^١ :

يُجاذِبني العنانَ به سَبَّوحُ طموحُ هَمِّهْ أبدأً أَمَامَهْ
قليلُ الصَّحبِ لا أَلقى أنيساً على طولِ السُّرى إلأَّ الجَمامهْ^٢
كَأنَّ صُليلَ حَلَقَتَيْهِ فُريخُ صدِّ قد أَعرضَتْ عنه الحَمامهْ

وهذا أيضاً كقول ذي الرمة^٣ :

كَأنَّ أصواتَ من إيغالهنَّ بنا أواخرَ الميسِ أصواتُ الفراريجِ^٤

ومنها :

وقد ولَّتْ نجومُ الليلِ ذُعرأً لَدُنْ سَلِّ الصَّبَاحُ لها حَسَامَهْ
فلم تطلُعْ وقد غربتْ بنجدِ لنا إلأَّ وقد جزنا تَمامهْ
ولا نشأُ الهلالُ عليَّ إلأَّ وقد شارفتُ أوديةَ الجَمامهْ
وأعملتُ الركائبَ خاضعاتٍ تمدُّ لسيَرها عُنُقاً وهامهْ^٥
إلى طَوْدِ المَفاخِرِ والمعالِي وبجَوحِ السَّيادةِ والزَّعامهْ
إلى ضُحْمِ الدَّسِيعَةِ لا يَبالي مَن الطَّائيُّ أو كَعْبُ بنِ مامهْ
أنافَ به أبو بكرٍ أبوه فسدَّ وسادَ ما أَعيا حَمامهْ

وله من أخرى^٦ :

١ منها بيتان في المسالك .

٢ ط د : امامه .

٣ ديوانه : ١٠٥ وروايته : إنقاص الفراريج .

٤ الميس : شجر تعمل منه الرحال : وقد فصل في البيت بين المضاف والمضاف إليه . لضرورة الشعر ، ويريد كأن أصوات أواخر الميس - من إيغالهن بنا - أصوات الفراريج .

٥ قبل هذا البيت في س د ط : ومنها .

٦ ط د : بيت آخر في س : وله من أرجوزة .

لمع من البرق سرى يلتاحُ والنسرُ قد مال به جناحُ
لم ينم الليل له لماع كالشعلة استطارها اقتداح
أنحى على الزند به شحاح فشاقي نحو الحمى التماح [٢١٣ أ]
وذكرتني عهدتها الأدواح سقى ثراها الوابل السحاح
ولاعبت أغصانها الأرواح بسجسج هبوبها لفتح
فكم لنا في ظلها رواح وهو علينا وارف نفاح
وأعجم الطير لسه إفصاح للغصن من تغريده ارتياح
مثل النزيف عطفتتهُ الراح

ومنها :

والصعبُ يأبى وله إسماحُ ودارتِ الكتوسُ والأقداح
نجومُ راح أطلعتنها الراح عاطينناها الخردُ السلاح
والغادةُ البهكة^١ الرдах واستهدفتُ في صدرها^٢ التفاح
للدّم في أطرافها انتضاح قد شرّعتُ كأنها رماح
وربّ جدّ أصله^٣ مزاح تقتلُ باللمس ولا جراح
بضمير كأنها القيداح وفتية كأنهم رماح
وانشقّ من جباهها الإصباح خضر من الليل لها أشباح
يعدوه بهنّ معقب وقاح

١ ط : البهكة ؛ ب : البهابة ؛ س : النهيلة .

٢ ط د : واشتهرت في نهدها ؛ س : واستهددت .

٣ بعد هذا الشطر ، في ط د س : وفيها يقول .

٤ ب م : دجى .

٥ ط د س : يغدو .

صلدٌ على صلدِ الصفا رضاح^١ يحارُ فيه الناظرُ الملتاح^٢
 أحافرٌ في الحُضرِ أم جناح إذا اعتلى اعطافها ازتجاح
 وابتلتِ الحجلُ والأوضح لجَّ بها النشاطُ والمراح
 وشره لم يؤدِه جناح أنتى تنالُ شأوهُ الرياح
 وسبقَ البرقَ به اطلاقُ يا ليت شعري هل غدوا أوراخوا
 فالدهرُ قفرٌ بعدهم براح

وله من مرثيةٍ في الوزير أبي حفص الهوزني^٣ ، وكان استشهد - رحمه
 الله - في قتال الروم على وادي طليبرة^٤ ، قصيدة أولها :

نبأ به وافي البريدُ فظيعُ صدعَ القلوبَ حديثهُ المسموعُ
 وافي فكلُّ تجلّد متعذّرُ أسفاً وكلُّ تصبرٍ ممنوع
 طلعتْ بمطلعه عليّ غياهبُ لم يبدُ فيها للسرور طلوع [٢١٣ب]
 فبكيتُ من جزعٍ عليه بمقلة إنسانها يجفونها ماسوع
 ولو أنّ لي عددَ النجوم مدامعاً تجري ومن فيض البحور دموع
 لم أقضِ حقك يا محمدُ إنه حزنٌ تعاظم قدره وولوع
 ماذا نعي الزاعون صمّ صداهمُ من طودِ عزٍّ خرّ وهو منبع
 ماذا نعوا من جود كفّ أخصبت فزمانها للمعتفين ربيع
 يا سالكاً بين الأسنة والظبا في موضعٍ فيه السلوكُ فظيع
 يغشى الحمامُ به النفوسَ مراقباً للهندوانيسات وهو مروع

١ ب م س : وضاح . ٢ ب م : المتاح .

٣ ذكره في المغرب ١ : ٢٥٤ وأورد رثاء فيه لأبي القاسم بن العطار ؛ وانظر القلائد : ٢٨٧

٤ وادي طليبرة هو نهر تاجه نفسه ، وعليه تقع المدينة إلى الغرب من طليطة .

٥ ب م : الدموع .

لو حلَّ ساحته السماكُ برحمه
ما زال قدرُك سامياً حتى غدا
ما ذقتَ موتاً إذ صُرِعتَ وإنما
يا طالعاً في الجيش من طلبيرة
أم قد أطل بها الثواءَ ولم يحنْ
فغدا نظامُ مؤتمليه مبدداً
سختى بنفسى عنك أنى لاحقُ
فالموتُ يحترمُ الأنامَ قد استوى
سيانُ مدَّرعٍ لديه وحاسِرُ
نغترُّ بالدنيا ويخدعُ بعضنا
فسرورها همٌّ ، وصفوُ نعيمها
ماذا أجنَّ التربُّ في طلبيرة
هابتُك^١ حاشدةُ المنايا فانبرتْ
حتى سُلِبَتِ النفسَ وهي عزيزةُ
جفتْ ينابيعُ بتاجو^٢ إنها
أنى غمرت البحرَ وهو غطاميطُ

عند الطعانِ لظلَّ وهو صريع
في زُمرةِ الشهداءِ وهو رفيع
نلتَ الحياةَ وصبريَ المصروع
هل آن لابن الهوزنيّ طلوع
منه إلى يومِ النشورِ رجوع
والشملُ شتّى وهو أُمسِ جميع
[بكمُ] وأُنك سابقُ متبوع
منهم جبانٌ عنده وشجيع
طعنُ المنيةِ لا تقيه دروع
بعضاً بها وجميعنا مخدوع
كدرٌ ، وحبلُ وصالها مقطوع
من سؤددٍ لك ذكره مرفوع
زحفاً الى لقياك وهي جموع
لم يبدُ منها للعدوِّ خضوع
سمٌّ لأرواح الكرام نقيع
وطمست نورَ البدرِ وهو سَطوع [٢١٤]

١ ط د ب م : هاتيك .

٢ س : جفت ينابيع نهر تاجو .

ذو الوزارتين الكاتب أبو عبد الله

ابن أبي الخصال أعزه الله^١

حامل لواء النباهة، < الباهر > بالروية والبداهة، مع منظر ووقار، وشيم كصفو العقار، ومقول أمضى من ذي الفقار، وله أدب بحره يزخر، ومذهب يباهي به ويفخر، وهو وإن كان خامل المنشأ نازله، لم ينزله < المجد > منازل، ولا فرع للعلاء هضاباً، ولا ارتشف للسناء رضاباً، فقد تميز بنفسه، وتخيّر^٢ من جنسه، والذي ألحقه بالمجد، وأوقفه بالمكان النجد، ذكاء طبيع عليه طبعه، ونجم في تربة النباهة غريبه^٣ وتبعه^٤، وتعلق بأبي يحيى بن محمد بن الحاج، وهو خامل الذكر، عاطل الفكر، فملك قياد مأموله، وهب من مرقد خمولة، وقدح استعماله زناد^٥ ذكائه، وأبدى شعاع ذكائه، ولم يزل عاثراً معه ومستقلاً، ومثرياً حيناً وحيناً مقللاً، إلى أن تورطوا [في] تلك الفتنة التي ألحقوا^٦ حائلها، وما لمحوها مخايلها، وطمعوا أن يغتالوا ملكاً معصوماً، وأبرموا من كيدهم ما غدا بيد القدر مفصوماً، وفي أثناء بغيتهم، وخلال جريهم^٧ الويل وسعيتهم، كانت ترد عليهم من قبله كتب تحل ما ربطوه، وتروعههم مما تأبطوه : ورد عليهم كتاب في أحد الأحيان راعهم، وأنساهم جلادهم وقراعهم، وهو^٨ بمجلس أنس، فاستدعي للمراجعة عن فصوله، والمعارضة لفروعه وأصوله، فأبان عن الغرض، وخلص جوهره من كل عرض، وأبدع في إحكامه، وبرع في قضاياه وأحكامه، فحمل أبا يحيى بن محمد استحساناً

١ هذه الترجمة من القلائد : ١٧٥ ومن الغريب أن لا يتنبه من أدخلها في هذا الموضع إلى أن ترجمة ابن أبي الخصال ستجيء تحت عنوان آخر بعد قليل، ولم ترد هذه الترجمة في د ط س .

٢ ب م : وتخيّر .

٣ ب م : نار .

٤ م : اسجوا .

٥ القلائد : جريهم .

٦ القلائد : رهم .

ما كتبه ، أن خططه للحين ولقبه ، والمدام لرأيه القائل^١ مالكة ، ولعقله في طُرُق الخبال^٢ سالكه ، فلم يعمل فيها فكراً ، ولم يتأمل أعرفاً أتى أو نكراً ، فجرت^٣ عليه لقباً ، وأعلته من الاشتهار مرقباً ، وصار مرتسماً في العلية ، متسماً بتلك الحلية ، وما تزال الدول تستدنيه نائياً ، وتنشيه دانياً ، فلا أجعله^٤ مجنياً عليه ولا جانياً ، فما بيده رَفَعُ شومه ، ولا محو رسومه . وقد أثبت له ما تجتليه فتستحليه ، وتلمحه فتستملحه ، فمن ذلك قوله في مغنّ زار ، بعدما شحط المزار^٥ [٢١٤ ب] :

وافى وقد عظمت عليّ ذنوبه في غيبة قبحت بها آثاره^٦
فمحا إساءته بها إحسانه واستغفرت لذنوبه أوتاره
وله^٧ :

يا حبذا ليلة لنا سلفت اغرت بنفسي الهوى وقد عرفتُ
زارت بظلماتها المدام فكم فرجسة من بنفسج قطفت
وله يعتذر من استبطاء المكاتبة^٨ :

ألم تعلموا والقلب رهن لديكم^٩ يخبركم غني بمضمرة بعدي
ولو قبلتني^٩ الحادثات مكانكم لأنهيته فكري وأوطأتها خدي
ألم تعلموا أني وأهلي وواحد فداء ولا أرضى بتفدية وحدي

١ ب م : العالي ؛ القلائد : البائل .

٢ ب م : ولفعله . . . الخيال .

٣ ب م : فمرت . ؛ القلائد : ولا تجمله .

٥ القلائد : بعدما أغب وشط منه المزار .

٦ سيرد البيتان في نص الذخيرة الأصلي : ٧٩٦ .

٧ لم يرد هذان البيتان في القلائد ، ولعلهما سقطا من النسخة المطبوعة ، وسيردان في نص ابن بسام : ٧٩٣ .

٨ سترد ص : ٧٩٧ . ٩ القلائد : قلبتني .

كتب الكاتب أبو نصر^١ إلى أبي يحيى بن محمد بن الحاج، سقى الله مصرعه ، وأورده
منهل العفو ومشرعه :

أكعبة علياء وهضبة سؤدد وروضة مجد بالمفاخر تقطر
هنيئاً لملك زانٍ نورك أفقه وفي صفحته من مضائك أسطر
وإني لخفاقُ الجناحين كلما سرى لك ذكرٌ أو نسيم معطر
وقد كان واشٍ هاجنا لتهاجر فبتٌ وأحشائي جوى تنفطر
فهل لك في ودٍ ذوى لك ظاهراً وباطنه يندى صفاءً ويقطر
ولستُ بعلقٍ بيعٍ بخساً وانني لأرفعُ أعلاقِ الزمان وأخطر

فراجعه :

ثبتَ أبا نصر عنائي وربما ثنتُ عزمةَ الشهم المصمم أسطر
ونالت هوى ما لم تكن لتناله سيوفٌ وواضٍ أو قناً متأطر
وما أنا إلا ذو عرفتٍ وإنما بطرتُ ودادي والمودة تبطر
نظرتُ بعين لو نظرتُ بغيرها أصبتُ وجفنُ الرأي وسنان < أشرتُ >
وقدماً بذلتُ الود والحب فطرة وما الحب إلا ما يخص ويفطر

في ذكر الكاتب

أبي عبد الله محمد بن أبي الخصال^٢ [٢١٥ / أ]

أحدُ أعيانِ كتّابِ الزمان ، وحاملُ جملةِ الإحسان ، بَحْرُ معرفةٍ
لا تعبُرُهُ السَّقْنُ ، ولو جَرَتْ بشهوتها الرياح ، وطودُ علمٍ لا ترقى

١ أبو نصر : الفتح بن خاقان ، وهذا يدل على أن الذي دس هذا الفصل هنا يلخص عن القلائد .
٢ محمد بن مسعود بن طيب بن خلصة (٤٦٥ - ٥٤٠) من فرغليط من عمل شقورة ، درس
على شيوخ عصره ، حتى أصبح متقناً في العلوم مستبحراً في الآداب واللغات عالماً بالأخبار =

إليه الفِطْنُ ، ولو سماها الإمساءُ والإصباح ، وأدبٌ لا تعبّر عنه الألسن ،
ولو أمدّتْها الأوتارُ الفصاح ، إلى طول^١ باع ، ورقة طباع .
نجم بأفقه من بلد شقورة فأسكتَ القائلين ، واستوفى غاية المحسنين ،
وهو اليومَ بحيثُ لا تشيرُ الأصابعُ إلاّ إليه ، ولا تنطوي الأضالعُ إلاّ عليه ،
وله بيان لا يتعاطاه ناظمٌ ولا ناثر ، وإحسانٌ لا يبلغ مداه أولٌ ولا آخر ،
وقد أثبتَ من كلامه مما نقلت من خطه الذي خاطبني به ، ما يدلُّ على
نبله وأدبه .

فصول من نثره

كنت قد انفردتُ لتحرير هذه النسخة من هذا المجموع في شهر
سنة ثلاثٍ وخمسمائة ، فلما انتهيتُ إلى نقلِ ما كان وقع إليّ من ترسيل

= شاعراً مترسلاً، قعد به قيام صاحبه ابن الحاج أمير قرطبة بالثورة على ابن تاشفين، ولما استقل
ابن الحاج وولي بعض أعمال المغرب اتصل به ابن أبي الخصال ثم انتقل معه إلى سرقسطة ،
ثم استشهد ابن الحاج فلزم ابن أبي الخصال داره خائفاً ، وامتد حموله أيام ابن تاشفين ،
فلما كانت فتنة ابن حمدين ودخلت المصامدة قرطبة عنوة ، كان ابن أبي الخصال واقفاً
على باب داره ينهى جنود المصامدة عن العيث والنهب ، لما له من دالة عليهم ، فتصدى له
أحدهم واسمه تيفوت وقتله . وقد كان له إلى جانب رسائله وأشعاره مؤلفات منها « ظل
الغمامة وطوق الحمامة » و « سراج الأدب » وقصيدة في نسب الرسول تسمى « معراج المناقب »
ويقع نظم ونثره في خمس مجلدات (انظر ترجمته في المعجب : ٢٣٧ والمقارن : ١٧٥
والصلة : ٥٥٧ وبغية الملتبس رقم : ٢٨٢ والمغرب ٢ : ٦٦ والمطرب : ١٨٧ ومعجم
الصدي : ١٤٤ وفهرست ابن خیر : ٣٨٦ ، ٤٢٠ - ٤٢٢ ، ورايات المبرزين : ٧٤
والنفح : ٣ : ٢٦٨ ، ٤٦٦ ، ٥١٩ ، ٦٠٢ ، والحريدة ٢ : ٤٤٩ (ط . تونس) وبغية
الوعاء : ١٠٤ وممالك الأبصار ١١ : ٢٤٣) .

١ ب م : طويل .

كتاب هذا الجانب الشرقي من الأندلس ، لم أقع لهذا الرجل على كلام في نثار ولا نظام ، فكاتبه^١ بعض الإخوان في ذلك ، ونشطني أيضاً على مخاطبته هنالك ، فوردت عليه الرقعتان وهو مجتاز على حضرة اشبيلية في جملة أهل العسكر ، فراجعته في كتاب طويل ، قال فيه في بعض الفصول^٢ :

الحذر - أعزك الله - يؤتى من الثقة ، والحبيب يؤذى من المقة ، وقد كنت أرضى من ودك ، وهو الصبح^٣ ، بلمحة ، وأقنع من ثنائك ، وهو المسك ، بنفحة ، فما زلت تعرضني للامتحان ، وتطالبني بالبيان ، وتأخذني بالبرهان ، وأنا بنفسي أعلم ، ولمقداري^٤ أحوط وأحزم ، والمعيدي^٥ يسمع به ولا يرى ، وإن وردت أخباره^٦ تترى ، فشخصه مقتحم^٧ مزدري ، لاسيما ممن لا يجلي عن نفسه ناطقاً ، ولا يبرز سابقاً ، فتركه^٨ والظنون ترجمه^٩ ، والقال والقليل يقسمه ، والأوهام تحله وتحرمه ، وتحية وتخرمه^{١٠} ، أولى به من كشف القناع ، والتخلف عن منزلة^{١١} الاقتناع ، وفي الوقت من فرسان هذا الشأن ، وأدما^{١٢} هذا المضمار ،

١ ب م : فكاتبني .

٢ هذا ابن بسام يقرر أن صديقاً له كتب إلى ابن أبي الحصال ، ليقتنعه بارسال نماذج من إنشائه لتدرج في الذخيرة فرد ابن أبي الحصال بالرسالة التالية ، ثم نجد الفتح بن خاقان (القلائد : ١٧٦) يذكر أنه هو الذي استدعى من ابن أبي الحصال بعض كلامه فأجابه بهذه الرسالة ؛ ونحن إزاء فرضين : أن يكون الوسيط الذي حفزه ابن بسام هو ابن خاقان نفسه ، أو يكون ابن أبي الحصال كرر هذه الرسالة مرة لأحد إخوان ابن بسام ومرة لابن خاقان لأنها تليق بالمناسبتين المتشابهتين .

٣ القلائد : الصحيح .

٤ د ط س والقلائد : وعلى مقداري .

٥ القلائد : وتحفيه وتخرمه ؛ س : وتحليه وتخرمه .

٦ القلائد : الامتاع .

وقطا هذه المناهل ، وهداة تلك المجاهل ، [من] تحسدُ فيقره الكواكبُ ،
ويترجلُ إليه منها الراكب^١ ، فأما الأزهيرُ فملقاةٌ في رُباهَا ، ولو
حلتْ عن المسك حُبَاهَا ، أو صيغتْ من الشمس^٢ حلاها ، فهي تنظر من
الوجد^٣ بكل عينٍ شكّرى لا تكّرى ، وإذا كانت أنفاسُ هؤلاء الأفرادِ
مبثوثةً ، وبدائعهم [٢١٥ ب] مثنوثةً ، وخواطرهم على محاسن الكلام
مبعوثة ، فما غادرتْ متردّماً ، واستبقتْ^٤ لتأخير متقدماً ، فعندها يقف
الاختيار ، وبها يقع^٥ المختار . وأنا أنزه ديوانه^٦ النزيه ، وتوجيهه^٧ الوجيه ،
عن سَقَطٍ من المتاع ، قليل الإمتاع ، ثَقِيلِ رُوحِ السردِ ، مهلكِ صرّ
البرد . وهبهُ^٨ قد استسهل استلحاقه ، وطامنَ له أخلاقه^٩ ، أتراني أعطي
الكاشحين في إثباته يداً ، وأترك عقلي لهم^{١٠} سُدًى ؟ ! ما إخالك ترضاها
لي من^{١١} الودّ خطّة خَسَفٍ ، ومهواة حَتَفٍ ، لا يَسْتَقِيلُ عاثرها ،
ولا يستجدُّ دائرها ، ولا يستقيلُ غيبنها ، ولا يُبَلُّ طعينها ؛ وقد كنتُ
حرضتُ حين عُرِضَ عليّ صدْرُ هذا التأليفِ الأليفِ - حيث عُرِضَ - على
التماحه^{١٢} ، واجتلاء غُرره وأوضاحه ، وما غرّني إلا وعدك ، ولا استجرتني^{١٣}

١ ب س : وترجل إليه منها المراكب ؛ ط د : ويترجل إليها .

٢ ط د : السلك .

٣ ط د والقلائد : فهي من الوجد تنظر .

٤ ط د : سكرى .

٥ ط د س : ولا استبقت .

٦ ط د س والقلائد : يقع .

٧ ب م س : له .

٨ ط د س والقلائد : مع .

٩ ط د : اعتراضه ؛ س : حين عرض عليّ التماحه .

١٠ ط س د : استجرتني .

إِلَّا عَهْدُكَ ، وغرضي في تصفحه أن أجدَ قدوة ، وأصادفَ أسوة ،
فأنزلَ عن حذري ، وأرجَحَ بين مغيبِي ومحضري ، وأقعَ على أُلَاقِي ،
وأجاوِرَ في التخلّفِ أخلافي ، فلم يتممُ لي وعدُكَ إنجَازاً ، ولا وجدتُ
لفرصتك انتهازاً ، بل انقلبتِ الحقيقةُ مجازاً ، والموادي أعجازاً ، ولم نحلّ
بطائل ، وصرنا تحت قول القائل :

تركَ الزيارةَ وهي ممكنةٌ وأتاك من مصرٍ على جملٍ

وفي فصل : وأنت المفتتح^١ للصلة ، المولي للمنةِ المشتعلة ، وإن رسولك^٢
لوافي بكتابك الخطير ، والشمسُ واجبةٌ سقوطَ مُنازِع ، وحياة الذي
يقضي حُشاشةَ نازع ، والبيتُ قد غصَّ بما فيه ، وضاق لفظُهُ عن معانيه ،
والشغلُ مُساهِمٌ بل مُشاطِرٌ ، [والخاطرُ لا طالع ولا خاطر] ، يَصُورُ
فكري إليه ، ويخلعُ فقري عليه ، إِلَّا صُبابَةٌ لا تردُّ صُبابَةً ، ورسيماً لا يشفي
نسيباً ، فدونكه واهنَ الدعائم ، واهيَ العزائم ، يتبرأ تابعُهُ من متبعه ،
ويفرُّ سامِعُهُ من مستمعه ، ولولا أن الجوابَ فرضٌ لا عذرتُ واقتصرتُ ،
لكن أوثِرُ حقِّكَ وإن أبقي عليّ دَرَكَاً ، وبوأني دركاً ، وقد راجعته
[أيضاً] - أعزّه الله - بشريطة^٣ كتمانهِ وسَترِهِ ، انقياداً لأمرهِ ، وتصدّياً
إلى عقوبِهِ ببرهِ^٤ .

وأجابني أيضاً برقعة قال فيها : وصل من السيد المسترقّ ، والمالك

١ ب م : المبيح (اقرأ : المتيج) ؛ ط د س : المفتح .

٢ ب م : كتابك ؛ س : كتابك وافي بكتابه .

٣ ط د والقلائد : على شريطة .

٤ القلائد : لأمرك . . . عقوبك ببرك .

المستحقّ - وصل الله أنعمه عليه ، كما قصّر الفضل عليه - كتابه
 البليغ ، واستدراجه المريع ، فلولا أن يصانّد زنده اقتداحه ، ويرتدّ
 طرف افتتاحه ، وتنقبض [٢١٦ أ] يد انبساطه ، وتغبّن صفقة
 اغتباطه ، للزمت معه مركز قدري ، وضمن بسرّه صدري ، لكنه ينقّض
 سيّره يُسمّع الصمّ ، ويستنزّل العصم ، ويقنّاد الصّعب فيصحب ،
 ويستدرّ الضّجور فتحلب ، ولما فجأني ابتداؤه ، وقَرع سمعي نداؤه^١ ،
 فزعتُ إلى الفكر ، وخفق القلبُ بين الأمن والحذر ، فطاردت^٢ من الفِقْرِ
 أوابد قفري ، وشوارد عَفْرِ ، تغبّر في [وجوه] سوابقها ، ولا يتوجّه
 للحاق لوجيها ولاحقها ، فعلمت أنها الإهابة والمهابة ، والاصابة
 والاسترابة ، حتى أياستني الخواطر ، وأخلفتني المواطر ، إلّا زبرجاً يعقب
 جواداً ، وبهرجاً لا يحتمل انتقاداً ، وأنّى لمثلي والقريحة مُرجاة ، والبضاعة
 مزجاة ، ببراعة الخطاب ، وبزاعة^٣ الكتاب ، ولولا دروس معالم البيان ،
 واستيلاء العفاء على هذا الشأن ، لما فاز لمثلي فيه قِدْحٌ ، ولا تحصّل [لي]
 في سوقه ربح ، ولكنه جوّ خال ، ومضمار جهّال .

وفي فصل منها : وأنا أربأ - أعزّك الله - بقدر « الذخيرة » ، عن
 هذه النّتف الأخرية ، و [أرى] أنها قد بلغت مداها ، واستوفت حلاها ،
 وإنما أخشى القدح في اختيارك ، والاخلال بمختارك ، وعلى ذلك فوالله
 ما من عادي أن أثبت ما أكتب في رسم يُنقل ، ولا في وضع المراتب
 عندنا مخاطب نتحفز له ونحتفل^٤ ، وإنما هو عفو فكري ، ونشر ذكر ؛

١ ب م : ابتداره . . . بداره .

٢ ب م : فطارت . ٣ س : ونزاعة ؛ ط د : وبراعة .

٤ ط د : مخاطبة له يخفز له ويحتفل ؛ س : مخاطب ينحفز له ويحتفل .

٥ ب م ط د : ويسر .

وقد وَجَّهْتُ من المنظوم طيِّها ما حَضَرَ ، وعذري إليك - أعزك الله -
 في أني خططتُ والنومُ مغازل ، والقرمُ منازل ، والريحُ تلعبُ بالسراج ،
 وبصولُ عليه صَوْلَةُ الحجاج ، فطوراً تسدّده سناناً ، وثارةً تحرّكه
 لساناً ، وآونةً تطويه حَيَابَةً ، وأخرى تنشرُهُ ذُؤَابَةً ، وتقيمه إبرةً لَهَبَ ،
 وتَعْطِفُهُ بُرَّةً ذهب ، أو حُمّةً عقرب ، وتقوّسه حاجبَ فتاةٍ ذاتِ
 غمزات ، وتتسلّطُ على سليطِهِ ، وتزِيلُهُ عن خايطِهِ ، وتخلّفهُ نجماً ،
 وتردُّهُ رَجْماً ، وتستلُّ روحه من ذباله ، وتعيده إلى حاله ، وربما نَصَبَتْهُ
 أذنَ جواد ، ومسخته حَدَقَ جراد ، ومشقته حروفَ برقٍ ، بكفٍ
 ودقٍ ، ولثَمَتِ بسناه قنديلَه ، وألْقَتِ على أعطافه مندبلَه ، فلا حظَّ
 منه للعين ، ولا هدايةَ في الطرْسِ لليدِ ، والليلُ زنجيُّ الأديم ، تَبْرِيُّ
 النجوم ، قد جَلَلْنَا ساجَهُ ، وأغرقتنا أمواجهُ ، فلا مجالَ للحظة ، ولا
 تعارفَ إلّا بلفظة ، ولو نظرتُ فيه الزرقاءُ لاكتحلت ، أو خُضِبَتْ^٢ به
 الشبيبةُ لما نَصَّاتْ ، والكلبُ قد صافح خيشومَهُ ذنبَهُ [٢١٦ ب] وأنكر
 البيتَ وطنه^٣ ، والتوى التواءَ الحُباب ، واستدارَ استدارةَ الحُباب ،
 وجَلَدَهُ الجليد ، وضَرَبَهُ الضرب ، وصعدَ أنفاسه الصعيد ، فحِمَاهُ
 مباح ، ولا هريزَ ولا نباح ، والنارُ كالصديق أو كالرحيق ، كلاهما عنقاءُ
 مُغْرَب ، أو نجمٌ مُغْرَب .

استوفي^٤ يا معتمدِي هذا الفصل ، ولك في الاغضاءِ الفضل .

١ ط د : أعطافها . ٢ ط د : اختضبت .

٣ من قول مرة بن محكان (الحماسية رقم : ٦٧٥) :

في ليلة من جمادى ذات أنديّة لا يبصر الكلب من ظلماتها الطنبا
 لا ينبج الكلب فيها غير واحدة حتى يلف على خرطومه الذنبا

٤ ط د : استوف ؛ ب م س : استولى (اقرأ : استوى) .

وهذه أيضاً المقطوعات الي وجه بها إلي من شعره

قال يصفُ ليلةَ أنسٍ مع أحدِ طباءِ بني مروان^١ :

وليلةٌ عنبريةٌ الأفقِ	رَوَيْتُ فِيهَا السُّرُورَ مِنْ طَرَقِ ^٢
وَكُنْتُ حَرَّانَ فَاقْتَدَحْتُ بِهَا	نَاراً مِنْ الرَّاحِ بَرَّدَتْ حُرْقِي
حَلْتُ ^٣ بِنَا عَاطِلاً وَقَدْ لَبَسْتُ	غِلَالَةً فُصِّلْتُ مِنَ الْحَدَقِ
فَجَاءَهَا الدَّهْرُ مِنْ بَنِيهِ هَوًى ^٤	بِفَتْيَةٍ كَالصَّبَاحِ فِي نَسَقِ
قَامَتْ لَنَا فِي الْمَقَامِ أَوْجَهُمُ	وَرَاحُهُمْ بِالنَّجُومِ وَالشَّفَقِ
وَأَطْلَعَ الْبَدْرُ مِنْ ذَرَى غَصَنِ	تَهْفُو عَلَيْهِ الْقُلُوبُ كَالْوَرَقِ
مِنْ عَيْلٍ شَمْسٍ بِدَاسِنَاهُ وَهَلْ	ذَا الْبَدْرُ إِلَّا لَذَلِكَ الْأَفَقِ
مَدَّ بِحَمْرَاءَ مِنْ مُدَامَتِهِ	بِيضَاءَ كَفَأَ مَسْكِيَةِ الْعَبَقِ
فَخَلَّتُهَا وَرْدَةً مَنَعَمَةً	تُحْمَلُ مِنْ سَوْسَنِ عَلَى طَبَقِ
يَشْرَبُ بِالرَّاحِ حِينَ أَشْرَبَهَا	مَا غَادَرْتُ مَقْلَتَاهُ مِنْ رَمَقِ

وقال أيضاً فيها^٥ :

يَا حَبِذَا لَيْلَةً لَنَا سَلَفَتْ أَغْرَتْ بِنَفْسِي الْهَوَى وَقَدْ^٦ عَرَفْتُ

٢ ط د : أفق .

١ انظر المغرب ٢ : ٦٧ .

٣ ط د س والمغرب : وافق .

٤ المغرب : فاجأ . . . دجأ .

٥ س : غازلت .

٦ منها بيتان في بفتية الوعاة ، وراجع ص ٧٨٥ فيما تقدم .

٧ البغية : وما .

دارت بظلمائها المدامُ فكم
ثم انطوى [ثوبها] ومن أسفٍ
نرجسةً من بنفسجٍ قُطفت
أن صرَفَتْ لوعتي وما انصرفت
وقال في ضدها :

بَعُدَتْ لَيْلَةً تَوَلَّتْ ذَمِيمَهُ لم تفق^١ فيضَ دَيْمَةٍ بَعْدَ دَيْمَةٍ
لَيْلَةً لَوْ تَقَدَّمَتْ لاسْتَحَقَّتْ شهرةَ الذِكرِ قَبْلَ يَوْمِ حَلِيمِهِ
غَسَلْتُ لَمَتِي بِصَبْحِ مَشِيبٍ ومَحْتِ لَيْلَةٍ عَلَيَّ كَرِيمِهِ [٢١٧أ]
وورائي من الخضابِ قصيرٌ وهيَ زَبَاءُ والشَّبَابُ جَذِيمُهُ
وأرى أبا بكر بن بقي ألمَ بهذا الغرض في قطعة له كتب بها إلى أحد إخوانه :

نحن كنّا في التصافي مثلَ نَدْمَانِيْ جَذِيمِهِ
فأتى بالصرمِ يومٌ دونه يومٌ حَلِيمِهِ
وتعاطينا التقاضي أينّا أقوى شَكِيمِهِ
تقدحُ الأيامُ حتى في الموداتِ القَدِيمِهِ

وقال يعتذر من انفصال صديقٍ دونَ وداع :

يا روضةً بَعُدَتْ^٢ بها أيدي النوى ضنَّ الزمانُ بنظرةٍ أزدادُها
فتركتها والحسنُ ملءُ نواظري ثم انشئتُ بخاطري أرتادها
أرددُ إذا هبَّ النسيمُ فإنه بتحيتي ومودتي يعتادها

وقال يصف^٣ نار فحم :

١ د : تبق ؛ س : يفق .

٢ ط د : قذفت ؛ س : قد بعدت ؛ ب م : نفدت .

٣ ط د س : في وصف .

أما ترى النارَ وهي راقصةٌ تنفضُ أردانَهَا من الطربِ
تضحكُ من أبوسها عجباً إذ حَوَلَتْ عَيْنَهُ إلى الذهبِ
وقال يصف كأساً^١ صنوبرية الشكل من عنبر^٢ ، منجمة بذهب ، وفيها
المدام :

وكأسٍ من الليل مخلوقةٌ تبدتُ من التبر فيها نجومٌ
تضمّنَ باطنها قهوةً إذا مردّ الهمُّ فُضّت رجومٌ
وقال في كأسٍ غدر^٣ :

وكأسٍ من الغدرِ مخلوقةٌ ولكنها للأمير الوفي
إذا [ما] تضمّنْها كاشحٌ تبينَ من سرّه ما خفي
قفا في المدام على ودّه ولا تنشداني قفا أو قفي
وقال في رواقصٍ قباح [الوجوه] :

جاء عليٌّ بملهياتٍ للهمّ والقبح جامعاتٍ
لم يلتفتْ ناظري إليها إلاّ تذكرتُ سيثاتي [٢١٧ ب]

وقال فيهن وبينهن واحدة أشبه^٤ [منهن] :

وليلةٍ طولُها عليّ سنّه^٥ بات بها الجفنُ نادباً وسنّه^٦
بأربعٍ بينهن واحدة كسيثاتٍ وبينها حسنه

١ ط د س : : في وصف كأس .

٢ ط د : غير .

٣ ط د : وقال في كأس من العدر (د : المزر) .

٤ د : آنسة ؛ س : أشبة ؛ ولم ترد كلمة « منهن » في س .

وقال في مُسْمَعٍ محسنٍ أغبَّ ثم زار^١ :

وافى وقد عظمتُ عليَّ ذنوبه في غيبةٍ قبحت بها آثاره^٢
فمحا إساءته بنا^٣ إحسانه واستغفرتُ لذنوبه أوتاره

وقال في مطيّبٍ وردٍ مفصّلٍ بترنجان^٤ :

ووردٍ جنّيٍّ طالعتنا خدوده^٥ بنشرٍ وبشرٍ يبعثان على الشكرِ
وحفٍّ ترنجانٍ بها فكأنها حدودُ العذارى في مقانعها الخضرِ

وقال في [مداعبة] شيخٍ ثقیلٍ اتفق حضوره معهم في مجلسٍ أنس :

أما لهذا الشيخ من عهدٍ عادٍ من أجلٍ يُقضى ولا من معادٍ
ليت لنا في سنّه قهوةٌ تدلُّ من ظلمته باتقادٍ
وليتنا نخرجُ في صفقةٍ جائزة عنه ولو بالجماد
وهل لنا في البیع من حيلةٍ إذا رمينا بثبوتٍ السداد

وقال^٦ من قصيدة :

وذی نخوةٍ یختالُ ثانيَ عطفه فلولا تناهي لؤمه قلتُ أصيدُ
له نظرةُ الزرقاءِ في كلِّ بدعةٍ ولكنه عن مسلكٍ الحقِّ أرمَدُ

١ البيتان في القلائد والمطرب والبغية ، وقد مرا في النص المنقول عن القلائد ص ٧٨٥ .

٢ ط د : بها ؛ س : بذأ .

٣ ط د : بريحان ؛ والبيتان في النفع ٣ : ٦٠٢ .

٤ ط د س : يبشر ونشر .

٥ ط د : بثبات .

٦ ط د س : وله .

وقال فيه :

ومنافقٍ يبدي انفعالَ منافقٍ متبسماً وضميرُهُ متجهَمُ
حاجاك^١ مكتتماً بما في نفسه ولطيفُ ذهنك خرجَ ما يكم
وتريدُ عدلاً من سبجِةٍ جائِرٍ ومتى أفادَ الشهدَ يوماً أرقم

وقال من قصيدة مراجعة^٢ عن شعر :

وما كُنْههُ نُظمٌ بطرسٍ وإنما نسقتُ النجومَ الزهرَ في صفحةِ البدرِ [٢١٨]

وله من أخرى :

ومن كان في حُكم الزمانِ مصرفاً فلا بدَّ أن يلقي مُهيناً ومُكرِماً

وله من أخرى يعتذرُ من استبطاء المكاتبة^٣ :

ولو وفَتِ الأيامُ جاشتُ صدورها بما ضُمَّنتَهُ أو تبَلَّغَ ما عندي
ولو جرت [الحمسُ] الرياحُ تُضوعت بما استنشقتَه من ثنائي ومن ودي
ولو كان عهد للغزاة جددتْ لكم كلَّ ما أبقي الحديدان من عهد
ألم تسألوا^٤ والقلبُ رهنٌ لديكم فيخبركم غني بمضمَرِهِ بعدي
فلو قبلتني الحادثاتُ مكانكم لأنهبْتُها وفَرِي وأوطأتُها خدي
ألم تعلموا أنِّي وأهلي وواحدٍ فداءً ولا أرضى بتفديةٍ وحدي

١ ط د : حاكال .

٢ س : وله من قصيدة . . . ط د : وقال في مراجعة .

٣ بعض أبياتها في القلائد والمطرب، وورد منها ثلاثة في القسم المنقول عن القلائد : ٧٨٥ .

٤ ط د : كنت عهداً . . . جردت ؛ س : جردت .

٥ المطرب : تعلموا .

قال ابن بسام : ثم ختم رقعته إليّ بأن قال : هنا - أعزك الله - وقف ذكري ، ولا أذكر شيئاً من نثري ، وهو عندي بالإضافة إلى النظم أصلح ، وكلاهما بعيد^١ من الغرض ، لولا مكان حَقِّكَ المفترض .

وهذه أيضاً فصول وقعت إلي بعد ذلك من كلامه

فصل له من رقعة تعزية : أطال الله بقاء الأمير مؤيداً اعتزامه ، مسددةً إلى أغراضه سهامه ، نائمةً عنه النوب ، ساميةً به الرتب ، ولا زالت الرزايا تتخطاه^٢ ، والحوادث تهابه وتتحاماه .
الأمير [الجليل] - أيده الله - ممن آتاه الله أجره مرتين ، وجمع له بين الدارين : جهاداً في سبيله مبرور ، وأجرٌ بحميل صبره موفور ، ومثله تقلد نجاد السعد منى^٣ ، [ووردت عايه الصالحات منى] ، فكل^٤ له في كليهما غابط ، ولكلنا يديه باسط ، في انفساح عمره ، وانشراح صدره ، وتأيد صبره ، وما ألام دهر تحاماه ، ولا ألم رزء تخطاه .

وله من أخرى :

إني أعزبك لا أتي على ثقةٍ من البقاء ولكن سنة الدين
فما المعزى بباقي بعد صاحبه ولا المعزى وإن عاشا إلى حين
كتبته وقد دهم من المصاب بالأخت البرّة - كرّم الله [مثواها و] منقلبها ،

١ ط د : يبعد .

٢ ط : تتخطاه .

٣ ط د : منى . ٤ ب م : فالكل .

ورفعَ في جناته درجاتها ورَتَّبها ، ما لفتح الأكبادِ حرَّةٌ ، وصدع الفؤادِ ذكره ، ولما غار الحزنُ وأنجدَ ، وصوبَ [٢١٨ ب] الوجدُ وصعدَ ، أهابَ داعي النهى فلبيتُ ، وصدعَ زاجرُ الحلمِ فانشئتُ ، وما الجزعُ مما لا يطفأ ، [ولا يعافُ] ما لا بد من شربه^١ ، ويُشفقُ مَنْ قُرَّبَ^٢ إلى تربه . هذا وللسلوانِ مذهبُ لا تذهبُ على ذي نظر ، ولا تغيبُ على ذي تأملٍ وتدبر ، أولها التسليمُ للقدر المحتوم ، والثقةُ بالعوض الكريم ، إلى ما لا يخفى موضِعُهُ ، ولا يُجهلُ من النفوسِ موقعه ، من فضلِ الله تعالى في بقاء فلان الذي هو رأسُ المال ، وجِماعُ الآمال ، وما زالتِ الله مع كلِّ محنةٍ منحةٌ تقاومها ، ومنَّةٌ تلازمها ، حكمةٌ منه بالغةٌ تسكنُ إليها القلوبُ ، ويرجعُ معها الصبرُ ويثوب ، وأنت — أيُّدك الله — فوق أن تُنسبَ بوعظ ، إلى مكانٍ حظ ، وأرحبُ بالنوازلِ ذراعاً ، وأكثرُ عن الأجرِ ذباً ودفاعاً ، لكن ناجيتُ مسريحاً ، وذكرْتُ تلويحاً ، والله يجعلها آخرَ الرزايا ، ويحرس الأولياءَ والولايًا [بمنه] .

وله من أخرى : يا سيدي الأعلى ، وظهيري لخطب إن تجلّى ، نداءَ مَنْ قام شاهدهُ في المودَّة^٣ وبرهانه ، واستوى في موالاتك^٤ إسرارهُ وإعلانهُ ، دمتَ مقتبلَ الجددِ ، واريَ الزَّندِ ، مستقلاً بأعباء السيادةِ والمجد ، في المحلِّ النجد ، والطارع السَّعد .

١ من قول المتنبي :

نحن بنو الدنيا فما بالناسِ نَعافُ ما لا بد من شربه

٢ ب م : تربه ؛ ط د : ترب .

٣ ط د س : الود .

٤ ط د : فاستوى ؛ ط د س : موالاته .

كتبتُ هذه الحروف ذاهباً منذُ هَبَ الإيجاز ، وراغباً مع الحقيقة عن المجاز ، فعبءُ الإطراءِ ثَقِيلٌ ، ومركبُ الاسترسالِ نَبِيلٌ ، وشاهدي منك حاضِرٌ ، وإليك في كل الأحوال^١ ناظرٌ ، وموصِلُهُ فلانٌ ، والواثقُ بفضلِكَ في ما ينهيه إليك ، ويوردُهُ عليك ، ويستظهرُ فيه بسعيك الحميد ، ويستنجحُ برأيك الأصيل السديد ، وأنت لا تألوه بِسَرِّوكَ نصحاً ، ولمبهم أبوابه فتحاً ، وهو في تفضيلك أمةٌ لا يُشْنِي ولا يُصَدِّ ، وما قال الا بالذي^٢ علمت سعد^٣ .

وله من أخرى : أطالَ الله بقاءَكَ ومقاليدُ المجد تُلقَى إليك ، ووفود الحمد وقفٌ عليك ، وأزمةُ الفضلِ في يدك ، ولا زلتَ للمبهمات فارجاً ، ولسبلِ المكرماتِ ناهجاً ، ناهضاً بالبزلاء^٤ ، صبوراً [على العزاء] . كتبتُ والأحوالُ التي استطلعتها اهتباك ، واستهدى علمُها إجمالك ، في ريعانِ ظهورها ، وشرخِ شبابِ نورها ، والله بفضلِهِ يعيدُنَا فيها من عَيْنِ الكمال ، ويديمُ لنا حالَ الاستواء والاعتدال . وإنَّ الخطابَ الكريمَ نجرُهُ ، المنيرَ فجره ، الذكيَّ نشره ، وافى قريباً^٥ بالسيادةِ عهدُهُ ،

١ ط د : والبر في كل الإخوان ؛ س : والبر في كل الأحوال .

٢ ط س : بالتي .

٣ من قول الخطيئة :

وتعذلي أفناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذي علمت سعد

٤ ط د : ووفور . . . موقوف .

٥ من أمثالهم : « إنه ناهض ببزلاء » والبزلاء : الرأي الجيد أو الداهية العظيمة ، قال الشاعر :

إني إذا شغلت قوماً فروجهم رحب المسالك ناهض ببزلاء

(انظر فصل المقال : ١٤٧) .

٦ ط د : عليها .

٧ ط د س : حديثاً .

مطرراً بالبلاغة بُرْدُهُ^١ ، فوردتُ منه معيناً ، واجتليتُ [٢١٩ أ] به^٢ من البيان سحرّاً مبيناً ، ومثلُكَ أهدى مثله ، ووالى فَضْلُهُ^٣ ، وتابع بذله^٤ ، وأتبع دَلْوَهُ^٥ في السّماحِ رشاءها ، وسما إلى هِمَمِ أَملاكٍ جُعِلَ إزاءها^٦ ، والله لا يُعْدِمُنِي الأُنْسَ طالِعاً من أفقك ، والدنيا تجري في وَفْقِكَ ، ولا زالت قِداحُكَ فائزةً ، وأحكامُكَ جائزة ، وحظوظك لكل أمانةٍ حائزة .

[وله^٧ من رقعةٍ خاطب بها بعضَ الأعيان يعتذر من ذكر المقامة^٨ ، واستفتحها بهذا البيت :

ما كنت أشتمُ قوماً بعد مدحهم^٩ ولا أكدرُ نعمي بعدما تحبُّ^{١٠}
مَنْ يُسَرَّ فيه - أيدى الله - للحسنى ، وفاز من لقاءه بالخطّ الأسنى ،
فله ما تمنى ﴿ وما يلقاها إلاّ ذو حظٍّ عظيم ﴾ (فصلت : ٣٥) ومن أتى

١ ط د س : منه .

٢ ط د : جذله .

٣ من قول قيس بن الخطيم (ديوانه : ٤ - ٥) :

إذا ما اصطبحت أربماً خط مئزري وأتبع دلوِي في السّماحِ رشاءها

ثارت عدياً والخطيم فلم أضع ولاية أشياء جعلت إزاءها

٤ ابتداء من هنا وقع بياض في ب م ، حتى آخر رسالته في انتنصل من « المقامة » .

٥ هذه المقامة تسمى القرطبية ، وقد قيل ان الفتح بن خاقان هو الذي صنمها على ابن السيد البطليوسي

وعليها رد يسمى الانتصار ؛ وقد نسبت لابن أبي الخصال ، وهو في هذه الرسالة يحاول أن

يتبرأ منها ، ويخاطب برسالته هذه الوزير أبا الحسين ابن سراج ؛ والمقامة القرطبية في

كتاب « رسائل إخوانية » الورقة : ١٢ - ١٤ ؛ أما رد ابن أبي الخصال فقد ورد في كتاب

« ترسل ابن أبي الخصال » الورقة : ٧٣ وما بعدها ؛ قلت : وانظر كتابي « تاريخ الأدب

الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين » ص : ٣١٤ - ٣١٥ .

الله بقلب سليم . واني مع عدم الاستطاعة ، ومزجى البضاعة ، أتوهم
سقوط الفرض ، وأخلد إلى الأرض ، وأحمل الأمر محمل العرض ،
ودونه - أيد الله - مهابة لإجلال تنبيهه ، وكرم خلال يذنيه ، فأنا بينهما
عصي طيع ، هذا يحيى < بي > وهذا يرجع ^٢ ، لا جرم أني أفقر إليه من
جفن إلى كرى ، ومن أذن إلى بشرى ، بل من جذية إلى نديم ، ومُصعب
إلى إبراهيم ^٣ ، بل من الشمال إلى اليمين ، والأنف إلى العرين ، بل من
دريد إلى الشباب ، والقارظ إلى الإياب ، وسأستأنف وأستدرك ، وأخب
نحو علاه وأبرك ^٤ ، وأتوسل بتشييع في مجده غال ^٥ ، وأمت بمنافسة مغال :

فلا تلزمني ذنوب الزمان - إليّ أساء وإياي ضارا

وهل هو إلا نقصان يقعد عن كمال ، وحرمان يُبعد عن نوال ، أروح
وأغدو ، أتجنب روضه وأجيل أعدو ، أستغفر الله من غربة ركبته مطاها ،
ووصلت خطاها ، وأثرت قطاها ، أنضت شبابي بل نضته ، وسلت
مشيبي وانتضته ، فها أنا طليح أو جريح ، وأبقت عليّ دركاً ، وبوأتني
دركاً ، فضاغت أثناءها الحقوق ، وبئس الاسم العقوق . نعم - أدام الله

١ د : فيها :

٢ من قول المتنبي :

الحزن يقلق والتجمل يردع والدع بينهما عصي طيع

يتنازعان دموع عين مسهد هذا يحيى بها وهذا يرجع

٣ مصعب بن الزبير ، وإبراهيم بن مالك بن الأشتر قائد جيوش مصعب ، وقد ظل وف
بعد أن تغير عليه سائر القادة .

٤ الترسل : إلى علاه وأبرك ؛ س : نحو علاه وأبرك ؛ ط : وأترك .

٥ س والترسل : عال .

٦ ط د : أجنب .

سَعْدَكَ ، تحولاً إلى الكاف ، وإسناداً من الاعتراف بحقك إلى كاف - :

وعيدُ أبي قابوسَ في غيرِ كُنْهِهِ . أتاني ودوني راكسٌ فالضواجعُ^١

فانطويتُ على حريقٍ ، وتعلّلتُ برحيقٍ :

وفضيلةُ الراحِ الخروجُ بأهلها عن عالم هو بالأذى مجبولُ

فما سَلِمْتُ معَ ذلكَ من ظنونهم ، ولا غَبِيتُ عن عيونهم ، وأنّى لي بالسلامة
من كاشحٍ يُغْري ، ويدٍ ترميني من حيثُ لا أدري . تمنحني الفصاحة
ضُرّاً ، وتمنعنيها نفعاً وخيراً^٢ ، ان مرّاً به ذكري فيها غُمِزَ وَغُمِصَ ،
أو ادعي لي حظَ نفيسٍ بُخِيسَ ونُقِصَ^٣ ، أو قرىء لي « قُبِصَ » قرأ
« قبص » ، ما هذه المقامة إلاّ قيامةُ حَشَرَتِ الكرامِ وحاشَتُ ، وما
استثنت ولا حاشَتُ ، أصابت وأشوت ، وصابت وأخوت ، وعمتُ
لتخصّ ، وباحت لتقصّ ، والمناجى لبيب ، « وقد يؤذى من المقة الحبيب » .
اللهم اعصمنا من^٤ الدعوة ، واجعلني فيها مجابَ الدَّعوةِ ، حتى
ندعوها لأبيها ، ونؤثّر الأقسطَ عندك فيها ، بعزتك .

أولى لهذا المتّهم ، ساءَ ما حكم ، ويا بُعدَ ما توهّم :

أيها المنكحُ الثريّاً سهيلاً عَمَرَكَ اللهُ كيفَ ياتقيان^٥

١ البيت للناطقة الذبياني ، ديوانه : ٤٥ .

٢ الترسل : ضراماً . . . برداً وسلاماً .

٣ ط د : حظ نفس ونقص .

٤ ط د : وجاشت .

٥ الترسل : طهرنا من دنس .

٦ لعمر بن أبي ربيعة ، ديوانه : ٤٣٨ .

هي شاميّةٌ إذا ما استقلتُ وسهيلٌ إذا استقلَّ يمانِي

منع الجار صقباً^١ ، وادّعى لابن^٢ طريف عقباً ، وما ينامُ أبو سفيانَ عن
زياد ، ولا يترك في ثقيفِ ثمرَ الفؤاد ، هيهات هيهات ! ! يدلُّ على الفجر
سناء ، ويُعربُ عن الشجر جنّاهُ ، ويفضّحُ الشناشَنَ أخزم ، وينسب
الحكمُ إلى اكثم^٣ ، وما هو بمطاعٍ ثمَّ أمين ، ولا أنا على غيبِ السيادةِ
بضنين^٤ ، لاسيما وقد افتتح بمن افتتح ، وبمن وزّن فرجَح ، وسعى فأنجح ،
وملك فأسنّجَح ، وأشفّى فعفّ ، وكفى فكفّ ، وثناه بمن أتى ما أتاه ،
وتقيلَ في الفضل أباه ، وتخطّاه إلى صِنو كماءِ المزن ، وروضِ الحزنِ ،
تجافى جنبُه عن المضاجع ، وطلّق الدنيا غيرَ مُراجعٍ ، وتجاوزَه إلى ابنِ
عمّ ، وكبيرٍ في المكارم جَمّ ، خلع على المروّة عمره ، وقلّدها أمره ،
هجرَ مراتبَ وخططاً ، وأبى إلّا أن يكن أمةً وسَطّاً ، ثم جاء بالحلّة
لفيفاً ، فنكّر معروفاً^٥ ، ومنع الصرفَ في غير ضرورةٍ مصروفاً ، وماذا
له ، في مصونٍ أذاله ؟ ومن أجاهه ، إلى قبيحٍ جاءه ؟ ومن جرّه إلى
هَجْرٍ أجره ؟ ومن قاده إلى القادة ؟ ومن سامه هُلْكٌ سامه^٦ ؟ ومن

١ س والترسل : سقبا .

٢ الترسل : لأبي .

٣ الترسل : وتنسب الحكم اكثم .

٤ فيه إشارة إلى الآية : « مطاع ثم أمين » والآية « وما هو على الغيب بضنين » (التكوير :

٢١ ، ٢٤) .

٥ الترسل : السيادة .

٦ ط د س : تعريفا .

٧ سامه بن لؤي بن غالب فقام عين أخيه وهرب إلى عمان ، فكانت منيته من نهشة أفعى (أنساب

الأشراف ١ : ٤٦) .

أدارةً على فعلِ ابنِ دارة^١ ؟ هلاً أسراً ما أشر^٢ ، وعشئ^٣ ولم يغتر^٤ ؟ ولما توجه^٥ الي^٦ بين^٧ ، يدي الوزير الأجل - دام سعده - منها^٨ ظن^٩ أخطأ ، ووهم أسرع وأبطأ ، لا تقبله^{١٠} حالي ، ولا يفرغ^{١١} له بالي ، أدرجته أثناء تنصلي ، ووصلته^{١٢} بتوسلي ، إلى علائمه^{١٣} وتوصلي :

ليعلم^{١٤} أني لا أظن^{١٥} بمثلها وأن^{١٦} ليس إهداء^{١٧} الخنا من شماليا

ولن يخفى على ذي بصير^{١٨} نمطها ، ولا يغيب مستنبطها ، وكيف وهناك فطنة^{١٩} تخلص^{٢٠} بين الماء^{٢١} واللبن ، وتفرق^{٢٢} بين القبيح^{٢٣} والحسن ، فليُصرف^{٢٤} هذا اللجام^{٢٥} إلى من علكه ، وليُنط^{٢٦} هذا الدم^{٢٧} بمن سفكه ، فليس المري^{٢٨} من جرير ، ولا ابن الزبير^{٢٩} من ابن الزبير^{٣٠} ، والوزير^{٣١} الأجل^{٣٢} - دام سعده - يحجب عن ادراكه عيبي ، ويحرس^{٣٣} بكرم^{٣٤} نثاء غيبي^{٣٥} ، ويضعني حيث وضعت نفسي من تأميله ، ويعود^{٣٦} علي^{٣٧} بحسن^{٣٨} تأويله ، متطو^{٣٩}لاً ، إن شاء الله تعالى] .

١ ابن دارة واسمه عبد الرحمن بن مسافع (أو ابن ربيعي بن مسافع) هجا بني أسد كثيراً فقبضوا عليه وتشاوروا هل يطلقونه كي يمدحهم: ثم إن رجلاً منهم اغتفله فضر به بسيفه فقتله (الأغاني ٢١ : ٢٧١) .

٢ الترسل : ولو وقف لأمر .

٣ من المثل : عش ولا تغتر (الميداني ١ : ٣١١) .

٤ ط د : وبين .

٥ ط د : فيها .

٦ لعل صوابها : أزن .

٧ لعلها أن تقرأ في الترسل : المرثي ؛ وهو مهجو ذي الرمة .

٨ ابن الزبير الأسدي شاعر أموي (انظر الأغاني ١٤ : ٢٠٨) .

٩ س : عيني .

[٢١٩ ب] ولما^١ نكب الوزير أبو محمد بن القاسم النكبة التي أنبأت بتعذر أوطار ، ذوي الأخطار ، وأعلنت بكساد الفضل^٢ ، واستئساد النذل^٣ ، لأنه كان طود جمال ، وبحر إجمال ، وناظم خلال ، وحين ثل الدهر عرشه ، وأحلّ سواه فرش ، خاطبه كل زعيم^٤ جليل مسلماً عن نكبته ، وانتقاله عن رتبته ، فكتب إليه برقة مستبدعة وهي : مثلك - أنس^٥ الله فؤادك ، وخفف عن كاهل المعالي ما هاضك وآدك - يلقي دهره غير مكترث^٦ ، وينازله بصبر غير منتكث ، ويسم عن^٧ قطوبه ، ويفل شباة خطوبه ، فما هي إلا غمرة ثم تنجلي . وخطرة ويلها من الصنع الجميل ما يلي ، لا جرم أن الحرّ حيث كان حر ، وأن اندرّ برغم من جهله درّ ، وهل كنت إلاّ حساماً انتضاه : قدر أمضاه ، فإن أغمده فقد قضى ما عليه ، وإن جرده فذلك إليه . أما إنه ما تلم حده ، ولبس جوهر القرنند حده ، لا يعدم طبيئاً يشترطه ، ويميناً تخرطه ، هذه الصمصامة ، تقوم على ذكرها القيامة ، طبقت البلاد أخباره ، وقامت مقامه في كل أفق آثاره ، فأما حامله فنسي منسي ، وعدم منفي ، كلا لقد بقيت الحقائق ، وانبتت^٨ تلك العلائق ، فلم يصحبه غير غرار ، ومتن عار ، كلاهما بالغ ما بلغ ، والغ معه في الدماء إذا ولغ ، وما الحسن إلاّ المجرد العريان ، وما الصبح إلاّ الطلق الأضحيان ، وما النور إلاّ ما صادم^٩ الظلام ، وما النور إلاّ ما فارق الكمّام ، وما ذهب ذاهب ، أجزل منه العوض واهب ، ولئن قضى حق المساهمة في هذه

١ هذا نص دخيل على الذخيرة، وهو منقول عن قلائد العقيان: ١٨٧ ، ولم يرد إلا في ب م .

٢ القلائد : الفضائل والمعاني .

٣ القلائد : الوضيع على الماجد العالي .

٤ ب م : رعية .

٥ القلائد : ثبت .

٦ من قول المتنبي :

لا تلق دهرك إلا غير مكترث ما دام يصحب فيه روحك البدر

٧ القلائد : عند .

٨ القلائد : فنيت . . . وأنهيت .

٩ ب م : صارفه .

الحال التي التوى عرضها ، وتأخر للأعذار القاطعة فرضها ، أسف تردد ، وارتماض تجدد ، وذنوب على الأيام لا تحصى وتعدد ، وجبا اللثام منها > تحل < وتعتقد ، فيعلم الله عز وجهه لقد استوفيت فيه هذه الأقسام ، ونهيت^١ فيك حتى المزن عن الابتسام^٢ .

وله أيضاً : ليست الأذنان كالأعراف ، ولا الأندال كالأشراف ، ولا كل أشراف بأشراف ، فم^٣ من يزيل^٣ ما ولي ، ويعمى عن النصيح وقد جلي ، إن ذكر نسي ، وإن عذل فكأتما أغري ، وكثيراً ما يمتد شططه ، فتحذف نقطه ، ويهجر نمطه ، وإن ساحنائه في الضبط ، وأمتعناه بالنقط ، نبذ الوفاء فحذفنا الفاء ، وجفا الكريم ، فألغينا الميم ، وله بعد ما ألغى ما بقي ، إن أشرف فعلى الخطير العظيم ، وإن اطلع ففني سواء الجحيم ، ورب طويل النجاد ، عريق في الآباء [٢٢٠ أ] والأجداد ، ولايته أمان ، وعمله إيمان ، وخلقه رضوان ، تود النجوم أن يخطها^٤ في كتاب ، وينسقها نسق الحساب ، قد ارتقى بخطته باذخ السناء ، وأخذ بضعها رفعاً إلى السماء ، فهناك — وأنت ذاك — طاب الجنى ، ودنت المنى ، وأيقن الشرف أنه في حرم وحى ، وأقسم^٥ بالمبسم البارد ، والحبيب الوافد^٥ ، قسماً تبقى على الشباب مدته^٦ ، وتعز على المشيب حدته^٧ ، ذكرى من ذلك العهد مدت بسبب ، ومنت إلى القلب بنسب ، ليحنون^٨ على الكرام ، وليجترو^٨ > على < الأيام^٩ ، وليأخذن^٩ فوق أيديها ، وليكنن^{١٠} من تعديها^{١٠} ، ما لها^{١١} تنحت أثلاثهم > وتسهم بغير سماتهم ، تصفهم

١ ب م : وبقيت .

٢ ناظر إلى قول المعري :

نقمت الرضى حتى على ضاحك المزن فلا جادني إلا عبوس من الدجن

٣ القلائد : يصم .

٤ القلائد : ينظلمها .

٥ القلائد : الوارد .

٦ القلائد : جدته .

٧ ب م : حده .

٨ ب م : وليحرمهم .

٩ القلائد : الأنام .

١٠ القلائد : أيديهم . . . تعديهم .

١١ القلائد : ما لهم .

بصفتهم ، وتعلمهم بعلاتهم^١ ، فأين أنت من الذب ، وسنام قد استؤصل بالحب ، وكيف ارتياحك لعبد شمس^٢ اذ زارت ، ومكرمة كالشمس أشرقت وأنارت ، لا جرم أنك منها على ذكر ، وبمدرجة حمد وشكر ، وما هو إلا الشريف الأوحـد ، ومن لا ينكر فضله ولا يـحمد ، أبو بكر - أعزه الله - وناهيك^٣ انتماء ، وحسبك علاء وسناء ، فتى دهي في ضيعته هناك بدواه ، ورمي بخطوب غير ريوث ولا سواه ، ورأيتك - أصاب الله برأيتك ، وجبر الأولياء بسعيك - في تحصين مراعاته ، وترفيهه ومحاشاته ، ولولا عذر منع ، لكان على أفقك النير قد طلع ، ولكنه أناب فلاناً وحسبه أن يدفع^٤ كتاباً ، ويقضي جواباً ، ويتصرف على حكمك جيئة وذهاباً .

وكتب إلى أبي بكر بن رحيم يهته بولايته خطة الاشراف :

إذا ما شرف الاشرافُ قوماً فإن بني رحيم شرفوه
كفاةً للملوك على سبيل ودين نصيحة ما حرفوه
أبو بكر له ولهم كفيل بكل كفاية اذ صرفوه
وما الاشراف إلا عبد قن لهم فتى تولى استصرفوه

هذه - أعزك الله - بديهة البشرى ، وعجالة كعجالة القرى ، فأنا لها بالاقبال ضمين ، وعليّ ألية ويمين ، لتحوطنها أعلامك ، وليحمدن فيها مقامك ، ولتعرفن بالحجول والغرر أيامك ، فحالفك السعد ، ولا عدملك الملك الجعد ، وأبل وأخلق مثلها جديداً^٥ بعد ، وما حق من بشر باعتلائك ، وسرى بأنائك إلى أوليائك ، أن يؤخر مراده [٢٢٠ ب] أو يضيع عمله واعتقاده ، وأن الحاج ابن شقران أملك - أبقاه الله وجبره - أشعرفني بهذه المسرة ،

١ ب م : وتضييعهم بضياعهم وتقلهم بقلاتهم .

٢ القلائد : بغير خمر .

٣ ب م : وناهيه .

٤ ب م : إنه .

٥ القلائد : يؤدي .

٦ القلائد : جديداً .

والديمة الثرة ، ولقد هممت على هذا البرد > بخلع البرد < وحل العقد ، وفض النقد ،
فدافعي انقباضاً ، وأعلمني أن له في عملك - أبقاه^١ الله - أغراضاً ، تكون على ذلك أثماً
واعواضاً ، وأراني^٢ عقداً يشهد بعلمه ، وصحة ما استحثه في مقدمه ، وأنه ليس له سوى
غرس قد صار عليه > كلاً < ، بل استدار في ساقه كبلاً ، والتوى في عنقه > غلاً ،
وآص له < غلاًلاً مغلاً ، ولك الطول في نظرك بالتخفيف عن مثله من الضعفاء ، ومن لا
قدرة له على الأداء ، وحمل الأعباء ، فإن ذلك ذكر في العاجل ، وذخر في الآجل ، إن
شاء الله .

في ذكر الأديب أبي بحر يوسف بن عبد الصمد وابتات جملة من أشعاره ، مع ما يتشبه بها من مستطرف أخباره^٣

وهو يوسف بن أبي القاسم خلف بن أحمد بن عبد الصمد ، جدهم
الأول كان السمح بن مالك بن خولان ، أحدَ أمراء الأندلس في ذلك
الأوان ، قبل دخول بني مروان ، من تقديم عمر بن عبد العزيز . وهؤلاء
الصمديون قومٌ من ذوي الهيئات ، متقدمون في الكتابة وأدوات أهل
النباهات^٤ ، وأصلهم فيما أخبرت من إقليم الشبتان^٥ من كورة جيان ،
وخدم أبو القاسم والد أبي بحر الخزائن^٦ في المرية^٦ زمانَ زهير وخيران ،

١ القلائد : أنماه .

٢ ب م : وأرى .

٣ انظر ترجمته في المغرب ٢ : ٢٠٣ والمسالك ١١ : ٥٠ والنفع ٤ : ٢٥٩ . وذكره
صاحب القلائد : ٣٠ وأورد له مرثية في المعتمد بن عباد .

٤ ب م : النباهة .

٥ ب م : المسميان ؛ ط د : الشمان .

٦ ط د س : بالمرية .

وفي دولة المنصور بعدهما ، ومات في دولة ابن صمادح سنة ثمان وأربعين ،
وبنوه وقرابته أكثر خدّمة المريّة ، وفيهم يقولُ بعض أهل الأوان ،
لما رأى من كثرة عددهم والتباسهم بالسلطان ^١ :

ملأوا قلبي هموماً مثلما ملأ الأرض بنو عبد الصمد
كاثر الشيخ أبوهم آدماء فغدوا أكثر أهل الأرض عد^٢
كلهم ذئب أزلّ متنه^٣ والرعايا بينهم مثل النّقد

ونشأ أبو بحر منهم : بحر [نبل] كاسمه ، في نثره ونظمه ، حسن
الحديث حاضر النادر^٤ ، ذو رويّة وبديهة . ومن ظريف شعره مما أنشدت
له قوله ^٥ :

فوصلت^٦ أقطاراً لغير محبة ومدحت أقواماً بغير صلات
أموال أشعاري نمت فتكاثرت فجعلت مدحي للبخیل زكاتي [٢٢١]

وهذا من غريب المعاني ، وإنما ألمّ بقول ابن رشيق القيرواني ^٧ :

فلأن وجبت عليّ زكاة شعري جعلتك من مساكين الكرام

١ انظر النفح ٣ : ٥٣٥ .

٢ ط د : أكثر نسل وعدد ؛ النفح : أكثر نسلا وولد .

٣ النفح : إذا آمنتته .

٤ ب م : المبادر .

٥ البيتان في المسالك والنفح ٣ : ٥٣٤ .

٦ د ط س : ووصلت .

٧ لم يرد البيت في ديوانه المجموع .

جملة من شعره في أوصاف شتى

له من قصيدة أولها ^١ :

أدبلخوا بالشموسِ في الأغصانِ	وَمَشَّوْا بالحدوجِ في الكتبانِ
حيث جال ألوشاح واصطحب العة	د مع المرهف الحسام اليماني
كلما سار ^٢ شادن ذو سوار	راع ليثٌ غصنفرٌ ذو سنان
يا لها من ضراغمٍ وسروج ^٣	خالطتها هودج و غوان
كم قطعت الزمان والعيش غض	[في ارتياح] ما بين تلك المغاني
واذا غرَّد الحمامُ على الأيدِ	لكِ وأصبتُ مرجعاتُ القيان
صلصلتُ حولها الجيادُ وهزَّتْ	ذابلاتٌ أعطافها للطعان
ربَّ ليلٍ قطعتهُ في رياضٍ	وندامى وقهوة ومثاني
ووجوهٍ مثلِ البدورِ تلالا	وقدودٍ كأنها قُضْبٌ بان
فوق أطواقها سنا صفحاتٍ	مُعْجَمَاتِ السطورِ بالخيالان
وعيونٍ من نرجسٍ وحدودٍ	من شقيقٍ على طلا سوسان
فاجتنيينا زهر الحدودِ غصيفاً	وقبضنا أرواحَ [تلك] الدنان
لم تزل تسجد الأباريق للشر	ب سجودَ الرهبان للصليبان
نتعاطى الكؤوسَ والليلُ خفّاً	قُ الحوافي ممزقُ الطيلسان

ومنها في المدح :

فثناءً يسيرُ في كلِّ أفقٍ ومديحٌ يُتلى بكلِّ مكان

١ ورد منها بيتان في المسالك .

٢ ط س د : شان ؛ ب م : شار .

٣ ط د س : وأسود .

٤ ط د : غصن .

يحملُ السرجُ حينُ يركبُ بدرًا كاملاً آمناً من النقصان
[ومنها] :

لستُ بالألكنِ الذي يُبهِمُ القو لَ ولا بالمعجزِ المتواني
ولعمري لقد [كشفت] دجى الش لكّ وأوضحتُ غامضات المعاني
ذلّ في ذا الزمان نثري ونظمي^١ ذلّة السيف في يمين الجبان [٢٢١ب]

وهذا المعنى قد نبهنا عليه فيما سلف^٢ ، ومنه قول ابن شرف :

تقلدتني الليالي وهي مدبرة^٣ كأنني صارمٌ في كفٍّ منهزمٍ
ولأبي بحر من أخرى في الوزير [أبي بكر] ^٣ ابن زيدون :

زمانٌ يمنعُ الخيلَ الطرادا وسيرٌ يحسبُ النخلَ القتادا^٤
وأيامٌ تُغلبُ كلَّ ضد وتخلعُ في رضى النعل^٥ النجادا
وقد جبن الشجاعُ فليس يدري أيرتبطُ الحمارَ أم الجوادا
عليك الجدّ في طلبِ المعالي وليس عليك أن تعطي القيادا
فأسنى المجدِ ما أدركتَ سعياً وخيرُ السّعي ما كان اجتهادا
ولا يقنّعك عيشٌ في خمول فغيرُ البازِ من صادِ الجرادا
سأبقي حدّ حسّادي كهاماً وأجعلُ نارَ أعدائي رمادا

١ ط د : نظمى ونثري .

٢ ط د : تقدم .

٣ زيادة من س وحدها ؛ وأبو بكر هو ابن الشاعر أبي الوليد ابن زيدون ، وكان وزيراً لبني عباد .

٤ ب م : الحل القيادا ؛ ط د : النقادا .

٥ ب م : النغل .

بذكرٍ يُخجلُ المسكَ انتشاقاً وذهنٍ يحرقُ النارَ انتقاداً

ومنها في المدح :

لك البشرُ الذي سألني وسرّي وأدركَ منتهى أُملي وزادا
وما أخشى عليكَ نفاداً^١ لون ومن يخشى على الشمسِ النفادا
تنزهك العزائمُ^٢ أن تضاهي وتمنعك المكارمُ أن تسادا
فإن خصّتكَ بالحمدِ القوافي فقد عمّتْ أياديكَ العبادا
أجادَ نظامها قلبي وحلّتي^٣ ولولا وصفُ مجدك ما أجادا

[ومنها] :

أبا بكر تقولُ ليَ القوافي وجدتَ البحرَ فاطّرحِ الثمادا
لك القلمُ الذي ان خطّ سطرأ يودُّ المسكُ لو كان المدادا
سللتَ على المهارقِ منه حدأ فللتَ به الصوارمَ والصعبادا
فإن زهدتَ طيّأً في حبّيب فقد زهدتَ في كعبٍ إيادا
فلا جلبَ الزمانِ إليكَ همأ ولا منعتكَ حادثةَ رقادا
فإن الناسَ والأيامَ عينُ وجدتكَ بين جفنيها سوادا [٢٢٢أ]

وله [من] أخرى في المعتمد يقول فيها في وصف طيرفٍ :

وأقبَ تحملهُ رِيّاحُ أربعُ لولا اللجامُ لطار في الميدانِ
من جملةِ العقبانِ إلأ أنه من حسنه في طلعة الغزلانِ
يمشي إلى مِيدانه متبخراً من تيهه كتبخترِ النشوانِ

٢ س : العوالم ؛ ط : العوازم .

١ م : بماد .

٣ س : وجل .

وعلوتُ أذنيه بأذنٍ ثالثٍ كالنجم منقضاً على شيطان
 رمحٌ ولكن هزاً من أعطافه فالخيلُ تنفرُ منه كالثعبان
 ومكَلَّل [مما انتضت يدُ قيصر وبلت ظباه يدا أنو شروان^١
 عشقَ الطلا وبودّها لو عوضت منه مكان الوصل بالهجران]
 جرّده من غمده وهزّزته فكأنما جرّدت غرّب لسان

ومنها ، وقد حضر المجلس أبو بكر بن اللبانة وأبو تمام الحجام فقال معروضاً
 بهما^٢ :

والشعرُ بهجته إذا نطقتُ به بين المحافلِ ألسنُ الأعيانِ
 ما كان قولُ الشعرِ إلاّ خطّةً كانت مراتبها على كيوان
 حتى تدنسَ ثوبها بزعانفٍ نشأتُ على الأوضار والأدران
 من صنعةِ القراز والجزار أو من صنعةِ الحجامِ واللبان

فبعجبا من ذلك ، وأحجلهما هنالك .

وله من أخرى في المعتمد ويصف يوم الجمعة [الذي بدد الله فيه شيعة
 الطاغية أذفونش] :

خضعتُ لعزّتكَ^٣ الملوك الصيد وعنتُ لك الأبطالُ وهي أُسودُ
 رأيُ يفلُ الجيـش وهو عرمرمٌ ويعفّر الجبار وهو عنيد
 وهذا مما أراه نظراً إلى قول مختار بن النجار من جملة الطائرين على

١ هذه رواية البيت بهامش س ؛ وفي ط د : مما تطاير قيصر ، وثلاث يمتناه ؛ س :

تصايد . . . وثلاث طبات ؛ وسقط من م ب .

٢ ب م : به ، وسقطت من ط د .

٣ ط د : لهيبتك . .

الجزيرة ، وكان من غرائب الدهر أمياً ، لا يفهم ولا يقيم حرفاً سوياً ،
أنشد المعتمد بن عباد من جملة قصيد فريد قال فيه :

ذلت^١ لعزتك الملوك الصيد^٢ يا من إذا نقص الزمان يزيد^٣
وفتحت باب الغرب يا ابن محمد وبلغت أقصاه فأين تريد

أرتاح ابن عباد أقوله وقال له : يا ابن الفاعلة ، إلى بغداد . [٢٢٢ ب]

لم ترض^٤ إلا^٥ والسيوف تئاتم والحرب ظئر^٦ والسروج مهود^٧
ولقد شقت إلى الطعان سعيها^٨ وحملت وطأتها وأنت وليد
ولكل نصير^٩ من ظباك مخيلة^{١٠} ولكل فخير^{١١} من فناك عمود

ومنها :

هيهات لا يمضي لحقك شاهد^{١٢} يوم العروبة شاهد^{١٣} مشهود^{١٤}
يوم تواصلت الترائب والقنا فيه وعانقت الأسود أسود
والشمس مرها^{١٥} الجفون كليلة^{١٦} والجو مغبر^{١٧} الذرى مسدود
والمرهفات من النجيع كأنها صفحات^{١٨} بيض^{١٩} بينها توريد
والخيل قد نكصت على أعقابها والروم زرع^{٢٠} والرؤوس حصيد
وكأنما كانت هناك كنائس^{٢١} قد حان فيها للصليب سجود
لوزلت زال الدين وانتهب الهدى ونبا اليقين^{٢٢} ونافق^{٢٣} التوحيد

١ المغرب : خضعت .

٢ س : لم ترب .

٣ ط د م ب : سبقت ؛ د ط : سفيرها .

٤ ط د : فالروم .

٥ د ط : وأذعن ؛ س : وأظن .

لكن وقفت وملء درعك للعدا
والوجه لا متغير والرأي لا
نالتك في ذات الإله شداثد^١
درع يهد الراسيات شديد
متبلد والغزم لا مردود
تركت لك الإملاك وهي عبيد

ومنها^٢ :

والملك لا يحميه إلا أروع
فاطعن ولو أن الثريا ثغرة
وافتح ولو أن السماء معاقل
واطلب بملك الأرض حقاً^٣ إنه
وطل ابن عبّاد على أملاكها
إن الرياسة والنفاسة والعلاء
ثبت الجنان على الجلال جليل
واضرب ولو أن السماك وريد
واهزم ولو أن النجوم جنود
فرض على بيض السيوف وكيد
فقد ارتضاك الواحد المعبود
حرّم تدافع دونها وتذود

وله من أخرى في يحيى بن فانو^٤ بسجلماصة :

عزم تضيق بجيشه البيداء
وعرامة^٥ لو أنها لي لأمة
في عفة لو أصبحت مسومة
فلتلحظ الغزلان ولتتمايل
ومنى أقل مرامها الجوزاء
لم تمض فيها الصعدة السمراء
في الناس لم تتقنع الحسنة [٢٢٣ أ]
أغصان ولتخرج الأنقاء

١ ب م : سوابك ؛ ط د : شوابك .

٢ منها بيتان في المغرب . ٣ س : حقل .

٤ ط د س : بالعلا .

٥ في النسخ : بانو ؛ والتصويب عن البيهقي : ٦٢ وابن القطان : ٢٣٠ - ٢٣١ ، وفانو

أمه هي أخت علي بن يوسف بن تاشفين .

٦ د ط س والمغرب : وصرامة .

ومنها :

وأَحْمَ مَسودَ القميصِ كأنما
وكأنما خاض الصباحَ فأرضهُ
سامي التليلِ يروقُ تحتَ لحامه
أطغيتهُ فمشى العيرِضنةَ تائهاً
وخلعت عنه عنانه في روضة
مخضرة زهرت كواكبُ نورها
خلعتُ عليه ثيابها الظلماء
مبيضةً وسماؤه دهماء
فرعٌ أحْمُ وغرةٌ بلجاء
يبدو عليه الكبرُ والخيلاء
شطأ النباتُ بها وفاض الماء
فكأنها تحت السماء سماء

ومنها :

وتطلعتُ زهُرُ النجوم كأنما
بتنا نراعي النجمَ إلا أنه
دارت كؤوسُ الطلِّ وانتشتِ الربى
والقضبُ تخضعُ للغدير كأنه
نثرتُ هناك عقودَها الحسناء
باتت تراعيناً مهأً وظباء
ومشى القضيبُ وغنتِ الورقاء
يحى وقد خضعتُ له الأمراء

ومنها :

كثر القتلُ عليه في عريسه
يمشي كما تمشي المها مترفقاً
[حتى إذا ما توجته لبدة
هدم الجبالُ^٣ بصدرة فكأنما
فبساطه^١ الأوصال والأشلاء
ويصدّه^٢ عن طرفه استحياء
أو كللته^٢ الغفرة الزباء
في منكبيه الهضبة السماء]

١ ط د : قد ساطه ؛ ب م : فتكاثر .

٢ س : توجت في لبده أومت إليه ؛ وبهامش س كما أتته .

٣ ط د : الجمال .

وله من أخرى في مجلس أنس بروضة :

وحديقة مخضرة أثوابها في قضبها للطير كل مغرد
نادمت فيها فتية صفحاتهم مثل البدور تنير بين الأسعد
والجدول الفضي يضحك مأوه كالعقد بين مجمع ومبدد
وترجرجت^١ للناظرين كأنها در نثير في بساط زبرجد

وكان^٢ بسر قسطة شيخ يكنى بأبي عبد الصمد ، من شعراء ذلك العصر ،
وأراه من سلف أبي بحر ؛ أخبرني ذو الوزارتين أبو عامر بن عبدوس أنه
اجتمع [به] في ذلك الثغر ، ورآه قد لبس بياضاً في جنازة الكاتب أبي
عمر بن القلاس ، وقد حضرها المقتدر بن هود ، فرثاه بقصيدة نعى فيها
تلك الدولة ، ووصف أنها بعد ابن القلاس على طرف ، وفي [٢٢٣ ب]
سبيل تمام وتلف ، فتعجب منه المقتدر ، وجميع من حضر . وكان ذلك
الشيخ يستعمل وحشي الألفاظ ، ويخاطب العوام بكلام لو خوطب به
رؤبة بن العجاج ما فهم عنه ؛ وأخبرت أن بعض أصحابه قال له يوماً :
مالك وللتقير^٣ في كل وصف ! فقال له الشيخ : يا قرارة النوك وعنصر
السخف ، أتتكر أن أستعمل الغريب وفصيح الكلام ؟ ! لو كان في
طبعك ، ما تجّه سمعك ، أين أنت من قول أوس^٤ :

ألم تر أن الله أنزل منزلة وعفر الأطباء في الكناس تنمّع

١ ط د : وتدرجت ؛ وسقط البيت من س .

٢ انفردت س بعنوان قبل هذا وهو : أبو عبد الصمد السرقسطي .

٣ ط د س : والتقير .

٤ ديوان أوس بن حجر : ٥٧ ، ولم يرد إلا الأول .

على دَبَرِ الشهرِ الحرام بأرضنا وما حوله بعدد السنين يُلَفَّعُ
ومن قول امرئ القيس^١ :

وما ذَرَفْتُ عيناك إلَّا لتقدَحِي بسهميك في أعشارِ قلبٍ مقتلٍ

قال له : وأيهما ألوطُ بالقلب وأقربُ إلى مجاري النفس ؟ قال الشيخ : قول
أوس لأنه جَزَلُ المقطع ، بعيدُ المرمى غريبُ المترع ، وأما قول امرئ
القيس فهو من باب الغزل وظريف الألفاظ ، لا يحرك عالماً ، ولا يثيرُ من
غامضِ المعرفة كامناً ، ولا يُتَعَبُ مفسراً ، وإنما يدرّ الدمع ، ويهيجُ
الوجدَ ، ويثير الصبابةَ ، ويؤكدُ الكآبةَ ؛ فقال له ذلك الرجل : وهذه
صفةُ المحبوب من الشعر ، ألا ترى أن امرأ القيس لم يَحْزُ قَصَبَ السَّبْقِ ،
ولا أعطي غايةَ الحصل [إلَّا] لإتيانه بهذه الألفاظ السهلة ، وأن أبا نواس
لم يسبق الناس [إلَّا] بعذوبةِ ألفاظه ، [فمن] احتذى هذه الطريقة نجح ،
ومن حاد عنها افتضح ؟

وكان ذلك الشيخ أبو عبد الصمد [في عصر] أبي حفص بن برد
الأصغر ، واجتمع في خزائنه زهاء خمسمائة رسالة ، أقلّها فيما بلغني
من عشر ورق ، مع قصائد له مطوّلات ، لا يقدر أحد أن يفسرَ له منها
عشرة أبيات ، لوحشية ألفاظه ، واشتباك معانيه ؛ ورسائل ابن بردٍ سائرةٌ
لعذوبة كلامه ، في نثره ونظامه .

وفي هذا الشيخ يقول [ابن] الصّفّار السرقسطي :

لأبناء هودٍ قلوبُ الأسودِ لها عند لقيا الرزايا جَلَدٌ

١ ديوان امرئ القيس : ١٣ .

٢ ب س م : لا يجد أحداً يفض

وأعجب^١ أفعالهم صبرهم على بَرْدِ شعر ابن عبد الصمد

وأخبرت أن بعضَ أدباءِ ذلك الثغر^٢ استدعى هذا الشيخ لمجلس أنس بهذا النثر : أنا أ طالَ الله بقاءَ الكاتبِ الفاضلِ ، سراجِ العالمِ ، وشهابِ الفهمِ ، في مجلسٍ قد عبقت^٣ تفاحه ، وصفت^٤ [٢٢٤ أ] أقداحه ، وخفقت فوقنا للطرب ألويّة^٥ ، وسالت بيننا للهوى أودية ، لكننا لنأيك عنا مُقلّة^٦ .
سال إنسانها ، وصحيفة بُشّيرَ عنوانها ، فإن رأيت أن تتجشّم إلينا غاية القصد ، لنحصلَ بك في جنّة الخلد ، صقلت نفوساً أصدأها بُعدُك ، وأنرت سُرجاً أدجاها فقدك .

فأجابه [أبو] عبد الصمد^٥ : فضضتُ أيها الكاتب [الهميم] ، والخبرُ المِصْقَعُ [العيم] ، طابعَ كتابك ، فمَنَحني منه جوهرأً منتخباً ، لا يشوبه مَشْخَلَبٌ ، هو السحرُ إلّا أنه حلال ، [والدرّ إلّا أنه جلال] ، دلّ على ودّ حُنيّت لي عليه ضلوعك ، ووثيقَ عَقْدٍ انتدب^٦ كريمُ سَجِيَّتِكَ إليه ، فسألْتُ فالقَ الحَبّ ، وعامرَ القلبِ بالحب ، أن يصونَ لي حظي منك ، ويدرأ لي النوائبَ عنك ، ولم يمنعني أن أصرف وجهَ الإجابة^٧ إلى مرغوبك ، وأمتطي جوادَ الانحدارِ إلى محبوبك ، إلّا عارضُ ألمٍ أَلَمَ ، فقيّد بقبده نشاطي ، وزوى براحته بساطي ، وتركني أتملّملُ على فراشي

١ ط د : فأعجب .

٢ هو علي بن خير التليلي ، انظر النفح ٣ : ٤٠٢ .

٣ س : غلفت ؛ ط د : علقت .

٤ ط د : فنحن . ٥ انظر النفح ٣ : ٤٠٣ .

٦ ط د : أسدت .

٧ ط د : الإيجاب .

كالسليم ، وأستمطر الإصباح من الليل البهيم ، وأنا منتظرٌ لادباره .
فكان يُستنزَل في هذه الألفاظ وغرابة^١ هذا المتزع ، ويُستبَرَدُ في
هذا المقطع .

في ذكر الأديب أبي تمام غالب الملقب بالحجّام^٢

وكان معدوداً في شعراء عصره ، إلاّ أنه كان متخلفاً في شعره ،
لأن طبعه كان ينبو عن الرقيق السهل ، ولا يلحقُ بالفصيح . الجزل ،
وربما ندرت له أبياتٌ في النظام ، كرميّةٍ من غير رامٍ ، ووجدته قد
سلك في الأوصاف طريقة الرّمادي ، ففرقَ في بجوحة ذلك الوادي ،
وقد أخذت هنا من شعره بطرف ، يُعربُ عما به ذكر ووصف .

جملة من شعره في النسيب مع ما يتشبه به من المديح

له من قصيد في الرشيد يقول فيه :

أراعي الفرقدين ولستُ أعيا كَأني ثالثٌ للفرقدين

١ ط د س : فكانت تستهول له هذه . . . ط د : وعارية .

٢ غالب بن رباح المعروف بالحجّام شاعر قلعة بني رباح الذي نوه بقدرها، ورفع من رأس
فخرها ؛ وقلعة رباح غربي طليطلة ، سميت كذلك باسم علي بن رباح اللخمي الذي اشترك
في فتح الأندلس ، وقد سقطت في يد اذفونش (الفونسو السادس) سنة ٤٧٦ (انظر الترجمة
الفرنسية من الروض المعطار : ١٩٦) وراجع ترجمة أبي تمام هذا في المغرب ٢ : ٤٠
والمسالك ١١ : ٤٥١ وله ذكر في رايات المبرزين وشعر في النقيح .

غدوا في مشرق الدنيا ونفسي تناجيهم بأقصى المغربين
أنسى عهدهم وهمُ بقلبي وأشكو فقدهم وهمُ بعيني
سقى زمناً سقاهاهم كلَّ صفو وقد قدَّيتُ^١ جفونُ الحاسدين
وقد حيّا بطاساتِ الحميا قضيبُ في الغلائل من الحين [٢٢٤ ب]
إذا سيم المراج سقى لماه ونزهنا بروضة وجنتين
تقلد طرفه سيفاً ولكن حمائله نباتُ العارضين

وهذا البيت من متداولات المعاني ، ومنه قول ابن رشيق القيرواني^٢ :

وهل على عارضيه إلّا حمائلٌ قلدت حسابا

ومن مديح هذه القصيدة :

شكوتُ إليه عدوانَ الليالي وما ألقاهُ من تشيت بينِ
فأمنَ من صروف الدهر سري وأصلحَ بين أيامي وبينِ
رآني والظلامُ عليّ ثوبٌ فأطلعني طلوعَ النيرين

وله من قصيد :

مالي حرمتُ على اتصالِ مدائحي أعقرتُ في الشعراءِ ناقةَ صالحٍ

ويناسبُ هذا قول الآخر^٣ :

أناقةُ الله حاجتي عُقرتُ أم نبتَ الحرفُ في نواحيها

١ س : قرت .

٢ ديوانه : ١٦٩ باختلاف في الرواية .

٣ ط د س : وهذا كقول الآخر .

وأنشدني له من قصيدة^١ :

دعوت الندى^٢ من كل باب قرعته دعاءً ولكن^٥ كان غيرَ مجيبٍ
فما هو إلا^٣ كالحبيب تمنعاً^٣ عليه من الغيران كلُّ رقيب
فكن^٤ طالباً للمجد إن كنت طالباً بهزّ سنانٍ وانتضاءٍ قضيب
ولا تبغ من زيدٍ وعمرو مكانةً لحفظ^٤ سوارٍ في بياض عصيب

ومنها :

ليالي كان العيشُ غصاً يُظِلّني نضيراً وماءُ الوردِ^٥ غيرَ مشوب
وعيني قد نامت بليلٍ شبّيتي فما انتبهت إلا لصبح مشيب

وله من أخرى [أولها] :

أحينَ وصِلْتُ أحدثَ الفراقا لقد حَمَلْتُ قلباً لو أطاقا
أحينَ كَرَعْتُ في ماء الأمانِي سقيتني الأسى كأساً دهاقا

ومنها :

عرفتُ الدهرَ ثم طلبتُ منه ليسقي صفوه فسقى زعاقا [٢٢٥أ]
[فكنتُ كطالب في البحرِ ماءً تشكّك في مرارته فذاقا
ولم أر مثلَ أيامِ التضايي وقد ضرب الهوى فوق رواقا]

١ ط د س : وله من قصيدة .

٢ س : الهدى .

٣ ط د : بمنعاً .

٤ ب م : فحفظ .

٥ س : العيش .

وقد زُفَّتْ عروسُ الكاسِ نحوي : وقد كتبوا لها [شعري] صداقا
ومن كلني بها وبمن سقاني وصلتُ بها اصطباحاً واغتراباً
غزالٌ لم يزلْ قلبي عليلًا بعلّةٍ مقلتيه فلا أفاقا
رقيقُ الحصرِ لو شاءَ احتراماً بخاتمه لكان له نطقا
ومنها :

سلاماً لم يكنْ إلاّ وداعاً وجمعاً لم يكنْ إلاّ افتراقا
وهذا كقول المتنبي ^١ :

افترقنا حولاّ فلما اجتمعنا كان تسليمه عليّ وداعا
وكقول علي بن جبلة ^٢ :

ركبَ الأهوالَ في زورته ثم ما سلّم حتى ودّعا
وذكرتُ بهذا المعنى خبراً حكاه الزبير بن بكار قال : سمع أبو السائب
المخزومي قول مالك بن أسماء الفزاري :

بكت الديار لفقد ساكنها أفعدت قلبي تبتغي الصبرا
بيننا همٌ سَكَنٌ ^٣ لخيرتهم ذكروا الفراقَ فأصبحوا سفرا
فظللتُ ذا ولهٍ يعاتبني في حبّهم من لا يرى الأمرا

فقال أبو السائب عند سماع البيت الأوسط : ما أسرع هذا ! ما قدموا

١ ديوان المتنبي : ٥٢٦ وروايته : افترقنا عاماً .

٢ ديوان العكوك : ٧٦ .

٣ ط د س : سَكْنًا .

ركاباً حتى ودّعوا صديقاً ؛ قال الزبير : يرحمُ الله أبا السائب ، فكيف
لو سمعَ قول العباس بن الأحنف ^١ :

ساءلونا عن حالنا كيف أنتم ^٢ فقرنّا ودّاعهم بالسؤال
ما أنحنّا حتى افرقنا فما فرّقت بين النزول ^٣ والإرتحال

وأبو السائب هذا كان له جدٌ يُكنّى أبا السائب أيضاً ، خليطُ
رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، إذا ذُكرَ قال : « نعم الخليطُ كان أبو
السائب لا يُشاري ولا يُماري » . وكان أشراف المدينة يستظفون أبا السائب
هذا حفيدهُ ، واسمه عبد الله ، ويقدمونهُ لشرف منصبه ، وحلاوة
ظرفه ، وكان غزيرَ الأدب ، كثيرَ الطرب ، وله فكاهاتٌ مذكورة ،
[٢٢٥ ب] وأخبارٌ مشهورة .

وقولُ ابنِ رباح : « بعلته مقلتيه فلا أفاقا » كقول أبي عامر بن شهيد ،
من شعر قد تقدم ^٤ :

فأنا المجروحُ من عضّتها لا شفاني اللهُ منها أبداً ^٥

١ ديوان العباس : ٢٣١ ، وقد تقدم البيت الثاني على الأول .

٢ الديوان : إذ قدمنا .

٣ الديوان : حتى ارتحلنا فما نفرق بين المناخ .

٤ هذه العبارة قد خضعت في جزئها للتقديم والتأخير في ط د س .

٥ ط د س : معنى قد تطرفه لابن شهيد حيث يقول .

٦ ديوان ابن شهيد : ١٠٤ .

جملة من شعره في أوصاف شتى

له في الصورة التي بحمام الشطارة البديعة الشكلِ باشبيلية^١ :

ودمية مرمَرٍ تزهى بخدٍ^٢ تناهى في التوردِ والبياضِ
لها ولدٌ ولم تعرف^٣ حليلاً
ونعلمُ أنها حجرٌ ولكنْ تتيمننا بألحاظِ مِراضِ

وأنشدني في صفة خاتم :

وخاتم تبرٍ قلَّدَ الدرَّ حوله ومنه أحمرِ الياقوتِ ما يتقلَّدُ
كأن الثريا بالهللِ تعلَّقَتْ وفي طرفيه المشتري يتوقَّدُ
وللطيبِ فيه مخبأ فكأنه سريرةٌ حبٍّ قد فشت وهي تجحدُ

وقال^٤ :

زرت الحبيبَ ولا واشٍ^٥ أحاذرُه والصبحُ عينُ لوتٍ^٦ بالغمضِ أشفارا
في ليلةٍ خِلْتُ من حُسنِ كواكبها دراهاً وحسبتُ البدرَ ديناراً

١ انظر نفح الطيب ١ : ٥٣٣ .

٢ النفح : مجيد .

٣ س : تنكح ؛ ط د : تصحب خليلاً .

٤ ط د : التبر .

٥ ب م : وما .

٦ انظر نفح الطيب ٣ : ٤١٦ .

٧ النفح : شيء . ٨ النفح : في ليلة قد لوت .

وقال :

انظرُ إلى زُهرِ النّجوم وقد بدّتْ في البحر تعجبُ ذاتها من ذاتها
فكأنها سِرْبُ الحسانِ تطلّعتْ لترى من المرأةِ حُسْنَ صفاتها
وذكرتْ بوصفه صورَ الكواكبِ في الماء ، قولَ أبي العلاء^١ :

فمدّتْ إلى مثلِ السّماءِ رقابها وعبتْ قليلاً بين نَسْرِ وفرقدٍ
وصفَ إبلًا وردتِ الماءَ ليلاً ، وهو أزرقُ صافٍ وفيه صورُ النجوم ،
فكأنها شربتْ بين هذين الكوكبين ، وإنما أخذه من قولِ الأخطلِ يذكر
سمتَ إبلٍ قصدته :

إذا طلعَ العيوقُ والنجمُ أوجتْ سوافها بين السماكين والقلبِ^٢
أراد إذا طلعَ العيوقُ والثريا يمتّ هذه الإبلُ سمتَ ما بين السماكين
والقلبِ^٣ ، فكأنها وضعتْ سوافها بينهما معرفةً ، وموضعُ العيوقِ وراءَ
الثريا في جانبِ المجرةِ الأيمنِ ، والعيوقُ أقربُ إلى القطبِ من الثريا ،
وهما يطلّعان صُبْحاً ، عند اشتدادِ الحرِّ معاً ، ويكونُ [٢٢٦ أ] قلبُ
العقربِ والسماكان طالعين حينئذٍ ليلاً ، فوصفَ الأخطلُ أنه سرى
الليل ، ولا يكونُ العيوقُ في وقتٍ أقربَ إلى الثريا منه في وقت ، ولكنَّ
الكواكبَ إذا كبدتْ^٤ تقاربَ ما بينها في رأي العين ، ولذلك قال الآخرُ^٥ :

١ شروح السقط : ٣٧٢ .

٢ ديوان الأخطل : ١٩ والأنواء : ٣٦ .

٣ ط د : وصف إبلًا يمتّ ما بين السماكين . . . الخ .

٤ ب م : كبّرت ؛ وكبد النجم السماء : توسطها .

٥ البيت لبشر بن أبي خازم ، ديوانه : ٦٦ والأنواء : ٣٦ .

وعاندَتِ الثرياَ بعدَ وهنٍ^١ معاندةً لها العيوقُ جارُ

أي عَدَلَتْ عن الطريقين معاندةً من أجلها جاورَ العيوقُ الثرياَ ، ولم يُرد
أنهما اجتمعا أو تقاربا قُرْباً زالا به عن مجاريهما .
وقال أبو ذؤيب^٢ :

فَوَرَدَنَ والعيوقُ مَقْعَدَ رابىءِ الضَّرْباءِ فوقَ النجمِ لا يَتَتَلَعُ

أراد أنها وردت الماءَ سَحَرًا ، والعيوقُ من النجمِ قريبٌ كقرب الرقيب
من الضارب بالقداح ، ولم يُرد أنها وردت سَحَرًا وهما طالعان ، كما
فسر بعضهم ، بل وهما مكبدان^٣ ، وذلك عند كونِ الشمسِ في الأسد ،
وهو أشدُّ ما يكونُ من الحرِّ .

وذكرتُ بقوله : « لترى من المرأة حُسْنَ صفاتها » قولَ البحري^٤ :

إذا النجومُ تراءتْ في جوانبها ليلاً حَسِبْتَ سماءَ رَكبتَ فيها
وأخذه الصنوبري^٥ فقال ° :

ولما تعالى البدرُ وامتدَّ ضوءُهُ بدجلةً في تشرينَ في الطول والعرضِ
وقد قابلَ البدرُ المفضضَ لونه وبعضُ نجومِ الليلِ يقفوا سَنا بعض
توهمَ ذو العينِ البصيرةَ أنه يرى باطنَ الأفلاكِ من ظاهرِ الأرضِ

وذكرتُ أيضاً بهذا التشبيه ، ما قد أكثرَ الناسُ فيه ، من ضوء القمر

١ الديوان والأنواء : هـ .

٢ ديوان الهذليين ١ : ١٩ .

٣ د : مكبران ؛ ب م : مكدان .

٤ ديوان البحري : ٢٤١٨ .

٥ ديوان الصنوبري : ٤٨٢ .

[على الماء ؛ من ذلك] قولُ بعضهم حيثُ يقول ^١ :

قام الغلامُ يُديرُها في كفه فحسبتُ بدرَ التّمّ يحملُ كوكبا
والبدرُ ينجحُ للأفولِ كأنّه قد سلّ فوقَ الماءِ سيفاً مذهبا

وقال التّمّار الواسطي ^٢ :

أما ترى الليلَ قد وُلّتْ عساكرُهُ مهزومةٌ وجيوش الصبحِ في الطلبِ
والبدرُ في الأفقِ الغربيّ تحسبُهُ قد مدّ جِسراً على الشطينِ من ذهب

وقال القاضي التنوخي ^٣ : [٢٢٦ ب] .

أحسنَ بدجلةً ، والدجى متصوّبٌ والبدرُ في أفقِ السماءِ مُغرَّبٌ
فكأنّها فيه بساطٌ أزرق وكأنّه فيها طرازٌ مُذهَّبٌ

وقال كشاجم ^٤ :

والبدرُ فوقَ دجلةٍ والصبحُ لما يُشرقِ
مكحلةٌ ^٥ من ذَهَبٍ فوقَ رداءٍ أزرقِ

١ البيتان لمنصور بن كيغلغ ، انظر اليتيمة ١ : ١٠٨ و غرائب التشبيهات : ٢٨ .

٢ اليتيمة ٢ : ٣٧١ .

٣ اليتيمة ٢ : ٣٤٠ .

٤ اليتيمة : لم أنس دجلة .

٥ ديوان كشاجم : ١١١ (نسخة التيمورية) .

٦ ب م س : كحلية .

رجع :

وقال ابن رباح^١ في ثريا المسجد الجامع^٢ :

تحكي. الثريا الثريا في تألقها وقد لَوَّها^٣ نسيمٌ وهي تتقدُّ
كانتها لذوي الإيمان أفدةً من التخشعِ جوفَ الليلِ ترتعد
وله فيها^٤ :

انظر إلى سُرجٍ في الليلِ مشرقةٍ من الزجاجِ تراها وهي تلتهبُ
كانها ألسنُ الحياتِ بارزةً عند الهجيرِ فما تنفكُ تضطرب
وقال :

بَسَرَيْنَا إلى الحمَّارِ عنها وقد بدا لنا في الدجى نورٌ من الحانِ ساطعُ
[فقام إلى صفِّ الدنانِ كأنها عجائز من قطنٍ عليها مقانع]
وبتُ بجنبِ الزقِّ أرشفَ ريقَه كما شدَّ كفيه على الثديِ راضع
وقال في مثله^٥ :

لم أنسَ ليلاً قطعتُه وأنا متكئٌ لاصطحابِ زقينِ

١ ط د : ابن أبي رباح .

٢ انظر نفح الطيب ٣ : ٤١٥ .

٣ النفح : عراها .

٤ ط د : وقال ؛ وانظر نفح الطيب ٣ : ٤١٦ .

٥ ط د س : لجنب .

٦ البيتان في مسالك الأبصار .

ونمتُ سكرانَ بينَ ذاكَ وذا تناوُمَ الطفلِ بينَ ثديينَ

وقال في الطائر المعروف بالمقلين^١ :

صَبَّغُوا بِرَقْرَاقِ العَبِيرِ جَنَاحَهُ وَيُرَى عَلَى فِيهِ احْمِرَارُ الْعَنْدَمِ
وَأَظَنَّهُ قَدْ غَرَّهُ فِي وَرْدِهِ مَاءُ الْيَفَاعِ^٢ فَظَلَّ يَكْرَعُ فِي الدَّمِ

وقال في البلاّرجة^٣ :

وَبَعِيدَةُ الْأَوْطَانِ فِي إِقْبَالِهَا بَشْرٌ بِإِقْبَالِ الزَّمَانِ الْمَقْبِلِ
نَشَرَتْ جَنَاحَ الْإِنْسِ وَصَادَرَتْ بِالْعَاجِ فِيهِ وَقَهْقَهَتْ بِالصَّنْدَلِ

وفي النُّغَر :

بَدَا نُغَرٌ فَاسُودَ أَفْقٌ بَدَتْ بِهِ وَقَدْ نَظِمَتْ فِي الْجَوِّ مِنْهَا سُلُوكُهَا
[وَصَاحَتْ فَمَا أَبَقَتْ بِقَلْبٍ مَسْرَّةً صِيَاحَ بَنَاتِ الزَّيْجِ مَاتَ مَلِيكُهَا]

وفي العُنُقَابِ :

إِنَّ الْعُقَابَ لَهُ بَطْشٌ يُهَابُ بِهِ لِلطَّيْرِ عَنْهُ بِذَلِكَ الْبَطْشِ تَكْمِيشُ^[٢٢٧]
كَأَنَّهُ فِي اخْتِرَاقِ الْجَوِّ مَنْدَفَعًا إِلَى الْفَرِيسَةِ رِيحٌ ضَمَمَهَا رِيشٌ

وفي النسر^٤ :

١ المقلين أو المقلنين : Chardonneret .

٢ ط : البقاع ؛ د : البقاء .

٣ البلارج : Cigogne .

٤ ط د س : وقال في ؛ والبيتان في المسالك .

٥ ط د س : النسور ؛ وانظر نفع الطيب ٣ : ٤١٦ .

ترى التَّسَرَّ والقتلى على عدَدِ الحصى وقد مزَّقَتْ أحشاءَها والثرائبُ
مُضَرَّجَةٌ ممَّا أَكَلْنَ كأنَّها عجائزُ بالحنَّا خَضَبْنِ ذواثبا
وفي الأجدلِ :

وأجدلٍ أَفْلَقَه فرطُ القَرَمِ أَطْلَقْتُهُ بَيْنَ الكِراكي والرَّخَمِ
فانتَهزَ الفرصةَ لما أَن هَجَمَ فعادَ للكفِّ وما شكا أَلَمَ
يَمْسَحُ منقاراً علاه نَضْحُ دم ككَاتِبٍ يَمْسَحُ حَبْرًا عن قَلَمِ
وفي النَّحْلِ :

شفاؤُكَ من دُنْيَاكَ في خُرْعِ نَحْلَةٍ وفيها كما فيها لك الصَّابُ والشَّهْدُ
وزِينَةُ ما أَبْدَتْ نَسِيجَةُ دُودَةٍ لتَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ في حُكْمِهِ فَرْدُ

وذكرت بقوله : إنه شفاءٌ وهو خُرْعُ نَحْلَةٍ ونسِيجَةُ دُودَةٍ ، حديثاً
يُروى عن جابر بن عبد الله قال : خرج عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه
وجابر بن عبد الله إلى الجبَّانة ، فتذاكرا الدنيا ، فتتنفَّسَ جابر ، فقال له
عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : علامَ تتنفَّسُ يا جابر ؟ أَعلى الدنيا ؟
فوالله ما لذاتها إلاَّ سَبْعٌ^١ : مأكول ومشروب وملبوس ومسموع ومشوم
ومركوب ومنكوح ، فألذَّ ما أَكَلَ فيها ابن آدم العَسَلُ ، وهو خُرْعُ
ذُبَابَةٍ ، وألذَّ ما شَرَبَ الماء ، وهو كثيرٌ موجود ، وألذَّ ما لبس الحرير ،
وهو قِيءٌ^٢ دود ، وألذَّ ما اشتمَّ^٣ المسكُ ، وهو دمُ دَابَّةٍ ، وأما مسموعها^٤

١ ط د س : لذتها إلا شبع (س : سبع) .

٢ ط د : نسج .

٣ ط د : شم .

٤ ط د : مسموعاتها .

فلثم "حاضر" ، ومركوبها الخيل ، وهو قبر محفور ، ومنكوحها مَبَّالٌ في مَبَّالٍ ، يريق من الجارية أحسنَ ما فيها ، لتؤتيَ أقبحَ ما فيها .

رجع :

وقال ابن رباح^١ في وَصَفِ دُولَابٍ :

يا حُسْنَ ما نظروا من الدُولابِ والغيمُ يحسُدُهُ لدى التَّسْكابِ
تشدو فيطربنا تردُّدُ شجوها فكأنما أخذَتْهُ عن زرياب
وإذا الظلامُ أتى تشوقَ صوتها فكأنما داودُ في المحراب

وله فيه وقد طار منه لوحٌ فوقف ، وهو من أغرب ما وصف^٢ :

وذاكِ شديو وما لها كَلِمٌ كلُّ [فتى] بالضمير حيَّاهَا [٢٢٧ب]
وطار لَوْحٌ منها فأوقَفَهَا كلمحةِ العينِ ثم أجراها
كانها قَيْنَةٌ وقد قَطَعَتْ تسمعُ مَنْ قال دونها واهَا

وقال ابن رباح في القلم^٣ :

يزدادُ حسنًا في الكتابِ إذا بدا نقصٌ به فيريك^٤ كلَّ بيانِ
ان السراجَ إذا قطعتْ ذُبَالُهُ صحَّ الكمالُ له من النقصانِ

وله [فيه]^٥ :

١ ط د : ابن أبي رباح .

٢ انظر نفح الطيب ٣ : ٤١٥ .

٣ البيتان في مسالك الأبصار .

٤ د : فيزيد .

٥ انظر نفح الطيب ٣ : ٤١٨ .

لا يفخر السيفُ والأقلامُ في يده قد صار قطع سيوفِ الهندِ والقُضْبِ
فإن يكنْ أصلُها لم يقوَ قوتُها « فإن في الحمرِ معنى ليس في العنب »^١

وله فيه :

جوادٌ إذا ما شقَّ في البريِّ رأسه وإن لم يبنْ شقٌّ به فبخیلٌ
وتمنعه أن يوضحَ الحرفَ شعرةً كذي لثغٍ بعضَ الحروفِ يُحِيلُ

وقال^٢ فيه :

حازَ البلاغةَ غائصاً في بحرِها فيريكَ من صَدَفِ الكمالِ الجوهراً
وكأنما عَلِمُوا بطولِ نزاعِهِ فلذلك سَمَّوا كلَّ سيفٍ أبتراً

وقال فيها^٣ :

ثَقُلْتُ على الأعداءِ إلا أنَّها خَفَّتْ على السَّبَابِ والإبْهَامِ
أخذتُ من الليلِ البهيمِ سوادهُ وبدتُ تنمقُ أوجُهَ الأيامِ

[وقال في الجيش^٤ :

يا من إذا سار والأعداءُ يومَ وغى ترى ذؤابته محمّرةَ العَذَبِ
والجيشُ كالبحرِ لكن ماؤه زَرَدٌ والبيضُ تطفو عليه موضعَ الحَبِ

ومن شعره في وَصْفِ العيونِ والشَّغورِ [والخيلانِ] وما يناسبُ ذلك
من النَّسيبِ :

١ عجز بيت المتنبي ، و صدره : فان تكن تغلب الغلباء عنصرها .

٢ ط د : وله .

٣ سقط البيتان في د ط س ، وقوله « فيها » يعني الأقلام ، وانظر النفع ٣ : ٤١٨ .

٤ البيتان في مسالك الأبصار .

ترنو بعينٍ خشوعٍ وهي باكيةٌ
تربك حُكْمَ سليمانٍ إذا حكمتُ
وقال ١ :

للأقحوانِ أرى ٢ عليك ظُلامَةً
لا يحملُ النُّورُ الأنيقُ تَمْسَهُ
وجلاؤه المخلوقُ فيه قد كفى
وله :

تعلمَ الغصنُ لينا من معاطفه
من كلِّ أحرورٍ يُبدي في تَبَسِّمه
وأقبلَ الظبيُّ يستجديه في الغيدِ
تألقَ البرقُ بين الجمرِ والبرَدِ
وقال :

خيلاً خدك ٥ رَدَّتْ
في العينِ سودٌ ولكن
صحيحَ صبري مريضاً
ما زلنَ في القلبِ بيضاً
وقال في مثله :

خدكُ مرآةٌ كلُّ حُسْنٍ
مالي أرى فوقه نجوماً
تحسنُ من حسنِ الصفاتِ
قد كُسِفَتْ وهي نيراتُ

١ انظر نفع الطيب ٣ : ٤١٦ .

٢ النفع : الأقحوان رمى .

٣ ط د س : عبت . ٤ ط د : غراره .

٥ ط د : وجهك .

وقال ١ :

يا حبيباً له الفؤادُ محلٌّ كيف تجفّو وأنتَ في سَوَدائِهِ
كتب الحسنُ فوقَ خدِّكَ خالاً فامحِ الشكْلُ غيرَ نقطةٍ خائِهِ

وقال ٢ :

يا طالعَ البدرِ المنيرِ جمالهُ ألبستَنِي للحسنِ ثوبَ سَمائِهِ
أوقدتَ قلبي فارتمتْ بشارُهُ نزلتْ بخدِّكَ فانطفتْ من مائه

ومن المليح في مثله قولُ ابنِ المعتز :

غلالةُ <خدّه> صُبغتْ بورْدٍ ونونُ الصُدغِ مُعجَمةٌ بخالٍ

ولكشاجم :

فلم يزلْ خدّهُ ركنًا أطوفُ به والخالُ في خدّهِ يُغني عن الحجرِ

وله في النهود ٣ :

وكأنما النهْدُ الذي هو بارزٌ من صدرها سرٌّ به قد باحا
في صورةِ التفاحِ إلا أنه في شكله لا يألَفُ التفاحا

وقال ٤ :

١ البيتان في مسالك الأبصار .

٢ انظر مسالك الأبصار أيضاً .

٣ ط د س : وقال في النهْد ؛ والبيتان في المسالك .

٤ منها بيتان في المسالك .

يا صاحبيِّ بمهجتي خُمَصَانَةٌ مالت مَمِيلَ الغصنِ في أعطافها
في الصدرِ منها للطعانِ أَسَنَةٌ ما أَشْرَعَتْ إِلَّا لَحْمِي قَطَافِها
ان أنكرت قتلي هناك ففتّشاً تريا دمي قد جفَّ في أطرافها

وقال :

أَبَقَى الشَّبَابُ عَلَيْهِ مِنْ غَلَاثِلِهِ مَا أَثَرَتْ فِيهِ مِنْ لَيْنٍ غَلَاثِلُهُ [٢٢٨ ب]
وَفِي تَرَاتِبِهِ وَالْحَلِيُّ يَحْجِبُهُ نَهْدٌ تَصَوَّرُ فِي قَلْبِي حَكَايَتَهُ

وقال :

قَدْ نَالَنِي مِنْكَ فِي فَرْطِ الصَّدُودِ أَذَى وَكُلُّ شَيْءٍ إِذَا مَا زَادَ يَنْتَقِصُ
إِنَّ الْبَيَاضَ إِذَا مَا جَازَ غَايَتَهُ فَلَا مَحَالَةَ فِيهِ أَنَّهُ بَرَصُ

ويناسبُ هذا [من وجه] قول ابن الرومي ^١ :

وَمَا يَعْيبُ السَّوَادَ حُلُكَّتُهُ وَقَدْ يُعَابُ الْبَيَاضُ بِالْبَهَقِ

[وقال] ^٢ :

نَظَرَ الْجَسُودَ فَاذْرَأْ لِي [صَالِحاً] ^٣ وَالْفَضْلُ مِنِّي لَا يَزَالُ مُبِينَا
قَبُحَتْ صِفَاتِي مِنْ تَغْيِيرِ وَدِّهِ صَدَأَ الْمِرَاةِ يُقْبِحُ التَّحْسِينَا

وقال :

تَحَمَّلْتُ أَعْبَاءَ الزَّمَانِ وَلَمْ أَكُنْ لِأَحْمِلِهَا فِيمَا لَدَيَّ مِنَ الْوَهْنِ

١ انظر زهر الآداب : ٢٣٠ .

٢ نفع الطيب ٣ : ٤١٨ . ٣ النفع : هيبة .

٤ ب م : لديك ؛ س : لذلك من وهن .

كما حَمَلَتْ ثِقْلًا من الأرضِ نَمْلَةً^١ وما هي منه في قياسٍ ولا وزن

وقال^١ :

تصَبَّرْ وإن أبدى العدوْ مذمَّةً^٢ فمهما رَمَى ترجعْ إليه سهامُهُ
كما يفعلُ النحلُ الملمُّ بلسعةٍ يريدُ به ضرّاً وفيه حمامه

وقال^٢ :

صغارُ الناسِ أكثرُهُمْ فساداً وليس لهم لصاحبةٍ نهوضُ^٣
ألم تَرَ في سباعِ الطيرِ سرّاً تُسَالِمُنَا^٤ ويؤذينا البعوض

وقال :

ابخلْ بسرِّكَ لا تَبْخُ يوماً به فصغيرُهُ يأتي بكلِّ عظيمٍ
أو ما ترى سرَّ الرنادِ إذا فشا يأتي وشيكاً سِقْطُهُ بجحيمٍ

وقال^٤ :

وباردِ الشَّعرِ لم يَأْلَمْ بما حملاً^٥ أضراً منه جميعَ الناسِ واعتزلاً
كأنه الصِّلُ لا تؤذيه ريقَتُهُ حتى إذا مجَّها في غيره قتلاً

وقال :

١ نفع الطيب ٣ : ٤١٨ .

٢ البيتان في المغرب والمسالك .

٣ ب م : نقرأ يسالمنا .

٤ نفع الطيب ٣ : ٤١٨ .

٥ ب م س : به خجلا .

يا ملكاً تخضعُ الملوكُ له اللهُ أعلى على الملوكِ يدَكُ
 تعجَّبَ الناسُ من جوادك بالأم سِ وما في شِماسِهِ اعتمدك
 أراكَ عند النزولِ سُنْبُكُهُ وقال^١: في عينِ [كَلَّ] من حسدك
 وقال :

لي صاحبٌ لا كانَ من صاحب فإنه في كبدي جَرَحَهُ
 يحكي إذا أبصرَ لي زِلَّةً ذُبَابَةٌ تضربُ في قُرْحِهِ
 وقال من قصيدة^٢ :

ولاني من زماني في خمول دُفِنْتُ به ومَن لي بالنشورِ
 وقد عكست يدُ النعمى فلاحَتْ مكانَ الغلِّ من عنق الأسيرِ
 [وان سراي في ليلٍ بهيم ولا صبحٌ يشيرُ إلى سفورِ]
 فما للمسلِّكِ ليس يرى مكاني وقد كُحِلَتْ لواحظه بنوري
 كذا المسواكُ مطرَحاً^٣ هواناً وقد أبقى جلاءً في الثغورِ

١ ط د : وبال .

٢ منها بيتان في المغرب والنفع ٣ : ٤١٧ .

٣ ب م : تنظره .

فصل في ذكر الأديب أبي إسحاق [إبراهيم] بن معلى ١

قيدحُ البلاغةِ المعلّى ، وسيفُها المحلّى ، أحدُ من بنى منارَها ، ورفع
بالغورِ اليفاعِ نارَها ، ولم أظفرُ من كلامه لانزعاجي في تحرير هذه النسخة
إلا بلمعةٍ كهلالِ ليلة ، أو ظلٍّ أثيلةٍ ٢ ، وقد أوردتها بأسرها ، لأنبّه
على قدره وقدرها .

قال يرثي بعضَ أعيانٍ وقتهِ بقصيدة أولها ٣ :

هل بين أضلّعنا قلوبُ جنادلٍ	أم خلفَ أدمعنا مُدودُ جداولٍ
في كلِّ يومٍ حُزنُ نجمٍ ساقطٍ	ما بيننا وكسوفُ بدرٍ آفلٍ
سدّكت بنا الأرزاءُ غيرَ مُغيّبةٍ	وألحّت النكباتُ غيرَ غوافلٍ
وعلت بنا الأيام في سطواتها	فجلت لنا عن كامنات غوائلٍ
وهي الليالي ليس يخفى نقصها	فلذلك تطلبُ كلَّ حرٍّ كاملٍ
آهاً وواهاً للمعالي إنها	رُزئت بركنتي عرشيها المتمايل
بدعامتي حَسَبٍ ونجمتي سُودَدٍ	وحديقتي أدبٍ وبحريّ نائلٍ
أخوّني صفاءٍ في المودة أجرياً	في المكرمات إلى المدى المتناول

١ هو طرسوني ، نسبة إلى طرسونة إحدى مدن الثغر ، وقال فيه صاحب المسهب : شاعر متمد
النفس شديد المرس قدير على التطويل ، اشتهر ذكره بمدح ملك الثغر المقتدر بن هود ،
وجال على بلاد الأندلس (انظر المغرب ٢ : ٤٥٧ والمسالك ١١ : ٤٥٣) .

٢ ب م : أيكة .

٣ منها بيتان في المغرب ٢ : ٤٥٧ .

[فَبِذَا تَحْمَلُ كُلُّ عَبٍّ مُثْقَلٍ
فَكَأَنَّ هَذَا حَاجِبٌ فِي خِنْدِفٍ
إِنْ طَالَ حَزَنِي يَوْمَ ذَاكَ فَإِنِّي
أَوْسَالَ صَبْرِي فِي الدَّمُوعِ فَبَعْدَمَا
وَبِذَا إِقَامَةٌ كُلُّ أَمْرٍ مَائِلٍ]
وَكَأَنَّ هَذَا مَالِكٌ فِي وَائِلٍ
لَمْ أَحْلَ بِعَدُ مِنْ الْحَيَاةِ بِطَائِلٍ
دُفِنْتُ هُنَاكَ ذَرَائِعِي وَوَسَائِلِي

[ومنها] :

أَيْنَ الَّذِي يَرْتَاخُ بِشِرَارٍ بِالْقُرَى
زَفَرَ الزَّمَانُ بِذَاكَ زَفْرَةَ مُغْضَبٍ
صَلَّى الْمُهَيْمِنُ ذُو الْجَلَالِ عَلَيْكُمَا
وَتَظَافَرَتِ^٢ أَيْدِي الْغَمَامِ فَأَخْمَلَتْ^٣
لَأَرَى الرِّيَاضَ عَلَى الرِّيَاضِ وَأَقْتَدِي
وَالْحَقُّ يَصْدَعُ مَظْلَمَاتِ الْبَاطِلِ
وَسَطَابِذِ الدَّهْرِ سَطَوَةً صَائِلِ [٢٢٩ ب]
وَالْكُلُّ مِنْ مَلَأَ^١ السَّمَاءِ الْخَافِلِ
حُلِّلَ^٣ الرَّبِيعَ عَلَيْكُمَا بِخَمَائِلِ
بَيْكَا السَّحَابِ عَلَى السَّحَابِ الْهَاطِلِ

وَلَهُ^٤ مِنْ أُخْرَى يَرِثِي :

فَلَا تَغْرُرْكَ بِهِجَةٌ مُسْتَحِيلٍ
أَبَا الْحِجَّاجِ لَوْ لَمْ يَوْتَ بَدْعٌ
وَزَارَكَ مِنْ بَنِي الْآمَالِ حَقْلٌ
[مُعَدٌّ لِلطَّرِيقِ وَلَا كَعَهْدٍ
فَقَدْ بَارَتْ بِضَائِعُهُمْ عَلَيْهِمْ
إِذَا مَا الْجَمْرُ عَادَ إِلَى الرَّمَادِ
لَحَجَّ النَّاسُ قَبْرَكَ فِي احْتِشَادِ
يَضُمُّ الْأَرْضَ مِنْ هَيْدِهِ وَهَادِ
مَضَى أَغْنَيْتَ عَنْ لِبْلِ^١ وَزَادِ]
وَخَلَّوْا السُّوقَ مُفْرِطَةً الْكَسَادِ

١ ب م : ملك .

٢ ط : وتضافرت .

٣ ب م : ملك .

٤ ط د س : وقال .

٥ ط د : هاد ؛ ب م : هند .

فسيان الركوبُ على قَتودٍ
 أمعتق^١ الصعيدِ وكان يغدو
 أرى لبُسنَ الحدادِ عليك ممّا
 فكم أوردتهنَّ على وريدٍ
 فإن تبعدُ فما بعدتُ صفاتُ
 وأينَ قِرَى مسائلِك في الموالي
 وأينَ نَدَاكَ يهتفُ كلَّ حينٍ
 وأينَ بياضُ بِشْرِكَ وهو يجلو
 وأينك في عرائِكِك اللواتي
 إذا ما زرتُ قبرك رُضتُ نفسي
 فأمكتُ لا يطاوعني لساني
 أحاذرُ أن يفوه به فأقضي^٢
 وكيف يكونُ عهدي منك هذا
 وأعجبُ كيف يقنعُ فيك قومٌ
 وكان^٣ يقلُّ لو نَحروا المطايا
 وحلَّ^٤ الكلُّ يومَ حللتَ عهداً
 فيا لهفي عليك ولهفَ غيري
 ولما لم أنلُ أُملي وعاقَتُ
 سعيْتُ^٥ بأن أقيمَ مقامَ نفسي

لعافٍ والمبيتُ على قَتَادٍ
 عليه وهو معتقِلُ الصَّعَادِ
 يشقُّ على المهتدَةِ الحدادِ
 وكم أهديتهنَّ إلى الهوادي
 قرينَ لما دحيك على البعادِ
 وأين قرى صباحِك في الأعادي
 ببِغْيَةِ مجتدٍ ورضاءِ شادٍ
 دجى النكباتِ حالكة السوادِ
 ألنَّ عرائِكَ التَّوبِ الشدادِ
 لأستسقي به سبيلَ الغوادي
 بذاك ولا يساعِدُنِي فوادي
 بأنَّ ربيَّ حللتَ بهنَّ صادٍ
 وأحملُ مِنَّةَ بكِّ للعِهادِ
 بجديَّ في بكائك واجتهادِ
 عليك وبادرُوا عقرَ الجيادِ [٢٣٠ أ]
 فقاسمك الترابَ إلى التنادِ
 ولهفَ المجدِّ والحَسَبِ التلادِ
 عوائقُ دونَ سُؤلي واعتقادي
 أزاهرَ روضةِ الأدبِ المعادِ

١ ط د س : أمعتق .

٢ ط د س : فيقضي .

٣ ط د : فكان .

٤ ب م : وحال .

٥ ط د : بعثت .

فجاءتكم ثمَّ ببعض وُدِّي وتعبقُّ عن صفائي واعتدادي^١
 [وإن لم ترضَ منتقداً بحالي تبينَ وجهُ عذري في انتقاد]
 ضلوعٍ ما يفارقها التهابٌ وجفنٌ ما يمتنع بالرقاد
 وسُقْمٌ يستزيدُ لنقصِ جسمي فقد وقع انتقاصي في ازدياد

قوله : « وأحملُ منَّةً بك للعهاد » كقول ابن المعتز^٢ :

وحاشاهُ من قولِي سقى الغيثُ قبره يداهُ يُروِّى قبرُهُ من نداهما
 وأخذه من قول أبي تمام^٣ :

سقى الغيثُ غيثاً وارتِ الأرضُ شخصه وإن لم يكن فيه سحابٌ ولا قطرُ
 وكيف احتمالي للسحابِ صنعةً باستقائها قبراً وفي لحدِّه البحرُ
 وقال ابن المعتز^٤ :

لم تمتِ أنتِ إنما ماتَ مَنْ لم يبقِ للمجدِ والمكارمِ ذكرا
 لستُ مستقيماً لقبرِكَ غيثاً كيف يظما وقد تضمَّنَ بحرا
 وبيته الأول من هذين ، من قول حبيب أيضاً^٥ :

ألم تمتِ يا سليلَ المجدِ من زمنٍ فقال لي لم يمِتْ من لم يمِتْ كثرَ مَهْ

١ د : والوداد ، وفي موضعها بياض في ط ؛ س : واعتقادي .

٢ ديوان ابن المعتز ٤ : ١٧٤ وروايته « تسقي قبره » ؛ وزهر الآداب : ٦٦٦ .

٣ ديوان أبي تمام ٤ : ٨٤ .

٤ ديوان ابن المعتز ٤ : ١٤٨ في رثاء عبيد الله بن سليمان ؛ وزهر الآداب : ٦٦٦ .

٥ ديوان أبي تمام ٤ : ١٣٧ .

٦ الديوان : يا شقيق النفس .

وقال عبد السلام بن رَعْبَان^١ :

سقى الغيثُ أرضاً ضُمَّتْكَ وساحةٌ لقبرك فيها الغيثُ والليثُ والبدرُ
وما هيَ أهلٌ إذ أصابتك بالبلى لسقيا ولكن من حوى^٢ ذلك القبر

أخذ [هذا] البيتَ الأوَّلَ الراضي فقال يرثي أباه المقتدر :

بنفسي ثرى ضاجعتَ في ساحةِ البلى لقد ضمَّ منك الغيثَ والليثَ والبдра
فلو أنَّ عُمري كان طوعَ مشيتي وأسعدني المقدورُ قاسمتُك العمرَ [٢٣٠ ب]
ولو أنَّ حياً كان قبراً لميت لصيرتُ أحشائي لأعظمِهِ قبرا

وينظر في هذا المعنى إلى قول المتنبي^٣ :

حتى أتوا جدثاً كأنَّ ضريحه في قلبِ كلِّ موحدٍ محفورُ

وقال ابن معلّى يرثي من قصيدة أخرى^٤ :

رزءٌ بكَّتْ منه العُلا ومُصابُ شَقَّتْ عليه جيوبُها الأحسابُ
أعيا مَرَّامُ الصبرِ يومَ حلولِهِ نفسي وسُدَّتْ دونهُ الأبوابُ
وظفقتُ ألتمسُ العزاءَ فخانني نفْسٌ تذوبُ وأدمعُ تنسابُ
وتلجلجَ الناعي [به] فسألتهُ عَوَدَ الحديثِ لعلَّه يرتابُ
أنفَى^٥ ويوجبُ أن يقولَ حقيقةً فعلَ الشفيقِ ، فغُلِبَ الإيجابُ

١ ديوانه : ١٧١ نقلا عن زهر الآداب : ٦٦٧ .

٢ ب : نوى ؛ م : سوى .

٣ ديوان المتنبي : ٦٥ .

٤ ب م : ومن قصيدة له أخرى يرثي .

٥ ط د : أبقي .

تَرَبَّتْ يَدَاهُ مَدَى الْحَيَاةِ بِمَنْ^١ نَعَى
 [فلکم حماء علی المکارم ان نَبَا
 یا عامرٌ لم یَبْقَ بعدک عامرٌ
 أنعی إلى الإعرابِ مِنْکَ مُعِیدَه^٢
 وإلى لبابِ الفهمِ فهِمَّکَ إنه
 وإلى السیادةِ والصِّبا فلکم أتت
 ولکم نزعَتَ بِهِمْ فِکْرِ صَائِبٍ
 کم أَعْدَلُ الْأَیَّامُ فِیکَ بِمَا جَنَّتْ
 وَأَعَاتِبُ الزَّمَنَ الْخَوَّونَ فِینَقْضِ
 ذَبَاتٍ بِرَوْضِ الْمَجْدِ بعدک دَوْحَه^٣
 ناحتُ بِکَ الْأَقْلَامُ غَايَهَ وَسُعْهَا
 وَتَقَطَّعَتْ نَفْسُ الْکِتَابَةِ حَسْرَه^٤
 لَا یُبَلِّلُ مَهْجَتَکَ التُّرَابُ وَأَنْتَ
 وَسَقَى ضَرْحِکَ بعد أخذِ عهوده
 وَغَدَا عَلَیکَ الرُّوضُ وَهُوَ کَأَنَّمَا
 وَإِذَا تَنَفَّسَتْ^٥ الرِّیاحُ بِکَلِیلَه^٥
 یا أیها الشَّیْبِلُ الْمُعْفَرُ بعدما
 أَرْتِی لِلثَّکَلِ إِنَّهُ بِکَ مَضْمِیرٌ
 وَلَوْ اسْتَطَعْتُ جَعَلْتُ مَوْضِعَ قَلْبِهِ

وَعَدْتُ بِفِیهِ جَنَادِلُ^٥ وَتُرَابِ
 وَطَنٌ^٥ بِذِی أَمَلٍ وَضَاقَ جَنَابِ
 لِمَنَازِلِ الْعِلَیاءِ فِیهِیَ خَرَابِ
 غَضًّا کَمَا نَطَقْتُ بِهِ الْأَعْرَابِ
 کَانَ تُقْرِئُ بِفِهْمِکَ الْأَلْبَابِ
 تَدْعُو نَهاکَ عَنِ الصِّبَا فَتَجَابِ
 یُرْمَى الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ فِیصَابِ
 لَوْ کَانَ لِلْأَیَّامِ عَنْکَ^٣ مَتَابِ
 کُلُّ الْعَتَابِ وَلَمْ یَکُنْ^٥ لِعَتَابِ
 وَخِیَا بِأَفْقِ الْعِلْمِ مِنْکَ شَهاِبِ
 وَبِکَتْ بِأَبْلَغِ جُهِدِهَا الْآدَابِ
 وَأَسَى عَلَیکَ وَأَسْعَدَ الْکِتَابِ
 فِیهِ ثَراکَ^٥ کَوَاکِبُ أَتْرَابِ
 أَلَا یُغِیْبُ^٥ مُجَلَّجِلُ سَکَّابِ
 نُشِیرَتْ بِهِ مِنْ سِنْدَسِ^٥ أَثْوَابِ [٢٣١أ]
 فَعَلِیکَ^٥ مِنْهَا جِیئَه^٥ وَذَهاِبِ
 حُمَیِّیَ الْعَرِینُ بِهِ وَعَزَّ الْغَابِ
 حُرْقًا لَهَا بِضُلُوعِهِ الْهَابِ
 قَلْبِی فِیْبَقِی سَالِمًا وَأُذَابِ

٢ س : بدیهه .

١ ب م : لقد .

٣ ط د س : عنه .

٤ ط د س : فیه (منه) شَذاک .

٥ ط د : تنافست .

ولنُبْتُ عنه إذا بكاكَ بأدمعِ فلکمُ له في ما أريد مَناب
وهذا كقول عليّ بن بسام البغدادي يرثي عليّ بن يحيى بن منصور
المنجّم ، مما أنشده أبو اسحاق الحصري ^١ :

قد زرتُ قبرك يا عليّ مُسَلِّماً ولكَ الزيارةُ من أَقلِّ الواجبِ
ولو استطعتُ حملتُ عنكَ ترابَهُ فلطالما عني حملتَ نوائي

قال الحصري : وقد أنشدني ^٢ هذين البيتين أبو بكر بن محمد بن القاسم
الأنباري ، قال : أنشدني علي بن سليمان لنفسه ، فأنشدهما وزاد :

ودمي فلو أني علمتُ بأنه يروي ثراكَ سقاه صوبُ الصائبِ
لسفكتُهُ أسفاً عليكَ وحسرةً وجعلتُ ذاكَ مكانَ دمعِ ساكبِ
ولئن ذهبتَ بملءِ قبركَ سُودداً فجميعٌ ^٣ ما أوليتَ ليس بذهابِ

وقوله : « وسقى ضريحك بعد أخذِ عهوده » ... البيت ، من قول
طرفة ^٤ :

وسقى طولوكَ - غيرَ مفسدِها - صوبُ الربيعِ وديمةٌ تهمني
وقد تُتْبِعَ هذا المعنى على ذي الرّمةِ في قوله ^٥ :

ألا يا اسلمي يا دارَ ميّ على البلى ولا زال منهلاً بجرعائكِ القَطَرُ

١ ط د س : وهذا كقول ابن بسام في ابن المنجم من أناشيد الحصري ؛ انظر زهر الآداب : ٦٧١ .

٢ ط د س : أنشد .

٣ ط د : فجميل .

٤ ديوان طرفة : ٩٣ من قصيدة يمدح فيها قتادة بن سلمة .

٥ ديوان ذي الرمة : ٢٩٠ .

لأن في مداومة الانهلال تغفية الرسوم ومحو الآيات ؛ على أنه قد احتس من الاعتراض احتراضاً قدّمه في صدر البيت وهو قوله : « اسلمي » ، فدعا لها بالسلامة على تعاقب الأحوال الموجبة بلى الديار ، واندراس الآثار ؛ وبيت طرفه أسلم. والذي فتق للشعراء هذا الفن^١ فافتنوا فيه وجاءوا بالاحتراس وغيره امرؤ القيس^٢ بقوله^٣ :

إذا ركبوا الخيلَ واستلأموا تحرّقت الأرضُ واليومُ قرّ [٢٣١ب]
فقله : « واليوم قر » تتميمٌ للمعنى ومبالغةٌ في اللفظ ، وقال [الآخر] :
إذا اللهُ أسقى دمتينِ ببقعةٍ من الأرض سقياً رحمةٍ فسقاها
وقال أبو الطيب^٤ :

صلّى الإلهُ عليكَ غيرَ مودّعٍ وسقى ثرى أبوك صوبُ غمامٍ
ومن هذه المبالغة في التتميم أيضاً قولُ امرئ القيس^٥ :
كانَ عيونَ الوحشِ حولَ خبائنا وأرحلنا الجِرْعُ الذي لم يثَقَّبِ
فتناوله زهير فقال^٦ :

كأن فتاتَ العِهنِ في كلِّ منزلٍ نزلن به حبُّ الفنا لم يُحطَمِ

١ ط د : الفتق .

٢ ط د : الملك الضليل .

٣ ديوان امرئ القيس : ١٥٤ .

٤ ديوان المتنبي : ٤١١ .

٥ ديوان امرئ القيس : ٥٣ .

٦ شرح ديوان زهير : ١٢ .

ويسمى أصحابُ البديع ما كان مخصوصاً من هذا النوع بالقافية : « الإيغال »
[والتتبيع] وما كان في أضعافِ البيت : « المبالغة » و « التتميم »^١ ؛ ومن
المبالغة قوله^٢ :

من القاصراتِ الطَّرْفِ لو دبَّ محولٌ من الذرِّ فوق الإتبِ منها لأثرا
وأخذه حسَّان فقال^٣ :

لو يدبُّ الحوليُّ من ولدِ الذرِّ عليها لاندبَّتْهُ الكلومُ

فقصر حسَّان عنه لأن امرأ القيس قال : « فوق الإتب » وهو ثوب ، وأيضاً
فإن في بيته معنىً متقدماً وهو قوله : « من القاصراتِ الطَّرْفِ » يريد أنها
غير متطلعةٍ إلى غير زوجها ، وقيل : تقصرُ الطرفَ ألا يجاوزها إلى غيرها ،
كما قال أبو الطيب المتنبي^٤ :

وخصرٍ تثبتُ الأبصارُ فيه كأنَّ عليه من حدَقٍ نطقاً

وأصلُ هذا المعنى من قولِ امرئ القيس :

* بمنجردٍ قيْدِ الأوابدِ هيكلٍ *

ففرعه الناس فقالوا : قيْدُ العيون وقيْدُ النواظر ، فأخفاه أبو الطيب
وملَّحَهُ ، والذي نبهه على الزيادة فيه بشار بقوله^٥ :

١ انظر نقد الشعر لقدماء ، ٧٥ ، ٩٧ في التتميم والإيغال .

٢ هو امرؤ القيس ، ديوانه : ١٠٣ (ط . هندية) والصناعتين : ٣٦٠ .

٣ ديوان حسَّان : ٤٠ .

٤ ديوان المتنبي : ٢٧٩ .

٥ صدره : وقد أغتدي والطير في وكناها .

٦ ديوان بشار : ١٤٢ (جمع العلوي) .

ومكَلَّلَاتٍ بِسَالِيَةٍ نِ طَرَقَنِي وَرَجَعَنَ مُلْسًا
وأخذه السريُّ فقال ^١ :

أحاطتْ عيُونُ العاشقينَ بِخَصْرِهِ فَهَنَّ لَهُ دُونَ النِّطَاقِ نِطَاقُ
وتناول ابنُ المعتز ما تناول حَسَّانُ فقال [٢٣٢ أ] [وتجاوز الحد] :
أَنَّ فُلُو مَرَّتْ بِهِ ذَرَّةٌ فِي رِجْلِهَا نَعْلٌ مِنَ الْوَرْدِ
لَمَزَقْتُ دِيَابَجَتِي خَدَّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ جَالَتْ عَلَى الْخَدِّ
وقول ابنِ المعتز : « وتلججَ الناعي به » . . . البيت ، من قولِ المتنبي ،
وقد تقدم إنشاده ^٢ :

طوى الجزيرةَ حتى جاءني خَبَرٌ فزعتُ فيه بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ
حتى إذا لم يدعْ لي صدقهُ أَمَلًا شَرقتُ بالدمعِ حتى كاد يشرق بي
وأخذه أبو الحسين ابنُ الجدد فقال من شعرٍ قد تقدم أيضاً إنشاده في القسم
الثاني من هذا المجموع :
تصاممتُ عنها مستريحاً إلى المنى وقلتُ عساها في الأحاديثِ بُهتانُ

رجع :

وأنشدتُ له يصفُ خروجَ أهلِ بلنسيةَ لحربِ العدوِّ في غير ثيابِ الحربِ ،

١ ديوان السري : ١٦٧ .

٢ ط دس : إنشاد هذا المعنى ؛ وانظر ديوان المتنبي : ٤٢٣ .

وهزيمتهم [بموضع يُعرَفُ ببطرنه ^١] :

لبسوا الحديد إلى الوغى ولبستمُ حُلُلَ الحرير عليكمُ ألوانا
ما كان أقبحهمُ وأحسنكمُ بها لو لم يكنُ ببطرنهٍ ما كانا

قال أبو الحسن : وذكرتُ بما وصفه عن أهل بلنسية ^٢ من خروجهم
لقتال ^٣ عدوهم في ثياب الحرير ، زينتهمُ ، ما حكاه أبو مروان بن حيان
في فصل من تاريخه الكبير ، في صفة أهل طليطلة ، وقد خرجوا لعدوهم
على تلك الهيئة ، فانهزموا وقتلوا :

قال ابنُ حيان : فلم يرُعِ الأسماعُ إلاّ ورودُ الخبرِ بما صكَّها من
توريطِ المسلمين في جحيم ذلك المأزقِ ؛ ومما وقع [من] التعجبِ منهمُ
أنه أخذَ من البياضِ المقتولين من أهل طليطلة في تلك الوقعة ألفُ غفارة
من لبوسِ أهل الرفاهية ألبامَ المباهاة ، ركبوا بها إلى الطاغية - قصمه
الله - كأنهم وقد سَلِمَ يشهدون المعاقدة ، فيا للرجالِ لخلومِ قومٍ
سُكَّانٍ بثغرٍ مخوفٍ ، أبناءٍ قَتَلَى وسلالةٍ أُسْرَى ، قلَّما خلوا من
هيعةٍ ، عدموا الراعي العنوفَ منذ حَقَبَ ، فنبذوا السلاحَ وكلِفُوا
بالترقيحِ ونافسوا في التشبِّ ، وعطَّلوا الجهادَ ، وقعدوا فوقَ الأرائكِ
مقَّعدَ الجبابرةِ المتفانين ^٤ من أهل مَوْسَطَةِ الأندلس ، ينتظرونَ مَنْ
ينبعثُ من أهلها للقتالِ عنهم حِسْبَةً ، ولا يرْفِدُونَ المختلَّ مَنْ

١ انظر نفع الطبيب ١ : ١٨١ ، وبطرنه قرية من عمل بلنسية .

٢ ط د س : وصفه عنهم .

٣ ط د س : لحرب .

٤ د : المتفانين ؛ ط : المتفانين .

رابطاً إليهم بعليهِ ، فتباً لهم تباً ! ! فتضعض^١ تَغْرُهُمْ بتوالي هذه
النكبات ، ولحقت المسلمين بهم مضايقُ يكرِبُ سماعُها ، حتى عمَّ تلك
[٢٣٢ ب] الثغورَ الجلاءُ ، وتوزَّعَ المسلمون البلاءُ ، وخربت ديارُهُمْ ،
وبادت آثارهم .

وذكرت [أيضاً] بهذه الحكاية ما حكاه الفرزدقُ عن نفسه قال :
كنتُ أخرجُ أنا وجريـرُ كلَّ يومٍ إلى المناقضةِ بالمربدِ ، ويحضرنا وجوهُ أهلِ
البصرة ، وكنتُ أرسلُ كلَّ غداةٍ إلى جريـرٍ عينا^٢ ، فإذا لبسَ زياً لبستُ
أحسنَ منه أو مثلهُ ، أباهيه بذلك ، فجاءني عيـتي^٣ عليه يوماً فأخبرني
أنه في حُلَّةٍ فاخرةٍ وزيّ من الرفاهية ، وأنه على قَلَوَصٍ في مَرَكَبٍ
نبيلٍ وَرَحْلٍ ظاهرٍ ، فسرتُ في مثلِ ذلكِ الزيِّ ، وانتهيتُ إلى المربدِ فلم
أجدهُ ، فلم يرُعني إلّا انقضاءُ فارسٍ قد اعتقل قناةً خطيبةً وظاهر
بين درعين ، وتفتحَ بالحديد ، فلم يظهر إلّا عينهُ ، وجاء حتى ركزَ
قناتهُ إلى جنبي ، وأنا أشبهُ شيءٍ بالهدي تَزَفُّ إلى بعلها ، فإذا جريـرُ
رافعٌ عقيرتهُ يُنشدُ :

أَعِدُّوا مَعَ الحَلِيِّ المَلابَ فإنما جريـرُ لكم بعلٌ وأنتمُ حلائلُهُ

فانصرف الناسُ بذلك البيت ، وانصرفتُ أخزى مُنْصَرَفٍ .
وقولُ ابنِ المعلي : « لو لم يكن ببطرنةٍ ما كانا » . . . البيت ، يسمي
بعضُ أهلِ النقدِ هذا النوعَ من البديع « الإيماء » ، وهو عند بعضهم من
أقسامِ الإشارة ، وهي من غرائبِ الشعرِ ومُلَحِّهِ ، ويدلّ على بُعدِ المرمى ،

١ ط د س : قد تضعض .

٢ ط د : عيدا .

٣ د : فجاني من أرسلته ، وفي ط يياض .

وليس يأتي بها^١ إلا الشاعرُ المبرزُ الماهر ، وهي في كل نوعٍ من الكلام
لمحةٌ دالةٌ واختصارٌ وتلويحٌ ؛ قال أبو علي بن رشيقي في كتابِ « العمدة »
له^٢ : فمن الإيماءِ المليحِ للمتقدمين قولُ قيسِ بن ذريح :

أقول إذا نفسي من الوجدِ أصدَدْتُ لها زفرةً تعتادني هي مساها
ومثله قولُ كُثَيِّر^٣ :

تجافيت عني حينَ لا لي حيلةٌ وخَلَفْتُ ماخَلَفْتُ بينَ الجوانحِ
فقوله : « وخَلَفْتُ ما خَلَفْتُ » إيماءٌ مليح .
ومن أنواع الإشارة : « التلويح » كقول المجنون^٤ :

لقد كنتُ أعلو حُبًّا ليلي فلم يزل بيَ النقضُ والإبرامُ حتى علانيا
فلوَحَ بالصحة والكتمان ، ثم بالسقم والاشتهار تلويحاً عجيباً ؛ وإياه عنى
المتنبي^٥ بعد أن قلبه ظهراً لبطن فقال^٦ :

كنتُ حُبِّكَ حتى مِنكَ تَكْرِمَةٌ ثم استوى فيكَ إِسْراري وإعلاني
لأنه زاد حتى فاضَ عن جسدي فصار سقمي به في جسمِ كتمانِي [٢٣٣أ]
فأخفاه وعقده كما تراه ، حتى صار أحميةً يتحاجاها^٧ الناس ؛ ومن أجود

١ ط د س : بهذا .

٢ انظر العمدة ١ : ٢٠٧ .

٣ ديوان كثير : ٥٢٦ ، وينسب أيضاً لغيره .

٤ ديوان المجنون : ٣٠٠ .

٥ ط د س : وإليه ذهب بقوله أبو الطيب .

٦ ديوان المتنبي : ٥٢ . ٧ ب م : يتلافها .

ما وقع في هذا المعنى قولُ النابغة في طول الليل ^١ :

تقاعسَ حتى قلتُ ليس بمنقُصٍ وليس الذي يرعى النجومَ بآيبٍ
والذي يرعى النجومَ هنا هو الصبح ، أقامه مقامَ الراعي الذي يغدو فيذهبُ
بالإبلِ والماشيةِ ، فيكونُ حينئذٍ تلويحُهُ هذا عجباً في الجَوْدَةِ . وزعم
بعضُ أهلِ النظر أن الذي يرعى النجومَ هنا إنما هو الشاعر الذي شكَا السهرَ
وطولَ الليل ، وليس هذا الزعمُ لذي فهمٍ ^٢ ؛ وقد ذكر أن الآيب لا يكونُ
إلا بالليلِ خاصة ، ذكر ذلك عبد الكريم بن إبراهيم .
ومن أنواع الإشارة « التفخيم » كقولِ كَعْب الغنوي ^٣ :

أخي ما أخي لا فاحشٌ عندَ بيتِهِ ولا ورِعٌ عندَ اللقاءِ هَيُوبُ
ومن أنواعها « التعريضُ » والرمزُ واللغزُ « واشتقاقه من لغز اليربوع ، إذا
حَقَّرَ مستقيماً ثم أخذَ يميناً ويسرةً ، ليورِّي [ويعمِّي] على طالِبِهِ ، و [منه]
قول امرئ القيس ^٤ ، وبعضهم يُسمِّيه : « التتبع » .:

ويُضْحِي فتيتُ المسكِ فوقَ فراشِها نؤومُ الضحى لم تتطيقِ عن تفضُّلِ
يعني أنها مخدومةٌ مكفيةُ المؤونة ، فأتى في هذا البيت بثلاثِ إشاراتٍ كلها
تتبع ، ترك الصفةَ فأتى بما يتبعها ؛ وبعضهم يسمِّي هذا النوعَ « الارداف » .
ومما جاء من الإشارة على معنى التشبيه قول الراجز يصف لبناً ممذوقاً :

١ ديوان النابغة : ٥٥ .

٢ ط د س : وليس هذا الوجه بشيء .

٣ الأصمعيات : ٩٧ .

٤ ديوان امرئ القيس : ١٧ .

جاءوا بمدق^١ هل رأيت الذئب قط

فأشار إلى تشبيه لونه ، لأن الماء إذا غلب عليه صار كلون الذئب
انتهى كلام ابن رشيق .

قال أبو الحسن : واستقصاء هذه الألقاب^٢ في كل باب ، مما يضحّم
حجم الكتاب ، وقد تفرّق من أنواع البديع ، في أثناء هذا المجموع^٣ ،
ما فيه كفاية ، ويُرَبِّي على النهاية^٤ .

إيجاز الخبر عن وقعة بطرنة التي ذكر

قال أبو الحسن : قد جهدتُ أن أجده هذا الخبر في ما وقَعَ إليّ من
كتاب أبي مروان^٥ ، فأولّيه حُكْمَهُ ، وأعتمدُ فيه وصفه الرائقَ
ونظمه ، فأعياي مَرَامُهُ ، وغَرَبَ عني سَوَامُهُ ، وأنا أثبتُهُ^٦ ، حسبما
التقطته ، من فم من شهد ذلك ، وحدثَ عما [جرى] هنالك [٢٣٣ ب]
ممن لا يُحَسِّنُ الوصفَ ، ولا يجيدُ الرَّصْفَ ، بيدَ أني أتجرى الصوابَ ،
وأَتَمِّعُ الصريحَ اللباب :

حدثني غيرُ واحدٍ من أهلِ بلنسية^٧ قال : دلفتُ [إلى] بلنسية

١ ط د : بضيق ؛ س : بضغط .

٢ ط د س : واستقصاء ما يمرض .

٣ ط د س : وقد تفرّق في تضاعيف هذا التصنيف من ذلك .

٤ ط د س : الغاية .

٥ ط د س : قال ابن بسام لم يقع إليّ هذا الخبر في كتاب ابن حبان .

٦ ط د س : فإذا أعياي . . . فانا أصفه .

٧ أورد ابن عذاري وصف المعركة (٣ : ٢٥٢ - ٢٥٣) اعتماداً على ما ذكره ابن بسام .

[سنة خمس وخمسين] قطعة من الافرنجة ، كدّين آفاق هذه الجزيرة المروع - كان سربها ، الذلول بتناصر غوغائيتها ، وتخاذل أمرائها ، [يومئذ] صعبها ، من طواغيت الروم المحيطين بجهاثها ، أبناء المخرجين من جناتها ، الموتورين بأيدي المسلمين حُماتها ، أيام رسوخ أقدامهم في عرصاتنا ، واجتماع كلمتهم على الذب عن حوزاتها ، فسَمَوْا إليها لأول إطباق الفتنة ، واشتمال [تلك] المحنة ، مُمضين لأحكامهم المفسوخة ، مقارعين عن ملتتهم المحوطة المنسوخة ، مغتَمين^٢ للفترة ، متنسّمين لِرَوْحِ الكَرَّة ، فسال منها يومئذ ببلنسية سَيْلٌ عَرْمٌ عَفَى على ما [كان] بها من بهجة ورونق ، ومزق أهلها بأطراف الرماح وظُبا الصِّفاح كلٌّ ممزق . قال المحدث : فأناخت تلك القطعة يومئذ ببلنسية سنة ست وخمسين وأربعمائة ، وأهلها : جاهلٌ غرٌّ أو مترفٌ مغترٌّ ، أو غفلٌ لا خيرَ ولا شرَّ . قد خلدوا بشهواتهم ، وانخدعوا بإغضاء^٣ الدهر عن غراتهم ، لا عهدَ لهم [يومئذ] بصريع إلا من كاس شمول ، أو لحظات أعين^٤ كحيل ، ولا بعانٍ كنيع^٥ إلا لعتاب خليل ، أو إعراض حبيب وصول ، مغفلين للتدبير ، غافلين عما يتعاون أطرافهم من الحذف والتغيير ، فطار بهم الذُّعُر^٦ كلَّ مطار ، وسارت عن زعمائهم في استقبال محنتهم تلك أعجب أخبار ، ثم كأيدهم العدو بإظهار^٧ الاضطراب ، والاستتار

١ ط د : يتنازع . ٢ ط د : منتظرين .

٣ البيان : باغفاء . ٤ ط د : أغر .

٥ العاني الكنيع : الأسير المتقبض في قده ؛ ومنه قول متمم «وعان ثوى في القدر حتى تكنما» .

٦ د : العدو ؛ وفي ط : بياض .

٧ ط د : باضمار .

عن عيونهم ببعض تلك الهضاب ، استدراجاً لهم واستطراداً ، وجيداً في طلب مكروهمهم واجتهاداً ، فهاج رعاهم ، ونادى بالنفير مهنتهم وصناعتهم ، حتى بلغني أن مخنثين من مخنثيها تناديا إلى الخروج ، وقد حلما بسبي العلوج ، فهما يتنازعان المني ، ويقولان نحن أعلم بفعلات القنا ، وهيهات ! تلك أقصف للظهور ، وهذه أشقى لبعض الصدور ، وخرجنا ولا سلاح إلاّ رشاء تجاذباه ، ثم اصطلحنا بعد فقسماه ، لا يستريبان بضيق المنهاج ، ولا يشكّان في اقتياد الأعلاج ، وساعد أولئك الرعاع الحائنين^١ أميرهم [يومئذ] المترف^٢ عبد العزيز بن أبي عامر — المتقدم الذكر — فخرج بالغير والنفير ، والجم الغفير ، بحسب الطعن كالقبيل ، ولم يكن من محبيه ، ويطن^٣ السيوف كالمقل ، ولم يتعقب على مشبهين^٤ ، ويتخيل صليل الحسام ، بين القصصر والهام ، ما كان اتسع له ذرعه ، ومَرَنَ عليه سمعه ، من [٢٣٤ أ] نغم الأوتار ، وترنم الأطيّار ، فلم يرع العدو يومئذ إلاّ خروج أهل بلنسية الأغمار الأغفال ، إلى تلك المصارع والآجال :

يمشون^٥ مشيَ قطا البطاح تأوداً هيف الخصور^٦ رواجح الأكفال^٦

فظفر [العدو] منهم يومئذ بغنيمته أحلى من السرور ، وأبرد من النسيم على كبّد المخمور ، أتاهم من ظهورهم ، فحكّم السيف في جمهورهم ،

١ ط ب د س م : الحائنين .

٢ ط : المترف .

٣ ط د : مشبهين ؛ ب م : مشبهين .

٤ ط د س : يمشين (وهي الرواية الأصلية) .

٥ ط د : البطون .

٦ البيت للكميت في الأغاني ٨ : ٢٢٧ والحيوان ٥ : ٢١٧ وديوانه ٢ : ٥٣ .

فلم يبقَ إلاَّ من أحرزه أجلُّهُ ، وخفيَ على [سهم] المنية مقتلَهُ .
 حدثني ^١ من رأى ابنَ أبي عامر يومئذ متحصِّناً برَبوَةٍ بين لَمَةٍ من
 فرسانه ، يُنْشِدُ وقد عقد الرعب ^٢ عَدَبَةَ لسانه :

خليليَّ ليس الرأيُ في صدرٍ واحدٍ أشيرا عليَّ اليومَ ما تريانِ
 فنجا منها مَنْجَى أبي نصر ، بعد أن أعطى على القسر ^٣ ، ولم يحفل بما
 أحاط به من أصحابه المغتربين به من قتلٍ وأسر .

في ذكر الأديب أبي عامر بن الأصيلي واجتلاب جملة من شعره ^٥

وكان أبو عامرٍ جوابَةَ آفاقٍ ، وناظماً وناثراً باتِّفاقٍ ، وله بيتٌ شَرَفَ ،
 وسابقةٌ سَلَفَ ، وقد أثبتُ بعضَ ما وقعَ إليَّ من شعره ، على معرفتي
 بقدره ، لنباهةِ سلفِهِ واشتহারِ ذكرِهِ .

فصلٌ له من رقعة : أنت - أعزَّكَ الله - أشدُّ استِثباتاً ، وأكرمُ
 التفاتاً ، من أن تتأملَ ما ينقلُهُ الواشون ، وتتبعَ بهِ واجسك سوءَ الظنون ،
 فتبينَ بهِرجَ قولٍ لم يُعرَهُ الحقُّ نورَهُ ^٦ ، ولا الصدقُ ظهورَهُ . والوزيرُ

١ ط د س : أخبرني .

٢ ط د س والبيان : الذعر .

٣ ط د س : قسر .

٤ ط د س : يحفظ ما .

٥ انظر ترجمته في المغرب ٢ : ٤٤٤ ، والمسالك ١١ : ٤٥٣ والخريدة ٢ : ٣٠٨ (ط) .
 تونس) والنقل فيها عن ابن بشرون .

٦ ورد في ب م بعد هذا : « وكان الوزير الفقيه أبو عبد الله بن ابراهيم سويداء قلب ذلك
 الاقليم . . . من شدة » وستأتي بعد ص : ٨٦٥ - ٨٦٦ ولهذا أسقطتها من هذا الموضع .

أبو القاسم بن صارم ، ظالمٌ لي وإن كان غيرَ ظالم ، [٢٣٤ ب] فإنه
نَقَصَ فاضلاً ، وقطعَ واصلًا ، وتتبعَ يسيراً ، وعظمَ حقيراً ، تَقَمَّنًا
لمسرةٍ ولدٍ له مدللٍ يحسبُ أن كسرى من أعوانِهِ ، وأن هاروتَ ينفثُ
عن لسانه ، [يتعاطى ما لا يُحسِنُ ، ويحقرُ ويمتهنُ ، فيورطُ أباه في
بحور السباب ، ويبيحُ عِرْضَهُ لَألسنةِ الشعراء والكتاب] وجرى عليّ بجهتك ،
التي أَلَمْتُ بها من أجلك ، وتسترتُ [فيها بظلك ، تطاولُ لم تَقْبَلْهُ
طباعي ، ولا استقرتُ عليه أضلاعي ، إذ لم أعهدُ مثله] في سائر البلاد ،
ولا مُنِيتُ بشكليه في حاضرٍ ولا باد ، وذلك أن الوزيرَ الأعلى أبا عامر ،
القائدَ الشجاعَ الشاعرَ — أنهض الله همتهُ ، وضمخَ بمسكِ الثناءِ لمتهُ^١ —
أراد أن يَدْخُلَنِي تحت قدمه ، ويعدّني من خَوَلِهِ وَحَشَمِهِ ، وتوهم أنه
يستطيع بعزته عليّ ، ويستميلُ بكثرةِ دراهمه مَنْ لَدَيّ ، فأدركني لذلك إباءٌ^٢
أوقعَ الوحشةَ بيني وبين أبيه ، ونقلني عن حُسْنِ ظنِّي فيه ، فلم يُمهِّلَنِي
غايته غيرَ ثلاث ، حتى تسبب إليّ بأسبابِ رثاث ، كانت سبباً لانزعاجي
دون تسليمٍ ولا توديع ، وفراري فِرارَ الخائفِ المروع .

١ ط س د : عند .

٢ وذلك أن الوزير . . . لمته : لم ترد في د ط س ، وورد في موضعها « وذلك أنه أراد أن
يدخلني » ، والسياق في ب م مخالف لطبيعة الرسالة إلا إذا حمل محمل التهكم .

٣ ط د : ما .

٤ د ط : بيته .

جملة من شعره في أوصاف شتى

قال يتذكّر وطنهُ بسرّ قُسْطَة^١ ويضمّن^٢ بيتين من إنشاد الثعالبي
لبعض أهل عصره^٣ :

على سرّ قُسْطَة أبكي دماً	وأموأهيا العذبة المحيية
وقوم كرام فواحسة	على الجمع منهم أو التثنية
وأصبحت في بلدة أهلها	سباع لأهل النهى مؤذيه
كان بلنسية زينت	لشاطبة فاختفت ^٣ مرُسيه
تعوّضت منها بأرض أرى	أفاعيل أربابها ملهيه
فكم كاس ذل تجرّعتها	ولم أبدها وهي لي مخزيه
وكم ليلة بتها طاوياً	ونفسي عن ^٥ الكشف مستحيه
« وقد يلبس المرء حرّ الثياب	ومن تحتها حالة مضنيه ^٦ »
« كما يكتسي خدّه حمرة	وعلتها ورَم في الرّية ^٦ »
عسى الله يُعقبنا صحة	فمن عنده الداء والأدويه

١ ط د : وضمن .

٢ من إنشاد . . . عصره : سقط من ط د .

٣ ط د س : فاختفت .

٤ ط د : سكانها .

٥ ط د : على .

٦ هذا البيت والذي يليه لأبي الفتح البستي (اليتيمة ٤ : ٣١٤ والتمثيل والمحاضرة : ١٨٣)
وأوردهما صاحب المسالك للأصيلي خطأ .

وقال وهو بِقَلَمُريَّةٍ من عمل الطاغية^١ اذفونش^٢ - قصمه الله - :

قلقتُ وحقَّ بأنَّ يَقلُّقا	مصونٌ غدا غَرَضاً للشقا
حللتُ بلاداً كسَّني بها	يدُ اللَّيْثِ من سقمٍ يلمقا [٢٣٥أ]
وردتُ قلمريَّةً طامعاً ^٣	فلم ألفَ برّاً ولا مَرَفَقاً
حُرِّمتُ كأني دونَ الوري	طلبتُ العَقُوقَ بها الأبلقا
[ورمتُ الرجوعَ وَمَن لي به	وقد غلّقتُ البابَ من غلقا
إذا الشوقُ مرّاً على خاطري	شرقتُ وحقَّ بأنَّ أشرقا]
أحبابنا هل لنا رجعة	وهل لي بكم أبداً ملتمى
توركتُ بجرّ الأسى بعدكم	ولاني لأحذرُ أن أغرقا
وصرتُ وإن كنتُ ذا همة	وحزمٍ بأيدي النصارى لَتَمَى
يقولُ أناسٌ ولو أنصفوا	لكذبَ فيّ الذي صدقا
فلانٌ حريصٌ به نُهْمَةٌ	إلى الرزقِ من قبلِ أن يرزقا
وليس ، ولكن نحوسي أبت	بسوقِ النباهةِ أن تنفقا
ولو وُفِّقَ المرءُ في سعيه	تخيَّرَ في رزقه وانتقى
تلونَ دهري بأحداثه	عليّ فشبهته عَقَقَا

وكان أبو عامرٍ مشحوداً المديّةِ في الكدية ، وهي التي بلَغَتْهُ كما ترى
إلى بلادِ النصارى^٥ .

١ ط د س : بعمل ؛ ط د : الطاغوت .

٢ ب م : اذفونش .

٣ ب م : طامعاً .

٤ ط د : تورطت ؛ ب م : تدرطت .

٥ ط د س ؛ إلى بلاد كما ترى .

وهو أيضاً القائل ، وقد تطوّفَ على بلاد الساحل ، فما حظي^١ أيضاً
منها بكبير طائل :

إلى أين الفرارُ ولا فرارُ	ومن لي بالقرارِ ولا قرارُ
أرى الأوغادَ يعتمرون دُوراً	ومالي في بلادِ الله دار
إذا ركبوا المذاكي والمطايا	فمركوبي على شَرقي حمار
أجولُ فلا أرى إلا رِيعاً	كبارُهُمُ إذا اختَبَرُوا صغارُ ^٢
أباجةُ لا وراكِ الله شراً	فأهلكِ أهلُ مَقْصَدَةٍ شرار
أشْلُبُ لا جزاكِ الله خيراً	فلا خيرٌ لديكِ ولا خيار
أشْنَتِ مَرِيَّةٌ قُبِحتِ داراً	كؤوسُ المخزياتِ بها تدار
أشْلُطِيشُ ألا غَرَقُ وشيكُ	تموجُ على ثراكِ به البحار
أُونَبَةٌ تعدَّتْكَ الغواذي	ولا هطلتْ بساحتكِ القطار
ألبلةُ كنتِ صالحةً ولكن	أتى ابن حليفةِ وأتى الشنار
بلادُ عُرِيَتْ من كلِّ خيرٍ	فملبسُ ^٣ أهلها مَقَّتْ وعارُ [٢٣٥ب]
غَلَطْتُ فزرتُها فرأيتُ قوماً	منازلهم وإن عُمِرَتْ قفار
تُرَدُّ عليّ أشعاري ويحفي	رسولي ، والنباهةُ لي شعار
شعوتُ بها على كَرِهٍ فغطّي	على جدّي ومعرفتي الغبار

وله مما كتب به للحصري :

حلفتُ بمحكمِ السُّورِ ومنزلِ محكمِ السُّورِ

١ ط د : حلي .

٢ سقط البيت من ط د ، وفي موضعه : « ومنها » .

٣ ط د س : ملا بس . ٤ ب م : به ، وسقط من ط د س .

وَمَنْ بَعُدَتْ جَلالته عن الإدراك والنظر
وما سَنَّ النبيُّ لنا وما أبقى من السير
وإلاَّ لستُ منه وَمِنْ أبي بكر ومن عمر
لقد أوى الزمانُ يداً سأشكرها مَدَى عُمري
أطالَ يدي وفضلني بليقيا الفاضلِ الحُصْرِي
أقولُ . لمن ينافِسُهُ رويدكَ لستَ ذا بصر
تخلَّ عن البديع له وسلَّمُ فيه للقدر
شهدتُ له على علمي بسبقِ البدو والحضر
وجئتُ إليه معترفاً بما في الباعِ من قِصَر
وما أدلتُ من أَشْرِ ولا استرسلتُ من بطر
ولكن خاطري أبدى له ودِّي على خَطَر
جعلتُ بضاعتي تمرّاً وجئتُ بها إلى هَجَر
ذكرناه بواجبه وهل يخفى سنا القمر
طمعنا أن نفاكِههُ فجننا النجمَ بالشرر
فكيف نطولُهُ طولاً ومن للعُورِ بالخور
وليس الغَرْفُ من بحر كمثلِ النحتِ في الحجر

وهبط^١ [أيضاً] إلى الأشبونة [أيام كوني بها] وقد أصبح به المنصور
إلى قائدها كتباً في معناه ، فَحَسَّنَ بها مثواه ، وأَجْزَلَ بها قراه ، وزرته
ونزلتُ عليه في منزلهِ أوَّلَ التقائي به في لمة من أهلِ الأدب ، فلما انصرفنا
عنه خاطبَ كلَّ واحدٍ منا بأبيات شعر يشكرُ على ما تهيأ له هنالك من البرِّ ،
واعتمد بمخاطبته أيضاً غلاماً وضيءَ الوجه [وسيماً] ، وكان زاره معنا ،

١٠ وردت هذه الفقرة موجزة في د ط س .

يسمى عيسى ، وخرج في وصفه إلى النسيب ؛ فمن شعره مما خاطبني
به أبيات أولها :

يا دوحة العلم والآداب والخطب
ماذا تحيطُ به من علم مسألة
وردُ الحدودِ ووردُ الروضِ أيهما
وقهوةُ الريقِ والصهباءِ واحدةٌ
وما سألتك عن جهلٍ بأمرهما
فراجعتُهُ بأبياتٍ منها^٢ :

ومن غدا فارساً في حلبةِ الطلبِ
سألتُها منك بين الجدِّ واللعبِ
أجلٌ عندك يا ذا العلم والأدبِ
أم قهوةُ الريقِ تخزي قهوةَ العنبِ
لكن نزعْتُ إلى شيءٍ من الطربِ^١ [١٢٣٦]

طوّقتَ كلَّ أديبٍ طوّقَ لؤلؤةٍ
لكن أجدتَ رويَّ السينِ من شغفٍ
غرفَفتَها من بحورِ العلمِ والأدبِ
إذ همةُ الليثِ في المسلوبِ لا السلبِ

فراجعني [ثانية] بأبيات قال فيها :

إيه أبا حسن يا راقمَ الصحفِ
لكن طربتُ لما ألقاه من حرقٍ
وما انتفاعي بمحبوبٍ أفارقهُ
[هذا الذي في الهوى قسراً يزهدني
ما إن أجدنا رويَّ السينِ من شغفٍ
وما أكابده من شدةِ الكلفِ
عما قريب ولم أربحْ سوى الدنفِ
ولو سكتُ لكان العذرُ غيرَ خفي]

وله في الوزير الفقيه أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري بالأشبونة ،
قصيدة خمسة وتضمن أبيات المتنبي ، يقول فيها^٣ :

١ جاء في د ط س بعد هذا : « وكان اعتمد مخاطبته غلاماً وسيماً يسمى عيسى فراجعته ... الخ » .

٢ ط د : قلت فيها .

٣ ط د س : وله من قصيدة خمسة اندرج له فيها قصيدة المتنبي ؛ والأبيات

المضمنة من قصيدة المتنبي في ديوانه : ١٧٤ - ١٧٨ .

دَبَّارٌ عَلَى دَارِ الْفَنَاءِ وَمِنْهَا نَفَضْتُ يَدِي مِنْ سَامِهَا وَبَلَحِيهَا
فَقُلْتُ وَنَفْسِي قَدْ تَصَدَّتْ لَحْيَيْهَا ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَسَعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا
فَمَفْتَرَقٌ جَارَانِ دَارَهُمَا عَمْرُ

فَلَا تَحْسِبَنَّ الْمَجْدَ سُكْرًا وَلَا كَرَى فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا هِمَّةٌ تَذُرُ الْوَرَى
وَنَفْسٌ تَرَى أَشْهَى مِنَ الدَّعَةِ السُّرَى وَتَضْرِبُ أَعْنَاقَ الْمُلُوكِ وَأَنْ تَرَى
لَكَ الْهَبَّاتُ السُّودُ وَالْعُسْكَرُ الْمَجْرُ

وَأَخَذُكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا كَانَ أَحْزَمًا وَكَفَّفْتُ فِيهَا عَنْ عَسَى وَلَعَلَّمَا
وَصَدُّكَ عَنْ وَصْلِ الْأَوَانِسِ كَالدُّمَى وَتَرَكُّكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا
تَدَاوَلَ سَمْعَ الْمَرْءِ أَنْتَمِلُهُ الْعَشْرُ

وَرَبَّ أَمِيرٍ مُضْطَرٍ فِي احْتِيَالِهِ قَبِضْتُ يَمِينِي نَخْوَةً عَنْ شِمَالِهِ
وَنَزَّهْتُ نَفْسِي رَفْعَةً عَنْ نَوَالِهِ وَمَنْ يَنْفَقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ
خَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ^١

أَهْبِلْ زَمَانِي وَذِكْرُكُمْ غَيْرُ خَالِصٍ فَلَسْتُ إِلَيْكُمْ مَا بَقِيَتْ بِشَاخِصٍ
شَكَرْتُ وَشُكْرِي رَعْدَةٌ فِي الْفَرَائِصِ إِذَا الْفَضْلُ لَمْ يَرْفَعْكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ
[٢٣٦ ب]

عَلَى هَيْبَةٍ فَالْفَضْلُ فِي مَنْ لَهُ الشُّكْرُ

تَجَنَّبْتُ فِي أَشْبُونَةِ آلِ أَخْطَلٍ وَأَمَلْتُ رُكْنِي فِي الْخُطُوبِ وَمَعْقِلِي
قَطَعْتُ إِلَيْهِ كُلَّ بَيْدَاءٍ مَجْهَلٍ وَأَقْدَمْتُ لِأَقْدَامِ الْآثِي كَأَنِّي لِي
سَوَى مَهْجَتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وَتَرُ

١ بعد هذا في ط د س : وفيها يقول .

سَعَيْتُ وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ « مَنْ سَعَى رَعَى » إِلَى أَنْ لَقَيْتُ النَّاسَ أَجْمَعَ أَكْتَعَا
فَتَى لَوْ ذَعِيًّا بِاسْمِ الثَّغْرِ أَرَوْعَا مَفْدَى بَأْبَاءِ الرِّجَالِ سَمِيدَا
هُوَ الْكَرْمُ الْمَدُّ الَّذِي مَالَهُ جَزَرُ

سَرَيْتُ إِلَيْهِ أَهْتَدِي بِضِيَائِهِ وَيُرْشِدُنِي فِي الْقَفْرِ طَيْبُ ثَنَائِهِ
وَمَا زِلْتُ أُسْتَسْلِي بِطُولِ بَقَائِهِ وَأُسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ
فَلَمَّا التَّقِينَا صَغَرَ الْخَبِيرُ الْخَبِيرُ

إِلَيْكَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ أَدَّى بَنَاهُ الْهُوَى وَمَنْ عَرَفَ الْأَطْوَادَ حَادٍ عَنِ الصُّوَى
أَمَمْنَاكَ وَالْإِخْلَاصُ مُسْتَحْكَمُ الْقُوَى وَجِئْنَاكَ دُونَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ فِي النَّوَى
وَدُونِكَ فِي أَحْوَالِكَ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ

سَمِيَّ رَسُولِ اللَّهِ يَا خَيْرَ مَرْتَجَى وَيَا كَوْكَبًا يَذْكُو إِذَا حَادَثُ دَجَا
وَيَا مِقْلَدَ الْحَيَا إِذَا الْبَابُ أُرْتَجَا دَعَانِي لِإِلَيْكَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْحُجَى
وَهَذَا الْكَلَامُ النِّظْمُ وَالنَّائِلُ النَّثْرُ

لِمَجْدِكَ عِنْدِي حَلِيٌّ فُخِرَ نِعْوَتُهُ^٢ وَوَدَّ كَمَاءَ الْمَزْنِ صَحَّ ثَبُوتُهُ^١
فَدَعُ كُلَّ شَعْرٍ فُطْبِعِي يَفُوتَهُ وَمَا قَلْتُ مِنْ شَعْرٍ تَكَادُ بِيُوتَهُ
إِذَا كُتِبَتْ يَبْيِضُ مِنْ نُورِهَا الْخَبْرُ

[قَالَ ابْنُ بَسَامٍ] : وَكَانَ الْوَزِيرُ الْفَقِيهَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ [مُحَمَّدٌ] بْنُ إِبْرَاهِيمَ ،
سُوْدَاءَ قَلْبِ ذَلِكَ الْأَقْلِيمِ ، وَمَجْلِسُهُ بِالْأَشْبُونَةِ مَرْمَى جَمَارِ الْمَشُورِ وَالْمَنْظُومِ ،
هُوَ الْمَقْتُولُ هُنَاكَ الْمَظْلُومُ^٣ ، - رَفَعَ اللَّهُ دَرَجَتَهُ ، وَقَتَلَ قَتْلَاتِهِ - ؛ وَلَمَّا

١ ط د : ب . في النسخ : يفوته .

٣ ط د س : وقتل بها ظلماً .

كُسِفَ ذلك النيرُ المشرق، وأظلم عليهم بغتة^١ الأفق ، انطلقت [بالغرب يومئذ] أيدي الدهماء ، إذ عدموا مَنْ كان يُفيضُ عليهم أنوارَ الآراء ، فيقبلونها [٢٣٧ أ] قبولَ الكواكب لشعاع ذُكاء ، ويُدني من لبائاتهم ما شَسَع ، ويستنزلُ بها ما امتنع ، بآراء سديدةِ الأنحاء ، كالسيوف في المضاء ، وسياسات لطيفة : من شدةٍ ولين ، وحركةٍ وسكون ، وكنتُ قد عَليقتُ منه في ذلك الغربِ بالجليلِ المتين ، وأسندتُ منه إلى ثبيرِ الحصين ، وتبواتُ منه أرحبَ مَرَبَعٍ ، وأخصبَ مرتع ، وفي وصف سؤدده وفضله ، وكيفية قتله ، طولٌ خارجٌ عن غَرَضِ هذا المجموع^٢ . ولأبي عامر الأصبلي في تأيينه قصيدة أولها^٣ :

على مصرعِ الفهريِّ ركني وموئلي	بكيتُ وأبكي طولَ دهري وحقَّ لي
أؤبِنُ من مات الندى يومَ موته	وقلَّصَ ظلُ الجودِ عن كلِّ مُرمِلٍ
وما كان صمتي منذ حينٍ لسلوةٍ	ولكنَّ عظمَ الرزءِ أخرسَ مقولي
إلى أيِّ طودٍ يُسْنِدُ الشعرُ بعده	وقد حطَّ منه الدهرُ أركانَ يذبل
تولى ابنُ إبراهيمٍ فالغربُ بعده	لكلِّ غريبِ الدارِ حلقةٌ جلجل
فأصبحتِ الآمالُ بعدَ محمدٍ	تنادي ألا بُعداً لكلِّ مؤمل
خليليَّ مالي لا أذوبُ وإنني	لأطوي الحشا منه على غليِّ مِرْجَل
وفي من يُحاكُ المدحُ جزلاً كأنما	أتى عن لبيدٍ قوةً ومهلل

١ ط د : بعده .

٢ ط د س : يشق سرده أضربت عنه لبعض الأمر .

٣ منها ثلاثة أبيات في المغرب .

٤ المغرب : أرمل .

٥ ط د س : ولكن عظيم .

ألا أيُّها النّوامُ هبُّوا لتسمعوا جدالَ قتيلٍ بالرزايا مجدل
أما إنه والحقُّ أبلجٌ واضحٌ لقد جثمُ بالعارِ يا آل أخطل
غدرتمُ فكان الغدرُ منكم سجيّةً فتي العلم والمجدِ التليدِ المؤثّل
لثامٌ رعاغٌ جاهلون تحاسدوا على قتلِ صنيديدٍ أغرَّ محجل
سقى الله قبراً ضمَّ جسمَ محمدٍ سحائبَ تترى بالحيا المتنزل
وجازاه عن إحسانه وأثابه جزاءَ المنيبِ القانتِ المتبتّل
سأندبهُ عمري وإن قالَ قائلٌ « رويدك لا تهلكُ أسيّ وتجمل »
وأتبعه ذكراً بشعرٍ كأنّه « نسيمُ الصّبا جاءتْ برّياً القرنفل »

فصل في ذكر الأديب أبي الفضل

جعفر بن محمد بن شرف^١ [٣٢٧ ب]

ذو مِرَّةٍ لا تناقض ، وعارضةٍ لا تعارض ، وطراً أبوه على جزيرة
الأندلس من بلدة القيروان ، حسبما نشرحه إن شاء الله في ما يأتي^٢ من هذا
الديوان ؛ وأبو الفضل هذا [أيومئذ] لم يَصْبُ قَطْرُهُ ، ولا خَرَجَ من
الكمامة زَهْرُهُ ، ومن المِرَّةِ درجَ وطار ، وباسم صاحبها أنجدَ ذكره وغار ،
وهو اليومَ بها قد طَلَّقَ الشعرَ ثلاثاً ، ونفضَ غزله [بعد قوة] انكاثاً ،
وارتسم في حُدَاقِ الأطباء ، واشتمل بما بقيَ له هناك من الجاهِ والثراء ،

١ حرج عن القيروان سنة ٤٤٧ هـ واستوطن برجة من ناحية المرية ، وكان شاعرٍ وقته غير
مدافع ، وله توالييف في الأمثال والأخبار والآداب والأشعار ، توفي عصر الثلاثاء منتصف
ذي القعدة سنة ٥٣٤ هـ (انظر الصلة : ١٢٩ والقلائد : ٢٥٢ والمطرب : ٧١ والمغرب
٢ : ٢٣٠ وبغية الملتبس رقم : ٦١٠ والخريدة ٢ : ١٧١ (ط : تونس) والنفع ٣ : ٣٩٥)

٢ ط د س : في القسم الرابع

ولم أظفر من شعره ، إلا بما لا يكادُ يفي بِقَدْرِهِ ، وقد أثبتتهُ على نَزْرِهِ ،
لئلا يُخِلَّ بكتابي إهمالُ ذكره .

فصل له من رقعة في ^١فتح بلنسية : من ذكر - أعزك الله - عهدك
الكريم والتزامه ، وأبصرَ مجدك العميم وانتظامه ، ووضع نفسه حيثُ
وضعها ماضي الذمام ، وأنزلها منك حيث أنزلتها تلك الأيامُ الكرام ،
وعلم أن رَبَطَكَ مُبَرِّمُ الشدِّ ، وضبطك مُحَكِّمُ العَقْد ، وإن وافاك
أكبرُ من رضوى جسدًا ، وأكثر من حُزْوَى عددًا ، تخطى بِقَدَمِ العهد ،
وتخطى بِقَدَمِ الودِّ ، حتى زارَ الصفائحَ بالصحائف ، وبأشر ^٢الكتائب
بالكتب اللطائف ، وحيّاكَ بلسانِ الأقلام ، تحت لسانِ الأعلام ، حين ^٣
أشرقَ وجهُ الدينِ فأسفر ، وزهقَ حزبُ الملحدِ فنفر ، وأقبلَ الفتحُ في
لمةِ التأييد ، يرفلُ في ثوبِ النصرِ الجديد ؛ وجاء الوعدُ الناجزُ ببلنسية
تجذبها أعنةُ الأقدار ، وتسوقها أحكامُ الجبار ، فالآن قد نُشِرَ الميتُ من
لحده ، وعادَ الحسامُ إلى غمده ، فسبحانَ من سبَّبَ ما سبَّبَ ، وأدبَ
بالموعظة من أدبَ ، تحصَّ الذلَّةَ فأزالها ، وقدَّرَ العثرةَ فأقالها ، وأعاد
نعمةً كان قد أذهبَ خضراءها ، وأبادَ غَضْرَاءها ، وفتح باباً سدَّ رتاجه ،
وصدَّ منهاجه ، حتى خرَّ شاعخه ، وذلَّ ^٤بأذنه ، [ثم نشر ميتهُ ،
ونجَّدَ بَيْتَهُ] ، فهبَّتْ ريحُ النصر ، ومدَّ بحرُ الظفر بعد الحَسَر ^٥ :

١ ط د س : وذكر فيها .

٢ ط د س : وقاس .

٣ ب م : حتى .

٤ س : ووهن .

٥ ب م : وزال .

٦ ب م س : الحصر .

فقل - أعزك الله - في فتح عمّ الله ببهجته قلوب المؤمنين ، وخصّ بالفضل فيه أمير المسلمين [وناصر الدين] ، ووفى به ضمانه ، وأرجع بفخريه وأجره ميزانه ، حتى اقتدح بحسامه ، ووسم بأعلامه ، وورّخ بسعيد أيامه ، دعا مانعه فأجاب ، وجلّى عاتمه فأنجاب ، فتح سالت تلاءمه بماء النعمة ، وجالت سوامه في ضمان العيصمة .

وفي فصل [منها] : ومن زكاة الجاه التي هي من الفروض [٢٣٨] وأداء المفروض ، مشاركة مؤصليه جارنا القديم ، وصديقنا الحميم ، له هناك أطلال رستمها دائر ، وجدّها عائر ، يرجو تجديد خرابها ، وتعمير يبابها ، وإليك إسناده ، وعليك اعتماده ، ومن كان منك بعين فقد أوى إلى ركن ، واعتصم بحصن ، فلك الفضل في تصديق أراجيه ، وإظهار جميل الرأي فيه .

وله من قصيد [فريد] أوله ^١ :

مَطَّلَ اللَّيْلُ بوعْدِ الفلق وتشكَّى النجمُ طولَ الأرقِ
وَمَرَّتْ رِيحُ الصَّبَا مسكَ الدجى فاستفادَ الروضُ طيبَ العبقِ
وَالْأَحَ الفجرُ خدًا خجلًا جالَ من رشح الندى في عرقِ
جَاوَزَ اللَّيْلَ إلى أنجمه فتساقطنَ سقاطَ الورقِ
وَاسْتَفَاضَ الصَّبَحُ فيها فيضةً أيقنَ النجمُ لها بالغرقِ

وهذا كقول أبي الحسن مولى البكري ^٢ :

١ منها أبيات في المغرب والحريدة ، ومعظمها في النفع ٣ : ٣٩٣ وقدم لها بقوله « ولما وفد أبو الفضل بن شرف من برجة في زي تظهر عليه البداوة بالنسبة إلى حضرة المملكة العظمى أنشدته (أي المتصم) قصيدته الفائقة » .
٢ ترجمته في القلائد : ٢٩٠ .

• ونجمُ الدجى في لجةِ الصبحِ يَغْرِقُ •

وطمى الشرقُ عليه فانتحى من هلالٍ غائبٍ في زورق
فانجلى ذاك السنّا عن حلكِ وامسحتْ تلك الدجى عن بهقٍ^٢
بأبي بعد الكرى طيفٌ سرى طارقاً عن سَكَنٍ لم يَطْرُقِ
زارني والليلُ ينمى شَرْقُهُ^٣ وهو مطلوبٌ بباقي الرmq
ودموعُ الطللِ تمرّ بها الصبّا وجفونُ الروضِ غرقى الحدق
فتأنّى في إزارٍ ثابتٍ وتثنّى في وشاحٍ قلق
وتجلّى وجهه عن شعره فتجلّى قلقٌ عن غسقٍ^٤
نهبَ الصبحَ دُجى ليلتهِ فحبا الخلدَ ببعض الشفق
سلّبتْ عيناه^٥ حدّي سيفه وتحلّى^٦ خدّه بالرونق
وامتطى من طيرفه ذا حسبٍ^٧ يلثم الغبراء إن لم يعتق
أشوس الطرفِ عرّته نخوةً فتهدى كالغزالِ الخرق
لو تمطّى بين أسرابِ المها نازعته في الحشا والعنق [٢٣٨ ب]

وهذا كقول سعيد العروضي يصف فرساً :

< كانت > من الظلمان آباؤه فَوَرَّثَتْهُ الباقَ والجؤجؤا

١ ط د س : غارب .

٢ النفح : شفق ؛ ط س د : لثق .

٣ النفح : سدّه ، وهو أصوب .

٤ ط د س : شعره عن خده . . . غسق عن قلق .

٥ ب م : خداه .

٦ ط د س : وتولى ؛ النفح : فتحل .

٧ النفح : ذا خيب .

خَسَرَتْ دُهُمَّتَهُ عَنْ غُرَّةٍ
لَبَسَتْ أَعْطَافَهُ ثَوْبَ الدَّجَى
وَانْبَرَى تَحْسِبُهُ أَجْفَلَ عَنْ
مَدْرَكَاً بِالْمَهْلِ مَا لَا يَنْتَهِي
ذُو رَضَى مُسْتَرٍ فِي غَضَبٍ
وَعَلَى خَدٍّ كَعُضْبٍ أَبْيَضٍ
كَلِمَا نَصَبَهَا مُسْتَمِعاً
حَارَدَتْ حَرْدَةً شَبَا خَطِيئَةٍ
كَلِمَا شَامَتْ غِرَارِي حَدَّهُ
فِي ذَرَا ظَمَانٍ فِيهِ هَيْفٌ
يَتَلَقَّاكَ بِكَعْبٍ مِصْفَعٍ
إِنْ يَدْرُ دَوْرَةَ [طَرَفٍ] يَلْتَمَحُ
وَتَرَى مِنْ هَزَّةٍ مُخْتَلِفاً
عَصَفَتْ رِيحٌ عَلَى أَنْبُوبِهِ
كَلِمَا كَلِمَتَهُ بَاعَدَ عَنْ

ومنها :

جَمَعَ السَّرْدُ قَوَى أَزْرَارِهَا
أَوْجَسَتْ فِي الْحَرْبِ مِنْ وَخْزِ الْقَنَا
كَلِمَا دَارَتْ بِهَا أَبْصَارُهَا
فَتَأْخُذْنَ بَعْدَ مَوْثِقِ
فَتَوَارَتْ حَلَقاً فِي حَلْقٍ
صَوَّرَتْ فِيهَا مِثَالَ الْحَدَقِ

١ التفح : بدت .

٢ التفح : حاذرت منه ؛ من حاز منه .

٣ بعد هذا في ب م : لو سقي حسان . . . وسيأتي في موضعه .

وهذا كقول [أبي محمد] ابن عبدون :

ودموعُ طلّ الليلِ تجلو أعيناً ترنو إلينا من عيونِ الماءِ [٢٣٩]
زلّ عنها منْ مصقولِ القَرَا يرتمي في مائها بالحرقِ
لو نضا وهو عليها ثوبه^١ لتفرّى عن شواظِ عرقِ
أكهبُ من هبواتِ أخضرٍ من فرندِ أحمرٍ من علقِ
وارتوتْ صفحاه حتى خيلتهُ بجياً من سَحْبِ كفيك^٢ سقي
يا بني معنٍ لقد طابتْ بكم شَجَرٌ لولاكمُ لم تورقِ
لو سقيي حسانُ إحسانكمُ ما بكى نُدْمانه في جِلْقِ
أو دنا الطائيُّ من حيّكمُ ما حدا البرق [لربع] الأبرقِ
طنّبتْ منكم تجيبٌ في حمى طالبِ شأو^٣ المعالي لحقِ
إن من أنجبتْ من نجلِ زكوا فانتهاوا غايةَ ذاكِ الطلّقِ
قلْ لمن خافَ زماناً جائراً أو شكا من صَرَفِ دهرٍ موبقِ
بمعزّ الدولة الأوحدي أو عزّها أو سيفها فاعتلقِ
تجلّ عيناك إذا زرتهمُ بنظامٍ للعسلا متسقِ
أبدعوا في الفضلِ حتى كلّفوا كاهلَ الأيامِ ما لم يُطقِ

قوله : « وتشكى النجم طولَ الأرق » كقول ابن رشيق ° :

* أشكو إلى النجم حتى كاد يشكوني *

١ ط س د : حلية .

٢ ط د س : كفيه .

٣ س : طلب سامي .

٤ د ط : قد خاف دهرأ .

٥ لم يرد في ديوانه المجموع .

وقال أبو جعفر التطيلي^١ :

وطال على النجوم سُرَاهُ حَتَّى

أَتَتْ وَكَأَنَّمَا تَطَأُ الْقَتَادَا

وقال^٢ :

قد أَذِنَ الشَّرْقُ لِلصَّبَاحِ
وانجَابَ جَيْشُ الدَّجَى بِيضِ
[سالت] لَهَا مَسْكَةُ الدِّيَاجِي
واندمَجَ اللَّيْلُ فِي مَضْيَقِ
نَبْهَتِهِ وَالنَّسِيمُ يُهْدِي اللَّهَ
فَقَامَ كَسْلَانٌ دُونَ أَيْنِ
يُظْهِرُ لِلسَّخَطِ وَهُوَ رَاضٍ
كَأَنَّهُ كَلِمَا تَشْتَى
وَحَيَّعَلَ الْفَجْرُ بِالْفَلَاحِ
قد جُنَّ^٣ فِي سَمَرَةِ الرِّمَاحِ
أَمَامَ كَافُورَةِ الصَّبَاحِ
وَانْبَلَجَ الصَّبْحُ عَنْ بَرَاكِ
مِيمٍ فِي آنْفِ الرِّيحِ
واهْتَزَّ نَشْوَانُ دُونَ رَاحِ [٢٣٩ب]
وَيَدْعِي السَّكْرَ وَهُوَ صَاحٍ
يُصْغِي إِلَى نَعْمَةِ الْوَشَاحِ

وقال :

أَمِسْتُ بِصَدْغِكَ أُمَّ شَامَةٍ
إِخَالُ الْعَذَارِ أَرَادَ انْتِشَارًا
قد اخْتَلَسَ الشَّيْبُ مِنْ بَعْضِهَا
فَخَالَطَ فِيهَا ضِيَاءُ الْبَيَاضِ
كَأَنَّ الْمَحَبَّ شَكَا مِنْ هَوَاكِ
فَأَوْدَعَ أَذْنُكَ سِرَّ الْهَوَى
غَفَلْنَا عَنِ الْأَمْرِ حَتَّى التَّبَسَ
فَصُلَّتْ بِلِحْظِكَ حَتَّى احْتَبَسَ
شَبَابًا وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا خُلْسٌ
ظِلَامَ السَّوَادِ فَصَارَا غُلَسَ
سِرًّا إِلَيْكَ بِمَا [قد] أَحْسَ
فَسَوَّدَ صُدْغَكَ حَرُّ النَّفْسِ

١ لم يرد في ديوانه .

٢ د ط س : وله من أخرى .

٣ قد تقرأ في ب : قدغن .

ومعنى هذا البيت الأخير معنىً غريباً ، وإنما نبهه عليه أبو حفص
ابن برد بقوله يصف كلفَ البدر ، [وقد تقدم] :

والبدرُ كالمرأةٍ غيرَ صَقَلِهَا عَبَثُ العذارى فيه بالأنفاسِ^١
ومن أخرى :

في ضَمَانِ الطَّيْفِ بُقْيَا رَمَقِي صدقت عينيَّ أم لم تصدُقِ
زارني بل عادني من مرضي إذ شفاني زارني في قلقِ
نعمتْ عيناك بالطيفِ وقد نَقَّتْ الفجرُ به عن حَنَقِ^٢

وفي صفة الليل :

فهو يُبدي بَلَقاً عن دُهْمَةٍ ثم يُبدي شُهْبَةً عن بَلَقِ
وكانَ الفجرُ في ذَيْلِ الدجى وافدٌ يقرعُ بابَ الأفقِ
أنبه الروضة^٣ عن قلبِ شجٍ لتناثيه وجفنٍ غرقِ
لاحَ فاهتزتْ إياه قُضْبُها ورمَاهُ نورها بالخرقِ
وكانَ الصبحُ في آثارِهِ صارمٌ يضربُ وجهَ الغسقِ
كلما عنَ لراياتِ الدجى سقطتْ منه سقوطَ الصَّعَقِ^٤
ونجومُ الليلِ صرعى كلما نهضتْ عن نكبةٍ لم تطقِ [٢٤٠]
سَبَّحَتْ جَوَزاؤها في بحرِهِ والثريا راحةُ المعلقِ
كأيدتهُ شعريها برُهَةٍ والسَّهْا عنه ضعيفُ الرمنِ

١ هنا تنتهي الترجمة في ط د س .

٢ م : حمق .

٣ ب م : الروض .

٤ ب م : الصفق .

وكان النسر في مغربه
ولتالي النجم قلب راکض
وذراع الليث قد مدّها
قد بكى جفن الحيا عن أدمعي
غضبت وشحك من ليلتنا
صمت الخللخال عن تنقيها
بسمت إذ كشفت عن نحرها
ثم أدنت طرة من وجنة
قد تداوينا من الشوق بها
قد تولّى طائراً عن قلق
كلما يوجس بخوف يخفق
فهي إن تظفر بجبل تعلق
واشتكى نجم الدجى من قلقي
فعلمنا غيظها بالقسق
حين أفشى السرّ نطق النطق
كابتسام الفجر قبل الفلق
كتداني ليلة من شفق
غير أنا بعدهم لم نثق

ومنها :

سبقت جدواكم فاطر دت
قد رمى الدهر بسهم نافذ
طلب الغاية في كل مدى
بشر وجه تحته ماء ندى
لبسوا ثوب المعالي حلة
كنجوم صعدت في ذروة
لو أطلقنا وهو الحظ لنا
كأنايب القنا المتسق
وشباً ماضٍ وحد ذلق
فهو يجري في عنان مطلق
وفرند السيف تحت الرونق
عطروها بالثناء العبق
أو شمس طلعت عن مشرق
لفديناهم بنور الخلق

وله :

بتنا وأجفان الكنائم نوم
والليل أعمى والكواكب تنظر

١ هذه قراءة تقديرية قلقة ؛ وفي ب م : قد بدا وينام .

والروضُ بأرج والظلامُ يبلّته
حتى استثارته الصَّبَا وكأنّه
فهناك صاحَ بنا الصباحُ وبيننا
ضمٌ يموتُ الشوقُ فيه وينشر

وله :

أنت والروضُ يعطفُ جانبيها
وما بالرملِ ان خافتُ سليماً
وليس على شعابِ الحزنِ بأسٌ
إذا صدق الغرامُ فكلُّ قاصٍ

وله :

ولما تلاقينا وقد ضمنا الهوى
تمازجَ ما بين التجاد وعقدِها
مزاجاً تخال الكأسَ مانعها الحيا
فتهمي بطيِّ الثوبِ في الثوبِ كلما
ضجيعين ماتَ الحسُّ بيني وبينها

وله :

بتنا نشدُّ على القلائدِ بيننا
والريحُ ما نبستَ لنا بسريرةٍ
خفنا فأخفتنا خمائلُ روضةٍ
حدّر الرقيب لعلّها لا تنطقُ
يوماً ولا نفثَ الحليّ المحنقِ
أنفٍ وأخملنا العناقُ الضيقِ

وله :

أنت تنفضُ الأعطافَ من بلل الندى
وقد رشفتَ ماءَ الندى الورقُ الأخضرُ

تحفّ بها الظلماءُ وهي مَرُوعَةٌ تضلُّ فتهدّيها الصَّبابةُ والذكرُ
فبتنا وقد باتَ العناقُ يضمّنا على دَعَةٍ حتّى استرابَ لنا الفجرُ
فبانَتْ وفي عينيَّ من قَسَماتها خيالٌ وفي ثوبيَّ من طيبها عطرُ

[وله] ^١ :

ألمي لفقدِ الدمعِ عند فراقِهِ ألمُ الجراحةِ بالدمِ المحصورِ
[... ] ^٢

[وله] :

وما ذقتُ طعمَ النومِ إلا وللصِّبا تنفّسُ مشتاقٍ وللروضِ مَدْمَعُ
وللصبحِ في الآفاقِ جَيْبٌ مشقّقٌ وللورقِ في الأغصانِ نَوْحٌ مرجعُ
فخفّفَ ما بي أنَّ فيهنَّ أسوةٌ وأنا جميعاً كلّنا متوجّعُ

وله :

إذا نالكَ الدهرُ بالحادّثاتِ فكُنْ رابطَ الجأشِ صعبَ الشكيمةِ
ولا تُهِنِ النفسَ عند الخطوبِ إن كان للنفسِ عندك قيمة
فوالله ما لقيَ الشامتون بأحسنَ من صبرِ نفسِ كريمةِ [١٢٤١]

وله :

أتى الليلُ يطلبُ غزوَ النهارِ في أنجمٍ ما درى عدّها
فجاء النهارُ بشمسٍ الضحى وقال : كفتني ذي وحدّها

وله :

١ البيت في الخريدة : ١٧٢ والمطرب : ٧١ .
٢ بياض بمقدار سطر في ب م .

تسلّ وخلّ عنك همّ جانبٍ ولا تحفلْ بطارقةِ النوائبِ
ودعْ عنكْ الأوائِلَ واطزِحْها سدىّ إن المداَرِ على العواقبِ
ولا تيأسْ وإن بعدتْ ظنونُ فإن الدهرَ يأتي بالعجائبِ
فكم ظنّ يكذبُ وهو حقّ وكم أملٌ يُصدّقُ وهو كاذبِ

وله في الثريا :

اسقنيها وللظلامِ ركودُ ونجومُ الدجى هبوطٌ صعودُ
والثريا كأنها قدّمٌ أو راحةٌ في الظلامِ أو عنقودُ

وله ١ :

رأى الحسنُ ما في خدّه من بدائعِ فأعجبه ما ضمّ منه وصرّفا
وقال لقد ألفْتُ^٢ فيه نوادرأ فقلتُ له لا بل غريباً مصنّفا

وقال يصف كتفاً بيضاء مدهونة :

وواضحة كمثلِ النصلِ تجري معَ الأبصارِ كالماءِ القراحِ
حوتْ حَلَكَ المدادِ بجسمِ نورِ كمخضَرّ الفِرندِ على الصفاحِ
جرتْ منها السطورُ على بياضِ كمجري المسكِ في ثغر الملاحِ
كأن سيّادَهُ في صفحتيها بقايا الليلِ في وجه الصباحِ

وله :

ولما استقلتُ بالشبابِ ركبهُ وأيقنتُ من شملِ الصبا بتفرّقِ^٣

١ البيتان في المغرب ٢ : ٢٣١ .

٢ المغرب : ألفيت .

٣ كذا ورد مفرداً .

وله في الصباح :

وأبيضَ فياضٍ على القوم كلما
نفى كلَّ منسوبٍ إلى المجدِ والعلا
إذا ارتاحت الدنيا إليه أصابها
أدار سُلَافاً شجتها بقراح
فساروا وقد طاروا بكلّ جناح
بنارٍ أطلَّتْ من وراء رِيّاح

وله يصف خاتماً :

وأبيضَ من شطرِ الغنى ردَّ ظهره
أديرَ كدورِ البدرِ ثم لبسته
إلى كوكبِ عالي المكانةِ غالٍ [٢٤١ب]
فلم تَرَ منه العينُ غيرَ هلال

وله :

وواثقٍ بالليالي الخادعاتِ له
وقال سَعديّ يحميني فقلتُ له
يغترُّ بالبيض لا يخشى من السّود
هل يطلبُ النّحسُ إلا كلَّ مسعود

وله :

لا تقبلنَّ قوامَ ذي عِوجٍ
كالصخرِ يعلو حين ترفعه
فرجوعُهُ أدنى من الرّجْعِ
بالقسْرِ ثمَّ يعودُ للطبعِ

وله :

ألا كلُّ خطبٍ نالني أو ينالني
فلا تغلُّ في عَتَبِ فعتبكِ موجعُ
رأيتك مثلَ السيفِ أماً غيراره
وأنتِ إلى الخيراتِ أسبقُ سابقِ
لئن حسُنوا في موطنٍ دونَ موطنٍ
إذا أنت لم تغضبِ عليّ فهينُ
ولا تَعْمَ عن عذري فعذري بين
فماضٍ وأما صَفْحُهُ فهو لين
وان أوغلوا في الصالحاتِ وأمعنوا
فإنك في كلّ المواطنِ تحسنُ

وله :

عجبتُ لها كيف استطاعتُ لحاظُها بأن طعنتُ قلبي بغيرِ سنانِ
فقلتُ وكيف استطعتُ أنتِ على هوى نفوهُ به عيناكِ دونِ لسانِ
فقلتُ لها سرِّي وسرُّكِ في الهوى يلوحُ وإنْ لم تنطقِ الشفتانِ

وله :

قد وقفَ الشكرُ بي لديكمُ فلستُ أقوى على الزيادةِ
وَنِلتُ أقصى المرادِ منكم فصرتُ أخشى من الإعادةِ

وله يصف الثريا^١ :

ألا فاسقنيها والصبحُ كأنه على الأفقِ الشرقي ثوبٌ ممزقُ
ولاحت لرائيها الثريا كأنها على جنباتِ الأفقِ كيسٌ مفتقُ

وله :

أتى زائراً والصبحُ يكشرُ نابهُ لريانَ من ماءِ الندى متضوعِ
ولاحتُ على الأفقِ الثريا كأنها مواقعُ دمعِ الساجدِ المتضرعِ

وله :

بادرُ صباحاً والثريا قد بدتُ تختالُ في ثوبِ الصَّبَاخِ المذهبِ
تبدو وينهجها الصديقُ كأنه أثرُ السجودِ على الصَّعيدِ الطيبِ

وله في وصف درقة : [٢٤٢ أ]

١ البيت الأول في المغرب ٢ : ٢٣١ .

جاءتك فاديةُ الكماةِ بنفسها بيضاءُ يغمرها العجاجُ فتَسَطَعُ
فتظلّ تقصدها الختوفُ كأنما فيها لكلّ شبا وحدّ موضع
فإذا تعاورتِ الظبّا صفحاتها ورمّت جوانبها الرماحُ الشرعُ
وردتْ ورود الإبلِ وهي رويّةٌ تُدقّني السقاة من الحياضِ وترجع

ومن حكمه^١ :

- الفاضلُ في الزمانِ السوءِ كالمصباحِ في البرّاح ، قد كان يضيء لو تركته الرياح .
- ومنها :
- لنكنّ بالحالِ المتزايدة أغبطَ منك بالحالِ المتناهية > فالقمر آخر إبداره ، أوّل إبداره < .
- لنكنّ بقليلك أغبطَ منك بكثير غيرك ، فإن الحيّ برجليه ، وهما ثنتان ، أقوى من الميتِ على أقدام الحِمَلَةِ ، وهي ثمان .
- المتلبّسُ بمالِ السلطان كالسفينة في البحر ، إن أدخلتْ بعضه في جوفها أدخل جسيعها في جوفه .
- الحازمُ منْ شكٍّ فروى وأيقنَ فبادرَ .
- ربّ سامحٍ بالعطاء على باخلٍ بالقبول .
- ابن آدم ، تدمُّ أهل زمانك وأنت منهم ، كأنك وحدك البريء ، وجميعهم الجريء ، كلا بل جنبتَ وجنّيتَ عليك ، فذكرت ما لديهم ، ونسيت ما لديك .
- اعلم أن الفاضلَ الزكيّ لا يرتفعُ أمره حتى يَظْهَرُ قلبه ، كالسراج لا تَظْهَرُ أنواره أو يرفعَ مناره ، والناقصُ الدنيء الذي لا يبلغُ لنفعه إلّا بوضعه كهوَجَلِ السفينة ، لا يَنْتَفِعُ بضبطه ، إلّا بعد الغاية من حطّه .

وله^٢ فصل من رسالة : توصّل الهمم — أدام الله عزك — كتوسّل الذمّم ، وربّ راقٍ بوسيلة ، ذي اشتياق > واستباق إلى فضيلة ، رَصَد فقصد ، واحتشد فتحترى

١ من هنا يبدو أن النص دخیل وأنه مأخوذ من القلائد : ٢٥٢ وانظر الخريدة ٢ : ١٧٣ .

٢ القلائد : ٢٥٢ والخريدة : ١٧٤ .

الرَّشْدَ ٨ ولما طلع بك المجدُّ من معالهِ ، وأينعَ المجدُّ في كائنه ، فلاحَ مَحْنَاكُ قمرًا زاهرًا ،
 > وفاحتَ سجاياك < زهرًا عاطرًا ، وأثارَ بأفْقك منارُ الأنوار ، ودارَ على قطبك مداره
 الفَخَّار ، ووقفَ ١ لديك بالقلوبِ ارتياحُها ، وطارَ إليكَ بالنفوسِ جناحُها ، فجوارحُ ٢
 الجوانحِ ظُهور ، ونواظرُ الخواطرِ إليكَ صُورٌ ، وقد تَحَيَّلَتْكَ نظراتُ الغيوب ،
 ويمتلكَ خطراتُ القلوب ، فخفَّتْ إليكَ بأرواحها ، وتلقَّتْكَ القلوبُ ٣ بالتماحها ،
 فقد يَرْقُبُ الصباح ، وَيُلْمَحُ القمرُ اللَّيَّاح ، وليسَ على عاشقِ الفضلِ جُنَّاح .

وكتبَ ٤ : أطالَ اللهَ بقاءَ الوزيرِ الجليلِ الأُمجدِ الأَوحَدِ وأعلَى مُرتَقاه في رفيعِ
 العزِّ ، ومنيعِ ٥ الحِرِّزِ ؛ الوزيرُ كالمطرِ الجودِ يملأُ الحياضَ ، ويُنبتُ الرياضَ ، بل
 كالقمرِ ، يقذفُ بالنورِ ، ويتدَهَّبُ بالدَّيَّجور ، وقد ألْخَفَنِي ٦ من سناه ، وسقاني < من >
 سقياه ، ما أثارَ فاضوئِي ٧ ، وجادَ فأروى ، فللهُ أيادي الوزيرِ [٢٤٢ ب] ما أنزَلَهَا
 بكلِّ فِئاء ، وأسمعها لكلِّ نداء ، حتى رعى قَصْدِي وهو قَصِي ، ووَعَى صوتي وهو
 خَفِي ، فالآنَ أضربُ بحسامِ اعتناؤهِ جَرَدَهُ ٨ ، وآويَ إلى زمامِ وفاؤهِ ٩ وكَدَّهُ ، واللهُ
 يُديمُ بقاءَهُ ، ويُعليَ ارتقاءَهُ ، حتى أظهرَ في سمانه ، وأشهرَ بأرفعِ أسمائه .

وله فصل من رقعة ٩ : مثلي - أعزك الله - في عناءِ بلا غَنَاء ، كما خُصَّ الماء ،
 زُبْدُهُ ١٠ الزُّبْدُ ، ووَعْدُهُ الأَبَدُ ، وأستغفرُ الله ، ما استهديتَ بغيرِ منار ، ولا اقتلحتُ
 بغيرِ عَفَّار :

-
- ١ القلائد : وخف .
 - ٢ القلائد : فجوارح .
 - ٣ القلائد : العيون .
 - ٤ القلائد : ٢٥٢ والخريدة : ١٧٥ .
 - ٥ القلائد والخريدة : رفعة . . . ومنعة .
 - ٦ ب م : ألْفَنِي ؛ القلائد : ألْخَفَنِي .
 - ٧ ب م . فاستوى .
 - ٨ القلائد : علاؤهُ ؛ الخريدة : علاؤك .
 - ٩ القلائد : ٢٥٨ . ١٠ القلائد : يريد .

• ولكن حُرِّمَتُ الدَّرَّةُ والضرعُ حافلٌ •

وما يُوجِعُ الحرمانُ من كَفِّ حارِمٍ كما يُوجِعُ الحرمانُ من كَفِّ رازِقٍ
وما فَعَلَتْ تلكَ الأبياتُ ، والرجاءُ الذي في بطونِ الحاملاتِ ، أزعَجَتْهُ الأرحامُ ،
حتى كثرَ عليه الزحامُ فأقام^١ ؟ وتلكَ النتيجةُ : هل حانَ نِفاسُها ، أم دامَ^٢ احتباسُها ،
أم وُلِدَتْ ثم وُئِدَتْ ، أم وَضَعَتْ لَيْلًا ، وأَرْضَعَتْ غَيْلًا ، فهي لا تدبُّ ولا تشبُّ ،
والنجمُ أَقْلٌ ، والكفيلُ غافلٌ ؟ ومهما يكنُ من أمرٍ فما ضاعَتْ إلَّا في ضِمَانِكَ ، ولا جاعتْ
إلَّا على خِوَانِكَ ، هلاَّ حَلَبْتَ ما درَّ وطب ، وَطَبَّعْتَ والطينُ رطبٌ ؟ ! فلا أمانَ من
الزمان :

• ومن ذا الذي يَبْقَى على الحدَثانِ •

وله :

ذو فطنةٍ تبصرُ الأشياءَ غائبةً كأنَّ كلَّ سماعٍ عندها نظَرُ
كأنما الدهرُ مرآةٌ تقابِلُهُ إذا تأمَّلَها لاحَتْ لهُ الصور

وله :

إذا أعرضتْ نحو الصباحِ لوى بها من الليلِ مسودُّ الجوانحِ أسحَمُ
كأنَّ على أخفافِها كلما سَرَتْ بروقًا تعقَّ الليلَ والليلُ مظلمُ
إذا قطعتْ غُفْلَ الظلامِ بعزيمةٍ مضتْ ورداءُ الصُّبحِ بالفجرِ مُعْلَمُ
نظرنا إليها ضاحكينِ إلى المني بها وهي من أينِ عوابسُ سُهَمِ

وله :

١ القلائد : أم كره الزحام ، أم استقر به المقام .

٢ القلائد : خانها .

كم طالب للغزّ لم يختَرْ له وقتاً يليقُ ولا أعدّ مكاناً
طلب التعزُّزَ فاستفادَ مدلّةً ومن التعزُّزَ ما يجرُّ هواناً

ومن قصيد :

والأجرُ إلّا في نواكٍ ذخيرةٌ والصبرُ إلّا في هواكٍ جميلُ
جُودي عليّ فما عليكِ ملامةٌ ذنبُ الحبيب وإن جفا محمولُ
أنكرتِ ما أتلّفتهِ من مهجتي ودمي بخدكٍ شاهدٌ مقبولُ [٢٤٣ أ]

وله :

وما ضرَّ لو كان الترحّلُ واحداً فكان مشوقٌ حيثما كان شائقُ

وقال :

زارتُ على خَطَرٍ وقد عَقَدَ الكرى راحاً براحِ
والنجمُ مرفوعُ الذُرى والليلُ منشورُ الجناحِ
حتى دنتُ فتساقطتُ ما بين ريحانٍ وراحِ
لله ما مَنَحَ الهوى وأتاحَ من وصل الملاحِ
خلطَ الغلائلُ بالحما ثلِ والقلائدُ بالسلاحِ
بتنا على رغمِ الرّوا صِدِ والحواسِدِ واللّواحِ
من فوقِ آكامِ الرّيا ضِ وتحتِ أذيالِ الرّياحِ
في ليلةٍ قادتُ إليّ الوصلَ من بَعْدِ الجِماحِ
فَقَضَى الرضى بالقربِ وار تاحَ الوصالُ إلى السماحِ
وأنى العناقُ على ضِعْبِ في بين أثناء الوشاحِ
تهفو عليه الوُشْحُ به ن الغصنِ والكفّلِ الرّواحِ

بتنا يضيقُ بنا التعا نقُ بين أردانٍ فساح
 والروضُ يمرحُ في الربي والريحُ تصفقُ في برّاح
 حتّى إذا ارتاب الظلا مُ بفتح أجفانٍ الأفاح
 وجلا احمرارَ الفجرِ عذ ه بياضُ صبحٍ في اتضاح
 وكأنا غسَلتُ دما ء الفجرِ أمواهُ الصباح
 عاد الفراقُ إلى القطي عة بيننا بعد اصطلاح

ولأبي الفضل ١ :

سرّوا ما امتطوا إلّا الظلامَ ركائباً ولا اتّخذوا إلّا النجومَ صواحبا
 وقد وخطّت أرماحُهم مفرقَ الدجى فباتَ بأطرافِ الأسنّةِ شائبا
 وليلٍ كطيّ المسحِ جُبنا سوادهُ كأنا امتطينا من دجاءِ النواثبا
 خبطنا به الظلماءَ حتّى كأننا ضربنا بأيدي العيسِ لبلا غرائبا
 لأمرٍ سرينا نمتطي العيسَ في الدجى ركاباً ونقتادُ الجيادَ جنائبا
 وركبٍ كأنّ البيضَ أمستَ ضرائباً لهم وهمُ أمسّوا لهنّ مضارباً ٢
 إذا ما سرّوا داسوا الهضابَ نراهةً عن الخفضِ وارتادوا الذرى والغواربا
 فما يحملون السمرَ إلّا عوالياً ولا يركبون الخيلَ إلّا سلاهما
 إذا أوّبوا ساروا شموساً منيرةً وإن أدبلّوا أسرّوا نجوماً ثواقبا
 يرِدْنَ جِمامَ الماءِ بالقاعِ أزرقا ويرتدّنَ نورَ الروضِ بالحزنِ عازبا
 إذا اعتقلوا للطعنِ سُمراً عوالياً أو اتشعّوا للضربِ بيضاً قواضبا
 رأيتَ أسوداً ينبرون > إلى الوغى عجا < لآتجارى يستسلن مذانباً [٢٤٢ ب]

١ انظر القلائد : ٢٥٥ والحريدة : ١٧٨ وفي عدد الأبيات وروايتها اختلاف عما في هذين المصدرين مما يرجح أنها ليست مقتبسة عن القلائد .
 ٢ القلائد : ضرائب .

فانكّ من قومٍ إذا أعجزتهمُ
 فما اتخذوا إلّا ظُباها وسائلاً
 إذا علقتُ بالمواردِ سوءَ خيلهمُ
 مطالبهمُ مدّثوا السيوفَ طوالها
 ولا سلّكوا إلّا شَبابها مذهبها
 رجَعنَ على بَرّحٍ وعفنَ المشاربا
 وله ^١ :

أريحَ خطاكَ فحليُ النجمِ قد نُهبها
 سلّ النجومِ هل ارتابتُ بصفحتها
 إذا استمرتُ بمجرى النجمِ سالكةً
 تهفوا الركابُ فتهدّيها أسنتها ^٢
 وباتتِ الخيلُ يقدحُنُ الحصى حنّقا
 والليلُ مثلُ عِذارِ الكهلِ شيبه
 تلكَ الفوارسُ لا تثني أعنتها
 باتوا على نشوةٍ ما نالها طربُ
 إذا أناروا القنا في ليلٍ مظلمةٍ
 وقد قضى الشوقُ من وصل الدجى أربا
 لما أثرنَ اليهنَّ القنا السلبا
 خيلتُ المجرةَ من آثارها ندبا
 كأنما عارضتُ أطرافها الشهبا
 حتى تضرّمَ جبلُ الليلِ والتهبا ^٣
 جورُ الزمانِ على الأحرارِ فاختضبا
 عن وجهةٍ أو ينالَ السيفُ ما طلبا
 وقد أداروا بكاساتِ السرى نخبا
 شالوا النجومَ على أطرافها لهبا ^٤

١ انظر القلائد : ٢٥٦ والخريدة : ١٧٢ .

٢ القلائد : فتهدينا أسنتنا .

٣ القلائد : تضرّم ذيل الليل .

٤ القلائد : هاجها .

٥ القلائد : حذبا .

فصل يشتمل على طوائف مقلين من سكان هذا الجانب الشرقي من الأندلس ، تنمة لمعانيه ، واستيفاء لغايات الإقتان فيه

وقد أذكرُ الشاعرَ ليس له شعر كثير ، ولا إحسانٌ مشهور ، إما
لاشتهارٍ ذِكره ، أو لخبرٍ يتعلّقُ بشعره . منهم :

أبو عبد الله بن عائشة^١ : من بلنسية ، أيُّ فتى [هو] طهارة أثواب ،
ورقة آداب ، وأكثرُ ما عوّلَ على [علم] الحساب ، فهو اليوم فيه آية
لا يقاس عليها ، وغايةٌ لا يُضافُ إليها ، وله من الأدبِ حظٌّ وافٍ ، وفي
أهله اسمٌ طائرٌ ، يقولُ من الشعرِ ما يشهد له بكرم الطّبّع ، وسعة الذّرع .
كان يوماً مع أبي اسحاق بن خفاجة وجماعةٍ من أهلِ الأدب تحت
دَوْحَةٍ خَوْخٍ مُنَوَّرَةٍ ، فهبّت رِيحٌ صَرَصَرٌ ، أسقطت عليهم جميعَ
الزّهَر ، فقال ابن عائشة :

ودوحةٌ قد علّت سماءً تُطلِعُ أزهارها نجوما
هبّ نسيمُ الصّبا عليها فخلتها أرسلت رجوما
كأنما الجوّ غارَ لما بدّت فأغرى بها النسيما [٢٤٤ ب]

وينظر هذا إلى قول إدريس من بعض الوجوه :

١ كان صاحب أعمال بلنسية في أيام علي بن يوسف بن تاشفين ثم استدعي إلى المغرب فوكل
أمر الحسابات إليه (انظر ترجمته في المغرب ٢ : ٣١٤ والمطلع : ٨٤ والمسالک ١١ :
٤٥٤ والخريدة ٢ : ٢١٦ ، ٥٨١ ط . تونس) ؛ وقد وردت أشعاره في أكثر المصادر
المذكورة .

ولإخوانٍ صدق قد أناخوا بروضةٍ . وليس لهم إلاّ النباتُ ١ فِرَاشُ
فخلتَهمُ والنَّورُ يسقطُ فوقهمُ مصابيحَ تهوي نحوهن فِرَاشُ
وأنشدني الأديب أبو عبد الله محمد بن فرج الجياني ٢ لنفسه في ما يجانس ٣
[هذا المعنى] :

أضحى ابن عبدوسٍ مُعشَقَ معشرٍ قد خلطوا في حبّه تخليطاً
فهو السراجُ وهم فِرَاشُ حوله يتهافتون على سناهُ سقوطاً
وكان ابن فرج في هذه المُلَحّ من أهلِ البديه ، فأما طويلُ القصيد
فقلما رأيتُهُ نَجَحَ فيه . وكان يوماً بقرطبةَ فمرَّ به غلامٌ وسيمٌ به بعضُ
صفرة ، فقال بعض من حضر : إنه للمليح لولا صفرةٌ فيه ، فقال ابن فرج ٤ :
قالوا به صفرةٌ عابتُ محاسنَه فقلتُ ما ذاك من عيبٍ به نزلاً
عيناهُ تطلبُ في آثارٍ من قتلتُ فلست تلقاهُ إلاّ خائفاً وجلاً
وكان يوماً مع لمة من أهلِ الأدب في مجلسٍ أنس فاحتاج صاحبُ المنزل
إلى دينار ، فوجّهه عنه إلى السوق ، فدخل به عليهم غلامٌ من أهلِ الصَّرَفِ ،
في نهايةٍ من الجمال [والظَرَفِ] ، ورمى بالدينارِ إليهم من فيه تماجنًا ،
فقال ابن فرج [في ذلك] :

أبصرتُ ديناراً بكفٍ مهنهفٍ يزهو به من كثرةِ الإعجابِ

١ ط د : الثياب .

٢ انظر ترجمته في المغرب ٢ : ٥٩ .

٣ ب م : يجانسه .

٤ ط د : فقلما ينجح ؛ ب م : فما رأيتُه نجح .

٥ ورد البيتان في المغرب ٢ : ٥٩ مع اختلاف في بعض الرواية .

أَوْمَى بِهِ مِنْ فِيهِ ثُمَّ رَمَى بِهِ فَكَأَنَّهُ قَمَرٌ رَمَى بِشَهَابٍ

> عود إلى ابن عائشة < ١ .

ولما أنهضه أميرُ المسلمين إلى بساطه ، وأوضعه في بساطِ العين وفسطاطه ، هبَّ من مرقدِ خموله ، وشبَّ جَدْوَةً ٢ مأموله ، فبدا منه انزواءٌ عن الخطوة ، والتواءٌ في تسنُّم تلك الربوة ، وكان له أدبٌ واسعُ المدى ، يانعٌ كالزَّهرِ بَلَلَتْهُ الدُّدى ، ونظمٌ مُشرقُ الصفحة ، عَبَقَ النَفحة ، إِلَّا أَنَّهُ قَلِيلاً ما كان يحلّ رُبْعَهُ ، وَيَذِلُّ لهُ طَبْعُهُ ، > وقد أثبت له منه ما < يدعُ الألبابَ حائرةً ، والقلوبَ إليه طائرةً ، فمن ذلك قولُهُ في ليلة سمحت له بفتى يهواه ، ونفحت له هبةً بدَّدَتْ شملَ جواه] :

لله ليلٌ باتَ في جنبه طوع يدي مَن مهجتي في يديه
فبتُهُ أسهرُ أنساً به ولم أزل أسهرُ شوقاً إليه [٢٤٥]
عاطيته حمراء مشمولة كأنها تُعَصَّرُ من وجتيه

وله فيه وقد طُرِّزَتْ غلالةُ خدّه ، وركب من عارضه سنانٌ على صَعْدَةٍ قدّه :

إذا كنت تهوى خدّه وهو روضةٌ به الوردُ غصٌّ والأقاحُ مفلجٌ
فرد كلفاً فيه وفرط صبايةٍ فقد زيدَ فيه من عذارٍ بنفسح

وكان ٣ في زمن عَطْلَتِيهِ ، ووقتِ اضطراره وقلَّتِهِ ، ومقاساتِهِ من العيش أنكدَهُ ، ومن التحرّف أجهَدَهُ ، كثيراً ما ينشرحُ بجزيرةٍ شقر ويستريح ، ويستطيبُ هبوبَ تلك الريح ، ويجولُ في أجارعِ واديها ، وينتقلُ من نواديها إلى بواديها ، فإنها صحيحةٌ

١ وضعت هذا العنوان للتمييز بين ما سبق من حديث عن ابن فرج وبين هذه القطعة التي هي دخيلة أيضاً فهي مأخوذة من ترجمة ابن عائشة في المطمح : ٨٤ - ٨٥ وانظر النفع ٤ : ٥٣ .
٢ المطمح : لبلوغ .

٣ وردت هذه القطعة في ترجمة أبي الفضل بن شرف ، ولكنها هي نص ترجمة ابن عائشة في المطمح : ٨٤ وعنه ينقل صاحب النفع ٤ : ٥٤ - ٥٥ ولذلك حولتها إلى هذا الموضع .

الهواء ، قليلةُ الأدوية ، خَصْلَةُ العُشْبِ ، قد أحاط بها نهرها كما تحيطُ بالمعاصم الأساورُ ،
 والتوى عليها كالأرقم المساور ، والأليكُ قد نَشَرَتْ ذوائبها على صَفْحِهِ ، والروض
 قد عَطَّرَ جوانبه بنفحه ، وأبو اسحاق بن خفاجة منزعُ نفسه ، ومضرعُ أنسِهِ ، وبه
 نَفَحَ له بالمني عَبَقٌ وشذا ، وَصَرَحَ عن عيونِ مَسْرَاتِهِ القذى ، وغدا على ما أحب
 وراح ، وجرى متهاقناً في ميدانِ ذلك المراح ، وسنهُ قُربُ عهدٍ بالقطام ، ودهرُهُ
 ينقادُ للإسعادِ في خطام ، فلما اشتعل رأسُهُ شَيْباً ، وزرَتْ عليه الكهولةُ جيباً ، أقصر
 عن تلك الهناتِ ، واستيقظ من تلك السَّناتِ ، وشبَّ عن ذلك الطَوَقِ ، وأقصرَ عن
 الحنين والشوق ، وقنع باهداء تحيةٍ ، وما يستشعره في وصف تلك المعاهد من أريحيةٍ ،
 فقال [٢٤٤ أ] :

ألا خَلْيَانِي والأسَى والقوافيا أردّدها شجواً فأجهشُ باكيا
 أُوْنِ شخصاً للمسرةِ بائناً وأندب رسماً للشبيةِ باليا
 تولّى الصَّبَا إلا تواليَ فكرةٍ قدحتُ بها زنداً من الوجد واريا
 وقد بانَ حُلُوُ العيشِ إلا تَلَّةٌ تحدّثني عنها الأمانِيُ خاليا
 وبأبردَ ذاك الماءِ هل منك فطرةٌ فها أنا أستسقي لائقَ صاديا
 وهيهات حالت دون حُزُوِي وعهدِها ليالٍ وأيامٌ تُخالُ لياليا
 فقلْ في كبيرٍ عاده عائد الصَّبَا فأصبح مهتاجاً وقد كان ساليا
 فيا راكباً يستعمل الخطوَ قاصداً ألا عُدْ بشقيرٍ رائحاً أو مغاديا
 وقفْ حيث سال النهرُ ينسابُ أرقماً وهبْ نسيماً الأليكِ ينفثُ راقيا
 وقلْ لأُنْيالاتٍ هناك وأجرعِ سقيتِ أنْيالاتٍ وحييتِ واديا
 وليس بيدعٍ أن تعدّيتُ في الهوى فحييتُ من أجلِ الحبيبِ المغانيا

فصل في ذكر الشيخ الماهر أبي محمد بن السيد البطليوسي^١ : إمامُ

١ ترجمته في الصلة : ٢٨٢ والديباج المذهب : ١٤٠ والمغرب ١ : ٣٨٥ والقلائد : ١٩٣
 وأزهار الرياض ٣ : ١٠١ وصفحات متفرقة من نفح الطيب ، وأخبار وتراجم أندلسية : =

الأوان ، وحاملُ لواءِ الإحسان ، وهو بالأندلس كالجاحظ بل أرفعُ
 درجةً ، وأنفعُ لمن شامَ بَرَقَهُ أو شمَّ أَرَجَهُ ، وَشَلِبُ بَيَضَتُهُ ، ومنها
 كانت حَرَكَتُهُ ، ونُسِبَ إلى بَطْلِيَّوسَ لتردده بها ، ومولده في تَرْبِهَا ،
 ومن حيث كان فقد طبقَ الأرضَ رقعةَ ذِكْرٍ ، وسبقَ أهلَهَا بكلِّ نَزعةٍ
 فكر ، وقد أثبت من محاسنه ما يَبْهَرُ الألبابَ وَيَسْحَرُ ، ويحسده الوسميُّ
 المبتكر ، فمن ذلك قوله يصفُ طولَ ليلة :

تري ليلنا شابت نواصيه [كبرَةً] كما شَبِتُ أو في الجوّ روضُ بهارٍ
 كأن الليالي السبعَ في الأفقِ جُمِعَتْ ولا فضلَ فيما بينها لنهارٍ
 وأنشدني لنفسه من جملة أبيات :

خليليَّ ما للريح أضحى نسيمها يذكرني ما قد مضى ونسيتُ
 أبعدَ نذيرِ الشيبِ إذ حلَّ عارضي صبوتُ بأحداقِ المها وسُيِّتُ
 تلاحظني العينان منها بنظرةٍ فأحيا ويقسو قلبُها فأموت
 فيا قمرأ أغرى بي النقصَ واكتسى كمالاً ووافي سَعْدُهُ وشقيتُ

وأنشدني من أخرى له :

أيا قمرأ في وجنتيه نعيمُ لعيني وفي الأحشاءِ منه جحيمُ
 إلى كم أقاسي منك رَوْعاً وقسوةً وصَرَمًا وَسُقْمًا إنَّ ذا لعظيمُ
 ولإني لأنهى النفسَ عنك تجلداً وأزعمُ أني بالسلو زعيمُ

= ٢٤ ، ٩٧ ووفيات الأعيان ٣ : ٩٦ والخريدة ٢ : ٤٧٨ (ط . تونس) وغاية النهاية
 ١ : ٤٤٩ والشذرات ٤ : ٦٤ ومرآة الجنان ٣ : ٢٢٨ وبغية الوعاة ٢ : ٢٨٣ ؛ والمقدمة
 التي وردت هنا لم ترد في ط د س وبدأت الترجمة هنالك : « أبو محمد بن السيد البطليوسي
 من سكان مرسية » أنشدني لنفسه : خليلي ما للريح . . . الخ .

وأنشدني أيضاً لنفسه يستدعي بعضَ إخوانِهِ ، يسمّى راشداً^١ : [٢٤٥ ب]

عندي [مسكوبٌ] من الراح عبّيق فيه مئني مصطبيحٍ ومغتبِقُ
يحكي شذا المسك إذا المسكُ فُتِقُ كأنه من خُلِقِك [الحلو] خُلِقُ
كأنما كؤوسه تحت الغسقُ في راحة الساقِ نجومٌ تأتلق
[تخالها وهي تلظى كالحرق فيها حبّاباً لاح كالدرّ انتسِق]
وترى لدى المزج إذا الماءُ اندفق وأنت أنسي والمقدّي بالحدق
فاطلع طلوعَ القمر التّم اتسق في يومنا هذا إذا الظهرُ نطق
[وماجداً كم حاز في السبق سبق] يا راشداً إذا دجى الغي سبق
لله معنى طابقَ اسماً لك حق
توافقا فيك إذا الاسم اتفق

وأنشد لأخيه أبي الحسن الكاتب من جملة قصيدة :

يا ربّ ليلٍ قد هتكتُ حجابَهُ بزجاجةٍ وقادةٍ كالكوكبِ
يسعى بها ساقٍ أغر^٢ كأنها من خدّه ورضابٍ فيه الأشنبِ
بدران : بدرٌ قد أمّنتُ غروبَهُ يسعى ببدرٍ جانحٍ للمغربِ
فإذا نعمتَ برشف بدر غارب فانعمْ برشفةٍ آخرٍ لم يغربِ
حتى ترى زهرَ النجومِ كأنّها حولَ المجرة ربّ ربّ في مشربِ
والليلُ منحفرٌ يطيرُ غرابُهُ والصبحُ يطرده ببازٍ أشهبِ

وما أحسنَ قولَ المعريّ في هذا التشبيه ، وعلى لفظه عوّل فيه^٣ :

١ انظر أزهار الرياض ٣ : ١١٣ - ١١٤ .

٢ دط : أحوى الجفون ؛ س : ساق أغن .

٣ شروح السقط : ٤٢٣ وروايته هنالك :

يا ليل [بالله أذقُ غرابها موتاً من الصبح ببازٍ كُرِّزَ]
وقال تميم بن المعز^١ :

وكانَّ الصَّبَّاحَ في الأفقِ بازٍ والبدجى بين غُلبيه غرابُ
و [قد] أخذ هذا المعنى أبو محمد أخوه [المذكور] فقال ، وَنَقَّلَهُ إلى
ذكرِ الشباب :

أرى الدهرُ يَأْبَى أن يُرَى وهو مسعفُ بما الهمةُ العليا تكلفنيه
طوى جِدَّتِي طيَّ السَّجَلِ وعاضني بثوبِ بليَّ [أمسى] يبادلنيه
وطار غرابُ للشبيبة راعهُ موافاةُ بازٍ للمشيب تليه
ولم أنسَ من ليلِ الشباب وظلّه أثيثَ جناحِ باتِ يُلْحِفنيه
وعهداً تولّى باللَّبانَةِ خِلَّتُهُ لى الحِبِّ في أفواه مرتشفيه

وله^٢ يصفُ فرساً ، وهو مما اندفع في التمثيل له والتشبيه ، وخلع عليه شِيَّاتٍ لاحقٍ
والوجه : [٢٤٦ أ] .

وأقْبَ من نسلِ الوجهِ لاحقٍ قَبَيْدِ العيونِ وغايةِ المتأملِ
مَلَكَ النواظرَ والقلوبَ بحبِّه فمتى ترقَّ العَيْنُ فيه تسهَّلِ
ذي منخرٍ رحبٍ وزورٍ ضيقِ وسماوةٍ خصبٍ وأرضٍ ممحلِ

= بالله يا دهر أذق غرابها موتاً من الصبح ببازٍ كرز

والكرز من الطير : الذي سقط ريشه .

١ ديوانه : ٧٠ ، وشروح السقط : ٤٢٣ .

٢ هذه القطعة دخيلة على الترجمة الأصلية - في ما أقدر - وقد اعتمد ناقلها على ترجمة مفردة لابن السيد ألفها الفتح بن خاقان واقتبسها المقرئ في أزهار الرياض ٣ : ١٠٧ ، وقارن بالقلائد : ١٩٤ .

قَصُرَتْ لَهُ تِسْعٌ وَطَالَتْ أَرْبَعٌ وَزَكَتْ ثَلَاثٌ مِنْهُ لِلْمَتَأَمِّلِ
وَكَأَنَّمَا سَالَ الظَّلَامُ بِمَنْتِهِ وَبَدَأَ الصَّبَاحُ بِوَجْهِهِ الْمُتَهَلِّلِ
وَكَأَن رَاكِبَهُ عَلَى ظَهْرِ الصَّبَا مِنْ سُرْعَةٍ أَوْ فَوْقَ ظَهْرِ الشَّمَالِ

وحضر^١ مع ابن ذي النون بطليطلة بمجلس الناعورة ، في المنية المتناهية البهاء والإشراق ،
المباهية لزوراء العراق ، التي تنفجرُ أبداً وتقطر ، وتكادُ من الغضارة تُثْمَطِرُ ، والقادر
قد التحف الوقارَ وارتداه ، وحكم العقار في جوده ونداه ، والدولابُ يحنُّ كناقَةٍ إثر
الحوار ، أو كثكلي من حرِّ الأوار ، والمجلسُ يروقُ كالشمس في الحمل ، وأهله
يبتهجون بمثل الأمل ، والجوُّ قد عنبرته أنوؤه ، والروضُ قد بللته أندأؤه ، والأسدُ
قد فَعَرَّتْ أفواهها ، ومَجَّتْ أمواها ، فقال :

يَا مَنْظَرًا إِنْ رَمَقْتُ بِهِجَتَهُ أَذْكَرْنِي حُسْنَ جَنَّةِ الْخُلْدِ
تَرْبَةُ مَسْكٍ وَجَوْهُ عَنَبَةٍ وَغَيْمٌ نَدَى وَطَشٌ مَأْوَدِ
وَالْمَاءُ كَاللَّازُورِدِ قَدْ نَظَّمَتْ فِيهِ اللَّالِي فَوَاغِرُ الْأَسَدِ
كَأَنَّمَا جَائِلُ الْحَبَابِ بِهِ يَلْعَبُ فِي جَانِبِهِ بِالزَّرْدِ
تَرَاهُ يَزْهَى إِذَا يَحِلُّ بِهِ الْإِمْقَادُ زَهْوً الْفَتَاةِ بِالْعِقْدِ
تَخَالُهُ إِنْ بَدَأَ لِنَظَرِهِ تِمَامًا بَدَأَ فِي مَطَالَعِ السَّعْدِ
كَأَنَّمَا أُلْبِسَتْ حَدَائِقَهُ مَا حَازَ مِنْ شِمَةِ وَمِنْ مَجْدِ
كَأَنَّمَا جَادَهَا فَرَوْضَهَا بَنَائِلٍ مِنْ يَمِينِهِ رَغْدِ

وَدُعِيَ^٢ لَيْلَةً إِلَى مَجْلِسٍ قَدْ احْتَشَدَ بِهِ الْأَنْسُ وَالطَّرِبُ ، وَقُرِعَ فِيهِ نَيْعُ السَّرُورِ بِالْغَرْبِ ،
وَلَا حَتَّ نَجُومُ أَكْوَاسِهِ ، وَفَاحَ نَسِيمُ رَنْدِهِ وَآسِهِ ، وَأَبْدَتْ صُدُورُ أَبَارِيْقِهِ أَسْرَارَهَا ،
وَضَمَّتْ عَلَيْهِ الْمَحَاسِنُ أَزْرَارَهَا ، وَالرَّاحُ يَدِيرُهَا أَوْطَفُ ، وَزَهْرَةُ الْأَمَانِي تَجْنِي وَتَقْطِفُ ،
فَقَالَ^٣ :

١ انظر ازهار الرياض ٣: ١٠٧ والقلائد : ١٩٤ ونفح الطيب ١ : ٦٤٤ .

٢ انظر ازهار الرياض ٣ : ١١٠ .

٣ هنا تجده نسب الأبيات لأبي محمد مع أن صاحب الذخيرة أوردتها من قبل ص : ٧٩٢ لأخيه
أبي الحسن .

يا ربَّ ليلٍ قد هتكتُ حجابَه بمدامه وقادة كالكوكب [٢٤٦ ب]
..... (الآيات)

وله في وصف فرس :

وأدهمَ من آلِ الوجيه (الآيات)

ودخل^١ سرقسطة أيام المستعين ، وهي زهرة الدنيا ، وفتنة المحيا ، ومنتهى الوصف ، وموقف السرور والقصف ، فنزل منها بمثل الخورنق والسدير ، وتصرف فيها بين روضة وغدير ، وكان فرّاً من ابن رزين ، فرار السرور من نفس الحزين ، وخلص من اعتقاله ، خلوص السيف من صقاله ، فقال :

هم سلبوني حُسنَ صبري إذ بانوا بأقمار أطواقٍ مطالعها بانُ
لئن غادروني باللّوى إنَّ مهجتي مسائرةٌ أظعانهم حيثما كانوا
أحبابنا هل ذلك العهد راجعٌ وهل عنكم لي آخر الدهر سلوان
ولي مقلةٌ عبّري وبين جوانحي فؤادٌ إلى لقاءكم الدهر حنان
تنكرت الدنيا لنا بعدَ بعدكم فعاودنا من مُعضِل الخطب ألوان
أناخت بنا في أرضٍ شنتمريةٍ هواجسُ ظنّ خانٍ والظنّ خوآن
رحلنا سوامَ الحمد عنها لغيرها فلا ماؤها صدأ ولا الثبت سَعْدان
إلى ملكٍ حاباه بالمجد يوسفٌ وشاد له البيت الرفيع سليمان
إلى مستعينٍ بالإله مؤيدٌ له النصرُ حزبٌ والمقاديرُ أعوان [٢٤٧ أ]

وكتب مراجعاً^٢ :

ليس بالمستنكر أن طرت سبّاً غيرُ مدفوعٍ عن السبق العرابُ

١ انظر أزهار الرياض ٣ : ١٢١ .

٢ هذه القطع حتى آخر ترجمة ابن السيد لم ترد في القلائد ، ولا في الترجمة التي نقلها المقرئ في أزهار الرياض ، وأكبر الظن أن المقرئ لم يورد جميع تلك الترجمة .

واقاني - أعزك الله - كتابٌ شغل حاستي سمعي وبصري ، وملاً حافتني فكري
 وخطري ، وأراني الدرّ إلا أنه لم ينظّم ، وأسمعي السحر إلا أنه لم يحترّم ، لو صبغ
 عِقْدًا لأخجل الدرّ والعقيان ، ولو حيكَ بُرداً لعطل الديباج والخسروان ، فله
 قريحةٌ أذكت ناره ، وأطلعت أنواره ، إن مُزنتها لغير جهام ، وإن سيفها لغير كهام ،
 وإن ثمرها < ... > ونضار ، وإن زندها لمرخّ وعفار ، حبذا سيدي - أدام الله
 عزّه - وقد طلع علينا طلوع البدر في الغسق ، وضمح أفقها بخلوق ذلك الخلق ،
 واقتدحنا زئد ذكائه فأورى ، ولمحنا كوكب سمائه فأعشى ، وشاهدنا به البلاغة شخصاً
 محسوساً ، والرئيس المتعاطي البراعة مرءوساً ، أقدمه الله خير مقدم ، وأغنمه أفضل مغم .
 وكتب مستديعاً : نحن - أعزك الله - في مجلس مدامٍ تديرنا أفلاكه ، وعِقدِ
 نظامٍ نظمنا أسلاكه ، بين غيم يكي بمثال عين المهجور ، وروض يضحك عن مثل
 درّ الثغور :

ومدامٍ كأنما كلُّ شيءٍ يتمنى نخير أن يكونا^١
 أكل الدهر ما نجسم منها وتبقى لبايها المكنونا

فلك الفضل في الخفوف إلينا لتكون شمس تلك الأفلاك ، ووُسطى تلك الأسلاك ،
 إن شاء الله .

وكتب في مثل ذلك : ما ظنك - أعزك الله - بعروسٍ لهو ، تختال في ثياب عجبٍ
 وزهوي ، وتصبي القلوب بحسن قصفٍ وشدو ، قد سمرت من وردها عن خلدٍ خجيلٍ ،
 ورّكت من نرجسها بطرفٍ غير مكتحل ، ونحن بين فرشٍ مرفوعةٍ ، وأكوابٍ
 موضوعة ، فبادر إلينا .

وأنشدت لابن هند الداني^٢ وقد طلّقت عليه امرأته :

١ لابي نواس ، قطب السرور : ٦٩٧ .

٢ ترجمته في المغرب ٢ : ٤٠٨ والخريدة ٢ : ١٨٦ وورد اسمه في المغرب « ابن هندو »

وانظر نفح الطيب ٣ : ٢٦٥ حيث ورد الاسم كذلك .

أَبْدَيْتُ سَرِّي مَذْكَتَمْتُ سُرَاكِ
وَنَثَرْتُ أَسْلَاكَ الدَّمُوعَ مَعْرَضاً
أَرْخِيمةَ الْأَلْفَاظِ غَيْرَ رَحِيمةٍ
لَا دَرٌّ دَرٌّ صَبَاكِ لَاسْتِحْلَالِهِ
هَبَّتْ ضَحْيٌ وَأَهَابَ طَيْبُ نَسِيمِهَا
لَمَّا أُسْرُوا الْبَيْنَ أُسْرُوا وَالِدَجِي
فَطَفَقْتُ أَنْشُدُهُمْ وَأَنْشُدُ بَعْدَهُمْ

وَعَصَّيْتُ صَبْرِي مَذْ أَطْعْتُ هَوَاكِ
أَنِّي بَحِثُ سَلَكْتُ لَا أَسْلَاكِ
الدَّلُّ دَلَّكَ أَمْ نَهَاكَ نَهَاكَ
مَا لَا يَحِلُّ وَدَرٌّ دَرٌّ صَبَاكِ
حَتَّى عَرَفْتُ بِعَرَفِهَا مَثْوَاكِ
مَتَلَفَعُ الْأَرْجَاءِ بِالْأَفْلَاكِ [٢٤٧ ب]
« يَا دَارُ جَادِكِ وَابِلٌ وَسَقَاكِ »

ومنها :

هَلَا بَعَثْتُ وَلَوْ بِفَرْعٍ بَشَامَةٍ
وَقَرَأْتُ حِينَ قَرِيتُ^١ رِبْعَكَ أَدْمَعِي
يَا بِنْتَ مَعْتَنَقِ الْفَوَارِسِ بِالْقَنَا
لَا قِرْنَ أَرْهَبُهُ سِوَاكِ وَإِنْ غَدَا

عِنْدَ التَّرَحُّلِ أَوْ بَعُودِ أَرَاكِ
مَعْنَى الْجَوَى وَالشَّوْقِ فِي مَغْنَاكِ
وَالْبَيْضِ مَا أَنَا مَنُ يَهَابُ أَبَاكَ
شَاكِي السِّلَاحِ فَإِنَّ قَلْبِي شَاكَ

ومنها :

أَهْوَاكِ حَالِيَةً وَعَاطِلَةً^٢ وَإِنْ
وَيْسَرُهَا مَا سَاعَنِي مِنْ حَبِهَا
مَهْمَا زَحَلْتُ وَصَارَ حَبُّكَ قَاطِنًا
رَفَقًا بِقَلْبٍ أَنْتَ فِي سَوْدَائِهِ
وَعَزِيمَةً أَمْضِيَّتِهَا لَمْ أُخْلِهَا

تَذَرِي الْحَلِيَّ كِفَاكِ بَعْضُ حَلَاكِ
كَالرَّوْضِ يُضْحِكُهُ السَّحَابُ الْبَاكِ
فَالْمَوْتُ فِي أَوْلَاكِ أَوْ أَخْرَاكِ
فَهُنَاكَ أَسْكُنُكَ الْهَوَى فَهَنَاكَ
مِنْ عَزْمٍ^٣ أَخْتَاذُهَا تَرَاكَ

١ ب م : نزلت .

٢ د ط : عاطلة وحالية .

٣ ط د : حزم .

فعلَ الكرامَ ولاني لزعيمهم فاخترتُ تسريحاً على إمساك
ولو أني أحبيتُ ذاك لردّها للقول مرهفةً وجردُ مذاكي
فالحقُّ أبلغُ لا شهادةُ كاذبٍ من جهله يزكو وليس بذاك
يحيي ويقتل بالشهادةِ وهو لا يدري ، فأفّ ليزوره السفّاك

واعترض الحاجبُ منذر بن هود يوماً بعضَ الجنود ، وزعيمهم بعض
أعلاج العبيد ، يسمى خياراً ، في نهاية من الجمال ، فجعل ينفعُ في القرن
لجمع أصحابه كعادة أعلاج العبيد ، فقال ابن هند ارتجالاً :

أعنْ بابل أجفانُ عينيك تنفثُ وعن قوم موسى [قد جعلت تحدّثُ]^١
أني الحقّ أن تحكي سرافيلَ نافخاً وأمكثَ في رمسِ الصدود وألبث
عساكَ خيار الحسنِ^٢ تأتي بآيةٍ فتنفخَ في ميّتِ الغرامِ^٣ فيبعث

ووجدتُ له في بعض [التعاليق] هذه القصيدة منسوبةً إليه بخط عبد الجليل
ابن وهبون المرسى ، أولها :

فرقتُ لتوديعِ الخليطِ الموافقِ وقد حُصيتُ بالبيض سودُ المفاقرِ
ولا ثغرَ إلاّ دونه ثغرُ بارقٍ ولا خدّاً إلاّ دونه حدُّ بارقٍ^٤
أمانيّ تحميمها المنايا وللهمى بها موردٌ يغري مشوقاً بشائقِ [٢٤٨أ]
ومما شجاني شدوُ أوركِ ساجعٍ يراجعهُ تنعابُ أسفعِ ناعقِ

١ النفخ : أنت للعهد تنكث ؛ س : حزت قريباً تحنّحت .

٢ النفخ : نبي الحسن .

٣ النفخ : ميت الصدود .

٤ ط د : لتفريق .

٥ د ط : حجبت .

٦ ط د : خد خارق .

وفكَّ معسَى النَّائحين كليهما
فمن ذاتِ قَلْبٍ فوقَ وجناء خيفٍ
ومن عاتقٍ فعلُ الحليِّ بجيدها
من اللائي لا الأقراطُ يرضين زينةً
شققن قلوباً لا جيوباً كرامةً
وضاعف وجدي عطفُ صدغٍ معقربٍ
ولينُ قدودٍ كالغصون يعوقها
فأبديتُ ما أخفيتُ والموتُ حاضرٌ
فأقبلن يُسدِلنَ البراقعَ عِفَّةً
وسِرْنَ يؤمِلنَ الحمى فتزلنه
وإني لمن حاز الغبيطَ لغابطُ
سيلحقني بالحى من كلِّ وجهة
عليمٌ بسريَّ جسمه جسمٌ [مقرب]
وأسمرُ مهما سرتُ سار مسامري
ومن شيمي حبُّ الحسامِ كأنه
وليلٍ يظلُّ النجمُ فيه كأنما
سريتُ ودوني كلِّ خرقٍ كأنما
فما راعهم إلاَّ الكرى قد أطاره
ومن لم يعرضْ للمهالكِ نفسَه
وأجدرُ من نال الأمانى ساكنٌ
وأخلقُ خلقٍ بالمدائحِ ماجدٌ
ثنيتُ عناني بالمودة نحوه
فأوردني من بيرهِ وثنائهِ
ترنمُ حادٍ بالمطايا وسائق
تسيرُ ومن قَلْبٍ هنالك خافق
يذكرها فعلُ النجادِ بعاتق
لهنَّ ويستحسنُ لبسَ القراطق
لنا ونثرن الدرَّ فوقَ الشقائق
كنونُ أجادت خطها كفَ ماشق
إذا مسنَّ أن تنقدَّ شدُّ المناطق
ومثلي لا يزهى بحبِّ منافق
ويرميننا من كلِّ لحظٍ براشق
لإسَادِ عَشْرِ بعدَ وَخْدِ الأيائق
على صابحٍ بالوجد قلبي وغابق
أخو الريح من آلِ الوجيه ولاحق
كريمٍ ولكنْ نفسه نفسُ عاشق
وأبيضُ مهما نمتُ نام معانقي
إذا شيمَ في الهيجا تألقُ بارق
مغاربهُ موصولةٌ بالمشارك
تُرَدِّدُ فيه الجنُّ لحنَ مخارق
صليلُ العوالي أو صهيل السوابق
وفاءً لمن يهوى فليس بوامق
ظهورَ المذاكي في بطون السماتق
صليبُ قناة الدين لَدُنْ الخلائق
مُجْدَأولم [أحفل برأي] [المحاتق] [٢٤٨ ب]
رواءٌ لظمآن ومسكاً لناشق

ومن كأبي عبد الإله مؤملاً
 جري بميدان العلوم مؤيداً
 فما شئتُهُ من طاعنٍ فيه خارق^١
 فأعجبُ له من ناظمٍ فيه ناثِرٍ
 جميلُ الأيادي في المبادي معيدها
 إذا استمطر الذهنَ الذكي تفتحت
 فيا لك من مستعذبِ العرفِ عاطِرٍ
 لعمرِكَ إجلالاً لما أنسا حالفُ
 لقد أهدقتُ بي من أياديك منةً
 وعاقَ لساني أن يطيلَ عنانه
 واني ان قصرتُ بالشكرُ مسهب
 فقلْ لأناسٍ أملوا نيلَ شأوهِ
 فدونكها من مُخلصٍ لك ممحضٍ
 ومن لم يساعدهُ الرشادُ فغيته
 إذا الجدلُ لم يجدي عليك فلا تكنُ

لقمع أباطيلٍ ونصرِ حقائق
 على قرينه في المأزق المتضايق
 وما شئتُهُ من ضاربٍ فيه فائق
 وأعجبُ له من فاتقٍ فيه رائق
 حميدُ المساعي في العلا والطرائق
 أزهيرُ علمٍ في رياض المهارق
 ويا لك من مستغربِ الحُسْنِ رائق^٢
 به قولَ ذي ودٍ وحلقةَ صادق
 تذكّرني في الحسنِ زهرَ الحدائق
 أمورُ عرت^٣ والمرء رهنُ العوائق
 يطيلُ وإن أبصرتهُ غيرَ ناطق
 مكانكمُ فالشاهُ ربُّ البيادق
 هو العليقُ إلا أنه غيرَ نافق
 مفيدُ الأعادي من جهاتِ الأصادق
 من الجدلِ ما حاولتَ شيئاً بوائق

وأنشدت لأبي عامر بن زهرة الصائغ من دانية في ابن هند هذا، إذ
 طلقت عليه امرأته :

لا تلوما نجلَ هندٍ يا خليلي وكُفّا

١ ط د س : حاذق .

٢ بعد هذا البيت وقع في ط د س بيت أوله «فقل لأناس . . .» وسيأتي حسب موضعه في ب م .

٣ ط د : عدت ؛ س : عفت .

فهو في الناس رشيدٌ أبصرَ الغيَّ فكفماً
طلّقَ الفرجَ^١ ثلاثاً^٢ وابتنى^٣ بالزبّ ألفاً

وسرق رجلٌ من دانية دنانيرَ لرجل اسمه غالب ولم يعاقبْ ، فقال
ابن زهرة :

أفي الحقّ أن يدرا ويدراً حده وقد غلّ شطراً من دنانير غالبٍ
وتقطعَ مخزوميةٌ في نجارها تمتُّ بقربي من لؤي بن غالب

وأنشدت لأبي بكر الغرضي الداني وخاطب بها أبا الحسن بن سابق ،
صاحب سوق بلنسية [٢٤٩ أ] :

يا ماجداً أصبح ممنوحاً بكلّ فضلٍ بانَ تصريحا
طالت مواعيدك لا معدماً فاستقصرت في عمره نوحاً
واستقبلتُ رُسليَ أعيانها من فرطٍ ما حملتها ريحاً
لعلّ اسرافيلَ إذ زاركم ينفخُ في بيت الدجى روحاً

فأجابه ابن سابق :

يا مخطيءَ التقدير^٣ إني [امرؤ] مكابدٌ منك تباريحاً
قستَ بما تبصره باطني إن شئتَ خذ سريَ مشروحاً
كم ضاحكِ السنّ [إذا] جردوا أثوابه^٤ ألفيَ مجروحاً
إليه أبا بكرٍ لقد غادرتُ دمعيَ أبياتك مسفوحاً

١ ط : الحرج .

٢ ب م : وانثنى .

٣ ط د س : التدبير .

أبكيك من حرٍّ أخِي فطنةٍ أصبح بالحرمانِ مفضوحا
سبحانَ من صبرَ مثلي على قلةٍ قدرِي منك ممدوحا
محملاً رُسُلكَ مهما أتوا برقعةٍ من لفظك الريحا
من بعد أن كنت بكاسِ الغنى والعزِّ مغبوقاً ومصبوحا

ولأبي بكر الفرضي من جملة أبيات :

قالت وقد نَشَرَ الصِّباحُ رداءَه وَجَبَّ الصَّبُّوحُ فعاطِنِي الجِرْيالا
فسقيتُها حتى انتشتُ وتمايلتُ كالغصنِ حركه النسيمُ فمالا
وشربتُ فَضلاتِ الكؤوسِ وقد أبتُ الا لتجعلَ قبلها الأنقالا^١

وأنشدني الشيخ أبو [جعفر] أحمد بن عنق الفضة^٢ من مدينة سالم لنفسه :

رضيَّ [جاء] عن لحظاتٍ غِضابٍ وَعَتَبِي . تحاولُ مَحَوَ العتابِ

يقول فيها :

فلولا حياءُ المحيّا وما عراني [لفقد] الصِّبا من تصابي
لمرَّغتُ خدي وألَفْتُ بين هشيمِ المشيبِ وروضِ الشبابِ
وأول من أفرغ على هذا المعنى وصبَّ على هذا القلب ابن الرقاع^٣
بقوله : [٢٤٩ ب]

لولا الحياءُ وأنَّ رأسيَ قد عسا فيه المشيبُ لزرتُ أمَّ القاسمِ

١ ط د : نقلها ؛ س : الاثقالا .

٢ في المغرب ٢ : ٤٦٢ ترجمة لجعفر بن عنق الفضة من مدينة سالم ، فلعله هو .

٣ انظر الشعر والشعراء : ٥١٦ وياقوت (جاسم) والكامل ١ : ١٤٨ والأغاني ٩ : ٣٠٥ .

وقال تميم بن المعز^١ :

والله لولا أن يقالَ تغيّراً وصبا وإن كان التصابي أجدر
لأعاد تفاحَ الحدود بنفسجاً لثمي وكافورَ الترائب عنبرا

ولو قال تميم في هذا البيت :

لأعاد وردَ الوجنتين بنفسجاً لثمي

لتمَّ له الوصفُ ، وَحَسُنَ الرَّصْفُ ، لكونِ الورد من قبيل البنفسج ،
كما جمع بين الكافور والعنبر ، وسلم بذلك من كل ناقد ، لأنهما من قبيل واحد .
وقال محمد بن هاني^٢ :

والله لولا أن يُسَفَّهني الهوى^٣ ويقولَ بعضُ القائلين تصابي
لكسرتُ دُمْلُجها بضيقِ عناقها ولثمتُ من فيها البرودِ رضاها

وأنشدت لأبي محمد بن سفيان^٤ وزير الأمير ابن قاسم صاحب حصن
البونت من جملة أبيات خاطبَ بها أبا عيسى بن لبون :

ألاموا وقالوا مذنبٌ ومُليمٌ وعرضيَ من تلك الهناتِ سليمٌ
وما فيّ ما يُنْعَى ولكنَّ سؤدداً هوتَ لذوي الرجحان فيه نجوم
فقلتُ وجفني قد تداعتْ شئونهُ وحرُّ ضلوعي مُقْعِدٌ ومقيم

١ ديوان تميم : ٤٦٢ وهي من الإضافات إلى الديوان ، وانظر التخريج في الحاشية .

٢ ديوان ابن هاني^٢ : ١٩٨ .

٣ دطس : الوري .

٤ ترجمته في القلائد : ١٣٦ .

لئن دَهَمْتُ دَهْمُ الخطوبِ وآلْتُ
يَجْلِي دَجَى عَمَائِهَا فَجَرُّ رَأْيِهِ
فإن أبا عيسى أغرُّ كريم
وينقض منها والزمانُ بهيم

ومن جواب أبي عيسى :

ليهنِكَ مَجْدٌ مُحَدَّثٌ وقديمُ
بني لك سفيانُ وقد زدتَ يا ابنَه
بناه كريمٌ قد تلاه كريمُ
وهل طاب فرعٌ أو يطيبَ أروم
كأنك تمثيلاً سماءُ جلاله
لها من ضروبِ المعلّواتِ نجوم

ومنها :

وأسمَرَ عريانٍ من الغُشمِ^١ جاهلٍ
إذا جَنَّةُ الأقلامِ يوماً تَمَرَّدَتْ
وأما إذا صرَفْتَهُ فعليمُ
وان خطَّ قرطاساً بدا فوقَ صَحْنِهِ
فأذني مراميه لهنَّ رجوم
يعطلُ سحرَ السحرِ سحرُ بيانه
نثيرُ لآلٍ تارةً ونظيم
رأتكَ المعالي هادياً عالماً بها
ويَقَعْدُ حدَّ السيفِ حينَ يقومُ [٢٥٠ أ]
يَهْبُ على الآفاقِ ذكركَ عاطراً
فلاذتُ بمن يَهْذِي بها ويهيم
ودونكها والعدرُ ما قد عَلمْتَهُ
كما هبَّ من نحوِ الرياضِ نسيم
نتيجةُ فكري قد تَقَلَّبَ^٣ ميزه
همومٌ تتسيّ ، خطيئُهُنَّ عظيمُ^٢
وحقٌّ فإن الماءَ قد بلغَ الزبى
سواءٌ صحيحٌ عنده وسقيم
[على أنني صعبُ القياد إذا دَهَمْتُ
ولا زَمَ من صرفِ الخطوبِ عزم
وما المجدُ إلا ما ابتنته ثلاثةُ
دواهٍ فإني بالدفاعِ زعيم
وحسامٌ ونفسٌ حرةٌ وعزيم]

١ د ط : القضب .

٢ د ط س : هموم .

٣ د ط س : ذهن . . . تفلت .

فإن مرَّ منك النقدُ منها بسقطةٍ فحلمك يُغضي والكريمُ حلِيم

وأنشدت ليحيى السرقسطي المعروف بالجزار^١ في رجل ساوم طبيباً :

عجبت لذي سقم معضل يسوم الطبيب ويكدي عليه
يضمنُ عليه بديناره ويجعل مهجته في يديه

وأمر الحاجب ابن هود الوزير أبا الفضل بن حسداي أن يوبخ يحيى هذا على رجوعه إلى الجزارة من بعد أدبه ، فخاطبه بأبيات أولها :

تركت الشعرَ من ضعفِ الإصابه وعدتَ إلى الدناءة^٢ والقصابه^٣

فأجابه يحيى الجزار :

تعبُ عليّ مألوفَ القِصابه^٤ ومن لم يدِرِ قَدَرَ الشيءِ عابَه^٥
ولو أحكمتَ منها بعضَ فنٍّ لما استبدلتَ منها بالحجابه
أما ولو اطلعتَ عليّ يوماً^٦ وحولي من بني كلبٍ عصابه
لهالك ما رأيتَ وقلتَ هذا هزبرٌ صيرَ الأوضامَ غابه
فتكنا في بني العزّي فتكاً أقرَّ الذُّعْرَ فيهم والمهابه
ولم نُقلِّعْ عن الثوري حتى مزَجنا بالدم القاني لعابه
ومن يغرَّ منهم بامتناعٍ فإنَّ إلى صوارمنا إيابه
ويبرزُ واحدٌ منا لألفٍ فيغلبهم وتلك من الغرابه

١ ترجمته في المغرب ٢ : ٤٤٤ وانظر نفح الطيب ٤ : ١٥٢ وزاد المسافر : ١٤٠ .

٢ النفح : وملت إلى التجارة ؛ زاد المسافر : وعدت إلى التجارة .

٣ زاد المسافر : فانك لو نظرت إلي فيها .

٤ زاد المسافر : لهالك منظري ولقلت .

ومنها :

وحقّك ما تركتُ الشعرَ حتّى رأيتُ البخلَ قد أمضى شهابه^١
وحتى زرتُ مشتاقاً حميماً^٢ فأبدى لي التّجهّمَ والكآبه [٢٥٠ ب]
وظنّ زيارتي لطّلابِ شيءٍ فنافرني وغلّظَ لي حجابهِ
ومن تكُ سهمتهُ الماضي ويأملُ بك الغرضَ الذي يهوى أصابهِ
من الأوشالِ لجُ البحرِ طامٍ وفيضُ البحرِ من نُقْطِ السحابهِ
كتبْتُ به عليلَ الجسمِ نضواً وذو الأسقام قد يعدو صوابهِ
وموقفُ حُسنِ نقدِ الشعرِ صعبٌ فيسرُ عند موقفهِ حسابهِ

وأنشدت له من أبياتٍ خاطبَ بها صاحبَ الأحكام بسرقسطة :

خليليّ ما أولى المكاوي وبأسها ييافوخ من يبتاعُ داراً مُطبّله^٣
وصبّحتي خصمٌ ألدّ ولاني وحقّك في أمرِ الخصام لذو بلكه
أقلّ بنياتٍ^٤ الخصوم تهدّني ولان عن نظم الشعر طبقتُ مفصلهِ
ومالي من شيءٍ أدافعهُ به سوى عُسرةٍ بكلّ حالي موكلهِ
ولي مقعدٌ خمسون يوماً مضتُ بما حوتهُ يدي في قابضاتِ مسهله
فكن باسط الشورى بفضلِكَ قاضياً عليّ ولي إن القضاء لمعدّله^٥
ولم ألتمزُ مجهولَ وقتٍ لوزنه وحسبك ذا رسمي بخطّ ابن حنظله

وكان والده تقبّل أرضاً للأحباسِ فضاع ، واجتمع عليه خراج الأرض ،
فكتب إلى العامل في ذلك :

١ المغرب : أذكى شهابه ؛ النفح : أوصى صحابه .

٢ المغرب : حبيباً ؛ النفح : خليلي .

٣ ب م : بنيات ؛ ط د س : فتيات .

٤ ط د س : أمر .

يا أبسا جعفر^١ لعا من عثار
 سيدي اسمع لعبدك القن^٢ [يحيى]
 كان لي والد^٣ وكان لعمرى
 ناقص^٤ الرأي تاجر البر والبحر
 مثل ما سمي اللدبع سليماً
 وكذا يسلك النجيب ويقفو
 لو وردت البحار أطلب ماءً
 أو لمست العود النضير بكفتي
 أو رمى بأسى النجوم الدراري
 ولو آني بعث القناديل يوماً
 ومنها في كراء الأرض المذكورة :

اكثرها ولم يكن مستخيراً
 جدبة^٥ بعضها من الشؤم أضحى
 لم يزل زارعاً بها حمل بغل
 ساءني ما أصبت فيها ولكن
 ما أبالي وقد غدا لي ركناً
 وقت شؤم بطالع الإدبار
 في علو^٦ وبعضها في انحسار
 رافعاً منه نصف حمل حمار
 سرتني منه خيبة العشار
 صاحب الشرطة الكريم النجار
 وله من أبيات استهدى فيها مشروباً :

هاتها كوثرية^٧ عسجدية^٨
 بنت كرم^٩ رحيقة عطرية^{١٠}
 كلما شفها النحول تقوت^{١١}
 فاعجبوا من ضعيفة وقوية

١ س : أبا عامر . ٢ ط د : كامل .

٣ هذا البيت ورد في المغرب ٢ : ٤٤٥ ومعه بيت آخر وهو « ولو آني بعث القناديل . . . »

ربّ خمارةٍ سريت إليها والدجى في ثيابه الزنجيه
وجيوشُ الصّبا تحثُّ ركابي وشياطينُهُ تجدد نيه
ثم ناديت ربةَ الدير قومي فتمثنت^١ كأنها حوريّه
تمسح النومَ عن جفونِ أُمّاقٍ ببنانٍ مخضّبٍ فضيه
قلت هاقي التي بها يستمال^٢ الـ شادن الصعب والنفوس الأبيه
فأتتني بها تلاًّلاً نوراً في كؤوسٍ كأنها عدنيه
كم عقارٍ بذلته بعُقارٍ وثيابٍ صبغتها خمره
ودنانٍ ثنائيَ السكر عنها مترعَ البطن فارغَ السبنيّه^٣

[ومنها] :

هاك روضاً من التأدّبِ غضاً بفصولٍ غريبه معنويّه
من شكورٍ أهدى إليك ثناءً حين لم يستطع سواه هديه
فلتقارض عليه ماءً بماءٍ لا تقلّ غدوةً ولا في العشيه
إن خيرَ البيوع ما كان نقداً ليس ما كان أجلاً بنسيّه [٢٥١ب]

ورفع بعض المستمنحين رقعةً رديئة الخطّ واللفظ للوزير أبي عبد الله بن
زراعة^٢ بسرقة ، فوقع على ظهرها :

إنّ مَنْ يقصد الملوكَ ليعطى بمدادٍ مسطّرٍ في كتابٍ
دونَ نظمٍ ولا براعةٍ لفظٍ رائعٍ حُسْنُهُ ذوي الألبابِ
لحقيقٍ بالمنع في كلّ وجهٍ وجديرٍ بالطرد في كلّ باب

١ ط د ش : فأتتني .

٢ ترجم له في المغرب ٢ : ٤٤٣ وقال انه من رؤساء سرقة ومن ساد بصحبته الملوك ، مع
البيت القديم ، وأنشد له أبياتاً ذكر أنها وردت في الذخيرة ولكنها لم ترد هنا .

ورفعت طائفة من الرعية على خازن المتنانة إلى المستعين بالله بن هود،
فوقع لهم :

نسبتم الظلمَ لعمالكم ونتم عن قبُح أعمالكم
تالله لو حكمت ساعة ما خطر العدل على بالكم

وأنشدت للأديب أبي الطاهر محمد بن يوسف الاشكوري^١ ، منسوباً
إلى قرية له بعمل سرقسطة^٢ :

يا غُصْنًا هَزَّه نَدَاهُ يَمْنَعُهُ الْحَلَمُ أَنْ يَمِيدَا
لَمْ يَثْنِ مِنْكَ الشَّبَابُ عِظْفًا وَلَا اسْتَمَالَ الْفَخَّارُ جِيدَا
غَرَّكَ مِينَ وَصَلْنَا غَرَامُ فَنَازَعَ الْوَصْلَ وَالصَّدُودَا
كُلُّ مَعْنَى سِوَاكَ أَمْسَى صَبِيًّا بَغِيرَ الْعَلَا عَمِيدَا
كَمْ شَرَفٍ فِي الْعَلَا [يَفَاعٍ] أَحْرَزَتْهُ يَافِعًا وَلِيدَا
وَمَنْطِقٍ فِي النَّدَى جُرَّازٍ أَرْسَلْتَهُ ضَامِنًا سَدِيدَا
رَاعَ جَلَالًا وَجَلَّ قَدْرًا وَفَاتَ سَبَقًا وَبَذَّ جُودَا

[ومنها] :

إِنْ تَلَقَّيْتَهُ فَالْأَنَامُ طُرًّا وَإِنْ غَدَا وَاحِدًا فَرِيدَا
[يَهْزُ مِنْكَ الْقَرِيضُ عِظْفًا وَالْمَدْحُ يَثْنِي إِلَيْكَ جِيدَا]
سَوْفَ أَوْفِيهِ مِنْكَ حِفْظًا يَحْفَظُهُ الدَّهْرُ أَنْ يَمِيدَا

١ في المغرب ٢ : ٤٤٧ أبو الطاهر يوسف بن محمد الاشكركي ؛ وفي ب م : الاسكوري ؛
ش : الأشكديري ، وورد مرة أخرى في المغرب : ٣٣ ؛ الاشكورقي ، وقال فيه إنه إمام في
اللغة وكان نه جاء عند ملوك النغر بني هود وأكثر أمداحه في المعتمد بن صمداح ملك المرية .
٢ منها أربعة أبيات في المغرب ٢ : ٤٤٨ .

وله من أخرى يخاطب رفيع الدولة بن صمادح^١ :

ألا مبلغٌ غني الرفيع تحيةً	كما نبه الروضَ النسيم المخلّق
عَدِمْتُ رسولاً بالتحية نحوه	فسار بها عني الهوى والتشوق
ونازعني ذكره شوقٌ مبرّحٌ	كما علّل الشربَ الرحيق المعنق [٢٥٢]
فيا ليت شعري هل يُعرجُ خاطرٌ	عليّ وهل يجري بذكري منطق
وإني لأخشى أن يسوِّغَ كاشعٌ	وأحذر من كَيْدِ العُدّةِ وأشفق
سواكَ لأسبابِ المودةِ قاطعٌ	وغيرك مننٌ تبلى ليديه وتخلّق ^٢

وله يشكره على مبرةٍ كانت منه لأحد بني الراضي يزيد بن المعتمد
ابن عباد^٣ :

إليك رفيعَ الملك تُهنّدي المحامد	وباسميكَ تبهي في الزمانِ المشاهدُ
سلكتَ سبيلاً في المكارمِ أولاً	لك الفضل هادٍ تفتفيه وراشدُ
وجرّدتَ دونَ المجدِ للجودِ صارماً	وللهِ حامٍ عن حمى المجدِ ذائدُ
وإنك للغيثِ الذي عمَّ سَيِّبُهُ	تساوى قصيٌّ في نذاكَ وشاهدُ
تغايّرَ فيك المكرّماتِ فكلّما	تبرعتَ عادتُ بالجزيلِ عوائدُ
بدائعُ مجدٍ أنطقَتْ كلَّ أوحدٍ	فإنك فذٌّ في البريّةِ واحدُ
ولما رأيتَ الفتحَ روضةً سؤددٍ	ذوى يانعٍ منها وجفتَ مواردُ
وكم عَدُ بُتْ تلكَ الرياضِ مُشارعاً	فعرّجَ منتابٌ وخيّمَ رائدُ
سقاه ذنوبٌ من نوالِكِ سلسلٌ	وسجَّ عليه من سحابك جائدُ

١ منها أربعة أبيات في المغرب .

٢ هنا تنتهي النسخة ب ، وقد سقطت منها ورقتان على الأكثر .

٣ منها بيتان في المغرب .

٤ المغرب : ورائد .

فأضحى وعودُ العيش رِيَانُ مَورِقُ
وعاد عليه الدهرُ سلماً وكم غدا
سلالةُ مجدٍ صرَّم الدهرُ حَبْلَهُ
وبينكما للمجد قُربى قُربىةُ
أبوك ابنُ معنٍ والمؤيدُ جدّه
لأجزلتَ برّاً واحتفلتَ كرامةً
وإني زعيمٌ والقوافي ضوامنُ
قدُمْتَ على الأيامِ تزهو بك العلا

وغصنُ الصَّبَا لدنُ المعاطفِ مائد
يحاربه منه عدوٌّ معانسد
فواصلَ منه الحبلَ أروعُ ماجد
وحسبك قُربى أنْ تطيبَ المحائد
سما بكما جدُّ همامٌ ووالد
فحيّاك مني شاكرٌ لك حامد
بشكرٍ تعاطيه الزمانَ القصائد
وحظّك موفورٌ وجدّك صاعد

وله من قصيد طويل ، خاطبه به من غرناطة وهو عابر سبيل ، أوله :

ألا هل أتى غني الرفيع سلامُ
وهل زاره عني ثناءٌ كأنما
عليك سلامُ الله أمّا تشوقي
عهدتك من ذكرى خليلك والندى
وإني لتتنيي إليك نوازعُ
تصاحبني عليك في كلّ بلدةٍ
وترفع لي إما ضللت على السرى
محارب أقيالٍ وأعلامِ سُوددٍ
لذكرك ما حنّت ركابي فشاقي
فهنّ حوانٍ كالقسيّ وإننا
أعللها أن الرفيع أمامها
فهل جاءها أن الديارَ قصيّةُ
فقلت لها لما أضرّ بها الوجى

كما فُضَّ للمسك الذكي ختامُ [٢٥٢ب]
يخامر عطفَ الدهر منه مُدام
فبرحُ وأمّا أدمعي فسجام
كما هزّ يومَ الروع منك حسام
كما اعتاد صبيّاً لوعةً وغرام
كأنّ اضطرابي في البلاد مقام
قبابٌ لكم فوق السها وخيام
بهنّ على صدرِ الزمانِ أقاموا
حنينٌ به تُطوى الفلا وبغام
مسيراً وعزماً في البلاد سهام
فتترك مَرَوَ الحزن وهو قتام
وأن وراءَ خلفتَه أمام
وقد جُدَّ منها غاربٌ وسنام

إذا ما حططتِ الرحلَ بابنِ صمادحٍ فإن السرى بسَلِّ عليك حرام
ومن لركابي أن تنيخَ بظلهِ فيخلعَ منها مِقْوَدٌ وزمام
ومن لي بأني من ذراه بروضةٍ يسحَّ عليها من نداء غمام
فأرتعَ منها في معاطفِ سَرَحَةٍ تغني بها للمكرماتِ حَمَام
وأسفرَ عن وجه من الودِّ واضح كما حُطَّ عن وجه الصباحِ لثام
مشارع أرخى الفضل فيها إزاره وضمَّ العلا والمجد منه نظام
سلامٌ على تلك المحاسنِ كلِّما تردَّد ذكرٌ في الورى وسلام

وله يعارض أبا الفضل بن حسداي في قصيدته التي أولها^١ :

عهدٌ للبنى تقاضته^٢ الأمانات بانث وما قُضِيَتْ منها لباناتُ
فقال أبو الطاهر :

وعدٌ لعلوة أن تقضى لبانات ألوت بها يومَ وشكِ البينِ علاَّتُ [٢٥٣أ]
لم تُرَضِّها منك أنفاسٌ مقطّعة حتى تقطع أطواقٌ ولَبَّات
قالت وقد أبصرت من بينها^٣ جزعي لا تيأسنَّ فإن الدهرَ حالات
وفي سبيل الهوى والشوق ما صنعت روائع البينِ لا تحزنك رَوَّعات
عوض رجاءك من يأس [ومن ترح] فلليالي وإن باعدنَ كَرَات
بيني وبينك عهدٌ سوف أحفظه وربما ضيَّعتُ يوماً أمانات

هاجنا انتهى ما أثبتته ابن بسام رحمه الله
في القسم الثالث من كتاب الفخيرة

١ انظر ما تقدم ص : ٩٢ .

٢ ط د : تقاضته .

٣ ط د : بينهم .

تعليقات

١ - ص ٤٠ س ٢١ : أشير إلى ترجمة أبي بكر ابن عبد العزيز في قلائد العقيان : ١٦٧ (صوابه ١٦٣) وهذا خطأ ، فإنها ترجمة رجل آخر اسمه أبو بكر بن عبد العزيز ويعرف بابن المرخي ، وله ترجمة في القسم الثاني من الذخيرة .

٢ - ص ٢٢٥ س ٢٠ : البيتان « لا بد من فقد ومن فاقد » قيل في التعليق عليهما : وردا منسوبين لأبي نواس في محاضرات الراغب ٤ : ٥١٣ والصحيح أن البيتين لأبي فراس الحمداني (ديوانه : ٢٢٥) واليتيمة (١ : ٥٢) ، وقد ضللتني التصحيف الواقع في محاضرات الأدباء ، واستدركت ذلك في فهرس القوافي .

٣ - ص ٣٢١ س ١ : أبيات لابن مهران ، أوردها الحميدي في الجذوة : ٣١٧ ونسبها لموسى بن الطائف .

٤ - ص ٤٤٨ س ١١ : أبو جعفر بن جرج : في الذيل والتكملة (١ : ٨٠) ترجمة لأبي جعفر أحمد بن جرج القرطبي الوزير ، وكانت وفاته بعد ٥٧٠ ، قال ابن عبد الملك : وإنما أثبت هذا هنا لأني وجدته هكذا منسوباً إلى جرج ، وما أراه أباه الأقرب والله أعلم ، ثم ترجم ابن عبد الملك لأحمد بن محمد بن جرج ، وهو قرطبي سكن مالقة ، ووصفه بأنه كان من جلة الأدباء وفحول الشعراء ،

مكثراً سريع البديهة وأنه توفي سنة ٤٨٦ ؛ ولعلّ الأوّل منهما هو الذي ترجم له ابن بسام .

٥ - ص ٤٦٢ س ٢ : ورد البيت :

ولو كنت بالعنقاء أرباً سومها لخلتلك إلّا أن تصد تراني
وصواب القراءة : أو بأسومها ، كما ورد في النسخ الخطية ، وقد
ورد البيت في الأغاني (٦ : ١٨٩) لمحمد بن عبد الله النميري ،
وهذه روايته :

فلو كنت بالعنقاء منك تطير بي لخلتلك إلّا أن تصدّ تراني
ورواه صاحب الأغاني (٢٢ : ٣٧٥) للعديّل بن الفرخ ، على
النحو الآتي :

فلو كنت في شعلان أو شعبي أجا لخلتلك إلّا أن تصدّ تراني
وأورده المبرد (الكامل ٢ : ١٠٣ ، ٢٠٦) للنميري وروايته
كما جاءت عند ابن بسام « أو بأسومها » وفي المرة الثانية (٢٠٦)
« أو ييسومها » ؛ وورد البيت في الجمان في تشبيهات القرآن لابن
ناقيا (ص : ٢٢٧) للنميري ، وروايته « أو بأسومها » . وقد
ذكر ياقوت أن يسوم اسم جبل ، ويبدو أن « أسوم » قراءة أخرى
فيه ، وإن لم تذكرها المعاجم الجغرافية .

٦ - ص ٤٧٧ س ٥ : الرجز « قد حلفت بالله لا أحبه » ، ورد في كتاب
خلق الإنسان لثابت ، وفي اللسان والتاج (زبب ، خصى) .

٧ - ص ٨٢٤ س ١١ : ورد الخبر عن الزبير بن بكار في زهر الآداب :
٧٤٣ على النحو الآتي : وقرأ الزبير بن بكار في أخبار أبي السائب
المخزومي ، فاما بلغ إلى قول مالك بن أسماء الفزاري :
بكت الديار لفقد ساكنها أفعد قلبي أبتغي الصبرا

هذا البيت نظير قول ابن وهيب :

بيننا هم سكن بحيرتهم ذكروا الفراق فأصبحوا سفرا
فظللت ذا وله يعاتبني من لا يرى أمري له أمرا

وان أبا السائب قال عند سماع البيت الأوسط : ما أسرع هذا !
أما قدموا ركاباً ؟ أما ودعوا صديقاً ؟ فقال الزبير : رحم الله أبا
السائب ، فكيف لو سمع قول العباس بن الأحنف :

سألونا عن حالنا كيف أنتم فقرننا وداعنا بالسؤال
ما أنحنأ حتى ارتحلنا فما فرقن بين النزول والارتحال

هكذا رواها الزبير بن بكار لمالك بن أسماء ، ورواها غيره لأيوب
ابن شبيب الباهلي .

٨ - ص ٨٣٦ س ٧ - ٨ : قول ابن المعتز « غلالة خده صبغت بورداً . . . »
البيت ، في الأوراق للصولي : ١٩٩ وزهر الآداب : ٧٣٠ .

فهارس الكتاب

أ - فهرس الأعلام

ابن أخى الحصاد : أبو أيوب ذو الوزارتين
١٤٠ .

أحمد (الرسول) ، انظر : محمد (الرسول) .

أحمد بن جدار ٥٨١ .

أحمد بن الحسين ، انظر : المتنبي .

أحمد بن الحصب ٢٤٤ .

أحمد بن صغون (والد أبي المطرف بن
المنثى) ٤١٠ .

أحمد بن عباس ، أبو جعفر ٢٢٧ ، ٢٢٩ .

٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٥٠ ، ٧٤٦ .

أحمد بن عتق الفضة ، أبو جعفر (٩٠٢ -
٩٠٣) .

أحمد بن غرسية ، انظر : ابن غرسية .

أحمد بن المعدل ٢٩١ .

أحمد بن يوسف بن هود ، انظر : المستعين
ابن هود .

الأخنف (ابن قيس) ٣٨٠ .

الأخطل ٤٦٣ . ٨٢٧ .

إدريس بن اليماني العبدي اليابسي ، أبو

علي (٣٣٦ - ٣٤٥ ، ٣٥٢ - ٣٦٠)

أ

آدم ٣٨٩ ، ٦٧٤ ، ٧٤٠ ، ٧٤٥ ، ٨١٠ .

إبراهيم (الخليل) ١٦٠ ، ٤٣٣ ، ٤٤٧ ،
٦٩٣ ، ٧٤٥ .

إبراهيم (ابن الأشر) ٨٠٢ .

إبراهيم بن معلّى الطرسوني . أبو إسحاق
(٨٤٠ - ٨٥٤) .

إبراهيم بن يوسف بن تاشفين ، أبو إسحاق
٦٢٣ .

ابن أبي حصاد ١٤٥ .

ابن أبي حماسة ٧٧٨ .

ابن أبي الحصال ، أبو عبد الله ذو الوزارتين
٦٣٨ ، ٦٣٩ . (٧٨٤ - ٨٠٩) .

ابن أبي عامر . انظر : المظفر بن أبي
عامر ؛ المنصور بن أبي عامر (عبد
العزيز بن عبد الرحمن) ؛ المنصور الكبير
ابن أبي عامر (محمد) .

ابن أبي الفتح (في شعر أبي حاتم الحجاري)
٦٦٤ .

ابن أبي موسى . انظر : ابن مقنة .

٨٨٧ .

ابن أدهم (القاضي) ٦٦١ .

أذفونش (الطاغية) ٤٣ ، ٩٢ ، ٩٣

٨١٤ ، ٨٦٠ .

ابن أذينة ، انظر : عروة بن أذينة .

ارسطاطاليس ٣٦٨ .

ابن أرقم ، أبو الأصبغ ١٥٠ ، (٣٦٠

— ٤٠٩) ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ .

ابن أرقم ، أبو عامر ابن أبي الأصبغ ٤٠٣ .

إساف ٧١٢ .

إسحاق بن كنداج ٥١٤ .

أبو إسحاق الماذراني ، انظر : الماذراني .

أبو إسحاق ابن ميمون ، انظر : ابن ميمون .

أسعد أبو كرب الحميري ٧٤٤ .

الأسعد بن بليظة ٤٩١ ،

أسقليبيوس ٤٧٩ .

أسماء (في شعر الأخطل) ٤٦٣ .

أسماء (في شعر ابن عطيون) ٧٧٤ .

إسماعيل (النبي) ٧٤٥ ، ٧٥٣ .

إسماعيل بن ذي النون (الظافر بن عبد

الرحمن بن سليمان بن ذي النون)

١٠٩ . ١١١ .

إسماعيل بن المعتضد عباد ، انظر : المنصور

ابن عباد ، أبو الوليد .

ابنة إسماعيل بن عباد ١٣٦ .

الأسود الغنبي ٧٣٧ .

أشعب ٧٣٩ .

ابن الأشعث ٢١٣ .

الأشكوري (محمد بن يوسف) أبو

الظاهر (٩٠٩ — ٩١٢) .

أبو الأصبغ البلنسي المتطبب ٦٥٦ .

أبو الأصبغ ابن أرقم ، انظر : ابن أرقم .

أبو الأصبغ .

ابن الأصيلي ، أبو عامر ٦٧٣ ، (٨٥٧

— ٨٦٧) .

الأعشى ٥٤١ .

أغلب (مولى مجاهد) ٤٢٧ .

ابن الأفطس ، انظر : المتوكل ابن الأفطس

(عمر بن محمد) ؛ المظفر بن الأفطس ؛

المنصور بن الأفطس (يحيى) .

أفعى نجران ٧٣٧ .

إقبال الدولة (علي بن مجاهد العامري ؛ ابن

مجاهد) ٨١ ، ١٢٧ ، ١٥٠ ، ١٦٥

١٦٩ ، ٢٢١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٣٢٢

٣٢٨ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٦١ ، ٣٧٠

٣٩٣ ، ٤٢٩ ، ٧٥٨ .

إقليدس ٢١٥ .

أكثم بن صيفي ٥٧٩ ، ٨٠٤ .

امرؤ القيس (الملك الضليل) ١٠ ، ٤٩٥

٤٩٦ ، ٥٦٧ ، ٨١٩ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨

٨٥٣ .

أمية بن أبي الصلت ٧٤٤ .

أمية بن عبد العزيز العراقي ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٩ .

أبو أمية ابن عصام ، قاضي القضاة ٥٦٦ .
أنوشروان ٨١٤ .

أوس بن حجر ٨١٨ ، ٨١٩ .

ابن أيمن ، أبو عبد الله الوزير ٢٥٣ .

ب

ابن باجة ، انظر : ابن الصائغ .

باديس بن حبوس الصنهاجي ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ٣٥٥ .

الباقلاني ، أبو بكر ٣٧٤ .

البيضا ، أبو الفرج ١٣٣ .

بشينة (صاحبة جميل) ٦٩٢ .

البحترى ، أبو عبادة الوليد ١١ ، ٢٧٣ ، ٣١٥ ، ٨٢٨ .

أبو بحر (يوسف) بن عبد الصمد . انظر :

ابن عبد الصمد .

بختيار ١٣١ ، ١٣٣ .

بدر ٣٨٠ .

بدر الحرمي . أبو النجم ١٣١ ، ١٣٣ .

بديع الزمان الهمداني ٤٩ ، ٦٠٤ ، ٦٥٣ .

البرجمي ١٠ .

ابن برد الأصغر ، أبو حفص ٨١٩ ، ٨٧٤ .

ابن برد الأكبر ، أبو حفص ٢٢ .

البرذقون (الطبيب ، الحكيم) ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٨١ .

البزلياني (محمد بن أحمد) أبو عبد الله
١٤٦ ، ١٤٧ .

ابن بسام (علي) أبو الحسن (مؤلف

«الذخيرة») ٩ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٩

٢٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٩ ، ٩١ ، ٩٢

١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٣١

١٣٦ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ٢٢٧ ، ٢٤٤

٢٧٣ ، ٣١٢ ، ٣١٩ ، ٣٣٢ ، ٣٤١

٣٤٥ ، ٣٧٢ ، ٤١٨ ، ٤٤٨ ، ٤٩٤

٤٩٨ ، ٦٥٥ ، ٧٦٦ ، ٧٩٨ ، ٨٥٠

٨٥٤ ، ٨٦٥ .

ابن بسام البغدادي البسامي (علي) ٨٤٦ .

بشار بن برد ٣٧٢ ، ٦٧٦ ، ٨٤٨ .

بشر بن عوانة ٢٧٤ .

بصبص ٧٤٠ .

بقراط ٤٧٥ ، ٦٥٤ ، ٧٣٨ .

ابن بقي . أبو بكر ٧٩٤ .

البقيلة ٢٧ .

أبو بكر الداني ، انظر : ابن اللبانة .

أبو بكر الصديق ٥٠٥ ، ٨٦٢ .

أبو بكر القرظي الداني (٩٠١ - ٩٠٢) .

٨١٤ ، (٨٢١ - ٨٣٩) .

تميم بن المعز ٨٩٣ . ٩٠٣ .

تميم بن يوسف بن تاشفين . أبو الطاهر ٦٤٣ .

التميمي الشاعر ٥٧٣ .

التنوخي القاضي ٨٢٩ .

توبة بن الحمير ٧٧ .

ابن تيفلويت (أبو يحيى وأبو بكر بن

إبراهيم) ٥٩٢ ، ٥٩٥ ، ٦٢١ ،

٦٣١ .

ث

الثرى (صاحبة عمر) ٨٠٣ .

الثعالبي . أبو منصور ١٣١ ، ٧٦٩ ، ٨٥٩ .

ثعلب اللغوي ٥٨٢ .

ابن ثوابة ١٣٢ .

ج

جابر بن عبد الله ٨٣٢ .

الجاحظ ٥٩ . ٣٨٢ ، ٥٠٥ ، ٨٩١ .

جالينوس ٣٨٨ . ٤٧٩ . ٤٨٤ .

جيريل بن بختيشوع ٦٥٣ .

ابن جبير . انظر : سعيد بن جبير .

ابن جحاف ، أبو أحمد ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٥ -

٩٨ . ١٠٢ .

ابن الجد . أبو الحسين ٩٤ . ٨٤٩ .

أبو بكر (أبو يحيى) بن إبراهيم ، انظر :

ابن تيفلويت .

أبو بكر ابن صاحب الأحباس الفقيه ٣٦٧ .

أبو بكر ابن عبد العزيز الوزير ٢٦ ، ٣٣ .

٣٩٠ . (٤٠ - ٤٤) . ٢٥٠ . ٤٥٢ .

أبو بكر ابن العربي ، انظر : ابن العربي .

أبو بكر ابن عمار ، انظر : ابن عمار .

أبو بكر بن محمد بن القاسم الأنباري ٨٤٦ .

بلال بن أبي بردة ٣٨٥ .

البليته . أبو مروان الأديب ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

البماري . أبو عامر (٥٢٩ - ٥٣٠) .

بهجة ١٨٧ .

ت

تاسلاص ٤٧٩ .

تاشفين بن علي بن يوسف ٤٠٧ .

ابن التاكرفي . أبو عامر ٤٠ ، (٢٢٦)

- (٢٤٨) . ٢٥٠ .

تبع ٧٢٩ .

تحتون . الوزير ابن أحمد ٢٧٤ .

أبو تغلب ١٣١ .

التدار الواسطي ٨٢٩ .

أبو تمام حبيب بن أوس ٣٤٣ : ٣٧٣

٦٧٧ . ٨١٣ . ٨٤٣ . ٨٧٢ .

أبو تمام (غالب بن رباح) الحجام ٩٤ .

جذع ٧٥٢ .

جذيمة ٦٦٨ ، ٨٠٢ .

جرادتا عاد ٧٥١ .

بن جرج . أبو جعفر الوزير الكاتب
(٤٤٨ - ٤٥٧) .

جرو ل ، انظر : الخطيئة .

جرير ٣٧٩ ، ٨٥١ ، ٨٥٠ .

لجزار ، يحيى السرقسطي (٩٠٥ -
٩٠٨) .

لجزيري (عبد الملك بن ادريس) ٦٧٧ .

بن الحصاص . أبو عبد الله ١٣٢ ، ١٣٣ .

جعفر (ممدوح ابن هانيء) ٥٠٩ .

جعفر بن محمد بن شرف ، انظر : ابن
شرف أبو الفضل .

أبو جعفر البجاني ٥٢٩ ، ٥٣٠ .

أبو جعفر التطيلي ٨٧٣ .

أبو جعفر الحكيم ٦٩ .

أبو جعفر عامل الأحباس ٩٠٧ .

أبو جعفر بن أبي ٦٦٢ .

أبو جعفر بن أحمد (٧٥٥ - ٧٥٦)
(٧٧٣ - ٧٥٧) .

أبو جعفر بن الدودين ، انظر : ابن الدودين .

أبو جعفر بن عباس ، انظر : أحمد بن
عباس .

جمل ٣٢٨ .

جميل بثينة ٦٩٢ .

ابن جني ، أبو الفتح ٤٩٦ .

أبو جهل ابن هشام ٧٤٤ .

ابن جهور ، أبو الحزم ٤٢ ، ٥١٢ ،
٥١٣ ، ٥٢٣ ، ٥٢٧ .

ابن جهور ، أبو الوليد ٤٢٤ ، ٥٢٧ .

جوهره (جارية المعتمد) ٦٣٥ .

ابن الجيار ٥١٩ .

ح

حاتم الطائي ٣٦٤ ، ٧٧٣ ، ٧٨٠ .

أبو حاتم الحنجاري (٦٥٢ - ٦٦٦) .
٧٦٩ ، ٧٧٠ .

أبو حاتم اللغوي ٣٨٦ .

حاجب بن زرار ٥٠١ ، ٧٥٢ ، ٨٤١ .

الحارث بن كلدة ٧٥١ .

الحارث بن مسرة الفقيه ٧٧٦ .

الحائك (حكيم بن سعيد) ٥١٦ ، ٥١٨ ،
٥٢٠ ، (٥٢٢ - ٥٢٦) .

حبيب بن أوس ، انظر : أبو تمام .

الحجاج بن يوسف ٣٠ ، ٢١٣ .

أبو الحجاج (مرثي ابن معلى) ٨٤١ .

ابن الحداد ٤٦٧ .

ابن الحذاء ، أبو عمر ١٢٦ .

أبو حزام العكلي ٣٥١ .

ابن حزم ، أبو محمد الفقيه ٣١٨ ، ٣١٩ .
 حسام الدولة ابن رزين (عبد الملك بن
 هذيل) ، أبو مروان ٤٧ ، ٥٠ ، ٧٥ ، ١٠٥ ،
 (١٠٩ - ١٢٤) ، ٢٢٢ ، ٣٦٥ .
 ٤٥٩ ، ٨٩٥ .
 حسام الدولة ابن رزين (يحيى بن عبد
 الملك) ٧٥ .
 حسام الدولة بن هود (يوسف بن سليمان)
 ١٨١ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ .
 حسان بن ثابت ٥٤١ ، ٦٨٨ ، ٨٤٨ ،
 ٨٤٩ ، ٨٧٢ .
 ابن حسداي ، أبو الفضل ٢٨٤ ، (٤٥٧)
 - (٤٩٤) ٤٩٩ ، ٩٠٥ ، ٩١٢ .
 حسن (شقيق بن مجاهد) ١٦٩ ، ١٧٠ .
 الحسن البصري ٣٨٥ .
 الحسن بن هانئ ، انظر : أبو نواس .
 أبو حسن (في شعر ابن خفاجة) ٦٠٣ .
 أبو الحسن (في شعر ادريس) ٣٥٤ .
 أبو الحسن الكاتب (أخو ابن السيد البطليوسي)
 ٨٩٢ .
 أبو الحسن مولى البكري ٨٦٩ .
 أبو الحسن ابن الأستاذ ٦٧٢ .
 أبو الحسن ابن بسام ، انظر : ابن بسام .
 أبو الحسن ابن سابق ، انظر : ابن سابق .
 أبو الحسن بن يحيى الجوهري الوزير ٤٤٠ .

أبو الحسن صالح الششمري ٤٩٠ .
 الحصادي ١٤٧ .
 الحصري ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي
 ٥٢٩ ، ٨٤٦ .
 الحصري ، أبو الحسن عبد الغني ٣٣٠
 ٤٨٥ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ .
 الخطيئة ٤٩ ، ٢٢٨ .
 أبو حفص ابن برد ، انظر : ابن برد .
 أبو حفص الهوزني الوزير ٧٨٢ ، ٧٨٣ .
 الحكيم المصري ٤٩٢ .
 ابن حماد ٢٠٨ .
 ابن حمديس ، أبو محمد عبد الجبار ٥٧٣ .
 ابن حمدين ، أبو عبد الله محمد ٥٩٠ ،
 ٥٩٢ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ .
 ابن حمود ، علي ٥٢٠ .
 الحميدي ٣١٩ .
 ابن حنظلة ٩٠٦ .
 ابن حيان ، أبو مروان المؤرخ ١٣ ، ١٤ ،
 ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٤١ ، ١٠٩ ،
 ١١١ ، ١١٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٧٩ ،
 ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٤٩ ،
 ٣٢٠ ، ٤١٠ ، ٤٢٣ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ،
 ٥٢٠ ، ٥٢٢ ، ٨٥٠ ، ٨٥٤ .

خ

خالد بن سنان ٧٤٤ .

خالد بن يزيد ٧٢٧ .

ابن الخراز ، أبو جعفر (أحمد بن محمد الأنصاري) ٧٠٤ ، ٧٠٥ .

خراش ٩٧ .

الخصيب ٣٩١ .

الخضر ١٥٢ .

أبو الخطاب ابن عطيون ، انظر : ابن عطيون .

أبو الخطار ٦٩ .

ابن خفاجة ، أبو إسحاق إبراهيم ١٠٠

(٥٤١ - ٦٥٢) ، ٨٨٧ ، ٨٩٠ .

بن خلصة الضرير ، أبو عبد الله محمد

(٣٢٢ - ٣٣٠) .

الخليل ، انظر : إبراهيم (الخليل) .

الخليل بن أحمد ٦٧٦ .

خمارويه ، أبو الجيش ١٣٣ .

الخنساء ٣٧٩ ، ٦٣٨ .

الخوارزمي ٦٠٤ .

خيار ٨٩٨ .

خيران الصقلبي العامري ١٠ ، ٨٠٩ .

ابن خيرون ، أبو القاسم ٢٠١ ، ٣١٥ .

د

ابن دارة ، عبد الرحمن ٨٠٥ .

ابن الدباغ ، أبو المطرف (عبد الرحمن بن

فاخر) ٢٠٤ ، (٢٥١ - ٣١٧) .

ابن دراج القسطلبي ، أبو عمر ١٠ ، ١٣

٢٢ .

دريد بن الصمة ٨٠٢ .

دغفل النسابة ٣١٥ .

أبو دلامة ٦٩ .

ابن الدودين البلنسي ، أبو جعفر أحمد

(٧٠٣ - ٧٥٥) .

الدياجي ، أبو جعفر ٥٢٩ .

ديك الجح (عبد السلام بن رغبان) ٨٤٤ .

ذ

ابن ذكوان ، القاضي ٥١٨ .

ذو الرمة ٧٨٠ ، ٨٤٦ .

ذو القرنين ٧٢٩ .

أبو ذؤيب الهذلي ٣٨١ ، ٨٢٨ .

ابن ذي النون ، انظر : إسماعيل بن ذي

النون ؛ القادر بالله يحيى ؛ المأمون يحيى .

ر

راشد (صديق ابن السيد) ٨٩٢ .

راشد بن سليمان ١٠٦ .

الراضي (الخليفة العباسي) ٨٤٤ .

الراضي (يزيد بن المعتمد بن عباد) ١٩٠ .

أبو الربيع القضاعي (سليمان بن أحمد)

٣٤٥ ، (٤٩٩ - ٥١٤) .

ربيعة بن مكدم ٥٧٩ .

- الزباء ٦٦٨ .
 الزبير بن بكار ٨٢٤ ، ٨٢٥ .
 الزبير بن عسر ، أبو محمد ٤٠٦ ، ٤٠٧ .
 ابن الزبير ، عبد الله ٣٧٤ ، ٧٣٠ ، ٨٠٥ .
 ابن الزبير ٨٠٥ .
 الرجال ٤٥٥ .
 ابن زرار ، أبو عبد الله الوزير ٩٠٨ .
 زرقاء اليمامة ٤٨٢ ، ٧٣٧ ، ٧٩٢ ، ٧٩٦ .
 الزعفراني ، أبو القاسم ٤٩٧ .
 زفراء ٧٥٢ .
 ابن زهرة الصائغ ، أبو عامر (٩٠٠ - ٩٠١) .
 زهير الفقي العامري ٢٢٧ ، ٨٠٩ .
 زهير بن أبي سلمى ٣٤٣ ، ٣٧٧ ، ٨٤٧ .
 زهير بن جناب الكلبي ٧٣٧ .
 زياد ، انظر : النابعة الندياني .
 زياد بن أبيه ٤٩ ، ٣٨٥ ، ٨٠٤ .
 زيد الخيل ٣٨٢ .
 زيد بن عمرو ٧٤٤ .
 ابن زيدون ، أبو بكر ٧٦٨ ، ٨١٢ ، ٨١٣ .
 ابن زيدون ، أبو الوليد ١٢٥ ، ٤٤٦ ، ٦٨١ .

- أبو رجاء الضبي ٣٩٠ .
 ابن رحيم ، أبو بكر ٨٠٨ .
 رذريق ، انظر : الكنيطور .
 ابن رذمير ١٠٠ .
 ابن رزين ، انظر : حسام الدولة ابن رزين (عبد الملك بن هذيل) أبو مروان ؛
 حسام الدولة ابن رزين (يحيى بن عبد الملك) ؛ هذيل بن خلف بن لب بن رزين .
 الرشيد بن المعتمد ٦٧٤ ، ٨٢١ .
 ابن رشيق ، عبد الرحمن ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .
 ابن رشيق القيرواني ٨١٠ ، ٨٢٢ ، ٨٥٤ ، ٨٧٢ .
 الرضي الشاعر ، انظر : الشريف الرضي .
 أبو رغال ٧١٢ ، ٧٢٠ .
 رفيع الدولة ابن صمادح ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ .
 ابن الرقاع ، انظر : عدي بن الرقاع .
 الرمادي (يوسف بن هارون) ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٨٢١ .
 الرماني ٣٨٥ .
 رؤبة بن العجاج ٨١٨ .
 ابن الرومي ١٢٠ ، ٣٤٢ ، ٥٣٠ ، ٥٨٠ ، ٨٣٧ .
 ريمته (أمير الفرنجة) ٢٠ .

س

سليمان (النبي) ٣٦٥ ، ٥٠١ ، ٥٨٦
٨٩٥ .

سليمان بن الحكم ٣١٨ .
سليمان بن مهران السرقسطي ، أبو الربيع
(٣١٧ - ٣٢١) .

سليمان بن وهب ٢٤٤ .
السمح بن مالك الخولاني ٨٠٩ .
السميسر الشاعر ٣٣٨ .
سمية ٧٥٢ .

ابن سنون ، أبو عامر ١٢١ ، ١٢٤ .
سهيل (زوج الثريا) ٨٠٣ ، ٨٠٤ .
سيبويه ٣٧٢ .

ابن سيد (في شعر) ٦٧٠ .
ابن السيد البطليوسي ، أبو محمد ٦٢٠ .
(٨٩٠ - ٨٩٦) .

ابن سيده ، أبو الحسن ٣٦٨ ، ٣٧١ ،
٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨١
٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ .

ابن سيرين ١٢٣ .
سيف بن ذي يزن ٧٤٤ .
سيف الدولة الحمداني ٤٩٥ - ٤٩٨ .
سيف الدولة ، أبو الفتوح الحاجب ٢٧٧
٤٣٦ ، ٤٣٩ .

ابن سابق ، أبو الحسن ١٢٣ ، ٩٠١ .
سارة (زوج إبراهيم) ٧٠٨ ، ٧٥٣ .
ساسان ٦٨٧ ، ٧١٣ ، ٧٢٧ .
سامة بن لؤي ٨٠٤ .
أبو السائب المخزومي ٨٢٤ ، ٨٢٥ .
ابن ست الجيش ٣٢١ .
سحبان وائل ٤٩ ، ٣١٥ .
ابن سريج ٧٣٩ .
سطيح ٧٣٧ .
ابن سعدون . أبو جعفر ١٢٠ ، ١٢٢ .
سعيد العروضي ٨٧٠ .
سعيد بن جبير ٩ .
سعيد بن حميد ٦٥٧ .
السفاح ٦٨٨ .
ابن سفيان . أبو محمد (٩٠٣ - ٩٠٥) .
أبو سفيان (صخر بن حرب) ٨٠٤ .
ابن سقبال ، أبو محمد الوزير (لعله ابن
سفيان) ٤٩٢ .
سقراط ٤٦٢ ، ٧٣٨ .
سلمة ١٧٠ .
سليمي ٤٦٧ ، ٦١٤ .
سليمان المستعين ، انظر : المستعين .

ش

- شانجة بن غرسية بن فردلند ٣١٨ .
 بنت شانجة ملك البشكنس ٣١٨ .
 أبو شحمة ١٦٠ .
 شداد ٧٤٧ .
 ابن شرف ، أبو عبد الله ٨١٢ .
 ابن شرف ، أبو الفضل (جعفر بن محمد بن شرف) ٦٩٧ ، (٨٦٧ - ٨٨٦) .
 الشريف الرضي ٣١٥ ، ٥٧٤ .
 شبنند ٤٤ .
 شعيب ٧٤٥ .
 شق ٧٣٧ .
 ابن شقران ٨٠٨ .
 ابن شماخ الغافقي ٣٣٤ .
 شمر ٧٢٩ .
 ابن شهيد ، أبو عامر ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٥١٣ ، ٥٢٠ ، ٨٢٥ .

ص

- الصابي ، أبو إسحاق ١٣١ ، ١٣٢ ، ٣١٥ .
 صاحب بن عباد ٢٥ ، ٤٩٧ .
 ابن صارم ، أبو القاسم ٨٥٨ .
 صاعد بن الحسن الربيعي ، أبو العلاء ٣٩٠ .

صالح (النبى) ٧٤٥ .

صالح الشتمري ، انظر : أبو الحسن صالح الشتمري .

ابن الصائغ (ابن باجة الفيلسوف) ٦٢١ .

صخر (أخو الخنساء) ٦٣٨ .

أبو صخر الهذلي ٤٦٤ .

ابن الصق ٣٨١ .

ابن الصفار السرقسطي ٨١٩ .

ابن صمادح ، انظر : رفيع الدولة ابن

صمادح ؛ عز الدولة ابن صمادح ؛ المعتصم

ابن صمادح ؛ معز الدولة ابن صمادح .

الصنوبري ٨٢٨ .

الصولي ٣٨٦ ، ٥١٤ .

ط

ابن طالوت ٢٥٠ .

ابن طاهر ، أبو عبد الرحمن (٢٤ - ٤٠)

(٤٤ - ٩٢) ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٣

١١٣ ، ١١٤ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٨

٤٦٤ .

أبو الطاهر الأشكوري ، انظر : الأشكوري .

الطائي ، انظر : حاتم الطائي .

طرفة بن العبد البكري ٨٤٦ ، ٨٤٧ .

ابن طريف ٨٠٤ .

طليحة الأسدي ٧٢٧ .

ابن طولون ١٣٢ ، ٥١٤ .

طويس المغني ٧٣٩ .

ابن الطويل ١٨٢ .

أبو الطيب القروي (عبد المنعم بن من الله)

٧٢٢ ، ٧٤١ .

أبو الطيب المتنبي ، انظر : المتنبي .

ع

العافية المنجم ٤٧٤ .

عامر (مرثي ابن معل) ٨٤٥ .

عامر بن الطفيل ٧٤٤ .

أبو عامر الوزير الأعلى ٨٥٨ .

أبو عامر ابن الأصيلي ، انظر : ابن الأصيلي .

أبو عامر ابن التاكرني ، انظر : ابن التاكرني .

أبو عامر ابن زهرة الصائغ ، انظر : ابن

زهرة الصائغ .

أبو عامر ابن سنون ، انظر : ابن سنون .

أبو عامر ابن عبدوس ، انظر : ابن عبدوس .

أبو عامر ابن غرسية ، انظر : ابن غرسية .

أبو عامر ابن الفرج ، انظر : ابن الفرج .

عائشة ٣٧٨ .

ابن عائشة ، أبو عبد الله (٨٨٧) ،

(٨٨٩ - ٨٩٠) .

ابن عباد ، انظر : المعتضد عباد ، المعتضد

ابن عباد .

أبو عبادة ، انظر : البحري .

العباس بن الأحنف ٦٥٧ ، ٨٢٥ .

أبو العباس القاضي ٢٤٤ .

أبو عبد الإله (ممدوح ابن هند) ٩٠٠ .

ابن عبد البر ، أبو محمد الكاتب (ابن

الفقيه أبي عمر) (١٢٥ - ١٣١)

(١٣٤ - ١٤٣) ، (١٦٥ - ٢٢٦)

٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ، ٤٣٧ .

عبد الجليل المرسي ، انظر : ابن وهبون .

عبد الرحمن بن أبي عامر ٢٢١ ، ٢٢٧ .

عبد الرحمن بن محمد بن حناط الوزير

٥٢١ .

عبد الرحمن بن يسار الوزير ١٤ ، ١٥ .

أبو عبد الرحمن بن طاهر ، انظر : ابن طاهر .

عبد السلام بن رغبان ، انظر : ديك الجن .

عبد الصمد الفقيه (ممدوح الحجاري) ٦٦٢ .

ابن عبد الصمد ، أبو بحر يوسف (٨٠٩

- ٨٢١) .

أبو عبد الصمد ، الشيخ (٨١٨ - ٨٢٠) .

عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر .

انظر : المنصور بن أبي عامر .

عبد العزيز بن اللبانة ، انظر : ابن اللبانة .

عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي ٨٥٣ .

عبد الله (في شعر المعري) ٢٩٨ .

عبد الله بن ربيعة (صديق ابن خفاجة) .
 ٦٠٨ .
 عبد الله بن عامر ٣٨٥ .
 عبد الله بن محمد الأمير الأموي ١٦٠ .
 عبد الله بن المنصور الكبير العامري ١٦٠ .
 أبو عبد الله ٧٨ .
 أبو عبد الله البزلياني ، انظر : البزلياني .
 أبو عبد الله ابن حمدين ، انظر : ابن حمدين .
 أبو عبد الله بن زرارة ، انظر : ابن
 زرارة الوزير .
 أبو عبد الله بن عائشة ، انظر : ابن عائشة .
 عبد المجيد الثقفي ٤٩٨ .
 عبد المجيد بن عبدون ، انظر : ابن عبدون .
 عبد المطلب بن هاشم ٧٤٤ .
 عبد الملك بن ادريس الجزيري ، انظر :
 الجزيري .
 عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي عامر ،
 انظر : المظفر ابن أبي عامر .
 عبد الملك بن مروان ٣٨٠ .
 ابن عبدوس ، أبو عامر ذو الوزارتين
 ٦٥ ، ٦٦ ، ٨١٨ ، ٨٨٨ .
 ابن عبدون ، ابو محمد الوزير عبد المجيد
 ٢٥٣ ، ٢٨٩ ، ٣٠٢ ، ٣٥٥ ، ٤٩٨ ،
 ٦٧٢ ، ٨٧٢ .
 عبيد الله بن خاقان الوزير ١٣٢ .

عبيد الله بن سليمان ١٣٢ .
 عبيد الله بن منبه الشتيمري ، أبو الحسين
 الفقيه ٣٢١ .
 أبو عبيدة معمر بن المثنى ٧٧ .
 أبو العتاهية ٦٨٠ .
 العتبي ٣٨٥ .
 عتية ٦٦٧ .
 عثمان بن عفان ٣٨٥ ، ٤٤٣ .
 أبو عثمان الوزير ٤٣٥ .
 العجاج ٣٧٤ .
 عدي بن الرقاع العاملي ٢٠٤ ، ٩٠٢ .
 ابن العربي ، أبو بكر ٣١٩ .
 عروة بن أذينة ٥٤٢ .
 عروة بن الزبير ٢٢٠ .
 عز الدولة بن صمادح الحاجب (ابن المعتصم)
 ٢١٩ ، ٤٩١ .
 ابن العطار ٦٤ ، ٢٠٣ .
 ابن عطيون ، أبو الخطاب (عمر بن أحمد
 التجيبي) (٧٧٣ - ٧٨٣) .
 عفراء ٥٧٧ .
 عقيل (نديم جذيمة) ٦٨٩ .
 أبو العلاء المعري ١٩٨ ، ٣٤٨ ، ٣٥٧ .
 ٤٦٣ ، ٦٧٨ ، ٦٨١ ، ٧١٤ ، ٨٢٧ .
 ٨٩٢ .
 علوة ٩١٢ .

عبد الله بن ربيعة (صديق ابن خفاجة) .
 ٦٠٨ .
 عبد الله بن عامر ٣٨٥ .
 عبد الله بن محمد الأمير الأموي ١٦٠ .
 عبد الله بن المنصور الكبير العامري ١٦٠ .
 أبو عبد الله ٧٨ .
 أبو عبد الله البزلياني ، انظر : البزلياني .
 أبو عبد الله ابن حمدين ، انظر : ابن حمدين .
 أبو عبد الله بن زرارة ، انظر : ابن
 زرارة الوزير .
 أبو عبد الله بن عائشة ، انظر : ابن عائشة .
 عبد المجيد الثقفي ٤٩٨ .
 عبد المجيد بن عبدون ، انظر : ابن عبدون .
 عبد المطلب بن هاشم ٧٤٤ .
 عبد الملك بن ادريس الجزيري ، انظر :
 الجزيري .
 عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي عامر ،
 انظر : المظفر ابن أبي عامر .
 عبد الملك بن مروان ٣٨٠ .
 ابن عبدوس ، أبو عامر ذو الوزارتين
 ٦٥ ، ٦٦ ، ٨١٨ ، ٨٨٨ .
 ابن عبدون ، ابو محمد الوزير عبد المجيد
 ٢٥٣ ، ٢٨٩ ، ٣٠٢ ، ٣٥٥ ، ٤٩٨ ،
 ٦٧٢ ، ٨٧٢ .
 عبيد الله بن خاقان الوزير ١٣٢ .

- علي (في شعر) ٧٩٥ . ٧٠٣ .
علي بن أبي طالب ٢٩٦ ، ٨٣٢ .
علي بن بسام . انظر : ابن بسام (مؤلف الذخيرة)
علي بن بسام . انظر : ابن بسام البغدادي البسامي .
علي بن جبلة ٨٢٤ .
علي بن الجهم ٣٣٤ .
علي بن داود ٥١٠ .
علي بن سليمان ٨٤٦ .
علي بن مجاهد . انظر : إقبال الدولة .
علي بن محمد الإيادي ٤٦٢ .
علي بن محمد الكوفي ٥١٠ .
أبو علي الفارسي ٣٧٢ ، ٣٧٩ .
عماد الدولة ابن هود (عبد الملك بن أحمد) ٣٤ ، ٣٥ ، ٩٠٥ .
ابن عمار . أبو بكر ٢٥ : ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ١٢١ ، ٢٥٢ .
٤٥٦ ، ٤٦٧ ، ٦٧٥ .
عمارة بن عقيل ٣٧٦ ، ٣٨٦ .
عمر (ممدوح بشار) ٥٧ .
عمر بن إبراهيم ٥١٤ .
عمر بن أبي ربيعة . أبو الخطاب ٣١٥ ، ٣٧٨ .
عمر بن الألفطس . انظر : المتوكل ابن الألفطس .
عمر بن الخطاب ١٣٣ ، ١٦٠ ، ٣٧٣ .
٨٦٢ .
عمر بن عبد العزيز ٧٤٦ ، ٨٠٩ .
عمر بن العلاء ٦٨٠ .
أبو عمر الزاهد (محمد بن عبد الواحد) ٥٨١ .
أبو عمر ابن عبد البر . انظر : ابن عبد البر .
أبو عمر ابن القلاس ، انظر : ابن القلاس .
عمران بن حطان ٣٨٥ .
عمرو ٧٨ .
عسرو بن السعلاة ٤٠٥ .
عمرو بن العاص ٧٧٨ .
عمرو بن معديكرب ١١ ، ٢٧ .
أبو عمرو بن العلاء ٣٨٥ .
عنان جارية الناطفي ١٢٠ .
عيسى (المسيح) ٢٨٣ ، ٤٣٦ ، ٥٦٩ ، ٧٢٠ ، ٧٤٢ ، ٧٤٤ .
عيسى بن سعيد . أبو الاصغ الوزير ٣١٩ .
عيسى بن عمر ٣٨٥ .
ابن عيسى قاضي بربرشت ١٨٢ .
أبو عيسى ٤٨٨ .
أبو عيسى ابن لبون ، انظر : ابن لبون .

غ

- (١٠٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٩ .
الفرزدق ٢٠٢ ، ٣٧٩ ، ٨٥١ .
فرفوريلوس ٣٦٨ ، ٣٨٨ .
ابن فضالة ، عبد الله ٧٣٠ .
فضل الشاعرة ٦٥٧ .
أبو الفضل ، الشيخ ٧٠ .
الفكيك الشاعر ٦٧٤ .
ابن فورك ٣٧٤ .

ق

- أبو قابوس ، انظر : النعمان بن المنذر .
القادر بالله بن ذي النون (يحيى) ٣٧
٩٢ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٤ .
٨٩٤ .
القاسم بن حمود الحسني ٢٤٩ .
ابن قاسم صاحب البونت ٩٠٣ .
أبو القاسم (والد أبي بحر بن عبد الصمد)
٨٠٩ .
أبو القاسم الوزير ٦٨٤ .
أبو القاسم بن صارم ، انظر : ابن صارم .
أبو القاسم عبد الدائم ٥٨ — ٦٠ .
أم القاسم (في شعر) ٩٠٢ .
قتيبة بن مسلم ٦٦٧ .
أبو قحافة ٣٨٩ .
قدامة بن جعفر ٤٩ .

ف

- غالب ٩٠١ .
غالب بن رباح الحجام ، انظر : أبو تمام
الحجام .
أبو غبشان ٧١٢ ، ٧٢٠ .
غرسية المنبوز بالفم المعوج ١٠٠ .
ابن غرسية ، أبو عامر أحمد ٧٠٤ ،
٧٠٥ ، ٧٢٢ ، ٧٤٦ .
الغريض ٧٣٩ .
ابن غصن الحجاري ، أبو مروان (٣٣١)
— (٣٣٥) ، ٣٣٩ .
غليانث ٣٨٩ .
ابن غندشلب ذو الوزارتين ٢٧٤ .
فاطمة (بنت الرسول) ١٢٨ .
فاتر بن المغيرة ٥١٤ .
الفتح بن أفلح ١٢ .
الفتح بن خاقان ، أبو نصر ٧٥٥ ، ٧٨٦ .
الفتح بن الراصي بن المعتمد ٩١ .
أبو الفتوح الحاجب ، انظر : سيف
الدولة أبو الفتوح .
ابن الفرات الوزير ١٣٣ .
ابن الفرج ، أبو عامر ذو الوزارتين (١٠٣)

ل

- ابن اللبانة ، عبد العزيز ٦٦٧ .
 ابن اللبانة ، أبو بكر الداني (محمد بن عيسى)
 (٦٦٦ - ٧٠٢) ، ٧٧١ ، ٨١٤ .
 لبني (في شعر) ٤٩٢ ، ٩١٢ .
 ابن لبون ، أبو عيسى القائد (١٠٤ -
 ١٠٨) ، ١٢٣ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ .
 ابن لبون ، أبو محمد ذو الوزارتين ١٠٦ .
 لبيب الصقلي الفقي ٢٠ ، ٥٠٨٠٠ .
 لبيد بن ربيعة ٤٩ ، ٨٦٦ .
 اللجام (علي بن الحسن الحراني) ٧٦٩ .
 لقمان ٧٢٨ .
 لوط ٧٠ .

- ليلي (في شعر) ٤٦٤ ، ٨٥٢ .
 ليلي الأخيلية ٧٧ ، ٣٥١ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ .
 ٣٨١ .

م

- الماذراني ، أبو إسحاق ١٣٢ .
 مالك (سيد وائل) ٨٤١ .
 مالك (نديم جذيمة) ٦٨٩ .
 مالك بن أسماء الفزاري ٨٢٤ .
 مالك بن فهم ٧٣٤ .
 المأمون (العباسي) ٢١٣ .

ابن القزاز ٧٣ ، ٥٢٩ .

قس بن ساعدة ٣١٥ ، ٧٤٤ .

القسطلي أبو عمر ، انظر : ابن دراج
 القسطلي .

قصير ٦٦٨ .

القطامي ٣٧٤ .

قطر الندى ١٣٢ ، ١٣٣ .

ابن القلاس ، أبو عمر (٤١٨ - ٤٢٦)

٨١٨ .

قيس بن الخطيم ٣٥٦ .

قيس بن ذريح ٨٥٢ .

قيصر ٨١٤ .

ك

كاسان ٧٢٧ .

ابن الكتاني المتطبب ، أبو عبد الله ١١٢

(٣١٩ - ٣٢٠) .

كثير غزة ٣٧٨ ، ٣٩١ ، ٨٥٢ .

كسرى ٢١٥ ، ٥٠١ ، ٦٨٧ .

كشاجم ٧١٦ ، ٧٢٢ ، ٨٢٩ ، ٨٣٦ .

كعب بن سعد الغنوي ٨٥٣ .

كعب بن مامة ٧٨٠ ، ٨١٣ .

الكنيطور ، رذريق ٩١ ، ٩٧ ، ٩٩ - ٩٩ .

٣٤٢ ، ٣٥٧ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٧١٣ ،

٧٨٩ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٨٢٥ ،

٨٦٢ ، ٨٦٥ .

محمد بن إبراهيم الفهري ، أبو عبد الله

٨٦٣ - ٨٦٧ .

محمد بن أحمد الاصبهاني ٥٨١ .

محمد بن أحمد البزلياني ، انظر : البزلياني .

محمد بن الحسن المذحجي ، انظر : ابن

الكتاني المتطبب .

محمد بن عبد الله الأمير الأموي ١٦٠ .

محمد بن عبد الملك ٢٤٩ .

محمد بن عبد الواحد البغدادي ، أبو الفضل

٤١٠ . ٤١٥ ، ٥١١ .

محمد بن عبد الواحد الزاهد ، انظر :

أبو عمر الزاهد .

محمد بن عمر المرزبان ، أبو عبد الله ٣٧٤ .

محمد بن فرج الجبائي ، أبو عبد الله (٨٨٨-٨٨٩) .

محمد بن قاسم الفهري ٥١٥ .

محمد بن مسلم ، أبو عبد الله (٤٢٧

- ٤٤٨) .

محمد بن مظفر بن أبي عامر ٥١٦ .

محمد بن هانيء ، انظر : ابن هانيء .

محمد بن هشام بن عبد الجبار الناصري ٢٢٧ .

أبو محمد الصقلي . انظر : ابن حمديس

الصقلي .

المأمون يحيى بن ذي النون ٤١ ، ٤٢ ،

٤٤ ، ٢٥٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٤١

٣٤٣ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٤١٧ .

مبارك العامري (١١ - ٢٠) ، ٢٢٦ .

الميرد ، أبو العباس ٣٢١ .

مبشر بن سليمان ، انظر : ناصر الدولة .

المتنبي (أحمد بن الحسين) أبو الطيب ٥٤

٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٧ ، ٤٩٠

(٤٩٤ - ٤٩٨) ، ٦٥٣ ، ٦٧٩

٨٢٤ ، ٨٤٤ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩

٨٥٢ ، ٨٦٣ .

المتوكل بن الأفتس (عمر بن محمد) ٢٥٢ .

٢٥٣ ، ٦٣٧ ، ٦٧٠ ، ٦٧٢ ، ٧٧٤ - ٧٧٧ .

ابن منى ، أبو المطرف (عبد الرحمن بن

أحمد بن صبغون) ٢٥٠ ، ٣٤٦ ،

٣٤٧ ، (٤٠٩ - ٤١٨) .

مجاهد العامري ، الموفق أبو الجيش ٢١

٢٣ ، ١٧١ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٩

٣٤٠ ، ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤١٩ ، ٧٠٤ .

ابن مجاهد ، انظر : إقبال الدولة .

المجنون ٨٥٢ .

ابن محاسن الوزير ٥٠٥ ، ٥٠٧ .

ابن محرز ٧٣٩ .

المحلق ٥٤١ .

محمد (الرسول) ١٦٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤

- أبو محمد بن عامر الوزير المشرف ٥٩٨ .
أبو محمد بن عبد البر ، انظر : ابن عبد البر .
أبو محمد بن عبدون ، انظر : ابن عبدون .
أبو محمد بن قاسم الوزير ٨٠٦ .
أبو محمد بن هود ٢٨٩ .
أبو محمد بن لبون ، انظر : ابن لبون .
أبو محمد مزدلي ، انظر : مزدلي .
مخارق المغني ٨٩٩ .
مختار بن النجار ٨١٤ .
المرار ٣٨٠ .
مربع ٢٠٢ .
المرتضى المرواني ٥١٥ ، ٧٠٢ .
ابن المرشاني ٤٨٩ .
مروان بن الحكم ٣٨١ .
أبو مروان الفقيه ٦٩ .
أبو مروان ابن حيان ، انظر : ابن حيان .
أبو مروان ابن غصن الحجاري ، انظر : ابن
غصن الحجاري .
مزاحم العقيلي ٤٦٤ .
مزدلي الأمير المرباطي ، أبو محمد ٥٠ ،
١٠١ ، ٤٠٥ .
المستعين سليمان الأموي ٢١ ، ٢٢ ، ١١٠ .
المستعين بالله ابن هود (أحمد بن يوسف) ٦٢ ،
٩٤ ، ١٢٣ ، ٤٦١ ، ٤٩٣ ، ٥١٧ ،
٨٩٥ ، ٩٠٩ .
- مسلم المغني ٥٠ .
مسلمة بن عبد الملك ٧٢٧ .
المسيح ، انظر : عيسى .
مسيلة الحنفي ٧٣٧ .
مصعب بن الزبير ٨٠٢ .
أبو المطرف ابن مثني ، انظر : ابن مثني .
مظفر العامري ١١ - ١٨ .
المظفر بن أبي عامر (عبد الملك بن عبد
العزيز) ١٨ ، ٤١ ، ٩٣ ، ١٠١ ، ٢٢٦ ،
٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٣١٩ ، ٤٣٩ ، ٥١٩ .
المظفر بن الأفطس ١٦٦ ، ١٧١ ، ٢٢٣ ،
٧٧٥ .
المظفر بن هود ٣٦ ، ٤٣ ، ٤٧١ .
المظفر ، أبو مناد الرئيس ٤٣٤ .
أبو المظفر البغدادى ٦٨٨ .
معاوية بن أبي سفيان ٢٥٢ ، ٣٨٩ ،
٧٣٩ ، ٧٤٤ .
معبد المغني ٧٣٩ .
المعتد هشام بن محمد الناصري ٥١٤ ،
(٥١٥ - ٥٢٩) .
ابن المعتز العباسي ١١٥ ، ١٣٣ ، ٥١٢ ،
٥٧٦ ، ٥٨٠ ، ٧٧٩ ، ٨٣٦ ، ٨٤٣ ،
٨٤٩ .
المعتصم بن صمادح ١٢٧ ، ٢١٦ ، ٣٢٢ ،
٣٤٣ ، ٣٧١ ، ٤٣١ ، ٤٣٩ ، ٦٧٣ .

٢٥١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٤٢٣ ، ٤٢٩

٤٥٨ ، ٤٦٨ ، ٤٧٠ ، ٤٨٥ ، ٤٩٣

٤٩٤ ، ٨١٨ .

ابن مقنة ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

مكي بن أبي طالب ٥١٧ .

ابن الملح ، أبو بكر ٤٩٢ .

الملك الفضيل ، انظر : امرؤ القيس .

ابن مناذر ٤٩٨ .

المنتصر بالله الحمودي (حسين بن يحيى)

٥١٢ .

ابن المنجم (علي بن يحيى بن منصور)

٨٤٦ .

منذر بن هود ٨٩٨ .

منذر بن يحيى الحاجب ١١٠ ، ٢٢٩ ، ٢٤٩

٥٠٧ .

المنصور بن أبي عامر (عبد العزيز بن عبد الرحمن)

٢١ ، ٤٠ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩

٢٢٧ — ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨

(٢٤٩ — ٢٥١) ، ٤١٩ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠

٥١٦ ، ٨١٠ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ .

المنصور الكبير بن أبي عامر (محمد) ١٣ ، ٢٢

١٦٠ .

المنصور ابن الأفطس (يحيى والد المظفر)

٢٢٣ ، ٢٥٢ ، ٢٧٨ .

المنصور اسماعيل بن المعتضد العبادي

٦٩٩ ، ٧٠٤ ، ٨١٠ ، ٩١١ .

المعتضد عباد ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٢

١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٥ —

١٤٨ ، ١٩٠ ، ٣٢١ ، ٣٣١ ، ٣٣٦

٤٤٠ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٧٥٩ .

المعتمد العباسي ٥١٤ .

المعتمد بن عباد ٢٥ ، ٢٩ ، ٤٤ ، ١١٥

١٤٢ ، ٢٥١ — ٢٥٣ ، ٣٣٤ ، ٣٤١

٦٣٥ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٧٥ ، ٦٧٨

٦٨٠ ، ٦٨٦ ، ٧٥٩ — ٧٦١ ، ٨١٣ —

٨١٦ ، ٩١١ .

المعري . انظر : أبو العلاء المعري .

المعز الفاطمي ٣٥٢ .

المعز بن باديس ٢٤٥ ، ٣٦١ .

معز الدولة ٨١ .

معز الدولة أبو عامر ٣٢٩ .

معز الدولة ابن صمادح ٨٧٢ .

المعقلي ٤٩٧ .

معن بن زائدة ٤٩٧ .

ابن معن الصمادحي ، انظر : المعتصم

ابن صمادح .

مفرج العامري ١٩ .

مقاتل الصقلبي العامري ٢٢٩ ، ٣٦٣ .

المقتدر العباسي ٨٤٤ .

المقتدر بالله ابن هود (أحمد) ٨٢ ، ٨٣ ، ١٨٩

١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٤ - ١٤٨ . ١٦١

ابن مهران ٣٢٠ .

المهلب ١٠٠ .

مهلهل ٨٦٦ .

ابن مهلهل ٦٩٧ .

مهيّار ٦٤٠ .

المؤتمن العامري ، انظر المنصور بن
أبي عامر .

المؤتمن ابن هود ٣٩ ، ٨٣ ، ٤٦٤ ، ٤٩٣ .

موسى (الزبي) ٤٣٨ ، ٤٤٧ ، ٤٧٥ ، ٥٠٢ ،
٧٤٤ ، ٨٩٨ .

موسى بن أبي الفصن ٣٩٢ .

موسى بن نصير ١٧٩ .

الموفق العامري ، انظر : مجاهد العامري .
مؤمل التمشالي ١٨ .

المؤيد ابن عباد ، انظر : المعتمد بن عباد .

المؤيد هشام بن الحكم المستنصر ، الخليفة
الأموي ٢١ .

الميلاء ٧٤٠ .

ميمون بن يوسف بن دري ٣٣٧ .

ابن ميمون ، أبو اسحاق القاضي ٦٣٤ .

مية (صاحبة ذي الرمة) ٨٤٦ .

مية (في شعر النابغة) ٥٤٧ .

ن

النابغة الذبياني ٤٩٢ ، ٦٦٨ ، ٨٥٣ .

الناصر بن أبي عامر ٢١٦ .

الناصر عبد الرحمن ٥٢٥ .

ناصر الدولة مبشر بن سليمان ٦٨٣ ، ٦٨٤ .

٦٨٦ ، ٦٨٨ ، ٦٩١ ، ٦٩٤ ، ٧٠٢ .

الناطفي ١٢٠ .

نائلة ٧١٢ .

ابن نجية ، أبو مروان ٤٠٢ .

أبو نصر . انظر : التتبع بن خاقان .

نصيب الأكبر ٣٣٨ .

النعمان بن المنذر ، أبو قابوس ٣٠٥ ، ٤٩٢ .

٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٨٠٣ .

أبو نواس (الحسن بن هانيء) ١١٥ ، ١٢٠ .

٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٣٩١ ، ٤٦٣ ، ٨١٩ .

نوح ١٥٢ ، ١٦٥ ، ٤٩١ ، ٦٥٣ ، ٩٠١ .

هاجر ٧٤٦ ، ٧٥٣ .

هاشم بن عبد مناف ٧٤٥ .

ابن هانيء الأندلسي (محمد) ٣٤٢ ، ٣٤٥ .

٣٥٢ ، ٥٠٨ ، ٥٧٥ ، ٩٠٣ .

هذيل بن خلف بن لب بن رزين ١٠٩ -

١١١ .

ابن هذيل ، يحيى الشاعر ٣٤٦ - ٣٤٨ .

هرم بن سنان المري ٣٤٣ ، ٧٧٣ .

هزار ١٣٣ .

هشام المؤيد ، انظر : المؤيد هشام .

هند ٢١٤ .

ابن هند الداني (٨٩٦ - ٩٠٠) .

هود ٧٤٥ .

ابن هود ، انظر : حسام الدولة ابن

هود ؛ عماد الدولة ابن هود ؛ المستعين

بالله ابن هود ؛ المظفر ابن هود ؛ المقتدر بالله

ابن هود ؛ المؤتمن ابن هود .

ابن هود ٢٠ ، ١٣٤ ، ٤٥٨ .

و

الواثق العباسي ٢٤٤ .

ابن واجب ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

ورقة بن نوفل ٧٤٤ .

الوليد ، انظر : البحري .

ابن وهبون المرسي ، عبد الجليل ٥٧٥

٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٧٦٦

٨٩٨ .

ي

يحيى السرقسطي ، انظر : الجزائر السرقسطي .

يحيى بن الأفطس ، انظر : المنصور بن

الأفطس .

يحيى بن حمود ٣٥٢ .

يحيى بن ذي النون ، انظر : القادر بالله .

يحيى بن ذي النون ، انظر : المأمون بن

ذي النون .

يحيى بن زكريا ٥٠٠ .

يحيى بن عبد الملك ابن رزين ، انظر :

حسام الدولة ابن رزين .

يحيى بن فانو ٨١٦ ، ٨١٧ .

أبو يحيى وأبو بكر ابن إبراهيم ، انظر :

ابن تيفلويت .

أبو يحيى بن محمد بن الحاج ٧٨٤ ،

٧٨٦ .

يزيد بن الصنقب ٢٧ .

يزيد بن معاوية ٤٩ ، ٧٢٧ .

ابن يسار ، انظر : عبد الرحمن بن يسار .

ابن اليسع ١٠٦ .

يعقوب ابن السكيت ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ .

يهوذا ٧٢٠ .

يوسف الإسلامي ، انظر : ابن حسداي .

يوسف الصديق ٥٨٦ ، ٧٥٣ ، ٨٩٥ .

يوسف بن تاشفين ، أبو يعقوب ٥٦ .

٩٣ - ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ .

يوسف بن سليمان بن هود ، انظر :

حسام الدولة ابن هود .

٢ - فهرس الأماكن

٦٠٧ . ٥٤٢ . ٤٥٧ . ٤١٢ . ٣٩٢

٧٥٦ . ٦٦٧ . ٦٥٢ . ٦٢٣ . ٦٢٠

٨٥٥ . ٨٥٠ . ٨١٥ . ٨٠٩ . ٧٨٨

. ٨٩١ . ٨٨٧ . ٨٦٧

. أوزيولة ٤٣٠ ، ٤٣٩ .

. أونبة ٨٦١ .

. ايوان كسرى ٧٦٠ .

ب

. بابل ٣٠٥ ، ٥٧٤ ، ٦٢٠ . ٨٩٨ .

. بجانة ٧٠٥ ، ٧٥٥ .

. بربشتر ٨٧ ، ١٧٣ ، ١٧٩ . ١٨١ .

. ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٠ .

. برشلونة ٢٠ ، ٤٢٥ .

. برطانية ١٧٩ .

. البشر ٤٦٣ .

. البصرة ٨٥١ .

. بطرنة ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٤ .

. بطليوس ٢٥٣ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٧٧٤ .

. ٨٩١ .

أ

. الأبلق الفرد ٧٦٢ .

. أرش اليمن ٧٠٥ .

. إرم ٧٢٨ .

. الاسكندرية ٤٨٣ .

. الاشبونة ٧٠٣ . ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ .

. اشبيلية ١٢٦ . ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٤٦ .

. ١٧٠ ، ٢٢٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٦٠٧ .

. ٦٨٠ ، ٧٥٩ ، ٧٧٨ ، ٧٨٨ ، ٨٢٦ .

. أغمات ٦٠٦ ، ٦٠٧ .

. افريقية ٣٦١ .

. البونت ٥١٥ ، ٩٠٣ .

. ألس ٤٣٧ .

. الحرية ٣٤ ، ٤٠٣ ، ٤٣٠ ، ٤٣٤ .

. ٦٤٨ ، ٦٧٣ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨٦٧ .

. الأندلس ٢٩ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٣٩ ، ٤٤ .

. ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١١٠ .

. ١١٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٧٤ ، ١٧٩ .

. ١٨٠ ، ١٩٠ ، ٢٥١ ، ٣٣٦ ، ٣٤٧ .

بطن نخلة ١٠ .

بغداد (بغدان) ١٣٢ ، ٤١٤ ، ٦٢٠ ، ٦٥١ ، ٦٧٤ ، ٦٩١ ، ٨١٥ .

بلاد الجوف ٦٧٠ .

بلنسية ١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ،

٢٠ ، ٢٦ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٢ ،

٥٠ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ،

٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ٢١٦ ،

٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٥١٦ ،

٥٩٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٩ ،

٨٦٨ ، ٨٨٧ ، ٩٠١ .

بمار ٥٢٩ .

البيت الحرام ٣٤٩ .

ت

التاج ٤٣٢ ، ٤٣٥ .

تاجو ٧٨٣ .

تبالة ٧٠٦ .

تهامة ٤٨٣ ، ٥٨٩ ، ٦٤٠ ، ٧٢٧ ، ٧٨٠ .

تيماء ٤٨٩ ، ٥٦٨ ، ٧٦٢ .

ث

ثبير ٤١٦ .

الثغر الأدنى ١٠٩ .

الثغر الأعلى ١٠٩ ، ٢٨٦ ، ٤٠٠ ، ٤١٨ .
ثهلان ٣٤٤ ، ٥٦٨ ، ٦٨٨ .

ج

جاسم ٦٠١ .

الجزائر الشرقية ٢٢ ، ٢٢٧ ، ٣٣٦ .

الجزيرة الأندلسية، انظر : الأندلس .

الجزيرة الخضراء ١٤٠ ، ١٤٥ .

جزيرة شقر ، انظر : شقر .

جلق ٢٨٥ ، ٤٨٨ ، ٧٣٤ ، ٨٧٢ .

جمع خيف ٦٥٨ .

الجودي ٤٩١ .

الجولان ٧٣٥ .

جيان ٨٠٩ .

ح

حارب ٧٣٥ .

الحجاز ٧٠٧ ، ٧٠٩ ، ٧٣٤ ، ٧٤٧ .

حزوى ٦٠١ ، ٦١٢ ، ٨٦٨ ، ٨٩٠ .

حصن ابن الشرف ٥٢٨ .

حصن الزاهر ١٤٥ .

حصن ٤٨٣ .

حمام الشطارة ٨٢٦ .

حمص ، انظر : اشيلية .

حنين ٣٥٧ ، ٦٥٣ .

حومل ٦٦٠ .

الحيرة ٧١١ ، ٧٣٤ .

خ

خراسان ٦٦٧ ، ٧٢٧ .

الخورتق ٢٨١ ، ٣٠٩ ، ٤٣٥ ، ٨٩٥ .

خيبر ٣٥٧ .

د

دار سابور ٣٥٠ .

دار السرور ٢٧٤ .

دانية ١٢ ، ٢٢ ، ٤٢ ، ٨١ ، ٢٢٧

٣٣٦ ، ٣٤٣ ، ٧٠٤ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨

٩٠١ .

دجلة ٦٨٩ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ .

الدخول ٦٦٠ .

ذ

ذات البين ٤٦٤ .

ذات الجيش ٤٦٤ .

ذات المجاز ٧٠٧ .

ذو الأضا ٧٠٢ .

ذو حسي ٥٤٧ .

ذوقار ٧٣٤ ، ٧٥٢ .

ذو المجاز ٧٤٧ .

ر

الرافدان ٦٩٢ .

راكس ٨٠٣ .

رامة ٧٧٩ .

رضوى ٢٨٩ ، ٥٦٣ ، ٨٦٨ .

روطة ٤٨٩ .

رومة (رومية) ١٨٢ ، ٧٢٧ .

ز

الزاهر ٤٣٢ ، ٤٣٥ .

زمزم ٤٠٩ ، ٦٩٥ ، ٧٥٣ .

الزهراء ١٤٣ ، ٤٥٤ .

الزوراء ٧٣٥ ، ٨٩٤ .

س

ساباط ٢٧٤ .

سجلماصة ٨١٦ .

السدير ٢٨١ ، ٣٠٩ ، ٨٩٥ .

السراة ٥٧٤ .

ص

صخرة ابن الشرف ، انظر : حصن
ابن الشرف .

صفين ٢٥٢ .

صنعاء ٣١٧ ، ٧٣٤ ، ٧٦٣ .

صيداء ٧٣٥ .

ط

طرطوشة ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢٨ ، ٥١٤ .

طليطلة ٩٢ ، ٩٣ ، ٢٥٠ ، ٨٥٠ .

طيبة ٧٢٧ .

ع

عالج ٦٤٤ .

عدن ٧٢٧ .

العراق ٥٩ ، ٦٨٩ ، ٥٨٢ ، ٨٩٤ .

عسيب ٥٧٧ .

العقيق ٤٣١ ، ٦٠١ .

غ

غرب الأندلس ٨٦٦ .

غرناطة ٩١١ .

غمدان ٦٥١ .

سرقسطة ٩٥ ، ١٧٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ .

٢٧٤ ، ٤٢٤ ، ٤٥٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٣ .

٨١٨ ، ٨٥٩ ، ٨٩٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٨ .

٩١٢ .

سرّ من رأى ٥١٤ .

سمرقند ٧٢٩ .

سنداد ٧٤٧ .

السهلة ١٠٩ ، ١١١ .

السواد ٥٠١ .

ش

شاطبة ١٥ ، ٦٨ ، ١٩٥ ، ٢٢٨ ،

٨٥٩ ، ٥١٧ .

الشام ٧٠ ، ٧١١ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ .

الشبتان ٨٠٩ .

شدونة ١٤٥ .

شقر ٥١٧ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ .

شقورة ٧٨٧ .

شلب ٦٢ ، ١٢٩ ، ٨٦١ ، ٨٩١ .

شلطيش ٨٦١ .

الشماسية ١٣٢ .

شمام ٣٩٤ ، ٦٤٤ .

شتمرية ١١٤ ، ٨٦١ ، ٨٩٥ .

شتمرية ابن هارون ٣٣٦ .

الغميم ٦١٢ .

الغوطه ٧٣٥ .

ف

فاس ٣٥٩ .

الفرات ٧٣٤ .

ق

قرطبة ٩ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ،

٢٠ ، ٢٣ ، ١٠٩ ، ١٨٠ ، ١٨٩ ،

١٣٥ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ٢٤٦ ،

٢٤٩ ، ٢٩٣ ، ٣١٨ ، ٤١٠ ، ٤٢٤ ،

٤٤٠ ، ٤٤٤ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ،

٥١٧ ، ٥٢٢ ، ٥٢٧ ، ٦٣٩ ، ٦٥٣ ،

٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٦٠ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ،

٨٨٨ .

قرمونة ١٤١ .

قسطلة الغرب ٣٣٦ .

القسطنطينية ٧٢٧ .

القصر المبارك ٧٥٩ ، ٧٦٢ ، ٧٦٥ .

القصر المرواني ٤٤١ .

القصر المكرم ٧٥٩ .

قلمرية ٨٦٠ .

قونكة ٩٣ ، ٢٥٠ .

القيروان ٥٢٩ ، ٨٦٧ .

ك

ككب ١٠ ، ٥٥١ .

الكعبة ٧١٢ ، ٧٢٠ .

ل

لاردة ٣٦ ، ١٧٩ ، ٤٦٨ ، ٤٧٤ ،

٥١٧ .

لبلة ٨٦١ .

لبنان ٥٨٦ ، ٦٢٠ .

لعلع ٦٤٠ ، ٦٤٤ .

لورقة ٦٤٨ .

ليبط ٦٤٨ .

م

ماردة ١٧٩ .

ماسان ٧٢٧ .

مالقة ١٤٦ .

ما وراء النهر ٧٢٧ .

مجريط ٧٧٦ ، ٧٧٧ .

مجلس الذهب ٢٧٤ .

مجلس الناعورة ٨٩٤ .

مدین ٧٢٧ .

المدينة ٨٢٥ .

مدينة سالم ٩٠٢ .

مدينة الفرج ٦٥٥ .

المريد ٨٥١ .

مريبطر ١٠٥ . ١٢٣ .

مرسية ٢٥ . ٢٦ . ٤٦٧ . ٨٥٩ .

المسجد الأقصى ٧٢٥ .

المسجد الجامع (بلنسية) ١٨ .

المسجد الجامع (قرطبة) ٤٤٢ .

مصر ٧٠ . ٣٦٨ . ٣٧٠ . ٣٩١ .

٣٩٣ . ٤٠٠ . ٥٢٩ . ٦٨٤ . ٦٩٢ .

٦٩٣ . ٧٧٨ . ٧٩٠ .

المغرب ٣٤٧ . ٦٦٧ .

المغرب الأقصى ٤٠٠ .

مكة ٣٨٦ . ٧٧٠ .

منتشون ١٨٥ .

منية العيون ١٢٤ .

الموصل ١٣١ .

ميورقة ٩٤ . ٤٢٧ . ٦٨١ . ٦٨٤ .

٦٩٢ . ٦٩٣ . ٧٠٢ .

نجران ٧٤٤ .

نعمان ٤٨٨ . ٥٨٥ . ٦٨٤ .

نعمان الأراك ٣٤٩ .

النيل ٦٨٤ . ٦٨٩ . ٦٩٢ . ٦٩٣ .

هـ

هجر ٧٧٥ .

الهند ٣٠٥ . ٣٥٦ . ٤٣٧ .

و

وادي آش ٤٠٣ . ٦٩٧ .

وادي الحجارة ٦٥٢ . ٦٧٢ . ٧٧٦ .

وادي الزيتون ٢٨٢ . ٢٨٤ .

وادي شوش ١٤١ .

وادي طلبيرة ٧٨٢ . ٧٨٣ .

وشقة ٥٠٦ .

ي

يادرة ٢٥٢ . ٦٧٤ .

يابة ٣٣٦ . ٣٤٠ .

يسوم ٧٥٣ .

اليامة ٧٢٧ . ٧٨٠ .

اليمن ٤٠٥ .

ن

الناصرية ٦٨٢ .

نجد ٤٥٩ . ٥٥٥ . ٥٨٩ . ٦١٢ . ٦٢٠ .

٦٤٠ . ٦٥٢ . ٧٢٧ . ٧٣٢ . ٧٣٣ .

٧٨٠ .

٣ - فهرس القبائل والأمم والطوائف ...

- | | |
|--|---------------------------------|
| الترك ٥٠٩ . | آل أخطل ٨٦٤ ، ٨٦٧ . |
| تغلب ٧٤٤ . | الأذواء ٤٠٥ . |
| تميم ٦٩ ، ٣٨٥ . | الأردمانيون ١٨١ . |
| بنو ثعل ٦٥٨ . | الأزد ٦٨٢ . |
| ثقيف ٨٠٤ . | بنو الأصفر ٧١١ . |
| ثمالة ٣٢١ . | الأعاجم ، انظر : المعجم . |
| ثمود ٤٤١ ، ٧٢٩ . | الأعراب ٨٤٥ . |
| جذام ٧٤٧ . | الافرنج ، انظر : الفرنجة . |
| الجلالقة ٢٩ ، ٩٥ . | الأقباط ٧٣٠ . |
| الحبش (الحبشان ، الحبشة) ٤٥٣ ، ٧١٠ . | الأكاسرة ٧٠٦ ، ٧٢٤ . |
| ٧١٢ . | بنو أمية ١٥١ . |
| بنو الحديدى ٩٦ . | الأنباط ٧٣٠ . |
| بنو حماد ٦٨٥ . | الأنصار ٤٤٤ . |
| بنو حمدين ٥٩١ . | إياد ٨١٣ . |
| بنو حمود ٣٣٦ . | البرابر ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٩٠ ، ٧٢٧ . |
| حمير ٧٢٩ ، ٧٤٣ . | البراجم ٥٠٢ . |
| بنو حية ٣٨٢ . | البربر ، انظر : البرابر . |
| خندف ٨٤١ . | البشكنس ١٦ ، ٣١٨ ، ٤٢٥ . |
| الدهرية ٧٤٠ . | بنو تاشفين ٤٠٩ . |
| بنو الديان ٧٤٤ . | التبابعة ٤٠٥ ، ٧٢٩ ، ٧٤٤ . |

٧٢٢ ، ٧٢٠ ، ٧١٩ ، ٧١١ ، ٧٠٨

. ٧٣٩ ، ٧٣٠ ، ٧٢٧

. بنو علي ٧٤٤

العرب ٢٧ ، ٣١ ، ٤٩ ، ٧٣ ، ١٠٠

٣٨٥ ، ٣٨٣ ، ٣٧٦ ، ٣٦٨ ، ٣٢٠

٣٩١ ، ٤٤٤ ، ٤٥٨ ، ٥٠١ ، ٦٧١

٦٨٧ ، ٧٠٤ ، ٧٠٦ ، ٧١٢ ، ٧١٧

٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢١ ، ٧٢٣ ، ٧٢٥

٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٣

٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩

. ٧٤٣ ، ٧٤٥

. العرب العاربة ٧٢٨

. العربان ، انظر : العرب

. العمالقة ٧٢٩

غسان ٦٨٢ ، ٦٨٨ ، ٧٠٥ ، ٧١٣

. ٧٣٤ ، ٧٤٤ ، ٧٤٧

. غطفان ٧٣٧

. القراعنة ٧٢٩

. بنو القرج ٩٣

. القرس ١٤٢ ، ١٥١ ، ٧٣٤

. القرنيحة ١٦ ، ٢٠ ، ١٠٠ ، ٢٤١ ، ٨٥٥

. القارة ٧٢٣

. قریش ٥٤ ، ٣٨٦ ، ٦٦٤ ، ٧٤٥

. القياصرة ٧٠٦ ، ٧٢٤

. آل كاسان ٧٣٤

. بنو ذبيان ٩

. آل ذي حسان ٧٠٥ ، ٧٤٧

. ربعة ٥٦٦

. بنو رحيم ٨٠٨

. بنورزين ١١١ ، ١١٩

الروم ١٨٥ ، ٢٤١ ، ٤٠٤ ، ٤٥٣ ، ٤٦٠

. ٦٥٥ ، ٧٤٤ ، ٧٨٢ ، ٨١٥ ، ٨٥٥

. رومان ٧٣١

. الزنج ٥٤٨

. بنو ساسان ٧٣٤

. بنو سعد ٦٨١ ، ٨٠٠

. الصقلب ١٤ ، ١٦ ، ١١٢

. الصمديون ، انظر : بنو عبد الصمد

. صنهاجة ٣٥٥

. بنو طاهر ٢٤

. الطيبعيون ٧٤١

. طيء ٣٨٢ ، ٨١٣

. عاد ٤٤٢ ، ٧٢٨ ، ٧٤٧ ، ٧٩٦

. بنو عامر ١٦ ، ٢٠ ، ٤١

. بنو عباد ٩٤ ، ٦٧٤

. بنو العباس ١٤٢ ، ١٥١ ، ١٦٠

. بنو عبد شمس ٧٩٣ ، ٨٠٨

. بنو عبد الصمد ٨٠٩ ، ٨١٠

. بنو عبد المدان ٢٠٣

. العجم ٤٩ ، ١٠٠ ، ٤١٤ ، ٦٧١ ، ٧٠٥

ملوك الطوائف ٢٤ ، ٣٣٦ ، ٤٤٨ ، ٥٤٢
 ٦٥٢ ، ٦٦٧ ، ٧٥٧ .
 المنجبون ٧٤٢ .
 الموالي العامريون ١١٠ .
 نزار ٢٢٨ .
 النصاري ١٨٢ ، ١٨٥ ، ٣٦٣ ، ٤١٥
 ٤٢٣ ، ٤٢٦ ، ٧٤٢ ، ٧٦٧ ، ٨٦٠ .
 بنو هاجر ٧٠٧ .
 بنو هاشم ٥٤ ، ٧١٢ .
 بنو هود ٩٥ ، ٤١٩ ، ٨١٩ .
 وائل ٨٤١ .
 يعرب ٦٨٢ .
 اليهود ١٨٦ ، ٢٨٣ ، ٤٥٧ ، ٧٢٠
 ٧٢١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٥٣ .
 اليونانية ٣٨٩ .

كليب ٣٧٨ .
 كندة ٦٩٢ .
 كتعان ٧٣١ .
 كهلان ٧٢٩ .
 آل لبون ١٢٣ .
 لحم ٤٤٤ ، ٦٧٩ ، ٦٨٢ .
 لمتونة ٤٠٨ ؛ وانظر : المرابطون .
 محارب ٣٧١ .
 المرابطون ٩٥ .
 مراد ١٦٣ .
 بنو مروان ٦٨٨ ، ٧٩٣ ، ٨٠٩ .
 مضر ٧٤٥ .
 المعتزلة ٣٧٤ .
 بنو معن ٨٧٢ .

٤ - فهرس الكتب المذكورة في المتن

- | | |
|-------------------------------|--|
| بسام ٢٥ ، ١٠٣ . | اصطلاح المنطق لابن السكيت ٣٨٧ . |
| شرح الحماسة لابن سيده ٣٨٧ . | باري أرمينياس ٣٦٨ . |
| شرح الفصيح لابن درستويه ٣٦٨ . | البيان والتبيين للجاحظ ٣٦٨ ، ٣٨٢ ، ٥٠٥ . |
| طي المراحل لابن مسلم ٤٢٧ . | التاريخ الكبير لابن حبان ٨٥٠ . |
| عقاب المتسور لابن أرقم ٣٧٢ . | التذكير والتأنيث لأبي حاتم ٣٨٦ . |
| العمدة لابن رشيق ٨٥٢ . | الحجة لأبي علي الفارسي ٣٧٢ ، ٣٧٩ . |
| العين للخليل بن أحمد ٣٧٢ . | الحيوان للجاحظ ٤٧٨ . |
| قاطاغورياس ٣٦٨ . | الذخيرة لابن بسام ٧٩١ . |
| الكامل للمبرد ٣٦٨ . | ردّ على إصلاح المنطق لابن سيده ٣٨٧ . |
| كتاب سيبويه ٣٦٨ ، ٣٧٥ . | رسالة السجن والمسجون للحجاري ٣٣٢ . |
| كتاب في الشبان للصولي ٣٨٦ . | رسالة العشر كلمات للحجاري ٣٣٢ . |
| المحكم لابن سيده ٣٨٧ . | الرياض لمحمد بن عمر المرزبان ٣٧٤ . |
| المخصص لابن سيده ٣٨٧ . | سر الذخيرة لابن بسام ١١٧ . |
| المذكر والمؤنث لارماني ٣٨٥ . | سلك الجواهر في ترسيل ابن طاهر لابن |

٥ - فهرس القوافي

قافية الهمزة

٦٢٧	ابن خفاجة	الكامل	ضياء
٦٣٠	»	السريع	بيضاء
٨٧٠	سعيد العروضي	»	والجؤجؤا
٧٧٧	ابن عطيون	الطويل	ويكلاؤ
٣٧٧	زهير	الوافر	الأداء
٧١٣	الخطيبة	»	الخداء
٨١٦	أبو بحر ابن عبد الصمد	الكامل	الجوزاء
٦٢١	ابن خفاجة	»	ذكاؤه
١٠٨	ابن لبون	»	بدائي
٣١٧	ابن الدباغ	»	مدائي
٥٢١	ابن شهيد	»	الأعداء
٥٨٢	ابن خفاجة	»	والأمساء
٥٨٩	»	»	الوعساء
٥٩٧	»	»	الغيناء
٦١٥	»	»	النظراء
٦٣٥	»	»	الأنواء
٦٣٥	»	»	الأنداء
٧٥٨	ابن أحمد	»	الوزراء

٨٧٢	ابن عبدون	الكامل	الماء
٨٣٦	الحجام	»	سمائه
٧٠٣	ابن الدودين	الكامل المجزوء	بضيائه
٢٤٢	ابن الرومي	الخفيف	بالإيماء
٣٨٦	-----	»	العواء
٨٣٦	الحجام	»	سودائه

قافية الباء

٨٧٨	أبو الفضل ابن شرف	الوافر	النوائب
٦١٣	ابن خفاجة	المقارب	اضطرب
٥١١	أبو الفضل البغدادي	الطويل	تعيبا
٥١١	أبو الريح القضايعي	»	شرابا
٥٧٠	ابن خفاجة	»	قبابا
٨٣٢	الحجام	»	والترائب
٨٨٥	أبو الفضل ابن شرف	»	صواحبا
٨٨٦	» » » »	البيسط	أربا
٥٧٢	ابن خفاجة	مخلع البيسط	سحابا
٦٦٩	ابن وهبون	الوافر	الذنوبا
٩٠٥	ابن حسداي	»	والقصابه
٩٠٥	الجزار السرقسطي	»	عابه
٥٧٥	ابن هانيء	الكامل	مذهبا
٦٧٤	ابن اللبانة	»	مذهبا
٨٢٩	ابن كيغلغ	»	كوكبا
٣٤٢	ابن هانيء	»	عذابا

٩٠٣	ابن هانيء	الكامل	تصابى
٥٧١	ابن خفاجة	»	محرابا
٦٣١	»	»	خضابا
٧٠٤	ابن الدودين	»	جوابا
٦٣٦	ابن خفاجة	المتقارب	أشهباً
١٥٤	ابن عبد البر	الطويل	جانبُ
٣٥٦	قيس بن الخطيم	»	فنضاربُ
٣٨١	أبو تمام	»	عجائب
١٦٣	المتنبي	»	يتقلبُ
٣٥٢ ، ٣٤٥	ابن هانيء	»	مشبوب
٥٧٦	ابن خفاجة	»	طبيبُ
٦١٨	»	»	يطيبُ
٦١٩	»	»	نسيبُ
٦٢٨	»	»	مُشيبُ
٦٣٦	»	»	ضروب
٦٤٩	»	»	قريبُ
٦٤٩	ابن وهبون	»	سليبُ
٨٥٣	كعب الغنوي	»	هبوب
٣١٤	المتنبي	»	خطاب
٥٦٥	ابن خفاجة	»	عتاب
٦٧٠	ابن اللبابة	»	سكبُ
٦٧٣	ابن خفاجة	»	وألعبُ
٢١	أبو تمام	»	عواقبه
١٠٧	ابن لبون	البسيط	آراب
٨٣٠	الحجّام	»	تلتهب

٤٥٤	ابن جرج	البيسط	قرب
٨٠١	-----	»	تجبُ
٦٦٩	ابن اللبانة	مخلع البسيط	الكثيبُ
٣٥٥	ابن عبدون	الوافر	الرقاب
٨٧٦	أبو الفضل ابن شرف	»	الرطيبُ
٥٧١	ابن خفاجة	الكامل	كتابُ
٨٤٤	ابن معلى	»	الأحساب
٤٧٣	-----	»	توهب
٦١٦	ابن خفاجة	»	صائبُ
٥٦٩	»	»	فتلعب
٦٢٩	»	»	تشرب
٣٤٠	ادويس بن اليماني	»	مغرب
٨٢٩	القاضي التنوخي	»	مغرب
٨٩٥	ابن السيد البطليوسي	الرملى	العُرَاب
٨٩٣	تميم بن المعز	الخفيف	غراب
٦١٦	ابن خفاجة	الرجز	ذهب
٤٧٧	-----	»	أحبه
١١٥	-----	الطويل	ذائب
٥٨٦	ابن خفاجة	»	النجائب
٦٩٦	ابن اللبانة	»	حاجب
٧٣٥	-----	»	حارب
٩٠١	ابن زهرة الصائغ	»	غالب
٨٥٣	النابعة الذبياني	»	بآيب
٥١٠	علي بن محمد الكوفي	»	طبيبي
٦٣٥	ابن خفاجة	»	ريب

٨٢٣	الحجّام	الطويل	محبّ
١٠	امرؤ القيس	»	كبكب
٨٤٧	»	»	يتقب
١٢	ابن دراج	»	الغرب
٨٢٧	الأخطل	»	والقلب
٦٨	أبو الأسود الكناني	البيسط	تجريب
٥٥٢	المتنبي	»	محبوب
١١٥	ابن المعتز	»	والكذب
٣٥٣	ادريس بن اليماني	»	الكتب
٤٥٣	ابن جرج	»	الأشب
٨٢٩	التمار الواسطي	»	الطلب
٨٣٤	الحجّام	»	والقضب
٨٣٤	»	»	العذب
٨٤٩	المتنبي	»	الكذب
٨٦٣	ابن الأصيلي	»	الطلب
٨٦٣	ابن بسام الأندلسي	»	والأدب
٣٣٤	ابن غصن الحجاري	مخلع البسيط	سحابه
١٦٥	-----	الوافر	القريب
٣٣٩	ادريس بن اليماني	الكامل	عنا
٢٩١	أبو تمام	»	مغرب
٦١٥	ابن خفاجة	»	مشرب
٨٩٢	أبو الحسن ابن السيد	»	كالكوكب
٨٩٥	ابن السيد البطليوسي	»	كالكوكب
٨٨٠	أبو الفضل ابن شرف	»	المذهب
٨٤٦	البسامي أو غيره	»	الواجب

٨٨٨	محمد بن فرج	الكامل	الاعجاب
٨٣٣	الحجّام	»	التسكاب
٣٢١	ابن مهران السرقسطي	»	نصيبي
٥٥	البحري	»	بغريب
٣١٥	ابن الدباغ	»	إعرايه
٣١٥	ابن خيرون	»	عذابه
٥٣	ابن طاهر	»	أصحابه
٦١٨	ابن خفاجة	مجزوء الكامل	الشباب
٥٣٠	أبو جعفر البجاني	»	حبيبه
٥٣٠	البماري	»	مطلوبه
٢٧٤	ابن غند شلب	الرمّل	واحرّبي
٧٤١	المتنبي	السريع	كسبه
٦٥٧	العباس بن الأحنف	المنسرح	والغضب
٧٩٥	ابن أبي الخصال	»	الطرب
٣٣٧	ابن دري	»	موعبه
٤٣٣	ابن الرومي	الخفيف	غراب
٥١٣	ابن شهيد	»	الأسباب
٩٠٨	ابن زرارّة	»	كتاب
٥٧٣	التميمي	المتقارب	كاتب
٥٨١	ابن الرومي	»	الكاتب
٩٠٢	ابن عنق النضة	»	العتاب
٣٦٧	— — —	الرجز	بِهْ

قافية التاء

٧٩٣ ، ٧٨٥	ابن أبي الخصال	المنسرح	عرفت
-----------	----------------	---------	------

٦٨٠	ابن اللبانة	الطويل	فأسكتُ
٨٩١	ابن السيد البطالوسي -	»	ونسيتُ
٩١٢ ، ٤٩٢	ابن حسداي	البسيط	لبانات
٦٩٦	ابن اللبانة	»	استحالات
٩١٢	أبو طاهر الأشكوري	»	علات
٨٣٥	الحجام	مخلع البسيط	الصفات
١١٦	ابن رزين	الخفيف	ميميتُ
٦٩	الطرماح	الطويل	لولتِ
٥٥٥	طارق بن نابي أو غيره	»	ظنّتِ
٧٩٥	ابن أبي الحصال	مخلع البسيط	جامعات
٨١٠	أبو بحر ابن عبد الصمد	الكامل	صلاتِ
٦٧٩	المتنبي	»	أبياتها
٨٢٧	الحجام	»	ذاتها
٣٣٣	ابن غرض الحجاري	المنسرح	اشتنتِ
٣٧٤	العجاج	الرجز	رحمتي

قافية الثاء

٨٩٨	ابن هند الداني	الطويل	تحدّت
-----	----------------	--------	-------

قافية الجيم

٦٠٥	ابن خفاجة	الطويل	مخارجا
٤٩١	ابن صمادح	الرمل	دملجا
٣٧٥	— — —	الرجز	خدلجا

٥٤	ابن طاهر	الطويل	منضج
٨٨٩	ابن عائشة	»	مفلج
٧٨٠	ذو الرمة	البسيط	الفراريج
٦٩٧	ابن اللبانة	الكامل	آراجها
٦٩٨	أبو الفضل ابن شرف	»	عجاجها

قافية الحاء

٥٧٣	ابن حمديس	السريع	الأقاخ
٦٩٩	ابن اللبانة	»	فصاح
٤٩٢	ابن الملح	المنسرح	قزح
١٠٧	ابن لبون	البسيط	التباريحا
٣٤	ابن طاهر	الكامل المرفل	سمحا
٨٣٦	الحجام	الكامل	باحا
٤٨١	—	مجزوء الرمل	ملحة
٩٠١	ابن سابق	السريع	تباريحا
٩٠١	أبو بكر ابن الفرضي	»	تصريحا
٨٣٩	الحجام	»	جرحة
٧٧	توبة بن الحمير	الطويل	صفائح
٦١٧	ابن خفاجة	»	نافع
٣٣٨	ادريس بن اليماني	»	صحاح
٧٧٥	ابن عطّيون	»	براح
٢٤٠	—	»	ونمدح
٦٠٦	ابن خفاجة	»	أمسح
١٠٥	ابن لبون	الوافر	ارتياح

٦٢٦	ابن خفاجة	الوافر	جناح
٦٤٥	»	»	جناح
٦٢٦	»	»	سلاح
٧٢٦	سعد بن مالك	مجزوء الكامل	والمراح
٧٨١	ابن عطيون	الرجز	يلتاح
١٤٦	—	الطويل	المنالكح
٨٥٢	كثير أو غيره	»	الجوانح
٣٤١	المعتمد بن عباد	»	برح
٨٧٩	أبو الفضل ابن شرف	»	بقراح
٨٧٣	»	مخلع البسيط	بالفلاح
٨٧٨	»	الوافر	القراح
٣٤٣	ادريس بن اليماني	الكامل	الضاحي
٨٢٢	الحجام	»	صالح
٨٨٤	أبو الفضل ابن شرف	مجزوء الكامل	براح

قافية الدال

٨١٠	—	الرميل	الصمد
٦٢٥	ابن خفاجة	السريع	وقد
٧٩٦	ابن أبي الحصال	»	معاد
٨١٩	ابن الصفار السرقسطي	المتقارب	جلد
١٦٩	—	الطويل	يدا
١١٩	ابن رزين	»	مقعدا
٦٢٥	ابن خفاجة	»	ندآ
٧١٢	—	»	سؤددا

٢٠٣	— —	البيسط	قودا
٩٠٩	ابن طاهر الأشكوري	مخلع البسيط	يميدا
٨٨٠	أبو الفضل ابن شرف	»	الزياده
٧٧٧	ابن عطيون	الوافر	بعادا
٨١٢	أبو بحر ابن عبد الصمد	»	التنادا
٨٧٣	التطيلي	»	القتادا
٦٢٦	ابن خفاجة	الكامل	مدادا
٦٢٨	»	»	فرقدا
٤٨٢	— — — —	»	واحد
٨٢٥	ابن شهيد	الرميل	أبدا
١١٩	ابن رزين	السريع	حدّه
٨٣٩	الحجّام	المنسرح	يدك
٦١٨	ابن خفاجة	المجتث	عقد
٦٥٢	»	»	قدّه
٨٧٧	أبو الفضل ابن شرف	المقارب	عدّها
٧٠٧	— —	الرجز	مجادا
٣٥٨	ادريس بن اليماني	الطويل	جديد
١٦٧	المتني	»	وأطارد
٩١٠	أبو طاهر الأشكوري	»	المشاهد
٦٢٤	ابن خفاجة	»	سهاد
٥٥٨	ابن الرومي	»	رمدد
٥٦٧	ابن خفاجة	»	وتنجد
٧٩٦	ابن أبي الخصال	»	أصيد
٨٢٦	الحجّام	»	يتقلد
٣٩٦	— —	»	العقد

٧٠٩	الخطيئة	الطويل	شدوا
٨٣٢	الحجام	»	والشهادة
١٥٨	—	»	اجتهاده
١٦٩	المتقي	»	أستجده
٨٣٠	الحجام	البيسط	تتقد
٢٠٣	—	»	محسود
٤٥٥	ابن جرج	مخلع البيسط	حصيد
٤٥٥	ابن شهيد	»	هجود
٦٦٥	أبو حاتم الحجاري	الكامل	أسود
٨١٤	أبو بحر ابن عبد الصمد	»	أسود
٨١٥	مختار بن النجار	»	يزيد
٧٩٤	ابن أبي الخصال	»	أزادها
٨٧٨	أبو الفضل بن شرف	الخفيف	صعود
٦٩	عمرو بن ذي الاصبع	الطويل	الرائد
٥٥٨	دريد بن الصمة	»	أبعد
٨٢٧	أبو العلاء المعري	»	و فرقد
١١٨	ابن رزين	»	الزهد
٥٨٨	ابن خفاجة	»	الورد
٦٨١	ابن اللبابة	»	الورد
٧٨٥	ابن أبي الخصال	»	بعدي
٧٧٦	ابن عطيون	»	المجد
٧٩٧	ابن أبي الخصال	»	عندي
٧٢٩	—	»	المتعدد
٢٠٤	الراعي النميري	البيسط	أحد
٣٤٧	ابن هذيل	»	واكبدي

٦٢٩	ابن خفاجة	البيسط	تزد
٧٧٢	أبو جعفر ابن أحمد	»	بيد
٨٣٥	الحجام	»	القياس
٦٧٩	ابن اللبانة	»	باد
٦٦٩	»	مخلع البسيط	فوازي
١٦٣	---	الوافر	الحايد
١١	عمرو بن معديكرب أو غيره	»	تنادي
١٦٣	عمرو بن معديكرب	»	مراد
٦٤٦	ابن خفاجة	»	حداد
٧٣٠	ابن فضالة	»	معاد
٨٤١	ابن معل	»	الرماد
٢١٦	---	الكامل	لوداد
٣٧٣	أبو تمام	»	متباعد
٤٧٥	الناطقة الذبياني	»	باليد
٦٣٠	ابن خفاجة	»	مقيد
٨١٨	أبو بحر ابن عبد الصمد	»	مفرد
١١٧	ابن رزين	مجزوء الكامل	وعود
٢٢٥	أبو فراس الحمداني	السريع	خالد
٦٦٤	أبو حاتم الحجازي	»	أملود
٨٤٩	ابن المعتز	»	الورد
٦٩٥	ابن اللبانة	»	خده
٨٩٤	ابن السيد البطليوسي	المنسرح	الخلد
٣٥٠	أبو العلاء المعري	الخفيف	شاد
٦٧٧	أبو تمام	»	العوادي
١٠٤	ابن القرج	المجث	خدك
٧٦٤	---	المتقارب	الوداد

قافية الذال

تنبذُ الطويل بشار ٣٧٢

قافية الراء

٦٠٥	ابن خفاجة	مجزوء الكامل	والنظرُ
٤٦٢ ، ٤٦١	علي بن محمد الايادي	السريع	الديارُ
٣٣٨	— —	المجنت	بمعذر
٦٢٩	ابن خفاجة	المتقارب	النظر
٨٤٧	امرؤ القيس	،	قرّ
٨٠	أبو حزابة	الطويل	أخضرا
١٠٧	ابن لبون	،	تنغيرا
٣٨١	الفرزدق	،	تأزرا
٢٢٩	امرؤ القيس	،	آخرا
٦١٣	ابن خفاجة	،	خضرا
٦٧٧	— —	،	اليسرى
٨٤٤	الراضي العباسي	،	والبدرا
٨٤٨	امرؤ القيس	،	لأثرا
٦٠٥	ابن خفاجة	،	نهارا
١١	ابن دراج	،	ادكارك
٦٩٥	ابن اللبانة	البيسط	قمرا
٨٢٦	الحجّام	،	أشفارا
٣٣٨	ادريس بن اليماني	مخلع البيسط	الصغارا
٣٣٩ ، ٣٣٥	ابن غصن الحجارى	الوافر	الصغارا
٥٠	ابن رزين	الكامل	السكر

٢٣٤	— —	الكامل	يشمرا
٦٢٦	ابن خفاجة	»	وأنضرا
٦٣٨	» »	»	فأقمرا
٦٧٥	ابن عمار	»	مجوهررا
٧٦٤	— —	»	الورى
٨٣٤	الحجرام	»	الجوهررا
٩٠٣	تميم بن المعز	»	أجدرا
٨٢٤	مالك بن أسماء	الكامل المرفل	الصبرا
٥٧٤	ابن خفاجة	السريع	معطارا
٦٧٤	— —	»	خاسره
٨٤٣	ابن المعتر	الخفيف	ذكرا
٦٣١	ابن خفاجة	»	نارّه
٦٥٢	» »	المجث	مسرى
٦١٥	» »	»	غره
٦٧٢	ابن عبدون	»	الحجاره
٣٣٤	المتنبي	المتقارب	سارا
٣٨٠	الخنساء	»	الازارا
٨٠٢	— —	»	ضارا
٣٠١	— —	»	زنّره
٧٤	نہشل بن مالك	الرجز	الحضاره
٦٩٩	ابن اللبانه	الطويل	المواطرُ
٧٣٥	ابن حمار البارقي	»	مسافر
٣٧٨	عمر بن أبي ربيعة	»	معصر
٧٨٦	الفتح بن خاقان	»	تقطر
٧٨٦	ابن الحاج	»	أسطر

٣٩١	أبو نواس	الطويل	تسير
٥٧٥	ابن وهبون	"	تلور
٦٦٨	" "	"	قصير
٦٧٦	بشار	"	مبير
١٢٠ ، ١٢٢	ابن سعدون	"	الأمر
١٢١	ابن رزين	"	السكر
١٢٢	" "	"	نثر
١٦٢	— — —	"	العذر
٤٦٤	أبو صخر الهذلي	"	سطر
٦٠٤	ابن خفاجة	"	السكر
٦٢٧	" "	"	سر
٦٣٢	" "	"	والجهر
٨٧٦	أبو الفضل ابن شرف	"	الخضر
٨٤٦	ذو الرمة	"	القطر
٨٤٢	أبو تمام	"	قطر
٨٤٤	ديك الجح	"	والبدر
٣٧١	— — —	"	ناصره
٣٧٦	عمارة بن عقيل	"	ضميرها
٣٨٤	الفرزدق	"	نثيرها
١١	البحثري	البيسط	شعروا
٢٧٤	"	"	أعتذر
١٠٦	ابن ليون	"	وينحدر
٦٧٥	ابن عمار	"	معتكر
٦٨٣	ابن الالبانة	"	ينتشر
٧٢٩	— — —	"	زهر

٧٦٠	----	البسيط	الحجرُ
٨٨٣	أبو الفضل ابن شرف	»	نظر
٣٠	----	»	العير
٣٨٦	----	»	الأعاصير
٥١٤	أبو الربيع القضاعي	مخلع البسيط	وزير
٣٣٨	نصيب	الوافر	انصغار
٨٢٨	بشر بن أبي خازم	»	جار
١٠٠	ابن خفاجة	الكامل	النار
٥٦٤	» »	»	دوَار
٥٩٦	» »	»	تدار
٨٤٤	المتنبي	»	محفور
٣٥٧	أبو العلاء المعري	»	الأحمرُ
٦٣٢	ابن خفاجة	»	فيقصرُ
٨٧٥	أبو الفضل بن شرف	»	تنظر
٧٩٦ ، ٧٨٥	أبن أبي الحصال	الكامل	آثارُه
١١٦	ابن رزين	مجزوء الكامل	برّ
٧٥٨	أبو جعفر ابن أحمد	مجزوء الرمل	يجورُ
٦٢٩	ابن خفاجة	السريع	خمر
٣٦٧	---	»	حفّارها
٤٦٣	---	المنسرح	مطر
٦٥٧	أبو حاتم الحجا ي	»	الفجر
٧٧٣	أبو جعفر ابن أحمد	»	القطر
٥٨٠	ابن المعتز	الخفيف	صغير
٦٧٨	أبو العلاء المعري	المتقارب	البنصر

٧٣٢	حاتم أو غيره	الرجز	قر
٥٦١	—	»	فرار
٣٧٠	—	الطويل	تسري
٣٧١	الأخطل	»	تبري
٤٦٣	»	»	الدهر
٣٧٨	—	»	العشر
٥٧٨	ابن خفاجة	»	يكري
٦٣٧	»	»	كالعشر
٦٤١	»	»	الزهر
٧٩٦	ابن أبي الخصال	»	الشكر
٧٩٧	»	»	البدر
٢٣٨	جرير	»	مري
٣٣٤	ابن الجهم	»	البحر
٨٩١	ابن السيد البطليوسي	»	بهار
٦٢٢	ابن خفاجة	»	عذار
٧٧٤	ابن عطيون	المديد	حور
٣٣٤	ابن شماخ	البيسط	وأغوار
٤٥٦	ابن جرج	»	أخطار
١٥٩	ابن المعتز	»	الحجر
٦٤٧	ابن خفاجة	»	والنظر
٦٩٦	ابن اللبانة	»	بالبصر
٢٩٨	أبو العلاء المعري	»	البشر
٧٠٧	»	»	والسير
٧٠٨	»	»	والعكر
٧٣٢	»	»	الحضر

٤٩٣	ابن حسداي	البيسط	البكر
٥٣٠	ابن الرومي	"	بالبصر
٥٣٠	البماري	"	خري
٧٦٩	أبو حاتم الحجاري	"	الصدر
٧٧٠	" " "	"	الحجر
٧٧١	" " "	"	النظر
٧٧٠	أبو جعفر ابن أحمد	"	المصر
٧٦٩	" " "	"	الحجر
٨٣٦	كشاجم	"	الحجر
٦٣٥	ابن خفاجة	"	العار
٧١٨	النابعة الذبياني	"	واكوار
٣٨٧	— —	"	النار
٧٠٣	ابن الدودين	مخلع البيسط	وقاري
٣٧٩	— —	الوافر	إزاري
٣٥٦	ابن عبدون	"	الدهور
٨٣٩	الحجام	"	بالنشور
٦٦٨	ابن اللبانة	"	قصير
٨٦١	ابن الأصيلي	مجزوء الوافر	السور
٢٢٨	— —	الكامل	الأحرار
٥٦٨	ابن خفاجة	"	الأزهار
٥٩٢	" "	"	نهار
٧٢١	النابعة الذبياني	"	البقار
١٥٥	التهامي	"	نار
٣٥٦	"	"	الخطار
٣٣٥	ابن غصن الحجاري	"	مقفر

٣٥٨	ادريس بن اليماني	الكامل	الاكدير
٥٩٨	ابن خفاجة	،	الأعصر
٦٣٢	، ،	،	فاعبر
٦٧٧	الجزيري	،	للخنصر
٨٧٧	أبو الفضل ابن شرف	،	المحصور
٥٠٣	— —	،	الزائر
٦٠٤	ابن خفاجة	،	ظهيره
٣٧٩	الخرنق	الكامل المرفل	الأزر
٢٣٥	زهير	،	ستر
١١٨	ابن رزين	مجزوء الكامل	المنير
٥٨١	الأصبهاني	السريع	الأمر
٥٨٨	ابن خفاجة	المنسرح	مطر
٩٠٧	الجزار السرقسطي	الخفيف	قراري
٦٨٥	ابن اللبابة	المتقارب	يعتري
٣٧٤	— —	الرجز	الداري
٣٧١	طرفة أو كليب	،	بمعمر

قافية الزين

٣٢٨	ابن خلصة	الطويل	معترا
٦٥٦	أبو حاتم الحجاري	الكامل	هزازا
٦٠٣	ابن خفاجة	،	إعجاز
٤٥٤	ابن جرج	البسيط	بتطريز
٨٩٣	أبو العلاء المعري	الرجز	كوز

قافية السين

٦٣٠	ابن خفاجة	المتقارب	الغلس*
٨٧٣	أبو الفضل ابن شرف	»	التبس
٥١٣	أبو الربيع إقضاعى	الكامل	حندهسا
٦٨٤	ابن اللبانة	»	الأوعسا
٨٤٩	بشار	مجزوء الكامل	ملسا
٧١٣	—	الكامل	الناس*
٤٠٣	ابن أرقم	السريع	رمس*
٦١٧	ابن خفاجة	المتقارب	والمعطس
٢٨٨	امرؤ القيس	الطويل	المقدسـ
١١٤	ابن رزين	»	اللمس
٥٠٧	—	»	بحارس
٢٢٨	الحطيثة	البسيط	الكاسى
٤٥٣	ابن جرج	»	آسى
٦٨٠	أبو العتاهية	»	وجلاسى
٣٣٤	ابن غصن الحجارى	مخلع البسيط	نفسى
٥٩٠	ابن خفاجة	الكامل	دامس
٨٧٤	ابن برد	»	بالأنفاس
٦٢٣	ابن خفاجة	الرمل	نفس
١٣٠	ابن عبد البر	السريع	بالنفس

قافية الشين

٦٩٩	ابن اللبانة	المتقارب	طائشة*
-----	-------------	----------	--------

٨٨٨	ادريس بن اليماني	الطويل	فراشُ
٨٣١	الحجام	البسيط	تكميشُ
٣٣٧	ادريس بن اليماني	المديد	العطشِ
٤٥٣	ابن جرج	البسيط	فرشِ
٩٤	أبو الحسين ابن الجلد	الوافر	الفراشِ

قافية الصاد

٤٧٥	— —	الطويل	البرص
٤٨٧	ابن حسداي	الرمل	الفصصا
٩٦	ابن طاهر	مجزوء الرمل	عويصا
٨٣٧	الحجام	البسيط	ينتقصُ

قافية الضاد

٧٠٢	ابن اللبانة	الكامل	الأضا
١١٨	ابن رزين	الخفيف	مراضا
٨٣٥	الحجام	المجث	مريضا
٨٣٨	الحجام	الوافر	نموضُ
٤٩١	سيف الدولة	الطويل	الأرضِ
٨٢٨	الصنوبري	و	والعرض
٨٢٦	الحجام	الوافر	والبياض

قافية الطاء

٨٥٤	— —	الرجز	قطُ
-----	-----	-------	-----

٤٩١	ابن بليطة	الطويل	اسفنتا
٨٨٨	محمد بن فرج	الكامل	تخليط
٦٥٧	سعيد بن حميد	المنسرح	بمغبت

قافية العين

٢٨٩	— —	الطويل	مسمعا
٦٢٠	ابن خفاجة	»	ربعا
٦٢٣	»	»	فرجعا
٦٩٦	ابن اللبانة	»	شفعا
٧٠٢	»	»	فرعا
١٨١	القطامي	الوافر	استطعا
٨٢٤	علي بن حبله	الرملي	ودعا
٤٤٧	أوس بن حجر	المنسرح	سما
٨٢٤	المتنبي	الخفيف	ودعا
١٢٤	ابن رزين	الطويل	مدمع
٢٢٥	— —	»	أوسع
٢٢٣	— —	»	تدمع
٣٨٠	— —	»	أنزع
٣٩١	عروة بن الورد	»	مقنع
٤٥٢	— —	»	فيتع
٤٨٦	ابن حسداي	»	مروع
٨١٨	أوس بن حجر	»	تقمع
٨٧٧	أبو الفضل ابن شرف	»	مدمع
١٥٢	— —	»	جامع

٢٨٨	— —	الطويل	ناقعُ
٨٠٣	النابعة الذبياني	»	فالقوا جمعُ
٨٣٠	الحجام	»	ساطعُ
٦٧٨	ابن اللبانة	البيسط	أطلع
٦٨٥	» »	الوافر	الخداعُ
٧٨٢	ابن عطيون	الكامل	المسموع
٥٦٣	ابن خفاجة	»	مرتاع
٢٠٢	جرير	»	مربع
٣٥٥	ادريس بن اليماني	»	ممرع
٨٨١	أبو الفضل ابن شرف	»	فتسطع
٣٨١	أبو ذؤيب	»	يقطع
٨٢٨	» »	»	يتلغ
١٥٤	المجنون	الطويل	الأصابع
٨٨٠	أبو الفضل ابن شرف	»	متضوع
٣٣٩	ادريس بن اليماني	الكامل	نزاع
٨٧٩	أبو الفضل ابن شرف	الكامل المرفل	الرجع

قافية الغين

٤٥٢	ابن جرج	المتقارب	أصباغهُ
-----	---------	----------	---------

قافية الفاء

٧٦٩	الحجام	مجزوء الخفيف	ينصرف
٦٢٩	ابن خفاجة	المتقارب	الحروف

٥٠٨	أبو الربيع الفضايعي	الطويل	ضعفا
٥٠٨	ابن هانئ	»	شفا
٨٧٨	أبو الفضل ابن شرف	»	وصرفا
١٠٥	ابن لبون	الكامل	مفوقا
٩٠٠	ابن زهرة الصائغ	مجزوء الرمل	وكفا
٤٦٧	— —	الطويل	أطوف
٤٩٠	ابن حسداي	»	يكشف
٨٧٦	أبو الفضل ابن شرف	»	لخلف
٦٧٧	— —	البسيط	والصحف
٣٣٥	ابن غصن الحجاري	الطويل	إلني
٥٧٠	ابن خفاجة	»	سوالف
٦٦٩	ابن اللبانة	البسيط	شغف
٨٦٣	ابن الأصيلي	»	شغف
٧٦٨	أبو جعفر ابن أحمد	»	زخاريف
١١٦	ابن رزين	»	منتصفه
٨٣٧	الحجام	الكامل	أعطافها
١٢٨	ابن عبد البر	مجزوء الكامل	طرفك
٧٩٥	ابن أبي الحصل	المتقارب	الوفي

قافية القاف

٧٠١	ابن اللبانة	السريع	استفاق
٦٢٨	ابن خفاجة	المتقارب	أشفق
٣٨١	— —	»	الصعق
٨٩٢	ابن السيد البطليوسي	الرجز	عبق

٨٤٨	المتنبي	الوافر	نطاقا
٨٢٣	الحجّام	»	أطاقا
٥٨٣	ابن خفاجة	الكامل	لحاقا
٨٦٠	ابن الأصيلي	المتقارب	للشقا
٣٧٦	أبو نخيلة	الرجز	الفتقا
٨٨٤	أبو الفضل ابن شرف	الطويل	شائقُ
٣١٨	ابن مهران السرقسطي	»	خلوقُ
٤٨١	المجنون	»	لصديقُ
٦١٤	ابن خفاجة	»	معرق
٧٧١	ابن اللبابة	»	ويعبق
٧٧١	أبو جعفر ابن أحمد	»	يشرق
٨٧٠	مولى البكري	»	يغرق
٨٨٠	أبو الفضل ابن شرف	»	منزق
٣٧٨	كثير	البيسط	العبق
٦١٢	ابن خفاجة	»	شفق
١٠٤	ابن الفرج	الكامل	صادق
٦٠٩	ابن خفاجة	»	يتدفق
٦٩٣	ابن اللبابة	»	يحرق
٨٧٦	أبو الفضل ابن شرف	»	تنطق
٧٥٤	العباس بن عبد المطلب	المنسرح	الورق
٣٣٢	ابن غصن الحجازي	المتقارب	غريق
٨٨٣	— — —	الطويل	رازق
٨٩٨	ابن هند الداني	»	المفارق
١٥٤	أبو نواس	»	صديق
١٠٩	أبو الطمّحان	»	بالنهق

٣٧٦	عقنان اليربوعي	الطويل	تشتق
٦٠٧	ابن خفاجة	»	المتدفق
٨٧٨	أبو الفضل ابن شرف	»	يتفرق
٦١١	ابن خفاجة	البسيط	والعنى
٩٤	الحجّام	الوافر	بالطلاق
٦٥٧	— — —	»	المذاق
٦٣٨	ابن خفاجة	الكامل	وعناق
١١٨	ابن رزين	»	مشتاق
٦٢٦	ابن خفاجة	»	وحرّيق
٣٧٤	التقلاسي	»	الأوثق
٥٩٦	ابن خفاجة	»	المورق
٨٦٩	أبو الفضل ابن شرف	الرمّل	الأرق
٨٧٤	» » » »	»	تصادق
٦٥٦	أبو حاتم الحجاري	المنسرح	الأفق
٧٩٣	ابن أبي الخصال	»	طرق
٨٣٧	ابن الرومي	»	بالبهق
٥٨٢	— — — —	المقارب	يلمق
٦٢٥	ابن خفاجة	»	الرحيق
٧١٤	— — —	»	لاق
٦٦٣	أبو حاتم الحجاري	مجزوء الرجز	خرق
٨٢٩	كشاجم	» »	يشرق

قافية الكاف

٣١٦	ابن الدباغ	البسيط	بقرباكا
-----	------------	--------	---------

٦٨٦	ابن الالبانة	البسيط	حلكا
٦٧١	»	الوافر	ذاكا
١٠٤	ابن الفرغ	الخفيف	عليكا
٢٨٧	أبو نواس	»	بفيكا
٨٣١	الحجّام	الطويل	سلوكُها
٣٤٤	أدريس بن اليماني	الكامل	أراك
٣٤٥	أبو الربيع القضاعي	»	رياك
٣٤٦	ابن هذيل	»	باك
٣٤٧	الرمادي	»	أبكاك
٣٤٨	البليّنه	»	عيناك
٦٤	ابن خفاجة	»	شاك
٨٣٥	الحجّام	»	بالمسواك
٨٩٧	ابن هند الداني	»	هواك

قافية اللام

٢٤١	---	الطويل	وصل
٤٨٠	---	»	كالهجل
٢٨	ابن عمار	»	قبولا
٥٠٠	ليل الأخيلىة	»	هلا
٥٨٤	ابن خفاجة	»	خيالا
٩٠٦	الجزار السرقسطي	»	مطبله
١٥٨	المتني	البسيط	رجلا
٢٣٥	---	»	قبلا
٨٣٨	الحجّام	»	واعترلا
٨٨٨	محمد بن فرج	»	نزلا

٢٤٠	----	الوافر	يقالا
٧٦٦	ابن وهبون	"	ملالا
٣٥١	----	"	انتكالا
٣٢١	المبرد	"	ثماله
٦٤٩	ابن خفاجة	الكامل	صفيلا
٩٠٢	أبو بكر ابن الفرصي	"	الجرىالا
٦٤٦	ابن خفاجة	مجزوء الرمل	جهلا
٣٢٩	ابن خلصة	الخفيف	خيللا
٧١١	المتبي	"	الاجيالا
١١٥	ابن المعتز	المقارب	شائلا
١١٥	المعتد بن عباد	"	زائلا
٢٠٤	إبراهيم العموي	"	ينالا
٦٨٣	ابن اللبانة	"	الغليلا
٦٩٢ . ٦٨٦	" "	"	وأصيلا
٤٨٠	صخر بن عير	الرجز	التفلة
٨٤	الحطيئة	الطويل	قلائل
١٤٢	----	"	مقاتل
١٦٦	----	"	الشمائل
٥٨٠	أبو تمام	"	نازل
٧٧٢	أبو جعفر ابن أحمد	"	وباخل
٨٨٣	---	"	حافل
٨٣٤	الحجاء	"	فبخيل
٦٤٠	ابن خفاجة	"	فأقول
٣٥٠	أبو العلاء المعري	"	مينال
٣٧٩	جرير	"	جلاجله

٨٥١	جرير	الطويل	حلائله
٧٢٣	زهير	"	قائله
١١٦	ابن رزين	"	نصالة
٥٥٩	الأعشى	البسيط	الواعل
٦٣٣	ابن خفاجة	"	العطل
٦٣٥	" "	"	الأول
٧٢١	أبو تمام	"	قتلوا
٨٣٧	الحجاء	"	غلالته
٣٥٦	ادريس بن اليماني	الكامل	بابل
٦٦١	أبو حاتم الحجاري	"	سائل
١٢٠	عنان أو أبو نواس	"	هلال
٤٠٧	أبو عامر ابن أرقم	"	الآمال
٦٢٢	ابن خفاجة	"	مكسال
١٣٠	ابن عبد البر	"	يصول
٦٠٩	ابن خفاجة	"	جميل
٦١٠	" "	"	ظليل
٦٨٩	أبو المظفر البغدادي	"	قليل
٦٩٠	ابن اللبانة	"	قليل
٨٠٣	—	"	مجبول
٨٨٤	أبو الفضل ابن شرف	"	جميل
٧٦٩	اللجاء	"	المهمل
٥١	ابن طاهر	مجزوء الكامل	رسول
٤٥٩	—	السريع	مثله
٣٢٩	ابن خلصة	الخفيف	العليل
٤٩٥	امرؤ القيس	الطويل	خلخال

٨٧٩	أبو الفضل ابن شرف	الطويل	غال
٧٠	امرؤ القيس	"	الرواحل
٢٠١	الطرماح	"	طائل
٥٩٠	ابن خفاجة	"	فصل
٦٣٠	" "	"	العذل
٦٨١	ابن زيدون	"	الحفل
٨١٩	امرؤ القيس	"	مقتل
٨٤٨	" "	"	ميكل
٨٥٣	" "	"	تفضل
٨٦٦	ابن الأصيلي	"	لي
٣٢٧	ابن خالصة	البسيط	خطل
٣٤٢	ابن الرومي	"	الملل
٤٠٤	أبو عامر ابن أرقم	"	كسل
٤٩٦	المتنبي	"	قبلي
٢٥٦	المتنبي	الوافر	نبال
٧٣٥	اللعين المقرئ	"	النبال
٨٣٦	ابن المعتز	"	بخال
٣٨٤	المتنبي	"	قبلي
٦٦٠	أبو حاتم الحنجاري	"	للأفول
٧١٤	أبو العلاء المعري	"	جميل
٨٤٠	ابن معلى	الكامل	جداول
١٢٤	ابن رزين	"	قتال
٤٩٠	صالح الشتمري	"	إعمال
٦٦٢	أبو حاتم الحنجاري	"	الاكفال
٦٧٧	الحجّام	"	العالي

٨٥٦	الكميت	الكامل	الاكفـال
١٠٦	ابن لبون	»	التمويل
١٠٦	راشد بن سليمان	»	بجزيل
٨٣١	الحجام	»	المقبل
٧٩٠	— —	الكامل المرفل	جمل
٣٥٥	— —	مجزوء الكامل	مسالك
٦٨٧	ابن الرومي	مجزوء الرمل	بمثاله
٩٠٩	ابن زرارـة	السريع	أعمالكم
٧٢٢	عـمر بن أبي ربيعة	الخفيف	الذبول
٨٢٥	العباس بن الأحنف	»	السؤال
٤٨٩	ابن الفرـج	المجـتـث	الجرىال
٤٨٩	ابن حسداي	»	بعال
٢٥٢	— —	المقارب	الرجال
٢٥٣	المعتمد بن عباد	»	المقال
٢٥٣	ابن الدباغ	»	الفعال
٤٨	المتنبي	»	طائل
٢٢٩	»	»	القابل
٤٣٩	— —	»	المتـرل

قافية الميم

٧٣٧	مرقش السدوسي	مجزوء الكامل	الرتائم
٥٧٣	ابن خفاجة	»	تلم
٥٧٩	»	»	وتنعم
٥٧	بشار	المقارب	نم

علم	المتقارب	ادريس بن اليماني	٣٤١
النسم	»	أسعد أبو كرب	٧٤٤
نجوم	»	ابن أبي الخصال	٧٩٥
القرم	الرجز	الحجام	٨٣٢
أدهما	الطويل	ابن خفاجة	٥٦٢
فتيما	»	»	٥٦٨
شما	»	»	٥٧٧
غموما	»	»	٥٧٩
دما	»	»	٦٤١
ومكرما	»	ابن أبي الخصال	٧٩٧
نداهما	»	ابن المعتز	٨٤٣
فسقاهما	»	— —	٨٤٧
حساما	مخلع البسيط	ابن رشيق	٨٢٢
الغماما	»	ابن خفاجة	٦١٤
الخزامي	»	»	٦١٤
نجوما	»	ابن عائشة	٨٨٧
قسима	الوافر	ابن خفاجة	٦١٢
أبتسامه	»	ابن عطيون	٧٧٩
سقيما	الكامل	ليل الأحيالية	٣٨٠
يسوما	»	»	٧٥٣
كالحمامه	مجزوء الرمل	ادريس بن اليماني	٣٣٩
جذيمه	»	أبو بكر ابن بقي	٧٩٤
علما	المنسرح	ابن خفاجة	٥٧٨
ديمه	الخفيف	ابن أبي الخصال	٧٩٤
الشكيمه	المتقارب	أبو الفضل ابن شرف	٨٧٧

٧٠٧	----	الرجز	أمة
٤٩٥	المتنبي	الطويل	نائم
٧٢٨	»	»	والقوادم
٤٦٤	مزاحم العقيلي	»	قديم
٨٩١	ابن السيد البطليوسي	»	جسيم
٩٠٣	ابن سفيان	»	سليم
٩٠٤	ابن لبون	»	كريم
٢٤٥	----	»	كرام
٩١١	أبو طاهر الأشكوري	»	ختام
٦٩٩	ابن اللبانة	»	وسلام
١٠٥	ابن لبون	»	لديكم
٢١٩	----	»	وتقدموا
٥١٢	أبو الربيع القضاعي	»	منمنم
٨٨٣	أبو الفضل ابن شرف	»	أسحم
٧٦٢	----	»	سهامه
٨٣٨	الحجّام	»	سهامه
٢٣٩	----	البيسط	اظلام
٣٨٠	بدر	»	خدم
٦٧٨	----	»	الخدم
٥٤	المتنبي	»	أمم
٦٧٩	»	»	والظلم
٨٤٣	أبو تمام	»	كرمه
٢٨٩	ابن عبدون	مخلع البيسط	شمام
٢٤٣	نصر بن سيار أو غيره	الوافر	الكلام
٦٤٨	ابن خفاجة	»	حمام

١٦١	المتنبي	الكامل	يظلم
٦٨٠	ابن اللبانة	»	معلم
٧٩٧	ابن أبي الحصال	»	متجهم
٢٠٣	أبو الأسود الدؤلي	»	خصوم
٧٠٨	أبو تمام	»	أرحام
٥٤	المتنبي	الخفيف	الأجسام
٨٤٨	حسان	»	الكلام
٤٠٨	أبو عامر ابن أرقم	المتقارب	المظلم
٦٧٣	ابن اللبانة	»	العالم
٦٧٣	ابن الأصيلي	»	العالم
٥٩٧	ابن خفاجة	الطويل	بفاحم
٦٠١	»	»	المباسم
٤٦٣	أبو نواس	»	رسوم
١٥٢	— — —	»	صميمي
٥٧٤	الرضي	»	السلام
٦٤٣	ابن خفاجة	»	غرام
٦٨١	أبو العلاء المعري	»	سهم
٢٣٢	المتنبي	»	نوهم
٣٢٣ ٣١٤	»	»	أنكلم
٨٤٧	زهير	»	يحطم
٦٢١	ابن باجة	المديد	رسم
٦٢١	ابن خفاجة	»	والحرم
٦٢١	»	»	والديم
٧٥	المتنبي	البسيط	للقلم
١١٩	ابن رزين	»	الأسم

٣٨٠	---	البيسط	الكريم
٣٨٩	---	»	كالحمم
٦١٧	ابن خفاجة	»	ظلم
٨١٢	ابو عبد الله ابن شرف	»	منهزم
٣٥١	أبو العلاء المعري	الوافر	أمامي
٨١٠	ابن رشيق	»	الكرام
٩٠٢	ابن الرقاق	الكامل	القاسم
٦١٩	ابن خفاجة	»	تمام
٨٤٧	المتني	»	غمام
٨٣٤	الحجاء	»	والابهام
٨٣١	»	»	العندم
٦٠٥	ابن خفاجة	»	ملثم
٦٣٣	»	»	لهزم
٨٣٨	الحجاء	»	عظيم
١١٧	ابن رزين	»	المعلوم
٨٤٦	طرفة	الكامل المرفل	تهمي
٣٢٣	ابن خلصة	مجزوء الكامل	المستقيم
٦٧٢	ابن عبدون	السريع	المسلم
٧١٢	---	»	هاشم
٤٦٣	---	المنسرح	ملتئم
١٢٠	ابن رزين	الخفيف	الغمام
٦٣٤	ابن خفاجة	المتقارب	الكلام
٥١٢	ابن المعتز	الرجز	مظلم

قافية النون

١٢١	ابن رزين	الطويل	ومعلنا
١٢١	ابن عمار	»	المنى
٣٢٤	ابن خلصة	»	الدنا
٦٧٠	ابن اللبانة	»	معنى
٣٩٠	ابن المعذل	»	حزينه
٣٥٦	بشامة بن حزن أو غيره	البيسط	بأيدينا
٧٣٢	» » » »	»	يغنونا
٥٧٥	ابن خفاجة	مخلع البيسط	حنينا
٥٧٦	» »	» »	دينا
٥٧٨	» »	الوافر	تائبونا
٦٥٩	أبو حاتم الحجاري	»	ضمانا
٨٣٧	الحجام	الكامل	مبيننا
٨٨٤	أبو الفضل ابن شرف	»	مكانا
٨٥٠	ابن معلى	»	ألوانا
١٢٤	ابن رزين	مجزوء الرمل	العاشقينا
٦٧٤	الفكيك	السريع	جنة
٧٩٥	ابن أبي الخصال	المنسرح	وسنة
٥٤٣	— — —	الخفيف	يصطلونا
١١٥	أبو نواس	»	المكنونا
٨٩٦	» »	»	يكونا
٢٣٠	المتنبي	»	نتفانى
١٠	ابن دراج	الطويل	أزمان
٦٢٠	ابن خفاجة	»	وريجان

٦٣٢	ابن خفاجة	الطويل	حران
٨٤٩	أبو الحسين ابن الجلد	»	بهتان
٨٩٥	ابن السيد البطليوسي	»	بان
٨٧٩	أبو الفضل ابن شرف	»	فهين
٣٩١	كثير	»	يزينها
١٠٨	ابن لبون	البيسيط	أغتب
٤٨٨	ابن حسداي	»	البان
٨٣٥	الحجّام	»	واللين
٨٠	— — —	الوافر	المنون
٧٧٢	أبو جعفر ابن أحمد	»	الزمان
٣٢٦	ابن خلاصة	الكامل	خؤون
٥٨٣	ابن خفاجة	»	الظلمان
٦٩٧	ابن اللبانة	»	ثمين
٥٨١	ابن جدار	السريع	إعلان
٣٠	— — —	المجتث	تدان
٣٣٠	الخصري	المتقارب	الزمان
٣٣٠	ابن خلاصة	»	أوان
٥٧٦	ابن المعتز	»	عيون
٦٩٦	ابن اللبانة	»	المعدن
٢٤٤	ابن اللمينة	الطويل	قضاياي
٤٦٢	منصور النمري أو غيره	»	تراني
٧٠٧	— — —	»	وأفان
٨٥٧	— — —	»	تريان
٨٨٠	أبو الفضل ابن شرف	»	سنان
٨٨٠	— — —	»	الحدثان

٥٨٥	ابن خفاجة	الطويل	ملاّآن
١١٨	ابن رزين	»	أعلني
٣٥٠	أبو العلاء المعري	»	أعني
٤٦٣	» » »	»	الجفن
٦٥٣	» » »	»	السفن
٨٣٧	الحجام	»	الوهن
٢٠١	— — —	البيسط	خلافي
٦٧٦	الخليل بن أحمد	»	الباني
٨٥٢	المتنبي	»	واعلافي
٤٥٤	ابن جرج	»	المزن
٦٦٢	أبو حاتم الحجاري	»	والوسن
١٢٣	ابن رزين	»	بالرياحين
١٢٣	ابن سابق	»	لبون
٧٨	ذو الأصبع العدواني	»	اسقوني
٧٩٨	— — —	»	الدين
٨٧٢	ابن رشيق	»	يشكوفي
٢٠٣	دعبل	الوافر	المدان
٦٥٣	أبو حاتم الحجاري	»	قهرماني
٦٥٨	» » »	»	المدان
٧٢٤	معن بن أوس	»	رمانى
٥٤٤	— — —	»	للسكون
٨٢١	الحجام	»	للفرقدين
٤٩٢	ابن حسداي	الكامل	للأجفان
٦٠٤	البديع	»	شيطاني
٦٨٦	ابن اللبابة	»	الغزلان

٦٨٧	ابن اللبابة	الكامل	التيجان
٧٥٢	المتنبي	»	السرحان
٨١٣	أبو بحراة عبد الصمد	»	الميدان
٨٣٣	الحجّام	»	بيان
٦٣٣	ابن خفاجة	»	هتون
٨٣٠	الحجّام	السريع	زقّين
٣٨٦	ابن بيض	الخفيف	رمتي
٨٠٣	عمر بن أبي ربيعة	»	يلتقيان
٨١١	أبو بحر ابن عبد الصمد	»	الكتّبان
٤٨٦	ابن الفرّج	المجثّ	الدياخليلون
٤٨٧	ابن حسداي	»	الفنون

قافية الهاء

٨٢٨	البحثري	البسيط	فيها
٥١٤	— — —	مخلع البسيط	رآها
٥٧٨	ابن خفاجة	» »	أذاها
٦٥١	» »	» »	كراها
٨٢٢	— — —	المنسرح	نواحيها
٨٣٣	الحجّام	»	حياها
٢٩٦ . ٩٠	أبو العتاهية	المتقارب	لها
٧٢٣	— — —	الرجز	نلقاها
٧٣٣	— — —	»	فيها
٣٥٢	ادريس بن اليماني	الطويل	فأبكاهُ
٨٠٨	ابن أبي الخصال	الوافر	شرفوهُ

٥٦١	---	الهرج	ماشاه
٢١٤	---	الخفيف	علاه
٨٩٣	ابن السيد البطليوسي	الطويل	تكلفنيه
٧٠١	ابن اللبانه	الوافر	قالصيه
٨٨٩	ابن عائشه	السريع	يديه
١٠٦	ابن لبون	الخفيف	الدواهي
٩٠٥	الجزار السرقسطي	المقارب	عليه

قافية الياء

٣٠٠	---	الطويل	ورائيا
٨٥٢	المجنون	»	علانيا
٨٠٥	---	»	شماليا
٨٥٢	قيس بن ذريح	»	هيا
٨٩٠	ابن عائشه	»	باكيا
٦٥٠	ابن خفاجة	»	ريا
٦٠٣	» »	مخلع البسيط	الحميا
٦٤٦	ابن خفاجة	الكامل	عافيا
٦٧٢	ابن اللبانه	مجزوء الرمل	بآيه
٩٠٧	الجزار السرقسطي	الخفيف	عطريه
٦٦٥	---	المقارب	مضنيه
٨٥٩	ابن الأصيلي	»	المحييه
٧٠٣	ابن الدودين	مخلع البسيط	العلي
٣٣٥	ابن غص الحجارى	» »	جلي
٤١٣	أبو تمام	الوافر	بي

مصادر التحقيق

- الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب ، ج ١ ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، دار المعارف بمصر .
- أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للملطي ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٣ .
- أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق محمد بن تلويت الطنجي ، دمشق ١٩٦٥ .
- أزهار الرياض (١ - ٣) للمقري ، تحقيق السقا والابباري وشليبي ، القاهرة ١٩٣٩ - ١٩٤٢ .
- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق هلموت ريتز ، استانبول ١٩٥٤ .
- الأصمعيات ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر .
- إعتاب الكتاب لابن الأبار ، تحقيق صالح الأشر ، دمشق ١٩٦١ .
- أعمال الأعلام للسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق ليفي بروفنسال ، بيروت ١٩٥٦ .
- الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (١ - ٢٥) دار الثقافة ، بيروت .
- أمالى الزجاجي ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٣٨٢ .
- أمالى القالي ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٣ .
- أمالى المرتضى (غرر الفوائد) للشريف المرتضى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٤ .
- أمثال الضبي . ط . الجوائب ، القسطنطينية ١٣٠٠ .
- إنباه الرواة على انباه النجاة للقفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ١٩٥٠ .
- أنساب الأشراف (ج ١) تحقيق محمد حميد الله ، مصر ١٩٥٩ .

- الأنواء لابن قتيبة . ط . حيدر آباد الدكن ١٩٥٦ .
- بدائع البدائنه لابن طافر ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٩٧٠ .
- البداية والنهاية لابن كثير . ط مصر ١٣٥١ - ١٣٥٨ .
- البديع في وصف الربيع للحميري . تحقيق هنري بيريس . الرباط ١٩٤٠ .
- بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس لابن عميرة الضبي ، مجريط ١٨٨٤ .
- بغية الوعاة للسيوطي . مصر ١٩٢٦ .
- البيان المغرب لابن عذاري المراكشي ج٢ (تحقيق كولان وبروفنسال ١٩٤٨) ؛ ج٣ (تحقيق بروفنسال ١٩٢٩) ؛ ج٤ (قطعة في تاريخ المرابطين ، تحقيق إحسان عباس . بيروت ١٩٦٧) .
- البيان والتبيين للجاحظ (١ - ٤) تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٩٦١ .
- تاج العروس (١ - ١٠) لمرتضى الزبيدي . ط . بولاق .
- تاريخ ابن خلدون (ج ٤) . ط . بولاق ١٢٨٤ .
- تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة لإحسان عباس ، ط . ثانية ، بيروت ١٩٦٨ .
- تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين لإحسان عباس ، ط . ثانية ، بيروت ١٩٦٥ .
- تاريخ بني عباد (Historia Abbadidarum) جمع دوزي ، لندن ١٨٤٦ .
- تاريخ البليق (كتاب أخبار المهدي) تحقيق ليفي . بروفنسال . باريس ١٩٢٨ .
- تاريخ الخلفاء للسيوطي (١ - ٢) ط . بيروت .
- تاريخ العلماء والرواة للعلم في الأندلس لابن الفرضي (١ - ٢) . مصر ١٩٥٤ .
- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ، القاهرة ١٣٢٦ .
- تحفة الأحباب في ماهية النبات والأعشاب . ط . باريس ١٩٣٤ .
- تحفة القادم ، انظر : المقتضب من تحفة القادم .
- ترسل ابن أبي الخصال (مخطوطة بمعهد المخطوطات بالقاهرة) .
- التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لمحمد بن الكتاني . تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٦ .
- التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (١ - ٢) ط . مصر (يشار إلى الصفحة ، وحيث يشار إلى الرقم فالمعتمد طبعة مجريط) .

- التيجان لوهب بن منبه ، ط . حيدر آباد الدكن ١٣٤٧ .
- التمثيل والمحاضرة للثعالبي ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، القاهرة ١٩٦١ .
- ثمار القلوب للثعالبي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٥ .
- جذوة المقتبس للحميدى . تحقيق محمد بن تاووت الطنجي ، مصر ١٩٥٢ .
- الجمهرة لابن دريد (١ - ٤) ط . حيدر آباد الدكن .
- جمهرة الأمثال للعسكري (بهامش الميداني) و ١ - ٢ تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٤ .
- جيش التوشيح لابن الخطيب ، تحقيق هلال ناجي ومحمد ماضور ، تونس ١٩٦٧ .
- الخلل الموشية لمؤلف مجهول ، تحقيق ي . عاوش ، الرباط ١٩٣٦ .
- الحلة السيرة لابن الأبار (١ - ٢) تحقيق حسين مؤنس . مصر ١٩٦٣ .
- حماسة أبي تمام ، انظر : شرح ديوان الحماسة .
- حماسة البحري . تحقيق لويس شيخو ، بيروت ١٩١٠ .
- الحماسة البصرية لعلي بن أبي الفرج البصري (١ - ٢) ط . حيدر آباد الدكن ١٩٦٤ .
- الحيوان للجاحظ (١ - ٧) تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٣٨ - ١٩٤٥ .
- خريدة القصر للعماد الاصفهاني (قسم المغرب والأندلس ٢ : ٣) تحقيق آذرتاش آذرتوش ، تونس ١٩٦٦ - ١٩٧٢ .
- خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي (١ - ٤) ط . بولاق .
- الخصائص لابن جني (١ - ٣) تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ١٩٥٢ - ١٩٥٦ .
- خلق الإنسان لثابت ، تحقيق عبد الستار فراج ، الكويت ١٩٦٥ .
- دار الطراز في عمل الموشحات لابن سناء الملك ، تحقيق جودت الركابي ، دمشق ١٩٤٩ .
- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون ، مصر ١٣٥١ .
- ديوان إبراهيم بن العباس الصولي (ضمن كتاب الطرائف الأدبية) ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة ١٩٣٧ .
- ديوان ابن خفاجة . تحقيق السيد مصطفى غازي ، الاسكندرية ١٩٦٠ .

ديوان ابن دراج القسطلي ، تحقيق محمود مكّي . دمشق ١٩٦١ .
ديوان ابن الدمينه . تحقيق أحمد راتب النفاخ ، القاهرة ١٩٥٩ .
ديوان ابن الرومي (١ - ٢) ، تحقيق حسين نصار ، القاهرة ١٩٧٣ - ١٩٧٤ (واختيار
كامل كيلاني) .

ديوان ابن شهيد . جمع يعقوب زكي . القاهرة ١٩٦٩ .
ديوان ابن المعتز (٣ - ٤) ، تحقيق ب . لوين . أستانبول ١٩٤٥ - ١٩٥٠ .
ديوان ابن هانئ الأندلسي ، بيروت ١٩٥٢ .
ديوان أبي الأسود الدؤلي ، تحقيق محمد آل ياسين ، بغداد ١٩٥٤ .
ديوان أبي تمام (١ - ٤) ، تحقيق محمد عبده عزام ، مصر ١٩٥١ - ١٩٦٥ .
ديوان أبي الحسن التهامي . المكتب الإسلامي . بيروت ١٩٦٤ .
ديوان أبي العتاهية . تحقيق شكري فيصل . دمشق ١٩٦٥ .
ديوان أبي فراس الحمداني ، تحقيق سامي الدهان ، بيروت ١٩٤٤ .
ديوان أبي نواس ، ط اسكندر آصاف ، مصر ١٨٩٨ .
ديوان الأختل ، تحقيق انطون صالحاني ، بيروت ١٨٩١ .
ديوان الأعشى . تحقيق رودلف غيار ، لندن ١٩٢٨ .
ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ١٩٥٨ .
ديوان أمية بن أبي الصلت . جمع وتحقيق عبد الحفيظ السطلي ، دمشق ١٩٧٤ .
ديوان أوس بن حجر . تحقيق محمد يوسف نجم ، بيروت ١٩٦٠ .
ديوان البحري (١ - ٤) ، تحقيق حسن كامل الصيرفي . دار المعارف بمصر ١٩٦٣ -
١٩٦٥ .

ديوان بشار بن برد (جمع بدر الدين العلوي) . بيروت ١٩٦٣ .
ديوان بشر بن أبي خازم . تحقيق عزّة حسن . دمشق ١٩٦٠ .
ديوان تميم بن المعز . دار الكتب المصرية : ١٩٥٧ .
ديوان جرير (١ - ٢) ، تحقيق نعمان أمين طه . القاهرة ١٩٦٩ - ١٩٧١ .
ديوان حسان بن ثابت الأنصاري (١ - ٢) . تحقيق وليد عرفات . لندن ١٩٧١ .

- ديوان الخطيئة ، تحقيق نعمان أمين طه ، مصر ١٩٥٨ .
- ديوان الخنساء ، ط. بيروت (باسم : نزهة الجلساء في ديوان الخنساء) .
- ديوان ذي الرمة (١ - ٣) تحقيق عبد القدوس أبو صالح ، دمشق ١٩٧٢ .
- ديوان الراعي النميري . تحقيق ناصر الحائلي ، دمشق ١٩٦٤ .
- ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار الكتب المصرية ١٩٤٤ .
- ديوان الطرماع ، تحقيق عزة حسن ، دمشق ١٩٦٨ .
- ديوان العباس بن الأحنف ، تحقيق عاتكة الخزرجي ، القاهرة ١٩٥٤ .
- ديوان العجاج رواية الأصمعي وشرحه ، تحقيق عبد الحفيظ السطلي ، ١٩٧١ .
- ديوان عروة بن الورد شرح ابن السكيت . تحقيق عبد المعين الملوحي ، دمشق ١٩٦٦ .
- ديوان العكوك علي بن جبلة . جمع حسين عطوان ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .
- ديوان عمر بن أبي ربيعة ، بيروت ١٩٦١ .
- ديوان الفرزدق (١ - ٢) . بيروت ١٩٦٦ .
- ديوان القطامي ، تحقيق إبراهيم السامرائي . بيروت ١٩٦٠ .
- ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، مصر ١٩٦٢ .
- ديوان كثير عزة ، تحقيق إحسان عباس . بيروت ١٩٧١ .
- ديوان كشاجم (نسخة التيمورية رقم : ١١١) .
- ديوان الكميت (١ - ٢) ، جمع داود سلوم ، بغداد ١٩٦٩ .
- ديوان المتنبي ، تحقيق عبد الوهاب عزام ، القاهرة ١٩٤٤ .
- ديوان المعاني للعسكري (١ - ٢) ط. القدسي ، مصر ١٣٥٢ .
- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق شكري فيصل . بيروت ١٩٦٨ .
- ديوان نصيب بن رباح . جمع داود سلوم ، بغداد ١٩٦٨ .
- ديوان الهذليين (١ - ٣) تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة ١٩٦٥ .
- ديوان المجنون . جمع وتحقيق عبد الستار فراج ، القاهرة (دون تاريخ) .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام (١ / ٢ ، ١ / ٤) ، القاهرة ١٩٤٢ ، ١٩٤٥ .
- الذيل والتكملة (ج : ٥) تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٥ .

- الصلة لابن بشكوال (١ - ٢) القاهرة ١٩٥٥ .
- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري . تحقيق البجاوي وأبو الفضل . القاهرة ١٩٥٢ .
- طبقات الأمم لصاعد الأندلسي . تحقيق لويس شيخو . بيروت ١٩١٢ .
- طبقات الشعراء لابن المعتز ، تحقيق عبد الستار فراج ، القاهرة ١٩٥٦ .
- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجهمي . تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة ١٩٥٢ .
- الطرائف الأدبية . انظر : ديوان إبراهيم بن العباس الصولي .
- كتاب العبر . انظر : تاريخ ابن خلدون .
- العقد لابن عبد ربه (١ - ٧) ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .
- عقود الجمان للزركشي . مخطوطة الفاتح رقم : ٤٤٣٤ .
- العلوم البحرية عند العرب (مصنفات سليمان المهري) تحقيق إبراهيم نخوري . دمشق ١٩٧٢ .
- العمدة في صناعة الشعر لابن رشيق . تحقيق محيي الدين عبد الحميد . القاهرة .
- عيون الأخبار لابن قتيبة (١ - ٤) ط . دار الكتب المصرية ١٩٦٣ .
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (١ - ٢) ط . مصر ١٣٠٠ .
- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجوزي (١ - ٣) . تحقيق برجستراسر . القاهرة ١٩٣٣ - ١٩٣٢ .
- غرائب التشبيهات لابن ظافر . تحقيق زغول سلام ومصطفى الجويني . القاهرة ١٩٧١ .
- الفاخر في الأمثال للمفضل بن سلمة ، تحقيق استوري ، لندن ١٩١٥ .
- الفائق في غريب الحديث للزمخشري (١ - ٣) تحقيق أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي ، القاهرة ١٩٤٥ - ١٩٤٨ .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١ - ٥) مصر ١٣١٧ - ١٣٢١ .
- فصل المقال لأبي عبيد البكري ، تحقيق إحسان عباس وعبد المجيد عابدين . ط . ثانية . بيروت ١٩٧١ .
- الفهرست لابن النديم . تحقيق فلوجل . بيروت ١٩٦٤ .
- فهرسة ابن خير ، الطبعة الثانية ، بغداد ١٩٦٣ .

- رايات المبرزين لابن سعيد . تحقيق غرسية غومس . ط . مدريد .
رسائل أبي العلاء المعري . تحقيق مرغوليوث . اكسفورد ١٨٩٨ .
رسائل اخوانية وسياسية أندلسية (نسخة الاسكوريال رقم : ٥٣٨) .
الروض المعطار للحميري . تحقيق ل . بروفنسال (وترجمته الفرنسية) القاهرة ١٩٣٧ .
زاد المسافر لصفوان بن ادريس المرسى . تحقيق عبد القادر محداد . بيروت ١٩٣٩ .
زهر الآداب للحصري . تحقيق علي محمد البجاوي . مصر ١٩٥٣ .
شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٩٦٤ .
سمط اللآلي في شرح أمالي القاضي للبكري . تحقيق عبد العزيز الميجني . القاهرة ١٩٣٦ .
شذرات الذهب لابن العماد . القاهرة ١٣٥٠ - ١٣٥١ .
شرح أسماء العقار لأبي عمران الإسرائيلي النرطبي . تحقيق ماكس مايرهوف . القاهرة ١٩٤٠ .
شرح ديوان الحماسة للتبريزي (١ - ٤) القاهرة ١٢٩٦ .
شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (١ - ٤) تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون . القاهرة ١٩٥١ - ١٩٥٣ .
شرح ديوان المتنبي للعكبري (١ - ٤) . القاهرة ١٩٣٦ .
شرح ديوان المتنبي للواحدى . برلين ١٨٦١ .
شرح شواهد المغني للسيوطي . مصر ١٣٢٢ .
شرح مقامات الحريري للشريشي (١ - ٢) القاهرة ١٣٠٠ .
شرح سقط الزند للمعري (١ - ٥) دار الكتب المصرية ١٩٤٥ - ١٩٤٨ .
شرح شواهد الكشف لمحّب الدين . مصر ١٢٨١ .
الشعر والشعراء لابن قتيبة (١ - ٢) بيروت ١٩٦٤ .
شفاء الغليل للخفاجي . مصر ١٣٢٥ .
صحيح البخاري . ط . بولاق .
الصدقة والصديق لأبي حيان التوحيدي . تحقيق إبراهيم الكيلاني ، دمشق ١٩٦٤ .

فوات الوفيات لابن شاکر الکلبی (١ - ٤) . تحقیق إحسان عباس ، بیروت ١٩٧٣ -

١٩٧٤ .

قطب السرور للرفیق . تحقیق أحمد الجندی . دمشق ١٩٦٩ .

قلائد العقیان للفتح بن خاقان . بولاق ١٢٨٣ .

الکامل للمبرد ، تحقیق محمد أبو الفضل إبراهیم ، القاهرة ١٩٥٦ .

کتاب السبعة فی القراءات لابن مجاهد . تحقیق شوقي ضیف ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .

کتاب سیویه (١ - ٢) ط . بولاق .

کتاب من اسمة عمرو من الشعراء لابن الجراح (نسخة الفاتح) .

لسان العرب لابن منظور (١ - ١٥) بیروت ١٩٦١ .

مجلة معهد المخطوطات (مجلد ٣ ج ١ - ٢) : مقالة ألفاظ مغربية من کتاب ابن هشام فی

لحن العامة ص ١٢٧ - ١٥٧ . ٢٨٥ - ٣٢١ لعبد العزيز الأهواني .

مجمع الأمثال للميداني (١ - ٢) مصر ١٣١٠ .

مجموعة المعاني . ط . الجوائب . القسطنطينية ١٣٠١ .

محاضرات الراغب الأصبهاني (١ - ٤) ، ط . بیروت .

المحتسب لابن جني (١ - ٢) تحقیق علي نجدي ناصف ورفيقه ، القاهرة ١٣٨٦ - ١٣٨٩ .

مرآة الجنان للياضي (١ - ٤) ط . حيدر آباد الدکن ١٣٣٧ - ١٣٣٩ .

مروج الذهب للمسعودي (١ - ٩) ط . باريس ١٨٦١ - ١٨٧٧ .

مسالك الأبصار للعمري (ج ١١) مخطوطة آيا صوفيا .

مسند أحمد (١ - ٦) بیروت ١٩٦٩ .

المطرب لابن دحية الکلبی ، تحقیق إبراهیم الاياري ورفيقه ، القاهرة ١٩٤٥ .

مطمح الأنفس للفتح بن خاقان ، ط . الجوائب ، القسطنطينية ١٣٠٢ .

المعاني الكبير لابن قتيبة (١ - ٢) ط . حيدر آباد الدکن ١٩٤٩ .

المعجب فی تلخیص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي ، تحقیق محمد سعيد العريان ،

القاهرة ١٩٦٣ .

معجم الأدباء لياقوت الحموي (١ - ٢٠) القاهرة ١٩٣٦ - ١٩٣٨ .

- معجم البلدان لياقوت الحموي (١ - ٥) بيروت ١٩٥٥ - ١٩٥٧ .
- معجم الشعراء للمرزباني . تحقيق عبد الستار فراخ ، القاهرة ١٩٦٠ .
- المعجم في شيوخ أبي علي الصدي لابن الأبار ، مجريط ١٨٨٥ .
- المغرب في حلى المغرب لابن سعيد (١ - ٢) تحقيق شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٥٥ .
- مفردات ابن البيطار (الجامع لمفردات الادوية والاعذية) ١ - ٤ . طبعة بالاوفست مكتبة المثنى ، بغداد .
- مفيد العلوم لابن الحشاء . ط . الرباط ١٩٤١ .
- المقاصد النحوية للعيني (على هامش خزنة الأدب) .
- مقامات بديع الزمان الهمداني شرح محمد عبده . الطبعة السادسة ، بيروت ١٩٦٩ .
- المقتبس في أخبار الأندلس . تحقيق عبد الرحمن الحجتي . بيروت ١٩٦٥ .
- المقتضب من تحفة القادم لابن الأبار . تحقيق إبراهيم الاياري ، القاهرة ١٩٥٧ .
- منهاج الدكان لابن أبي نصر الإسرائيلي . مصر ١٢٨٧ .
- المؤتلف والمختلف للأمدي ، نشر ف . كرنكو ، ط . القدسي ، القاهرة .
- الموشح للمرزباني ، تحقيق علي البجاوي . القاهرة ١٩٥٦ .
- نثار الأزهار للتيفاشي ، ط . الجواثب ١٢٩٨ .
- نظام الغريب للرعي ، تحقيق بولس برونله ، مصر .
- نظم الجمان لابن القطان ، تحقيق محمود مكى ، الرباط .
- نفع الطيب للمقري التلمساني (١ - ٨) تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ .
- نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، تحقيق س . بونيباكر ، ليلدن ١٩٥٦ .
- نكت الهميان للصفيدي . ط . مصر .
- نوادير المخطوطات (المجموعة الثالثة) وتحتوي رسالة ابن غرسية في الشعبية والردود عليها ، تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٩٥٣ .
- الوافي بالوفيات للصفيدي (١ - ٩) فيسبادن ١٩٣١ - ١٩٥٩ ؛ وج ١٠ مخطوطة .
- وفيات الأعيان لابن خلكان (١ - ٨) تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٩ - ١٩٧٢ .
- يتيمة الدهر للثعالبي (١ - ٤) تحقيق محبي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٣٧٥ - ١٣٧٧ .

- Dozy R. Recherches sur l'Histoire et la Litterature de l'Espagne, Tome I et II, Troisième édition, Amsterdam. 1965.
- Dozy R. Supplement aux Dictionnaires Arabes, Tome I et II, Beyrouth, 1968.
- يشار إليه باسم « ملحق دوزي » .
- Miranda, A. H. Historia Musulmana de Valencia y su Region, I-III, Valencia, 1970,
- Munroc, James. The Shu'ubiyya in Al-Andalus, University of California. 1970.
- Seiaparelli C., Vocabulista in Arabico, Firenze. 1871.
- Vila, J. Bosch. Historia de Albarracin y Su Sierra, Tome II, Albarracin Musulman, Teruel, 1959.

فهرس المحتويات

٥٤١	في ذكر الأديب أبي إسحاق إبراهيم بن خفاجة
٥٤٢	فصول من نثره في أوصاف شتى
٥٦٢	جملة من شعره في أوصاف شتى
٥٧٨	ومن شعره في أوصاف شتى
٦٠٣	ومن مقطوعات قالها زمن الصبا
٦٣٩	من نثره
٦٤٠	[وله شعر]
٦٤٨	[أخبار عنه وأشعار من القلائد]
٦٥٢	فصل في ذكر الأديب أبي حاتم الحجازي
٦٦٦	في ذكر الأديب أبي بكر محمد بن عيسى الداني ، ابن اللبانة
٦٦٩	جملة من شعره في أوصاف شتى
٧٠٣	فصل في ذكر الأديب أبي جعفر أحمد بن الدودين البلنسي
٧٠٥	نسخة رسالة ابن غرسية إلى ابن الخراز
٧١٥	رسالة ابن الدودين في الرد على ابن غرسية
٧٢٢	رسالة أبي الطيب القروي في الرد على ابن غرسية
٧٤٦	من كتاب لابن عباس يرد فيه على ابن غرسية
٧٥٥	فصل عن القلائد في ذكر الوزير أبي جعفر ابن أحمد
٧٥٧	فصل في ذكر ثلاثة من رجال الأندلس جمعهم وقت ومكان
٧٥٧	الكاتب أبو جعفر ابن أحمد
٧٥٩	فصول له من رقعة على لسان القصر المبارك

- ٧٦٢ الجواب عن ذلك
- ٧٦٧ [فصول أخرى من نثره]
- ٧٦٨ جملة من شعره
- ٧٧٣ فصل في ذكر أبي الخطاب ابن عطية التجيبي
- ٧٧٤ جملة من شعره في أوصاف شتى
- ٧٨٤ فصل من القلائد عن أبي عبد الله بن أبي الخصال
- ٧٨٦ في ذكر الكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال
- ٧٨٧ فصول من نثره
- ٧٩٣ مقطوعات من شعره وَجَّهَ بها إلى ابن بسام
- ٧٩٨ فصول من كلامه وقعت بعد ذلك لابن بسام
- ٨٠٦ عودة إلى إدراج فصول من القلائد
- ٨٠٩ في ذكر الأديب أبي البحر يوسف بن عبد الصمد
- ٨١١ جملة من شعره في أوصاف شتى
- ٨١٨ [في ذكر أبي عبد الصمد السرقسطي]
- ٨٢١ في ذكر الأديب أبي تمام غالب الحجام
- ٨٢١ جملة من شعره في النسيب وما يتشبه به من المديح
- ٨٢٦ جملة من شعره في أوصاف شتى
- ٨٤٠ فصل في ذكر الأديب أبي إسحاق بن معل
- ٨٤٠ [جملة من شعره في أوصاف شتى]
- ٨٥٠ وصف ابن حيان لخروج أهل بلنسية في قتال العدو
- ٨٥١ [حكاية للفرزدق وجرير]
- ٨٥١ [الإيماء والتلويع والتبعية . . .]
- ٨٥٤ إيجاز الخبر عن وقعة بطرنة
- ٨٥٧ في ذكر الأديب أبي عامر ابن الأصبلي
- ٨٥٩ جملة من شعره في أوصاف شتى

- ٨٦٧ فصل في ذكر الأديب أبي الفضل جعفر بن محمد بن شرف
٨٦٨ [جملة من نثره وشعره]
- ٨٨١ [من حكمه ورسائله عن القلائد]
٨٨٣ [جملة أخرى من شعره]
٨٨٧ فصل يشتمل على طوائف مقلين من سكان الجانب الشرقي
٨٨٧ أبو عبد الله بن عائشة
٨٨٨ أبو عبد الله محمد بن فرج الجياياني
- ٨٨٩ [عود إلى ابن عائشة ، عن القلائد]
٨٩٠ فصل في ذكر أبي محمد بن السيد البطليوسي
٨٩٢ أخوه أبو الحسن ابن السيد
٨٩٣ [رجع إلى أبي محمد بن السيد]
٨٩٧ ابن هند الداني
٩٠٠ أبو عامر بن زهرة الصائغ
٩٠١ أبو بكر الفرضي الداني
٩٠٢ أبو جعفر أحمد بن عنق الفضة
٩٠٣ الوزير أبو محمد بن سفيان
٩٠٥ يحيى السرقسطي المعروف بالجزار
٩٠٨ الوزير أبو عبد الله بن زرار
٩٠٩ أبو الطاهر محمد بن يوسف الاشكوري
- تعليقات
فهارس الكتاب
١ - فهرس الأعلام
٢ - فهرس الأماكن
٣ - فهرس القبائل والأمم والطوائف
٤ - فهرس الكتب المذكورة في المتن
٥ - فهرس القوافي
مصادر التحقيق

بعمونه تعالى
تم طبع الجزء الثالث من كتاب الذخيرة
في محاسن أهل الجزيرة

دار الثقافة

ص.ب ٤٣٥

بيروت - لبنان